سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٣٢)

نوافل المحبة

أقول الشراح وابن تيمية وابن القيم في شرح حديث

[وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه]

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

١-"- وبعض الناس إذا انفتح له باب التوفيق نفسه فيها قبح فتنازعه للشر فيكون بين هذا وهذا.- وآخر نفسه فيها خير، فمن الخير الذي معه أنه ينتقل من توفيق إلى توفيق أعظم منه حتى يصل بسبب عمله أن الله ينعم عليه بتوفيق زائد ثم بتوفيق زائد، مثل ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه -يعني وفق في سمعه- الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها"١٠ هذا كله توفيق، مزيد إعانة في هذه الجوارح، الجوارح هذه هي التي عليها الحساب والتي يحاسب العبد على ما صنعت جوارحه.إذا فحقيقة إضلال الله من شاء ليست جبرا، وهداية الله من شاء (ليست جبرا.وإنما العبد عنده آلات، خوطب بالتكليف وعنده الآلات، ولو كانت جبرا لصارت التكاليف -بعث الرسل، إنزال الكتب، الأمر والنهي، الجهاد- لكان كل ذلك عبثا.والله منزه عن العبث؛ لأن العبث سلب الحكمة وشر والله الشر ليس إليه، لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين(١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق[الأنبياء:١٧-١٨].فالله (منزه عن العبث.يضل جبرا ويسلب العبد الاختيار بالمرة ثم يحاسبه وينزل عليه الكتب ويرسل الرسل ويأمره بالتكاليف كيف يكون ذلكيكون كالغريق الذي يقال له:(١١) إياك أن تبتل بالماء.(١ سبق ذكره (٦٧)٢ راجع (٣١٩)٣ راجع (٧٦)٤ انتهى الوجه الأول من الشريط الثامن عشر.". (١)

٢-"والسابق بالخيرات أطوع وأتبع للقرآن من المقتصد، فنصيبه من الولاية وهي محبة الله له ونصرته له أعظم من نصيب المقتصد.وهؤلاء هم الذين جاء فيهم الحديث المشهور المسمى بحديث الولي وهو قوله "قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته -هذا سابق بالخيرات- كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له من ذلك"١٠. رواه البخاري وغيره، وهو حديث صحيح لا مطعن فيه، فدل الحديث على أن السابق بالخيرات أحق وأعظم ولاية لله من الذي يتقرب إلى الله بالفرائض.قال "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه"، وما افترضه الله على العباد أوامر يمتثلها ونواه يجتنبها، فيتقرب إلى الله بفعل المأمور، ويتقرب إلى الله بترك المنهي المحرم، وهذا هو حال المقتصد، ثم ذكر الفئة الثانية وهم السابقون بالخيرات.(المسألة الخامسة:ارتبطت مسألة الولاية -ولاية الله للمؤمن العبد- بمسألة الكرامة، ولهذا أكثر من يتكلم عن الأولياء في صفاتهم و تقرير المعتقد فيهم لابد أن يتكلم عن الكرامات.وهذه أشار إليها الطحاوي في قوله (وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن).والكرامة هذه عرفت بأنها: أمر خارق للعادة جرى على يدي ولي.وهي متصلة بالآية والبرهان عند الأنبياء، وبالخوارق

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ١٨/٢٤

مطلقا عند الأنبياء والأولياء والكهنة والسحرة وأشباههم.ولهذا فتعريف الكرامة بأنها أمر خارق للعادة جرى على يدي ولي متصل بذلك:أولا من كونها خارقة للعادة.وثانيا هذه العادة عادة من". [1]

٣-"الشريط الثاني والأربعونوما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه"١ هذا عطاء محبة، "ولئن استعاذني لأعيذنه" هذه إعاذة محبة ورضا.(المسألة الرابعة:الله قال وقال ربكم ادعوني أستجب لكم[غافر:٦٠]، وقال "من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"، وإجابة الدعاء عام يشمل إجابة دعاء العبادة وإجابة دعاء المسألة.* أما إجابة دعاء العبادة: فهو بالإثابة.* وأما إجابة دعاء المسألة: فهو بالإعطاء.ولهذا في آية سورة غافر قال وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين[غافر:٦٠]، ورجح طائفة من أهل العلم أنها في الدعاء الذي هو العبادة، ادعوني أستجب لكم، يعني أعبدوني أثبكم، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين.والنوع الثاني الذي هو دعاء المسألة فيكون إستجابة دعاء المسألة بإعطاء العبد ما سأل.وإجابة الدعاء يعم إعطاء العبد ما سأل أو ما هو في مقام إعطائه ما سأل من صرف السوء عنه.ولهذا قال العلماء: إن العبد إذا دعا الله ولم يعط ما سأل فإن لهذا عدة تعليلات: التعليل الأول: أنه يصرف عنه من الشر بمثل ما سأل، فإن النبي قال: "ما من عبد مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاثة خصال: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها، وإما أن تدخر له يوم القيامة"٢. وهذا يعني أن دعاء العبد المؤمن لا يضيع بل يستجاب لكن:* ربما أستجيب بثواب يوم القيامة.* وربما أستجيب بعطاء.". [2]

٤-"الأصل في كرامات الأولياء من القرآن قول الله ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم[يونس:٦٢-٦٤]، وقوله أيضا وكان أبوهما صالحا[الكهف:٨٢]، وقوله "ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه"٢.ومن الواقع فإنه تواتر النقل عن الصحابة وعن التابعين ومن تبعهم وعن الأمم السالفة، تواتر النقل بما لا يكون معه مجال للتكذيب ولا للرد بنقل عدد كبير يختلفون في أماكنهم ويختلفون في لغاتهم بحصول هذه الكرامات، فيكون معه النقل متواترا ويكون دليلا من الأدلة في هذه المسألة.فإذا حصول الكرامات دل عليه القرآن والسنة ودل عليه التواتر في النقل عن الأمم السالفة وعن هذه الأمة.(المسألة الثالثة:الكرامة تبع للولاية، والأولياء جعلهم الله هم أهل الإيمان والتقوى قال ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون[يونس:٦٢-٦٣]، فالولي الذي يعطى الكرامة هو الموصوف بهذين الوصفين: الإيمان والتقوى.فلو جرى الخارق على يدي من لم يوصف بالإيمان والتقوى فليس هو من الكرامة؛ لأن الله جعل الولاية في أهل الإيمان والتقوى، وهم الذين يعطون الكرامة.وهاهنا سؤال:

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ٢١/٣٠

(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ١/٤٢

هل المبتدع أو الضال أو العاصي يعطى كرامةوالجواب عن ذلك: أن الأولياء –كما قرر أهل العلم– على فئتين:* الفئة الأولى السابقون.". (١)

٥–"أما دعاء العبادة فهو اجتهاد العبد في تحقيق الولاية من جانبه ، لأن ولاية المؤمنين لربهم هي ولاية حفظ لحدوده وتوحيده ، كقوله تعالي : (قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم) (الأنعام:١٤) وقوله أيضا في التحذير من ولاية الأعداء : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) (الممتحنة:١) وذلك لا يتم إلا بالإخلاص لله تعالى ، والإقبال كلية على أوامره ومفارقة نواهيه ، وواجب المؤمنين نحو ربهم ودينهم وإخوانهم القرب والحب والنصرة ، لإظهار الدين والتمكين في الأرض ، وهذا ما يقتضيه الولاء ظاهرا باطنا ، فولي الله حقا هو من توالت طاعاته من غير تخلل معصية ، ومن تولي الحق حفظه وحفظ حواسه علي الدوام بتوفيقه وتمكينه وإقداره علي الطاعات وكرائم الإحسان ، وعند البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي : (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) .". (٢)

٦–"والرؤوف اسم من أسماء الله يدل أيضا على معنى التعطف على عباده المؤمنين بحفظهم في سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم ، كما ورد عند البخاري من حديث أبي هريرة أن النبي الحديث القدسي : (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) وهذا منتهى الرأفة بالصادقين ، وكذلك الرؤوف يدل على معنى التعطف على عباده المذنبين ، فيتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها ، فقد روي الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) وروي الإمام مسلم من حديث أبي موسى الأشعري أن النبي صلي الله عليه وسلم قال : (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) .واسم الله الرؤوف يدل علي ذات الله وعلي صفة الرأفة بدلالة المطابقة ، وعلي ذات الله وحدها بالتضمن ، وعلي صفة الرأفة وحدها بدلالة التضمن ، ويدل باللزوم علي الحياة والقيومية ، والعلم الأحدية ، والمحبة الرحمة ، والعدل والحكمة وغير ذلك من أوصاف الكمال واسم الله الرؤوف دل علي صفة من صفات الأفعال .". (٣)

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ١٠/٤٦

(٢) أسماء الله الحسنى ٢١/٢٠

(٣) أسماء الله الحسنى ١٩/٢٣

٧-"كيف ندعو الله باسمه القريب دعاء مسألة ودعاء عبادة، دعاء المسألة، كقوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) (البقرة:١٨٦) وفي المسند وصححه الألباني من حديث ابن رفاعة الزرقي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو: (اللهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادى لما أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت وأعوذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعت منا) .أما دعاء العبادة فهو أثر الاسم على سلوك العبد فيبتغي من ربه القرب حسب ما وهو محدد من قبل الرب، فعند البخاري من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) .". [١]

٨-"والله عز وجل جعل ولايته للموحدين مشروطة بالاستجابة لأمره، والعمل في طاعته وقربه، والسعي إلى مرضاته وحبه، فمن حديث أبي هريرة (أن رسول الله s قال: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١٠٤) .٢١- ((النصير :والنصير في اللغة من صيغ المبالغة، فعيل بمعنى فاعل أو مفعول لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور، وقد نصره ينصره نصرا إذا أعانه على عدوه، واستنصره على عدوه سأله أن ينصره عليهم، وتناصر القوم نصر بعضهم بعضا، وانتصر منه انتقم منه (١٠٥)، وعند البخاري من حديث أنس (أن رسول الله s قال: (انصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوما، فكيف ننصره ظالما قال: تأخذ فوق يديه) (١٠٦) .". [٢]

٩-"والرءوف سبحانه هو الذي يتعطف على عباده المؤمنين بحفظ سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم في توحيده وطاعته وهذا من كمال الرأفة بالصادقين، روى البخاري من حديث أبي هريرة (عن النبي s في الحديث القدسي: (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٤٥١).وكذلك الرءوف يدل على معنى التعطف على عباده المذنبين، فيفتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة (أن رسول الله s قال: (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) (٤٥٢)، وعنده أيضا من حديث أبي موسى الأشعري (أن النبي s قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب

---

(١) أسماء الله الحسنى ١١/٢٧

(٢) أسماء الله الحسنى ٤٩/٣٢

مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) (٤٥٣) ، والرءوف أيضا هو الذي يخفف عن عباده فلا يكلفهم ما يشق عليهم أو يخرج عن وسعهم وطاقتهم ، قال تعالى : يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا [النساء:٢٨] ، وقال : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها [البقرة:٢٨٦] (٤٥٤) .٩٣- (الوهاب ":". [١]

١٠-"وأما أثر الإيمان بالاسم على سلوك العبد فإن الموحد يراقب ربه في سره وعلانيته لعلمه أن الله من فوق عرشه يسمعه وهو عليم بسره ونجواه ، ومن ثم يتقيه ويخشاه ولا يخاف من أحد سواه ، قال تعالى : أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون [الزخرف:٨٠] ، كما أن الصادق في توحيده لاسم الله السميع هو الذي يسمع بسمع الله ؛ فلا يسمع إلا ما يحبه ويرضاه ، روى البخاري من حديث أبي هريرة (أن رسول الله s قال فيما يروي عن رب العزة : (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به) (١١٧) .والمقصود بقوله كنت سمعه الذي يسمع به أي يحفظه الله في سمعه ويهيأ الأسباب لحفظه ، وذلك لمداومة العبد على حفظ الله في شرعه ، وليس المقصود اتحاد الذات أو الحلول كما يزعم الغلاة ، فالعبد يحفظ سمعه بالتزامه منهج الله فلا يؤذي الناس بسمعه كأن يتحسس عوراتهم أو يخوض في أعراضهم أو يشهر بزلاتهم ، وعند البخاري من حديث أبي هريرة (أن النبي s قال : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، وكونوا عباد الله إخوانا) (١١٨) ، وعند مسلم من حديث عبد الله بن عباس (أن رسول الله s قال : (من سمع سمع الله به ، ومن راءى راءى الله به) (١١٩) ." . [٢]

١١-"دعاء العبادة اختيار العبد لمنهج الله هاديا دليلا ، ويسعد به ولا يرضى عنه بديلا لعلمه ويقينه أنه الأعلى شأنا والأسمى كمالا ، بل لا وجه للمقارنة بين منهج من وضع العبد وآخر من وحي خالقه ، فالذي وحد الله في اسمه الحكيم هو العبد الرباني المؤمن النقي التقي الولي الذي يسمع بسمع الله فلا يسمع إلا ما يرضيه ، ويبصر بنور الله ، فلا يرى إلا ما يرضيه ، روى البخاري من حديث أبي هريرة (أن رسول الله s قال : (إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٢٣٠) ، فأي حكمة يحقق بها العبد توحيد الله في اسمه الحكيم أفضل من أن يعصمه الله من الزلل ويعطيه إن سأل ، قال الله (: يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب [البقرة:٢٦٩] ،

---

(١) أسماء الله الحسنى ١٩٠/٣٢

(٢) أسماء الله الحسنى ٧٤/٣٥

وقال تعالى : لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين [آل عمران:١٦٤] .". (١)

١٢-"أثر الاسم على سلوك العبد سعيه في ابتغاء القرب من الرب ، والتزامه بكل عمل يؤدي إلى مرضاته وقربه ، قال (: ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم [التوبة:٩٩] ، وقال : أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا [الإسراء:٥٧] .وروى البخاري من حديث أبي هريرة (أن رسول الله s قال : (إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٢٤٩) .". (٢)

١٣-"روى البخاري من حديث أبي هريرة (أن رسول الله s قال : (إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٢٧١) ، فواجب المؤمنين الأولياء نحو ربهم ودينهم وإخوانهم القرب والحب والنصرة لإظهار الدين والتمكين له في الأرض ، وهذا ما يقتضيه معنى الولاء ظاهرا باطنا ، قال تعالى : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم [يونس:٦٢/٦٤] .". (٣)

١٤-"والعبد إذا حقق توحيد الألوهية توافقت إرادته مع الإرادة الشرعية الدينية ، ومن ثم تتوافق مع الإرادة الكونية القدرية ، حتى يكون كما ثبت في السنة النبوية عبدا ربانيا عصمه الله في حركاته وسكناته ، وعند البخاري من حديث أبي هريرة (أن رسول الله s قال : (إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٤٥٧) .ومن ثم فإن المسلم إذا وفقه الله إلى الطاعة واجتهد في أحكام العبودية وأدى توحيد الألوهية ، نسب الفضل في طاعته إلى ربه ، وأنها كانت بمعونته وتوفيقه لما سبق به حكمه وقضائه وقدره ، ولا ينسب الفضل في ذلك إلى نفسه ؛ أو يمن به على ربه ، وإذا أحدث ذنبا أو معصية

---

(١) أسماء الله الحسنى ١٢٦/٣٥

(٢) أسماء الله الحسنى ١٣٥/٣٥

(٣) أسماء الله الحسنى ١٤٤/٣٥

علم أن أفعاله وإن كانت بمشيئة الله وحكمه وقضائه وقدره إلا النسبة في العصيان مردها إلى الإنسان أو وسواس الشيطان فيدعوه ذلك إلى التوبة وطلب الغفران ، ويقر لربه بذنبه وأن معصيته بسبب تقصيره وخطئه وأنه مستحق للعقاب بحكمه وعدله ، وأن ربه منزه عن ظلم أحد من العالمين ، فإن أدخل عبدا الجنة فبفضله ، وإن عذبه في النار فبعدله ، فهذا هو العبد الذي وحد الله حقا في اسمه الإله وكان سلوكه في الحياة دعاء عبادة لله عز وجل .". (١)

١٥-"وأما أثر الإيمان بالاسم على سلوك العبد فإن الموحد يراقب ربه في سره وعلانيته لعلمه أن الله من فوق عرشه يسمعه وهو عليم بسره ونجواه، ومن ثم يتقيه ويخشاه ولا يخاف من أحد سواه، قال – عز وجل –: ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ [الزخرف:٨٠] .كما أن الصادق في توحيده لاسم الله السميع هو الذي يسمع بسمع الله؛ فلا يسمع إلا ما يحبه ويرضاه، روى البخاري من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال فيما يروي عن رب العزة – جل جلاله –: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به) (١) .والمقصود بقوله كنت سمعه الذي يسمع به أي يحفظه الله في سمعه ويهيأ الأسباب لحفظه، وذلك لمداومة العبد على حفظ الله في شرعه، وليس المقصود اتحاد الذات أو الحلول كما زعم الغلاة، فالعبد يحفظ سمعه بالتزامه منهج الله – عز وجل – فلا يؤذي الناس بسمعه كأن يتحسس عوراتهم أو يخوض في أعراضهم أو يشهر بزلاتهم، أو ما شابه ذلك مما هو مستقبح في الشرع.____________(١) البخاري في الرقاق، باب التواضع ٥/ ٢٣٨٤ (٦١٣٧) .". (٢)

١٦-"والمولى سبحانه هو من يركن إليه الموحدون ويعتمد عليه المؤمنون في الشدة والرخاء والسراء والضراء ولذلك خص الولاية هنا بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ [محمد:١١]، وقال – عز وجل –: ﴿ وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ﴾ [الأنفال:٤٠]، وقال: ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ [التوبة:٥١]، والله – عز وجل – جعل ولايته للموحدين مشروطة بالاستجابة لأمره، والعمل في طاعته وقربه، والسعي إلى مرضاته وحبه، فمن حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١) .دلالة الاسم على أوصاف الله .____________(١) البخاري في الرقاق، باب التواضع ٥/٢٣٨٤ (٦١٣٧) .". (٣)

---

(١) أسماء الله الحسنى ٣٥/٢٤٥

(٢) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٢/ ٦

(٣) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٢/ ١٧

١٧-"دعاء العبادة هو اختيار العبد لمنهج الله هاديا دليلا، ويسعد به ولا يرضى عنه بديلا، لعلمه ويقينه أنه الأعلى شأنا والأسمى كمالا، بل لا وجه للمقارنة بين منهج من وضع العبد وآخر من وحي خالقه، فالذي وحد الله في اسمه الحكيم هو العبد الرباني المؤمن النقي التقي الولي الذي يسمع بسمع الله، ولا يسمع إلا ما يرضيه، ويبصر بنور الله، فلا يرى إلا ما يرضيه .روى البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١)، فأي حكمة يحقق بها العبد توحيد الله في اسمه الحكيم أفضل من أن يعصمه من الزلل ويعطيه إن سأل .قال الله - عز وجل -: ﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾ [البقرة:٢٦٩]، وقال تعالى: ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ [آل عمران:١٦٤] .______________(١) البخاري في الرقاق، باب التواضع ٢٣٨٤/٥ (٦١٣٧) .". [١]

١٨-"أثر الاسم على سلوك العبد هو سعيه في ابتغاء القرب من الرب، والتزامه بكل عمل يؤدي إلى مرضاته وقربه، قال تعالى: ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة:٩٩]، وقال - عز وجل -: ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾ [الإسراء:٥٧]، وروى البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١) .______________(١) البخاري في الرقاق، باب التواضع ٢٣٨٤/٥ (٦١٣٧) .". [٢]

١٩-"روى البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١)، فواجب المؤمنين الأولياء نحو ربهم ودينهم وإخوانهم القرب والحب والنصرة لإظهار الدين

---

(١) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٢٣٢/٢

(٢) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٢٧٠/٢

والتمكين له في الأرض، وهذا ما يقتضيه معنى الولاء ظاهرا باطنا، قال تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [يونس:٦٢/٦٤] . ______________(١) البخاري في الرقاق، باب التواضع ٥/٢٣٨٤ (٦١٣٧) ." .[1]

٢٠-"والرءوف سبحانه هو الذي يتعطف على عباده المؤمنين بحفظ سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم في توحيده وطاعته، وهذا من كمال الرأفة بالصادقين، روى البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث القدسي: (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١).______________(١) البخاري في الرقاق، باب التواضع ٥/٢٣٨٤ (٦١٣٧) ." .[2]

٢١-"أثر الإيمان الاسم يظهر على العبد في تحقيق التوحيد والخضوع لله، فتوحيد الألوهية هو الغاية التي خلق الله الناس من أجلها، وهو أول الدين وآخره وظاهره وباطنه كما قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ﴾ [الذريات:٥٦]، فوجب على المسلم الذي اعتقد أن إلهه هو الإله الحق، وأن كل ما سواه خاضع له طوعا وكرها أن يوجه قصده وطلبه في الحياة إلى العمل في مرضاته، وأن يسلك أقرب الطرق والوسائل إليه وهو طريق السنة والاتباع دون الهوى والابتداع، فالهداية التامة تتضمن توحيد المطلوب وتوحيد الطلب وتوحيد الطريق الموصلة إليه، والانقطاع أو تخلف الوصول إليه يقع من الشركة في هذه الأمور أو في بعضها (١) .والعبد إذا حقق توحيد الألوهية توافقت إرادته مع الإرادة الشرعية الدينية، ومن ثم تتوافق مع الإرادة الكونية القدرية، حتى يكون كما ثبت في السنة النبوية عبدا ربانيا عصمه الله في حركاته وسكناته .وعند البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (٢) .*********______________(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، نشر دار الفكر ص ٤٤ بتصرف .(٢) تقدم تخريجه ص٦٨٠ ." .[3]

٢٢-"ص -٢٣٧- ... قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا

---

(١) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٢/٣٠٠

(٢) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٣/٩٤

(٣) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٣/١٥٠

فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته" ١. رواه البخاري.وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له"٢ متفق عليه.وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" ٣ رواه البخاري_______١ البخاري: الرقاق (٦٥٠٢).٢ البخاري: الجمعة (١١٤٥) ، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨) ، والترمذي: الصلاة (٤٤٦) والدعوات (٣٤٩٨) ، وأبو داود: الصلاة (١٣١٥) والسنة (٤٧٣٣) ، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦) ، وأحمد (٢/٢٥٨ ،٢/٢٦٤ ،٢/٢٦٧ ،٢/٢٨٢ ،٢/٤١٩ ،٢/٤٨٧ ،٢/٥٠٤ ،٢/٥٢١) ، ومالك: النداء للصلاة (٤٩٦) ، والدارمي: الصلاة (١٤٧٨ ،١٤٧٩).٣ البخاري: تفسير القرآن (٤٨٧٨) ، ومسلم: الإيمان (١٨٠) ، وأحمد (٤/٤١٦) ، والدارمي: الرقاق (٢٨٢٢).". (١)

٢٣-" انتقام الله لمن عادى له وليا

٢٥ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ص - قال إن الله تبارك وتعالى قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه رواه البخاري ". (٢)

٢٤-"فذكر ثلاثة أصناف . صنفا في النار وهم أصحاب الشمال وصنفين في الجنة وهما : أصحاب يمين وسابقون مقربون . وقد ذكرهما أيضا في آخر هذه السورة وهي سورة الواقعة فقال : ﴿ فأما إن كان من المقربين ﴾﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾﴿ فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ (الواقعة : ٨٨- ٩١) . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء المشهور وهو حديث قدسي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه وقد أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه » (١) . فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه تعالى بالفرائض ،

---

(١) أصول الإيمان - الأنصاري ص/١١

(٢) أصول الإيمان - الجوابرة ص/٥٦

يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا______________(١) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢) .". [١]

٢٥-"الكف عن فضول المباحات . وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه تعالى بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إلى الله بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما وعصمهم من الذنوب واستجاب دعاءهم كما قال تعالى : « ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه »** . .) إلى آخر ما ذكر في الحديث .لا يختص أولياء الله بلباس ولا هيئة :وأولياء الله لا يتميزون عن غيرهم من الناس في الظاهر بلباس ولا بهيئة على ما هو مقرر عند أهل العلم والتحقيق من أهل السنة .قال بعض الأئمة المصنفين في الأولياء : (وليس لأولياء الله شيء يتميزون به عن الناس في الظاهر من الأمور المباحات ، فلا يتميزون بلباس دون لباس إذا كان مباحا ، ولا بحلق شعر أو تقصيره أو ضفره إذا كان مباحا . كما قيل كم من صديق في قباء ، وكم من زنديق في عباء ، بل يوجدون في جميع أصناف أمة محمد صلى الله عليه وسلم إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور ، فيوجدون في أهل القرآن ، وأهل العلم ، يوجدون في أهل الجهاد والسيف ، ويوجدون في التجارة والصناع والزراع) .". [٢]

٢٦-" قال الزمخشري ولهذا أكده تأكيدا على طريق التخييل فقال يد الله فوق أيديهم يرد أن يد رسول الله صلى الله عليه و سلم التي تعلو يدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الأجرام وإنما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله النساء ٨٠ انتهى

قال ابن تيمية وكما في الصحيح ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به الحديث فأخبر سبحانه بمحبة العبد على هذا الوجه

قال وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وأن قرب الفرائض أن يكون هو إياه تعالى الله عن ذلك وعن قول القائلين إن عين وجود الحق هو عين وجود الخلق تعالى الله عن ذلك

ومن المتشابه النفس في قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة الأنعام ٥٤ وقوله واصطنعتك لنفسي طه ٤١ وقوله ويحذركم الله نفسه آل عمران ٢٨ وقوله عليه السلام عن الله فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي

قال أهل التأويل كما ذكره البيهقي النفس في كلام ". [٣]

٢٧-"ولا شك أن الذين يتجهون بكل حب وتعظيم إلى القوة المطلقة إلى ذي الحول والطول جل وعلا، ويخرون للأذقان سجدا لعزته وسلطانه وشكرا لنعمته وإحسانه، ولا شك أنهم يكونون موصولي السبب بجنابه العظيم فيستمدون منه جميع قواهم كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن ربه تعالى (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه،

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص/٢٧٩

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ص/٢٨٠

(٣) أقاويل الثقات ص/١٨٦

فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) وقال أيضا: (فبي يسمع، وبي يبصر، بي يبطش... الخ) وأحاديث كثيرة في هذا المعنى. فالصلاة من أكبر العوامل التي تربي الشخصية وتجعلها ربانية التصور، وربانية الشعور والوعي، وربانية السلوك والتصرف.ثم إن في الصلاة منفعة عظيمة، وعلاجا واقيا وشافيا من شر ما يصاب به الإنسان في حياته الاجتماعية وهو الشح والجبن الذي نبه الله عليه ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿إن الأنسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم: (شر ما أوتي العبد شح هالع أو جبن خالع).فالشح يبذر الهلع والفقر في القلب، ويجعل صاحبه فقير القلب مهما استغنى كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم: (بأنه كالذي يشرب ماء البحر)، فإنه لا يروى بل يزداد عطشه وغلبته.وأما الجبن فإنه يروث الخوف والذعر الذي يتزايد بصاحبه، حتى يكون عند المصائب والحروب كالذي يغشى عليه من الموت، وفي الأمن والرخاء حديد البصر ذلق اللسان، مثل المنافقين المعوقين الذين فضحهم الله في سورة الأحزاب.". (١)

٢٨-"الثالثة : يريد الشيخ أيضا أولئك المؤولة من المعتزلة والأشاعرة الذين استحسنوا طريقة الخلف في تحريف أسماء الله وصفاته وجعلوا هذا هو العلم كما قال قائلهم : (طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم) . فهم قد تنقصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والتابعين لهم بإحسان لعدم العلم وضعف العقل والرأي شعروا أو لم يشعروا . وأما هم فهم أصحاب العقل الذين فهموا مراد الله وتجرءوا على آياته .الرابعة : ويريد الشيخ أيضا أولئك الذين يعتقدون أن الولاية لا يمكن حصولها لإنسان إلا أن يكون صاحب خوارق وكرامات فتحضر له فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . وربما طار أحدهم في الهواء وربما مشى أحدهم على الماء ومن لا مخاريق عنده فهو ليس لولي لله . والصحيح عند السلف أن ولاية الله ليست مرتبطة بالكرامات وإنما هي مرتبطة بلزوم أمر الله عز وجل واجتناب نهيه وإن كانوا لا ينكرون الكرامات التي تحدث للأولياء ولكنهم لا يجعلونها مناط الولاية . بل مناط الولاية عندهم ما تقدم من آيات مع قوله عليه الصلاة والسلام : "ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ... " الحديث .قال الشافعي رحمه الله : (إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يمشي في الماء فلا تبالوا به حتى تنظروا إلى لزومه للكتاب والسنة) .قال الشيخ رحمه الله: [يا ربنا إن نسألك العفو والعافية إنك سميع الدعاء].الشرح : العفو من الذنوب والعافية من الوقوع في طرق أهل البدع والضلال .وقوله : إنك سميع الدعاء : أي مجيب الدعاء ، قال تعالى : ﴿ إن ربي لسميع الدعاء ﴾ .... الأصل السادس". (٢)

٢٩-"وقال ابن تيمية في فتاواه في المجلد الحادي عشر (التصوف) في رسالته (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان): وإذا كان أولياء الله هم المؤمنون المتقون، فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل

---

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ص/٨٠

(٢) الأصول الستة للشيخ محمد بن عبد الوهاب بشرح العبيلان ص/٣٠

إيمانا وتقوى، كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى، وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، قال الله تعالى: ((وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون))[التوبة:١٢٤]^ * ((وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون))[التوبة:١٢٥]^١.هـ.ثانيا: التقرب بالفرائض والنوافل، كما في حديث الولي الذي في البخاري، قال ابن تيمية في فتاواه في المجلد الحادي عشر في رسالته: (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، وننقل كلامه بشيء من التصرف: وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز: في أول سورة الواقعة وآخرها، وفي سورة الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر.. ثم قال: وفي صحيح البخاري الحديث المشهور، يقول الله تبارك وتعالى فيه: ﴿ من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به... إلخ)." (١)

٣٠-"أولا: السابقون -وإن كانت الآية قدمت أصحاب اليمين- وهم الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك ولا بالذنوب والمعاصي، فالسابق هو الذي يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل بعد الفرائض، وهذا التفسير هو أحد المعاني للسابق وهو أجلاها، فهو كما قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: ﴿من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ﴾ فأعظم شيء نتقرب به إلى الله هو فرائض الله، وبعد ذلك: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فالذين يأتون بالنوافل: كذكر الله، والصدقات، والصلوات، والجهاد النافلة، والإنفاق في فعل الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النافلة، وقد أتى بما عليه من الواجبات، ولكنه يتطوع بهذا، فمن يأتي بالنوافل، ويجتنب الشبهات، ويتورع عن الحرام، فهو قد أتى بدرجة أعلى من درجة الالتزام بالحلال والحرام والواجب والمنهي عنه.إذا هؤلاء هم السابقون.توقف فهم المعاني المعبر عنها باللفظ على معرفة عينهاإن وجود الاقتران أو الاشتراك اللفظي هو سبب ضلال الفرق في معرفة الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى خاطبنا ووصف نفسه بكلامنا ولغتنا، فهذه اللغة أوهمت بعضهم حتى قال: نحن لا نتصور الاستواء إلا بالشكل الحسي المعروف، ولا نتصور النزول إلا بالشكل الحسي المعروف، وهو انتقال جسم من مكان إلى مكان، ولا نستطيع أن نتخيل اليد إلا جارحة، ولا نتخيل السمع إلا بأذن وصماخ ... الخ ." (٢)

٣١-"(٤٧) فعن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: "ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا كتب مكانها في الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة" فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل

---

(١) الأولياء والكرامات ص/٣

(٢) التعليق على فتح المجيد / سفر الحوالي ص/١٥

الشقاوة قال: "أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة، فييسرون لعمل الشقاوة" ثم قرأ: (فأما من أعطى واتقى) ....أخرجه البخاري رقم (١٣٦٢) ومسلم رقم (٢٦٤٧).(٤٨) أخرجه البخاري رقم (٥٠) رقم (١٠) .(٤٩) أخرجه البخاري رقم (٢٧٩٠،٧٤٢٣).(٥٠) أخرجه مسلم رقم (٥٣٢) والبخاري بنحوه رقم (٤٦٦،٤٦٧) ، وقد تقدم تخريجه .(٥١) أخرجه البخاري رقم (٣٢٠٨) ومسلم رقم (٢٦٤٣) .(٥٢) فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطت وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله..."...أخرجه أحمد ١٧٣/٥، والترمذي (رقم٢٣١٧) وابن ماجه (رقم٤١٩٠) والحاكم في المستدرك ٥١٠/٢-٥٥١. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه(٥٣) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فيلغمسه ثم لينزعه، فإن في إحدى جناحيه داء والأخرى شفاء" أخرجه البخاري (رقم٣٣٢٠،٥٧٨٢).(٥٤) أخرجه مسلم (رقم ٢٣٦٣).(٥٥) فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه....." ....أخرجه البخاري رقم (٦٥٠٢).". (١)

٣٢-"فوجب على العبد أن يراقب ربه في طاعته، ويوقن أنه من فوق عرشه بصير بعبادته، عليم بإخلاصه ونيته، قال - عز وجل - : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ [التوبة:١٠٥]، ومن توحيد الله في اسمه البصير أن ننظر في خلق الله وآثار صنعته، وكمال قدرته وبالغ حكمته، وغير ذلك من الأسباب الظاهرة وأن نعتبر بفعله في الأمم الغابرة .٢٠ - المولى - جل جلاله -قال تعالى: ﴿ واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ [الحج:٧٨] .والمولى سبحانه هو من يركن إليه الموحدون ويعتمد عليه المؤمنون في الشدة والرخاء والسراء والضراء .والله - عز وجل - جعل ولايته للموحدين مشروطة بالاستجابة لأمره، والعمل في طاعته وقربه، والسعي إلى مرضاته وحبه، فقد صح في الحديث القدسي: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته) (١) .______________(١) ٨٤) ... البخاري (٦١٣٧) .". (٢)

٣٣-"والثاني: معرفة خاصة وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد.وهي المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه: ((ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به،وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فلئن سألني، لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)) (٢٢٩).وقوله صلى الله عليه وسلم : ((إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت، فاستعنى بالله)) هذا منتزع من قوله

---

(١) التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية ص/١٦٩

(٢) الدعاء بالأسماء الحسنى ص/٤٦

تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه،والدعاء هو العبادة، كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث النعمان بن بشير، وتلا قوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر: ٦٠] خرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي وابن ماجه(٢٣٠) .فأما السؤال، فقد أمر الله بمسألته، فقال: ﴿واسألوا الله من فضله﴾ [النساء: ٣٢].والله سبحانه يحب أن يسأل ويرغب إليه في الحوائج، ويلح في سؤاله ودعائه ويغضب على من لا يسأله، ويستدعي من عباده سؤاله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء، والمخلوق بخلاف ذلك كله: يكره أن يسأل، ويحب أن يسأل لعجزه وفقره وحاجته...وأما الاستعانة بالله عز وجل دون غيره من الخلق فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه، ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ونياه إلا الله عز وجل، فمن أعانه الله، فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول.. ومن ترك الاستعانة بالله، واستعان بغيره، وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولا، كتب الحسنى إلى عمر بن عبدالعزيز: ((لا تستعنى بغير الله فيكلك الله إليه)) .". [١]

٣٤-"فصل -وكلا الطائفتين ، الذين يسلكون إلى الله محض الإرادة والمحبة والدنو والقرب منه من غير اعتبار بالأمر والنهي المنزلين من عند الله، الذين ينتهون إلى الفناء في توحيد الربوبية، يقولون بالجمع والاصطلام في توحيد الربوبية، ولا يصلون إلى الفرق الثاني، ويقولون : إن صاحب الفناء لا يستحسن حسنة، ولا يستقبح سيئة، ويجعلون هذا غاية السلوك . (١)والذين يفرقون بين ما يستحسنونه، ويستقبحونه ويحبونه ويكرهونه، ويأمرون به وينهون عنه، لكن بإرادتهم ومحبتهم وهواهم لا بالكتاب المنزل من عند الله، كلا الطائفتين متبع لهواه بغير هدى من الله، وكلا الطائفتين لم يحققوا شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله، فإن تحقيق الشهادة بالتوحيد يقتضي ألا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما يحبه الله، ويبغض ما أبغضه، ويأمر بما أمر الله به وينهى عما نهى الله عنه، وإنك لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله، ولا تسأل إلا الله، هذا ملة إبراهيم، وهذا الإسلام الذي بعث الله به جميع المرسلين ./والفناء في هذا هو الفناء المأمور به، الذي جاءت به الرسل، وهو أن يفني بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه، فيكون مع الحق بلا خلق، كما قال الشيخ عبد القادر : كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس .وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله، يوجب أن تكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله، ودين الله ما أمر به، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته، فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله : ﴿ يحببكم الله ﴾ وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله، ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله، وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه) ./فهذا محبوب الحق، ومن اتبع الرسول فهو محبوب الحق وهو المتقرب

---

(١) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد ص/١٣٧

إلى الله بما دعا إليه الرسول من فرض ونفل، ومعلوم أن من كان هكذا فهو يحب طاعة الله ورسوله، ويبغض معصية الله ورسوله، فإن الفرائض والنوافل كلها من العبادات التي يحبها الله ورسوله، ليس فيها كفر ولا فسوق، والرب تعالى أحبه لما قام بمحبوب الحق، فإن الجزاء من جنس العمل، فلما لم يزل متقربا إلى الحق بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الحق فإنه استفرغ وسعه في محبوب الحق، فصار الحق يحبه المحبة التامة التي لا يصل إليها من هو دونه في التقرب إلى الحق بمحبوباته، حتى صار يعلم بالحق ويعمل بالحق، فصار به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي .وأما الذي لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة، فهذا لم تبق عنده الأمور نوعان محبوب للحق، ومكروه، بل كل مخلوق فهو عنده محبوب للحق، كما أنه مراد، فإن هؤلاء أصل قولهم : هو قول جهم بن صفوان من القدرية، فهم من غلاة الجهمية الجبرية في القدر، وإن كانوا في الصفات يكفرون الجهمية نفاة الصفات، كحال أبي إسماعيل الأنصاري صاحب منازل السائرين، وذم الكلام، والفاروق وتكفير الجهمية وغير ذلك، فإنه في باب إثبات الصفات في غاية المقابلة للجهمية والنفاة، وفي باب الأفعال والقدر قوله يوافق الجهم ومن اتبعه من غلاة الجبرية، وهو قول الأشعري وأتباعه، وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة الأربعة ومن أهل الحديث والصوفية ./فإن هؤلاء أقروا بالقدر موافقة للسلف وجمهور الأئمة، وهم مصيبون في ذلك، وخالفوا القدرية من المعتزلة وغيرهم في نفي القدر، ولكن سلكوا في ذلك مسلك الجهم ابن صفوان وأتباعه فزعموا : أن الأمور كلها لم تصدر إلا عن إرادة تخصيص أحد المتماثلين بلا سبب . وقالوا : الإرادة والمحبة والرضا سواء، فوافقوا في ذلك القدرية، فإن الجهمية والمعتزلة كلاهما يقول : إن القادر المختار يرجح أحد المتماثلين بلا مرجح، وكلاهما يقول : لا فرق بين الإرادة والمحبة والرضا .ثم قالت القدرية : وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع السلف أن الله يحب الإيمان والعمل الصالح، ولا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر، ويكره الكفر والفسوق والعصيان، قالوا : فيلزم من ذلك أن يكون كل ما في الوجود من المعاصي واقعا بدون مشيئته وإرادته كما هو واقع على خلاف أمره، وخلاف محبته ورضاه وقالوا : إن محبته ورضاه لأعمال عباده هو بمعنى أمره بها، فكذلك إرادته لها بمعنى أمره بها، فلا يكون قط عندهم مريدا لغير ما أمر به، وأخذ هؤلاء يتأولون ما في القرآن من إرادته لكل ما يحدث ومن خلقه لأفعال العباد بتأويلات محرفة .وقالت الجهمية ومن اتبعها من الأشعرية وأمثالهم : قد علم بالكتاب والسنة والإجماع أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، ولا يكون خالقا إلا بقدرته ومشيئته؛ فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل ما في الوجود فهو/بمشيئته وقدرته، وهو خالقه، سواء في ذلك أفعال العباد وغيرها، ثم قالوا : وإذا كان مريدا لكل حادث والإرادة هي المحبة والرضا، فهو محب راض لكل حادث، وقالوا : كل مافي الوجود من كفر وفسوق وعصيان فإن الله راض به محب له، كما هو مريد له .____________(١) - مجموع الفتاوى - (ج ٨ / ص ٣٣٧)". (١)

٣٥-"ومن هذا الباب : ما استفاض عنه صلى الله عليه وسلم في الصحاح من حديث ابن مسعود وأبي موسى وأنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (المرء مع من أحب) ، وفي رواية : (الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم) أي ولما يعمل بأعمالهم، فقال : (المرء مع من أحب) . قال أنس : فما فرح المسلمون بشيء بعد الإسلام فرحهم بهذا

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء ص/١٥٤

الحديث، فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر، وأرجو أن يجعلني الله معهم، وإن لم أعمل عملهم، وهذا الحديث حق، فإن كون المحب مع المحبوب أمر فطري لا يكون غير ذلك، وكونه معه هو على محبته إياه، فإن كانت المحبة متوسطة أو قريبا من ذلك كان معه بحسب ذلك، وإن كانت المحبة كاملة كان معه كذلك، والمحبة الكاملة تجب معها الموافقة للمحبوب في محابه، إذا كان المحب قادرا عليها، فحيث تخلفت الموافقة مع القدرة يكون قد نقص من المحبة بقدر ذلك، وإن كانت موجودة .وحب الشيء وإرادته يستلزم بغض ضده وكراهته، مع العلم بالتضاد؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ [المجادلة : ٢٢] ، والموادة من أعمال القلوب .فإن الإيمان بالله يستلزم مودته ومودة رسوله، وذلك يناقض موادة من حاد الله ورسوله، وما ناقض الإيمان فإنه يستلزم الذم والعقاب؛ لأجل عدم الإيمان . فإن ما ناقض الإيمان كالشك والإعراض وردة القلب، وبغض الله ورسوله يستلزم الذم والعقاب لكونه تضمن ترك المأمور مما أمر الله به رسوله، فاستحق تاركه الذم والعقاب وأعظم الواجبات إيمان القلب، فما ناقضه استلزم الذم والعقاب لتركه هذا الواجب، بخلاف ما استحق الذم لكونه منهيا عنه كالفواحش والظلم، فإن هذا هو الذي يتكلم في الهم به وقصده، إذا كان هذا لا يناقض أصل الإيمان، وإن كان يناقض كماله، بل نفس فعل الطاعات يتضمن ترك المعاصي، ونفس ترك المعاصي يتضمن فعل الطاعات، ولهذا كانت الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فالصلاة تضمنت شيئين :أحدهما : نهيها عن الذنوب .والثاني : تضمنها ذكر الله، وهو أكبر الأمرين، فما فيها من ذكر الله أكبر من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر، ولبسط هذا موضع آخر ./والمقصود هنا أن المحبة التامة لله ورسوله تستلزم وجود محبوباته؛ ولهذا جاء في الحديث الذي في الترمذي : (من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان) ، فإنه إذا كان حبه لله، وبغضه لله، وهما عمل قلبه، وعطاؤه لله، ومنعه لله، وهما عمل بدنه؛ دل على كمال محبته لله، ودل ذلك على كمال الإيمان؛ وذلك أن كمال الإيمان أن يكون الدين كله لله، وذلك عبادة الله وحده لا شريك له، والعبادة تتضمن كمال الحب، وكمال الذل، والحب مبدأ جميع الحركات الإرادية، ولابد لكل حي من حب وبغض، فإذا كانت محبته لمن يحبه الله، وبغضه لمن يبغضه الله؛ دل ذلك على صحة الإيمان في قلبه، لكن قد يقوى ذلك وقد يضعف، بما يعارضه من شهوات النفس وأهوائها، الذي يظهر في بذل المال الذي هو مادة النفس، فإذا كان حبه لله، وعطاؤه لله، ومنعه لله؛ دل على كمال الإيمان باطنا وظاهرا .وأصل الشرك في المشركين . الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا . إنما هو اتخاذ أنداد يحبونه كحب الله، كما قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، ومن كان حبه لله وبغضه لله، لا يحب إلا لله، ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، فهذه حال السابقين من أولياء الله كما روى البخاري / في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يقول الله : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه) . فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل، بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض، أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه، وصار أحدهم يدرك بالله، ويتحرك بالله، بحيث إن

الله يجيب مسألته، ويعيذه مما استعاذ منه .وقد ذم في كتابه من أحب أندادا من دونه، قال تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] ، وذم من اتخذ إلهه هواه وهو أن يتأله ما يهواه ويحبه، وهذا قد يكون فعل القلب فقط، وقد مدح تعالى وذم في كتابه في غير موضع على المحبة والإرادة والبغض والسخط والفرح والغم، ونحو ذلك من أفعال القلوب كقوله : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وقوله : ﴿كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة ﴾ [القيامة : ٢٠، ٢١] ، / وقوله : ﴿ يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ﴾ [الإنسان : ٢٧] .". (١)

٣٦-")،ولا يغير ولا يخلف،بل مقرر ثابت كائن لا محالة.وهذه البشرى بسعادة الدارين هي الفوز العظيم . (١)فكل مؤمن تقي،فهو لله ولي ولاية خاصة،من ثمراتها ما قاله الله عنه:﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (٢٥٧) سورة البقرةفالله ولي الذين آمنوا واتبعوا رضوانه،فيخرجهم من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح.والمؤمن لا ولي له،ولا سلطان لأحد على اعتقاده إلا الله تعالى.أما الذين كفروا فوليهم الشيطان،يزين لهم ما هم فيه من الضلالة والجهالة،ويخرجهم عن طريق الحق ونوره،إلى الكفر وظلماته،ويؤدي بهم إلى نار جهنم ليبقوا فيها خالدين أبدا.والنور هو الحق،والحق واحد،أما الظلمات وهي الكفر فهي أجناس . (٢)وإنما حازوا هذا العطاء الجزيل:بإيمانهم الصحيح،وتحقيقهم هذا الإيمان بالتقوى،فإن التقوى من تمام الإيمان.وعن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته " رواه البخاري (٣)ثانيا :الفوز برضى الله ودار كرامته:______________(١) – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ١٤٢٧)(٢) – أيسر التفاسير لأسعد حومد – (١ / ٢٦٤)(٣) – صحيح البخارى (٦٥٠٢) وشرح السنة للبغوي (١٢١٤) والسنن الكبرى للبيهقي ٣٤٦/٣ و٢١٩/١٠ (٢١٥٠٨) والإتحاف للزبيدي ٤٠٣/١٠ والصحيحة (١٦٤٠) وشرح السنة ١٩/٥ والفتح ٣٤٠/١١و٣٤١ والتلخيص الحبير ١١٧/٣ والأسماء والصفات ٤٩١ وصحيح الجامع (١٧٨٢) والإحسان (٣٤٧) وهـ (٣٩٨٩)". (٢)

٣٧-"قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران : ٣١] .الثاني : التقرب إلى الله جل جلاله بالنوافل بعد الفرائض :قال تعالى في الحديث القدسي : ((... وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**))(١) .الثالث : القرآن الكريم :قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به))(٢) .وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿ قل هو الله أحد

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء ص/١٧٥

(٢) المهذب في ثمرات الإيمان ص/٤

﴾ ، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ((سلوه لأي شيء يصنع ذلك)) فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أخبروه أن الله يحبه))(٣).الرابع : الحب في الله ، والتجالس في الله ، ونحو ذلك :قال تعالى في الحديث القدسي : ((وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاورين في)) (٤) .______________(١) رواه البخاري .(٢) متفق عليه ، ومعنى ((أذن الله)) ، أي : استمع ، وهو إشارة إلى الرضا والقبول .(٣) رواه البخاري (١١/٣٤٧، ٣٤٨) رقم الحديث ٧٣٧٥ .(٤) رواه أحمد في مسنده ، والطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٤٣٣١) ، وتخريج المشاكاة ٥٠١١ .". [1]

٣٨-"عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : ((ثلاثة يحبهم الله ، ويضحك إليهم ، ويستبشر بهم : الذي إذا انكشفت فئة قاتل وراءها بنفسه لله عز وجل فإما أن يقتل ، وإما أن ينصره الله عز وجل ويكفيه فيقول : انظروا إلى عبدي هذا كيف صبر لي بنفسه والذي له امرأة حسنة وفراش لين حسن فيقوم من الليل ، فيقول : يذر شهوته ويذكرني ولو شاء رقد ، والذي إذا كان في سفر وكان معه ركب فسهروا ثم هجعوا ، فقام من السحر في ضراء وسراء))(١) . فإن الله عز وجل أحق من يجاهد في سبيله وأعظم من سهر من أجله ، ولله در القائل :سهر العيون لغير وجهك باطل ... وبكاؤهن لغير فقدك ضائعرابعا : علامات محبة الله للعبد :كما أن حب المؤمنين لله له علامات تؤكده ، فإن لحب الله لعباده علامات كذلك وهي كالبشرى العاجلة لهم لتطمئن بها قلوبهم ، وتسعد بها نفوسهم فيا سعادة من وفق وكانت فيه هذه العلامات أو بعضها ، ويا فرحة من أكرمه الله بحبه وأسعده بقربه ، وسنذكر هنا بعض هذه العلامات :عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله تعالى قال : وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده الذي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه))(٢) .وفي هذا الحديث ذكرت ست علامات لمحبة الله لعبده :١- كنت سمعه الذي يسمع به :______________(١) حسن . أخرجه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (ج ٢ ص ٢٥٥) ، والترغيب والترهيب للمنذري (ج ١ ص ٥٥٦) .(٢) رواه البخاري (١١/٣٤١) مع الفتح .". [2]

٣٩-"فإذا نحن خدعنا بخدعتهم فلا نلومن إلا أنفسنا، ونحن نبتعد عن توجيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمته وهو سبحانه أصدق القائلين:﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [سورة البقرة:١٢٠].(هذا هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض ومردود. ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق ((قل إن هدى الله هو الهدى)) على سبيل القصر والحصر هدى الله هو الهدى وما عداه فليس بهدى)(١).ص١٣٥وخلاصة القول:إن حقيقة العداوة وطبيعتها هو اختلاف الدينين، وافتراق المنهجين. فإما دين الله واتباع شرعه وموالاة عباده المؤمنين.وإما دين الباطل واتباع الهوى والشهوات والانضمام إلى حزب الشيطان، فعلى أولياء الله أن يعتزوا بدينهم، وأن يستعلوا فوق وطأة الباطل فإنهم هم

---

(١) النور الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص/٢٠٦

(٢) النور الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ص/٢٠٩

المنصورون، وإذا كان أعداء الله يتباهون بقوتهم وكثرة عددهم وعدتهم فإن المؤمنين يفخرون بنصر الله وكريم معيته وعونه لهم.فقد ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال (يقول الله تعالى ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه)) (٢).ويقول الله تبارك وتعالى:﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [سورة النحل:١٢٨].ويقول:____________(١) ٦٨) بتصرف : في ظلال القرآن (ج١/١٠٨) .(٢) ٦٩) سبق تخريجه .". (١)

٤٠-"فمن ذلك : أن العبد إذا آمن بصفة (الحب والمحبة) لله تعالى وأنه سبحانه (رحيم ودود) استأنس لهذا الرب ، وتقرب إليه بما يزيد حبه ووده له ، " ولا يزال العبد يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " وسعى إلى أن يكون ممن يقول الله فيهم فى الحديث القدسى: " يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض" ..... و من ثم فمن أراد أن يكون محبوبا عند الله اتبع نبيه صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله".... وحب الله للعبد مرتبط بحب العبد لله ، وإذا غرست شجرة المحبة في القلب ، وسقيت بماء الإخلاص ، ومتابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم ، أثمرت أنواع الثمار ، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها .ومنها : أن العبد إذا تدبر صفات الله من (العظمة ، والجلال ، والقوة ، والجبروت ، والهيمنة) ؛ استصغر نفسه ، وعلم حقارتها ، وإذا علم أن الله مختص بصفة (الكبرياء) ؛ لم يتكبر على أحد ، ولم ينازع الله فيما خص نفسه من الصفات ، وإذا علم أن الله متصف بصفة (الغنى ، والملك ، والعطاء) ؛ استشعر افتقاره إلى مولاه الغني ، مالك الملك ، يؤتيه من يشاء ، وهوالذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء.ومنها: تنزيه الله وتقديسه عن النقائص ، ووصفه بصفات الكمال ، فمن علم أن من صفاته (القدوس ، السبوح)؛ نزه الله من كل عيب ونقص ، وعلم أن الله " ليس كمثله شيء " ..... ومن علم أن من صفات الله (الحياة ، والبقاء) ؛ علم أنه يعبد إلها لا يموت ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، فأورثه ذلك محبة وتعظيما وإجلالا لهذا الرب الذي هذه صفته...واشتدت مراقبته لربه وازدادت تقواه للرب الذى لايغفل ولا ينام....". (٢)

٤١-"ص -١٠٤- ... قوله: "يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله". فيه فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بذلك، ولكن ليس هذا من خصائصه. قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصا بعلي ولا بالأئمة، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذي يتبرؤون منه ولا يتولونه، بل لقد يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج. لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين

---

(١) الولاء والبراء ص/١٠٧

(٢) توحيد الأسماء والصفات وأثره في وجدان العبد وسلوكه الإيماني ص/٣٧

يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم، فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك، لكن هذا باطل فإن الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم أنه يموت كافرا. وفيه إثبات صفة المحبة لله، وفيه إشارة إلى أن عليا تام الاتباع لرسول الله صلى الله عليه **وسلم حتى أحبه الله**، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق ذكره. الحافظ بمعناه.قوله: "يفتح الله على يديه". صريح في البشارة بحصول الفتح على يديه، فكان الأمر كذلك، ففيه دليل على شهادة أن محمدا رسول الله.قوله: (فبات الناس يدوكون ليلتهم)، هو بنصب " ليلتهم " على الظرفية، ويدوكون. قال المصنف: يخوضون. والمراد أنهم باتوا تلك الليلة في خوض واختلاف فيمن يدفعها إليه، وفيه حرص الصحابة على الخير ومزيد اهتمامهم به، وذلك يدل على علو مراتبهم في العلم والإيمان.قوله: أيهم يعطاها. فهو برفع " أي " على البناء.قوله: "فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها"١. وفي رواية أبي هريرة عند مسلم: "أن عمر قال: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ".فإن قلت: إن كانت هذه الفضيلة لعلي رضي الله عنهـــــــــ١ البخاري: المناقب (٣٧٠١) ، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، وأحمد (٣٣٣/٥).". [(١)]

٤٢-" قوله يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فيه فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه لأن النبي صلى الله عليه و سلم شهد له بذلك ولكن ليس هذا من خصائصه قال شيخ الإسلام ليس هذا الوصف مختصا بعلي ولا بالأئمة فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذي يتبرؤون منه ولا يتولونه بل لقد يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك لكن هذا باطل فإن الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم أنه يموت كافرا وفيه إثبات صفة المحبة لله وفيه إشارة إلى أن عليا تام الاتباع لرسول الله صلى الله عليه و **سلم حتى أحبه الله** ولهذا كانت محبته علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق ذكره الحافظ بمعناه

قوله يفتح الله على يديه صريح في البشارة بحصول الفتح على يديه فكان الأمر كذلك ففيه دليل على شهادة أن محمدا رسول الله

قوله فبات الناس يدوكون ليلتهم هو بنصب ليلتهم على الطرفية ويدوكون قال المصنف يخوضون والمراد انهم باتوا تلك الليلة في خوض واختلاف فيمن يدفعها اليه وفيه حرص الصحابة على الخير ومزيد اهتمامهم به وذلك يدل على علو مراتبهم في العلم والايمان

قوله أيهم يعطاها فهو يرفع أي على البناء

قوله فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كلهم يرجو أن يعطاها وفي رواية أبي هريرة عند مسلم أن عمر قال ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فإن قلت أن كانت هذه الفضيلة لعلي رضي الله عنه ليست من خصائصه فلماذا تمنى بعض الصحابة أن يكون له ذلك قيل الجواب كما قال شيخ ". [(٢)]

---

(١) تيسير العزيز الحميد. ط المكتب الإسلامي ١٧١/١

(٢) تيسير العزيز الحميد. ط مكتبة الرياض ص/١٠٧

٤٣-"أولا: السابقون -وإن كانت الآية قدمت أصحاب اليمين- وهم الذين لم يلبسوا إيمانهم بظلم، أي: لم يخلطوا إيمانهم بشرك ولا بالذنوب والمعاصي، فالسابق هو الذي يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالنوافل بعد الفرائض، وهذا التفسير هو أحد المعاني للسابق وهو أجلاها، فهو كما قال الله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: ﴿من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ﴾ فأعظم شيء نتقرب به إلى الله هو فرائض الله، وبعد ذلك: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فالذين يأتون بالنوافل: كذكر الله، والصدقات، والصلوات، والجهاد النافلة، والإنفاق في فعل الخيرات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر النافلة، وقد أتى بما عليه من الواجبات، ولكنه يتطوع بهذا، فمن يأتي بالنوافل، ويجتنب الشبهات، ويتورع عن الحرام، فهو قد أتى بدرجة أعلى من درجة الالتزام بالحلال والحرام والواجب والمنهي عنه.إذا هؤلاء هم السابقون.الدرجة الثانية: المقتصدثانيا: المقتصد: وهو وسط، ليس من الظالمين لأنفسهم، ولا من السابقين بالخيرات.والمقتصد هو: الذي يأتي بالواجبات، ويجتنب المحرمات، لكن لا يزيد على ذلك بالنوافل، ولا يجتنب المكروهات التي إن تركها العبد فهو مأجور، وإن فعلها فهو غير آثم، فهذا درجة أقل، فهو إنسان مقتصد يعمل الطاعات، ويؤدي فرائض الله سبحانه وتعالى، ويقوم بما أمر الله، لكن لا يسابق ولا يسارع بالخيرات.ففرق بين إنسان يؤذن المؤذن فيكف عن عمله الذي بيده ويأتي إلى بيت الله سبحانه وتعالى، فهو إنسان إذا سمع ذكر الله جاء إليه من أي مكان، وسابق إليه، وزاحم بالركب، ليستمع ذكر الله سبحانه وتعالى، وليسارع بالخيرات، وهذا هو السابق، وبين من يؤدي ما افترضه الله عليه ويكتفي به، وما عدا ذلك يتركه للسابقين، فهذا هو المقتصد.الدرجة الثالثة: الظالم لنفسه". (١)

٤٤-"الإنسان نفسه بتحصيل هذه الصفات الجميلة ، أيعود يستغرق في الشهوات ! كلا ! إنه - من ذات نفسه - سينصرف عنها ، دون إحساس بالقسر ولا بالإعنات ، وما يريد الإسلام منه في الوقت ذاته أن ينصرف عنها انصراف الرهبانية المعنت ، إنما انصراف التخفف والترفع والرضى بالقدر الطيب المعقول ..ويفرض الإسلام صلوات محدودة في اليوم والليلة ، ولكنه يحبب في النوافل: عن أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » . (١) ٠وكذلك يفرض صيام شهر رمضان ، ولكنه يحبب في صيام النفل .ويفرض الزكاة بمقادير معينة في المال ، ولكنه يحبب في الإنفاق في سبيل الله .وهكذا يأخذ بيد الإنسان في رفق يحببه في الصعود حتى يحبه ويستقيم عليه ، فينطبق عليه هذا الوصف : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) [فصلت : ٣٠] .أما التكاليف المفروضة فهي ذاتها فقد روعي فيها أن تكون في حدود الطاقة البشرية : (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) [البقرة : ٢٨٦] .فإن عجز الإنسان عنها - عجزا حقيقيا لا ادعاء ولا فرارا من

---

(١) دروس فتح المجيد - الحوالي ص/١٥

التكليف (والله أعلم به) – فإن الله يخفف عنه بمقدار عجزه ، ويوجهه أن يقول : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا) [البقرة : ٢٨٦] .ثم إن زل فإن الله لا يطرده من رحمته إلا إذا أصر ..________________(١) – صحيح البخارى– المكنز – (٦٥٠٢) ، وانظر شرحه في كتابي ((الخلاصة في شرح حديث الولي))". [١]

٤٥–"ويفرض الإسلام صلوات محددة فى اليوم والليلة، ولكنه يحبب فى النوافل: ((ما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمعه وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها))(١٣٧)٠وكذلك يفرض صيام شهر رمضان، ولكنه يحبب فى صيام النفل ٠ ويفرض الزكاة بمقادير معينة فى المال، ولكنه يحبب فى الإنفاق فى سبيل الله ٠ وهكذا يأخذ بيد الإنسان فى رفق يحببه فى الصعود حتى يحبه ويستقيم عليه، فينطبق عليه هذا الوصف: ((إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون))(فصلت:٣٠)٠أما التكاليف المفروضة فى ذاتها فقد روعى فيها أن تكون فى حدود الطاقة البشرية : ((لا يكلف الله نفسا إلا وسعها))(البقرة : ٢٨٦)٠فإن عجز الإنسان عنها – عجزا حقيقيا لا ادعاء ولا فرارا من التكليف ((والله أعلم به)) – فإن الله يخفف عنه بمقدار عجزه، ويوجهه أن يقول : ((ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا))(البقرة : ٢٨٦)٠ثم إن زل فإن الله لا يطرده من رحمته إلا إذا أصر ٠٠٠ ((فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم))(البقرة : ٣٧)٠((والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون(١٣٥) أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين))(آل عمران : ١٣٥،١٣٦)٠* * *(٩)نماذج لأهم ما جاءت به الرسالة من القيم العليا١– ترسيخ عقيدة التوحيد :كل الرسالات جاءت أساسا من أجل إحياء عقيدة التوحيد التى يكون الناس قد انحرفوا عنها إلى الشرك: ((ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت))(النحل: ٣٦)٠". [٢]

٤٦–"وأما الذين كفروا، فإنهم لما تولوا غير وليهم ولاهم الله ما تولوا لأنفسهم، وخذلهم ووكلهم، إلى رعاية من تولاهم ممن ليس عنده نفع ولا ضر، فأضلوهم، وأشقوهم، وحرموهم هداية العلم النافع، والعمل الصالح، وحرموهم السعادة الأبدية وصارت النار مثواهم خالدين فيها مخلدين: اللهم تولنا فيمن توليت.(١)والله عز وجل يحب أولياءه وينصرهم ويسددهم والولي لله هو العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته المبتعد عن معصية الله.ومن عادى هذا الولي لله فالله عز وجل يعلمه بالحرب ، قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى : ((إن الله يقول من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني

---

(١) ركائز الإيمان ص/٣٤٢

(٢) ركائز الايمان– ط أخرى ص/٣٣٦

لأعطينه ولئن أستعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته).(٢)والمعنى أنه إذا كان وليا لله عز وجل فالله يحفظه ويسدده، ويوفقه حتى لا يسمع إلا إلى ما يرضي مولاه، ولا ينظر إلا إلى ما يحبه مولاه ، ولا تبطش يداه إلا فيما يرضي الله ، ولا تمشي قدماه إلا إلى الطاعات فهو موفق مسدد مهتد ملهم من المولى وهو الله عز وجل ولهذا فسر هذا الحديث بهذا أهل العلم كابن تيمية وغيره ولأنه جاء في رواية الحديث رواية أخرى : ((فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش وبي يمشي))(٣) هذا يدل على نصرة الله لعبده، وتأييده، وإعانته، فيوفقه الله للأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله عز وجل.(٤)______________(١) تفسير العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ٣١٨/١ وانظر تفسير ابن كثير ٣١٢/١ وانظر الأسماء والصفات للبيهقي ١٢٣/١ تحقيق عماد الدين أحمد(٢) البخاري مع الفتح ٣٤٠/١١(٣) فتح الباري ٣٤٤/١١(٤) فتح الباري ٣٤٤/١١".
(١)

٤٧-"تعريف الولاية ومدارها

قال رحمه الله تعالى: [بيان الله سبحانه لأولياء الله].

أولياء: جمع ولي.

والولي: مأخوذ من الولاية، والولاية: مصدر (ولي)، وهي بمعنى القرب، تقول: ولي كذا كذا: أي: قرب منه.

وعلى هذا فإن الولاية تدور على أمرين: المحبة، والنصرة، وقد أثبت الله جل وعلا في كتابه ولايته لبعض خلقه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ [البقرة:٢٥٧]، فأثبت سبحانه وتعالى ولايته للمؤمنين، كما أن الله سبحانه وتعالى نفى أن يكون له ولي، لكن الولي المنفي غير الولي المثبت، فالولي المنفي مقيد؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ ولم يكن له ولي من الذل ﴾ [الإسراء:١١١] أي: لم يكن له ولي يستنصر ويعتز ويتقوى به فولاية الله عز وجل لمن يتولاهم ليست عن حاجة، ولا عن افتقار، بل هو الغني الحميد جل وعلا، وإنما ولايته سبحانه وتعالى لمن يتولاه هي ولاية رحمة ومنة وفضيلة ومنحة منه جل وعلا وإكرام لمن يتولاه، نسأل الله أن نكون منهم.

إذا: الولاية المثبتة لله عز وجل هي غير الولاية المنفية.

والولاية على اختلاف مواردها تدور على معنيين: المحبة، والنصرة، ويقابل الولاية العداوة، وهي دائرة على البغضاء والكره، فأعداء الله هم من أبغضهم سبحانه وتعالى وأبعدهم وكرههم جل وعلا، فالعداوة مبنية على الإبعاد والكره والبغض، والولاية مبنية على المحبة والنصرة، والله سبحانه وتعالى قد بين أوصاف أوليائه.

وقد لخص الشيخ رحمه الله هذه الأوصاف المذكورة في هذا المقطع القصير من كلامه رحمه الله، لكن من المهم أن نفرق بين أولياء الله وغيرهم، حتى لا يشتبه الأمر، فأولياء الله عز وجل لا يتميزون عن غيرهم بمظهر، بل هم كغيرهم من أهل الإسلام لا يتميزون عنهم بلباس ولا بهيئة، لكنهم يتميزون عن غيرهم بعملهم الصالح، فالمظاهر لا تميز فيها، لكن المخابر والأعمال هي التي يدور عليها التمييز بين أولياء الله، وبين غيرهم من الناس، فما هو العمل الذي يميز أولياء الله عن

(١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ص/١٠٩

غيرهم قال رحمه الله تعالى في بيان ذلك: [ويكفي في هذا] -أي: في بيان الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان- آية في سورة آل عمران، وهي قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران:٣١]، فقوله تعالى: (فاتبعوني يحببكم الله) هذا هو المعيار الفارق والميزان الدقيق لبيان حقيقة الولاية، فالولاية التي يثبت بها للمؤمن الانتساب إلى الله بالولاية هي أن يكون متبعا للنبي صلى الله عليه وسلم، (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، فعلى قدر ما يكون مع الإنسان من اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم يكون عنده بقدر ذلك من ولاية الله له، وبقدر ما يكون معه من تقصير فإنه ينقص عنه من ولاية الله له بقدر ما حصل منه من التقصير، والناس في هذا درجات متفاوتة، لا يحدها وصف.

فالسمة الأولى لأولياء الله التي يتميزون بها عن غيرهم هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم يكون في أمرين: فيما فرض -وهذا في الدرجة الأولى-، وفيما ندب إليه من الأعمال، وهذا في الدرجة الثانية-، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)، ثم بعد أن ذكر جزاء الأولياء وانتصار الله لهم قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل)، وهذا طريق تحصيل الولاية، قال: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)، فذكر الطريقين اللذين يحصل بهما ولاية الله عز وجل، وهذا تفصيل لما أجملته هذه الآية في قوله تعالى: (فاتبعوني).

فالاتباع للنبي صلى الله عليه وسلم يكون في الفرائض أولا؛ لأنها أحب ما يتقرب به إلى الله عز وجل، ثم بالنوافل ثانيا.

ولذلك قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)، وإذا أحب الله عبدا فقد تولاه.

ثم قال رحمه الله تعالى: [وآية في سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة:٥٤]، وهذا فيه الإشارة إلى معنى الولاية، وأنها دائرة على المحبة، فهناك قال: ﴿ يحببكم الله ﴾ [آل عمران:٣١]، وهنا قال: ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ ، ثم ذكر أوصافهم فقال: ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ ، فذكر ثلاثة أوصاف: الوصف الأول: (أذلة على المؤمنين)، فلا علو عندهم ولا استكبار ولا ارتفاع.

الوصف الثاني: (أعزة على الكافرين)، لا يذلون لهم؛ لأن معهم سبب العزة، وهو الإيمان بالله ورسوله.

الوصف الثالث: الجهاد في سبيل الله.

وهو شامل لجميع أنواع الجهاد، وأعلاها جهاد الكفار المعاندين لله ورسله، فهذا من أوصافهم، والجهاد لا يأخذ صورة واحدة فقط، فلا يقتصر على الجهاد بالسيف والسنان، بل هناك جهاد آخر قد يكون أعظم منه، وهو جهاد العلم والبيان، فالذي يبلغ شريعة الله عز وجل وينصح الناس ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر هو من المجاهدين الذين يدخلون في قوله تعالى في آية المائدة: ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ ، فهذا يشمل جميع أنواع الجهاد.

وهذا تفصيل؛ لأن قوله: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فيه بيان مجمل هدي النبي صلى الله عليه وسلم في كل شأن، وهنا فيه ذكر صفات خاصة وتخصيصها لعظيم أثرها في تحقيق وتحصيل الولاية.

ثم قال: [وآية في سورة يونس، وهي قوله: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [يونس:٦٢]، وهذا فيه البشارة لهم بانتفاء المخاوف والأحزان عنهم، فقوله تعالى: ﴿ لا خوف عليهم ﴾ هذا فيما يستقبلون، ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ هذا فيما مضى.

والإنسان إنما يلحقه الأذى من خوف المستقبل، أو فوات الخير في الماضي، فإذا حصل له الأمن من هذين الأمرين كان من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فهو في غاية الطمأنينة والسعادة.

ثم بين سبحانه وتعالى من هم أولياء الله فقال تعالى: ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس:٦٣] الذين آمنوا بقلوبهم فصلحت قلوبهم واستقامت أفئدتهم، وكانوا يتقون في أعمالهم وجوارحهم.

والتقوى هنا هي فعل ما أمر الله سبحانه وتعالى به وترك ما نهى عنه، وهذا وصف شامل يتميز به أولياء الله عن غيرهم.

ومما تقدم نعلم أن الولاية ليست مكتسبة بالنسب، ولا مكتسبة بالجاه، ولا مكتسبة بالوراثة، ولا مكتسبة بملبس معين، أو بانتساب إلى جهة معينة كمذهب أو غيره، إنما تكتسب بالعمل الذي دائرته الكبرى هي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وتقوى الله، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس:٦٣].

قال رحمه الله: [ثم صار الأمر عند أكثر من يدعي العلم وأنه من هداة الخلق وحفاظ الشريعة إلى أن الأولياء لابد فيهم من ترك اتباع الرسل]، وهذا في وقته رحمه الله؛ حيث هجرت السنة، وتعصب الناس لما كانوا عليه من مذاهب وأقوال، وآراء، وأصبح المتبع للنبي صلى الله عليه وسلم غريبا بينهم.

ثم قال: [ومن تبعهم فليس منهم] أي: ومن تبع هؤلاء الذين استقاموا على الكتاب والسنة، فليس منهم، يعني: فليس من أولياء الله؛ لأنه إذا كان الداعي إلى الكتاب والسنة عند هؤلاء الذين تحدث الشيخ عنهم ليس من أولياء الله، فما هي حال غيرهم ممن هو تابع لهم الجواب: أنه لا يكون من أولياء الله من باب أولى.

ثم قال رحمه الله تعالى: [ولابد من ترك الجهاد].

هذا انتقال إلى تفصيل ما عليه أولئك الذين وصفهم رحمه الله ممن يدعون ولاية الرحمان وهم على خلاف ذلك، قال: [لابد من ترك الجهاد]، وذكر الجهاد رحمه الله تعالى لأن الله سبحانه وتعالى جعل المجاهدين أولياءه، في قوله جل وعلا: ﴿ يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ﴾ [المائدة:٥٤]، فخالفوا النص القرآني الدال على أن الجهاد في سبيل الله من أسباب تحصيل الولاية ومن أوصاف أولياء الرحمن، فلابد عندهم من ترك الجهاد، فمن جاهد فليس منهم، والقرآن يدل على عكس هذا، وهو أن الجهاد من أوصاف أولياء الله سبحانه وتعالى.

ثم قال رحمه الله تعالى: [ولابد من ترك الإيمان أيضا].

وهذا لكون الإيمان قد جاء في القرآن أنه من أوصاف أولياء الله، كما في قوله جل وعلا: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

ثم قال: [فمن تعهد بالإيمان والتقوى فليس منهم] أي: من اتصف وحافظ على هذين الوصفين فليس من هؤلاء الأولياء المزعومين.

وهؤلاء هم في الحقيقة أولياء الشيطان لا أولياء الرحمن؛ لأن أولياء الرحمن هم من وصفهم الله في كتابه، وأما هؤلاء فهم معاندون، معارضون، وكل من ادعى الولاية فلابد من عرضه على الكتاب والسنة، فإن ادعى الولاية أو أدعيت له الولاية -إذ قد لا يدعي الولاية لنفسه فيقول: إني ولي، لكن قد يزعم اتباعه أنه ولي- فلابد حينئذ أن نعرض حال هذا الرجل على هذه الموازين الدقيقة والمعايير الناطقة المميزة لأولياء الرحمان عن غيرهم، وبذلك يتبين هل هو من المتبعين للكتاب والسنة، وهل هو من المجاهدين في سبيل الله ج". [١]

٤٨-"أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفارا، وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق (١).وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ (٢)، الآية.والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ (٣)، إلى قوله: ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ (٤).وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون. فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح. والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته» (٥).ــــــــــــــــــــ(١) كلام الشارح هذا نقله ملا علي القاري في (الموضوعات ص ٦٢ طبعة الهند)، بشيء من الاختصار، ونسبه لبعضهم دون تعيين القائل. ونقله العجلوني في كشف الخفا (٢: ١٩٤) عن القاري(٢) سورة يونس الآيات ٦٢ - ٦٤(٣) سورة البقرة آية ١٧٧(٤) سورة البقرة آية ١٧٧(٥) هذا الحديث في صحيح البخاري ١١: ٢٩٢ - ٢٩٧ (من الفتح). وقد أفاض الحافظ في شرحه وتخريج ما ورد في معناه. وصرح الحافظ بأنه ليس في مسند أحمد. وبين اللفظ الذي هنا ولفظ البخاري - اختلاف في أحرف يسيرة، لا تغير المعنى. فلم أغيرها، لعل الشارح يروي الصحيح من رواية أخرى غير ما بين أيدينا". [٢]

٤٩-"وقال تعالى، فيما يروي عنه رسوله صلى الله عليه وسلم: «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه». فظهر أن

---

(١) شرح الأصول الستة ٥/٤

(٢) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية ص/٣٤٨

الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس. وبالله التوفيق.وقول المعتزلة في إنكار الكرامة: ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات. وقولهم: لو صحت لاشتبهت بالمعجزة، فيؤدي إلى التباس النبي بالولي، وذلك لا يجوز! وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن وليا، بل كان متنبئا كذابا، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبئ، عند قول الشيخ: " وأن محمدا عبده المجتبى ونبيه المصطفى ".ومما ينبغي التنبيه عليه هاهنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع:إيمانية، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها (١)، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا أخذ فراسته. قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان. انتهى.وفراسة رياضية، وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فإن النفس إذا______________(١) في الأصل «إشعالها»! ولا معنى لها، ولعل ما أثبتناه هو الصواب". [1]

٥٠-"من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله، لا هم يدرون به، ولا هو يدري بنفسه"١، فلا أصل له، وهو كلام باطل، فإن الجماعة قد يكونون كفارا، وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق، وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] الآية، والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى: ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾، إلى قوله: ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وهم قسمان: مقتصدون، ومقربون. فالمقتصدون: الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح. والسابقون: الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته" ٢. والولي: خلاف٣ العدو، وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب، فولي الله: هو من والى الله بموافقته محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. قال أبو ذر رضي الله عنه: لما نزلت الآية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر، لو عمل______________١ باطل لا أصل له كما قال المؤلف.٢ صحيح لإخراج البخاري إياه، وإسناده قوي لغيره، له طرق وشواهد عدة، خرجتها في "الأحاديث الصحيحة" "١٦٤٠" لكن لفظ المبارزة ليس عند البخاري، وإنما هو عند غيره من حديث أبي أمامة بسند فيه ضعيفان، كما بينته هناك.٣ في الأصل: من القرب.". [2]

(١) شرح الطحاوية – ط الأوقاف السعودية ص/٥١٢

(٢) شرح الطحاوية – ط دار السلام ص/٣٦٠

٥١-"تثبيتا، وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما، ولهديناهم صراطا مستقيما﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨]. وقال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [يونس: ٦٢ - ٦٤] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله"، ثم قرأ قوله: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [الحجر: ٧٥] ١. رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري، وقال تعالى، فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبد يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه" ٢.فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس، وبالله التوفيق.وقول المعتزلة في إنكار الكرامة: ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات. وقولهم: لو صحت لأشبهت المعجزة، فيؤدي إلى التباس النبي صلى الله عليه وسلم بالولي، وذلك لا يجوز! وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن وليا، بل كان متنبئا كذابا، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبئ، عند قول الشيخ: وأن محمدا عبده المجتبى ونبيه المصطفى٣.ومما ينبغي التنبيه عليه ههنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع:إيمانية، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم٤،__________١ ضعيف فيه عند الترمذي، وغيره عطية العوفي وهو ضعيف مدلس، وهو مخرج في "الأحاديث الضعيفة" "١٨٢١".٢ صحيح، أخرجه البخاري، وقد تقدم.٣ ص١٤٩ - ١٥٧.٤ في الأصل: يهجر، ويبدو أن الصحيح: يهجم.". (١)

٥٢-" قوله : (والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن)

ش : قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ الآية الولي : من الولاية بفتح الواو التي هي ضد العداوة وقد قرأ حمزة : ﴿ ما لكم من ولايتهم من شيء ﴾ بكسرالواو والباقون بفتحها وقيل : هما لغتان وقيل : بالفتح النصرة وبالكسر الإمارة قال الزجاج : وجاز الكسر لأن في تولي [بعض] القوم بعضا جنسا من الصناعة والعمل وكل ما كان كذلك مكسور مثل : الخياطة ونحوها فالمؤمنون أولياء الله والله تعالى وليهم قال الله تعالى : ﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ الآيه وقال تعالى : ﴿ ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾ ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ إلى آخر السورة وقال تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ فهذه النصوص [كلها] ثبت فيها موالاة المؤمنين بعضهم لبعض وأنهم أولياء الله وأن الله وليهم ومولاهم فالله يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه ويرضى عنهم ويرضون عنه ومن عادى له وليا فقد بارزه بالمحاربة وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ليست كولاية

(١) شرح الطحاوية - ط دار السلام ص/٤٩٨

المخلوق للمخلوق لحاجة إليه قال تعالى : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾ فالله تعالى ليس له ولي من الذل بل لله العزة جميعا خلاف الملوك وغيرهم ممن يتولاه لذله وحاجته إلى ولي ينصره

والولاية أيضا نظير الإيمان فيكون مراد الشيخ : أن أهلها في أصلها سواء وتكون كاملة وناقصة : فالكاملة تكون للمؤمنين المتقين كما قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ ف ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ - منصوب على أنه صفة أولياء الله أو بدل منه أو بإضمار أمدح أو مرفوع بإضمار هم أو خبر ثان لـ إن وأجيز فيه الجر بدلا من ضمير عليهم وعلى هذه الوجوه كلها فالولاية لمن كان من الذين آمنوا وكانوا يتقون وهم أهل الوعد المذكور في الآيات الثلاث وهي عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه ليست بكثرة صوم ولا صلاة ولا تملق ولا رياضة وقيل : الذين آمنوا مبتدأ والخبر : لهم البشرى وهو بعيد لقطع الجملة عما قبلها وانتثار نظم الآية

ويجتمع في المؤمن ولاية من وجه وعداوة من وجه كما قد يكون فيه كفر وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور ونفاق وإيمان وإن كان في هذا الأصل نزاع لفظي بين أهل السنة ونزاع معنوي بينهم وبين أهل البدع كما تقدم في الإيمان ولكن موافقة الشارع في اللفظ والمعنى - أولى من موافقته في المعنى وحده قال تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ﴾ الآية وقد تقدم الكلام على هذه الآية وأنهم ليسوا منافقين على أصح القولين [وقال صلى الله عليه و سلم : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر] وفي رواية [وإذا ائتمن خان] بدل : [وإذا وعد أخلف] أخرجاه في الصحيحين وحديث : شعب الإيمان تقدم [وقوله صلى الله عليه و سلم : يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان] فعلم أن من كان معه من الإيمان أقل القليل لم يخلد في النار وإن كان معه كثير من النفاق فهو يعذب في النار على قدر [ما معه] من ذلك ثم يخرج من النار فالطاعات من شعب الإيمان والمعاصي من شعب الكفر وإن كان رأس شعب الكفر الجحود ورأس شعب الإيمان التصديق وأما ما يروى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه و سلم [أنه قال : ما من جماعة اجتمعت إلا وفيهم ولي لله لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه] - : فلا أصل له وهو كلام باطل فإن الجماعة قد يكونون كفارا وقد يكونون فساقا يموتون على الفسق وأما أولياء الله الكاملون فهم الموصوفون في قوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ الآية والتقوى هي المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ الى قوله : ﴿ أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وهم قسمان : مقتصدون ومقربون فالمقتصدون : الذين يتقربون إلى الله بالفرائض من أعمال القلوب والجوارح والسابقون : الذين يتقربون إلى الله بالنوافل بعد الفرائض كما في صحيح البخاري [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما أفترضت عليه ولا يزال عبدي

يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته] والولي : خلاف العدو وهو مشتق من الولاء وهو الدنو والتقرب فولي الله : هو من والى الله بموافقته محبوباته والتقرب إليه بمرضاته وهؤلاء كما قال الله تعالى فيهم : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ قال أبو ذر رضي الله عنه : لما نزلت الآية [قال النبي صلى الله عليه و سلم : يا أبا ذر لو عمل الناس بهذه الآية لكفتهم] فالمتقون يجعل الله لهم مخرجا مما ضاق على الناس ويرزقهم من حيث لا يحتسبون فيدفع الله عنهم المضار ويجلب لهم المنافع ويعطيهم الله أشياء يطول شرحها من المكاشفات والتأثيرات ". (١)

٥٣-" قوله : (ونؤمن بما جاء من كراماتهم وصح عن الثقات من رواياتهم)

ش : فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة و [كذلك الكرامة] في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما فيجعلون المعجزة للنبي والكرامة للولي وجماعها : الأمر الخارق للعادة فصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة : العلم والقدرة والغنى وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده فإنه الذي أحاط بكل شيء علما وهو على كل شيء قدير وهو غني عن العالمين ولهذا أمر النبي صلى الله عليه و سلم أن يتبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ وكذلك قال نوح عليه السلام فهذا أول أولي العزم وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولي العزم وكلاهما تبرأ من ذلك وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب كقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ وتارة بالتأثير كقوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ﴾ الآيات وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية كقوله تعالى : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾ الآية فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله فيعلم ما علمه الله [إياه] ويستغني عما أغناه عنه ويقدر على ما أقدر عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة أو لعادة أغلب الناس فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الانواع

ثم الخارق : إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا إما واجب أو مستحب وإن حصل به أمر مباح كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه كان سببا للعذاب أو البغض كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها : بلعام بن باعورا لاجتهاد أوتقليد أو نقص عقل أوعلم أو غلبة حال أو عجز أو ضرورة

فالخارق ثلاثة أنواع : محمود في الدين ومذموم ومباح فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة وإلا فهو كسائرالمباحات التي لا منفعة فيها قال أبو علي الجوزجاني : كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص/٣٥٧

قال الشيخ السهروردي في عوارفه : وهذا أصل كبير في الباب فإن كثيرا من المجتهدين المتعبدين سمعوا بالسلف الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ويحبون أن يرزقوا شيئا منه ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يحصل له خارق ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر فيعلم أن الله يفتح على بعض المجاهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه أن يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة – يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا والخروج عن دواعي الهوى فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة

ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحا وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تعالى تارة ومكروها لله أخرى

وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن وهؤلاء يشهدون بواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة وأن الله تعالى لم يكرم عبدا بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾

وأما ما يبتلي الله به عبده من السر بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء – فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه وشقي بها قوم إذا عصوه كما قال تعالى : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا ﴾ ولهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام :

قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة

قسم يتعرضون بها لعذاب الله

وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات كما تقدم

وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله وكلمات الله نوعان : كونية ودينية :

فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النبي صلى الله عليه و سلم في قوله : [أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر] قال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ وقال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ﴾ والكون كله داخل تحت هذه الكلمات وسائر الخوارق

والنوع الثاني : الكلمات الدينية وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله وهي أمره ونهيه وخبره وحظ العبد منها العلم بها والعمل والأمر بما أمر الله به كما أن حظ العباد عموما وخصوصا العلم بالكونيات والتأثير فيها أي بموجبها فالأولى تدبيرية كونية والثانية شرعية دينية فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية وقدرة الأولى التأثير في الكونيات إما في نفسه كمشيه على الماء وطيرانه في الهواء وجلوسه في النار وإما في غيره بإصحاح وإهلاك وإغناء وإفقار وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات إما في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطنا وظاهرا وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية

فإذا تقرر ذلك فاعلم أن عدم الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيئا من الكونيات - : لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله بل قد يكون عدم ذلك أنفع له فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة فإن الخارق قد يكون مع الدين وقد يكون مع عدمه أو فساده أو نقصه فالخوارق النافعة تابعة للدين خادمة له كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين وكذلك المال النافع كما كان السلطان والمال [النافع] بيد النبي صلى الله عليه و سلم و أبي بكر و عمر فمن جعلها هي المقصودة وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها لا لأجل الدين في الأصل - : فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب أو رجاء الجنة فإن ذلك ما هو مأمور به وهو على سبيل نجاة وشريعة صحيحة والعجب أن كثيرا ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفا من النار أو طلبا للجنة - يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا ! !

ثم إن الدين إذا صح علما وعملا فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا * وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما * ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [وقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾] رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري [وقال تعالى فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه]

فظهر أن الاستقامة حظ الرب وطلب الكرامة حظ النفس وبالله التوفيق

وقول المعتزلة في إنكار الكرامة : ظاهر البطلان فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات وقولهم : لو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي إلى التباس النبي صلى الله عليه و سلم بالولي وذلك لا يجوز ! وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة وهذا لا يقع ولو ادعى النبوة لم يكن وليا بل كان متنبئا كذابا وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبيء عند قول الشيخ : وأن محمدا عبده المجتبى ونبيه المصطفى

ومما ينبغي التنبيه عليه ههنا : أن الفراسة ثلاثة أنواع :

إيمانية وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة ومنها اشتقاقها وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان فمن كان أقوى إيمانا فهو أحد فراسة قال أبو سليمان الداراني رحمه الله : الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب وهي من مقامات الإيمان انتهى

وفراسة رياضية وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على إيمان ولا على ولاية ولا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم بل كشفها من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبادة الرؤساء والأظناء ونحوهم

وفراسة خلقية وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم واستدلوا بالخلق على الخلق لما بينهما من الإرتباط الذي اقتضته حكمة الله كالإستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل وبكبره على كبره وسعة الصدر على سعة الخلق وبضيقه على ضيقه وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه ونحو ذلك ". (١)

٥٤-"الكلام على المحبة والخلة وثبوتهما لمحمد عليه السلام

قال المؤلف رحمه الله: [قوله: (وحبيب رب العالمين).

ثبت له صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المحبة وهي الخلة، كما صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا)، وقال: (ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن)، والحديثان في الصحيح، وهما يبطلان قول من قال: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه.

وفي الصحيح أيضا: (إني أبرأ إلى كل خليل من خلته)، والمحبة قد ثبتت لغيره، قال تعالى: ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقال تعالى: ﴿ بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين ﴾ [آل عمران:٧٦]، وقال تعالى: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ [البقرة:٢٢٢]، فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه الترمذي الذي فيه: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) لم يثبت.

] مشتهر عند غلاة الصوفية ونحوهم أن المحبة أعلى من الخلة، وأنها أعلى الصفات؛ ولأجل ذلك يبالغ أهل السلوك وأهل التصوف في وصف المحبة وفي آثار المحبة ونحو ذلك، ولهم فيها أقوال في تعريفاتها، وقد بحث معهم ابن القيم رحمه الله في بعض كتبه في تعريف المحبة، كما في كتابه الذي كتبه في المحبة واسمه (روضة المحبين)، وكذلك في كتابه الذي سماه (مدارج السالكين)، عند باب المحبة، وكذلك في كتاب (طريق الهجرتين وباب السعادتين)، فإنه تكلم في هذه الكتب على المحبة ونقل عن أهل السلوك وأهل التعبد وأهل التصوف تعريفات لها حتى أوصلها إلى ثلاثين تعريفا، وانتهى إلى أن قال: إن المحبة كاسمها لا تحتاج إلى تعريف ولا تزيدها التعريفات إلا غموضا، فالمحبة كلمة محبوبة لذيذة، وكلمة معروفة عند السامع لا تحتاج إلى تفكير.

ولا شك أن صفة المحبة تثبت بين المؤمنين في حق الله على المؤمنين، وفي حقهم من الله لهم، ومن بعضهم لبعض، فثبت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم).

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص/٤٩٤

وفي حقوق المسلم لأخيه: أن يحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، وكما في قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، فهذه هي المحبة من المؤمن لأخيه، ولكن لها آثار، وذلك لأنك إذا أحببت أخاك كان من آثار ذلك أن توده وأن تقترب منه، وأن تدله على خير ما تعلمه وتحذره عن شر ما تعلمه، هذه آثار تلك المحبة، فمن كان صادقا فإنها تظهر عليه آثارها.

وأما محبة الله تعالى لعباده فهي المحبة المطلوبة، يقول في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ويده التي يمشي بها) وكذلك الآيات التي سبقت فيها إثبات أن الله يحب من هذه صفته، ومثلها كثير، كقوله تعالى: ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ [المائدة:٥٤]، وقوله: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله ﴾ [الصف:٤]، وقوله: ﴿ إن الله يحب المقسطين ﴾ [المائدة:٤٢]وأشباه ذلك كثير، فإذا الله تعالى يحب عباده المؤمنين الذين هذه صفاتهم، وآثار محبته أنه يوفقهم ويسددهم، فكل المؤمنين يحبون الله تعالى.

والرسول عليه الصلاة والسلام قد أخبر بأنه يحب أشخاصا، ومن ذلك قوله في حق علي : (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله) فأعطاها عليا .

ولا شك أن المؤمنين كلهم يعرفون أنهم يحبون الله حبا شديدا، وأن سبب محبتهم له أنه أعطاهم وخولهم وأنعم عليهم وهداهم، وأنه هو ربهم ومالكهم وسيدهم والمتصرف فيهم، وأنه المستحق لأن يعبد ويصلى له ويسجد، وأنه الذي بيده الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو الذي يثيب ويعاقب، فكانت هذه الأسباب لمن يحب ربه، وقد تكلمنا على محبته فيما سبق وأن لها آثارا، وأن البعض من الناس يقولون: إنهم يحبون الرسول ويحبون الله، وأن هناك آية تفضحهم تسمى آية المحنة، وهي قوله تعالى: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران:٣١]، وهكذا قول الشاعر: تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا عجيب في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع فإذا: ليست المحبة خاصة بالأنبياء، بل الله يحب المؤمنين والمتقين، ولا يحب محمدا أو نبيا من الأنبياء فحسب، بل يحب عباده كلهم إذا كانوا صالحين مصلحين محسنين مؤمنين تائبين قانتين مطيعين له متطهرين مقاتلين في سبيله، وغير ذلك من الصفات التي رتب المحبة عليها.". (١)

٥٥-"على العبد أن يستحضر أنه مكلف مختار

ولا شك أن من استحضر دائما أنه مكلف، واستحضر أن الله تعالى يوفق العبد الذي يستحضر عظمة ربه، واستحضر دائما أنه ليس بمهمل، بل خلق للعبادة ولم يخلق هملا ولا سدى؛ من كان كذلك وفقه الله.

وإذا استحضر أيضا أن ربه لما كلفه ولما أمره ونهاه، كان في مرأى ومسمع من ربه لا تخفى عليه منه خافية، واستحضر أيضا أنه في كل حالاته عنده الدافع الذي يدفعه إلى الخير، وهو قوة الإيمان وقوة هذا الاستحضار؛ لا شك أن من تمت معه هذه الاستحضارات فإنه لا يقدم على معصية، وكيف يقدم عليها وهو يستحضر عظمة الله تعالى وكأنه واقف بين

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ١١/١٥

يدي ربه كيف يقدم عليها وهو يعلم أنه يترتب عليها عقوبة وإثم شديد كيف يقدم عليها وهو يعلم أن ربه يكرهها ولا شك أن العبد الذي يكثر من العبادات سواء كانت قلبية أو قولية أو بدنية، ثم يثق بالثواب عليها؛ أن ذلك يحجزه عن أن يأتي بضدها، ولا يجتمع أنه في آن واحد يطيع الله ويطيع الشيطان، ولا يجتمع أنه في آن واحد يعبد الله ويعبد الأصنام مثلا، ولا يجتمع أنه في آن واحد يكون مستحضرا لعظمة الله تعالى وغافلا عنه مقبلا على هواه، بل متى تمت له هذه الاستحضارات عبد ربه وأكثر من عبادته وأقبل عليه إقبالا كليا، ومتى كان كذلك فإن ربه تعالى يسدد خطاه ويوفقه، ويحبب إليه العبادة ويحميه عن المعصية، كما في قوله في الحديث القدسي الذي سمعنا بعضه: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)، وفي بعض الروايات: (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي).

والمعنى: أن الله تعالى يحفظه ويحوطه ويحرسه، فتكون حركاته في إرادة الله وفي طاعة الله، وما ذاك إلا أن قلبه امتلأ بعظمة الله وامتلأ بالإيمان به، وامتلأ بحب الخير، وامتلأ بالأعمال الخيرية الصالحة والميل إليها، ولما امتلأ القلب ظهر آثار ذلك على السمع وعلى البصر وعلى اليد وعلى الرجل، فصار نظره كله بالله، وسمعه كله لله، ومشيه وحركاته كلها لله، فصار بالله ومن الله وفي الله، فهذا هو الذي لا يمكن أنه يقدم على معصية مع ما يقوم به من هذه الحال.

فالعبد الذي يكون بهذه المثابة لا شك -أنه إن شاء الله- لا يقدم على معصية، وإنما يؤتى من نقص في ذلك، يعني من نقص في استحضاره بقلبه لهذه الأشياء، فإن العوائق التي تعوقه عن هذه الاستحضارات كثيرة، فالشهوات من زينة الحياة الدنيا ومتاعها، والشغل بها كثيرا، والانهماك في المحرمات؛ كل ذلك يجلب إلى قلبه شيئا من الغفلة، فيوجب له بذلك صدودا عن الخير، وإقبالا على الشرور والفساد، نعوذ بالله من الخذلان.". (١)

٥٦-"العلامة الدالة على صدق محبة الله

ذكروا أن اليهود لما قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه -وكذبوا فليسوا أحباءه- أنزل الله آية تسمى آية الامتحان أو آية المحنة في سورة آل عمران: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ [آل عمران:٣١] فامتحنهم الله بهذه الآية، فإذا كنتم صادقين في أنكم تحبون الله فلابد من علامة، والعلامة الواضحة هي أنكم تتبعون هذا الرسول الكريم، فإن هذه علامة صدق من يدعي محبة الله.

روي عن بعض السلف رحمه الله أنه قال: من ادعى محبة الله ولم يوافقه فدعواه كاذبة؛ لأن الذي يحب الله يوافقه في أوامره ونواهيه، ويفعل ما يحبه الله من الطاعات، ويكره ما يكرهه الله من المحرمات والمعاصي، وكذلك أيضا يحب أولياء الله ويبغض أعداء الله، وبذلك يكون صادقا في هذه المحبة، وإذا لم يكن كذلك فليس بصادق، والذي يتظاهر بالمعصية ومع ذلك يدعي أنه يحب الله ليس بصادق، يقول بعض الشعراء: تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا عجيب في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع فعلامة المحبة طاعة المحبوب.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ٢٠/٢٩

محبة الله تعالى واجبة، وعلاماتها ظاهرة، وهي: طاعته، وحب العبادات التي يحبها، وحب العباد الذين يحبهم،وكذلك موافقته، وكذلك بغض المعاصي التي حرمها ومقتها وأبغضها، ومعاداة العصاة والكفرة الذين أبغضهم وكرههم ومقتهم، فمن كان كذلك فإنه من أحباب الله الذين وعدهم الله تعالى بالثواب العظيم، جاء في الحديث القدسي يقول الرب تعالى: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته)، هكذا ورد في هذا الحديث، ومعنى كون الله تعالى إذا أحبه يقول: (كنت سمعه إلخ) أي: أنه لا يسمع إلا ما يحبه الله، ولا يبصر إلا ما يحبه الله، ولا يمد يده ويبطش إلا في طاعة الله، ولا يحرك قدمه ماشيا إلا فيما أمر الله به وأحبه.". (١)

٥٧-"أقسام الكرامات

قال الشارح رحمه الله: [ولهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة، وقسم يتعرضون بها لعذاب الله، وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات، كما تقدم.

وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله.

وكلمات الله نوعان: كونية ودينية: فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر)، وقال تعالى: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس:٨٢]، وقال تعالى: ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ﴾ [الأنعام:١١٥]، والكون كله داخل تحت هذه الكلمات، وسائر الخوارق.

والنوع الثاني: الكلمات الدينية، وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله وهي أمره ونهيه وخبره، وحظ العبد منها العلم بها والعمل، والأمر بما أمر الله به، كما أن حظ العباد عموما وخصوصا العلم بالكونيات والتأثر فيها، أي بموجبها.

فالأولى تدبيرية كونية، والثانية شرعية دينية، فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية.

وقدرة الأولى التأثير في الكونيات، إما في نفسه كمشيه على الماء، وطيرانه في الهواء، وجلوسه في النار، وإما في غيره، بإصحاح وإهلاك، وإغناء وإفقار.

وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات، إما في نفسه بطاعة الله ورسوله والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله باطنا وظاهرا، وإما في غيره بأن يأمر بطاعة الله ورسوله فيطاع في ذلك طاعة شرعية.

فإذا تقرر ذلك، فاعلم أن عدم الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات، ولم يسخر له شيئا من الكونيات: لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة، فإن الخارق قد يكون مع الدين، وقد يكون مع عدمه، أو فساده، أو نقصه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ٥٥/١٠

فالخوارق النافعة تابعة للدين، خادمة له، كما أن الرياسة النافعة هي التابعة للدين، وكذلك المال النافع، كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي صلى الله عليه وسلم و أبي بكر و عمر ، فمن جعلها هي المقصودة، وجعل الدين تابعا لها ووسيلة إليها، لا لأجل الدين في الأصل: فهو شبيه بمن يأكل الدنيا بالدين، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب، أو رجاء الجنة، فإن ذلك مأمور به، وهو على سبيل نجاة، وشريعة صحيحة.

والعجب أن كثيرا ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفا من النار أو طلبا للجنة يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا!! ثم إن الدين إذا صح علما وعملا فلابد أن يوجب خرق العادة، إذا احتاج إلى ذلك صاحبه.

قال تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ [الأنفال:٢٩].

وقال تعالى: ﴿ ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا * وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما * ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ [النساء:٦٦-٦٨].

وقال تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ قوله: ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر:٧٥]) رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقال تعالى فيما يرويه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولابد له منه).

فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس، وبالله التوفيق.

وقول المعتزلة في إنكار الكرامة: ظاهر البطلان، فإنه بمنزلة إنكار المحسوسات.

وقولهم: لو صحت لاشتبهت بالمعجزة، فيؤدي إلى التباس النبي بالولي، وذلك لا يجوز، وهذه الدعوى إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة، وهذا لا يقع، ولو ادعى النبوة لم يكن وليا، بل كان متنبئا كاذبا، وقد تقدم الكلام في الفرق بين النبي والمتنبئ، وعند قول الشيخ: وأن محمدا عبده المجتبى ونبيه المصطفى.

ومما ينبغي التنبيه عليه ههنا: أن الفراسة ثلاثة أنواع: إيمانية: وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده، وحقيقتها أنها خاطر يهجم على القلب، يثب عليه كوثوب الأسد على الفريسة، ومنها اشتقاقها، وهذه الفراسة على حسب قوة الإيمان، فمن كان أقوى إيمانا فهو أحد فراسة.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الفراسة مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان.

انتهى.

وفراسة رياضية، وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي فإن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان، ولا على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم، بل كشفها من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبارة الرؤيا والأطباء، ونحوهم.

وفراسة خلقية، وهي التي صنف فيها الأطباء وغيرهم، واستدلوا بالخلق على الخلق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله، كالاستدلال بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره على كبره، وسعة الصدر على سعة الخلق، وبضيقه على ضيقه، وبجمود العينين وكلال نظرهما على بلادة صاحبهما وضعف حرارة قلبه ونحو ذلك].

وأهل السنة والجماعة يصدقون بكرامات الأولياء، وهي تعتبر كرامة لمن جرت على يديه، ولا تعتبر نقصا فيمن لم تحصل له تلك الكرامة، وهناك من أنكر تلك الكرامات كالمعتزلة، فادعوا أنها لو حصلت لحصل الاشتباه بينها وبين معجزات الأنبياء، وبين العلماء أن الخوارق تنقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول: معجزات، وهي تختص بالأنبياء، وليس في قدرة البشر أن يأتوا بمثلها، كمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم، ومعجزات موسى وعيسى وغيرهم، وهي التي ذكرت في السنة، وحكيت عن الأنبياء في القرآن.

القسم الثاني: كرامات أكرم الله بها بعض أوليائه الصالحين، ويعتبرها العلماء دالة على صدق نبوة الأنبياء؛ وذلك لأنها ما حصلت لهم إلا باتباعهم لأنبيائهم، فأتباع نبينا صلى الله عليه وسلم حصلت لهم كرامات؛ بسبب إيمانهم وتصديقهم بنبيهم صلى الله عليه وسلم، وتمسكهم بشريعته، فكانت تلك الكرامات منة من الله عليهم، وتقوية لإيمان بعضهم، وقطعا لحجة من خالفهم أو طعن في معتقدهم، وكذلك أجراها الله على أيديهم لإظهار الحق الذي هم عليه، وبيان صحة ما يدعون إليه، وكذلك أجراها الله للدلالة على أنهم على دين صحيح، وأن نبوته صلى الله عليه وسلم نبوة حق ليس فيها فرية ولا توقف، وقد ذكر العلماء جملة كثيرة من تلك الكرامات، وأفردت بالتآليف، وذكروا أن الله تعالى أجراها على أيديهم كما أجرى المعجزات على أيدي الأنبياء؛ للدلالة على أن كل النبوات من عند الله تعالى، فكما أن الله جعل النار على إبراهيم بردا وسلاما فكذلك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مسلم عالم هو أبو إدريس الخولاني ألقي في النار ولم تضره، بل كانت عليه بردا وسلاما، فكان في هذه الأمة من جرى له مثل ما جرى للخليل عليه السلام.

وكذلك جعل الله البحر لموسى طريقا يبسا -كما أخبر بذلك- فسلكه هو وقومه ولم تبتل ثيابهم ولا أقدامهم، وجرى مثل ذلك للعلاء بن الحضرمي ، حيث خاض البحر هو وجنده المقاتلون، ولم يفقدوا من متاعهم شيئا، وكأن البحر يبس، فكانوا يسبحون فوقه دون أن يغرقوا فيه مع عمقه، وهذه كرامة للعلاء رحمه الله، وأمثال ذلك كثير.

القسم الثالث: الأحوال الشيطانية التي تجري على أيدي السحرة والمشعوذين، وهذه الأحوال الشيطانية هي ما يتمكن منه السحرة من الصرف والعطف وتغيير الحقائق وقلب الأشياء، وكذلك ما يفعلونه من قطع المسافات، ومن حمل الأثقال، والطيران في الهواء، ونحو ذلك في زمن قصير، وهذه الأحوال تسمى أحوالا شيطانية، وهي تجري بسبب خدمتهم للشياطين، فهم يتقربون إلى الشياطين وإلى مردة الجن بما يحبون، فتجري على أيديهم المخارق، والشعوذة، والتغيرات النفسية، ولكنها تبطل بإذن الله إذا عولجت بالآيات القرآنية والأدعية النبوية.

فما يحصل من أعمال السحرة والمشعوذين ونحوهم، من صرف وعطف، وإلقاء بغضاء بين متحابين، وإلقاء تقابل قوي بين المتباغضين، وكذلك من تغيير لمزاج بعض الناس إذا عملوا له سحرا شيطانيا ونحو ذلك؛ فهذا لا يسمى كرامة ولا فضل فيه، بل هو من عمل الشياطين؛ وذلك لأن هؤلاء السحرة والكهنة ونحوهم يتقربون إلى الشيطان، ويذبحون له، ويطيعونه حتى يخدمهم ويطيعهم فيما يشيرون إليه، فتصير الشياطين والجن خدما لهذا الكاهن الذي عبدهم وذبح لهم، وركع للشياطين وسجد، وأشرك بالله، فصار من خدمهم، فأصبح بذلك من أعوانهم، فهم يتلبسون به، وينطقون على لسانه، ويخبرون بالأشياء الغيبية والبعيدة ونحوها، وكذلك يخبرون بالغائب والمسروق وما أشبه". (١)

٥٨-"فإذا نقول: إن ربنا - عز وجل - من على عباده المؤمنين فوفقهم، أعانهم، سددهم، هيأ لهم الأسباب التي توصلهم إلى الخير، حبب لهم العلم، حبب لهم الجهاد، حبب لهم الحكمة، حبب لهم الأمر والنهي، حبب لهم أهل الخير إلى آخره، حبب لهم كتاب مثل ما جاء.وهذا التوفيق درجات أيضا ففي البداية يكون فتح باب:- وبعض الناس إذا انفتح له باب التوفيق نفسه فيها قبح فتنازعه للشر فيكون بين هذا وهذا.- وآخر نفسه فيها خير، فمن الخير الذي معه أنه ينتقل من توفيق إلى توفيق أعظم منه حتى يصل بسبب عمله أن الله - عز وجل - ينعم عليه بتوفيق زائد ثم بتوفيق زائد، مثل ما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه -يعني وفق في سمعه- الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»(١) هذا كله توفيق، مزيد إعانة في هذه الجوارح، الجوارح هذه هي التي عليها الحساب والتي يحاسب العبد على ما صنعت جوارحه.إذا فحقيقة إضلال الله - عز وجل - من شاء ليست جبرا، وهداية الله - عز وجل - من شاء سبحانه وتعالى ليست جبرا.وإنما العبد عنده آلات، خوطب بالتكليف وعنده الآلات، ولو كانت جبرا لصارت التكاليف -بعث الرسل، إنزال الكتب، الأمر والنهي، الجهاد- لكان كل ذلك عبثا.والله - عز وجل - منزه عن العبث؛ لأن العبث سلب الحكمة وشر والله - عز وجل - الشر ليس إليه، لا في ذاته ولا في أفعاله ولا في صفاته - عز وجل - ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين(١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾[الأنبياء:١٧-١٨].فالله سبحانه وتعالى منزه عن العبث.يضل جبرا ويسلب العبد الاختيار بالمرة ثم يحاسبه وينزل عليه الكتب ويرسل الرسل ويأمره بالتكاليف كيف يكون ذلكيكون كالغريق الذي يقال له:(٢) إياك أن تبتل بالماء.:[[الشريط التاسع عشر]]:وهذا العياذ بالله هو حقيقة قول الجبرية الذين قال قائلهم:ألقاه في اليم مكتوفا وقال له ****** إياك إياك أن تبتل بالماءوهذا ينزه عنه الحكيم الخبير - جل جلاله -.فمن عرف صفات الله - عز وجل - وعلم حكمته، فإن القول بالجبر في حقيقة الأمر إبطال للتكاليف أو رجوع إلى أفعال الله - عز وجل - بأنها لعب ولا حكمة فيها ولا توافق غايات محمودة، والله - عز وجل - منزه عن ذلك.__________(١) البخاري (٦٥٠٢)(٢) انتهى الشريط الثامن عشر.". (٢)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ٨/٩٢

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ ص/٢٥٠

٥٩–"[المسألة الرابعة]:الأولياء قسمان فيما دلت عليه الأدلة:– مقتصدون.– وسابقون مقربون.وذلك أن الله – عز وجل – جمع في آية سورة فاطر أنواع الذين أورثوا القرآن فجعلهم ثلاثة أصناف في قوله ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾[فاطر:٣٢] فجعلهم ثلاثة أصناف:– الظالم لنفسه.– والمقتصد.– والسابق بالخيرات.والظالم لنفسه لا يستحق اسم الإيمان المطلق ولا التقوى المطلقة، فخرج من قوله﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فبقي أن الأولياء المؤمنين المتقين صنفان:– المقتصد.– والسابق بالخيرات.والسابق بالخيرات أطوع وأتبع للقرآن من المقتصد، فنصيبه من الولاية وهي محبة الله – عز وجل – له ونصرته له أعظم من نصيب المقتصد.وهؤلاء هم الذين جاء فيهم الحديث المشهور المسمى بحديث الولي وهو قوله صلى الله عليه وسلم «قال الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته –هذا سابق بالخيرات– كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له من ذلك»(١). رواه البخاري وغيره، وهو حديث صحيح لا مطعن فيه، فدل الحديث على أن السابق بالخيرات أحق وأعظم ولاية لله – عز وجل – من الذي يتقرب إلى الله بالفرائض.قال «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»، وما افترضه الله – عز وجل – على العباد أوامر يمتثلها ونواه يجتنبها، فيتقرب إلى الله بفعل المأمور، ويتقرب إلى الله – عز وجل – بترك المنهي المحرم، وهذا هو حال المقتصد، ثم ذكر الفئة الثانية وهم السابقون بالخيرات.____________(١) البخاري (٦٥٠٢)". [١]

٦٠–"[المسألة الثالثة]:دعاء العبد لله – عز وجل – وتضرع العبد عند الله – عز وجل – فيه أمور:١– الأمر الأول: أنه تعرض لرحمة الله – عز وجل – ولآثار ربوبيته، فهو سبحانه وتعالى يعطي من سأله ويجيب من دعاه – عز وجل –، لأنه هو الرب.ولهذا قد يعطي الله – عز وجل – الكافر كما أجاب دعاء إبليس، فقد يمرض الكافر فيسأل الله – عز وجل – فيشفى، وقد يتعرض الكافر لمصيبة فيسأل الله – عز وجل – أن يكفيه شرها فيجاب.بل يأتي المشرك والخرافي والمشرك المتعلق بالأموات فيأتي عند القبر بقلب مضطر فيسأل الله – عز وجل – بصاحب هذا القبر أو يسأل الله – عز وجل – ثم يسأل صاحب القبر، فيجاب الدعاء لما في قلبه من الاضطرار لله – عز وجل –، ويكون في حقه ابتلاء ويكون أيضا فتنة للآخرين.فإذن العطاء لا يقتضي الرضا عن المعطى، وإجابة الدعاء لا تقتضي الرضا عن من أجيب دعاه فهذا إبليس أجيب دعاه وقد دعا بأعظم دعوة عنده وهي أن يطول عمره حتى يكون إلى يوم القيامة، ﴿قال رب فأنظرني﴾ يعني أمد في عمري ﴿إلى يوم يبعثون﴾[الحجر:٣٦]، إلى أن ينتهي تكليف آدم وأبناءه، فأعطاه الله – عز وجل – هذا السؤال الذي لم يعطه نبيا من الأنبياء في إطالة العمر إلى هذا الحد، وهذا كما أعطى الكفار بعض ما سألوا، وكما يعطي بعض من يعبدون المسيح أو يعبدون عزيرا أو يعبدون غير الله، فيعطيهم لأمر، لا لأجل كفرهم، ولكن لحكمة يعلمها الله أو لأجل اضطرارهم أو لأن هذا الإعطاء أصلا من مقتضيات ربوبيته – عز وجل – لهم وهم بحاجة إليه، والله هو الذي خلقهم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ ص/٤١٩

وجعل لهم قدرا مقدورا.٢- الأمر الثاني: أن الدعاء فيه إثبات لصفات كثيرة من صفات الرب - عز وجل -.فمن دعا الله - عز وجل - بحق فإنه يستحضر إذ دعا، ولو لم يستحضر فإن هذا متضمن لدعائه:- الصفة الأولى: أنه موقن بوجود الرب - عز وجل -.- الصفة الثانية بأنه سبحانه وتعالى يسمع دعاءه مع أنه في عليائه - عز وجل -، وهو يهمس همسا لا يجهر، وهو يعتقد أن الرب - عز وجل - سميع لدعائه.- الصفة الثالثة: يوقن أنه - عز وجل - قدير على إجابة دعائه.- الصفة الرابعة: يوقن أنه سبحانه وتعالى غني يعطي بغير حساب.- الصفة الخامسة: يوقن أيضا أنه - عز وجل - رحيم بعباده، فإن سؤال الرب - عز وجل - تعرض لآثار لرحمته سبحانه وتعالى.- الصفة السادسة: يوقن بأنه سبحانه وتعالى حي، وهكذا.فمن تأمل دعاء العبد، نظر في أن في دعاء العبد أنواعا من إثبات الكمالات للرب - عز وجل -، ولذلك يضعف التوحيد إذا ترك العبد دعاء ربه - عز وجل -، وكلما قل الدعاء، قل تعلق العبد بالله - عز وجل -، لأن آثار التوحيد على النفس والنور الذي يقذف في القلب من آثار التعلق بالله - عز وجل - يضعف شيئا فشيئا.٣ - الأمر الثالث: الله - عز وجل - في إجابة الدعاء، وفي إعطاء الحاجة التي سئلت، جعل لذلك شروطا وجعل لذلك موانع.فإن العبد قد يسأل ولا يعطى وقد يدعو دعاء سؤال ولا يستجاب له في عين ما سأل؛ لأنه لم تكتمل الشروط في حقه أو قام مانع من الموانع، وهذا يتضح بمسألة تأتي.٤- الأمر الرابع: أن إجابة الدعوات وقضاء الحاجات ليس دليلا على شيء، وإنما هو من جنس مطلق الإعطاء.فكما أن الله - عز وجل - جعل هذا على صفة، وهذا على صفة، وهذا على صفة؛ فإنه سبحانه، يعطي هذا، ويعطي هذا، ويعطي هذا. وقد -كما ذكرت لك- يعطي فاسق ويعطي المبتدع ويعطي الفاسق، ويجيب دعاء هذا وهذا وربما هذا بأكثر وهذا بأكثر.لكن يمتاز المؤمن والعبد الصالح وولي الله - عز وجل - أن يكون جواب الله - عز وجل - له وإعطاؤه لسؤاله -يعني إعطائه لما سأل-، عن محبة ورضا فيكون في حقه نعمة ولا يكون في حقه نقمة أو إبتلاء.وهذا هو الذي جاء في حديث الولي، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى(١):[[الشريط الثاني والأربعون]]:وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه»(٢) هذا عطاء محبة، «ولئن استعاذني لأعيذنه» هذه إعاذة محبة ورضا.______________(١) نهاية الشريط الواحد والأربعون.(١) سبق ذكره (٢٥٠)". [١]

٦١-"[المسألة الثانية]:الأصل في كرامات الأولياء من القرآن قول الله - عز وجل - ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾[يونس:٦٢-٦٤]، وقوله - عز وجل - أيضا ﴿وكان أبوهما صالحا﴾[الكهف:٨٢]، وقوله صلى الله عليه وسلم «ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه»(١).ومن الواقع فإنه تواتر النقل عن الصحابة وعن التابعين ومن تبعهم وعن الأمم السالفة، تواتر النقل بما لا يكون معه مجال للتكذيب ولا للرد بنقل عدد كبير يختلفون في أماكنهم ويختلفون في لغاتهم بحصول هذه الكرامات، فيكون معه النقل متواترا ويكون دليلا من الأدلة في

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ ص/٥٩٨

هذه المسألة.فإذا حصول الكرامات دل عليه القرآن والسنة ودل عليه التواتر في النقل عن الأمم السالفة وعن هذه الأمة.____________(١) سبق ذكره (٢٥٠)". [١]

٦٢-"ومن السنة حديث: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥)﴾ أي الذين يعرفون الشيء بسمته رواه الترمذي بسند ضعيف. وقال تعالى: فيما يروي الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل أنه، قال: (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) ورواية البخاري: (فقد آذنته بمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) إلى قوله: (وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه)فظهر أن الاستقامة حظ الرب، وطلب الكرامة حظ النفس، هل تدل الخوارق على إكرام من ظهرت على يديه .اليسر والكرامة والنعمة والنعم والغنى والظلم والشدة والفقر ليست دليلا على الرضا، ولا على السحظ فما يبتلي الله به عباده من اليسر بخرق العادة، أو بغيرها أو بالضر ليس ذلك من أجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوا الله، وشقي بها قوم إذا عصوا الله، دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن (١٥) وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن (١٦) كلا﴾ووجه الاستدلال: أن الله زجر من ظن أن الغنى دليل على الكرامة والفقر دليل الإهانة .أقسام الناس بعد حصول الخارق:الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام: قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة، وقسم يتعرضون بها لعذاب الله، وقسم تكون في حقهم بمنزلة المباحات. وهذا التقسيم للناس مبني على التقسيم السابق للخارق إلى محمود في الدين، ومذموم في الدين ومباح .أعظم كرامة يعطاها الولي، ما هي أعظم كرامة يعطاها الولي والكرامة الحقيقية الكرامة الحقيقية وأعظم كرامة يعطاها الولي هي لزوم الاستقامة . هذه أعظم كرامة . أعظم كرامة يعطاها الولي هي لزوم الاستقامة، وهي موافقة الله لما يحبه ويرضاه، وهي طاعته وطاعة رسوله وموالاه أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .الفرق بين حالتي طلب الاستقامة وطلب الكرامة هو أن الاستقامةحظ الرب، والكرامة حظ النفس، فمن يسعى في طلب الاستقامة فهو يسعى في طلب حظ الرب، ومن يسعى في طلب الكرامة، فهو يسعى في طلب حظ النفس كما قال أبو علي الجوزجاني: كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة؛ فإن نفسك متحدثة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة .المنكرون للكرامات لكرامات الأولياء وشبهتهم والرد عليهم أنكرت المعتزلة كرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان، وكذلك الرافضة وهي ما يقع من الخوارق على يد صالح وولي، شبهتهم لو وقعت الكرامة على يد ولي لأشبهت المعجزة، فلو صحت لأشبهت المعجزة فيؤدي إلى التباس النبي بالولي، فلا تعرف النبي من الولي أجاب الجمهور في الرد عليهم من وجهين:أ ولا: أن إنكاركم للكرامات يناقض المحسوسات والمشاهدات، الثاني: منع الملازمة بين اشتباه المعجزة بالكرامة إذا وقعت، والتباس النبي بالولي، فلا ملازمة بين وقوع الكرامة وصحتها وبين الاشتباه والالتباس بمعجزة؛ لأن النبي يدعي النبوة ويتحدى، والولي لا يدعي الرسالة ولا يتحدى، فهذه الدعوة إنما تصح إذا كان الولي يأتي بالخارق، ويدعي النبوة ويتحدى بهذا الخارق، وهذا لا يقع

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ ص/٦٧١

إذ لو ادعى النبوة لم يكن وليا يكن متلفقا كذابا .أمثلة للكرامات متنوعة في سلف هذه الأمة، وفي الأمم السابقة مما وقع لصدر هذه الأمة ما كان لأسيد بن حضير كان يقرأ سورة الكهف فنزل من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج، وهي الملائكة نزلت لقراءته، ومن ذلك من أمثلة ذلك قصة الصديق في الصحيحين: لما ذهب بثلاثة أضياف معه معه إلى بيته، وجعل لا يأكل لقمة إلا ربا بأسفله أكثر منها، فشبعوا فصارت أكثر مما هي قبل ذلك، فرفعها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء إليه أقوام آخرون، فأكلوا منها وشبعوا .ومن ذلك مما حصل لخبيب بن عدي: كان أسيرا عند المشركين بمكة وكان يؤتى بعنب يأكله، وليس بمكة عنب، وعامر بن فهيرة قتل شهيدا فالتمسوا جسده، فلم يقدروا عليه، وكان لما قتل رفع، فرآه ابن طفيل، وقد رفع .وسفينة مولى رسول صلى الله عليه وسلم أخبر الأسد بأنه رسول رسول الله، فمشى معه الأسد حتى أوصله إلى مقصده، وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا في القسطنطينية، فقالوا لا نسلم حتى تشرب السم، فشربه فلم يضره، وسعد بن أبي وقاص كان مستجاب الدعوة ما دعا قط إلا استجيب له، وهو الذي هزم جنود كسرى وفتح العراق .". (١)

٦٣-"وكما جاء في حديث الولي: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ...) الخ، وهذا الحديث أيضا من الأدلة على أن الله سبحانه وتعالى يحب وأن محبته تبارك وتعالى درجة عالية، يحظى بها الإنسان بالاجتهاد في طاعة الله، والاجتهاد في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم.هذا ما يتعلق بإثبات صفة المحبة، لكن الإمام الطحاوي رحمه الله قال في وصف نبينا محمد صلى الله عليه وسلم: [وحبيب رب العالمين] فهل معنى هذا أنه هو وحده حبيب رب العالمين، أو أن معناه أن صفة المحبة أكمل من غيرها حتى تقال للنبي صلى الله عليه وسلم، الواقع أن محبة الله سبحانه وتعالى يشترك فيها المؤمنون جميعا، وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم الحظ الأوفر من محبة الله تبارك وتعالى.إذا القضية ليست من أجل الاختصاص، فإذا كان الإمام الطحاوي اختارها؛ لأنها أكمل وأعلى، فإن هذا القول مرجوح؛ لأن المحبة ليست هي أعظم الصفات في بابها حتى نقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم هو حبيب رب العالمين؛ بل أعظم صفة في هذا الباب أن نقول: هو خليل الله وهو خليل الرحمن.الخلة أعلا من المحبة". (٢)

٦٤-"حقيقة العبودية أن الإنسان المسلم المؤمن بالله -سبحانه وتعالى- يصرف الحرث، والهم لوجه الله -سبحانه وتعالى- فيجمع بين الشطر الإرادي، واللاإرادي في حياته، فيكون موحدا، والنفس البشرية تتوحد لذلك التوحيد بأنها تتوجه إلى إله واحد وتعبد ربا واحدا يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار [يوسف:٣٩] كما ضرب الله تعالى المثلين -المؤمن والكافر بأن المؤمن مثل (رجل سلما لرجل) أي: عبد خاص بإنسان واحد فقط، وأما الآخر: فهو عبد مملوك فيه شركاء متشاكسون، يتنازعونه هذا يقول: نعم، وهذا يقول: لا، فهذا إنسان ممزق، وموزع.المهم: أن حقيقة

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي ص/٣٨٥

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي ص/٣٣٢

العبودية تتجلى بهذا كلما كان عبدا لله –سبحانه وتعالى– واجتهد فيها، كما جاء في الحديث عند الترمذي وغيره قوله تعالى في الحديث القدسي (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه –هذه الدرجة الأولى– ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) هنا درجات، فإذا وصل الإنسان إلى درجة محبة الله –سبحانه وتعالى– له، ومحبته لله إلى درجة اليقين، وإلى درجة الصبر على الطاعة، والصبر عن معصية الله والصبر على أقدار الله –سبحانه وتعالى– حينئذ تحقق فيه كمال العبودية.أكمل الناس عبودية". (١)

٦٥–"لنكن عبادا لله حقيقة وإلا فكل ما في الكون هو عبد لله: إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا [مريم:٩٣] كلهم عباده، لكن فرق بين العبد المتعبد بالاختيار، وبين العبد الذي يتكبر على الله، فلا بد أن نحقق عبودية الاختيار لله سبحانه وتعالى، ولنحذر من الاعتراض على الله تبارك وتعالى والاعتراض على أمره وأقداره وأحكامه، فإن هذه تتنافى مع اليقين والتوحيد، وتتنافى مع التفكر، لأنه لا يعترض إلا الجاهل الذي لم يتفطن إلى حكمة الله سبحانه وتعالى أبدا، من إذا قيل له: هذا حرام اعترض، هذا جاهل بحكمة الله سبحانه وتعالى في التشريع، ومن إذا قيل له: هذا قدر الله، فاعترض وأبى هذا جاهل بحكمة الله سبحانه وتعالى بالمقادير، .فيجب أن يكون المؤمن دائما منقادا مذعنا مستسلما لربه تبارك وتعالى، هذه الدرجة التي لو بلغ الإنسان ذروتها لكان كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه يصبح في منزلة عظيمة عند ربه عز وجل كما في حديث الولي (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سئلنى لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، هو يكره الموت، وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه) .". (٢)

٦٦–"وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «يقول الله من عادى لي وليا [فقد بارزني بالمحاربة] ([٧]) أو فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» وهذا أصح حديث يروي في الأولياء فبين النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة. ([٨])وفي حديث آخر: «وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب» أي آخذ ثأرهم ممن عادهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره، وهذا لأن أولياء الله هم الذين أمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما أمر ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع، كما في الترمذي وغيره عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله».وفي حديث آخر رواه أبو داود

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي ص/٤١٥

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي ص/١٢٣٢

قال «ومن أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان» والولاية ضد العداوة، [وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد]([٩]) وقد قيل أن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول أصح والولي القريب فيقال هذا يلي هذا؛ أي يقرب منه.". (١)

٦٧-"وقد ذكر النبي - صلى الله عليه وسلم - عمل القسمين في حديث الأولياء فقال «يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها». فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما. كما قال تعالى ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ يعني الحب المطلق([٢٧]) كقوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم(٦)صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين[الفاتحة:٦-٧]، أي أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا[النساء:٦٩]، فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله، فشربوا صرفا، كما عملوا له صرفا، والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا.". (٢)

٦٨-"وفي صحيح البخاري الحديث المشهور وقد تقدم، يقول الله تبارك وتعالى فيه «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه»، ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض، فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين، فمعلوم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله، وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة، وإن قيل إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم رسولا فلا يكونون من أولياء الله إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين، فمن لم يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله، وكذلك المجانين والأطفال، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «رفع القلم عن ثلاثة عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يستيقظ» وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة رضي الله عنهما، واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول، لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء، وأما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء، ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات، بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة، فلا يصلح أن يكون بزازا ولا عطارا ولا حدادا ولا نجارا، ولا تصح عقوده باتفاق العلماء، فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٥/٦

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٢٢/٦

ولا إقراره ولا شهادته ولا غير ذلك من أقواله، بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي، ([٣٥]) ولا ثواب ولا عقاب، بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالا معتبرة في مواضع بالنص والإجماع، وفي مواضع فيها نزاع، وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل وامتنع أن يكون وليا لله فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله، لا سيما أن تكون حجته على ذلك". (١)

٦٩-"قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله. وقال عثمان بن عفان - رضي الله عنه -: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل. وقال ابن مسعود: الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل. وإن كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره، كما قال تعالى ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم[الحديد:٢٨]، وقال تعالى وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا[الشورى:٥٢] ([٥٥]) فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال« اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» قال الترمذي حديث حسن، وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال « ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، وكما يفرق من". (٢)

٧٠-"أما وصفهم في السنة فقد جاء بأكثر تفصيلا في حديث الولي المعروف وهو ما رواه البخاري رحمه الله وغيره، أن النبي عليه الصلاة والسلام قال « يقول الله تعالى من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» هنا الفرائض أحب إلى الله جل وعلا من النوافل، وزيادة تقرب العبد بالنوافل سبب في محبة الله جل وعلا لعبده قال«فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» سمعه يعني يسدد في سمعه، كان الله سمع الولي يعني سدده في سمعه فلا يسمع إلا ما يحب ربه ومولاه «وبصره الذي يبصر به» يعني أسدده في بصره فلا يبصر إلا ما أحب، ولا يستأنس في بصره إلا بما أحب «ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها» يعني يسدد في هذا كله؛ فلا يبطش بيده إلا فيما أذن الله جل وعلا به، ولا يمشي برجله إلا بما يحب الله جل وعلا، قال «ولئن سألني لأعطينه» يعني أنه مجاب الدعاء «ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في نفس عبدي المؤمن

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٣٤/٦

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٥٩/٦

يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» التردد هنا، تكلم عليه أهل العلم بكلمات وأصح ذلك أن التردد مثل الصفات الأخر التي هي صفة المكر والاستهزاء ونحو ذلك من جهة أنه يكون نقصا ويكون كمالا:: فيكون نقصا إذا كان التردد مع عدم علم بالعاقبة؛ لأنه يكون من نتائج الجهل، فالمتردد يتردد ويكون نقصا في حقه أنه تردد؛ لأنه لا يعلم العاقبة، أو لخوفه وعدم جرأته على الأمر، أو لعدم قدرته عليه؛ يشك هل هو يقدر أو لا يقدر، أو هل سيقوى أو لا يقوى، وعدم علمه بالعاقبة هي سبب هذا التردد، وهذا التردد نقص وهذا منفي عن الله جل وعلا.". (١)

٧١-"ولهذا في حديث الولي قال جل وعلا (ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به) معناه كنت معه في سمعه الذي يسمع به يعني أوفقه وأسدده في سمعه (وبصره الذي يبصر به) يعني كنت معه في بصره الذي يبصر به يعني أوفقه في بصره (ويده التي يبطش بها) يعني كنت معه إذا بطش فلا يبطش إلا بما يحب الله جل وعلا ويرضى ، ولهذا المعية والمحبة والمودة من الله جل وعلا لعباده المؤمنين تتفاضل بتفاضل صفاتهم فهذا ظاهر من قوله إن الله مع الذين اتقوا والتقوى صفة تفاضل والذين هم محسنون ومحسن اسم فاعل الإحسان والإحسان يتفاضل كذلك كل أحد أتى بنصيب من ذلك له من المعية الخاصة نصيب .إذا تبين ذلك فأهل البدع في هذه المسألة قالوا إن معية الله التي دلت عليها هذه النصوص هي معية ذات بحلوله جل وعلا في كل مكان .فعندهم أن الله جل وعلا في كل مكان وليس فوق العرش رب وليس الله بعال على خلقه بذاته بل هو جل وعلا حال في كل مكان .حال في وليس حال بكل مكان .حال في كل مكان حتى ما ندخل في الحلول بالأشياء ، لا ، هو حال فيها يعني في أي مكان يوجد ، في أي مكان تذهب يوجد الله .هذا اعتقاد أهل البدع من الأشاعرة وغيرهم فيقولون إن الله ليس على العرش وهو في كل مكانسبب ذلك أنه قال هنا وهو معكم أينما كنتم قالوا هذا دليل على أنه مختلط بالخلق ووجه الاستدلال على حسب زعمهم قالوا إنه ذكر (مع) و (مع) هذه معناها معية الذات ، وهذا القول منهم لأجله أبطلوا الاستواء ولأجله أبطلوا علو الذات .ونقول هذا باطل وذلك :لأن الله جل جلاله بين أنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون مع الصابرين وهذا يقتضي بمفهوم المخالفة - وهذا مفهوم صفة والصفة لها مفهوم مخالفة - أن من لم يكن كذلك فليس هو جل وعلا معه .". (٢)

٧٢-"وقوله : (يوضع له القبول في الأرض) يعني : يقبله أهل الإيمان ويحبونه ويميزونه على غيره فيتولونه مثل ما حصل للصحابة رضوان الله عليهم فأهل الإيمان يحبونهم ومثل سادات التابعين ، ومثل الإمام أحمد والشافعي ومالك وهذه مرتبة عظيمة لمن تحصل له .حديث : (إنكم سترون ربكم ....) الحديثالشرح : فيه إثبات الررؤية لله جل وعلا ، أي رؤية المؤمنين لربهم جل وعلا .والرؤية تكون في العرصات وتكون في الجنة ، فتكون في العرصات عامة أولا للجميع ،ثم يحجب عنها أهل النفاق يعني : من هذه الأمة ، وأما الكفار فهم لا يرون ربهم أصلا لأنهم محجوبون عن الله كما قال سبحانه : (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (المطففين:١٥) ، وأما هذه الأمة المؤمنون منهم والمنافقون الرجال والنساء فإنهم يرون الله سبحانه وتعالى ثم يحجب عنها أهل النفاق وتبقى رؤية أهل الإيمان ثم تكون الرؤية التي هي محل اللذة والنعيم في جنة

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ١٤٥/٦

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٣٤٣/١٢

الخلد .وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله تبارك وتعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب عبدي إلي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه) . رواه البخاري .". (١)

٧٣-"الشرح : هذا الحديث أيضا فيه إثبات صفة المحبة لله جل وعلا (ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به) يعني : يسدد في سمعه (بصره الذي يبصر به) يعني : يسدد في بصره (ويده التي يبطش بها) يعني : يسدد في يده فلا يحصل منه بهذه الجوارح إلا ما يحب الله جل وعلا فيوفق ويعان فيها على فعل الخير وعلى ترك الشر من جهة سمعه وبصره ويده ورجله .وقوله عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث القدسي قال الله جل جلاله : (وما ترددت في شيء أنا فاعله) فيها ذكر التردد مضافا إلى الله جل وعلا وهل هو صفة لله أم لا !بعض أهل السنة لا يضيف التردد إلى الله جل وعلا صفة لأنه منقسم إلى محمود ومذموم ، وإطلاق الإضافة يعني إطلاق الوصف فيما ينقسم إلى محمود ومذموم الأصل خلافه ولأن الأصل ألا يضاف إلى الله جل وعلا إلا ما هو محمود والتردد قد يكون عن نقص علم والله جل وعلا منزه عن ذلك . ولهذا ذهب من ذهب من أهل العلم إلى عدم إثبات صفة التردد إلى الله جل وعلا لأنهم جعلوا منشأ التردد عن عدم علم أو عن جهل أ، عن عدم قدرة أو عن عدم قوة على إنفاذ الشيء وأشباه ذلك فمنعوا وصف الله جل وعلا بالتردد .والقول الثاني عند أهل السنة أن التردد صفة من صفات الله جل وعلا وأن تردده سبحانه وتعالى بحق ، وأن حقيقة التردد ليس معناها أنها تنشأ عن جهل أو عن عدم قوة أو قدرة كما قاله الأولون ، بل حقيقة التردد أنه : تردد الإرادة في أي الأمرين أصلح للعبد أو في أي الأمرين أوفق للحكمة أو نحو ذلك أو تردد الإرادة في المصلحة المقتضية لذلك .". (٢)

٧٤-"وبين المظاهر أو الأغراض الأخرى فإنه لا يكون مخلصا، وأهل الإخلاص هم أهل النجاة الذين ينجيهم الله جل وعلا من عذابه.طاعة الله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلموأعظم الأسباب التي تجلب محبة الله في الجمل، ويعرفها الإنسان ولا تشكل عليه؛ هي طاعة الله، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، إذا حرص الإنسان على طاعة الله جل وعلا واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يعرفه ويعلمه، وصار حرصه عليه أشد من حرصه على جمع المال، فإنه يزداد خيرا ومحبة، والله جل وعلا كذلك يحبه، ويزيد في حبه له؛ لأنه كما جاء في الحديث: (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، النوافل هي الزائدة على الفرائض، ولكن أداء الفرائض هو الأصل في هذا، فإذا أدى الإنسان الفرائض التي

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ١٦/٢٣

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ١٦/٢٤

افترضها الله عليه، ثم بعد أداء الفرائض كان عنده رغبة في طاعة الله، فلابد أن يفعل شيئا من النوافل، وقد يزيد.مشاهدة بره وإحسانه سبحانه وتعالى". (١)

٧٥-"فائدة اتباع الرسول

جعل الله تعالى لاتباع الرسول فائدتين في هذه الآية، فقال تعالى: ﴿ فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ [آل عمران:٣١]، ثم قال بعدها: ﴿ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ [آل عمران:٣٢].

فهاتان فائدتان عظيمتان لمحبة الله تعالى ومحبة رسوله، وهاتان الفائدتان لا يقدر قدرهما إلا الله.

الأولى: (يحببكم الله)، والثانية: (يغفر لكم ذنوبكم)، فما أعظمها من فائدة! كل منا يود أن الله تعالى يحبه، ويود أن الله يغفر له، فما أسهل ذلك السبب الذي تحصل به على محبة الله تعالى ومحبة رسوله! إنه يسير، وهو في هذه الآية: ﴿ فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ ، ولا شك أن من أحبه الله تعالى فإنه يوفقه لكل خير، ويسدد خطاه، ويرشده ويثبته، فلا يميل إلى معصية ولا يفعل ذنبا، ولا يخل بطاعة بل تكون أفعاله كلها من الطاعات، وقد استدل على ذلك بالحديث القدسي الذي في صحيح البخاري، وهو قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)، وفي بعض الروايات: (فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه).

فالشاهد أن الله في هذا الحديث جعل التقرب بالنوافل بعد الفرائض سببا لمحبة الله تعالى للعبد، فما بينك وبين أن تكون من أحباب الله إلا أن تتقرب إليه بالنوافل بعد الفضائل، فالمحافظة أولا على الفرائض، كالصلوات والصدقات والزكوات والصوم والحج وما أشبه ذلك، وكذلك التقرب إلى الله بترك المحرمات كلها والابتعاد عنها، هذا هو الأول.

وبعد ذلك تتقرب إلى الله تعالى بالنوافل بترك المكروهات وبفعل المستحبات التي رغب الله تعالى فيها وأحبها، مثل نوافل الصلوات، وهي كثيرة، كصلاة الليل والضحى والرواتب وما أشبهها، ونوافل الأذكار التي تفعل في خارج الصلاة من الذكر والدعاء والتسبيح والتكبير والتحميد، وما أشبه ذلك بواسطة قراءة القرآن، والقراءة منها واجب كما في الصلاة، ومنها ما هو مسنون وهو ما يكون خارج الصلاة، وكذلك نوافل الصدقات، والصيام، والجهاد، والحج، والقربات وما أشبه ذلك، كل هذه تسمى تطوعات.

(وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)، وذكر أنه إذا تقرب إليه بهذه القربات فإن الله يحبه، ثم بعد أن يحبه تحصل له هذه الفائدة، وهو أن تكون حركاته كلها فيما يريده الله ويحبه، فلا يتكلم إلا بطاعة، ولا يستمع إلا إلى خير،

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٤/١٨٨

ولا ينشط إلا إلى حسنات أو فعل طاعات، ولا يعمل بيديه إلا ما يرضي ربه سبحانه، ولا ينظر بعينه إلا إلى شيء يفيده وينفعه، فيكون الله تعالى قد وفقه لما أحبه.". (١)

٧٦-"طاعة الله واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم

وأعظم الأسباب التي تجلب محبة الله في الجمل، ويعرفها الإنسان ولا تشكل عليه؛ هي طاعة الله، واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم، إذا حرص الإنسان على طاعة الله جل وعلا واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يعرفه ويعلمه، وصار حرصه عليه أشد من حرصه على جمع المال، فإنه يزداد خيرا ومحبة، والله جل وعلا كذلك يحبه، ويزيد في حبه له؛ لأنه كما جاء في الحديث: (لا يزال العبد يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)، النوافل هي الزائدة على الفرائض، ولكن أداء الفرائض هو الأصل في هذا، فإذا أدى الإنسان الفرائض التي افترضها الله عليه، ثم بعد أداء الفرائض كان عنده رغبة في طاعة الله، فلابد أن يفعل شيئا من النوافل، وقد يزيد.". (٢)

٧٧-"فإن أجابوا إلى ذلك فقد أجابوا إلى الإسلام حقا ، وإن امتنعوا عن شيء من ذلك فالقتال باق بحاله .(فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) حمر النعم / بتسكين الميم ، أي خير لك من الإبل الحمر ، وهي أنفس أموال العرب .قال النووي : (وتشبيه أمور الآخرة بأمور الدنيا ، إنما هي للتقرب إلى الأفهام ، وألا فذرة من الآخرة خير من الأرض بأسرها وأمثالها معها) . أ . هقيل المراد : خير من أن تكون لك فتتصدق بها .وقيل : خير لك من أن تقتنيها وتمتلكها ، وهذا أظهر .المعنى الإجمالي للحديث :أن النبي (بشر الصحابة بانتصار المسلمين على اليهود من الغد على يد رجل له فضيلة عظيمة وموالاة لله ولرسوله فاستشرف الصحابة لذلك كل يود أن يكون هو ذلك الرجل من حرصهم على الخير فلما ذهبوا على الوعد طلب النبي (عليا وصادف أنه لم يحضر لما أصابه من مرض عينيه ثم حضر فتفل النبي (فيهما فزال ما يحس به من الألم زوالا كاملا وسلمه قيادة الجيش وأمره بالمضي على وجهه برفق حتى يقرب من حصن العدو فإن أجابوا أخبرهم بما يجب على المسلم من فرائض ، ثم بين (لعلي فضل الدعوة إلى الله وأن الداعية إذا حصل على يديه هداية رجل واحد فذلك خير له من أنفس الأموال الدنيوية .مناسبة الحديث للباب :أن فيه مشروعية الدعوة إلى الإسلام الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وبيان فضل الدعوة إلى ذلك .من فوائد الحديث :١- فضيلة ظاهرة لعلي وشهادة من الرسول (بموالاته لله ولرسوله .٢- فيه إشارة إلى أن عليا تام الاتباع لرسول الله (**حتى أحبه الله** ، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان ، وبغضه علامة النفاق .٣- فيه إثبات المحبة لله ، وأنه يحب ، وأجمع السلف على ثبوت المحبة لله ، يحب ويحب ، فيجب إثبات ذلك حقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، وهي محبة حقيقية تليق بالله تعالى .قال تعالى : إن الله يحب المحسنين ". (٣)

---

(١) شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لابن جبرين ٩/١٧

(٢) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ١٣/٨٤

(٣) شرح كتاب التوحيد / اللهيميد ص/٥٢

٧٨-"يعني: أن المراد بالمحبة هي الرحمة، كما يقوله الأشاعرة، وليس كذلك، بل المحبة صفة الله – تعالى – غير صفة الرحمة، ورحمة الله – تعالى – لعبده من لوازم محبته له، وقد تقدم تقرير ذلك، والرد على المحرفين من الأشاعرة وغيرهم (١).وأسباب محبة الله – تعالى – لعبده متعددة، حسب ما دلت عليه النصوص في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -، منها: التوبة، فالله – تعالى – يحب التوابين، ومنها: التطهير من الأنجاس الحسية والمعنوية: ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ ومنها: الثبات أمام العدو صفوفا كالبنيان المرصوص: ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ .وفي الحديث الصحيح: ((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به)) الحديث.قوله: ((إن الله تبارك وتعالى)) قال ابن عباس: تبارك: تفاعل من البركة، وهو كقول القائل: تقدس ربنا)) (٢).وقال الأزهري: ((أخبرني المنذري عن أبي العباس، أنه سئل عن تفسير ((تبارك الله)) فقال: ارتفع، والمتبارك: المرتفع، ومعنى البركة: الكثرة في كل خير، وتبارك: تعالى وتعاظم، وقال ابن الأنباري: تبارك الله: أي: يتبرك باسمه في كل أمر، وقال الليث: تبارك الله: تمجيد وتعظيم، وقال أبو بكر: تبارك: تقدس، أي: تطهر، والمقدس: المطهر)) (٣).__________(١) انظر (ص٥٩) من الجزء الأول من هذا الشرح.(٢) انظر ((تفسير الطبري)) (١٧٩/١٨).(٣) تهذيب اللغة)) (٢٣٠/١٠) ملخصا.". (١)

٧٩-"وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدعاء مخ العبادة، ولا يهلك مع الدعاء أحد)(١٤٧).فيا له من عمل يسير وطريق موجز قصير في قضاء الحاجات وتفريج الكربات بين العبد وسيده ومالك أمره، من دون صرف أموال ولا قطع مسافات ولا اختيار وساطات، فلله الحمد والمنة والشكر.خامسا: التوسل:ومن أنواع الأدعية التي جاء النص على تأكيدها التوسل إلى الله عز وجل، وقد أفردناه منفصلا لأهميته، وكثرة الخلاف فيه.والتوسل: مصدر توسل يتوسل، أي: اتخذ وسيلة إلى مقصوده، فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة.وينقسم التوسل إلى قسمين: مشروع وممنوع:القسم الأول: التوسل المشروع:من الأمور التي يحبها الله عز وجل من عباده التقرب له والتودد إليه والتوسل بما شرع الله عز وجل من الفرائض، كالصلاة والزكاة والصوم والنوافل، وترك المحرمات واجتناب المنهيات، والتوسل إليه بأسمائه الحسنى، وبصفاته العلى، والتقرب إليه بالعمل الصالح.فعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال الله عز وجل: من أهان لي وليا فقد أرصدته لمحاربتي، وما تقرب إلي عبد بمثل ما افترضت عليه، وإنه ليتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته... الخبر(١٤٨).فهذه دعوة مستجابة، وسؤال مجاب للولي الحبيب القائم بأمر الله.وهذا التوسل المشروع هو الذي جاء الحث عليه والترغيب فيه من الله سبحانه بقوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة)) [المائدة:٣٥].قال السيد محمد الحسيني الشيرازي:السبب الذي يقربكم إليه سبحانه من فعل الخيرات والأعمال الصالحة(١٤٩).وقال بعضهم: ما تتوسلون به إلى ثوابه من الطاعات(١٥٠).والتوسل له أنواع مشروعة يتوسل بها العبد إلى ربه، منها: ١- التوسل بالإيمان:". (٢)

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان ٢٨٧/٢

(٢) عقيدة أهل البيت ص/٦٢

٨٠-"كما قرن طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه و سلم في مواضع كثيرة

وقال صلى الله عليه و سلم ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب الرجل لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقده منه كما يكره أن يلقى في النار

هذه حال السحرة لما سكنت المحبة قلوبهم سمحوا ببذل النفوس وقالوا لفرعون اقض ما انت قاض ومتى تمكنت المحبة في القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب وهذا هو معنى الحديث الآلهي الذي خرجه البخاري في صحيحه وفيه ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فاذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقد قيل إن في بعض الروايات فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش ". (١)

٨١-"قال الآلوسى : ﴿ كتب الله ﴾ أى : أثبت فى اللوح المحفوظ ، أو قضى وحكم . . . وهذا التعبير جار مجرى القسم ، ولذا قال - سبحانه - : ﴿ لأغلبن أنا ورسلي ﴾ أى : بالحجة والسيف وما يجرى مجراه ، أو بأحدهما . . . ﴿ إن الله قوي ﴾ على نصر رسله وأوليائه ﴿ عزيز ﴾ لا يغلبه غالب بل هو القاهر فوق عباده .والمقصود بالآية الكريمة : تقرير سنة من سننه - تعالى - التى لا تتخلف ، وأن النصر سيكون حليفا لأوليائه ، فى الوقت الذى علمه وأراده .وشبيه بهذه الآية قوله - تعالى - : ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾ وقوله - تعالى - ﴿ ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون ﴾ ثم ختم - سبحانه - السورة الكريمة بهذه الآية الجامعة لصفات المؤمنين الصادقين فقال : ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حآد الله ورسوله ﴾ .وقوله : ﴿ يوآدون ﴾ من الموادة بمعنى حصول المودة والمحبة .أى : لا تجد - أيها الرسول الكريم - قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر حق الإيمان ، يوالون ويحبون من حارب دين الله - تعالى - وأعرض عن هدى رسوله .والمقصود من هذه الآي الكريمة النهى عن موالاة المنافقين وأشبهاهم ، وإنما جاءت بصيغة الخبر ، لأنه أقوى وآكد فى التنفير عن موالاة أعداء الله ، إذ الإتيان بصيغة الخبر تشعر بأن القوم قد امتثلوا لهذا النهى ، وأن الله - سبحانه - قد أخبر عنهم بذلك .وافتتحت الآية بقوله : ﴿ لا تجد قوما ﴾ لأن هذا الافتتاح يثير شوق السامع لمعرفة هؤلاء القوم .وقوله : ﴿ ولو كانوا آبآءهم ﴾ تصريح بوجوب ترك هذه الموادة لمن حارب الله ورسوله ، مهما كانت درجة قرابة هذا المحارب .أى : من شأن المؤمنين الصادقين أن يبتعدوا عن موالاة أعداء الله ورسوله ، ولو كاه هؤلاء الأعداء . ﴿ آبآءهم ﴾ الذين أتوا إلى الحياة عن طريقهم ﴿ أو أبنآءهم ﴾ الذين هم قطعة منهم . ﴿ أو إخوانهم ﴾ الذين تربطهم بهم رابطة الدم ﴿ أو عشيرتهم ﴾ التى ينتسبون إليها ، وذلك لأن قضية الإيمان يجب أن تقدم كل شيء .وقدم الآباء لأنهم أول من تجب طاعتهم ، وثنى بالأبناء لأنهم ألصق الناس بهم ، وثلث بالإخوان لأنهم الناصرون لهم ، وختم بالعشيرة لأن التناصر بها يأتى فى نهاية المطاف .ثم أثنى - سبحانه - على هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين لم يوالوا أعداء الله مهما بلغت درجة قرابتهم فقال : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان ﴾ .أى : أولئك الذين لا يوادون أعداء الله مهما كانوا ، هم الذين كتب الله - تعالى - الإيمان فى قلوبهم ، فاختلط بها واختلطت به ، فصارت قلوبهم لا تحب إلا من أحب دين الله ، ولا تبغض إلا من أبغضه .﴿ وأيدهم بروح منه

---

(١) كلمة الإخلاص ص/٣٤

﴾ أى : وثبتهم وقواهم بنور من عنده – سبحانه – فصاروا بسبب ذلك أشداء على الكفار ، رحماء بينهم .﴿ ويدخلهم ﴾ – سبحانه – يوم القيامة ﴿ جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ خلودا أبديا ، ﴿ رضي الله عنهم ﴾ بسبب طاعتهم له ، ﴿ ورضوا عنه ﴾ بسبب ثوابه لهم .﴿ أولئك ﴾ الموصوفون بذلك ﴿ حزب الله ﴾ الذى يشرف من ينتسب إليه .﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ فلاحا ونجاحا ليس بعدهما فلاح أو نجاح .وقد ذكروا روايات متعددة فى سبب نزول هذه الآية الكريمة ، منها : أنها نزلت فى أبى عبيدة عامر بن الجراح ، فقد قتل أباه – وكان كافرا – فى غزوة بدر .والآية الكريمة تصدق على أبى عبيدة وغيره ممن حاربوا أباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم ، عندما استحب هؤلاء الآباء والأبناء الكفر على الإيمان .وقد أخذ العلماء من هذه الآية الكريمة ، وجوب عدم موالاة الكفار والفساق والمنافقين والمجاهرين بارتكاب المعاصى . . . مهما بلغت درجة قرابتهم ، ومهما كانت منزلتهم .ومن دعاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – " اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى يدا ولا نعمة " .-------------------مواصفات جيل التمكيند. أحمد بلوافي١ – بين يدي الموضوع:عند العودة إلى كتاب الله نجد أن كلمة مكن ومشتقاتها وردت في ما يقرب من العشرين آية (١٦ آية)، اثنتا عشرة آية منها دار مدلول الكلمة فيها حول المعنى الذي نريده؛ وهو أن يجعل الله سبحانه الممكن لهم خلفاء الأرض أي أئمة الناس والولاة عليهم ولهم تخضع البلاد والعباد، وتصلح في حال تولي المؤمنين[١][١] .ومن شأن هذا الأمر أن يسمح للممكن لهم أن تكون لهم اليد الطولي وبسط نفوذهم على من يقع تحت إمرتهم أو إشرافهم، فيستطيعوا من خلال ذلك الموقع فرض أنظمتهم وسن قوانينهم فيسايرهم في ذلك أمما طوعا أو كرها من يقع تحت دائرة تأثيرهم.ومن خلال استعراض الآيات في كتاب الله يتضح هذا الأمر بكل جلاء، ويمكن تقسيم هذا الاستعراض إلى أربعة أقسام:١ – التمكن لنبي الله يوسف عليه السلام، قال تعالى:]وكذلك مكنا ليوسف في الأرض[[يوسف: ٢١]، وقال عز من قائل:]وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين[[يوسف: ٥٦].٢ – التمكين لذي القرنين، قال تعالى:]ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا، إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سببا[[الكهف: ٨٤]، وقال سبحانه:]قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينه ردما[[الكهف: ٩٥].٣ – التمكين للذين كفروا، نذكر منه على سبيل المثال بعض الآيات، قال سبحانه وتعالى في سورة الأعراف، الآية العاشرة بعد أن أقسم جل وعلا أنه سيسأل المرسلين والأقوام الذين أرسلوا فيهم:]ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون[، وقال في سورة الأنعام [٦]:]ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين[، وقال سبحانه في سورة القصص [٥٧]:]وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء[، وغير ذلك من الآيات.٤ – التمكين للمؤمنين أو الوعد لهم بذلك، قال سبحانه عن أصحاب موسى عليه السلام:]وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها[[الأعراف: ١٣٧]، وقال في سورة القصص [٥ – ٦]:]ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين، ونمكن لهم في الأرض[، وقال لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والذين يأتوا من بعدهم:]وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأمر كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من

بعد خوفهم أمنا[[النور: ٥٥]، وقال في سورة الحج [٤١]:]الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور[.هذه معظم المواطن التي وردت فيها كلمة مكن ومشتقاتها وتلك هي معانيها وكلها تدور، كما ذكرنا سابقا، حول إمامة الناس والتولي عليهم وإخضاعهم لسلطة ونفوذ الأقوام الممكن لهم. ولنا كلمة أو وقفة حول الوعد بالتمكين للمؤمنين حيث أنه عند استعراض الآيات التي يتعلق أمر التمكين فيها للمؤمنين نجد أن الله يتحدث على ما بعد التمكين وما يجب أن يكون عليه أمر الفئة الممكن لها، وهو الأمر الخطير، وذلك لأن النفوس في حال النصر والتمكين والظفر برقاب الناس قد يخالط سويداء قلوبها ما يجعلها تتكبر على الخلق وتنتقم منهم، فاقتضى المقام التنبيه على ذلك، كما قال موسى عليه السلام لقومه المستضعفين:]عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون[، وتذكير المؤمنين أن تمكينهم يختلف عن تمكين غيرهم، فهم يمثلون مبدأ ورسالة سماوية وليس منهجا أرضيا، وهم فوق ذلك مؤتمنون عليها، فهذا الذي ائتمنهم – وهو الله جل جلاله – يقول لهم: هذا هو الحال الذي أطلب منكم أن تكونوا عليه عند حصول التمكين لكم.ونحن نتطلع إلى ذلك اليوم الذي يعز الله فيه الإسلام وجنده، ويخذل الشرك وأهله، يجب علينا أن نضع هذه المعاني نصب أعيننا حتى نزيل العوائق التي تحول بين هذا الواقع المشرق المضيء وبين واقع الذل والهوان الذي نتجرع كؤوسه كل يوم.٢ – بين الوعد والتهديد:وعد الله الذين آمنوا بالنصر والتمكين ثم الظفر بأعدائهم في آيات كثيرة من كتابه العزيز، والله لا يخلف وعده، فإذا ما تخلف هذا الوعد وتأخر فعلى المؤمنين أن يراجعوا مسيرتهم وأن يتهموا أنفسهم ليكتشفوا المثالب والأخطاء التي وقعوا فيها حتى يتجنبوها، ويجب عليهم أن يقتلعوها من جذورها حتى لا تألفها النفوس وتعتاد على العيش في مستنقعها الآسن [كما هو واقعنا اليوم فإلى الله المشتكى].فالحق جل في علاه يقول:]إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد[،]وكان حقا علينا نصر المؤمنين[،]والعاقبة للمتقين[،]واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفين في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره[،]وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب[، وغير ذلك مما هو مبسوط في كتاب الله، أو مبين في سنة رسوله عليه السلام.هذا الرب الرحيم الودود الذي قطع على نفسه هذا الوعد، هو الذي هدد من يتقاعس أو يتوانى أو يرتد عن نصرة هذا الدين بالاستبدال في حال الإقدام على هذه الأمور الذميمة.فقال في سورة المائدة [٥٤]:]يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم – إلى قوله – والله واسع عليم[.وقال في سورة التوبة:]قل إن كان آباؤكم – إلى قوله – والله لا يهدي القوم الفاسقين[، وقال:]يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله – إلى قوله – والله على كل شيء قدير[.وقال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم:]ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني – إلى قوله – ثم لا يكونوا أمثالكم[، قال القرطبي: "أي في الجهاد وطرق الخير".وبالعودة إلى أسباب النزول وبعض ما تضمنته هذه الآيات من أحكام نجد ما يلي:١ – ذكر المفسرون عند آيات سورة المائدة بعض الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم تبين ما سيقع في هذه الأمة من ارتداد بعض الطوائف عن الإسلام، وذلك لأن هذه الآية كانت من أواخر ما نزل في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حول هذه الآية وما قبلها في سورة المائدة: "فالمخاطبون بالنهي عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة، ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة، وهو سبحانه لما نهى عن موالاة الكفار، وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم؛ بين أن

من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام شيئا، بل سيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه، فيتولون المؤمنين دون الكفار، ويجاهدون في سبيل الله؛ لا يخافون لومة لائم – إلى أن قال – فهؤلاء الذين لم يدخلوا في الإسلام، وأولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه؛ لا يضرون الإسلام شيئا، بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله وينصر دينه إلى قيام الساعة" [من وسائل دفع الغربة، ص ٦٣ – ٦٤].٢ – آيات سورة التوبة، جاءت عقب النهي عن موالاة الآباء والإخوة الكفار وختم ذلك بقوله:]والله لا يهدي القوم الفاسقين[، يقول الألوسي رحمه الله: "أي الخارجين عن الطاعة في موالاة المشركين وتقديم محبة من ذكر على محبة الله عز وجل ورسوله..." اهـ.٣ –]يستبدل قوما غيركم[، "وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال، أي قوما مطيعين، مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من أولادكم ولا أرحامكم وهم أبناء فارس كما قال سعيد بن جبير، أو أهل اليمن، كما روي عن أبي روق، أو ما يعم الفريقين كما اختاره بعض المحققين" [نفس المرجع: ص ١٣٣].٤ – آية التوبة:]يا أيها الذين آمنوا مالكم...[، قال ابن عطية: "ولا اختلاف بين العلماء في أن هذه الآية نزلت عتابا على تخلف من تخلف عن غزوة تبوك..." اهـ.يتبين من خلال الجمع بين هذه النصوص؛ نصوص الوعد ونصوص التهديد أن أمر التمكين والظفر بالأعداء لا يستحقه كل من انضوى تحت مسمى الإيمان وهو مع ذلك راكد لا تهز كيانه ولا تحرك مشاعره ووجدانه نداءات الوحي ومتطلبات الإيمان. كلا، إن هذا الأمر لا يستحقه إلا من تخلى عن الصفات الذميمة التي ذكرها الله في معرض التهديد، واتصف بالصفات الإيجابية التي ذكرت في تلك الآيات أو في غيرها، وإليك أخي الكريم بيان موجز لبعض تلك الصفات التي نسأل الله أن يوفقنا لامتثالها في حياتنا وفي أنفسنا حتى يغير الله ما بنا من واقع الذل والهوان.٣ – بعض المواصفات: يصعب حصر تلك الصفات وتناولها بشيء من التفصيل في مثل هذا الحيز المتاح، وما سيرد ذكره هو على سبيل المثال ومما استدعى المقام الإشارة إليه لأهميته وتذكير أنفسنا به.أ – أولى هذه المواصفات: أنه جيل يحب الله ويحبه الله.قال تعالى:]فسوف يأتي الله بقوم يحبهم الله ويحبونهم[، وهذه أول صفة ذكرها الله في معرض تهديد من ارتد عن الإسلام، وبالعودة إلى الآيات التي ذكرناها سابقا نجد أن هذه الصفة من أهم الخصال التي يجب أن يتحلى بها يريد أن يحقق الله على يديه أمر إعزاز الإسلام والمسلمين.فتقديم محاب الله ورسوله على الأمور التي جبل الإنسان على محبتها مثل المال والولد والزوج والعشيرة أو النفس أو غيرهما دلالة كذلك على صدق هذه المحبة ومحك لاختبار دعوى من يتشدق بها.]ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا[لماذا]إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا[.ولهذا نقل عن السلف قولهم أن قوما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا محبة الله فاختبرهم الله جل وعلا بقوله في سورة آل عمران:]قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله[[آل عمران: ٣١]، وتسمى هذه الآية آية المحنة لامتحانها القلوب في ادعائها هذا.ومحبة الله عبده رضاه عنه وتيسير الخير له، ومحبة العبد ربه انفعال النفس نحو تعظيمه والأنس بذكره وامتثال أمره والدفاع عن دينه [ابن عاشور: ٢٣٦].وإننا في هذه الأيام وفي هذه الديار لفي أشد الحاجة إلى تذكير هذه المعاني والعمل بمقتضاها وترك ما ينافيها وذلك بعرض أعمالنا وأقوالنا على المحجة البيضاء التي تركنا عليها خير الورى.وسنعيش لحظات مع بعض المعاني والآثار التي أوردها ابن القيم رحمه الله في كتابه الرائع (مدارج السالكين) وذلك بتناول الأمور التالية:١ – أهمية المحبة: وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفانى المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون،

فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام.وهي سمة هذه الطائفة المسافرين إلى ربهم، الذين ركبوا جناح السفر إليه، ثم لم يفارقوه إلى حين اللقاء، وهم الذين قعدوا على الحقائق، وقعد من سواهم على الرسوم.وهي عنوان طريقتهم ودليلها، فإن العنوان يدل على الكتاب، والمحبة تدل على صدق الطالب، وأنه من أهل الطريق.كما إنها "معقد النسبة" أي النسبة التي بين الرب وبين العبد، فإنه لا نسبة بين الله وبين العبد إلا محض العبودية من العبد والربوبية من الرب، وليس في العبد شيء من الربوبية، ولا في الرب شيء من العبودية، فالعبد عبد من كل وجه، والرب تعالى هو الإله الحق من كل وجه.ومعقد نسبة العبودية هو المحبة، فالعبودية معقودة بها، بحيث متى انحلت المحبة انحلت العبودية، والله أعلم.وهي روح الإيمان والأعمال، والمقامات والأحوال، التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها، وتبوؤهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها داخليها، وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائما إلى الحبيب، وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى من قريب، تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة، إذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب، وقد قضى الله – يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة – : أن المرء مع من أحب، فيالها من نعمة على المحبين سابغة.ومضى يقول رحمه الله:فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان، ولتعطلت منازل السير إلى الله، فإنها روح كل مقام ومنزلة وعمل، فإذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها إلى الأعمال كنسبة الإخلاص إليها، بل هي حقيقة الإخلاص، بل هي نفس الإسلام، فإنه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له لا إسلام له ألبتة، بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله، فإن "الإله" هو الذي يأله العباد حبا وذلا، وخوفا ورجاء، وتعظيما وطاعة له. بمعنى "مألوه" وهو الذي تأله القلوب، أي تحبه وتذل له.٢ – حقيقتها: لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة]قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله[[آل عمران: ٣١].فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية:]يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمة[[المائدة: ٥٤].فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم. فهلموا إلى بيعة]إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة[[التوبة: ١١١].فلما عرفوا عظمة المشتري، وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع، عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي، من غير ثبوت خيار، وقالوا: "والله لا نقيلك ولا نستقيلك".فلما تم العقد، وسلموا المبيع، قيل لهم: مذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت، وأضعافها معا:]ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله[[آل عمران: ١٦٩، ١٧٠].إذا غرست شجرة المحبة في القلب، وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب، أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها، أصلها ثابت في قرار القلب، وفرعها متصل بسدرة المنتهى.ومن أجمع ما قيل فيها: ما ذكره أبو بكر الكتاني، قال: جرت مسألة في المحبة بمكة أعزها الله تعالى – أيام الموسم – فتلكم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنا،

فقالوا: هات ما عندك يا عراقي، فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه، متصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، فإن تكلم فبالله، وإن نطق فعن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله.فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جزاك الله ياتاج العارفين.٣ - الأسباب الجالبة لها: في الأسباب الجالبة للمحبة، والموجبة لها. عشرة:أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به.الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب، والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.الرابع: إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه وإن صعب المرتقى.الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبه لا محالة.السادس: مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنه والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.السابع: وهو من أعجبها - انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى، وليس في التعبير عن هذا المعنى غير الأسماء والعبارات.الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه، ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.التاسع: مجالسة المحبين الصادقين، والتقاط أطايب ثمرات كلامهم كما تنتقى أطايب الثمر، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام، وعلمت أن فيه مزيدا لحالك، ومنفعة لغيرك.العاشر: مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.فمن هذه الأسباب العشرة: وصل المحبون إلى منازل المحبة، ودخلوا على الحبيب، وملاك ذلك كله أمران: استعداد الروح لهذا الشأن، وانفتاح عين البصيرة، وبالله التوفيق.٤ - بعض الآثار في تبيين حقيقتها وأهميتها: ففي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر - بعد إذ أنقذه الله منه - كما يكره أن يلقى في النار"[٢][٢] .وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد أذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"[٣][٣] ، وفي الصحيحين عنه أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا أحب الله العبد دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء، إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض"[٤][٤] . وذكر في البغض عكس ذلك.وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنهما في حديث أمير السرية الذي كان يقرأ]قل هو الله أحد[لأصحابه في كل صلاة، وقال: لأنها صفة الرحمن، فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أخبروه أن الله يحبه"[٥][٥] .والقرآن والسنة مملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه من عباده المؤمنين، وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم، كقوله تعالى:]والله يحب الصابرين[[آل عمران: ١٤٦]،]والله يحب المحسنين[[آل عمران: ١٣٤]،]إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[[البقرة: ٢٢٢]،]إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[[الصف: ٤]،]فإنه الله يحب المتقين[[آل عمران: ٧٦].وقوله في ضد ذلك:]والله لا يحب الفساد[[البقرة: ٢٠٥]،]إن الله لا يحب كل مختال فخور[[لقمان: ١٨]،]والله لا يحب الظالمين[[آل عمران: ٥٧، ١٤٠]،]إن الله لا يحب من كان مختالا

كفورا[[النساء: ٣٦].وكم في السنة: "أحب الأعمال إلى الله كذا وكذا"، و "إن الله يحب كذا وكذا"، وكقوله: "أحب الأعمال إلى الله: الصلاة على أول وقتها، ثم بر الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله"[٦][٦] ، و "أحب الأعمال إلى الله: الإيمان بالله، ثم الجهاد في سبيل الله، ثم حج مبرور"[٧][٧] ، و "أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه"[٨][٨] ، وقوله: "إن الله يحب أن يؤخذ برخصه"[٩][٩] .وبعد؛ لقد حاولنا الطواف والوقوف على بعض المعاني والآثار التي تبين حقيقة وأهمية محبة العبد لله ومحبة الله للعبد، فعلينا أن نلزم تلك الحدود وأن لا نتعداها أو نبخسها حقها، وعلينا فوق ذلك أن نعرض أعمالنا وأقوالنا على هذه الموازين الثابتة لننظر هل نحن فعلا صادقون في دعوانا أننا نحب الله فإذا كانت إجابتنا إيجابا حمدنا الله على ذلك وشمرنا على ساعد الجد والاجتهاد لطلب المزيد. وإذا كانت غير ذلك فما علينا إلا أن نسارع إلى تدارك ما فاتنا من نقص حتى لا نكون سببا في هلاك أنفسنا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، ونكون سببا في زيادة بلايانا ورزايانا بما كسبت أيدينا من معاص وآثام.ب – ثاني هذه المواصفات: أنه جيل مجاهد لا تأخذه في الله لومة لائم: قال تعالى:]يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائمة[، وقال جل شأنه:]إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن – إلى قوله – ذلك هو الفوز العظيم[[التوبة: ١١١].والحديث عن الجهاد وأثره في إعزاز أمة الإسلام يطول، ويكفي أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر في الأحاديث الصحيحة أن الأمة سيصيبها الذل والصغار إن هي تركت هذه الشعيرة العظيمة وأنه لا يرفع عنها لباس الهوان هذا إلا العودة الصادقة إلى ممارسة هذه الشعيرة وتربية الأجيال على معانيها وطلب معاليها.يقول سيد رحمه الله معلقا على آيتي ٣٨ و ٣٩ من سورة التوبة: "والعذاب الذي يتهددهم ليس عذاب الآخرة وحده؛ فهو كذلك عذاب الدنيا، عذاب الذلة التي تصيب القاعدين واستغلالها للمعادين، وهم كذلك يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون من الكفاح والجهاد، ويقدمون على مذابح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرام لو قدموا لها الغداء، وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب عليها الذل فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء" اهـ.وقد مثل جيل الصحابة رضوان الله عليهم النموذج الفذ في تطبيق متطلبات الجهاد والشوق إلى ما عند الله، وهذا الأمر له صلة بما قبله، وذلك لأن هذا الجيل أحب الله وأحب لقاءه، فكان يبحث عن أيسر السبل التي توصله إلى محبوبة، فوجد في حب الشهادة والاستشهاد وامتطاء صهوة جوادها الوسيلة المثلى لتحقيق هذا المبتغى.فكانت تحيتهم هذه نقيض ما قاله من كانوا مع موسى عليه السلام:]اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون[، بل قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم: "اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون".ولا يتسع المقام إلى العيش مع صور من تلك البطولات فعلى المرء أن يطلبها من مظانها وأن يستلذ بالاطلاع عليها ويجعل ذلك جزءا من برنامجه التربوي حتى تعلو همته، وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون أبناءهم مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعلمونهم السورة من القرآن.وقبل أن نترك هذه الخصلة لابد أن نشير إلى أن للجهاد أحكاما وضوابطا ليس هذا مجال التفصيل فيها، كما أن له أخلاقا تبين المجاهد الصادق من غيره. فمن أخلاق المجاهدين الرحمة والشفقة بالناس والأخذ بأيديهم إلى طريق الحق وليس من أخلاقهم التعالي والتكبر واحتقار جهد الآخرين والنظر إليهم بعين الازدراء والسخرية.فقد كان الصحابة أكبر المجاهدين وأفضل المضحين ولكنهم مع ذلك كانوا]رحماء بينهم[و]أشد على الكفار[،]أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين[، أما الذين

يزايدون ببعض بطولاتهم ويتشدقون بذلك، فعليهم أن يراجعوا مسيرتهم ويعرضوها على نقاء السيرة التي تركها رجال خير القرون. فهؤلاء الأفذاذ على ما بذلوه من تضحية وجهاد وعلم وعمل كانوا دائما يخافون من أن تحبط أعمالهم وكانوا دائما يحتقرون تلك الأعمال مقابل ما أعده الله لهم من جنات النعيم.فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل أمين سر النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان رضي الله عنه هل ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في عداد المنافقين الذين أسر له بهم وهذا التابعي بن أبي مليكة يقول: أدركت ثلاثين من أصحاب محمد، كلهم يخشى النفاق على نفسه، ما منهم أحد يقول أن إيمانه على مستوى إيمان ميكائيل وجبرائيل، وغير ذلك من الآثار كثير، التي تبين تواضع القوم وانكسار قلوبهم وإخباتها لربها، على عكس كثير ممن رفعوا شعار هذه الفريضة في هذا الزمان أو تصدوا لأعمال دعوية أخرى تتطلب الشجاعة والإقدام فتباهوا على الناس بها وازدروا أعمال غيرهم الصائبة.وذكر هذه المسألة والتركيز عليها من شأنه أن يجعلنا دائما – مهما قدسنا من أعمال وتضحيات – في مراجعة دائمة لسيرنا ومسيرتنا وذلك حتى نتدارك عوامل الخلل والنقص والمواطن التي أتى أعداؤنا إلينا منها، ومن ذلك نذكر القضايا التالية:١ – التشرذم، فلا يعقل في عصر تكالبت علينا فيه الأمم قاطبة والأعداء بجميع أصنافهم أن ينفرد بأمر المواجهة فئة من الناس غير واضعة في حسابها هذه المعادلة، مع ما أوجبه الله سبحانه وتعالى من ضرورة تراص الصفوف والتصاقها ببعضها في ساحات الوغى]إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[.٢ – معرفة أحكام الجهاد ومعالمه حتى نسير في كل خطوة نخطوها على بينة من أمرنا، فالله تعبدنا بما شرع لنا هو لا بما شرعت لنا أنفسنا وأهواؤها.٣ – معرفة الراية التي نقاتل تحتها، وهي الراية التي تكون كلمة الله تحت لوائها هي العليا وليس القتال من أجل القومية أو الحزب أو الجماعة أو الحمية والشجاعة وإنما من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا.ج – ثالث هذه الصفات: أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين: قال تعالى:]محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم[، وقال:]واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين[،]ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك[، نعم هكذا كان حال الرعيل الأول، وذلك كان حال معلمهم معهم، وهكذا يجب أن يكون حال من يريد اقتفاء أثرهم وتحقيق الثمرة التي حققوها، من خفض الجناح ولين الجانب عندما يتعلق الأمر بالمؤمنين وبالشدة والعزة والإباء عندما يتعلق الأمر بأعداء الله المحاربين.يقول ابن عاشور عند آية سورة المائدة: "فالمراد هنا بالذل بمعنى لين الجانب وتوطئة الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع، ولذلك علق به قوله]على المؤمنين[... والأعز جمع العزيز، فهو المتصف بالعزة وهو القوة والاستقلال... وفي [أي الجمع بين صفتي الذلة والعزة] إيماء إلى أن صفاتهم تسيرها آراؤهم الحصيفة [المنقادة للشرع] فليسوا مندفعين إلى فعل ما إلا عن بصيرة، وليسوا ممن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة بأن يكون لينا في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال، قال [الشاعر]:حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم في عين العدو مهيب" اهـ.وهذا الذي ذكره الله في هذا الموضع من ضرورة وإيجاب التصرف في كل حال ومع كل قوم بما يناسب المقام شبيه بقوله سبحانه في سورة هود:]فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا[، وهي الآية التي شيبت النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر ذلك المفسرون.قال الألوسي عند نفس الآية [آية سورة المائدة]: "]أذلة على المؤمنين[عاطفين عليهم متذللين لهم... وكان الظاهر أن يقال: أذلة للمؤمنين كما يقال تذلل له، ولا يقال: تذلل عليه للمنافاة بين التذلل والعلو لكنه عدي بعلى لتضمينه معنى العطف

والحنو المتعدي بها، وقل: للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم، ولعل المراد بذلك أنه استعيرت (على) لمعنى اللام ليؤذن بأنهم غلبوا غيرهم من المؤمنين في التواضع حتى علوهم بهذه الصفة..." اهـ.قال الشاعر:ملأ السنابل تنحني لخشوع والفارغات رؤوسهن شوامخإن الإيمان إذا سكن في القلب واستجابت لذلك الجوارح تحول المؤمن إلى شجرة طيبة ريحها وثمرها يسقي من ماء غير آسن وأصلها ثابت وفرعها في السماء.يقول صاحب زبدة التفسير: "أي يظهرون العطف والحنو والتواضع للمؤمنين، ويظهرون الشدة والغلظة والترفع على الكافرين، ويجمعون بين المجاهدة في سبيل الله، وعدم خوف الملامة في الدين، بل هم متصلبون لا يبالون بما يفعله أعداء الحق وحزب الشيطان، من الازدراء بأهل الدين، وقلب محاسنهم مساوئ، ومناقبهم مثالب، حسدا وبغضا وكراهة للحق وأهله" اهـ.قال ابن كثير رحمه الله عند نفس الآية [آية سورة المائدة]: "وهذه صفات المؤمنين الكهل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه متعززا على عدوه كقوله تعالى:]أشداء على الكفار رحماء بينهم[ومن علامة حب الله تعالى للمؤمنين أن يكون لين الجانب متواضعا لإخوانه المؤمنين، متسربلا بالعزة حيال الكافرين والمنافقين" اهـ.وهذا ما تضافرت نصوص الوحي لتثبيته في قلوب الناس وليكون من يريد تحقيق أمر التمكين على يديه مثالا يحتذى في تطبيق هذه الأخلاق الرائعة والعمل بها، ولقد خوطب النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لو كان غليظ القلب شديدا مع أصحابه لانفضوا من حوله:]ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك[.الفظ: الغليظ السيء الخلق.انفضوا: تفرقوا.ونذكر هنا بعضا من النصوص وأقوال أهل العلم التي تحث المؤمنين على هذه الأخلاق:١ - بعض النصوص: قال الله تعالى:]وعباد الرحمن الذين يمشون في الأرض هونا[[الفرقان: ٦١]، أي سكينة ووقارا متواضعين، غير أشرين، ولا مرحين ولا متكبرين، قال الحسن: علماء حلماء، وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفهون، وإن سفه عليهم حلموا.و "الهون" بالفتح في اللغة: الرفق واللين. والهون بالضم: الهوان، فالمفتوح منه: صفة أهل الإيمان، والمضموم: صفة أهل الكفران، وجزاؤهم من الله النيران.وقال تعالى:]يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين[[المائدة: ٥٤].لما كان الذل منهم ذل رحمة وعطف وشفقة وإخبات عداه بأداة "على" تضمينا لمعاني هذه الأفعال، فإنه لم يرد به ذل الهوان الذي صاحبه ذليل، وإنما هو ذل اللين والانقياد الذي صاحبه ذلول، فالمؤمن ذلول، كما في الحديث: "المؤمن كالجمل الذلول، والمنافق والفاسق ذليل"[١٠][١٠] وأربعة يعشقهم الذل أشد العشق: الكذاب، والنمام، والبخيل، والجبار.وقوله:]أعزة على الكافرين[هو من عزة القوة والمنعة والغلبة. قال عطاء رضي الله عنه: للمؤمنين كالوالد لولده، وعلى الكافرين كالسبع على فريسته، كما قال في الآية الأخرى]أشداء على الكفار رحماء بينهم[[الفتح: ٢٩].وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أوحى إلي: أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد"[١١][١١] .وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"[١٢][١٢].وفي حديث احتجاج الجنة والنار: "أن النار قالت: مالي لا يدخلني غلا الجبارون، والمتكبرون وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم" وهو في الصحيح[١٣][١٣] .وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد وعن أبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله عز وجل: العزة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني عذبته"[١٤][١٤] .٢ - هدي النبي صلى الله عليه

وسلم في ذلك:وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر على الصبيان فيسلم عليهم[١٥][١٥] .وكانت الأمة تأخذ بيده صلى الله عليه وسلم، فتنطلق به حيث شاءت[١٦][١٦].وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أكل لعق أصابعه الثلاث[١٧][١٧] .وكان صلى الله عليه وسلم يكون في بيته في خدمة أهله[١٨][١٨] ولم يكن ينتقم لنفسه قط[١٩][١٩] .وكان صلى الله عليه وسلم يخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله[٢٠][٢٠] .ويعلف البعير ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما[٢١][٢١]، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء[٢٢][٢٢] .وكان صلى الله عليه وسلم هي المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساما، متواضعا من غير ذلة، جوادا من غير سرف، رقيق القلب، رحيما بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم.وقال صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار – أو تحرم عليه النار – تحرم على كل قريب هين لين سهل" رواه الترمذي، وقال حديث حسن[٢٣][٢٣] .وقال: "لو دعيت إلى ذراع – أو كراع – لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع – أو كراع – لقبلت" رواه البخاري[٢٤][٢٤] .٣ – حقيقة الذل والتواضع:سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: يخضع للحق، وينقاد له. ويقبله ممن قاله.وقال الجنيد بن محمد: هو خفض الجناح، ولين الجانب.وقال ابن عطاء: هو قبول الحق ممن كان، والعز في التواضع، فمن طلبه في الكبر فهو كتطلب الماء من النار.وقال إبراهيم بن شيبان: الشرف في التواضع، والعز في التقوى، والحرية في القناعة.وقال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء، فقلت: "يا أمر المؤمنين؛ لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها".وولي أبو هريرة رضي الله عنه إمارة مرة، فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره، ويقول: طرقوا للأمير.ومر الحسن على صبيان معهم كسر خبز، فاستضافوه، فنزل فأكل معهم، ثم حملهم إلى منزله، فأطعمهم وكساهم، وقال: اليد لهم، لأنهم لا يجدون شيئا غير ما أطعموني، ونحن نجد أكثر ممنه.ويذكر أن أبا ذر رضي الله عنه عير بلالا رضي الله عنه بسواده، ثم ندم، فألقى بنفسه، فحلف: لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه، فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال.وروح التواضع: أن يتواضع العبد لصولة الحق. بأن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له، والذل، والانقياد، والدخول تحت رقة، بحيث يكون الحق متصرفا فيه تصرف المالك في مملوكه، فبهذا يحصل للعبد خلق التواضع، ولهذا فسر النبي صلى الله عليه وسلم الكبر بضده، فقال: "الكبر بطر الحق، وغمص الناس"[٢٥][٢٥] . فبطر الحق: رده وجحده، والدفع في صدره، كدفع الصائل، و "غمص الناس" احتقارهم، وازدراؤهم، ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم، وجحدها، واستهان بها.ولما كان لصاحب الحق مقالة وصولة: كانت النفوس المتكبرة لا تقر له بالصولة على تلك الصولة التي فيها، ولا سيما النفوس المبطلة، فتصول على صولة الحق بكبرها وباطلها، فكان حقيقة التواضع: خضوع العبد لصولة الحق، وانقياده لها، فلا يقابلها بصولته عليها.وجمال التواضع إنما يكون بأن ترضى بما رضي الحق به لنفسه عبدا من المسلمين أخا، وأن لا ترد على عدوك حقا، وأن تقبل من المعتذر معاذيره.فإذا كان الله قد رضي أخاك المسلم عبدا، أفلا ترضى أنت به أخا فعدم رضاك به أخا: عين الكبر، وأي قبيح أقبح من تكبر العبد على عبد مثله، لا يرضى بأخوته، والله راض بعبوديته.ولا تصح لك درجة "التواضع" حتى تقبل الحق ممن تحب وممن تبغض فتقبله من عدوك كما تقبله من وليك، وإذا لم ترد عليه حقه، فكيف تمنعه حقا له قبلك بل حقيقة "التواضع" أنه إذا جاءك قبلته منه، وإذا كان له عليك حق

أذيته إليه، فلا تمنعك عداوته من قبول حقه، ولا من إيتائه إياه.وكذلك من أساء إليك ثم جاء يعتذر عن إساءته فإن "التواضع" يوجب عليك قبول معذرته، حقا كانت أو باطلا، وتكل سريرته إلى الله تعالى، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين الذين تخلفوا عنه في الغزو، فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه، فقبل أعذارهم، ووكل سرائرهم إلى الله تعالى[٢٦][٢٦] .وعلامة الكبر والتواضع: أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفه عليه ولا تحاجه، وقل: يمكن أن يكون الأمر كما تقول، ولو قضي شيء لكان، والمقدور ولا مدفع له، ونحو ذلك.وتمام التواضع: أن لا يرى العابد لنفسه حقا على الله لأجل عمله، فإنه في عبودية وفقر محض، وذل وانكسار، فمتى رأى لنفسه على الله حقا: فسدت عبوديته، وصارت معلولة وخيف منها المقت. ولا ينافي هذا ما أحقه سبحانه على نفسه، من إثابة عابديه وإكرامهم، فإن ذلك حق أحقه على نفسه بمحض كرمه وبره وجوده وإحسانه، لا باستحقاق العبيد، وأنهم أوجبوه عليه بأعمالهم.هذه جملة من المعاني التي تبين حقيقة خفض الجانب والوضع الذي يجب أن يكون عليه المؤمن حيال إخوانه، ونقيض ذلك ينسحب على معاملة غير المعلم على أن لا تتعدى حدود الشرع فنفرق بين المحارب والمعاهد المسالم فنلتزم في كل حالة حسب ما يطلب الشارع سبحانه ولا خيار لنا في ذلك، وهذا الموضوع يطول التفصيل فيه فاعقل هذا الإجمال واعمل به وإذا أردت التفصيل فاطلبه من مظانه.وعلينا بعد هذا الإيضاح والتبيان أن نعرض حالنا كأفراد وجماعات على هذا الميزان الدقيق: فهل هو موافق أم مخالف لتلك الآثار والمعاني الجميلة.د – رابع هذه الصفات: صابر وثابت على المبدأ مهما ادلهمت الخطوب: قال عز من قائل:]واصبر كما صبر أولو العزم من الرسل[، وقال:]وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون[[الأعراف: ١٣٧].اقتضت حكمة الله جل في علاه أن يكون هناك تدافع بين الناس وذلك لوجود الخير والشر والحق والباطل، ومن خلال هذه المدافعة تتمايز الصفوف، قال جل في علاه:]ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين[،]ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز[، وهذه الآية الأخيرة جاءت بعد أن بين الله سبحانه وتعالى أنه يدافع عن الذين آمنوا وأنه أذن لهم القتال لهم قال في محكم كتابه:]إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير[لماذا قيل لهم هذا ونزل لهم هذا التشريع لأنهم أخرجوا من ديارهم بغير حق:]الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله[.فبين سياق هذه الآيات المحكمات وترتيبها أن هناك فريق مظلوم يجب عليه أن يدفع هذا الظلم الذي حصل له وهو فريق الحق، وأن هناك فريق معتد ظالم متكبر وهو فريق الباطل يجب أن يردع وأن يوقف عند حده.إن هذا الوضع وهذه السنة بالنسبة للمؤمنين تتطلب منهم عدة أكبر من عدة عدوهم، فكان من الله أن أرشدهم إلى ذلك قائلا:]يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون[، المصابرة: وهي مقابلة صبر الآخرين والتغلب عليه. وحديثنا عن الصبر يتناول الجوانب الآتية:١ – الصبر في القرآن:قال الإمام أحمد رحمه الله: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعا.وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان ، فإن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعا.الأول: الأمر به: نحو قوله تعالى:]يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة[[البقرة: ١٥٣]، وقوله:]واستعينوا بالصبر والصلاة[[البقرة: ٤٥]، وقوله:]اصبروا وصابروا[[آل عمران: ٢٠٠]، وقوله:]واصبر وما صبرك إلا بالله[[النحل:

١٢٧].الثاني: النهي عن ضده كقوله:]فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل به[[الأحقاف: ٣٥]، وقوله:]فلا تولوهم الأدبار[[الأنفال: ١٥]، فإن تولية الأدبار ترك للصبر والمصابرة، وقوله:]ولا تبطلوا أعمالكم[[محمد: ٣٣]، فإن ابطالها ترك الصبر على إتمامها، وقوله:]ولا تهنوا ولا تحزنوا[[آل عمران: ١٣٩]، فإن الوهن من عدم الصبر.الثالث: الثناء على أهله، كقوله تعالى:]الصابرين والصادقين[[آل عمران: ١٧]، وقوله:]والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون[[البقرة: ١٧٧]، وهو كير في القرآن.الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم، كقوله:]والله يحب الصابرين[[البقرة: ١٤٦].الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي معية خاصة، تتضمن حفظهم ونصرهم، وتأييدهم، ليست معية عامة، وهي معية العلم، والإحاطة، كقوله:]واصبروا إن الله مع الصابرين[[الأنفال: ٤٦]، وقوله:]والله مع الصابرين[[البقرة: ٢٤٩، الأنفال: ٦٦].السادس: إخباره بأن الصبر خير لأصحابه، كقوله:]ولئن صبرتم لهو خير للصابرين[[النحل: ١٢٦]، وقوله:]وأن تصبروا خير لكم[[النساء: ٢٥].السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم، كقوله تعالى:]ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون[[النحل: ٩٦].الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالى:]إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب[[الزمر: ١٠].التاسع: إطلاق البشرى لأهل الصبر، كقوله تعالى:]ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين[[البقرة: ١٥٥].العاشر: ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى:]بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين[[آل عمران: ١٢٥]، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "واعلم أن النصر مع الصبر"[٢٧][٢٧] .الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى:]ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور[[الشورى: ٤٣].الثاني عشر: الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر، كقوله تعالى:]ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرين[[القصص: ٨٠]، وقوله:]وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم[[فصلت: ٣٥].الثالث عشر: الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر، كقوله تعالى لموسى:]أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور[[إبراهيم: ٥]، وقوله في أهل سبأ:]فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور[[سبأ: ١٩]، وقوله في سورة الشورى:]ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور[[الشورى: ٣٢، ٣٣].الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة، إنما نالوه بالصبر، كقوله تعالى:]والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار[[الرعد: ٢٣، ٢٤].الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة، سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: بالصبر واليقين تنال الإمام في الدين، ثم تلا قوله تعالى:]وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون[[السجدة: ٢٤].السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام، والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين وبالإيمان، وبالتقوى والتوكل، وبالشكر والعمل الصالح والرحمة.ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنه لا جسد لمن لا رأس له، وقال عمرو بن الخطاب رضي الله عنه: "خير عيش أدركناه بالصبر" وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح "أنه ضياء"[٢٨][٢٨] ، وقال: "من يتصبر يصبره الله"[٢٩][٢٩] .وفي الحديث

الصحيح: "عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كل له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سراء شكر، فكان خير له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيرا له"[٣٠][٣٠] .وأمر الأنصار رضي الله عنهم، بأن يصبروا على الأثرة التي يلقونها بعده، حتى يلقوه على الحوض[٣١][٣١] .وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر، وأمر بالصبر عند المعصية، وأخبر "أنه إنما يكون عند الصدمة الأولى"[٣٢][٣٢] .وأمر صلى الله عليه وسلم المصاب بأنفع الأمور له، وهو الصبر والاحتساب، فإن ذلك يخفف مصيبته، ويوفر أجره، والجزع والتسخط والتشكي يزيد في المصيبة، ويذهب الأجر.وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الصبر خير كله، فقال: "ما أعطي أحد عطاء خيرا له وأوسع من الصبر"[٣٣][٣٣] .٢ – معنى الصبر وأنواعه:و الصبر في اللغة: الحبس والكف، ومنه قتل فلان صبرا: إذا أمسك وحبس، ومنه قول تعالى:]واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه[[الكهف: ٢٨]، أي احبس نفسك معهم.فالصبر: حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش.وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله.٣ – مراتب الصبر:وهو على ثلاثة أنواع: صبر بالله، وصبر لله، وصبر مع الله.فالأول: الاستعانة به، ورؤيته أنه هو المصبر، وأن صبر العبد بربه لا بنفسه، كما قال تعالى:]واصبر وما صبرك إلا بالله[[النحل: ١٢٧]، يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.والثاني: الصبر لله، وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأعراض.والثالث: الصبر مع الله، وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه، ومع أحكامه الدينية، صابرا نفسه معها، سائرا بسيرها، مقيما بإقامتها، يتوجه معها أين توجهت ركائبها، وينزل معها أين استقلت مضاربها.وقد أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه بالصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه.وقال ابن عيينة في قوله تعلى:]وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا[[السجدة: ٢٤]، قال: "أخذوا برأس الأمر فجعلم رؤساء".تنبيه هام:والشكوى إلى الله عز وجل لا تنافي الصبر، فإن يعقوب عليه السلام وعد بالصبر الجميل، والنبي إذا وعد لا يخلف، ثم قال:]إنما أشكو بثي وحزني إلى الله[[يوسف: ٨٦]، وكذلك أيوب أخبر الله عنه: أنه وجده صابرا مع قوله:]مسني الضر وأنت أرحم الراحمين[[الأنبياء: ٨٣].وإنما ينافي الصبر شكوى الله، لا الشكوى إلى الله، كما رأى بعضهم رجلا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ثم أنشد:وإذا عرتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أعلموإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم٤ – الصبر في المحن وكيف نحصله:أما الصبر في المحن على أذى الظالمين، وعند النوازل فإن العبد يستجلبه ويستعين عليه بثلاث أشياء:أحدها: "ملاحظة حسن الجزاء" وعلى حسب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخف حمل البلاء، لشهود العوض، وهذا كما يخف على كل متحمل مشقة عظيمة حملها، لما يلاحظه من لذة عاقبتها وظفره بها، ولولا ذلك لتعطلت مصالح الدنيا والآخرة، وما أقدم أحد على تحمل مشقة عاجلة إلا لثمرة مؤجلة، فالنفس موكلة بحب العاجل، وإنما خاصة العقل: تلمح العواقب، ومطالعة الغايات.وأجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من رافق الراحة، حصل على المشقة وقت الراحة في دار الراحة، فإنه على قدر التعب تكون الراحة.على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكريم الكرائمويكبر في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائموالقصد: أن ملاحظة حسن العاقبة تعين على

الصبر فيما تتحمله باختيارك وغير اختيارك.والثاني: انتظار الفرج.أي: راحته ونسيمه ولذته، فإن انتظاره ومطالعته وترقبه يخفف حمل المشقة، ولا سيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج، فإنه يجد في حشو البلاء من روح الفرح ونسيمه وراحته: ما هو من خفي الألطاف، وما هو فرج معجل، وبه – يفهم معنى اسمه "اللطيف".والثالث: تهوين البلية، بأمرين:أحدهما: أن يعد نعم الله وأياديه عنده، فإذا عجز عن عدها، وأيس من حصرها، هان عليه ماهو فيه من البلاء، ورآه – بالنسبة إلى أيادي الله ونعمه – كقطرة من بحر.الثاني: تذكر سوالف النعم التي أنعم الله بها عليه، فهذا يتعلق بالماضي، وتعداد أيادي المنن: يتعلق بالحال، وملاحظة حسن الجزاء، وانتظار الجزاء، وانتظار روح الفرج: يتعلق بالمستقبل، وأحدهما في الدنيا، والثاني يوم الجزاء.وفي ختام الحديث عن الصبر نقول: "فعلى وهج النار الملتهبة نار الفتنة بجمع أنواعها تتميز معادن الناس، فينقسمون إلى مؤمنين صابرين، وإلى مدعين أو منافقين، وينقسم المؤمنون إلى طبقات كثيرة؛ بحسب شدة صبرهم وقوة احتمالهم" اهـ [سلسلة رسائل الغرباء (٣) ص ٢٠١].ثم نضيف: "فالمراحل التي تمر بها حياة المؤمنين المجاهدين؛ من العلماء والدعاة؛ ممن صدقوا في دعوى الإيمان، واستحقوا أن يمنحهم الله قيادة البشرية بالإسلام؛ هي: الابتلاء، ثم الصبر، ثم العاقبة" [نفس المصدر، ص ٢٠٥].فاعقل أخي المؤمن هذه المراحل والزمها وتعقبها في سير الأولين لتكون على بينة مما نقول واعلم: أن النصر مع الصبر، وأنه لا يتسع الأمر إذا إذا ضاق، وأنه بعد العسر يسرا.قال تعالى:]ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا ميل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين[[الأنعام: ٢٤]uuu–

--------------[١][١] – نقلا عن ابن كثير، مع تصرف يسير.[٢][٢] – رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣).[٣][٣] – تقدم تخريجه.[٤][٤] – رواه البخاري (٧٤٨٥)، ومسلم (٣٦٣٧)، ومالك ٩٥٣/٢، والترمذي ٣١٦٠ عن أبي هريرة.[٥][٥] – أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣).[٦][٦] – رواه البخاري ومسلم.[٧][٧] – رواه البخاري.[٨][٨] –رواه البخاري.[٩][٩] – صحيح رواه أحمد وابن حبان عن ابن عمر.[١٠][١٠] – روي بلفظ "إنما المؤمن كالجمل الأنف، حيثما انقيد انقاد" رواه أحمد ١٢٦/٤، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم ٩٦/١ عن العرباض بن سارية في حديث طويل وإسناده قوي.[١١][١١] – رواه مسلم (٢٨٦٥)، وأبو داود (٣٨٩٥)، وابن ماجة (٤١٧٩)، وله شواهد عن أنس عند البخاري في الأدب المفرد (٤٢٦)، وابن ماجة (٤٢١٤).[١٢][١٢] – رواه مسلم (٩١)، والبغوي (٣٥٨٧).[١٣][١٣] – رواه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦)، والترمذي (٢٥٦٤) عن أبي هريرة.[١٤][١٤] – رواه مسلم (٢٦٢٠)، والبغوي (٣٥٩٢) عن أبي هريرة.[١٥][١٥] – رواه البخاري عن أنس.[١٦][١٦] – صحيح، علقه البخاري ووصله أبو داود وغيره عن أنس.[١٧][١٧] – رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن أنس.[١٨][١٨] – أخرجه البخاري عن الأسود.[١٩][١٩] – أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة.[٢٠][٢٠] – صحيح، رواه أحمد وابن حبان عن عائشة.[٢١][٢١] – صحيح، رواه النسائي والحاكم عن ابن أبي أوفى.[٢٢][٢٢] – كما في حديث "الأمة" المتقدم تخريجه وغيره من الأحاديث.[٢٣][٢٣] – صحيح، أخرجه الترمذي (٢٤٩٠)، وأحمد ٤١٥/١، وابن حبان (١٠٩٦) عن ابن مسعود ورجاله ثقات غير عبد الله بن عمر الأودي لم يوثقه غير ابن حبان، وله شواهد يتقوى بها من حديث معيقب وحديث أبي هريرة وحديث أنس وانظر "مجمع الزوائد" ٧٥/٤.[٢٤][٢٤] – برقم (٥١٧٨) عن أبي هريرة، وآخر الترمذي (١٣٣٨) عن أنس.[٢٥][٢٥] – رواه مسلم (٩١)، وأبو داود (٤٠٩١)،

والترمذي (١٩٩٩) عن عبد الله بن مسعود، ورواه أبو داود (٤٠٩٢) عن أبي هريرة بسند صحيح.[٢٦][٢٦] – أنظر البخاري (٤٤١٨).[٢٧][٢٧] – حسن، رواه أحمد ٣٠٧/١ ، والحاكم ٥٤١/٣ و ٥٤٢، عن ابن عباس.[٢٨][٢٨] – روان مسلم (٢٢٣)، والنسائي ٥/٥، وأحمد ٣٤٢/٥، عن أبي مالك الأشعري.[٢٩][٢٩] – رواه البخاري (٦٤٧٠)، ومسلم (١٠٥٣)، وأبو داود (١٦٤٤)، والترمذي (٢٠٢٤)، عن أبي سعيد.[٣٠][٣٠] – رواه مسلم (٢٩٩٩)، والدارمي ٣١٨/٢، وأحمد ١٦/٦، من حديث صهيب.[٣١][٣١] – رواه البخاري (٣٧٩٢) و (٧٠٥٧)، ومسلم (١٨٤٥) عن أسيد بن حضير.[٣٢][٣٢] – رواه البخاري (١٣٠٢)، ومسلم (٦٢٦) (١٥) عن أنس بن مالك.[٣٣][٣٣] – تقدم تخريجه.=============نصر الله قريبقال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (٢١٤) سورة البقرةهكذا خاطب الله الجماعة المسلمة الأولى ، وهكذا وجهها إلى تجارب الجماعات المؤمنة قبلها ، وإلى سنته – سبحانه – في تربية عباده المختارين ، الذين يكل إليهم رايته ، وينوط بهم أمانته في الأرض ومنهجه وشريعته . وهو خطاب مطرد لكل من يختار لهذا الدور العظيم . .وإنها لتجربة عميقة جليلة مرهوبة . .". (١)

٨٢–"وفيما أخرجه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قال : « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه »** . . . . . .) الحديث (١) .وأخرج البخاري ومسلم بسنديهما عن عائشة رضي الله عنها : « أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاته فيختم بـ " قل هو الله أحد " فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : " سلوه لأي شيء يصنع ذلك " فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " أخبروه أن الله يحبه » (٢) .كما ورد ما يثبت حب المؤمنين لربهم عز وجل وذلك كقوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ (٣) .وقوله تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ الآية (٥) .__________(١) صحيح البخاري . كتاب الرقاق . باب التواضع ، ٨ / ١٣١ .(٢) صحيح البخاري . كتاب التوحيد . باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، ٩ / ١٤٠–١٤١ . ومسلم . كتاب صلاة المسافرين . باب فضل قراءة « قل هو الله أحد ، ١ / ٥٥٧ .(٣) سورة البقرة ، آية(١٦٥) .(٤) سورة المائدة ، آية(٥٤) .(٥) سورة آل عمران ، آية(٣١) .". (٢)

٨٣–" هو العلي المتصف بجمع معاني العلو ذاتا وقهرا وشأنا في دنوه فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء وليس ذلك منافيا لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته و لا صفاته و لا افعاله ومعيته العامة في قوله

---

(١) لماذا يمزق القرآن الكريم؟؟ ص/٢٠٣

(٢) محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ص/٤٠

تعالى وهو معكم أينما كنتم معناها إحاطته بهم علما وقدرة كما يدل عليه أول السياق وآخره وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل اجماعهم على ذلك واما معيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه ويقصر تعريفه دونه وكفاك قول الله عز و جل فيما رواه عنه نبيه صلى الله عليه و سلم إذ يقول ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ١ وفي بعض الرواية وقلبه الذي يعقل به ولسانه الذي ينطق به ٢ وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وإنما المراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز و جل بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان الى درجة الإحسان فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتليء قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة وإلى هذا المعنى أشار صلى الله عليه و سلم بقوله أحبوا الله من كل قلوبكم ٣ فمتى امتلأ القلب بعظمة الله تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه ولا إرادة إلا لما يريد منه مولاه فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره فإن نطق نطق بالله وإن سمع سمع به وإن نظر نظر به وإن بطش بطش به فهذا هو المراد بقوله عز ". (١)

٨٤-" وتعالى ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم يبسطها فإذا فيها آدم وذريته الحديث أخرجه ابن خزيمة والبيهقي من حديث أبي هريرة ١ وقوله صلى الله عليه و سلم في قصة سؤال موسى عليه السلام ربه عز و جل عن منازل أهل الجنة قال يا رب فأخبرني بأعلاهم منزلة قال هذا أردت فسوف أخبرك قال غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها الحديث رواه البيهقي وابن خزيمة من حديث المغيرة بن شعبة ٢ وقوله صلى الله عليه و سلم تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يكفأها الجبار بيده الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ٣ وقوله صلى الله عليه و سلم إن الله عز و جل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه ٤ وقوله صلى الله عليه و سلم ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ٥ وقوله صلى الله عليه و سلم إذا أحب الله العبد نادى جبريل إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه الحديث في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ٦ وقوله صلى الله عليه و سلم وما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يدعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم رواه البخاري عن أبي ". (٢)

٨٥-"ص -١٠٤- ... قوله: "يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله". فيه فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه لأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد له بذلك، ولكن ليس هذا من خصائصه. قال شيخ الإسلام: ليس هذا الوصف مختصا بعلي

---

(١) معارج القبول ٢٠٦/١

(٢) معارج القبول ٣٥٢/١

ولا بالأئمة، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذي يتبرؤون منه ولا يتولونه، بل لقد يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج. لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم، فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك، لكن هذا باطل فإن الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم أنه يموت كافرا. وفيه إثبات صفة المحبة لله، وفيه إشارة إلى أن عليا تام الاتباع لرسول الله صلى الله عليه **وسلم حتى أحبه الله**، ولهذا كانت محبته علامة الإيمان، وبغضه علامة النفاق ذكره. الحافظ بمعناه.قوله: "يفتح الله على يديه". صريح في البشارة بحصول الفتح على يديه، فكان الأمر كذلك، ففيه دليل على شهادة أن محمدا رسول الله.قوله: (فبات الناس يدوكون ليلتهم)، هو بنصب " ليلتهم " على الظرفية، ويدوكون. قال المصنف: يخوضون. والمراد أنهم باتوا تلك الليلة في خوض واختلاف فيمن يدفعها إليه، وفيه حرص الصحابة على الخير ومزيد اهتمامهم به، وذلك يدل على علو مراتبهم في العلم والإيمان.قوله: أيهم يعطاها. فهو برفع " أي " على البناء.قوله: "فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها"١. وفي رواية أبي هريرة عند مسلم: "أن عمر قال: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ".فإن قلت: إن كانت هذه الفضيلة لعلي رضي الله عنهـــــــــــ١ البخاري: المناقب (٣٧٠١) ، ومسلم: فضائل الصحابة (٢٤٠٦) ، وأحمد (٥/٣٣٣).". [1]

٨٦-"وقرة عين الأولياء حياتهم غنيمة، وموتهم مصيبة، يذكرون الغافل، ويعلمون الجاهل، ولا يتوقع لهم بائقة، ولا يخاف عنهم غائلة، جميع الخلق إلى علمهم محتاج، هم سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا.(٥) "وأما الصالحون فهم أولياء الله تعالى من المقتصدين أصحاب اليمين والسابقين المقربين، قال الله تعالى في وصفهم وجزائهم: - ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٦٢﴾الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿٦٣﴾لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ [يونس، آية ٦٢، ٦٤]فهؤلاء الأولياء تجب محبتهم ومودتهم ونصرتهم كما قال تعال:- ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ [المائدة، آية ٥٥].وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الله تعالى قال: - " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه " (١)". [2]

٨٧-"ويشبه هذا المعنى الذي أراده الله من هذه الآيات الثلاث، معنى حديث مشهور يجري على ألسنة الناس، وهو حديث الولاية الذي يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٤/١٧١

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية ٢/١٧٠

يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه"(٤٦)، ولو سألنا الذين يتأولون العين واليد والاستواء وغيرها من الصفات التي أثبتها ربنا سبحانه لنفسه عن معنى قوله في هذا الحديث: "كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها"، لقالوا في السمع والبصر واليد من غير تأويل لها، أما الرجل فإنهم سيؤولونها، لماذا هذا التأويل ليس إلا تنزيها للخالق سبحانه، فمن أين جاءوا بهذا التفريق الذي لا دليل عليه إلا أمر عاطفي وجداني محضوالتفسير الحق لهذا الحديث هو كالتأويل للعين التي جاءت في هذه الآيات الثلاث، فالعبد إذا أطاع ربه وأخلص له العبادة كان موفقا في كل ما يفعل ويقول، فهو إن سمع كان موفقا فيما يسمع، وإن أبصر كان موفقا فيما يبصر، وإن أصابت يده شيئا أو تحرك برجل إلى شيء كان موفقا فيما يفعله، ولا يعقل في حق الله أن يكون هو بصر العبد وسمعه، ويده ورجله، وإلا انتهينا إلى ضلالة كبيرة في العقيدة ولا بد وهي عقيدة الاتحاد أو الحلول.". (١)

٨٨-"فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿وددت لو أنا رأينا إخواننا -كان يتمناها النبي صلى الله عليه وسلم- قالوا: يا رسول الله! ألسنا إخوانك، قال: لا، أنتم أصحابي، لكن إخواني قوم لم يأتوا ﴾ هم الذين نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، هم الذين وجدوا الكتاب والسنة فاتبعوهما ولم يروا النبي صلى الله عليه وسلم.فهذا يحصل في الجنة بإذن الله تعالى، والشاهد: أن المؤمن لا يجد راحة دون لقاء ربه.قال: "قال فتح الموصلي : المحب لا يجد مع حب الله للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين" وبعض هذه الأقوال والآثار المنهج فيها معروف، فهي تحكى ولا يعني أن تلتزم بالدقة."وقال محمد بن النظر الحارثي : ما يكاد يمل القربة إلى الله تعالى محب لله،وما يكاد يسأم من ذلك" ولا شك أن من أحب الله تعالى حق المحبة، فإنه لا يمل القرب إلى الله ولا يسأم، ولا يكاد يسأم، لكن النفس البشرية بطبيعتها أنها تمل وتسأم، ولهذا ينبغي للمؤمن أن ينوع في العبادة، فهذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ألا يتكلف في العبادة ما لا يطيق: ﴿فإن الله لا يمل حتى تملوا ﴾ فإذا سئمت أو مللت، أو كدت تسأم وتمل من قراءة القرآن أو صلاة أو أي عمل فكف عنه، فإن الله لا يمل حتى تملوا.قال: "وقال بعضهم: المحب لله طائر القلب، كثير الذكر، متسبب إلى رضوانه بكل سبيل يقدر عليها من الوسائل والنوافل، دأبا وشوقا" .ولذلك قال الله في الحديث القدسي: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فهكذا المحب لله لا يزال يتقرب إلى الله بكل شيء، قال: "وأنشد بعضهم:وكن لربك ذا حب لتخدمه إن المحبين للأحباب خدام"وهذا أيضا مما ينبه عليه وهو: إطلاق الخدمة على العبادة، وقد تجدون أحيانا في كلام بعض العلماء ذلك، وأكثر من يستخدم ذلك الصوفية ، والصحيح أن العبادة أجل من الخدمة.". (٢)

٨٩-"رابعا: الاغتباط والفرح بالهداية إلى مذهب السلف الصالح الذين يثبتون ما أثبته الله - عز وجل - لنفسه أو أثبته له الرسول × من الأسماء والصفات من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف، ومن ذلك إثبات المحبة لله تعالى والإيمان بأنه سبحانه يحب ويحب وهذا معنى (الودود) وما يترتب على ذلك من الآثار والأحوال الإيمانية، وهذا يقتضي شكر الله -

---

(١) هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجا ٣/٧٩

(٢) وقفات مع آية الولاية ص/٢٧

عز وجل – وحمده على هذه الهداية التي حرمها أهل البدع من المعطلة والنفاة الذين ينفون أن الله – عز وجل – يحب أو يحب، وبذلك حرموا آثار كثير من أسمائه سبحانه وصفاته فضعفت أحوالهم وقست قلوبهم. ويقابل هؤلاء الجفاة قوم غلوا في محبتهم لله تعالى وادعائهم محبة الله لهم حتى أفضى بهم ذلك إلى الإدلاء على الله عز وجل، والخروج على أحكام الشريعة بحجة سقوط التكليف وبلوغهم درجة اليقين بزعمهم، ولذا قال من قال من السلف: (من عبد الله بالحب وحده تزندق).خامسا: اتباع الرسول × في أوامره ونواهيه وسنته كلها، لأن ذلك علامة محبة العبد لربه – عز وجل – كما أنها علامة محبة الله – عز وجل – لعبده.قال سبحانه: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم (٣١) ﴾ [آل عمران: ٣١].وهذه الآية فيها امتحان صدق المحبة لله تعالى ولرسوله ×، لأنه ليس كل من ادعى المحبة فهو صادق فيها.ومحبة الله – عز وجل – لعبده تطلب بفعل أسبابها وذلك بالإكثار من ذكره سبحانه والثناء عليه وقوة التوكل عليه والتقرب إليه بالفرائض والنوافل والإخلاص في ذلك كله كما جاء في الحديث القدسي؛ (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه... الحديث)(١).______________(١) رواه البخاري (٦٥٠٢).". (١)

٩٠–"وهذا وإن كان لفظه عاما إلا أن من صلى السنن الرواتب وحافظ عليها دخل في هذا الوعد .٣ = وردت نوافل غير ما ذكر في حديث الباب منها :" أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء " رواه أبو داود .وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس قبل الظهر وقال : أنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء ، وأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح . رواه الترمذي .ومن نوافل الصلاة ؛ صلاة أربع ركعات قبل صلاة العصرقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : رحم الله امرءا صلى قبل العصر أربعا . رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي .ومنها أيضا صلاة ركعتين بين كل أذان وإقامة لقوله صلى الله عليه وسلم : بين كل أذانين صلاة – قالها ثلاثا – قال في الثالثة : لمن شاء . متفق عليه .ومنها صلاة ركعتين قبل صلاة المغربقال أنس — رضي الله عنه — : وكنا نصلي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ركعتين بعد غروب الشمس قبل صلاة المغرب . متفق عليه .وقال — رضي الله عنه — : كنا بالمدينة فإذا أذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فيركعون ركعتين ركعتين حتى إن الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب أن الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما . رواه مسلم .٤ = فضل السنن الرواتب وفائدتهافمن فوائدها :١ – أنها مما تنال به محبة الله ، كما في حديث أبي هريرة وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** . رواه البخاري .٢ — أنها مما يسد بها خلل ونقص الصلاة المفروضة .". (٢)

٩١–"وعن عائشة — رضي الله عنها — قالت : (كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة) رواه البخاريوهذا القول هو الصحيح .الأفضل أن تصلى النوافل في البيت .عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (صلوا أيها الناس في بيوتكم ، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء

---

(١) ولله الأسماء الحسنى– الشيخ الجليل ٤٤٦/١

(٢) إتحاف الكرام بشرح عمد الأحكام / عبد الرحمن السحيم ٢/١٦

في بيته إلا المكتوبة) متفق عليه .وعن جابر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إذا قضى أحدكم صلاته في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته ، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا) رواه مسلم .الحكمة من جعل النوافل في البيت :قال النووي : " وإنما حث على النافلة في البيت لكونه أخفى وأبعد من الرياء ، وأصون من المحبطات ، وليتبرك البيت بذلك وتنزل فيه الرحمة والملائكة وينفر منه الشيطان ". شرح النووي [٦ / ٦٨]الحكمة من النوافل :سد النقص الذي في الفرائض .عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة ، قال : يقولربنا لملائكته – وهو أعلم – انظروا في صلاة عبدي ، أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان نقص منها شيئا قال : انظروا : هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال : أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم) رواه أبو داود .أنها من أسباب محبة الله .عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : (قال تعالى : من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب . . . وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به . . .) رواه البخاريمشروعية ركعتين بعد الجمعة .وجاء أنها أيضا أربعا .". (١)

٩٢–"ولما كانت محبة الله عز وجل لها لوازم، وهي محبة ما يحبه الله عز وجل من الأشخاص والأعمال، وكراهة ما يكرهه من ذلك، سأل النبي (الله تعالى مع محبته محبة شيئين آخرين، أحدهما: محبة من يحب ما يحبه الله تعالى، فإن من أحب الله أحب أحباءه فيه ووالاهم، وأبغض أعداءه وعاداهم كما قال النبي (: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله... " الحديث.وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد (الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران: ٣١، وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى: (قل إن كان آبآؤكم وأبنآؤكم وإخوآنكم وأزوآجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهآ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) التوبة: ٢٤.ووصف المحبين له باللين للمؤمنين: من الرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم، والشدة على الكافرين: من البغض لهم والجهاد في سبيله، فقال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم) المائدة: ٥٤.والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه، وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة محبته كما في الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري: " وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عندي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " . فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات، وترك المحرمات، ولهذا جعل النبي (من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار. وسئل ذو النون: متى أحب ربي. قال: إذا كان ما يكرهه عندك أمر من الصبر. ثم بعد ذلك الاجتهاد في نوافل الطاعات، وترك دقائق

---

(١) إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام ٢/٣٦

المكروهات والمشتبهات.ومن أعظم ما تحصل به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوة القرآن، وخصوصا مع التدبر، قال ابن مسعود: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله. ولهذا قال النبي (لمن قال: إني أحب سورة (قل هو الله أحد) لأنها صفة الرحمن. فقال: " أخبروه أن الله يحبه " . وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لما قدم النبي (المدينة خطب، فقال في خطبته: " إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من الأحاديث، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، وأحبوا الله من كل قلوبكم " .وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن ثم فتر عن ذلك فرأى في المنام قائلا يقول له:إن كنت تزعم حبي ... فلم جفوت كتابيأما تدبرت ما في ... هـ من لطيف عتابيفاستيقظ وعاد إلى تلاوته.ومن الأعمال التي توصل إلى محبة الله تعالى وهي من أعظم علامات المحبين: كثرة ذكر الله عز وجل بالقلب واللسان، قال بعضهم: ما أدمن أحد ذكر الله إلا وأفاد منه محبة الله تعالى. وقال ذو النون: من أدمن ذكر الله قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه. وقال بعض التابعين: علامة حب الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئا إلا أكثرت ذكره. وقال فتح الموصلي: المحب لله لا يجد مع حب الله للدنيا لذة، ولا يغفل عن ذكر الله طرفة عين. المحبون إن نطقوا نطقوا بالذكر، وإن سكتوا اشتغلوا بالفكر:فإن نطقت فلم ألفظ بغيركم ... وإن سكت فأنتم عند إضماريومن علامات المحبين لله وهو ما يحصل به المحبة أيضا حب الخلوة بمناجاة الله تعالى، وخصوصا في ظلمة الليل:الليل لي ولأحبابي أسامرهم ... قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا". (١)

٩٣-"قوله صلى الله عليه وسلم (غفر له ما تقدم من ذنبه) : ظاهره غفران جميع الذنوب الماضية وهو محمول عند العلماء على الصغائر قاله الحافظ . قال الخطابي : في هذا دلالة على أن الملائكة يقولون مع المصلي هذا القول ويستغفرون ويحضرون بالدعاء والذكر . عون المعبود شرح سنن أبي داود.فضل وصل الصفوف- عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله وملائكته يصلون على الذين يصلون الصفوف ومن سد فرجة رفعه الله بها درجة)حسنه الألباني.قوله صلى الله عليه وسلم (على الذين يصلون الصفوف) من الوصل أي يصلون بأن كان فيها فرجة فسدوها أو نقصان فأتموها . شرح سنن ابن ماجه للسندي.وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن الله قال (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن: يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه)البخاري.هذا حديث جليل، أشرف حديث في أوصاف الأولياء، وفضلهم ومقاماتهم فأخبر أن معاداة أوليائه معاداة له ومحاربة له. ومن كان متصديا لعداوة الرب ومحاربة مالك الملك فهو مخذول. ومن تكفل الله بالذب عنه فهو منصور. وذلك لكمال موافقة أولياء الله لله في محابه؛ فأحبهم وقام بكفايتهم، وكفاهم ما أهمهم.". (٢)

---

(١) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص/٢٥

(٢) ارواء الضمآن من فضائل الرحمن ص/٢١

٩٤-"٣٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)). رواه البخاري.عناصر الدرس:حديث أبي هريرة رضي الله عنه -مرفوعا-: (إن الله تعالى قال: (من عادى لي وليا...)تخريج الحديثمنزلة الحديثقيل: هو أشرف حديث روي في ذكر الأولياءالمعنى الإجمالي للحديثشرح قوله تعالى: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)بيان معنى (المعاداة)بيان ما يفيده تقديم كلمة: (لي)بيان معنى (الولي)بم تنال ولاية الله تعالىمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو من أولياء اللهدرجات الأولياء:الدرجة الأولى: السابقون بالخيرات، وهم المقربونالمقربون هم الذين يتقربون إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائضالدرجة الثانية: المقتصدون، وهم الأبرارالمقتصدون هم الذين يتقربون إلى الله تعالى بأداء الفرائضأنواع معاداة الأولياء:النوع الأول: معاداتهم لأجل دينهمالنوع الثاني: معاداتهم من أجل الدنياالمراد بالإيذان بالحربجميع المعاصي محاربة لله تعالىكلما كان الذنب أعظم كانت المحاربة أشدالواجب تجاه أولياء اللهشرح قوله تعالى: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)معنى التقربتفاضل القرباتفضل الفرائضتفاضل الفرائضأعظم الفرائض البدنية: الصلاة". [1]

٩٥-"تفاضل محبوبات الله تعالىذكر بعض القربات:العدلخفض الجناح للمؤمنينالجهاد في سبيل اللهما تفيده الإضافة في قوله: (عبدي)شرح قوله تعالى: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)بيان معنى (النوافل)ذكر بعض النوافلما يفيده قوله: (ولا يزال...) من مداومة التقرب إلى الله تعالىتفسير قول الله تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)الكلام على منزلة المحبةدوافع محبة العبد لربه جل وعلاآثار عن السلف في فضل محبة الله تعالىآثار منزلة المحبةالمحبة من أعظم الدوافع للعملتدفع الملل والسآمةمن أعظم القرباتذكر بعض أسباب المحبةالدعاءذكر بعض الأدعية المأثورة في هذا البابتلاوة القرآنلا شيء أحلى عند المحب من كلام محبوبهكثرة ذكر الله عزوجلأفضل الذكر ما تواطأ عليه القلب واللسانتحقيق الولاء والبراءبيان أسباب محبة الله تعالىذكر بعض آثار محبة الله تعالى للعبدشرح قوله تعالى: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به...)معنى قوله تعالى: (فإذا أحببته)معنى قوله تعالى: (كنت سمعه الذي يسمع به)تفسره الرواية الأخرى: (فبي يسمع وبي يبصر)معناه: التوفيق والسداد في سمعه وبصره وسائر تصرفاتهمعنى قوله تعالى: (وبصره الذي يبصر به)معنى قوله: (ويده التي يبطش بها)معنى قوله تعالى: (ورجله التي يمشي بها)منهج أهل السنة والجماعة في فهم هذا الحديثالرد على من فهم من الحديث الحلول أو الاتحادشرح قوله تعالى: (ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة من أعظم أسباب إجابة الدعاءأمثلة لسرعة استجابة الله تعالى لبعض السلفذكر بعض دعوات السلف المستجابةدعوة سعد بن أبي وقاص على من ظلمه رياءدعوة سعيد بن زيد على المرأة التي ادعت أنه ظلمهادعوة عبد الله بن جحش يوم أحداستسقاء العلاء بن الحضرمي لسريتهدعوة أنس بن مالك لأرض له عطشت". [2]

---

(١) الأربعون النووية ص/١١٨

(٢) الأربعون النووية ص/١١٩

٩٦-"أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي إملاء ثنا أبو العباس محمد بن إسحاق ثنا محمد بن عثمان بن كرامة ثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * إن الله عز وجل قال من عاد لي وليا فقد بارزني بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني عبدي أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن عثمان بن كرامة \٢٠٧٥٤\

البيهقي في سننه الكبرى ج١٠/ص٢١٩ ح٢٠٧٦٩". [(١)]

٩٧-"أنا محمد بن الحسين النيسابوري أنا القاضي أبو طاهر محمد بن أحمد نا موسى بن هارون نا عباد بن موسى الختلي نا طلحة بن يحيى عن عبد الواحد أبي حمزة عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى * من آذى لي وليا فقد استحل محارمي وما تقرب إلي عبد بمثل أداء فرائض وإن عبدي ليتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه إن** دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن موته لأنه يكره الموت وأكره مساءته وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ولا تعبد لي بمثل أداء ما افترضته عليه يا موسى إنه لم يتصنع المتصنعون لي بمثل الزهد في الدنيا

القضاعي في مسند الشهاب ج٢/ص٣٢٨ ح١٤٥٧". [(٢)]

٩٨-"الحديث الثامن والثلاثونعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله تعالى قال :من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)). رواه البخاري .المفردات :عادى : من المعاداة ضد الموالاة ، وفي رواية : ((من أهان))وليا : وهو العالم به ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته .آذنته بالحرب : أعلمته بأني محارب له .عبدي : هذه الإضافة للتشريف .يتقرب إلي : يطلب القرب مني ، وفي رواية : ((يتحبب إلى))بالنوافل : التطوعات من جميع أصناف العبادات .كنت سمعه إلخ : المراد بهذا حفظ هذه المذكورات من أن تستعمل في معصية ، فلا يسمع ما لم يأذن له الشرع بسماعه ، ولا يبصر ما لم يأذن له في إبصاره ، ولا يمد يده إلى شيء لم يأذن له في مدها إليه ، ولا يسعى إلا فيما أذن الشرع في السعي إليه .لأعطينه : ما سأل .ولئن استعاذني : بنون الوقاية وروي بباء موحدة تحتية ، والأول أشهر .لأعيذنه : مما يخاف .يستفاد منه :١-أن الله سبحانه وتعالى قدم الإعذار إلى كل من عادى وليا أنه قد آذنه بأنه محاربه بنفس المعاداة . ولا يدخل في ذلك ما تقتضيه الأحوال في بعض المرات من النزاع بين وليين لله تعلى في محاكمة

(١) التبويب الموضوعي للأحاديث ١/٨٩٦

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث ١/٢١٩٣٣

أو خصومة راجعة لاستخراج حق غامض ، فإن هذا قد وقع بين كثير من أولياء الله عز وجل .٢-أن أداء الفرائض هو أحب الأعمال إلى الله تعالى ، وذلك لما فيها من إظهار عظمة الربوبية ، وذل العبودية .٣-أن النافلة إنما تقبل إذا أديت الفريضة ، لأنها لا تسمى نافلة إلا إذا قضيت الفريضة .". (١)

٩٩-"الحديث الثامن والثلاثونعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)). رواه البخاري.المفردات:عادى: من المعاداة ضد الموالاة، وفي رواية: ((من أهان))وليا: وهو العالم به، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.آذنته بالحرب: أعلمته بأني محارب له.عبدي: هذه الإضافة للتشريف.يتقرب إلي: يطلب القرب مني، وفي رواية: ((يتحبب إلى))بالنوافل: التطوعات من جميع أصناف العبادات.كنت سمعه إلخ: المراد بهذا حفظ هذه المذكورات من أن تستعمل في معصية، فلا يسمع ما لم يأذن له الشرع بسماعه، ولا يبصر ما لم يأذن له في إبصاره،". (٢)

١٠٠-"(أن الله تعالى قال من عادى) من المعاداة ضد الموالاة (لي) متعلق بقوله (وليا) وهو من تولى الله بالطاعة فتولاه الله بالحفظ والنصر (فقد آذنته بالحرب) أي أعلمته بأنه سأحاربه فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ومن حاربه الله أي عامله معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر فهو هالك (وما تقرب إلي عبدي بشيء) من الطاعات (أحب إلي مما افترضته عليه) أي من أدائه عينا أو كفاية لأنه الأصل الذي يرجع إليه جميع الفروع (ولا يزال عبدي يتقرب) يتحبب (إلي بالنوافل) أي التطوع من جميع صنوف العبادة (**حتى أحبه**) بضم أوله وفتح ثالثه (فإذا أحببته) لتقربه إلي بما ذكر (كنت) صرت (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) يعني يجعل الله سلطان حبه غالبا عليه حتى لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله عونا له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه أو هو كناية عن نصر الله وتأييده وإعانته في كل أموره وحماية سمعه وبصره وجميع جوارحه عما لا يرضاه (وإن سألني لأعطينه) مسؤله (وإن استعاذني) بنون أو باء (لأعيذنه) مما يخاف وهذا حال المحب مع محبوبه (وما ترددت) عن) وفي رواية في (شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن) أي ما أخرت وما توقفت توقف المتردد في أمر أنا فاعله إلا في قبض نفس المؤمن أتوقف فيه حتى يسهل عليه ويميل قلبه إليه شوقا إلى انخراطه في زمرة المقربين (يكره الموت) لشدة صعوبته (وأنا أكره مساءته) وأريده له لأنه يورده موارد الرحمة والغفران والتلذذ بنعيم الجنان وفيه أن الفرض أفضل من النفل وقد عده الفقهاء من القواعد لكن استثنوا منها إبراء المعسر فإنه أفضل من أنظاره وأنظاره واجب

---

(١) التحفة الربانية شرح الأربعين النووية ١/٣٩

(٢) التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثا النووية ص/٨٧

وإبراؤه سنة وابتداء السلام فإنه سنة والرد واجب والأذان سنة وهو أفضل من الإمامة التي هي فرض كفاية وغير ذلك (خ عن أبي هريرة) قال الذهبي غريب". [1]

١٠١-"(دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض) لأن أيدي العباد خزائن الملك الجواد فلا يتعرض لها إلا بإذن فلا تسعروا ولا تتلقوا الركبان (فإذا استنصح أحدكم أخاه) أي طلب منه النصح (فلينصحه) وجوبا وذكر الأخ للاستعطاف وإلا فالنصح واجب لكل معصوم (طب عن أبي السائب) جد عطاء بن السائب وكان ينبغي تمييزه فإنه متعدد وإسناده صحيح(دعوا لي أصحابي) إضافة تشريف تؤذن باحترامهم وزجر سابهم وتعزيره (فوالذي نفسي) بسكون الفاء (بيده) بقدرته وتدبيره (لو أنفقتم مثل) جبل (أحد ذهبا ما بلغتم أعمالهم) أي ما بلغتم من أنفاقكم بعض أعمالهم لما قارنها من مزيد إخلاص وصدق نية وكمال يقين والخطاب لخالد ونحوه ممن تأخر إسلامه والمراد من تقدم إسلامه منهم الذين كانت لهم الآثار الجميلة والمناقب الجليلة (حم عن أنس) ورجاله رجال الصحيح(دعوا لي أصحابي وأصهاري) أي اتركوا التعرض لهم بما يؤذيهم لأجلي وتمامه فمن آذاني في أصحابي وأصهاري آذاه الله تعالى يوم القيامة (ابن عساكر عن أنس) بإسناد فيه مجهول ومضعف(دعوا صفوان بن المعطل) بضم الميم وفتح الطاء المشددة أي اتركوه فلا تتعرضوا له بشر (فإنه خبيث اللسان طيب القلب) أي سليم الصدر نقي القلب من الغش والتكبر والخيانة والعبرة بطهارة القلب (ع عن سفينة) مولى المصطفى يكنى أبا عبد الرحمن كان اسمه مهران أو غير ذلك فلقب سفينة لأنه حمل شيئا كثيرا في السفر وإسناده حسن(دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب **الله حتى أحبه الله** يحبهم ويحبونه (ابن سعد عن الحسن مرسلا) هو البصري(دعوني من السودان) يعني من الزنج كما بينه في رواية أخرى (فإنما الأسود لبطنه وفرجه) أي لا يهتم إلا بهما فإن جاع سرق وأن شبع فسق وحينئذ فاقتناء الزنجي خلاف الأولى عبدا كان أو أمة (طب عن ابن عباس) بإسناد ضعيف". [2]

١٠٢-"+ قوله أبو عاصم هو النبيل وهو من كبار شيوخ البخاري وربما روى عنه بواسطة مثل هذا فقد علقه في بدء الخلق لأبي عاصم وقد نبهت عليه ثم قوله عن نافع هو مولى بن عمر قال البزار بعد أن أخرجه عن عمرو بن علي الفلاس شيخ البخاري فيه لم يروه عن نافع إلا موسى بن عقبة ولا عن موسى إلا بن جريج قلت وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثوبان عند أحمد والطبراني في الأوسط وأبو أمامة عند أحمد ورواه عن أبي هريرة أبو صالح عند المصنف في التوحيد وأخرجه مسلم والبزار قوله إذا أحب الله العبد وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها ففي حديث ثوبان ان العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول يا جبريل ان عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني ألا وان رحمتي غلبت عليه الحديث أخرجه أحمد والطبراني في الأوسط ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقاق ففيه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه الحديث** قوله ان الله يحب فلانا فأحبه بفتح الموحدة المشددة ويجوز الضم ووقع في حديث ثوبان فيقول جبريل رحمة الله على فلان وتقوله حملة العرش قوله فينادي جبريل في أهل السماء الخ في حديث ثوبان أهل

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى ١/٥١٥

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى ٢/١٥

السماوات السبع قوله ثم يوضع له القبول في أهل الأرض زاد الطبراني في حديث ثوبان ثم يهبط إلى الأرض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾وثبتت هذه الزيادة في آخر هذا الحديث عند الترمذي وابن أبي حاتم من طريق سهيل عن أبيه وقد أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ وزاد مسلم فيه وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فساقه على منوال الحب وقال في آخره ثم يوضع له البغضاء في الأرض ونحوه في حديث أبي أمامة عند أحمد وفي حديث ثوبان عند الطبراني وان العبد يعمل بسخط الله فيقول الله يا جبريل إن فلانا يستسخطني فذكر الحديث على منوال الحب أيضا وفيه فيقول جبريل سخطة الله على فلان وفي آخره مثل ما في الحب حتى يقوله أهل". (١)

١٠٣-"++ حدثني محمد بن عثمان بن كرامة: حدثنا خالد بن مخلد: حدثنا سليمان بن بلال: حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته). البخاري-كتاب الرقائق -باب باب: التواضع". (٢)

١٠٤-"هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى قام ومحبته **له حتى أحبه ونظره** الى عبده حتى أقبل ناظرا اليه بقلبه وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وان لم تعدم في الخارج وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث ولئن سألني ، ولئن استعاذني فإنه كالصريح في الرد عليه قوله وان سألني زاد في رواية عبد الواحد عبدي قوله اعطيته أي ما سأل قوله ولئن استعاذني ضبطناه بوجهين الأشهر بالنون بعد الذال المعجمة والثاني بالموحدة والمعنى اعذته مما يخاف وفي حديث أبي امامة وإذا استنصر بي نصرته وفي حديث أنس نصحني فنصحت له ويستفاد منه أن المراد بالنوافل جميع ما يندب من الأقوال والافعال وقد وقع في حديث أبي امامة المذكور وأحب عبادة عبدي الى النصحية وقد استكشل بأن جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا ولم يجابوا والجواب ان الإجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو اصلح منها وفي الحديث عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها وذلك لأنها محل المناجاة والقربة ولا واسطة فيها بين العبد وربه ولا شيء أقر لعين العبد منها ولهذا جاء في حديث أنس المرفوع وجعلت قرة عيني في الصلاة أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح ومن كانت قرة عينه في

(١) الجواهر الهريرية ٣٨٣/١

(٢) الجواهر الهريرية ٣٨٥/١

شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته وانما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب فإن السالك غرض الافات والفتور وفي حديث حذيفة من". [1]

١٠٥-"مسلم أيضا والترمذي ومنها حديث أبي سعيد رفعه من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله في أعلى عليين الحديث أخرجه بن ماجة وصححه بن حبان-+- +-أخبرنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم مولى ثقيف قال حدثنا محمد بن عثمان العجلي قال حدثنا خالد بن مخلد قال حدثنا سليمان بن بلال قال حدثني شريك بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله جل وعلا يقول من عادى لي وليا فقد آذاني وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فإن سألني عبدي أعطيته وإن استعاذني أعذته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته قال أبو حاتم رضى الله تعالى عنه لا يعرف لهذا الحديث إلا طريقان اثنان هشام الكناني عن أنس وعبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة وكلا الطريقين لا يصح وإنما الصحيح ما ذكرناه صحيح ابن حبان-+-+-أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي إملاء ثنا أبو العباس محمد بن إسحاق ثنا محمد بن عثمان بن كرامة ثنا خالد بن مخلد عن سليمان بن بلال أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قال من عاد لي وليا فقد بارزني بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني عبدي أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن عثمان بن كرامة- سنن البيهقي". [2]

١٠٦-"-+-+-حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا حماد وأبو المنذر قالا حدثنا عبد الواحد مولى عروة عن عروة عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل:-من أذل لي وليا فقد استحل محاربتي وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه إن** سألني أعطيته وإن دعاني أجبته وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته. قال أبي وقال أبو المنذر قال حدثني عروة قال حدثتني عائشة وقال أبو المنذر آذى لي- مسند أحمد-+-+حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن بكر أنبأنا ميمون حدثنا محمد بن عباد عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:-إن العبد ليلتمس مرضاة الله ولا يزال بذلك فيقول الله عز وجل لجبريل: إن فلانا عبدي يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي عليه فيقول جبريل رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش

---

(١) الجواهر الهريرية ٣٩٢/١

(٢) الجواهر الهريرية ٣٩٧/١

ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم تهبط له إلى الأرض. مسند أحمدشرح الامام يحي بن شرف الدين النووي لصحيح مسلم رحمهما الله تعالىباب إذا أحب الله عبدا، حببه إلى عباده". [(١)]

١٠٧-"ويرضاه ، وأن يحفظ جوارحه وأعضاءه حتى يقلع عن الشهوات ويستغرق في الطاعات بجعله له واعظا من نفسه وزاجرا من قلبه يأمره وينهاه (١) ، لقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ (سورة مريم / ٩٦) ، وقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (٥٤) سورة المائدة.وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :« إن الله عز وجل قال من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى عبدى أعطيته ولئن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ». رواه البخارى فى الصحيح (٢)وعن أبى هريرة – رضى الله عنه – قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ، ثم ينادى جبريل فى السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول فى أهل الأرض » (٣) .وعن أبي هريرة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل : إني قد أحببت فلانا فأحبه ، قال : فيقول جبريل لأهل السماء : إن ربكم أحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، قال : ويوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبدا فمثل ذلك. (٤)_____________(١) – إحياء علوم الدين ٤ / ٤٧٣ – ٤٧٦ ، وتفسير القرطبي ٤ / ٥٩ ، وما بعدها ، ١١ / ١٦٠ – ١٦١ ، دليل الفالحين ٢ / ٢٦٠ ، وما بعدها ، الآداب الشرعية ١ / ١٧٣ .(٢) – السنن الكبرى للبيهقي- المكنز – (١٠ / ٢١٩) (٢١٥٠٨) وصحيح البخارى- المكنز – (٦٥٠٢)(٣) – صحيح البخارى- المكنز – (٧٤٨٥)(٤) – صحيح ابن حبان – (٢ / ٨٥) (٣٦٤) صحيح". [(٢)]

١٠٨-"وقد ذكر الله تعالى أن هناك أولياء للرحمن وأولياء للشيطان ، وأمرنا أن نكون من أولياء الرحمن ، وقد ذكرت الولاية في القرآن والسنة ، وقد ورد فيها حديث صحيح مشهور أورده البخاري في صحيحه فعن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :« إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »(١).هذا وقد قام العلماء بشرح هذا الحديث ، وهم سائر شراح البخاري ، وقام بشرحه العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله في جامع العلوم والحكم ، وشرحه ابن تيمية رحمه الله

---

(١) الجواهر الهريرية ١/٣٩٨

(٢) الخلاصة في شرح الخمسين الشامية ص/٣٩

في رسالته القيمة الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان(٢)، وأفرده الشوكاني رحمه الله بكتاب ضخم سماه (القطر الجلي شرح حديث الولي)(٣)وقد رأيت أن أقوم بجمع خلاصة هذه الشروح والتوفيق بينها ، وإضافة ما يلزم إضافته لها ، أو التعقيب على بعضها ، لاسيما وقد أصبح الاختلاف كبيرا بين المسلمين حول كثير من صفات الأولياء .___________(١) -صحيح البخارى (٦٥٠٢)(٢) - وقد يسر الله لنا تحقيقه ونشره .(٣) - وقد أخذت به رسالة دكتوراه من الأزهر قسم الفلسفة ونشر بكتاب ضخم". (١)

١٠٩-"ولما اتفقنا على أننا لا يمكننا أن نقطع على أن ذلك الرجل يوافي بالإيمان ، ولا الرجل نفسه يقطع على أنه يوافي بالإيمان ، علم أن ذلك ليس يدل على ولايته لله ".وروى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »(١)..فطريق الولاية في الكتاب والسنة هو المحافظة على الفرائض والحرص على النوافل، والتحقق بمقامات الإيمان، والتزين بلباس التقوى.وبهذا يعلم أن المجانين والفسقة والعصاة لا يدخلون في ذلك، وغاية المجنون أن يرفع عنه القلم، لا أن يكون وليا، فضلا عن أن يكشف عنه الحجاب، فإن الحجاب لا يكشف لأحد في الدنيا، والوحي لا يتنزل إلا على الأنبياء، وإذا كان الرجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء لم يكن هذا دليلا على ولايته، فإن الخوارق تقع على يد الكافر والملحد والفاسق كما تقع على يد المؤمن. ولهذا قال الجنيد رحمه الله: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة،من لم يحفظ الكتاب ولم يكتب الحديث، فلم يتفقه، فلا يقتدى به.___________(١) - صحيح البخارى (٦٥٠٢)". (٢)

١١٠-"ولفظ خاتم الأولياء : لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله وموجب هذا اللفظ أنه آخر مؤمن تقي، فإن الله يقول : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) ﴾ [يونس/٦٢، ٦٣] ،فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا " . وهم على درجتين : السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر وسورة الواقعة والإنسان والمطففين . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – « إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٢

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/١١٥

، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »(١)._____________(١) - صحيح البخارى (٦٥٠٢)". (١)

١١١-"ووقعت للصحابة كرامات بعد موتهم عن ابن إسحاق قال حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- قال :« إن صاحبكم تغسله الملائكة يعنى حنظلة فاسألوا أهله ما شأنه ». فسئلت صاحبته فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :« لذلك غسلته الملائكة ». قال يونس فحدثنا زكريا بن أبي زائدة عن عامر قال : قتل حمزة يوم أحد ، وقتل حنظلةابن الراهب يوم أحد وهو الذى طهرته الملائكة "(١)ولا تزال تقع الكرامات لصلحاء المؤمنين ، لأن الله جلت قدرته وعد أن ينصرهم ويعينهم ، ويؤيدهم ، جاء في الحديث القدسي : « ..وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه . »(٢)._____________(١) - السنن الكبرى للبيهقي (ج ٤ / ص ١٥)(٧٠٦٢و٧٠٦٣)وحلية ٣٥٧/١ وبداية ٢١/٤ ونبوة ٢٤٦/٣ وهو صحيح لغيره(٢) - صحيح البخارى (٦٥٠٢)". (٢)

١١٢-"وفي الحديث القدسي:" من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه". الحديث أخرجه البخاري.(١)ونصوص الوحي طافحة بتقرير هذا المعيار، وأنه وحده هو الذي يمكن أن يعتمد عليه في وصف الشخص بالولاية والمحبة والكرامة، أما تلك الخوارق فقد تحصل لمن اتصف بالولاية وقد لا تحصل، وليس في ذلك نقص لمن لم تحصل له ،ولا يقدح عدمها في ولايته.والله أعلم.اهـ=============المبحث الرابع عشرهل يتميز أولياء الله عن الناس بشيء (٢)_____________(١) - صحيح البخارى (٦٥٠٢)(٢) - الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي ص ٢٨٨-٣٢٧". (٣)

١١٣-"وبالجملة اتفقت طوائف السنة والشيعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة، وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واتباعا له ،كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه(١)،وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به وعملا به، فهو أفضل أولياء الله إذ كانت أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم وأفضلها أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهم أبو بكر .=============المبحث السابع عشرأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم(٢)_____________(١) - والصحابة أكمل الأمة في ذلك بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ، والاعتبار ولهذا لا

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/١٢٨

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/١٤٧

(٣) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/١٧١

تجد أحدا من أعيان الأمة إلا وهو معترف بفضل الصحابة عليه ، وعلى أمثاله ، وتجد من ينازع في ذلك كالرافضة من أجهل الناس ، ولهذا لا يوجد في أئمة الفقه الذين يرجع إليهم رافضي ، ولا في أئمة الحديث ولا في أئمة الزهد والعبادة ، ولا في أئمة الجيوش المؤيدة المنصورة رافضي، ولا في الملوك الذين نصروا الإسلام وأقاموه وجاهدوا عدوه من هو رافضي، ولا في الوزراء الذين لهم سيرة محمودة من هو رافضي .مختصر منهاج السنة النبوية - (ج ١ / ص ٤١) ومختصر منهاج السنة النبوية - (ج ١ / ص ١٠٣)(٢) - الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي ص٦٠٠فما بعدهاو انظر مجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ٨٣) ومجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ١٧٦) ومجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ١٧٨) ومجموع الفتاوى - (ج ١٠ / ص ٤٠٠) ومجموع الفتاوى - (ج ١١ / ص ٢٠٢) ومجموع الفتاوى - (ج ١١ / ص ٢٩٨) ومجموع الفتاوى - (ج ١١ / ص ٢٩٩) ومجموع الفتاوى - (ج ١١ / ص ٣٠٢) ومجموع الفتاوى - (ج ١١ / ص ٦٣٥) ومجموع الفتاوى - (ج ١٩ / ص ٥٥) ومجموع الفتاوى - (ج ٢٧ / ص ٤٩٧) ومجموع الفتاوى - (ج ٣٥ / ص ١١٧)وفي شرح الطحاوية في العقيدة السلفية - (ج ٣ / ص ٢٠٧)قوله : (ونؤمن بما جاء من كراماتهم ، وصح عن الثقات من رواياتهم) .ش : فالمعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة ، و [كذلك الكرامة] في عرف أئمة أهل العلم المتقدمين . ولكن كثير من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما ، فيجعلون المعجزة للنبي ، والكرامة للولي . وجماعهما : الأمر الخارق للعادة .والكمال يرجع إلى ثلاثة : العلم ، والقدرة ، والغنى . وهذه الثلاثة لا تصلح على الكمال إلا لله وحده ، فإنه الذي أحاط بكل شيء علما ، وهو على كل شيء قدير ، وهو غني عن العالمين . ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله : ﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي ﴾ (الأنعام : ٥٠) .وكذلك قال نوح عليه السلام ، فهذا أول أولي العزم ، وأول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ، وهذا خاتم الرسل ، وخاتم أولي العزم ، وكلاهما تبرأ من ذلك ، وهذا لأنهم يطالبونهم تارة بعلم الغيب ، كقوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ﴾ (النازعات : ٤٢) ، وتارة بالتأثير ، كقوله تعالى : ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ﴾ الآيات (الإسراء : ٩٠) ، وتارة يعيبون عليهم الحاجة البشرية ، كقوله تعالى : ﴿ وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾ (الفرقان : ٧) الآية .فأمر الرسول أن يخبرهم بأنه لا يملك ذلك ، وإنما ينال من تلك الثلاثة بقدر ما يعطيه الله ، فيعلم ما علمه الله إياه ، ويستغني عما أغناه عنه ، ويقدر على ما أقدره عليه من الأمور المخالفة للعادة المطردة ، أو لعادة أغلب الناس . فجميع المعجزات والكرامات ما تخرج عن هذه الأنواعثم الخارق : إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين ، كان من الأعمال الصالحة المأمور بها دينا وشرعا ، إما واجب أو مستحب ، وإن حصل به أمر مباح ، كان من نعم الله الدنيوية التي تقتضي شكرا ، وإن كان على وجه يتضمن ما هو منهي عنه نهي تحريم أو نهي تنزيه ، كان سببا للعذاب أو البغض ، كالذي أوتي الآيات فانسلخ منها : بلعام بن باعورا ، [لكن قد يكون صاحبها معذورا] لاجتهاد أو تقليد ، أو نقص عقل أو علم ، أو غلبة حال ، أو عجز أو ضرورة .فالخارق ثلاثة أنواع : محمود في الدين ، ومذموم ، ومباح . فإن كان المباح فيه منفعة كان نعمة ، وإلا فهو كسائر المباحات التي لا منفعة فيها .قال أبو علي الجوزجاني : كن طالبا للاستقامة ، لا طالبا للكرامة ، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة .قال الشيخ السهروردي في عوارفه : [وهذا الذي ذكره أصل كبير في الباب] ، فإن كثيرا من المجتهدين

[والمتعبدين] سمعوا [عن] سلف الصالحين المتقدمين ، وما منحوا به من الكرامات وخوارق العادات ، فنفوسهم لا تزال تتطلع إلى شيء من ذلك ، ويحبون أن يرزقوا شيئا منه ، ولعل أحدهم يبقى منكسر القلب ، متهما لنفسه في صحة عمله ، حيث لم يحصل له خارق ، ولو علموا بسر ذلك لهان عليهم الأمر ، فيعلم أن الله يفتح على بعض [المجتهدين] الصادقين من ذلك بابا ، والحكمة [فيه] أن يزداد بما [يرى] من خوارق العادات وآثار القدرة - يقينا ، فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا ، والخروج عن دواعي الهوى . فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة ، فهي كل الكرامة .ولا ريب أن للقلوب من التأثير أعظم مما للأبدان ، لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحا ، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدا . فالأحوال يكون تأثيرها محبوبا لله تعالى تارة ، ومكروها لله أخرى .وقد تكلم الفقهاء في وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن . وهؤلاء يشهدون ببواطنهم وقلوبهم الأمر الكوني ، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم أنه كرامة من الله له ، ولا يعلمون أنه في الحقيقة إنما الكرامة لزوم الاستقامة ، وأن الله تعالى لم يكرم عبدا بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه ، وهو طاعته وطاعة رسوله ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه . وهؤلاء هم أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .وأما ما يبتلي الله به عبده ، من السر بخرق العادة أو بغيرها أو بالضراء - فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه عليه ، بل قد سعد بها قوم إذا أطاعوه ، وشقي بها قوم إذا عصوه ، كما قال تعالى : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمني ﴾﴿ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني ﴾﴿ كلا ﴾ (الفجر : ١٥ - ١٧) .ولهذا كان الناس في هذه الأمور ثلاثة أقسام : قسم ترتفع درجتهم بخرق العادة ، وقسم يتعرضون بها لعذاب الله ، وقسم يكون في حقهم بمنزلة المباحات ، كما تقدم .وتنوع الكشف والتأثير باعتبار تنوع كلمات الله . وكلمات الله نوعان : كونية ، ودينية :فكلماته الكونية هي التي استعاذ بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر » . قال تعالى : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ (يس : ٨٢) . وقال تعالى : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته ﴾ (الأنعام : ١١٥) . والكون كله داخل تحت هذه الكلمات ، وسائر الخوارق .والنوع الثاني : الكلمات الدينية ، وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله ، وهي أمره ونهيه وخبره ، وحظ العبد منها العلم بها ، والعمل ، والأمر بما أمر الله به ، كما أن حظ العباد عموما وخصوصا العلم بالكونيات والتأثير فيها ، أي بموجبها . فالأولى تدبيرية كونية ، والثانية شرعية دينية . فكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية .وقدرة الأولى التأثير في الكونيات ، إما في نفسه كمشيه على الماء ، وطيرانه في الهواء ، وجلوسه في النار ، وإما في غيره ، بإصحاح وإهلاك ، وإغناء وإفقار .وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات ، إما في نفسه بطاعة الله ورسوله ، وإما في غيره فيطاع في ذلك طاعة شرعية .فإذا تقرر ذلك ، فاعلم أن عدم الخوارق علما وقدرة لا تضر المسلم في دينه ، فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ، ولم يسخر له شيء من الكونيات - : لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله ، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له ، فإنه إن اقترن به الدين وإلا هلك صاحبه في الدنيا والآخرة ، فإن الخارق قد يكون مع الدين ، وقد يكون مع عدمه ، أو فساده ، أو نقصه .فالخوارق النافعة تابعة للدين ، خادمة له ، كما أن الرياسة النافعة هي [التابعة] للدين ، وكذلك المال النافع ، كما كان السلطان والمال النافع بيد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر . فمن جعلها هي المقصودة ، وجعل الدين تابعا لها ، ووسيلة إليها ، لا لأجل الدين في الأصل - : فهو شبيه بمن يأكل

الدنيا بالدين ، وليست حاله كحال من تدين خوف العذاب ، أو رجاء الجنة ، فإن ذلك ما هو مأمور به ، وهو على سبيل نجاة ، وشريعة صحيحة .والعجب أن كثيرا ممن يزعم أن همه قد ارتفع عن أن يكون خوفا من النار أو طلبا للجنة – يجعل همه بدينه أدنى خارق من خوارق الدنيا !! ثم إن الدين إذا صح علما وعملا فلا بد أن يوجب خرق العادة ، إذا احتاج إلى ذلك صاحبه . قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (الطلاق : ٢ – ٣) . وقال تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ (الأنفال : ٢٩) . وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ﴾﴿ وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ (النساء : ٦٦ – ٦٨) . وقال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ (يونس : ٦٢ – ٦٤) .وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله " ثم قرأ قوله ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾» (الحجر : ٧٥) . رواه الترمذي من رواية أبي سعيد الخدري .وقال تعالى ، فيما يروي عنه رسوله صلى الله عليه وسلم : « من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بد له منه » . فظهر أن الاستقامة حظ الرب ، وطلب الكرامة حظ النفس . وبالله التوفيق .". (١)

١١٤–"عن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :« إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته »رواه البخاري(١).و عن عائشة قالت قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم-: « قال الله عز وجل من أذل لى وليا فقد استحل محاربتى وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه إن** سألنى أعطيته وإن دعانى أجبته ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن وفاته لأنه يكره الموت وأكره مساءته ».أخرجه أحمد(٢)____________(١) – صحيح البخارى (٦٥٠٢) وشرح السنة للبغوي (١٢١٤)وهق ٣/٣٤٦ و ١٠/٢١٩ (٢١٥٠٨) والإتحاف ١٠/٤٠٣ وصحيحة (١٦٤٠) وسنة ٥/١٩ وفتح ١١/٣٤٠و٣٤١ وتلخيص ٣/١١٧ وصفة ٤٩١ وصحيح الجامع (١٧٨٢) والإحسان (٣٤٧) وهـ (٣٩٨٩)(٢) – مسند أحمد (٢٦٩٤٧) و المعجم الأوسط للطبراني (١١٤٠٨) والزهد الكبير للبيهقي(٧٠٧) وهو صحيح لغيره". (٢)

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٢٠٦

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٢٥٧

١١٥-"و عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إن الله عز وجل، يقول:"ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فأكون أنا سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، فإذا دعا أجبته، وإذا سألني أعطيته، وإذا استنصرني نصرته، وأحب ما تعبد لي عبدي به النصح لي".أخرجه الطبراني(١)و عن الحسن قال: يقول الله ما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فأكون** عينيه اللتين يبصر بهما وأذنيه اللتين يسمع بهما ويديه اللتين يبطش بهما ورجليه اللتين يمشي بهما فإذا دعاني أجبته وإذا سألني أعطيته وإن استغفرني غفرت له"(٢)______________(١) - المعجم الكبير للطبراني - (ج ٧ / ص ٢٣٠)(٧٧٣٩) و(ج ٧ / ص ٢٥٠)(٧٨٠٠) والإتحاف ١٠٢/٨ و ٤٧٧ و ٤٤٠/٩ وعدى ١٩٣٩/٥ والصحيحة (١٦٤٠) والزهد الكبير للبيهقي (٧١٠) وهو حسن لغيره(٢) - مصنف عبد الرزاق(٢٠٣٠٢) صحيح مرسل". [١]

١١٦-"و عن حسان بن عطية ، قال : من عادى أولياء الله فقد آذن الله بالمحاربة ، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد حاد الله في أمره ، ومن أعان على خصومة لا علم له بها كان في سخط الله حتى ينزع ، ومن قفا مؤمنا بما لا علم له به وقفه الله في ردغة الخبال حتى يجيء منها بالمخرج ، ومن خاصم لضعيف حتى يثبت له حقه ، ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام ، وقال الله : ما ترددت في شيء أريده ، ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه" أخرجه ابن أبي شيبة(١).و عن طاوس اليماني ، قال : « إني لأجد في بعض الكتب الذي أنزل الله تعالى : لن ينجو مني عبد إلا بأداء ما افترضت عليه ، وما اقترب إلي عبدي بأفضل من النصيحة ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا فعل ذلك ، كنت قلبه الذي يعقل به ، وبصره الذي يبصر به ، إن سألني أعطيته ، وإن دعاني أجبته ، وإن استنصر بي نصرته » أخرجه أبواد في الزهد(٢)______________(١) - مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٥) - (ج ١٣ / ص ٥٧٦)(٣٦٦٣٠) والزهد والرقائق لابن المبارك (١٠٢٢) صحيح مرسل= برح : زال = النافلة : ما كان زيادة على الأصل الواجب(٢) - الزهد لأبي داود(٥) وفيه راو لم أعرفه". [٢]

١١٧-"و عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام، عن ربه تعالى وتقدس قال:" يقول الله تعالى : من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وإني لأ سرع شيء إلى نصرة أوليائي إني لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن وهو يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ، وما تعبد لي عبدي المؤمن بمثل الزهد في الدنيا ، ولا تقرب عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومويئلا ، إن سألني أعطيته ، وإن دعاني أستجيب له ، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه ، ولو أعطيته إياه لداخله العجب وأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح له إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح له إلا

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٢٥٨

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٢٥٩

الفقر ، ولو أغنيته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين لمن لايصلح له إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك ، إني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم ، إني عليم خبير " أخرجه أبو نعيم في الحلية(١)____________(١) – الاتحاف ١٠٢/٨ و ٤٧٧ و ٤٤٠/٩ وطب ٢٦٤/٨ ومجمع ٢٤٨/٢ وأخرجه ابن أبى الدنيا فى الأولياء (ص ٩ ، رقم ١) ، والحكيم (٢٣٢/٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (٣١٨/٨) ، وابن عساكر (٩٥/٧) وموسوعة السنة النبوية – (ج ١٦ / ص ٨٦)(٢٢٨٥٢) حسن لغيره". [١]

١١٨-"و عن ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال الله عز وجل : من آذى لي وليا فقد استحق محاربتي ، وما تقرب إلى عبد بمثل أداء فرائضي ، وإنه ليتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ، ويده التي يبطش بها ، ولسانه الذي ينطق به ، وقلبه الذي يعقل به ، إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن موته ، وذاك أنه يكرهه وأنا أكره مساءته »أخرجه أبو يعلى .(١)و عن عبدة بن أبي لبابة ، حدثني زر بن حبيش ، سمعت حذيفة يقول : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((إن الله تعالى أوحى إلي : يا أخا المرسلين ، ويا أخا المنذرين أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة ، فإني ألعنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها ، فأكون سمعه الذي يسمع به ، وأكون بصره الذي يبصر به ، ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة)) أخرجه أبو نعيم في الحلية .(٢)================المبحث الثانيحول صحة الحديث وما قيل فيه والجواب عنهقال الشيخ ناصر الدين الألباني (رحمه الله)(٣): كنت برهة من الزمن متوقفا فى صحة هذا الحديث ، ثم تتبعت طرقه ، فتبين لى أنه صحيح بمجموعها ، وقد صححه جمع ---اهقلت : كان ينبغي عليه عدم التسرع في تضعيف هذا الحديث الصحيح ،لأنه في صحيح الإمام البخاري وكفى .____________(١) – مسند أبي يعلى الموصلي (٦٩٣٠) وسنده واه(٢) – أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١١٦/٦) و حلية الأولياء(ج ٣ / ص ٩) وقال :غريب من حديث الأوزاعي، عن عبدة. ورواه علي بن معبد، عن إسحاق بن أبي يحيى العكي، عن الأوزاعي مثله. وابن عساكر (٤٤/٦٥) وهو حديث حسن غريب(٣) – فى هامش صحيح الجامع (١٧٨٢)". [٢]

١١٩-"يعنى أصلها بصلتها، وهذا موافق لقوله تعالى :﴿.. فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير﴾(١)(٤) سورة التحريم. وصالح المؤمنين: هو من كان صالحا من المؤمنين(٢).================المبحث التاسعالتقرب إلى الله تعالى بالنوافلقوله :)ما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ..)____________(١) – أي: الجميع أعوان للرسول، مظاهرون، ومن كان هؤلاء أعوانه فهو المنصور، وغيره ممن يناوئه مخذول ، وفي هذا أكبر فضيلة وشرف لسيد المرسلين، حيث جعل الباري نفسه [الكريمة]، وخواص خلقه، أعوانا لهذا الرسول الكريم.(٢) – وفي تفسير الرازي – (ج ١٥ / ص ٣٨٥)﴿ وصالح المؤمنين ﴾ . قال ابن عباس

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٢٦١

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٢٦٢

: يريد أبا بكر وعمر مواليين النبي صلى الله عليه وسلم على من عاداه ، وناصرين له ، وهو قول المقاتلين ، وقال الضحاك خيارالمؤمنين ، وقيل من صلح من المؤمنين ، أي كل من آمن وعمل صالحا ، وقيل : من بريء منهم من النفاق ، وقيل : الأنبياء كلهم ، وقيل : الخلفاء وقيل : الصحابة ، وصالح ههنا ينوب عن الجمع ، ويجوز أن يراد به الواحد والجمع ، وقوله تعالى : ﴿ والملائكة بعد ذلك ﴾ أي بعد حضرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ﴿ ظهير ﴾ أي فوج مظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم ، وأعوان له وظهير في معنى الظهراء ، كقوله : ﴿ وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء : ٦٩] قال الفراء : والملائكة بعد نصرة هؤلاء ظهير ، قال أبو علي : وقد جاء فعيل مفردا يراد به الكثرة كقوله تعالى : ﴿ ولا يسئل حميم حميما * يبصرونهم ﴾ [المعارج : ١٠ ، ١١]". (١)

١٢٠-"وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا »(١)..وعن أبي سعيد قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر »(٢). .الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع ، وذلك يوجب للعبد محبة الله ، كما قال : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته ، فأوجب له ذلك القرب منه ، والزلفى لديه ، والحظوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (٥٤) سورة المائدة ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن من أعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ، لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحق ، فمن أعرض عن الله ، فما له من الله بدل ، ولله منه أبدال .____________(١) - صحيح مسلم(٤٨٢٥)(٢) - سنن الترمذى (١٣٧٩) صحيح لغيره". (٢)

١٢١-"﴾ .فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة، وهذا لأن الجزاء من جنس العمل(١)____________(١) - قلت : هذا القاعدة ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع ، وقد ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع هذه بعضها :ففي مجموع الفتاوى - (ج ٢ / ص ٣٩٣)فقد ذكر الله في القرآن القرض والنصر وجعله له هذا في الرزق وهذا في النصر وجاء في الحديث العيادة وهذه الثلاثة هي المذكورة في قوله تعالى ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾ وقوله : ﴿ مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ﴾ وإنما في الحديث أمر البأساء والضراء فقط ؛ لأن ذلك ينفرد به الواحد المخاطب بقوله : ﴿ عبدي مرضت وجعت ﴾ فلذلك عاتبه . وأما النصر : فيحتاج في العادة إلى عدد ؛ فلا يعتب فيه على أحد معين غالبا أو المقصود بالحديث التنبيه وفي القرآن النصر والرزق وليس فيه العيادة ؛ لأن النصر والقرض فيه عموم لا يختص بشخص دون شخص . وأما العيادة : فإنما تكون لمن يجد الحق عنده .فصل :فهذان

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٣٣٤

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٣٤١

المعنيان صحيحان ثابتان بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان . أما الأول - وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة - : فهذا فرض على كل أحد ولا بد لكل مؤمن منه ؛ فإن أدى واجبه فهو مقتصد وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه ؛ وإن تركه كله فهو كافر بربه . وأما الثاني - وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه ويرضاه ويسخطه - فهذا على الإطلاق إنما هو للسابقين المقربين : الذين تقربوا إلى الله بالنوافل - التي يحبها ولم يفرضها - بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها . ولهذا كان هؤلاء لما أتوا بمحبوب الحق من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة المنتظمة للمعارف والأحوال والأعمال : أحبهم الله تعالى . فقال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فعلوا محبوبه فأحبهم فإن الجزاء من جنس العمل مناسب له مناسبة المعلول لعلته . ولا يتوهم أن المراد بذلك : أن يأتي العبد بعين كل حركة يحبها الله ؛ فإن هذا ممتنع . وإنما المقصود أن يأتي بما يقدر عليه من الأعمال الباطنة والظاهرة ؛والباطنة يمكنه أن يأتي منها بأكثر مما يأتي به من الظاهرة كما قال بعض السلف : " قوة المؤمن في قلبه وضعفه في جسمه وقوة المنافق في جسمه وضعفه في قلبه " ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ﴿ المرء مع من أحب ﴾ ﴿ وقال : إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر ﴾ وقال : ﴿ فهما في الأجر سواء ﴾ في حديث القادر على الإنفاق والعاجز عنه الذي قال : ﴿ لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما عمل ﴾ فإنهما لما استويا في عمل القلب وكان أحدهما معذور الجسم استويا في الجزاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ﴾ .وفي مجموع الفتاوى أيضا - (ج ٦ / ص ٤٨٢):وأما قول السائل : قد يعترض على هذا السؤال وهو إذا كان حب اللقاء ؛ لما رآه من النعيم فالمحبة حينئذ للنعيم العائد عليه لا لمجرد لقاء الله . فيقال له : ليس كذلك ؛ ولكن لقاء الله على نوعين : " لقاء محبوب " و " لقاء مكروه "كما قال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم سلمة بن دينار الأعرج : كيف القدوم على الله تعالى فقال : المحسن كالغائب يقدم على مولاه وأما المسيء كالآبق يقدم به على مولاه . فلما كان اللقاء نوعين - وإنما يميز أحدهما عن الآخر في الإخبار بما يوصف به هذا اللقاء وهذا اللقاء - وصف النبي صلى الله عليه وسلم " اللقاء المحبوب " بما تتقدمه البشرى بالخير وما يقترن به من الإكرام و " اللقاء المكروه " بما يتقدمه من البشرى بالسوء وما يقترن به من الإهانة ؛ فصار المؤمن مخبرا بأن لقاءه لله لقاء محبوب والكافر مخبرا بأن لقاءه لله مكروه : فصار المؤمن يحب لقاء الله وصار الكافر يكره لقاء الله ؛ فأحب الله لقاء هذا وكره لقاء هذا ﴿ جزاء وفاقا ﴾ . فإن الجزاء بذلك من جنس العمل كما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا ترحموا ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﴾ وكما قال صلى الله عليه وسلم ﴿ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة . والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ﴾ . وفي الحديث الصحيح الإلهي : ﴿ من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ خير منه ومن تقرب إلي شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من كان له لسانان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة ﴾ وقال : ﴿ من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة ﴾ وقال : ﴿ لا تزال المسألة بالرجل حتى يجيء يوم القيامة

وليس في وجهه مزعة لحم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا ﴾ ومثل هذا في الكتاب والسنة كثير يبين فيهما أن الجزاء من جنس العمل . وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ؛ فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فبين سبحانه أن العبد إذا تقرب إليه بمحابه من النوافل بعد الفرائض أحبه الرب كما وصف وهذا ما احتملته هذه الأوراق من الجواب . والحمد لله رب العالمين .وفي مجموع الفتاوى - (ج ٨ / ص ٣٣٨) :والفناء في هذا هو " الفناء " المأمور به الذي جاءت به الرسل وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ؛ وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه فيكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر : كن مع الحق بلا خلق ومع الخلق بلا نفس . وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله يوجب أن يكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله . ودين الله ما أمر به فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله : ﴿ يحببكم الله ﴾ . وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ .فهذا محبوب الحق ومن اتبع الرسول فهو محبوب الحق وهو المتقرب إلى الله بما دعا إليه الرسول من فرض ونفل ومعلوم أن من كان هكذا فهو يحب طاعة الله ورسوله ويبغض معصية الله ورسوله فإن الفرائض والنوافل كلها من العبادات التي يحبها الله ورسوله ليس فيها كفر ولا فسوق والرب تعالى أحبه لما قام بمحبوب الحق فإن الجزاء من جنس العمل فلما لم يزل متقربا إلى الحق بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الحق فإنه استفرغ وسعه في محبوب الحق . فصار الحق يحبه المحبة التامة التي لا يصل إليها من هو دونه في التقرب إلى الحق بمحبوباته حتى صار يعلم بالحق ويعمل بالحق فصار به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي . وأما الذي لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة فهذا لم تبق عنده الأمور " نوعان " : محبوب للحق ومكروه ؛ بل كل مخلوق فهو عنده محبوب للحق كما أنه مراد ؛ فإن هؤلاء أصل قولهم : هو قول جهم بن صفوان من القدرية فهم من غلاة الجهمية الجبرية في القدر وإن كانوا في الصفات يكفرون الجهمية نفاة الصفات كحال أبي إسماعيل الأنصاري صاحب " منازل السائرين " و " ذم الكلام " و " الفاروق " و " تكفير الجهمية " وغير ذلك فإنه في باب إثبات الصفات في غاية المقابلة للجهمية والنفاة وفي باب الأفعال والقدر قوله يوافق الجهم ومن اتبعه من غلاة الجبرية وهو قول الأشعري وأتباعه وكثير من الفقهاء أتباع الأئمة

الأربعة ومن أهل الحديث والصوفية .وفي مجموع الفتاوى – (ج ١٠ / ص ٣٠٤):إن دين محمد صلى الله عليه وسلم في التوبة جاء بما لم يجئ به شرع من قبله ؛ ولهذا قال ؛ ﴿ أنا نبي الرحمة ؛ وأنا نبي التوبة ﴾ وقد رفع به من الآصار والأغلال ما كان على من قبلنا . وقد قال تعالى في كتابه : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وأخبر أنه تعالى يفرح بتوبة عبده التائب أعظم من فرح الفاقد لما يحتاج إليه من الطعام والشراب والمركب إذا وجده بعد اليأس . فإذا كان هذا فرح الرب بتوبة التائب وتلك محبته ؛ كيف يقال : إنه لا يعود لمودته ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ ﴿ ذو العرش المجيد ﴾ ﴿ فعال لما يريد ﴾ ولكن وده وحبه بحسب ما يتقرب إليه العبد بعد التوبة ؛ فإن كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة أفضل مما كان يأتي به قبل ذلك كانت مودته له بعد التوبة أعظم من مودته له قبل التوبة . وإن كان أنقص كان الأمر أنقص ؛ فإن الجزاء من جنس العمل ؛ وما ربك بظلام للعبيد . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ؛ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها : فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؛ وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودة ، وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وودهم . وقد قال تعالى : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ . نزلت في المشركين الذين عادوا الله ورسوله مثل " أهل الأحزاب " كأبي سفيان بن حرب وأبي سفيان بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم . فإنهم بعد معاداتهم لله ورسوله جعل الله بينهم وبين الرسل والمؤمنين مودة وكانوا في ذلك متفاضلين وكان عكرمة وسهيل والحارث بن هشام أعظم مودة من أبي سفيان بن حرب ونحوه . وقد ثبت في الصحيح ﴿ أن هند امرأة أبي سفيان أم معاوية قالت : والله يا رسول الله ما كان على وجه الأرض أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك وقد أصبحت وما على وجه الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك فذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها نحو ذلك ﴾ . ومعلوم أن المحبة والمودة التي بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبهم لله تعالى فإن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله . فالحب لله من كمال التوحيد ؛ والحب مع الله شرك . قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ فتلك المودة التي صارت بين الرسول والمؤمنين وبين الذين عادوهم من المشركين إنما كانت مودة لله ومحبة لله ومن أحب الله أحبه الله ومن ود الله وده الله فعلم أن الله أحبهم وودهم بعد التوبة كما أحبوه ووده فكيف يقال : إن التائب إنما تحصل له المغفرة دون المودة .وفي مجموع الفتاوى – (ج ١٠ / ص ٣٠٨) :ومن علم أن ما أتاه ذنبا ثم تاب فلا بد أن يبدل وصفه المذموم بالمحمود ؛ فإذا كان يبغض الحق فلا بد أن يحبه وإذا كان يحب الباطل فلا بد أن يبغضه . فما يأتي به التائب من معرفة الحق ومحبته والعمل به ومن بغض الباطل واجتنابه هو من الأمور التي يحبها الله تعالى ويرضاها ، ومحبة الله كذلك بحسب ما يأتي به العبد من محابه فكل من كان أعظم فعلا لمحبوب

الحق كان الحق أعظم محبة له وانتقاله من مكروه الحق إلى محبوبه مع قوة بغض ما كان عليه من الباطل وقوة حب ما انتقل إليه من حب الحق ؛ فوجب زيادة محبة الحق له ومودته إياه ؛ بل يبدل الله سيئاته حسنات لأنه بدل صفاته المذمومة بالمحمودة فيبدل الله سيئاته حسنات . فإن الجزاء من جنس العمل . وحينئذ فإذا كان إتيان التائب بما يحبه الحق أعظم من إتيان غيره كانت محبة الحق له أعظم وإذا كان فعله لما يوده الله منه أعظم من فعله له قبل التوبة كانت مودة الله له بعد التوبة أعظم من مودته له قبل التوبة فكيف يقال : الود لا يعود .وفي مجموع الفتاوى - (ج ١٥ / ص ٢٧)وقوله تعالى ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ له دلالة بمنطوقه ودلالة بإيمائه وتعليله بمفهومه . فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان ودلالته بإيمائه وتعليله على أن هذا القرب مستحق بالإحسان وهو السبب في قرب الرحمة منهم ودلالته بمفهومه على بعده من غير المحسنين . فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة ؛ وإنما اختص أهل الإحسان بقرب الرحمة لأنها إحسان من الله عز وجل أرحم الراحمين وإحسانه تبارك وتعالى إنما يكون لأهل الإحسان ؛ لأن الجزاء من جنس العمل وكلما أحسنوا بأعمالهم أحسن إليهم برحمته وأما من لم يكن من أهل الإحسان فإنه لما بعد عن الإحسان بعدت عنه الرحمة بعد ببعد وقرب بقرب فمن تقرب إليه بالإحسان تقرب الله إليه برحمته ومن تباعد عن الإحسان تباعد الله عنه برحمته .وانظر مجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ١٩٢) ومجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ٢٠٠) ومجموع الفتاوى - (ج ١ / ص ٢٧٦) وفتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ - (ج ٣ / ص ١٢٩) وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٣ / ص ٣٤٣١) رقم الفتوى ١٦١٥٨ الجزاء من جنس العمل، والعفو أقرب للتقوى وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٣ / ص ٥٤٢٢) رقم الفتوى ١٩٠٣١ الوعيد لا يلزم أن يقع وفتاوى الشبكة الإسلامية معدلة - (ج ٩ / ص ٢٢٥٧) رقم الفتوى ٦٢٧١٩ امرأة الزاني تصير زانية من وجوه كثيرة والدرر السنية في الأجوبة النجدية - الرقمية - (ج ٨ / ص ١٧٤) ومجلة مجمع الفقه الإسلامي - (ج ٢ / ص ٢٣٩٤٧)وفي إعلام الموقعين عن رب العالمين - (ج ١ / ص ٢٦٥):[يكون الجزاء من جنس العمل ومثاله] ولذلك كان الجزاء مماثلا للعمل من جنسه في الخير والشر ، فمن ستر مسلما ستره الله ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن أقال نادما أقاله الله عثرته يوم القيامة ، ومن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن ضار مسلما ضار الله به ، ومن شاق شاق الله عليه ، ومن خذل مسلما في موضع يجب نصرته فيه خذله الله في موضع يجب نصرته فيه ، ومن سمح سمح الله له ، والراحمون يرحمهم الرحمن ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء ، ومن أنفق أنفق عليه ، ومن أوعى أوعى عليه ، ومن عفا عن حقه عفا الله له عن حقه ، ومن تجاوز تجاوز الله عنه ، ومن استقصى استقصى الله عليه ؛ فهذا شرع الله وقدره ووحيه وثوابه وعقابه كله قائم بهذا الأصل ، وهو إلحاق النظير بالنظير ، واعتبار المثل بالمثل ، ولهذا يذكر الشارع العلل والأوصاف المؤثرة والمعاني المعتبرة في الأحكام القدرية والشرعية والجزائية ليدل بذلك على تعلق الحكم بها أين وجدت ، واقتضائها لأحكامها ، وعدم تخلفها عنها إلا لمانع يعارض اقتضاءها ويوجب تخلف أثرها عنها ، كقوله - تعالى - : ﴿ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴾ وقوله : ﴿ ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا ﴾ ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا ﴾ ﴿ ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ﴾ ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط

الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ ﴿ ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر ﴾ ﴿ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم ﴾ .". (١)

١٢٢-"وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين كما تقدم . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : « إن الله عز وجل قال من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى عبدى أعطيته ، ولئن استعاذنى لأعيذنه »(١).فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ،ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ؛ ولا الكف عن فضول المباحات .______________(١) - السنن الكبرى للبيهقي(ج ٣ / ص ٣٤٦)(٦٦٢٢) وهذا لفظه والبخاري (٦٥٠٢)". (٢)

١٢٣-"وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ يعني الحب المطلق كقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم (٦) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (٧) ﴾(١)[______________(١) - ونسألك أن توفقنا الى طريق الحق ، والخير والسعادة ، وهو الطريق المستقيم الذي يوصلنا إليك .وهو طريق عبادك الذين وفقتهم إلى الإيمان بك ، ووهبت لهم الهداية والرضا منك ، لا طريق الذين استحقوا غضبك ، وضلوا طريق الحق والخير لأنهم أعرضوا عن الإيمان بك ، والإذعان لهديك .". (٣)

١٢٤-"لا يكون العبد وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا(١)وإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا لقوله تعالى:﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) ﴾ [يونس/٦٢، ٦٣] ،وفي صحيح البخاري الحديث المشهور - وقد تقدم - يقول الله تبارك وتعالى فيه : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾(٢)______________(١) - الفرقان بين أولياء الرحمن وأوليا الشيطان بتحقيقي ص ٢٨٢-٢٨٧(٢) - صحيح البخارى (٦٥٠٢)وفي جامع العلوم والحكم - (ج ٣٨ / ص ١١)الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع ، وذلك يوجب للعبد محبة الله ، كما قال : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته ، فأوجب له ذلك القرب منه ، والزلفى لديه ، والحظوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٣٥٩

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٣٦٣

(٣) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٣٦٤

لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ ((المائدة : ٥٤ .)) ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن من أعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ، لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحق ، فمن أعرض عن الله ، فما له من الله بدل ، ولله منه أبدال .ما لي شغل سواه ما لي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عذلما أصنع إن جفا وخاب الأمل مني بدل ومنه ما لي بدلوفي بعض الآثار يقول الله – عز وجل – : ((ابن آدم ، اطلبني تجدني ، فإن وجدتني ، وجدت كل شيء ، وإن فتك ، فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء)) .كان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل كثيرا :اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أناقد وجدت لي سكنا ليس في هواه عناإن بعدت قربني أو قربت منه دنامن فاته الله ، فلو حصلت له الجنة بحذافيرها ، لكان مغبونا ، فكيف إذا لم يحصل له إلا نزر يسير حقير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضة :من فاته أن يراك يوما فكل أوقاته فواتوحيثما كنت من بلاد فلي إلى وجهك التفات". (١)

١٢٥–"وقال بعضهم : وهو منتزع مما تقدم لا يتحرك له جارحة إلا في الله ولله ، فهي كلها تعمل بالحق للحق . وأسند البيهقي في " الزهد " عن أبي عثمان الجيزي أحد أئمة الطريق قال : معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الأسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي .وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو(١)،______________(١) – قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :"الفناء ينقسم ثلاثة أقسام : فناء عن عبادة السوى وفناء عن شهود السوى وفناء عن وجود السوى .فالأول : أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه وبخوفه عن خوف ما سواه وبرجائه عن رجاء ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبمحبته عن محبة ما سواه ؛ وهذا هو حقيقة التوحيد والإخلاص الذي أرسل الله به رسله وأنزل به كتبه ،وهو تحقيق " لا إله إلا الله " فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله ولا يبقى في قلبه تأله لغير الله وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله .والثاني : أن يفنى عن شهود ما سوى الله، وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك . وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله ،وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه ،فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ،وأنه المعبود لا إله إلا هو الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب ،وأمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقا وأمرا : كان أتم معرفة وشهودا وإيمانا وتحقيقا من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر ،وشهود التفرقة في الجمع والكثرة في الوحدة ،وهو الشهود الصحيح المطابق . لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا كان معذورا للعجز لا محمودا على النقص والجهل .والثالث : الفناء عن وجود السوى ؛ وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون : وجود الخالق هو وجود المخلوق وما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر . فهؤلاء قولهم أعظم كفرا من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام .وأيضا فإن ولاية الله : هي موافقته بالمحبة لما يحب والبغض لما يبغض والرضا بما يرضى والسخط بما يسخط ،والأمر بما يأمر به والنهي عما ينهى عنه ،والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه ،كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٣٩٨

عبدى يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » فهذا أصح حديث روي في الأولياء . فالملاحدة والاتحادية يحتجون به على قولهم لقوله : "كنت سمعه وبصره ويده ورجله "والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة :منها قوله : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ﴾ فأثبت معاديا محاربا ووليا غير المعادي وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا .ومنها قوله : ﴿ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ﴾ فأثبت عبدا متقربا إلى ربه وربا افترض عليه فرائض .ومنها قوله : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فأثبت متقربا ومتقربا إليه ومحبا ومحبوبا غيره . وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد .ومنها قوله : ﴿ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ﴾ إلى آخره . فإنه جعل لعبده بعد محبته هذه الأمور وهو عندهم قبل المحبة وبعدها واحد وهو عندهم هذه الأعضاء : بطنه وفرجه وشعره وكل شيء لا تعدد عندهم ولا كثرة في الوجود ؛ ولكن يثبتون مراتب ومجالي ومظاهر ؛ فإن جعلوها موجودة نقضوا قولهم . وإن جعلوها ثابتة في العدم – كما يقوله ابن عربي – أو جعلوها المعينات –والمطلق هو الحق – كانوا قد بنوا ذلك على قول من يقول : المعدوم شيء وقول من جعل الكليات ثابتة في الخارج زائدة على المعينات .والأول : قول طائفة من المعتزلة وهو قول ابن عربي .والثاني : قول طائفة من الفلاسفة وهو قول القونوي صاحب ابن عربي وكلا القولين باطلان عند العقلاء ،ولهذا كان التلمساني أحذق منهما فلم يثبت شيئا وراء الوجود . كما قيل :وما البحر إلا الموج لا شيء غيره وإن فرقته كثرة المتعددلكن هؤلاء الضلال من الفلاسفة والمعتزلة ما قالوا : وجود المخلوق هو وجود الخالق ،وهؤلاء الملاحدة قالوا : هذا هو هذا ؛ ولهذا صاروا يقولون بالحلول من وجه لكون الوجود في كل الذوات أو بالعكس وبالاتحاد من وجه لاتحادهما ؛ وحقيقة قولهم هي وحدة الوجود .مجموع الفتاوى – (ج ٢ / ص ٣٦٩)فما بعدهاوقاال أيضا :"والفناء يراد به ثلاثة أمور :أحدها : هو الفناء الديني الشرعي الذي جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به : فيفنى عن عبادة غيره بعبادته وعن طاعة غيره بطاعته وطاعة رسوله ،وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله ؛ وعن خوف غيره بخوفه بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله ، وبحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما قال تعالى : ﴿قل إن كان آباؤكم وأبنآؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ (٢٤) سورة التوبة، فهذا كله هو مما أمر الله به ورسوله .وأما (الفناء الثاني : وهو الذي يذكره بعض الصوفية وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى، فيفنى بمعبوده عن عبادته وبمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته بحيث قد يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى، فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين وليس هو من لوازم طريق الله ،ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي صلى الله عليه وسلم وللسابقين الأولين ،ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضال ضلالا مبينا ،وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ ،بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض، ليس هو من اللوازم التي تحصل لكل سالك.وأما الثالث : فهو الفناء عن وجود السوي بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين

وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين، فهو قول أهل الإلحاد والاتحاد الذين هم من أضل العباد، وأما مخالفتهم لضرورة العقل والقياس : فإن الواحد من هؤلاء لا يمكنه أن يطرد قوله ،فإنه إذا كان مشاهدا للقدر من غير تمييز بين المأمور والمحظور فعومل بموجب ذلك مثل أن يضرب ويجاع حتى يبتلى بعظيم الأوصاب والأوجاع ،فإن لام من فعل ذلك به وعابه فقد نقض قوله وخرج عن أصل مذهبه ،وقيل له : هذا الذي فعله مقضي مقدور فخلق الله وقدره ومشيئته : متناول لك وله وهو يعمكما ،فإن كان القدر حجة لك فهو حجة لهذا، وإلا فليس بحجة لا لك ولا له، فقد تبين بضرورة العقل فساد قول من ينظر إلى القدر ويعرض عن الأمر والنهي والمؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على المقدور كما قال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ . وقال في قصة يوسف : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ فالتقوى فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ،ولهذا قال الله تعالى : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار ﴾ فأمره مع الاستغفار بالصبر ؛ فإن العباد لا بد لهم من الاستغفار أولهم وآخرهم قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " ﴿ يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة ﴾ وقال : " ﴿ إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة ﴾ . وكان يقول " ﴿ اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني ؛ اللهم اغفر لي خطئي وعمدي وهزلي وجدي وكل ذلك عندي ؛ اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر ﴾ وقد ذكر عن آدم أبي البشر أنه استغفر ربه وتاب إليه فاجتباه ربه فتاب عليه وهداه ؛ وعن إبليس أبي الجن – لعنه الله – أنه أصر متعلقا بالقدر فلعنه وأقصاه ،فمن أذنب وتاب وندم فقد أشبه أباه ،ومن أشبه أباه فما ظلم قال الله تعالى : ﴿ وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ ولهذا قرن الله سبحانه بين التوحيد والاستغفار في غير آية كما قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ وقال تعالى : ﴿ فاستقيموا إليه واستغفروه ﴾ وقال تعالى : ﴿ الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ ﴿ ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير ﴾ ﴿ وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ﴾ وفي الحديث الذي رواه ابن أبي عاصم وغيره : " ﴿ يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ؛ فلما رأيت ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يذنبون ولا يتوبون ،لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ وقد ذكر سبحانه عن ذي النون أنه نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين قال تعالى : ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم " ﴿ دعوة أخي ذي النون ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه ﴾.وجماع ذلك أنه لا بد له في الأمر من أصلين ولا بد له في القدر من أصلين .ففي " الأمر " عليه الاجتهاد في الامتثال علما وعملا ،فلا يزال يجتهد في العلم بما أمر الله به والعمل بذلك . ثم عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور وتعديه الحدود ،ولهذا كان من المشروع أن يختم جميع الأعمال بالاستغفار، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقد قال الله تعالى : ﴿ والمستغفرين بالأسحار ﴾ فقاموا بالليل وختموه بالاستغفار ، وآخر سورة نزلت قول الله تعالى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ﴿ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴾ ﴿ فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا

﴾ وفي الصحيح أنه كان صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : " ﴿ سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي ﴾ يتأول القرآن .وأما في " القدر " فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به ويتوكل عليه ويدعوه ؛ ويرغب إليه ويستعيذ به، ويكون مفتقرا إليه في طلب الخير وترك الشر ،وعليه أن يصبر على المقدور ،ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ؛ وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه ،ومن هذا الباب احتجاج آدم وموسى لما قال : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته ؛ لماذا أخرجتناونفسك من الجنة فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه فبكم وجدت مكتوبا علي من قبل أن أخلق : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ قال : بكذا وكذا فحج آدم موسى، وذلك أن موسى لم يكن عتبه لآدم لأجل الذنب، فإن آدم قد كان تاب منه ،والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ؛ ولكن لأجل المصيبة التي لحقتهم من ذلك . وهم مأمورون أن ينظروا إلى القدر في المصائب وأن يستغفروا من المعائب كما قال تعالى : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك ﴾.فمن راعى الأمر والقدر كما ذكر :كان عابدا لله مطيعا له مستعينا به متوكلا عليه من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ؛ وحسن أولئك رفيقا .وقد جمع الله سبحانه بين هذين الأصلين في مواضع كقوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وقوله : ﴿ فاعبده وتوكل عليه ﴾ وقوله : ﴿ عليه توكلت وإليه أنيب ﴾ وقوله : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾.فالعبادة لله والاستعانة به ﴿ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند الأضحية :اللهم منك ولك ﴾ فما لم يكن بالله لا يكون ؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله وما لم يكن بالله فلا ينفع ولا يدوم.ولا بد في عبادته من أصلين :أحدهما إخلاص الدين له .والثاني موافقة أمره الذي بعث به رسله ؛ ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه : اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا ؛ وقال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ قال : أخلصه وأصوبه ،قالوا يا أبا علي : ما أخلصه وأصوبه قال : إذا كان العمل خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ؛ والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ،ولهذا ذم الله المشركين في القرآن على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين ما لم يأذن به الله من عبادة غيره ،وفعل ما لم يشرعه من الدين كما قال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ كما ذمهم على أنهم حرموا ما لم يحرمه الله . والدين الحق أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه .مجموع الفتاوى - (ج ٣ / ص ١١٨)وقال الإمام الذهبي رحمه الله :"قال ابن الأعرابي -ولقد أحسن في المقال - :فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك إذ أهلهما لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.قلت:إي والله، دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرار عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسكر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صديق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين.فان طالبتهم بدعاويهم مقتوك، وقالوا:محجوب، وإن سلمت لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحيرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت:مساكين محجوبون.فلا حول ولا قوة إلا بالله.فإنما التصوف والتأله والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله،

والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.والعالم إذا عري من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زل عن سواء السبيل.وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئا من اصطلاحات القوم إلا بحجة. سير أعلام النبلاء(١٥/٤١٠)". (١)

١٢٦-"وأنه الغاية التي لا شيء وراءها ، وهو أن يكون قائما بإقامة الله له محبا بمحبته له ناظرا بنظره له ،من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم ،أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف ، ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى قام ،ومحبته **له حتى أحبه** ،ونظره إلى عبده حتى أقبل ناظرا إليه بقلبه .وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق ، تعالى الله عن ذلك ، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج ، وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة، لقوله في بقية الحديث: " ولئن سألني ، ولئن استعاذني " فإنه كالصريح في الرد عليهم."اهوقال العلامة محمد أنور شاه الكشميري رحمه الله(١):" قوله: (كنت سمعه الذي يسمع به) ومر عليه الذهبي في «الميزان»، وقال: لولا هيبة الجامع لقلت فيه: سبحان الله. وكان الذهبي لم يتعلم علم المنطق.________________(١) - فيض الباري شرح صحيح البخاري - (ج ٦ / ص ١٩٢)(٦٥٠٢)". (٢)

١٢٧-"رديفا الا أن يؤثره فلا يأبى الكرامة (قال ابن العربي) انما كان الرجل أحق بصدر دابته لأنه شرف والشرف حق المالك ولأنه يصرفها في المشي حيث شاء وعلى أي وجه أراد من اسراع وابطاء وطول وقصر بخلاف غير المالك (قلت) فيه دلالة على اكرام الصالحين وحبهم ومبالغة الصحابة في اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه حتى ان صاحب الحمار تنازل عن حماره وملكه اياه لما علم أن صاحب الحمار احق بصدر حماره لتكون الصدارة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه(م ٢٠ – الفتح الرباني – ج ١٩)@@@١٥٣وعيد من أهان الصالحين – والترغيب في الحب في الله والبغض في اللهفالحمار لك (عن عائشة) (١) قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل من أذل لي وليا (٢) (وفي رواية من آذى لي وليا) فقد استحل محاربتي وما تقرب الي عبدي بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه ان** سألني أعطيته وان دعاني اجبته ما ترددت عن شيء أنا فاعله (٣) ترددي عن وفاته لأنه يكره الموت واكره مساءته (باب الترغيب في الحب في الله والبغض في الله والحث على ذلك) (عن البراء بن عازب) (٤) قال كنا جلوسا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي عرى (٥) الاسلام أوسط قالوا الصلاة قال حسنة وما هي بها قالوا الزكاة قال حسنة وما هي بها قالوا صيام رمضان قال حسن وما هو به قالوا الحج قال حسن وما هو به قالوا الجهاد قال حسنة وما هو به

---

(١) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٤١٨

(٢) الخلاصة في شرح حديث الولي ص/٤١٩

قال إن أوسط عرى الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله (٦) (عن أبي ذر) (٧) قال خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون أي الأعمال احب إلى الله قال قائل الصلاة والزكاة وقال قائل الجهاد قال ان احب الأعمال إلى الله عز وجل الحب في الله والبغض في الله (عن أبي الطفيل) (٨) عامر بن واثلة أن رجلا مر على قوم فسلم عليهم فردوا عليه السلام فلما". (١)

١٢٨-"عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ». (١) رواه البخاري.الشرح :الحديث أصل في فضل الولي والولاية، وفيه من الفوائد١- أن من العباد من يكون وليا لله ومن يكون عدوا، والولي كل مؤمن تقي، ٹ ٹ چ پ پ پ پ پ چ والعدو كل كافر بالله ٹ ٹ چ ہ ہ ہچ وقال سبحانه چ چ.٢- وجوب موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه.٣- أن موالاة أولياء الله تتضمن التواضع لهم.٤- تحريم معاداة أولياء الله.٥- غيرة الله لأوليائه وكرامتهم عنده.٦- أن عداوة ولي من أولياء الله سبب لعداوة الله وحربه، والمعاداة : البغض وإرادة إلحاق الأذى والضرر والسعي في ذلك، فإن كان لدين ولي الله فهو كفر، وإن كان لغير ذلك وكان بغير حق فهو كبيرة، وإن كان بحق فمكروه، كالعداوة الناشئة عن خصومة.٧- الوعد بنصر الله لوليه.٨- إعلان الله الحرب على من يعادي وليا من أوليائه ومن حاربه الله أدركه وأهلكه.٩- التحذير من معاداة أولياء الله.١٠- أن الولاية تحصل بتحقيق العبادة، وذلك بالتقرب إلى الله بمحابه.١١- أن الأعمال الصالحة سبب لمحبة الله لعبده.١٢- تفاضل أولياء الله في حظهم من هذه المحبة.١٣- إثبات المحبة لله.______________(١) رواه البخاري (٦١٣٧).". (٢)

١٢٩-"١٤- أن الفرائض أفضل من النوافل في الجملة.١٥- أن الأعمال الصالحة كلها محبوبة لله، وبعضها أحب إليه من بعض، وأحبها الفرائض.١٦- أن العبادات منها الفرض ومنها النفل.١٧- أن أولياء الله صنفان :الأول: مقتصرون على فعل الفرائض وترك المحارم وهم المقتصدون وأصحاب اليمين، ويدل عليه قوله : " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ".الثاني : المتقربون بالنوافل بعد الفرائض، وهم المقربون والمسارعون في الخيرات، ويدل عليه قوله : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ".١٨- أن إكثار العبد من النوافل ومداومته عليها سبب لمحبة الله تعالى له محبة خاصة، ففيه:١٩- الحث على كثرة النوافل.٢٠- أن العبد فقير إلى الله لا يستغني عن عطاء ربه، مهما بلغ في الولاية، ولهذا مدح الله أنبياءه بدعائهم إياه، فقال تعالى: چ چ [الأنبياء : ٩٠].٢١- أن أثر هذه المحبة تسديد الله للعبد وحفظ جوارحه عن المحارم والفضول، فلا يتصرف العبد بجوارحه إلا على وفق الشرع، وهذا معنى قوله : "كنت سمعه وبصره ويده ورجله ". ومعنى ذلك أنه سبحانه المصرف لها بموجب أمره الشرعي وأمره الكوني، كما قال في الحديث " انا

---

(١) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه) ١/٥

(٢) الفوائد المستنبطة من الأربعين النووية - البراك ص/٦٢

الدهر، أقلب ليله ونهاره " (١) .٢٢- أن من آثار هذه المحبة الخاصة إجابة دعائه وإعطاءه سؤله وإعاذته مما استعاذ منه.٢٣- أن الدعاء سبب لحصول المطالب، ففيه:٢٤- الرد على الصوفية القائلين بأن الدعاء ونحوه من الأسباب ينافي التوكل.٢٥- تواضع المؤمن لربه بافتقاره إليه وإنزال حوائجه به.٢٦- أن الولي مستجاب الدعوة.٢٧- أن الدعاء سبب لجلب المطلوب ودفع المكروه.هذا وتمام الحديث عند البخاري في صحيحه :______________(١) رواه مسلم (٢٢٤٦) (١) عن أبي هريرة – رضي الله عنه –.". (١)

١٣٠-"فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا، وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان».ولقد أتى علي زمان ولا أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلما رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا.وخرجه في: باب إذا بقي في حثالة من الناس (٧٠٨٦) ، وباب الاقتداء بسنن النبي مختصرا (٧٢٧٦).[٢١٠٢] (٦٤٩٨) خ ونا أبواليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الناس (١) كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة».باب التواضع[٢١٠٣] (٦٥٠٢) خ نا محمد بن عثمان، نا خالد بن مخلد، نا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله جل ثناؤه قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته (٢) كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فإن سألني لأعطينه،______________(١) هاهنا في الأصل أقحم كلمة: على.(٢) هذا الموضع مضطرب في الأصل، فقومته من الصحيح.". (٢)

١٣١-"هذا قوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ وليس إذا فعل نافلة وضيع فريضة تقوم النافلة مقام الفريضة مطلقا بل قد تكون عقوبته على ترك الفريضة أعظم من ثواب النافلة . فإن قيل : العبد إذا نام عن صلاة أو نسيها كان عليه أن يصليها إذا ذكرها بالنص والإجماع . فلو كان لها بدل من التطوعات لم يجب القضاء . قيل : هذا خطأ فإن قيل هذا يقال في جميع مسقطات العقاب . فيقال : إذا كان العبد يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل ومعلوم أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور ؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب كما عليه أن يحتمي من السموم القاتلة وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية . والله عليم حكيم رحيم – أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله . ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب قال بعضهم لشيخه : إني أذنب قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب

---

(١) الفوائد المستنبطة من الأربعين النووية – البراك ص/٦٣

(٢) المختصر النصيح في تهذيب الكتاب الجامع الصحيح ٣/٤٥٠

قال : ثم أعود ، قال : تب قال : إلى متى قال : إلى أن تحزن الشيطان . وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إن الله يحب العبد المفتن التواب ﴾ . وأيضا فإن من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا فلا يكون تطوعا والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى . في الحديث الصحيح : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر لم يحصل له مقصود النوافل ولا يظلمه الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض كمن عليه ديون لأناس يريد أن يتطوع لهم بأشياء : فإن وفاهم وتطوع لهم كان عادلا محسنا . وإن وفاهم ولم يتطوع كان عادلا ، وإن أعطاهم ما يقوم مقام دينهم وجعل ذلك تطوعا كان غالطا في جعله ؛ بل يكون من الواجب الذي يستحقونه . ومن العجب أن " المعتزلة " يفتخرون بأنهم أهل " التوحيد " و " العدل " وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفيا يستلزم التعطيل والإشراك . وأما " العدل الذي وصف الله به نفسه " فهو أن لا يظلم مثقال ذرة وأنه : من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطا بذنب واحد من الكبائر وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى من جعل العدل هو التكذيب بقدر الله . (الخامس) : أن الله لم يجعل شيئا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما أنه لم يجعل شيئا يحبط جميع السيئات إلا التوبة . و " المعتزلة مع الخوارج " يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان قال الله تعالى : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ فعلق الحبوط بالموت على الكفر وقد ثبت أن هذا ليس بكافر والمعلق". [(١)]

١٣٢-" | | قال الشيخ - رحمه الله - : فيه إشارة إلى التبرئ عما سوى الله ، والانقطاع إلى | الله ، والشفقة على خلق الله ، وذلك أن المسافر مستوفز مضطرب الحال قل ما يساكن | شيئا أو يوافق حالا ، لأنه منتقل في المكان مختلف العشرة من الأحزان ، على وجل | من حوادث الزمان ، كثير الرجوع إلى الله إلى الرحمن ، قدر ما انفصل سره من | الاعتبار اتصل سره من الخيار ، صفا سره فأسرعت الإجابة إليه إذا دعاه ، والمظلوم | مضطر قال الله تعالى : ^ (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء) ^ [النمل : ٦٢] | والمضطر منقطع إلى الله تعالى ، والوالد مشفق على ولده مؤثر لحظه على حظ نفسه ، | فصحت شفقته فأجيبت دعوته . | حديث آخر | |

حدثنا أبو الفضل علي بن الحسن بن أحمد إمام جامع سرخس ، وأبو محمد | أحمد بن محمد بن رجاء السرخسيان ، قالا : ح أبو عبيد محمد بن إدريس السامي ، | ح أبو جعفر أحمد بن صالح المخزومي ، قال : حدثني عبيد الله بن عمر ، قال : ح | يوسف بن خالد السمتي ، قال : ح عمر بن إسحق أنه سمع عطاء بن يسار يحدث عن | ميمونة عن النبي - [ ] - قال : ' قال الله تعالى : من آذى لي وليا فقد | استحل محارمي ، وما تقرب إلي عبدي في مثل لآداء

(١) المفصل في شرح حديث من بدل دينه فاقتلوه ٢/٢١٨

فريضتي ، وأن العبد ليتحبب إلي | **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ، ويده التي يبطش بها ولسانه | الذي يتكلم به ، وقلبه الذي يعقل به ، إن سألني أعطيته ، وان دعاني أجبته ، وما ترددت | عن شيء أنا فاعله ترددي عن موته ، وذلك أنه يكرهه وأنا أكره مساءته ' . | | قال الشيخ – رحمه الله – : يجوز أن يكون معنى قوله 'كنت رجله ويده ' والله | أعلم ، أي : كنت حافظا له أعصمه وأعصم جوارحه ظاهرا وباطنا أن يتصرف إلا في | نجاتي ، لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه . |

". (١)

١٣٣–" | أنا فاعله ما ترددت في مساءة المؤمن يكره الموت ولا بد منه ، ما تقرب إلي عبد بمثل ما | اقترضت عليه ، ولا يزال العبد يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا احببته كنت سمعا | وبصرا ويدا ومؤيدا ، يدعوني فأستجب له ، ويستنصحني فأنصح له ، إن من عبادي | المؤمنين لمن يريد الباب من العبادة فأصرفه عنه كراهة أن يدخله عجب فيفسده ، وذلك | أن من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا لأفسده ، وإن من الغنى من لو أفقرته لأفسده | ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين من يصلح إيمانه إلا الفقر ، لو اغنيته لأفسده ذلك ، وإن | من عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا الصحة لو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من | عبادي المؤمنين من لا يصلح إيمانه إلا السقم ، لو اصححته لأفسده ذلك ، وذلك اني | أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير ' . | | قال الشيخ الإمام الزاهد – رحمه الله – : أولياء الله خصائصه الذين اصطفاهم في | أزالة قبل أن يوجدهم ، وانتجهم قبل أن يخلقهم ، واستخلصهم واصتنع لنفسه قبل | أن يحدثهم حين اوجدهم عن الأشياء إليه ، وصرف الأغيار عنهم ضنا بهم ، وغيره | عليهم ، زينهم بأوصافه ، وحلاهم بنعوتهم ، فهم علماء صلحاء كرام صادقون ، | رحماء حكماء عدول مؤمنون ، فهم بكثير أوصافه موصوفون ، وبأسمائه ونعوته | موسومون ، قلب بصفاته أحوالهم ، واضاف إليه نفسه أفعالهم ، فقال عز وجل ^ (فلم | تقتلوهم ولكن الله قتلهم) ^ [الانفال : ١٧] ، ^ (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) ^ | [الانفال : ١٧] قاتل بهم أعدائه ، وانتصر بهم ممن عاداه ، فهم أنصار الله ، قال الله | عز وجل : ^ (وينصرون الله ورسوله) ^ [الحشر : ٨] ، وقال : ^ (من أنصاري إلى | الله قال الحواريون نحن أنصار الله) ^ [الصف : ١٤] فلما كانوا انصاره يقاتلون من | ألحد في اسمائه ، ويناصبون من اشرك به ، ويذبون عن دينه ، ويقاتلون مع رسله ، جعل | آذاهم مبارزته ، وأهانتهم مناصبته ، فقال جل جلاله : ^ (إنما جزاء الذين يحاربون الله | ورسوله) ^ [المائدة : ٣٣] سماهم محاربين له آذوا أولياءه في سلب اموالهم ، وسفك | دماءهم ، وإخافة سبلهم ، وذلك انهم لما كانوا خصائصه فمن آذاهم فقد بارزه أي | اظهر مخالفة الله ، لأنه فعل بهم خلاف ما فعل الله بهم ، وأرادهم بغير ما أرادهم | الله به ، اكرمهم الله تعالى ، فأهانهم المؤذي لهم ، وواهم الله عز وجل ، فعاداهم | المهين لهم ، فصاروا لله محاربين ، وله بالعداوة بارزين ، ولحكمه فيهم مخالفين . |

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ص/٤٤

". (١)

١٣٤-" | افترض عليهم ليطهروا بها من أدناس الذنوب ، ويتنظفوا من أرجاس العيوب ، فقال | الله تعالى : ^ (إن الحسنات يذهبن السيئات) ^ [هود : ١١٤] ، وقد قال : ^ (خذ من | أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) ^ [التوبة : ١٠٣]) وقال : ^ (إن الله يحب التوابين | ويحب المتطهرين) ^ [البقرة : ٢٢٢] فإذا أتوا بهذه الفرائض تطهروا فصلحوا لدار | الطهارة وقربة القدس . | وقوله ' ولا يزال يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه '** لما علم المؤمن الوجه الذي جعله | الله سببا لطهارته ، والعمل الذي هو علامة من قربه الله تعالى منه ، وهو آداء فرائضه ، | أدى فرائضه باذلا فيها مجهود ٣ ، وكانت الفرائض في أوقات معدودة تسارع بعد الفراغ | منها إلى أمثالها من الاعمال وأشباهها من الأفعال طلبا لازدياد من السبب المقرب إليه ، | والسمة الدالة عليه ، فزاده الله تعالى محبة إلى تقريبه منه كما ازداد العبد تعبدا في حال | الحرية من رق العبودية في أداء ما لزمه ، فان مثل العبد في آداء الفرائض مثل المكاتب ، | كاتبه مولاه على مال يؤديه إليه نجوما ، فاذا أدى ما عليه عتق ، فكذلك العبد أوجب | الله تعالى عليه فروضا محدردة ، . وألزمه أمورا محدودة مؤقته ، فإذا أداها خرج من | رقها فهو إلى أن ياتيه وقت آخر عتيق في عمله ، وإلى أن يستقبله فرض ثان حر ، فمن | تعبد في حال الحرية شوقا إلى مولاه استحق المحبة ، كما أن من تعبد في حال الرق | استوجب القربة . | وقوله : ' فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ويؤيد) إذا أحب الله عبدا | أحدث فيه حبا لله ، فيحب الله كما أحبه الله ، قال الله تعالى : ^ (يحبونهم كحب الله) ^ | [البقرة : ١٦٥] ، وقال تعالى : ^ (يحبهم ويحبونه) ^ [المائدة : ٥٤] فالمحبوب محب ، | والمحب منخلع من جميع شهواته ، خارج من جميع صفاته ، لأن المحبة إذا استولت | على المحب أفنته عنه ، وسلبته عن صفاته ، واصطفته من نعوته فأصمه وأعماه ، وعن | جميع الأشياء به أبلاه ، وقال النبي - [ ] - : ' من حبك الشيء ما | يعمي ، وما يصم لا ' . | |

حدثناه حاتم بن عقيل ، قال : ح يحي بن إسماعيل ، قال : ح الحماني ، قال : ح | ابن المبارك ، عن ابن أبي مريم ، عن خالد بن محمد الثقف ، عن بلال بن أبي الدرداء | عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن رسول الله - [ ] - . |

". (٢)

١٣٥-"الحديث السادس والثلاثونعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ،

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ص/٣٧٨

(٢) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار ص/٣٨٠

ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بد له منه » رواه البخاري .هذا حديث جليل ، أشرف حديث في أوصاف الأولياء ، وفضلهم ومقاماتهم .فأخبر أن معاداة أوليائه معاداة له ومحاربة له . ومن كان متصديا لعداوة الرب ومحاربة مالك الملك فهو مخذول ، ومن تكفل الله بالذب عنه فهو منصور ، وذلك لكمال موافقة أولياء الله لله في محابه ، فأحبهم وقام بكفايتهم ، وكفاهم ما أهمهم .ثم ذكر صفة الأولياء الصفة الكاملة ، وأن أولياء الله هم الذين تقربوا إلى الله بأداء الفرائض والنوافل أولا : من صلاة وصيام وزكاة وحج ، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ، وجهاد ، وقيام بحقوقه وحقوق عباده الواجبة .". (١)

١٣٦-" قوله (إذا أحب الله عبدا نادى جبرائيل) بالنصب على المفعولية إني قد أحببت فلانا فأحبه بفتح الموحدة المشددة أمر من الإحباب أي أحبه أنت أيضا

قال النووي قال العلماء محبة الله تعالى لعبده هي إرادته الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته وبغضه إرادة عقابه أو شقاوته ونحوه وحب جبرائيل والملائكة يحتمل وجهين

أحدهما استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم والثاني أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين وهو ميل القلب إليه واشتياق إلى لقائه وسبب حبهم إياه كونه مطيعا لله تعالى محبوبا له انتهى

وقال الحافظ وقع في بعض طرق الحديث بيان سبب هذه المحبة والمراد بها ففي حديث ثوبان أن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول يا جبريل إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي غلبت عليه

الحديث أخرجه أحمد والطبراني ويشهد له حديث أبي هريرة الاني في الرقاق ففيه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**

الحديث انتهى (قال) أي رسول الله صلى الله عليه و سلم (فينادي) أي جبرائيل (في السماء) وفي حديث ثوبان أهل السماوات السبع وفي رواية للشيخين فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء (ثم تنزل له المحبة في أهل الأرض) وفي رواية للشيخين ثم يوضع له القبول في الأرض

قال النووي أي الحب في قلوب الناس ورضاهم عنه تميل إليه القلوب وترضى عنه (فذلك قول الله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا)

قال بن كثير في تفسيره يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضى الله لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا أمر لا بد منه ولا محيد عنه انتهى

قوله (هذا حديث حسن صحيح) وأخرجه أحمد والشيخان ". (٢)

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ص/١٣٩

(٢) تحفة الأحوذي ٨/٤٨٣

١٣٧-"أي : الموتوقال تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره [الزلزلة (٧)] .في هذا الآية تشويق لتقديم العمل الصالح بين يديه ليجد ثوابه عند قدومه على ربه .وقال تعالى : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا [المزمل (٢٠)] .أي ما أخرجتم لله خير لكم وأعظم أجرا عند الله مما ادخرتم .وقال تعالى : وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم [البقرة (٢٧٣)] .يعني : فيجزيكم بخير منه .والآيات في الباب كثيرة معلومة .وأما الأحاديث :[٩٥] فالأول : عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه » . رواه البخاري .« آذنته » : أعلمته بأني محارب له . « استعاذني » روي بالنون وبالباء .الولي : من تولى الله بالطاعة والتقوى ، فإن الله يتولاه بالحفظ والنصرة .وفي الحديث : الوعيد الشديد لمن عادى وليا من أجل طاعته لله عز وجل.وأن أحب العبادة إلى الله أداء فرائضه .وأن من تقرب إلى الله بالنوافل أحبه ، ونصره ، وحفظه ، وأجاب دعاءه ، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان ، فلا ينطق بما يسخط الله ، ولا تحرك جوارحه في معاصي الله .". (١)

١٣٨-"وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم [المائدة (٥٤)] .هذا من الكائنات التي أخبر الله بها قبل وقوعها ، وقد ارتد العرب في آخر عهد رسول الله (بنو مدلج ، ورئيسهم العنسي ، وبنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة ، وبنو أسد ورئيسهم طليحة .وفي عهد الصديق ، فزارة وغطفان ، وبنو سليم ، وبنو يربوع ، وبعض تميم ، قوم سجاح زوجة مسيلمة ، وكندة ، وبنو بكر بن وائل ، وكفى الله أمرهم على يد الصديق رضي الله عنه .وفي إمرة عمر ، غسان قوم جبلة بن الأيهم تنصر وسار إلى الشام .وقوله تعالى : فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، قيل : هم أهل اليمن ؛ لما روي أنه عليه السلام أشار إلى أبي موسى ، وقال : « هم قوم هذا » .[٣٨٦] وعن أبي هريرة (قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته ، ولئن استعاذني لأعيذنه » . رواه البخاري .معنى « آذنته » : أعلمته بأني محارب له . وقوله : « استعاذني » روي بالباء وروي بالنون .". (٢)

١٣٩-"وأما الأحاديث:٩٥ – فالأول: عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه،

---

(١) تطريز رياض الصالحين ٩١/١

(٢) تطريز رياض الصالحين ٢٦٣/١

وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». رواه البخاري.«آذنته»: أعلمته بأني محارب له. «استعاذني» روي بالنون وبالباء.الولي: من تولى الله بالطاعة والتقوى، فإن الله يتولاه بالحفظ والنصرة.وفي الحديث: الوعيد الشديد لمن عادى وليا من أجل طاعته لله عز وجل.وأن أحب العبادة إلى الله أداء فرائضه.وأن من تقرب إلى الله بالنوافل أحبه، ونصره، وحفظه، وأجاب دعاءه، ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فلا ينطق بما يسخط الله، ولا تحرك جوارحه في معاصي الله.". (١)

١٤٠-"٣٨٦ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه». رواه البخاري.معنى «آذنته»: أعلمته بأني محارب له. وقوله: «استعاذني» روي بالباء وروي بالنون.الولي: هو من تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه. -[٢٦١]-وفي الحديث: وعيد شديد لمن عادى وليا من أولياء الله.وفيه: أن أحب الأعمال إلى الله أداء فرائضه، وأن كثرة النوافل توجب محبة الله للعبد، وقربه، فيرتقي إلى درجة الإحسان، فيمتلأ قلبه بمعرفة الله تعالى، وعظمته، وخوفه، ورجائه، فإن نطق: نطق بالله، وإن سمع: سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش: بطش به. قال الله تعالى: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل: ١٢٨].". (٢)

١٤١-"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاريالفوائد التربوية :الفائدة الأولى: فيه الوعيد الشديد لمن آذى عبدا من عباد الله الصادقين حيث توعده الله بقوله " فقد آذنته بالحرب " .الفائدة الثانية: فيه الحث على أن يكون الشخص من أولياء الله حتى يحصل له هذا الفضل.الفائدة الثالثة: يدل على منزلة الإنسان المؤمن الصادق عند ربه، وأنها منزلة عالية حيث ينتقم الله له إن أوذي.الفائدة الرابعة: الولاية لله تختلف على حسب زيادة الإيمان والتقوى في القلب، لأنها مأخوذة من الولي بسكون اللام وهو القرب، ولا شك أن القرب إلى الله يختلف بإختلاف الطاعات، فعلى هذا كلما كان الشخص أكثر إيمانا وأشد صدقا وأعلى إخلاصا كلما ارتفعت درجة ولايته. الفائدة الخامسة: فيه محبة الله لأوليائه حيث ينتصر لهم إذا مسوا بسوء.الفائدة السادسة: يدل على عظيم غضب الله وشدته لكمال قوته سبحانه.الفائدة السابعة: دل على أن تقصد إيذاء المؤمنين معصية من المعاصي وكبيرة من كبائر الذنوب لأن الله رتب عليها الحرب.الفائدة الثامنة: الحديث يبعث الطمأنينة والراحة

---

(١) تطريز رياض الصالحين ص/٨٨

(٢) تطريز رياض الصالحين ص/٢٦٠

للمؤمن لأن الله تكفل بالإنتقام له، والمطلوب منه فقط رعاية إيمانه وزيادته حتى ترتفع درجة ولايته فيكون المؤمن إذا ابتلي مشغولا بالحفاظ على إيمانه وزيادته غير ناظر إلى عدوه لأن الله تكفل فيه.الفائدة التاسعة: دل الحديث على أن الفرائض أعلى من النوافل جميعا لقوله " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه " .". (١)

١٤٢-"الفائدة العاشرة: قوله " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل" فيه تفسير لمعنى الولي، وأن من أدى الفرائض ثم أتبعها بالنوافل حصل على ولاية الله وكلما كان حرصه على ذلك أكمل كلما كانت درجة ولايته أعلى إلى أن يصل إلى درجة الحديث وهي الإحسان.الفائدة الحادية عشرة: فيه رد على الصوفية الذين يزعمون أن الولي منزلة من بلغها سقطت عنه التكاليف، فمن تأمل الحديث وجد ان من بلغ مرتبة الولاية فعليه أن يزداد حفاظا على الفرائض والنوافل.الفائدة الثانية عشرة: الله يحب الطاعات وعلى رأسها الفرائض لقوله " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه " .الفائدة الثالثة عشر: أداء النوافل يحتاج إلى استمرار ومحافظة ومداومة حتى يرتقي الشخص إلى درجة أكمل ولهذا قال " ولا يزال " وهي كلمة تدل على الإستمرارية.الفائدة الرابعة عشر: يدل على أن النوافل مما يتقرب بها إلى الله، لا كما ينظر إليها بعض الناس اليوم أنه لا يأثم تاركها فنظروا إلى الإثم وعدمه وفاتهم أنها مما يقرب إلى الله.الفائدة الخامسة عشر: للنوافل فائدتان مذكورتان في الحديث:الأولى: أنها تقرب إلى الله في المنزلة، ولهذا قال " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل ".الثانية: تورث محبة الله سبحانه للعبد لقوله " **حتى أحبه** ".الفائدة السادسة عشر: فيه إثبات صفة المحبة لله سبحانه وتعالى.الفائدة السابعة عشر: الحديث فتح الباب أمام المسلم ليعمل ما يستطيع من النوافل وأنواع العبادات، ولهذا أطلق النوافل ولم يقيدها بقيد.الفائدة الثامنة عشر: العبودية لله هي حقيقة الولاية ولهذا كرر كلمة " عبدي " مرتين.الفائدة التاسعة عشر: الحديث يربي المسلم على العمل الصالح ليلتمس محبة الله لقوله " ولا يزال عبدي يتقرب " وهذا هو شأن المسلم في حياته يصرفها في طاعة الله ومرضاته.". (٢)

١٤٣-"عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله (: " إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه،ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه " . رواه البخاري .هذا أشرف حديث في ذكر الأولياء ، وولي الله تعالى من امتثل أمره واجتنب نهيه ، قال تعالى : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون قال خباب بن الأرت لرجل : تقرب إلى الله تعالى ما استطعت ، واعلم أنك لن تقرب إلى الله بشيء هو أحب إليه من كلامه (قوله : " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به " . إلى آخره) كقوله تعالى : إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال ابن رجب : المراد من هذا الكلام أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلئ قلبه بمعرفة الله تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته

---

(١) تعليقات تربوية على الأربعين النووية ص/٦٩

(٢) تعليقات تربوية على الأربعين النووية ص/٧٠

وإجلاله والأنس به ، والشوق إليه ، حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدا له بعين البصيرة؛ فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ، ولا يتحرك إلا بأمره فإن نطق نطق بالله ، وإن سمع سمع به ، وإن نظر نظر به ، وإن بطش بطش به ، فهذا هو المراد بقوله : "كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " .الحديث التاسع والثلاثون :عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي (قال : " إن الله تعالى تجاوز لي عن أمتي بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه " . حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما .". (١)

١٤٤-"أيضا عن أبي هريرة قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان»(١).وأيضا إن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه»(٢).أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضتعليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»(٣).______________(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة، برقم: (٢٦٦٤).(٢) جامع الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، برقم: (٢٣٩٦).(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: (٦٥٠٢).". (٢)

١٤٥-"٣- التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض. فعن أبي هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١).٤- الإكثار من أعمال البر، وخاصة في مواسم الخيرات؛ مثل رمضان وعشر ذي الحجة، فإن الأجر فيها مضاعف، والأعمال فيها أحب إلى الله، فعن ابن عباس قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعني أيام العشر، قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»(٢).______________(١) أخرجه

---

(١) تعليم الأحب أحاديث النووي وابن رجب ص/٣٦

(٢) ثلاث من كن فيه ص/٢٤

البخاري في صحيحه، في كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: (٦٥٠٢).(٢) رواه البخاري في العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، برقم: (٩٦٩)، وأبو داود — واللفظ له – في الصيام، باب في صوم العشر، برقم: (٢٤٣٨).". [١]

١٤٦-"أيضا عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: إن الله قال: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١).فمن هذين النصين يتبين أن من أهم آثار محبة الله للعبد :١- محبة الملائكة له.٢- ومحبة أهل الأرض له.٣- ورعاية الله تعالى وعنايته وحفظه له.٤- استجابة دعائه وإعطاؤه سؤله.٥- توفيقه له في هذه الحياة وتسديده.٦- طمأنينة قلبه، وانشراح صدره، وأمن في نفسه وأهله وماله.* * *سابعا: شيء من أحوال السلف في باب المحبة :إن محبة الله غالية، وهي الغاية القصوى من المقامات، التي شمر لها السابقون أزرهم وشدوا مئزرهم، وقد اهتم بها السلف الصالح أيما اهتمام، يقول ابن القيم رحمه الله: «وأما محبة الرب سبحانه فليس عند القلوب السليمة والأرواح الطيبة، والعقول الزاكية، أحلى ولا ألذ، ولا أطيب، ولا أسر، ولا أنعم من محبته والأنس به، والشوق إلى لقائه، والحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم، واللذة التي تناله أعلى من كل لذة» (٢).____________(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: (٦٥٠٢).(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ١٩٤، باختصار.". [٢]

١٤٧-"كلها وغيرها من الواجبات عامل من أهم عوامل الثبات. جاء في الحديث القدسي: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته»(١).٥ . الإكثار من عمل النوافل بحسب ما يفتح الله سبحانه على العبد، سواء نوافل الصلاة، أو الإنفاق، أو الصيام، أو العمرة والحج وغيرها، كما جاء في الحديث السابق: «.... وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت وأنا أكره مساءته»(٢).____________(١) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم: (٦٥٠٢).(٢) المرجع السابق.". [٣]

---

(١) ثلاث من كن فيه ص/٢٨

(٢) ثلاث من كن فيه ص/٣٩

(٣) ثلاث من كن فيه ص/١١٦

١٤٨-" وحدك فقال كيف أستوحش وهو يقول أنا جليس من ذكرني وقيل لآخر نراك وحدك فقال من يكن الله معه كيف يكون وحده وقيل لآخر أما معك مؤنس قال بلى قيل أين هو قال أمامي ومعي وخلفي وعن يميني وعن شمالي وفوقي وكان الشبلي ينشد إذا نحن أدجلنا وأنت أمامنا في المطايا بذكرك هاديا وقوله صلى الله عليه و سلم تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة يعني أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة فعرفه ربه في الشدة روعي له تعرفه إليه في الرخاء فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له وإجابته لدعائه فمعرفة العبد لربه نوعان أحدهما المعرفة العامة وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان وهو عامة للمؤمنين والثاني معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية والانقطاع إليه والأنس به والطمأنينة بذكره والحياء منه والهيبة له وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون كما قال بعضهم مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها قيل له وما هو قال معرفة الله عز و جل وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي وليس معرفته الإقرار به ولكن المعرفة إذا عرفته استحييت منه ومعرفة الله أيضا لعبده نوعان معرفة عامة وهي علمه تعالى بعباده واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه كما قال ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ق قال هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم النجم والثاني معرفة خاصة وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه وإجابة دعائه وإنجائه من الشدائد وهي المشار إليها بقوله صلى الله عليه و سلم فيما يحكي عن ربه ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وفي رواية ولئن دعاني لأجيبنه ولما هرب الحسن من الحجاج دخل إلى بيت حبيب بن محمد فقال له حبيب يا أبا سعيد أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به فيسترك من هؤلاء ادخل البيت فدخل ودخل الشرط على أثره فلم يروه فذكر ذلك للحجاج فقال بل كان في البيت إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه واجتمع الفضيل بن عياض بشعوانه العابدة فسألها الدعاء فقالت يا فضيل وما بينك وبينه ما إن دعوته أجابك فغشي على الفضيل وقيل لمعروف وما الذي ". [١]

١٤٩-" فتكون العقوبة على المعصية ولا ينضم إليها الهم بها إذا لو ضم إلى المعصية الهم بها لعوقب على عمل المعصية عقوبتين ولا يقال فهذا يلزم مثله في عمل الحسنة فإنها إذا عملها بعد الهم بها أثيب على الحسنة دون الهم بها لأنا نقول هذا ممنوع فإن من عمل حسنة كتبت له عشر أمثالها فيجوز أن يكون بعض هذه الأمثال جزاء للهم بالحسنة والله أعلم وقوله في حديث ابن عباس في رواية مسلم أو مجاهد يعني أن عمل السيئة إما أن تكتب لعاملها سيئة واحدة أو يمحوها الله بما شاء من الأسباب كالتوبة والاستغفار وعمل الحسنات وقد سبق الكلام فيما تمحي به السيئات في شرح حديث أبي ذر أتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وقوله بعد ذلك ولا يهلك على الله إلا هالك يعني بعد هذا الفضل العظيم من الله والرحمة الواسعة منه بمضاعفة الحسنات والتجاوز عن السيئات لايهلك على الله إلا من هلك وألقي بيده إلى التهلكة وتجرأ على السيئات ورغب عن الحسنات وأعرض عنها ولهذا قال ابن مسعود ويل لمن غلبت وحداته عشراته وروى

(١) جامع العلوم والحكم ص/١٨٩

الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس مرفوعا هلك من غلب واحده عشرا وخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث عبدالله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل تسبح الله دبر كل صلاة عشرا وتحمده عشرا وتكبره عشرا قال فذلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان فإذا أخذت مضجعك تسبحه وتكبره وتحمده مائة فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمائة سيئة وفي المسند عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لايدع أحدكم أن يعمل لله ألف حسنة حين يصبح يقول سبحان الله وبحمده مائة مره فإنها ألف حسنة فإنه لن يعمل إن شاء الله تعالى مثل ذلك في يومه من الذنوب ويكون ما عمل من خير سوي ذلك وافرا الحديث الثامن والثلاثون العبادة لله تعالى وسيلة القرب والمحبة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله تعالى قال من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه رواه البخاري ". (١)

١٥٠-" **حتى أحبه فإذا** أحببته كنت عينه التي يبصر بها ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن موته وذلك أنه يكره الموت وأنا أكره مساءته خرجه ابن أبي الدنيا وغيره وخرجه الإمام أحمد بمعناه وذكر ابن عدي أنه تفرد به عبد الواحد هذا عن عروة وعبدا لواحد هذا قال فيه البخاري منكر الحديث ولكن خرجه الطبراني حدثنا هارون بن كامل قال حدثنا إبراهيم بن سويد المدني قال حدثنا أبو حرزة يعقوب بن مجاهد قال أخبرني عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكره وهذا أيضا إسناده جيد ورجاله كلهم ثقات مخرج لهم في الصحيحين سوي شيخ الطبراني فإنه لا يحضرني الآن معرفة حاله ولعل الرواي قال حدثنا أبو حمزة يعني عبد الوهاب بن ميمون فخيل للسامع أنه قال أبو حرزة ثم سماه من عنده بناء على وهمه والله أعلم وخرج الطبراني وغيره من رواية عثمان بن أبي عاتكة عن على بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الله تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ابن آدم إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فأكون** قلبه الذي يعقل به ولسانه الذي ينطق به وبصره الذي يبصر به فإذا دعاني أجبته وإذا سألني أعطيته وإذا استنصرني نصرته وأحب عبادة عبدي إلى النصيحة وعثمان وعلي بن زيد ضعيفان قال أبو حاتم الرازي في هذا الحديث هو منكر جدا وقد روى من حديث على عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسند ضعيف وخرجه الإسماعيلي في مسند علي وروى من حديث ابن عباس بسند ضعيف وخرجه الطبراني وفيه زيادة في لفظه ورويناه من وجه آخر عن ابن عباس وهو ضعيف أيضا خرجه الطبراني وغيره من حديث الحسن بن يحي الخشني عن صدقة بن عبدالله الدمشقي عن هشام الكناني عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن ربه تعالى قال من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في

(١) جامع العلوم والحكم ص/٣٥٧

قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه وإن من عبادي المؤمنين من يريد بابا من العبادة فأكفه عنه أن لا يدخله عجب فيفسده ذلك وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال **يتنفل حتى أحبه ومن** أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده ذلك دعاني فأجبته وسألني فأعطيته ونصح لي فنصحت له وإن من عبادي من لايصلح إيمانه إلا الفقر وإن بسطت له لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك إني أدبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم إني عليم خبير والخشني وصدقة ضعيفان وهشام لا يعرف وسئل ابن معين عن هشام هذا من هو قال لا أحد يعني لا يعتبر به وقد ". (١)

١٥١-" افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه لما** ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم وتجب موالاتهم فذكر ما يقرب به إليه وأصل الموالاة القرب وأصل المعاداة البعد فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه وأعداؤه الذين أبعدهم منه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه فقسم أولياءه المقربين قسمين أحدهما من تقرب إليه بأداء الفرائض ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده والثاني من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل فظهر بذلك أن دعوي طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى وموالاته ومحبته سوي طاعته التي شرعها على لسان رسوله ممن ادعي ولاية الله ومحبته بغير هذا الطريق تبين أنه كاذب في دعواه كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه كما حكي الله عنهم أنهم قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفي الزمر وكما حكي الله عن اليهود والنصاري أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه المائدة مع إصرارهم على تكذيب رسله وارتكاب نواهيه وترك فرائضه فلذلك ذكر في هذا الحديث أن أولياء الله على درجتين أحدهما المقربون إليه بأداء الفرائض وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين وأداء الفرائض أفضل الأعمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الأعمال أداء ما افترض الله والورع عما حرم الله وصدق النية فيما عند الله تعالى وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته أفضل العبادات أداء الفرائض واجتناب المحارم وذلك أن الله تعالى إنما افترض على عباده هذه الفرائض فيقربهم عنده ويوجب لهم رضوانه ورحمته وأعظم فرائض البدن التي تقرب إليه الصلاة كما قال تعالى واسجد واقترب العلق وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وقال إذا كان أحدكم يصلي فإنما يناجي ربه وربه بينه وبين القبلة وقال إن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعي في رعيته سواء كانت رعيه عامة كالحاكم أو خاصة كعدل آحاد الناس في أهله وولده كما قال صلى الله عليه وآله وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم و أهليهم وما والوا وفي الترمذي عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلسا إمام عادل الدرجة الثانية درجة السابقين المقربين وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في النوافل والطاعات والانكفاف

---

(١) جامع العلوم والحكم ص/٣٥٩

عن دقائق المكروهات بالورع وذلك يوجب للعبد محبة الله كما قال ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه ومن** أحبه الله رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته فأوجب له ذلك القرب منه والزلفي لديه والحظ عنده كما قال الله تعالى ". [١]

١٥٢-"ومعرفة الله أيضا لعبده نوعان :معرفة عامة وهي علمه سبحانه بعباده ، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه ، كما قال : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ﴾ (١) ، وقال : ﴿ هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ﴾ (٢) .والثاني : معرفة خاصة : وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه ، وإجابة دعائه ، وإنجاءه من الشدائد ، وهي المشار إليها بقوله – صلى الله عليه وسلم – فيما يحكى عن ربه : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، فلئن سألني ، لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)) ، وفي رواية : ((ولئن دعاني لأجيبنه))(٣) .ولما هرب الحسن من الحجاج دخل إلى بيت حبيب أبي محمد ، فقال له حبيب :يا أبا سعيد ، أليس بينك وبين ربك ما تدعوه به فيسترك من هؤلاء ادخل البيت ، فدخل ، ودخل الشرط على أثره ، فلم يروه ، فذكر ذلك للحجاج ، فقال : بل كان في البيت ، إلا أن الله طمس أعينهم فلم يروه .واجتمع الفضيل بن عياض بشعوانة العابدة ، فسألها الدعاء ، فقالت : يا فضيل ، وما بينك وبينه ، ما إن دعوته أجابك ، فغشي على الفضيل(٤) .وقيل لمعروف : ما الذي هيجك(٥) إلى الانقطاع والعبادة – وذكر له الموت والبرزخ والجنة والنار — فقال معروف : إن ملكا هذا كله بيده إن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا .____________(١) ق : ١٦ .(٢) النجم : ٣٢ .(٣) سيأتي تخريجه إن شاء الله ، وهو الحديث الثامن والثلاثون .(٤) أخرجه : ابن الجوزي في " صفة الصفوة " ٣٤/٤ .(٥) في (ص) : ((حملك)) .". [٢]

١٥٣-"الحديث الثامن والثلاثونعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : ((إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)) . رواه البخاري(١) .هذا الحديث تفرد بإخراجه البخاري من دون بقية أصحاب الكتب ، خرجه عن محمد بن عثمان بن كرامة ، حدثنا خالد بن مخلد ، حدثنا سليمان بن بلال ، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن عطاء ، عن أبي هريرة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فذكر الحديث بطوله ، وزاد في آخره : ((وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)) .وهو من غرائب " الصحيح " ، تفرد به ابن كرامة عن خالد ، وليس هو في" مسند أحمد " ، مع أن خالد بن مخلد القطواني تكلم فيه أحمد وغيره ، وقالوا : لهمناكير (٢) ، وعطاء الذي في إسناده قيل : إنه ابن أبي رباح ، وقيل : إنه ابن يسار ، وإنه وقع في بعض نسخ " الصحيح " منسوبا كذلك .____________(١) في " صحيحه "

---

(١) جامع العلوم والحكم ص/٣٦١

(٢) جامع العلوم والحكم محقق ١٧/٢١

١٣١/٨ (٦٥٠٢) .وأخرجه : أبو نعيم في " الحلية " ١/ ٤ – ٥ ، والبيهقي ٣٤٦/٣ و١٠/ ٢١٩ وفي " الزهد " ، له (٦٩٠) ، والبغوي في " شرح السنة " (١٢٤٨) .(٢) انظر : الجرح والتعديل ٣٤٩/٣ (٣٨٩٢) .". [(١)]

١٥٤–"وقد روي هذا الحديث من وجوه أخر لا تخلو كلها عن مقال ، فرواهعبد الواحد بن ميمون أبو حمزة مولى عروة بن الزبير عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((من آذى لي وليا ، فقد استحل محاربتي ، وما تقرب إليعبدي بمثل أداء فرائضي ، وإن عبدي ليتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذاأحببته ، كنت عينه التي يبصر بها ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشيبها ، وفؤاده الذي يعقل به ، ولسانه الذي يتكلم به ، إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن موته ، وذلك أنه يكره الموت وأنا أكره مساءته)) . خرجه ابن أبي الدنيا (١) وغيره ، وخرجه الإمام أحمد (٢)بمعناه .______________(١) في " الأولياء " (٤٥) عن عائشة ، به .(٢) في " مسنده " ٦/٢٥٦، وإسناد الحديث ضعيف جدا ؛ لشدة ضعف عبد الواحد مولى عروة ، وهو ابن ميمون أبو حمزة قال عنه الإمام البخاري : ((منكر الحديث)) .". [(٢)]

١٥٥–"وذكر ابن عدي (١) أنه تفرد به عبد الواحد هذا عن عروة ، وعبد الواحد هذا قال فيه البخاري (٢) : منكر الحديث ، ولكن خرجه الطبراني (٣) : حدثنا هارون بن كامل ، حدثنا سعيد بن أبي مريم ، حدثنا إبراهيم بن سويد المدني ، حدثني أبو حزرة يعقوب بن مجاهد ، أخبرني عروة ، عن عائشة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، فذكره . وهذا إسناده جيد ، ورجاله كلهم ثقات مخرج لهم في " الصحيح " سوى شيخ الطبراني ، فإنه لا يحضرني الآن معرفة حاله ، ولعل الراوي قال : حدثنا أبو حمزة ، يعني :عبد الواحد بن ميمون (٤) ، فخيل للسامع أنه قال : أبو حزرة ، ثم سماه من عنده بناء على وهمه ، والله أعلم .وخرج الطبراني (٥) وغيره من رواية عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((يقول الله – عز وجل – : من أهان لي وليا ، فقد بارزني بالمحاربة ، ابن آدم ، إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك ، ولا يزال عبدي يتحبب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فأكون قلبه الذي يعقل به ، ولسانه الذي ينطق به ، وبصره الذي يبصر به ، فإذا دعاني أجبته ، وإذا سألني أعطيته ، وإذا استنصرني نصرته ، وأحب عبادة عبدي إلي النصيحة)) . عثمانوعلي ابن يزيد ضعيفان . قال أبو حاتم الرازي في هذا الحديث : هو منكرجدا (٦).______________(١) في " الكامل " ٦/٥٢٤ .(٢) في " التاريخ الكبير " ٣٣٥/٥ (٧٧٧٤) .(٣) في " الأوسط " (٩٣٥٢) .(٤) انظر : التاريخ الكبير ٣٣٥/٥ (٧٧٧٤) ، والجرح والتعديل ٣٠/٦ (٩٣٧٤) .(٥) في " الكبير " (٧٨٨٠) .(٦) في " العلل " ٣٩٩/٢ عقيب (١٨٧٢) .". [(٣)]

١٥٦–"من حديث الحسن بن يحيى الخشني ، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي ، عن هشام الكناني ، عن أنس ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، عن جبريل ، عن ربه تعالى قال : ((من أهان لي وليا ، فقد بارزني بالمحاربة ، وما

---

(١) جامع العلوم والحكم محقق ١/٤٠

(٢) جامع العلوم والحكم محقق ٢/٤٠

(٣) جامع العلوم والحكم محقق ٣/٤٠

ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولابد له منه ، وإن من عبادي المؤمنين من يريد بابا من العبادة ، فأكفه عنه لا يدخله عجب ، فيفسده ذلك ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتنفل **إلي حتى أحبه** ، ومن أحببته ، كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ، دعاني ، فأجبته ، وسألني ، فأعطيته ، ونصح لي فنصحت له ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى ، ولو أفقرته ، لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر ، وإن بسطت له ، أفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته ، لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ، ولو أصححته ، لأفسده ذلك ، إني أدبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم ، إني عليم خبير)) . والخشني وصدقة ضعيفان ، وهشام لا يعرف ، وسئل ابن معين عن هشام هذا : من هو قال : لا أحد ، يعني : أنه لا يعتبر به . وقد خرج البزار (١) بعض الحديث من طريق صدقة ، عن عبد الكريم الجزري ، عن أنس (٢) .ـــــــــــــــــــ(١) لم أعثر على هذا الحديث عند البزار في " مسنده " ولا في "كشف الأستار " .(٢) أخرجه : الطبراني في " الأوسط " (٦١٣) ، والطبعة العلمية (٦٠٩) قال الطبراني : ((لم يرو هذا الحديث عن عبد الكريم إلا صدقة ، تفرد به عمر)) . وعمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي الذي تفرد به ضعيف ، فالحديث ضعيف ، وانظر : مجمع الزوائد ٢٧٠/١٠ ، وفتح الباري ٣٤٩/١١ .". [١]

١٥٧-"واعلم أن جميع المعاصي محاربة لله - عز وجل - ، قال الحسن : ابن آدم هل لكبمحاربة الله من طاقة فإن من عصى الله ، فقد حاربه ، لكن كلما كان الذنب أقبح ، كانت المحاربة لله أشد ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا ، وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله ؛ لعظيم ظلمهم لعباده ، وسعيهم بالفساد في بلاده ، وكذلك معاداة أوليائه ، فإنه تعالى يتولى نصرة أوليائه ، ويحبهم ويؤيدهم ، فمن عاداهم ، فقد عادى الله وحاربه ، وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، قال : ((الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضا ، فمن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى اللهيوشك أن يأخذه)) خرجه الترمذي (١) وغيره .وقوله : ((وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)) (٢) : لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له ، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم ، وتجب موالاتهم ، فذكر ما يتقرب به إليه ، وأصل الولاية : القرب ، وأصل العداوة : البعد ، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه ، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه ، فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين :ـــــــــــــــــــ(١) في " جامعه " (٣٨٦٢) .وأخرجه : أحمد ٨٧/٤ و٥٤/٥ – ٥٥ و٥٧ وفي " فضائل الصحابة " ، له (٣) ، وعبد الله ابن أحمد في زوائده على " الفضائل " (٢) و(٤) ، وابن حبان (٧٢٥٦) ، وأبو نعيم في" الحلية " ٢٨٧/٨ ، والبغوي في " شرح السنة " (٣٨٦٠) من حديث عبد الله بن مغفل ،به ، وهو حديث ضعيف ، وقد استغربه الترمذي .(٢) سبق تخريجه .". [٢]

---

(١) جامع العلوم والحكم محقق ٥/٤٠

(٢) جامع العلوم والحكم محقق ٨/٤٠

١٥٨-"وفي " الترمذي " (١) عن أبي سعيد ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، قال : ((إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلسا إمام عادل)) .الدرجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات ، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع ، وذلك يوجب للعبد محبة الله ، كما قال : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)) (٢) ، فمن أحبه الله ، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته ، فأوجب له ذلك القرب منه ، والزلفى لديه ، والحظوة عنده ، كما قال الله تعالى : ﴿ من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ (٣) ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن منأعرض عن حبنا ، وتولى عن قربنا ، لم نبال ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحةمنه وأحق ، فمن أعرض عن الله ، فما له من الله بدل ، ولله منه أبدال .ما لي شغل سواه ما لي شغلما يصرف عن هواه قلبي عذلما أصنع إن جفا وخاب الأملمني بدل ومنه ما لي بدل______________(١) في " جامعه " (١٣٢٩) ، وهو حديث ضعيف في إسناده عطية بن سعد العوفي ضعيف عند المحدثين ، وقال الترمذي : ((حسن غريب)) ، وهو من تساهله رحمه الله .(٢) سبق تخريجه .(٣) المائدة : ٥٤ .". (١)

١٥٩-"عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه" رواه البخاري.الحديث السابع والثلاثونأثر الصدق في المعاملةعن حكيم بن حزام – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ؛ فإن صدقا وبينا، بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما" متفق عليه.الحديث الثامن والثلاثونالنهي عن بيع الغررعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر" رواه مسلم.الحديث التاسع والثلاثونأنواع الصلح". (٢)

١٦٠-"وزعم تعلقها بالحق يرده إلى أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر كما يشهد به حديث: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ على حسب معرفته به، وأعرف الناس با تعالى نبينا ، فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب، وسيأتي الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى في قوله في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: «ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب﴾، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وحبيب فعيل بمعنى مفعول من أحبه فهو محب أو من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله) الأعظم كما يؤذن به حديث: «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا» وهو فعيل بمعنى مفعول

---

(١) جامع العلوم والحكم محقق ١١/٤٠

(٢) جوامع الأخبار ص/١٠

أيضا، من الخلة بالفتح: وهي الحاجة، أو بالضم، وهي تخلل المودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، وقد خالل قلبه من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ما لم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر. ثم اقتصاده على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الأدب وأشرف، لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب، وإلا ففي «النهاية»: الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في خلاله أي باطنه. وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح: وهي الحاجة والفقر ا هـ. ثم الذي رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشي وغيره أن الخلة أرفع لأنها نهاية المحبة وغايتها.". (١)

١٦١-"وروي أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة؛ وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس، (وما يزال عبدي) إضافته لما تقدم (يتقرب) وفي رواية: «يتحبب» (إلي بالنوافل) أي: بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر وكفى في شرفه قوله تعالى: (﴿فاذكروني أذكركم﴾) (البقرة:١٥٢) وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه (حتى أحبه) بضم أوله والفعل منصوب. ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه، وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض، إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك، تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه. ويؤخذ من سياق الحديث أن الولي إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجبا ولا يفعل محرما أو بها مع النوافل وهذا أكمل وأفضل. ولذا خص بالمحبة السابقة والصيرورة الآتية، وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته التي جاء بها رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وما سواها باطل (فإذا أحببته كنت) أي صرت حينئذ (سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر) بضم أوله وكسر ثالثه (به، ويده التي يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (بها ورجله التي يمشي بها).". (٢)

١٦٢-"وفي رواية لأحمد «الضعيف المستضعف» (لو يقسم على الله لأبره) أي لأبر قسمه: أي لو حلف يمينا طمعا في كرم الله بإبراره لأبره بحصول ذلك، وسيأتي فيه بسط. ومن ذلك ما روي عن أنس بن النضر في أخته الربيع لما كسرت سن المرأة وأمر بالقصاص، فقال أنس: وا لا تكسر سن الربيع، فرضي أهل المرأة المجنى عليها بالأرش، فقال : «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبر قسمه» وأتى بالمضارع في حديث الباب إيماء إلى استمرار عناية الله بهم كل زمن ووقت وقضاء حوائجهم وتيسير مطالبهم ويكفيك قوله في الحديث القدسي «لا يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه» الحديث: أي كنت متوليا لسائر أموره كافيا له في مطالبه (ألا أخبركم بأهل النار) أي بسماتهم وأفعالهم لتجتنبوها، هم (كل عتل) بضم المهملة والفوقية وتشديد اللام (جواظ مستكبر) أي متخلق به وهو كما في الحديث المرفوع «بطر الحق» أي دفعه وعدم الانقياد إليه «وغمط الناس» أي احتقارهم زاد في رواية بعد جواظ «جعظري» وهو بفتح الجيم والظاهر المعجمة وسكون المهملة

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١٢/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٣٧٦/١

بينهما. قيل الفظ الغليظ. وقيل الذي لا عرض له، وقيل الذي يتمدح بما ليس عنده (متفق عليه) أخرجه البخاري في التفسير والأدب والنذور من «صحيحه»، ومسلم في صفة الجنة. وأخرجه الترمذي في صفة الجنة ومداره عندهم على شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة كذا لخص من الأطراف للمزي (العتل الغليظ) العنيف، وهذا قول الخطابي (الجافي) من الجفاء: أي الجافي عن المواعظ، هذا قول الفراء، والمصنف جمع القولين وجعلهما قولا واحدا، وقيل هو الشديد من كل شيء، وقيل الكافر. وقال الداودي: السمين العظيم العنق والبطن. وقال الهروي: الجموع المنوع. قال: ويقال هو القصير البطين، وقيل الأكول الشروب الظلوم (والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو، وبالظاء المعجمة: وهو الجموع المنوع) هذا بعض تفسير له جاء مرفوعا قال ابن النحوي: روي عن ابن عباس مرفوعا «ثلاثة لا يدخلون الجنة:". [(١)]

١٦٣-"١٣٨٦ - (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «إن الله تعالى قال) هكذا أورده هنا بصيغة الماضي وفي الأربعين، يقول بصيغة المضارع، وعلل بعض الشراح بقوله مضارعا لأن المضارع يدل على الحال الخاص (من عادى لي وليا) من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو فهو القريب من الله لتقربه إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أو من المولاة ضد المعاداة فهو من تول الله بالطاعة والتقوى فتولاه بالحفظ والنصر وقدم الظرف للاختصاص: أي من اتخذ وليا لي لا لغيري عدوا (فقد آذنته) بالمد أي أعلمته (بالحرب) أي إني محارب له عنه: أي مهلكه بأخذه على غرة، وهذا وعيد شديد لمعاندته ومعاداته من أحب الله تعالى، ويلزم من ثبوت محاربته تعالى لأعداء أوليائه ثبوت موالاته لمن والاهم (وما تقرب إلي عبدي) إضافته إضافة تشريف (بشيء) أي بأداء شيء (أحب إلى ما افترضته عليه) أي من أداء ما افترضته عليه عينا كان أو كفاية، وإنما كان أحب إليه من النفل لأنه أكمل من حيث إن الأمر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه بخلافه، فإن الأمر به غير جازم يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، ولأنه كما قيل جزء من سبعين جزءا من الفرض (وما يزال عبدي يتقرب إلي) بعد أداء فرائضه (بـ) ـأداء (النوافل) من صلاة وصيام وحج وصدقة (حتى أحبه، فإذا أحببته) ورضيت عليه وأردت به الخير (كنت سمعه) يجوز أن يكون على تقدير مضاف فيه وفيما عطف عليه: أي حافظ سمعه وهو القوة المرتبة في العصب المفروشة على سطح باطن الصماخ يدرك بها الأصوات بتموج الهواء وقوله (الذي يسمع به) صفة توضيحية جيء بها للتأكيد، ويجوز أن تكون مخصصة احترازا من اليد وللرجل الشلاوين: أي حافظة عن أن يسمع به ما لا يحل سماعه من غيبة ونميمة وما في معناهما (وبصره الذي يبصر به) هو قوة مرتبة من العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان إلى العينين يدرك بها الألوان ونحوها، ويؤخذ". [(٢)]

١٦٤-"وزعم تعلقها بالحق يرده إلى أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر كما يشهد به حديث: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ على حسب معرفته به، وأعرف الناس با تعالى نبينا ، فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب، وسيأتي الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى في قوله في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: «ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب﴾، ولا يزال عبدي يتقرب

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٣٣٣/٢

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ٩١/٤

إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وحبيب فعيل بمعنى مفعول من أحبه فهو محب أو من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله) الأعظم كما يؤذن به حديث: «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا» وهو فعيل بمعنى مفعول أيضا، من الخلة بالفتح: وهي الحاجة، أو بالضم، وهي تخلل المودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، وقد خالل قلبه من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ما لم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر. ثم اقتصاده على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الأدب وأشرف، لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب، وإلا ففي «النهاية»: الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في خلاله أي باطنه. وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح: وهي الحاجة والفقر ا هـ. ثم الذي رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشي وغيره أن الخلة أرفع لأنها نهاية المحبة وغايتها.(١٢/١)". (١)

١٦٥-"١٣٨٦ ـ (وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «إن الله تعالى قال) هكذا أورده هنا بصيغة الماضي وفي الأربعين، يقول بصيغة المضارع، وعلل بعض الشراح بقوله مضارعا لأن المضارع يدل على الحال الخاص (من عادى لي وليا) من الولي بسكون اللام وهو القرب والدنو فهو القريب من الله لتقربه إليه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، أو من المولاة ضد المعاداة فهو من تول الله بالطاعة والتقوى فتولاه بالحفظ والنصر وقدم الظرف للاختصاص: أي من اتخذ وليا لي لا لغيري عدوا (فقد آذنته) بالمد أي أعلمته (بالحرب) أي إني محارب له عنه: أي مهلكه بأخذه على غرة، وهذا وعيد شديد لمعاندته ومعاداته من أحب الله تعالى، ويلزم من ثبوت محاربته تعالى لأعداء أوليائه ثبوت موالاته لمن والاهم (وما تقرب إلي عبدي) إضافته إضافة تشريف (بشيء) أي بأداء شيء (أحب إلى ما افترضته عليه) أي من أداء ما افترضته عليه عينا كان أو كفاية، وإنما كان أحب إليه من النفل لأنه أكمل من حيث إن الأمر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه بخلافه، فإن الأمر به غير جازم يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، ولأنه كما قيل جزء من سبعين جزءا من الفرض (وما يزال عبدي يتقرب إلي) بعد أداء فرائضه (بـ) ـأداء (النوافل) من صلاة وصيام وحج وصدقة (حتى أحبه، فإذا أحببته) ورضيت عليه وأردت به الخير (كنت سمعه) يجوز أن يكون على تقدير مضاف فيه وفيما عطف عليه: أي حافظ سمعه وهو القوة المرتبة في العصب المفروشة على سطح باطن الصماخ يدرك بها الأصوات بتموج الهواء وقوله (الذي يسمع به) صفة توضيحية جيء بها للتأكيد، ويجوز أن تكون مخصصة احترازا من اليد وللرجل الشلاوين: أي حافظة عن أن يسمع به ما لا يحل سماعه من غيبة ونميمة وما في معناهما (وبصره الذي يبصر به) هو قوة مرتبة من العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان إلى العينين يدرك بها الألوان ونحوها، ويؤخذ(".(٢)

١٦٦-"وروي أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة؛ وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس، (وما يزال عبدي) إضافته لما تقدم (يتقرب) وفي رواية: «يتحبب» (إلي بالنوافل) أي: بالتطوعات من جميع أصناف

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى ١٢/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى ٢٥٣/١

العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر وكفى في شرفه قوله تعالى: (﴿فاذكروني أذكركم﴾) (البقرة:١٥٢) وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه (حتى أحبه) بضم أوله والفعل منصوب. ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه، وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض، إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك، تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه. ويؤخذ من سياق الحديث أن الولي إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجبا ولا يفعل محرما أو بها مع النوافل وهذا أكمل وأفضل. ولذا خص بالمحبة السابقة والصيرورة الآتية، وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته التي جاء بها رسول الله. صلى الله عليه وسلم . وما سواها باطل (فإذا أحببته كنت) أي صرت حينئذ (سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر) بضم أوله وكسر ثالثه (به، ويده التي يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (بها ورجله التي يمشي بها).(٣٧٦/١)". [1]

١٦٧-"وفي رواية لأحمد «الضعيف المستضعف» (لو يقسم على الله لأبره) أي لأبر قسمه: أي لو حلف يمينا طمعا في كرم الله بإبراره لأبره بحصول ذلك، وسيأتي فيه بسط. ومن ذلك ما روي عن أنس بن النضر في أخته الربيع لما كسرت سن المرأة وأمر بالقصاص، فقال أنس: وا لا تكسر سن الربيع، فرضى أهل المرأة المجنى عليها بالأرش، فقال : «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبر قسمه» وأتى بالمضارع في حديث الباب إيماء إلى استمرار عناية الله بهم كل زمن ووقت وقضاء حوائجهم وتيسير مطالبهم ويكفيك قوله في الحديث القدسي «لا يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه» الحديث: أي كنت متوليا لسائر أموره كافيا له في مطالبه (ألا أخبركم بأهل النار) أي بسماتهم وأفعالهم لتجتنبوها، هم (كل عتل) بضم المهملة والفوقية وتشديد اللام (جواظ مستكبر) أي متخلق به وهو كما في الحديث المرفوع «بطر الحق» أي دفعه وعدم الانقياد إليه «وغمط الناس» أي احتقارهم زاد في رواية بعد جواظ «جعظري» وهو بفتح الجيم والظاهر المعجمة وسكون المهملة بينهما. قيل الفظ الغليظ. وقيل الذي لا عرض له، وقيل الذي يتمدح بما ليس عنده (متفق عليه) أخرجه البخاري في التفسير والأدب والنذور من «صحيحه»، ومسلم في صفة الجنة. وأخرجه الترمذي في صفة الجنة ومداره عندهم على شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة كذا لخص من الأطراف للمزي (العتل الغليظ) العنيف، وهذا قول الخطابي (الجافي) من الجفاء: أي الجافي عن المواعظ، هذا قول الفراء، والمصنف جمع القولين وجعلهما قولا واحدا، وقيل هو الشديد من كل شيء، وقيل الكافر. وقال الداودي: السمين العظيم العنق والبطن. وقال الهروي: الجموع المنوع. قال: ويقال هو القصير البطين، وقيل الأكول الشروب الظلوم (والجواظ بفتح الجيم وتشديد الواو، وبالظاء المعجمة: وهو الجموع المنوع) هذا بعض تفسير له جاء مرفوعا قال ابن النحوي: روي عن ابن عباس مرفوعا «ثلاثة لا يدخلون الجنة:(". [2]

١٦٨-" الحديث الثامن والثلاثون

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى ٣٨٣/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى ٢٦٧/٢

[عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه] رواه البخاري

قال صاحب الإفصاح : في هذا الحديث من الفقه : أن الله سبحانه وتعالى قدم الإعذار إلى كل من عادي وليا : أنه قد آذنه بأنه محاربه بنفس المعاداة وولي الله تعالى هو الذي يتبع ما شرعه الله تعالى فليحذر الإنسان من إيذاء قلوب أولياء الله عز و جل ومعنى المعاداة : أن يتخذه عدوا ولا أرى المعنى إلا من عاداه لأجل ولاية الله أما إذا كانت لأحوال تقتضي نزاعا بين وليين لله محاكمة أو خصومة راجعة إلى استخراج حق غامض فإن ذلك لا يدخل في هذا الحديث فإنه قد جرى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خصومة وبين العباس وعلي رضي الله عنهما وبين كثير من الصحابة وكلهم كانوا أولياء لله عز و جل قوله : [وما تقرب إلى عبدي بشئ أحب إلى مما افترضته عليه] فيه إشارة إلى أنه لا تقدم نافلة على فريضة وإنما سميت النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة وإلا فلا يتناولها إسم النافلة ويدل على ذلك قوله : [ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه]** لأن التقرب بالنوافل يكون بتلو أداء الفرائض ومتى أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك به إلى أن يحبه الله عز و جل ثم قال : [فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به] إلى آخره فهذه علامة ولاية الله لمن يكون الله قد أحبه ومعنى ذلك أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع له بسماعه ولا يبصر ما لم يأذن الشرع له في إبصاره ولا يمد يده إلى شئ ما لم يأذن الشرع له في مدها إليه ولا يسعى برجله إلى فيما أذن الشرع في السعي إليه فهذا هو الأصل إلا أنه قد يغلب على عبد ذكر الله تعالى حتى يعرف بذلك فإن خوطب بغيره لم يكد يسمع لمن يخاطبه حتى يتقرب إليه بذكر الله غير أهل الذكر : توصيلا إلى أن يسمع لهم وكذلك في المبصرات والمتناولات والمسعى إليه تلك صفة عالية نسأل الله أن يجعلنا من أهلها قوله : [ولئن استعاذني لأعيذنه] يدل على أن العبد إذا صار من أهل حب الله تعالى لم يمتنع أن يسأل ربه حوائجه ويستعيذ به ممن يخافه والله تعالى قادر على أن يعطيه قبل أن يسأله وأن يعيذه قبل أن يستعيذه ولكنه سبحانه متقرب إلى عباده بإعطاء السائلين وإعاذة المستعيذين وقوله : [استعاذني] ضبطوه بالنون والباء وكلاهما صحيح وقوله في أول الحديث [فقد آذنته بالحرب] بهمزة ممدودة : أي أعلنته أنه محارب لي ". (١)

١٦٩-"الفرض والنافلة في الصلاة

وإذا جئنا إلى أركان الإسلام الأخرى: فأولها: الصلاة.

وقد أوجب الله سبحانه وتعالى الصلوات الخمس، ونعلم جميعا أنها أول ما فرضت خمسين صلاة، ثم ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتردد بين ربه وبين موسى عليه السلام ويطلب التخفيف ويسقط عنه خمسا خمسا حتى استقرت خمسا في العمل وهي في الأجر خمسون.

---

(١) شرح الأربعين - ابن دقيق العيد ص/١٠٠

وجعل الله سبحانه مما شرع نبيه صلى الله عليه وسلم –وهو لا ينطق عن الهوى– صلوات أخرى نوافل: منها الرواتب مع الفريضة.

ومنها النوافل المقيدة بزمن أو بعمل.

ومنها النافلة المطلقة.

فمن الرواتب: كما جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ركعات في اليوم والليلة –أي: نوافل– وذكر ركعتي الفجر، وركعتين بعد الظهر، وركعتين قبله، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء)، وجاءت أحاديث أخرى: (أن مع الظهر أربعا قبلها وأربعا بعدها، ومع العصر أربعا قبلها).

وبين المغرب والعشاء صلاة الأوابين: ست ركعات، ركعتين ركعتين ركعتين.

ثم قيام الليل بلا حد ولا عد.

تلك هي الرواتب مع الصلوات الخمس.

وهناك النوافل المقيدة بزمن: كركعتي الضحى، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم ما يترتب عليها من عظيم الأجر كما سيأتي أنها تعدل ثلاثمائة وستين صدقة، وكذلك تعلم القرآن في بيوت الله تعالى، ومن فضل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيكم يحب أن يذهب إلى بطحان ويأتي بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطيعة رحم، قالوا: كلنا يريد ذلك يا رسول الله! قال: من غدا إلى المسجد فتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع).

والمقيدة بعمل: ذكر صلى الله عليه وسلم: (كل سلامى من ابن آدم كل يوم تطلع فيه الشمس عليه فيها صدقة)، والسلامى: المفصل في الجسم، وقالوا: في جسم الإنسان ثلاثمائة وستين سلامى، أي: في أصابعه وفي ظهره وفي ضلوعه وفي يديه ورجليه إلى غير ذلك، تلك السلامات صيانتها، وحفظها إنما هي كما قال صلى الله عليه وسلم: (عليه صدقة)، ثم من في جميع الصحابة يستطيع أن يتصدق كل يوم ثلاثمائة وستين صدقة، قالوا: (ومن يستطيع ذلك يا رسول الله! فقال: كل تحميدة صدقة، وكل تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وأن تعين أخاك على دابته فتحمله عليها أو تحمل له متاعه صدقة، وأن تلقى أخاك بوجه بشوش صدقة، ويجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحى).

هناك أيضا الصلوات الأخرى التي تدخل في باب فرض الكفاية: كصلاة الجنائز.

وكذلك الكسوف.

والاستسقاء.

وغير ذلك.

جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن لهذه النوافل مهمتان: المهمة الأولى: الصيانة والضمان والأمن على الفريضة، كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن الصلاة، فإن كانت مجزئة ووافية فبها

ونعمت وصلح سائر عمله وألحقت بها جميع الأعمال، وإن كانت قد نقصت، وفرط وضيع، وأراد الله بالعبد خيرا يقول للملائكة: (انظروا هل لعبدي من نوافل فيقولون: بلى يا رب! فيقول: اجبروا فريضته من نافلته)، وهكذا سائر الأعمال.

تلك النوافل يتكرم المولى سبحانه ويجبر منها الفريضة، فريضة الصلاة التي هي أول ما يسأل عنها العبد، فإن قبلت قبل معها سائر عمله، وإذا ردت رد معها سائر عمله؛ لأنها العهد الذي بيننا وبينهم، والذي جاء في خصوصها وحدها: (من ترك الصلاة فقد كفر).

والمهمة الثانية في جميع النوافل: أن الله سبحانه قال في الحديث القدسي: (إن أقرب أو أحب أو أشد ما تقرب إلي به عبدي بما افترضته عليه، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها ...)، وبين العلماء أن هذا العبد يصبح عبدا ربانيا لا يسمع إلا في الله، ولا يبصر إلا في الله، ولا تتحرك يده أخذا وعطاء إلا فيما يرضي الله، ولا تسعى قدمه إلا إلى رضاء الله.

وأشرنا في السابق في شرح معنى: (الصراط المستقيم) في قوله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا .

﴾ [الأنعام:١٦١] إلى قوله: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ [الأنعام:١٦٢].

وهكذا تكون النوافل هي السلم الذي يعرج عليه العبد إلى ربه، وهو مرتقى المنازل العليا لكل مسلم.

إذا: النوافل لها أهميتها هي تابعة لكل فريضة كما أشرنا.". (١)

١٧٠-"معنى قوله: (الصلاة نور)

بعد نطق اللسان، الذي جاء عقب تطهير القلب، تأتي أعمال الجوارح، (والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء) قال: (الصلاة نور) بينما يأتي قوله: (والصبر ضياء)، ويتفق علماء اللغة أن الضياء أقوى وأشد من مجرد النور، لكنهم يقولون: النور إضاءة بلا حرارة، والضياء نور مع شدة حرارة، (والصدقة برهان)، قالوا: البرهان هو الشعاع الذي يكون أمام ضوء الشمس.

إذا: هذه الثلاثة الألفاظ (نور- ضياء- برهان) ترتبط بخط الإضاءة، إلا أن النور فيه ضياء مع هدوء، وليس فيه حرارة، والبرهان قريب من أشعة الشمس، والضياء نور مع شدة حرارة.

وما فائدة هذا التقسيم قالوا: إن دين الإسلام نور وهداية، والقرآن الكريم وصف بأنه نور، ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال تعالى: ﴿ لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾ [إبراهيم:١]، وأما الضياء فمعه الشدة؛ ولهذا غاير في وصف الصلاة بأنها نور، والصبر بأنه ضياء، وقالوا: النور يصدق على مطلق الإضاءة، والضياء لا يكون إلا للشيء الشديد القوي كما قال سبحانه: ﴿ جعل الشمس ضياء والقمر نورا ﴾ [يونس:٥] فوصف القمر بأنه نور، والشمس بأنها ضياء؛ لأن نور الشمس أشد من

---

(١) شرح الأربعين النووية ٦/٤٨

نور القمر، ولكن قد يستطيع الإنسان مواصلة السير في نور القمر ما لا يستطيعه في ضوء الشمس، وأيضا الصبر أعم من كل التكاليف، فبالصبر تصلي، وبالصبر تصوم، وبالصبر تزكي، وبالصبر تجاهد في سبيل الله، إلى غير ذلك.

ووصف الصلاة بأنها (نور)، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه وصف الصلاة بقوله: (خمس صلوات كتبهن الله في اليوم والليلة، من حافظ عليهن كانت له نورا يوم القيامة، لم يحافظ عليها لم يكن له نور يوم القيامة)، وجاء فيما يتعلق بالوضوء: (إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء)، وجاء في حق الصلاة أنها نور على الصراط، وجاء في القرآن الكريم: ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ [الحديد:١٢]، والآية الأخرى: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ﴾ [الحديد:١٣]، وسمعنا الشيخ الأمين رحمة الله عليه في هذا المقام يقول: هذه قضية خطيرة جدا بين المنافقين وبين المؤمنين، وفي ذلك اليوم يكشف الله حقيقة خداع المنافقين: ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم ﴾ [البقرة:٩]، ويقول: ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [النساء:١٤٢]، وكيف يخادعون المؤمنين قال الله: ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون * الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [البقرة:١٤-١٥].

فهم خدعوا المؤمنين بقولهم: نحن معكم، ويحضرون معهم الجماعات، وإذا توفى أحدهم توارثوا معه، ويتزاوجون من المسلمين، ويتوارثون معهم، ويجاهدون معهم، ويأخذون من الغنائم معهم، وحقنت دماؤهم وأموالهم، هذا ظاهر الأمر، ولكنهم يخفون الكفر، فالله سبحانه تركهم على ما هم عليه، وظنوا أنهم بذلك خدعوا الله وخدعوا المؤمنين.

وفي يوم القيامة -نسأل الله السلامة والعافية- يتولى الله أمر الجميع، ويقوم الناس من قبورهم لأول وهلة غرا محجلين من أثر الوضوء، المؤمن والمنافق سواء، ثم يطرد المنافقون من الحوض، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وأنا فرطكم على الحوض، ثم إن الملائكة تذوذ أقواما عن الحوض فأقول: أمتي أمتي! فيقولون: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي).

وفي ذلك اليوم تبيض وجوه، وتسود وجوه، ويبعث المنافقون بآثار نور الوضوء مع عامة المؤمنين، ويفرحون بذلك، لأنهم تساووا مع المؤمنين، حتى إذا جاءوا ليردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم طردوا!! والنبي عليه الصلاة والسلام فرط الأمة على الحوض كما قال صلى الله عليه وسلم: (وأنا فرطكم على الحوض، قالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك ولم تره قال: أرأيتم لو أن لأحدكم خيلا بهما دهما غرا محجلة، أكان يعرفها قالوا: نعم) والدهم التي لونها واحد، البهم السوداء التي ليس فيها لون آخر، وغرا أي: جبينها مضيء، والحجل موضع القيد، والفرس إذا كانت دهماء بلون واحد، وجبينها أبيض، وأقدامها بيضاء، لا تخفى على صاحبها أبدا: (أرأيتم لو أن لأحدكم خيلا بهما دهما، أكان يعرفها قالوا: نعم، قال: فإن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء) فبين صلى الله عليه وسلم أنه ينتظرهم عند الحوض، فإذا جاءوا فرزت الملائكة النفاق عن الإيمان، وعزلت المنافقين عن المؤمنين، ومضى المؤمنون إلى الحوض ليشربوا منه، وحين يرد المنافقون يقولون كما قال الله: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا ﴾ [الحديد:١٣]، انظرونا: بمعنى انتظرونا، أي: حتى نمشي في أنواركم أو انظرونا: التفتوا إلينا، وانظروا إلينا ليجيء إلينا أنوار وجوهكم، انظرونا، أو انتظرونا: ﴿ نقتبس من نوركم ﴾ [الحديد:١٣].

قال: ﴿ يوم تبيض وجوه ﴾ [آل عمران:١٠٦] تبقى على بياضها، ﴿ وتسود وجوه ﴾ [آل عمران:١٠٦] أي: يطفأ نورها، وهؤلاء هم المنافقون، وحين ينادون المؤمنين يجيبهم المؤمنون: ﴿ ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور ﴾ [الحديد:١٣-١٤]، فيبقى النور مع المؤمنين، ولكن المؤمنين حينما يرون هذا الموقف، يخافون من موقف آخر، ومن اختبار ثان، فيقولون: ﴿ ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ﴾ [التحريم:٨] أي: أبق لنا هذا النور، وأتمه لنا حتى ندخل الجنة.

نسأل الله سبحانه أن يرزقنا وإياكم النور الكامل، وأن يحفظنا وإياكم من الفتن، وأن يبلغنا وإياكم رضاه والجنة.

قوله: (والصلاة نور) قالوا: هي نور في الدنيا؛ لأن المؤمن إذا طهر قلبه؛ وأدى الصلاة، كانت الصلاة له شحنة نور في قلبه، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه يرى بنور الله) من أين يأتيه النور من عبادته، ومن صلاته: (ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)، فينير الله له بصيرته.

ولهذا يقول الله: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾ [البقرة:٤٥] إذا همه أمر فزع إلى الصلاة، فأنار الله قلبه وبصيرته، وشرح صدره، وييسر أمره.

والصلاة نور للمؤمن في الدنيا، بتوجهه إلى الخير، واطمئنان النفس والقلب، وبحفظه عن المعاصي كما قال الله: ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ [العنكبوت:٤٥] إذا: الصلاة نور في الدنيا، وكما قال بعض السلف: (من صلى بالليل، حسن وجهه بالنهار) أي: يضيء وجهه، قال الله: ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ [الفتح:٢٩]، وهكذا في عرصات القيامة، فالصلاة نور للعبد يوم القيامة.

إذا: (والصلاة نور) حقيقة يوم القيامة، ودلالة وهداية في الدنيا، ويدرك ذلك من ذاق طعم الصلاة، حينما يؤديها بخشوعها ويتمها بركوعها وسجودها، ويوفيها حقها من في الطهارة، واستقبال القبلة، وستر العورة، واستحضار القلب، وبذلك يشعر بحقيقة نور الصلاة وحلاوتها.". (١)

١٧١-"شمول الذكر لكل العبادات

إن الباب هذا باب واسع، وأوصي بالعناية بكتب الأذكار الواردة، التي هي مأمونة من الوضع أو مأمونة من الغلو، وأحسن ما وضع في ذلك كتاب الأذكار للإمام النووي ؛ فقد رتبه ونظمه، وجاء بالأذكار الواردة المؤقتة في الصباح والمساء وبعد الصلاة وعند لباس الثوب والنوم واليقظة وتناول الطعام وخلع الثياب وكل حركات الإنسان وردت السنة فيه بذكر الله والدعاء.

وهذا يشرح لنا معنى قوله سبحانه : ﴿ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٢]، محياي ومماتي لله، صحيح

---

(١) شرح الأربعين النووية ٤٩/٧

كل لله، وموقن على وفق منهج الله الذي يريده ويرتضيه، ولذا جاء في الحديث : (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)، إذا كان العبد مع الله، وإذا كان العبد حقا أخلص نفسه لله، لم لا يجعله كذلك وكم من عبد كان مستجاب الدعوة! الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي عمر بن الخطاب فيقول: (إذا رأيت أويسا القرني فاطلب منه أن يدعو لك، ويستغفر لك) ، من أويس رجل من اليمن، فكان عمر يتتبع الوفود اليمنية: أفيكم أويس أفيكم أويس حتى قيل له: نعم هو فينا، قال: ائتوني به، فجاء وكان قد أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بصفاته، وبأن له أما كان بارا بها، فلما سأله عن أمه أخبره بها، وأن في رجله علامة كذا، فقال: استغفر الله لي، ادع لي! قال: كيف وأنت أمير المؤمنين! قال: لقد أخبرني رسول الله بكذا وكذا.

فلما سمع أويس هذا لم يغتر به، ولم يأته شيء في نفسه، بل قال: أستأذنك –يا أمير المؤمنين- أن أخرج إلى العراق، أي: ما دام قد عرف أمري، فيريد أن يبعد عنه هذا الجو الذي عرف فيه، وكان شخصا من عامة الناس، فقال: إذا أردت الذهاب فمرني أعطيك خطابا لعامل العراق، قال: لا، فإني أحب أن أكون في عامة الناس! فذهب إلى العراق وأخذ عمر يسأل عن حاله في العراق، وكلما جاءه وفد من العراق يسأل عنه، فإذا به كان خادما عاملا عند رجل من عامة الناس في الحجارة والطين، فإذا بالرجل يقول لـ عمر : إني أعرفه، فقال: إذا استطعت أن يستغفر ويدعو الله لك فافعل، فذهب الرجل إلى أويس فطلب منه الدعاء، فقال: ألقيت عمر ! قال: نعم لقيته، فإذا به من الغد يخرج من العراق.

أيها الإخوة! إن ذكر الله يعلي منزلة العبد بما لا يعلم قدر ذلك إلا الله، ويكفي أن الإنسان في حالة ذكره لله جليس وقرين، وما ذكرنا يكفي لهذا الباب، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم جميعا لذكره كما قال الله: ﴿ ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار ﴾ [طه: ١٣٠]." . (١)

١٧٢-"سبب إعادة ذكر الصوم والصلاة والصدقة في الحديث

إذا: الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف ذكر لـ معاذ (تعبد الله لا تشرك به شيئا)، وحقيقة ذلك تحقيق لا إله إلا الله، بأن تنفي جميع الآلهة، ولا تعبد إلها قط إلا الله، بخلاف المشركين الذين يقولون: أجعل الآلهة كلها إلها واحدا، لأنه كان لهم ثلاثمائة وستون صنما في الكعبة، وهو يريد أن يلغي هذا كله إلى إله واحد.

فحقيقته توحيد الله هو أن تعبد الله وحده، ويتحقق هذا في قولك (لا إله إلا الله)، فلا مألوه ولا معبود بحق إلا الله، ثم جاء بعد ذلك بالصلاة والصيام وغيرها.

وهنا يقول له: (ألا أدلك على أبواب الخير)، أليست الصلاة والصيام التي ذكرها أولا من أبواب الخير نعم هي منها، بل هي الخير كله، ولكن لماذا يعيدها هنا في أبواب الخير للحديث النبوي مثلما يقولون ذوق وحلاوة، وله نور وطلاوة، ذكر صلى الله عليه وسلم أصول الإسلام التي تدخل الجنة؛ لكن أبواب الخير هي محل المنافسة، وهي محل الزيادة، فالصلوات الخمس وصوم رمضان وزكاة الفريضة وحج البيت، الكل في ذلك سواء، أهناك شخص عليه ستة فروض وآخر عليه أربعة

---

(١) شرح الأربعين النووية ٧/٥٧

أهناك شخص عليه صيام شهر والآخر نصف شهر أو شهرين الناس متساوون في هذا، نصاب الزكاة على الجميع سواء، عشرون دينار في الذهب، ومائتا درهم في الفضة، وأربعون شاة في الغنم، وخمس من الإبل، كل هذه معروفة عند الجميع وهم متساوون فيها، ولكن أبواب الخير تزيد وتتسع، وتضيق وتقل، فهي قابلة للزيادة، ولكن أركان الإسلام لا تقبل زيادة ولا نقصا، فهي خمس صلوات، وكل صلاة لها عدد مخصوص.

يدلنا على هذا المعنى الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)، والفرض ليس فيه زيادة ولا نقص ثم قال: (وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه)**، لماذا قال (يتقرب) ولم يقل (يقرب) سبحان الله العظيم، لو قلت (يقرب) لتحقق بخطوة واحدة، لكن يتقرب، تدل على أنها خطوات، قد تزيد وقد تنقص نافلة بعد نافلة.

وذكر الصوم مرة أخرى ليس من باب التكرار بلا فائدة، فحديث البلغاء يتنزه عن ذلك، والمصطفى صلى الله عليه وسلم هو سيد البلغاء، إذا: إعادة الصوم هنا تحت عنوان أبواب الخير لا يتنافى ولا يتعارض، ولا يكون مكررا مع الصلاة والصيام التي ذكرت في أول الحديث، لأنها ذكرت هناك على سبيل الفرض والتحديد والإلزام، وذكرت هنا على أنها من أبواب النافلة وأبواب الخير التي تترك لجهد العامل.

وقد جاء عند مسلم : (أن أعرابيا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! جاءنا رسولك يخبر أنك رسول الله، أحقا ما يقول قال: بلى، قال: فبالذي رفع السماء ونصب الجبال، وبسط الأرض وجعل فيها ما جعل، آلله أرسلك قال: بلى.

قال: وأخبرنا رسولك أن الله افترض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، فبالذي رفع السماء، ونصب الجبال، وسط الأرض وجعل فيها ما جعل، آلله أمرك بهذا قال: نعم)الحديث، وذكر فيه الزكاة والصوم والحج.

والرجل الذي جاء للرسول في المسجد فقال: أخبرني ماذا كتب الله علي من الصلاة قال: (خمس صلوات في اليوم والليلة، قال: هل علي غيرها قال: لا، إلا أن تطوع)، ثم ذكر الصيام والزكاة والحج، ثم قال: (والذي بعثك بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص، فقال: أفلح إن صدق).

وهنا الرسول يقول لـ معاذ : (ألا أدلك على أبواب الخير)، لماذا لم يقل كن مثل ذلك الأعرابي الأعرابي جاء بنفسه وأخذ نفسه بحد السيف، قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد ولا أنقص، فهو التزم وألزم نفسه بشيء كبير، ما هو بهين، الذي لا ينقص مما فرض الله عليه، هذا التزام بأقصى ما يكون، فالرسول أخبر بأنه إذا نفذ هذا أفلح، ولكن معاذا يسأل عن العمل الذي يقربه إلى الجنة، و معاذ راغب في الخير، فكان هذا بيانا للأمة في شخصية معاذ ." (١)

١٧٣-"تضييع الصلاة

باب الصلاة -يا إخواني- كبير، ولذا يقولون: من الحفاظ على الصلاة: المحافظة على النوافل الراتبة، حتى قال بعض العلماء: من تعمد ترك النوافل تسقط شهادته.

---

(١) شرح الأربعين النووية ٦/٦٤

وإذا كان كذلك؛ فما القول في الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: (والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص)، ويقسم صلى الله عليه وسلم على فلاحه إن صدق، قالوا: ذلك رجل أخذ نفسه بحد السيف، وبالعزم القاطع، فهو لا له ولا عليه، وحافظ على فروضه؛ ولذا جاء في الحديث: (أفضل ما تقرب إلي عبدي بما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل -فنوافل العبادات هي مرتقى الصالحين في وصولهم إلى الغاية القصوى- حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها).

فهذا بالنوافل، أما الفرائض فهي الحد الأدنى؛ لأنك إذا التزمت بالفرائض فقط فوقع تقصير فسيقع في الفرائض؛ لكن إذا التزمت النوافل مع الفرائض فوقع تقصير فسيقع في النوافل، كما قال عليه الصلاة والسلام : (ألا وإن لكل ملك حمى، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه)؛ لكن إذا جعل بينه وبين الحمى قدر ميل، فعندما تشذ منه غنمة هل تنزل في الحمى أم في المسافة التي بينها وبين الحمى في المنطقة المحايدة -كما يقولون-، لكن إذا اقترب بغنمه على حدود الحمى فلو أن شاة شذت عنه مترا واحدا فستدخل في الحمى، أرأيت لو كان هذا الحمى نارا مؤججة هل ستدنو منه أرأيت لو كان بحيرة أو بئرا عميقا هل ستدنو منه ستبتعد مخافة أن تسقط فيه.

وهكذا النوافل هي حمى وحفاظ لتلك الفرائض كما جاء في الحديث: (انظروا هل لعبدي من نوافل -أي: حينما ينظر في صلاته- فتقول الملائكة: نعم -يا رب- له نوافل، فيقول: اجبروا فريضته من نافلته)، يعني: احتياطا، يقول ابن عباس : وهكذا بقية العبادات.". (١)

١٧٤-"شرح حديث: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ...)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: قال المصنف رحمه الله: [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري] .". (٢)

١٧٥-"أما الأولى : فهو أن يحفظه في دنياه ، أن يحفظ له مصالحه في بدنه بأن يصحه ، وفي رزقه بأن يعطيه حاجته ، أو أن يوسع عليه في رزقه ، وفي أهله بأن يحفظ له أهله وولده ، وأنواع الحفظ لمصالح العبد في الدنيا ، فكل ما للعبد فيه مصلحة في الدنيا فإنه موعود بأن تحفظ له إذا حفظ الله -جل وعلا- بأداء حقوق الله -جل جلاله- والاجتناب عن المحرمات .والدرجة الثانية من حفظ الله -جل وعلا- للعبد ، وهي أعظم الدرجتين وأرفعهما وأبلغهما عند أهل الإيمان ، وفي قلوب أهل العرفان ، هي : أن يحفظ الله -جل وعلا- العبد في دينه ، بأن يسلم له دينه بإخلاء القلب من تأثير الشبهات فيه ، وإخلاء الجوارح من تأثير الشهوات فيها ، وأن يكون القلب معلقا بالرب -جل وعلا- ، وأن يكون أنسه

---

(١) شرح الأربعين النووية ١١/٦٩

(٢) شرح الأربعين النووية ٢/٨٠

بالله ، ورغبه في الله ، وإنابته إليه ، وخلوته المحبوبة بالله –جل جلاله–.كما جاء في حديث "الولي" المعروف، الذي رواه البخاري في الصحيح وغيره –أيضا– قال –عليه الصلاة والسلام– : قال الله –تعالى– في جمل ابتدأ بها الحديث ، ثم قال : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له من ذلك (.فحفظ الله –جل وعلا– العبد في الدين هذا أعظم المطالب ، ولهذا كان –عليه الصلاة والسلام– يدعو الله كثيرا أن يحفظ من الفتن وأن يحفظه الله –جل وعلا– من تقليب القلب ، (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك ((يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك (ونحو ذلك .". (١)

١٧٦–"والحال الثانية: أن يهم بالسيئة فلا يعملها؛ لأجل عدم تمكنه منها، والنفس باقية في رغبتها بعمل السيئة، فهذا وإن لم يعمل، فإنه لا تكتب له حسنة في ذلك، بل إن سعى في أسباب المعصية، فإنه تكتب عليه سيئة، كما جاء في الحديث: (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا يا رسول الله: هذا القاتل فما بال المقتول قال: إنه كان حريصا على قتل صاحبه (.قال العلماء: إذا تمكن المرء من أسباب المعصية، وصرفه صارف عنها، خارج عن إرادته، فإنه يجزى على همه بالسيئة سيئة، ويكون مؤاخذا بها بدلالة حديث: (القاتل والمقتول في النار (.قال: (وإن هم بها، فعملها كتبها الله سيئة واحدة (وهذا من عظيم رحمة الله –جل وعلا– بعباده المؤمنين أنهم إذا عملوا سيئة لا تضاعف عليهم، بل إنما يكتبها الله –جل وعلا– عليهم سيئة واحدة، وأما الحسنات فتضاعف عليهم؛ ولهذا لا يهلك على الله يوم القيامة إلا هالك، لا ترجح سيئات أحد على حسناته إلا هالك؛ لأن الحسنات تضاعف بأضعاف كثيرة، وحتى الهم بالسيئة إذا تركه تقلب له حسنة، والسيئة تكتب بمثلها، فلا يظهر بذلك أن يزيد ميزان السيئات لعبد على ميزان الحسنات إلا، وهو خاسر، وقد سعى في كثير من السيئات، وابتعد عن الحسنات.بهذا نشكر الله –جل وعلا– ونحمدك ربي على إحسانك وفضلك ونعمتك على هذا الكرم، وعلى هذه النعمة العظيمة، اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.الحديث الثامن والثلاثونمن عاد لي وليا فقد آذنته بالحربوعن أبي هريرة (قال: قال رسول الله: (إن الله تعالى قال: من عاد لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه (رواه البخاري.". (٢)

١٧٧–"قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** (يعني: لا يزال يتقرب بالنوافل: نوافل العبادات بعد الفرائض؛ حتى يحبه الله –جل وعلا– وهذا يعني: أنه صار له كثرة النوافل وصفا، بحيث كثر منه إتيانه بنوافل العبادات من صلاة وصيام وصدقات وحج وعمرة وأشباه ذلك.قال: (**حتى أحبه** (وهذا يدل على أن محبة الله –جل وعلا –تجلب

---

(١) شرح الأربعين النووية ص/١٥٦

(٢) شرح الأربعين النووية ص/٢٨٧

بالسعي في طاعته بأداء النوافل، والسعي فيها بعد أداء الفرائض، والتقرب إلى الله –جل وعلا– بها.قال: (فإذا أحببته (لمحبة الله –جل وعلا – لعبده أثر، فما هذا الأثر قال: (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به... (إلى آخره ، هذا فسره علماء الحديث وعلماء السنة بقوله: (كنت سمعه الذي يسمع به (يعني: أوفقه وأسدده في سمعه وفي بصره، وفي ما يعمل بيده، وفيما يمشي إليه برجله، فمعنى قوله: (كنت سمعه (يعني: أوفقه في سمعه، وهذا ليس من التأويل؛ لأن القاطع الشرعي النصي أن الله –جل وعلا – لا يكون بذاته سمعا، ولا يكون بذاته بصرا، ولا يكون بذاته يدا، ولا يكون بذاته رجلا –جل وعلا – وتقدس وتعاظم ربنا، فدل على القاطع الشرعي على أن قوله: (كنت سمعه الذي يسمع به (يعني: أنه يوفق في سمعه، ويسدد فلا يسمع إلا ما يحب الله –جل وعلا – أن يسمع، ولا يبصر إلا ما يحب الله –جل وعلا – أن يبصر، ولا يعمل بيده ولا يبطش بيده إلا بما يحب الله –جل وعلا – أن يعمل باليد، أو يبطش بها، وكذلك في الرجل التي يمشي بها، وغلاة الصوفية استدلوا بهذا على مسألة الحلول، وهناك رواية موضوعة زادوها في هذا الحديث بعد قوله: (ورجله التي يمشي بها (قال: " وحتى يقول للشيء كن فيكون "، وهذا من جراء عقيدة الحلول، وهذه مروية لكنها بأسانيد منكرة، وحكم عليها طائفة من أهل العلم بالوضع.". (١)

١٧٨-"٣٨ – " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله تعالى قال: " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه " رواه البخاري "
....قال صاحب الإفصاح في هذا الحديث من الفقه إن الله سبحانه وتعالى قدم الأعذار إلى كل من عادى وليا إنه إنه قد آذنه بأنه محاربه بنفس المعاداة، وولي الله تعالى هو الذي يتبع ما شرعه الله تعالى فليحذر الإنسان من إيذاء قلوب أولياء الله عز وجل ومعنى المعاداة أن يتخذه عدوا.ولا أرى المعنى إلا من عاداه لأجل ولاية الله، وأما إذا كانت الأحوال تقتضي نزاعا بين وليين لله محاكمة أو خصومة راجعة إلى استخراج حق غامض فإن ذلك لا يدخل في هذا الحديث فإنه قد جرى لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما خصومة وبين العباس وعلي رضي الله عنهما وبين كثير من الصحابة وكلهم كانوا أولياء الله عز وجل.قوله: " وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه " فيه إشارة إلى إنه لا تقدم نافلة على فريضة وإنما سميت النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة وإلا فلا يتناولها إسم النافلة ويدل على ذلك قوله: " ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " لأن التقرب بالنوافل يكون بتلو أداء الفرائض ومتى أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك به إلى أن يحبه الله عز وجل ثم قال: " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به " إلى آخره فهذه علامة ولاية الله، لمن لم يكن قد أحبه، ومعنى ذلك أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع له بسماعه ولا يبصر ما لم يأذن الشرع له في إبصاره ولا يمد يده إلى شيء ما لم يأذن الشرع له في مدها إليه، ولا يسعى برجله إلا فيما أذن الشرع في السعي إليه، فهذا هو الأصل إلا أنه قد يغلب على عبد ذكر الله تعالى حتى يعرف بذلك فإن

---

(١) شرح الأربعين النووية ص/٢٩٠

خوطب بغيره لم يكد يسمع لمن يخاطبه حتى يتقرب إليه بذكر الله غير أهل الذكر توصلا إلى أن يسمع لهم وكذلك في المبصرات والمتناولات والمسعى إليه، وتلك صفة عالية نسأل الله أن يجعلنا من أهلها.قوله: " ولئن استعاذني لأعيذنه " يدل على أن العبد إذا صار من أهل حب الله تعالى لم يمتنع أن يسأل ربه حوائجه ويستعيذ به ممن يخافه والله تعالى قادر على أن يعطيه قبل أن يسأله وأن يعيذه قبل أن يستعيذه ولكنه سبحانه متقرب إلى عباده بإعطاء السائلين وإعاذة المستعيذين. وقوله: " استعاذني " ضبطوه بالنون والباء وكلاهما صحيح.قوله في أول الحديث: " فقد آذنته بالحرب " بهمزة ممدودة أي أعلمته فإنه محارب لي.التجاوز عن المخطئ والناسي والمكره٣٩ - " عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله تجاوز لي عن أمتي: الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه " حديث حسن رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما " ....وقد جاء في التفسير في قوله عز وجل: (إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) إن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رضي الله عنهم فجاء أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل في أناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا من العمل ما لا نطيق إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه وإن له الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل " سمعنا وعصينا " قولوا " سمعنا وأطعنا " واشتد ذلك عليهم ومكثوا حولا فأنزل الله تعالى الفرج والرحمة بقوله: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) قال الله: قد فعلت إلى آخرها فنزل التخفيف ونسخت الآية الأولى.". (١)

١٧٩-"عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله تعالى قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه". رواه البخاري [رقم:٦٥٠٢].قوله (من عادى) يعني من نصب العداوة وأظهرها لولي من أولياء الله عز وجل .(فقد آذنته بالحرب) يعني أعلمته بالحرب .إذا الله عز وجل يحارب من عادى له وليا حربا علنية لا سرية ، وما ظنك بإنسان يحارب الله عز وجل هل يستطيع أن يصمد في هذه الحرب فهي محاربة معلومة النتيجة مسبقا فهو المهزوم المخذول إذ لا طاقة له بحربه لخالقه وهو الله عز وجل .من هو ولي الله هل خلقتهم تغاير خلقة غيرهم من الناس هل لهم علامات في وجوههم وأعضائهم لا . أولياء الله عز وجل أعطانا الله وصفا لهم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فمن كان مؤمنا تقيا فهو لله وليا ، هذا هو خلاصة ضابط الولي (الإيمان والتقوى) إذا ولاية الله لا تكون بالدعاوى ولا بالمعاريض ولا بالكلام الطويل إنما تكون بالإيمان والتقوى ، فقد يكون الولي كبيرا في سنه وقد يكون صغيرا في سنه وقد يكون من جنسية كذا وكذا وقد يكون من جنسية كذا وكذا وقد يكون غنيا وقد يكون فقيرا فالأولياء أوصافهم وصفان

(١) شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية ص/٣٤

اثنان (أن يكون مؤمنا وأن يكون تقيا) فقد يكون في هذا البلد عشرة من أولياء الله وقد يكون في البلد الثاني مئة وقد تخلو بلاد من ولي الله عز وجل .". [1]

١٨٠-"يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (وما تقرب إلي ..) بين الله عز وجل في هذا الحديث القدسي أن العبد إذا تقرب له بشيء فإن أحب شيء إلى الله عز وجل في قربات هذا العبد أن يتقرب بالذي افترضه الله تعالى عليه . فالفريضة أحب إلى الله من النافلة بصريح الحديث فصلاة الظهر أربعا أحب إلى الله من الراتبة القبلية أربعا أليس كذلك هذا ما دل عليه الحديث .والعجب أن الشيطان تلاعب في كثير منا فأصبحنا نتقن الأربع ركعات قبل الظهر ونتساهل في الفريضة مع أن الفريضة أحب إلى الله عز وجل وأولى بالاهتمام لكن تجد أحدنا يهتم بالسنة القبلية سواء الظهر أو في غيرها ويعتني بالوتر وبأشياء كثيرة لكنه قد يتساهل أو قد يفوته شيء من الحرص في الفريضة وهكذا في غير الصلاة حتى في صيام النفل تجد الإنسان حريصا على إكمال نافلته في الصيام لكن قد يتساهل في الفرض وهكذا في صدقته وهكذا في أشياء كثيرة . ومنبع هذا إما الجهل بأن الفريضة أحب إلى الله ، أو غفلة عن هذا الشيء .(ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**) لما ذكر الله عز وجل في الحديث القدسي أن الفريضة أفضل لا يكن منك تساهل في النافلة فالنافلة مهمة وهي طريق إلى محبة الله عز وجل .(ولا يزال عبدي) يعني مستمرا يتقرب إلى بالنوافل . أي نوافل عموم النوافل من صلاة وصيام وقراءة ونحو ذلك .(**حتى أحبه**) إذا هذه فضيلة عظيمة للنوافل وهي أنها سبب لمحبة الله عز وجل ، فالنوافل أيا كانت فهي سبب لمحبة الله . فإذا قال إنسان دلني على عمل يكون سببا في محبة الله . فماذا يقال له يقال له : احرص على النوافل أكثر منها فإنها لمحبة الله ثم إذا حصلت محبة الله تعالى استمع إلى الآثار .". [2]

١٨١-"عن أبي هريرة - رضي الله عنه - . قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري .-------------------------- --------------------------معاني الكلمات :عادى : أي آذى .وليا : الولي : هو المؤمن التقي كما بينه الله بقوله ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ .آذنته : أعلمته .كنت سمعه الذي يسمع به : أي أن الله يسدده في هذه الجوارح فلا يستعملها إلا في طاعته .الفوائد :فضيلة أن يكون الإنسان وليا من أولياء الله .وولاية الله ليست بالدعاوى والكلمات وإنما بالعمل وبشروطها :أولا : الإيمان بالله .ثانيا : تقوى الله .قال تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ .وجوب محبة الله .قال تعالى ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ .من صفات أولياء الله :أشداء على الكفار – رحماء بينهم . قال تعالى ﴿ محمد رسول الله

---

(١) شرح الأربعين النووية وتتمة ابن رجب ص/١٥٠

(٢) شرح الأربعين النووية وتتمة ابن رجب ص/١٥٢

والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ .تحريم معاداة أولياء الله .وجوب معاداة أعداء الله وعدم محبتهم .قال تعالى ﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ .أن أفضل ما يتقرب العبد لربه بالفرائض .الصلاة الفرض أفضل من الصلاة النفل .والصوم الفرض أفضل من الصوم النفل وهكذا .". (١)

١٨٢-"وأفضل فرائض البدن التي تقرب إلى الله الصلاة ، كما قال تعالى ﴿ واسجد واقترب ﴾ وقال - صلى الله عليه وسلم - (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد) .قال عمر بن الخطاب : " أفضل الأعمال أداء ما افترض الله ، والورع عما حرم الله ، وصدق النية فيما عند الله " .الأعمال الصالحة تتفاضل من حيث الجنس ومن حيث النوع .فمن حيث الجنس : الفرائض أحب إلى الله من النوافل .ومن حيث النوع : الصلاة أحب إلى الله مما دونها من الفرائض .إثبات المحبة الله ، محبة تليق بجلاله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تشبيه ولا تمثيل .قال تعالى ﴿ إن الله يحب المحسنين ﴾ .وقال تعالى ﴿ إن الله يحب المتقين ﴾ .وقال - صلى الله عليه وسلم - (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) .أن من أسباب محبة الله كثرة النوافل لقوله (ولا يزال يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**) .وهناك أسباب تجلب محبة الله :منها : كثرة النوافل .كما في حديث الباب .قال ابن القيم : " التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض ، فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة " .ومنها : متابعة الرسول .قال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ .قال أبو سليمان الداراني : " لما ادعت القلوب محبة الله ، أنزل آية المحنة ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ " .ومنها : الذلة على المؤمنين .ومنها : العزة على الكافرين .ومنها : الجهاد في سبيل الله .ومنها : لا يخافون لومة لائم .قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لا ئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم ﴾ .قال ابن القيم : " فذكر لهم أربع علامات :أحدها : أذلة على المؤمنين ، قيل معناه أرقاء ، وقيل : رحماء مشفقين عليهم ، عاطفين عليهم .". (٢)

١٨٣-"الصلاة أي ممن يحافظ على الصلاة المفروضة ، وقال جمع من المحققين : أي من أكثر من الصلوات النافلة فإنه يدخل الجنة من باب المصلين المحافظين على الفرائض والنوافل ، وفي الحديث الصحيح عن النبي-- صلى الله عليه وسلم --أن الله-تعالى- يقول :((ماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ورجله التي يمشي عليها ، ويده التي يبطش بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)).فكل هذه النصوص تدل على ماتضمنته هذه الجملة العظيمة من كون الصلاة مفتاحا للجنة ، ولذلك تتردد هذه الجملة بين معنيين :المعنى الأول : إما أن يقال إنها مفتاح للجنة على الحقيقة .المعنى الثاني : وإما أن يقال إنها مفتاح لكل خير يتوصل به إلى الجنة وبذلك تكون جامعة للفضائل ، وسببا من أعظم الأسباب التي ينال بها الإنسان خيري الدينا والآخرة.وقوله -عليه الصلاة والسلام-:((مفتاح الجنة)) : سميت الجنة جنة من الاجتنان ، وأصل الجن الستر ومنه المجن لأنه يستر صاحبه من ضربات السلاح في الحروب، وسميت البساتين جنة لأنها

(١) شرح الأربعين النووية/اللهيميد ص/١٢١

(٢) شرح الأربعين النووية/اللهيميد ص/١٢٢

تجن من بداخلها بمعنى أنها تستره ، ويوصف الليل بذلك كما في قوله-- سبحانه وتعالى --:﴿فلما جن عليه الليل﴾(١) يعني ستره الليل بظلامه ، فلذلك سميت الجنة جنة من كثرة حدائقها ومافيها من البساتين كما وصف الله –جل وعلا–في كتابه المبين.وقوله –عليه الصلاة والسلام–:((مفتاح الجنة الصلاة)) : الصلاة هنا تحتمل معنيين :المعنى الأول : إما أن يكون المراد بها الصلاة المفروضة فحينئذ لاإشكال ، ويكون التعبير بالعموم منصرفا إلى الخصوص ، ولذلك تعتبر هي الأصل فالتعبير وارد على هذا الأصل فتقول: عام أريد به الخصوص.". (١)

١٨٤-"صلاحه ، وماكان منه من الخير في طاعة ربه ، وهذا الحديث يدل على فضل الطهارة وهذا الدعاء بعدها –أعني طهارة الوضوء – .واستشكل العلماء هذا الحديث مع ما ورد من شفاعة النبي -- صلى الله عليه وسلم -- بدخول الجنة ، والسبب في ذلك أن الناس إذا انصرفوا من عرصات يوم القيامة ، وفرق بين أهل الجنة وأهل النار فراقا لالقاء بعده أبدا ، صار أهل الجنة إلى الجنان حتى إذا وقفوا عليها فإنه لاتفتح لهم إلا بشفاعة النبي-- صلى الله عليه وسلم -- ، فيشفع عند ربه فيؤذن لهم بدخول الجنة ، وقد أجيب بأن الشفاعة لمطلق الدخول ، وأما النداء فهو لخصوص الدخول ، فيشفع في الدخول من النبي -- صلى الله عليه وسلم -- ، ثم يأذن الله بدخول العباد ، فإذا أذن -- سبحانه وتعالى -- بدخولهم تفاضل الناس في ذلك الدخول بحسب الطاعات ، قال العلماء : أبواب الجنة مختلفة بحسب الطاعات وكل من أكثر من طاعة دعي من بابها فمن كان يكثر من النوافل وقيام الليل ونحوها من نوافل الطاعات فإن الله -- عز وجل -- يجعل نداءه ودعاءه من باب الصلاة ، وإذا كان من أهل الصدقات ، وتفريج الكربات عن المسلمين جعل الله نداءه من باب الصدقة ، وإذا كان كثير الصيام جعل الله نداءه من باب الريان ، وهذا يدل على تفاضل الطاعات ، حتى قال بعض العلماء : أفضل هذه الأبواب هو باب الصلاة ؛ لأن النبي-- صلى الله عليه وسلم -- قال : ((استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة)) فهي أفضل الطاعات وأشرفها وأعظمها ثوابا بالنسبة لمطلق النوافل ، ومن هنا ورد الحديث عن النبي -- صلى الله عليه وسلم -- عن الله–تعالى– أنه يقول : ((ماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي عليها ويده التي يبطش بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)) فدل على فضل الصلاة ، ومما يدل". (٢)

١٨٥-"صلاحه ، وماكان منه من الخير في طاعة ربه ، وهذا الحديث يدل على فضل الطهارة وهذا الدعاء بعدها –أعني طهارة الوضوء – .واستشكل العلماء هذا الحديث مع ما ورد من شفاعة النبي -- صلى الله عليه وسلم -- بدخول الجنة ، والسبب في ذلك أن الناس إذا انصرفوا من عرصات يوم القيامة ، وفرق بين أهل الجنة وأهل النار فراقا لالقاء بعده أبدا ، صار أهل الجنة إلى الجنان حتى إذا وقفوا عليها فإنه لاتفتح لهم إلا بشفاعة النبي-- صلى الله عليه وسلم -- ، فيشفع عند ربه فيؤذن لهم بدخول الجنة ، وقد أجيب بأن الشفاعة لمطلق الدخول ، وأما النداء فهو لخصوص الدخول ،

---

(١) شرح الترمذي للشنقيطي ٧/٧

(٢) شرح الترمذي للشنقيطي ١٨/٢٥

فيشفع في الدخول من النبي -- صلى الله عليه وسلم -- ، ثم يأذن الله بدخول العباد ، فإذا أذن -- سبحانه وتعالى -- بدخولهم تفاضل الناس في ذلك الدخول بحسب الطاعات ، قال العلماء : أبواب الجنة مختلفة بحسب الطاعات وكل من أكثر من طاعة دعي من بابها فمن كان يكثر من النوافل وقيام الليل ونحوها من نوافل الطاعات فإن الله -- عز وجل -- يجعل نداءه ودعاءه من باب الصلاة ، وإذا كان من أهل الصدقات ، وتفريج الكربات عن المسلمين جعل الله نداءه من باب الصدقة ، وإذا كان كثير الصيام جعل الله نداءه من باب الريان ، وهذا يدل على تفاضل الطاعات ، حتى قال بعض العلماء : أفضل هذه الأبواب هو باب الصلاة ؛ لأن النبي-- صلى الله عليه وسلم -- قال : ((استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة)) فهي أفضل الطاعات وأشرفها وأعظمها ثوابا بالنسبة لمطلق النوافل ، ومن هنا ورد الحديث عن النبي -- صلى الله عليه وسلم -- عن الله-تعالى- أنه يقول : ((ماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ورجله التي يمشي عليها ويده التي يبطش بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)) فدل على فضل الصلاة ، ومما يدل". [1]

١٨٦-" صفحة رقم ٢٢ عن أنس بن مالك ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) ، عن جبريل ، عنالله تبارك وتعالى قال : " يقول الله عز وجل : من أهانلي وليا ، فقد بارزني بالمحاربة ، وإني لأغضب لأوليائي ، كمايغضب الليث الحرد ، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثلأداء ما افترضت عليه ، ومازال عبدي المؤمن يتقرب إلي**بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته ، كنت له سمعا وبصرا ويدا ،ومؤيدا ، إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وما ترددتفي شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن ، يكرهالموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه ، وإن من عباديالمؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة ، فأكفه عله ألا يدخلهعجب ، فيفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحإيمانه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسده ذلك ، وإن منعبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ، ولو أغنيتهلأفسده ذلك ، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلحإيمانه إلا الصحة ، ولو أسقمته لأفسده ذلك ، وإن منعبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ، ولو أصححتهلأفسده ذلك ، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم ، إني". [2]

١٨٧-"فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء) بضم السين والعضباء رفع (فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-):(إن حقا على الله) بتشديد النون (أن لا يرفع شيئا) ولأبي ذر أن لا يرفع مبنيا للمفعول شيء (من الدنيا إلا وضعه) وفي بعض طرق الحديث عند النسائي حق على الله أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا إلا وضعه، وبه تحصل المطابقة بين الحديث والترجمة إذ فيه الحض على التواضع وذم الترفع.وحديث الباب سبق في باب ناقة النبي -صلى الله عليه وسلم- من كتاب الجهاد.٦٥٠٢ - حدثني محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إن الله قال: من

---

(١) شرح الترمذي للشنقيطي ١٨/٦١

(٢) شرح السنة . للإمام البغوى متنا وشرحا ٢٢/٥

عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى، عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته».وبه قال: (حدثني) بالإفراد ولأبي ذر بالجمع (محمد بن عثمان بن كرامة) بفتح الكاف وتخفيف الراء العجلي بكسر العين المهملة وسكون الجيم الكوفي وثبت ابن كرامة لأبي ذر قال: (حدثنا خالد بن مخلد) بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة القطواني الكوفي قال: (حدثنا سليمان بن بلال) أبو أيوب التميمي قال: (حدثني) بالإفراد (شريك بن عبد الله بن أبي نمر) بفتح النون وكسر الميم القرشي (عن عطاء) هو ابن يسار (عن أبي هريرة) -رضي الله عنه- أنه (قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-):(إن الله) عز وجل (قال: من عادى لي وليا) فعيلا بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره قال الله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦] ولا يأكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق رعايته أو هو فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فعباداته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليا بحسب قيامه بحقوق الله على الاستقصاء والاستبقاء ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء، ومن شرط الولي أن يكون محفوظا كما أن من شرط النبي أن يكون معصوما فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخادع.قال القشيري: والمراد بكون الولي محفوظا أن يحفظه الله تعالى من تماديه في الزلل والخطأ إن وقع فيهما بأن يلهمه التوبة فيتوب منهما وإلا فهما لا يقدحان في ولايته وقوله لي هو في الأصل صفة لقوله وليا لكنه لما تقدم صار حالا، وفي رواية أحمد: من آذى لي وليا (فقد آذنته) بمد الهمزة وفتح المعجمة وسكون النون أي أعلمته (بالحرب) أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب من الإيذاء ونحوه، فالمراد لازمه وفيه تهديد شديد لأن من حاربه أهلكه. قال الفاكهاني: وهو من المجاز البليغ لأن من كره من أحب الله خالف الله، ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت ضده في جانب الموالاة فمن والى أولياء الله أكرمه الله، ولأبي ذر عن الكشميهني بحرب بإسقاط الألف واللام (وما تقرب إلي عبدي) ولأبي ذر عن الكشميهني عبد بحذف التحتية (بشيء أحب إلي) بفتح أحب صفة لقوله بشيء فهو مفتوح في موضع جر وبالرفع بتقدير هو أحب إلي (مما افترضت عليه) سواء كان عينا أو كفاية وظاهر قوله افترضته الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته وهل يدخل ما أوجبه المكلف على نفسه (وما يزال) بلفظ المضارع، ولأبي ذر عن الحموي والمستملي وما زال (عبدي يتقرب إلي بالنوافل) مع الفرائض كالصلاة والصيام (حتى أحبه فإذا أحببته كنت) ولأبي ذر حتى حببته فكنت (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها) بضم الطاء في اليونينية وبكسرها في غيرها (ورجله التي يمشي بها) وزاد عبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة عند أحمد والبيهقي في الزهد وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به.وفي الحديث أنس: ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وهو مجاز وكناية عننصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها، ولذا وقع في رواية: فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، قاله العوفي، أو أن سمعه بمعنى مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل: فلان

أملي بمعنى مأمولي، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري، ولا يلتذ إلا بتلاوة كتاب، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي". (١)

١٨٨-"شرح حديث: (وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا)

قال رحمه الله: [وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، إلى قوله: من المسلمين)].

هذا يذكره علي رضي الله تعالى عنه إذا قام إلى الصلاة، وهل يقوله في الصلاة أم خارجها يقوله: في الصلاة بعد أن يكبر تكبيرة الإحرام.

و(فطر) أو (خلق) كلاهما ورد في الشرع، وفطر بمعنى: أوجد على غير مثال: ﴿ فاطر السموات والأرض ﴾ [الأنعام:١٤]، وكذلك: ﴿ بديع السموات والأرض ﴾ [البقرة:١١٧]، بأن أوجد الشيء على غير مثال يحاكيه، فطر السماوات والأرض، وفي هذا تعظيم لله واعتراف بربوبيته وقدرته سبحانه وتعالى وجهت وجهي لمن يستحق أن أتوجه إليه بسبب عظمته وقدرته.

حنيفا: أي: مائلا عن الشرك مسلما لله، (وما أنا من المشركين) يتبرئ من الشرك في هذا المقام: ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ [الأنعام:١٦٢]، والنسك كل العبادات، ومحياي، أي: مدة حياتي وما أتصرف به في الحياة .

إن بعت، أو اشتريت، أو كافأت، أو عاملت يكون كل تعاملي لله، بمعنى: أن أراعي فيه ما شرع الله، وأقصد فيه رضا الله، وأتبع فيه ما شرع الله حياتي لله، العالم كله لله رب العالمين، فهذا الإنسان يجدد الإقرار والشكر لله.

(محياي) مصدر ميمي أو اسم زمان أيضا، وحياة الإنسان كلها لله، إن نام لله، وينوي بذلك شكر الله على نعمة الصحة والعافية، والاستعانة على ما سيأتي من عمل آخر، وإن قام وسعى لله، وإن اكتسب لله؛ لأنه يصرفه في سبيل الله.

ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع أصحابه، فمر شاب فتى قوي، فقال أحد الحضور: لو كان هذا النشاط في سبيل الله! يعني: بقوته ينكأ في العدو، فقال صلى الله عليه وسلم: (إن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله -أي: خير من أن يتكفف الناس السؤال- وإن كان خرج يسعى على أبويه فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على زوجه وعياله فهو في سبيل الله).

إذا: معنى محياي: أنني ما تحركت حركة ولا اكتسبت مكسبا إلا لله، ولأجل أن يصرف في سبيل الله سبحانه وتعالى، وكذلك مماتي مرده لله رب العالمين لا شريك له.

﴿ وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ [الأنعام:١٦٣] ﴿ ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ [آل عمران:١٠٢]، وبذلك أمرت بأن تكون حياتي كلها لله، كما في الحديث: (حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها)، هل الله سبحانه وتعالى سيحل في الإنسان، ويكون عينه

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٨٩/٩

وسمعه وبصره ويده ورجله! حاشا لله! لكن المعنى: أنه لا يسمع إلا ما يرضيني، فلا يتصنت إلى ما لا يجوز له، ولا يستمع إلى ما حرم الله، ولا يشارك في غيبة ولا نميمة، وبصره لا ينظر به إلى الحرام، بل ينظر نظرة اعتبار وتأمل في خلق الله: ﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ [آل عمران:١٩١]، فإذا عرض له محرم غض بصره، وكذلك يده لا تمتد إلى ما حرم الله، ولكن تعمل وتسعى فيما هو لله، وكذلك محياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك، وبذلك أمرت، وأنا من المسلمين أو وأنا أول المسلمين، إن قال: أول المسلمين فلا بأس تبعا للنص، وإن قال من المسلمين على العموم فلا مانع من ذلك، والله تعالى أعلم.

هذا من صيغ الافتتاح ولك أن تأخذ بهذه الصيغة، أو أن تكتفي في افتتاح صلاتك بما جاء عن علي رضي الله تعالى عنه.

وفي رواية: (إن ذلك في صلاة الليل)، وسواء في صلاة الليل، أو النهار أو أي حالة من الحالات فإن هذا نوعا من الدعاء الذي يأتي به الإنسان في افتتاح صلاته.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبيه وحبيبه محمد وعلى آله وصحبه وسلم.". (١)

١٨٩-"هل المقصود بأهل القرآن عموم أمة الإسلام أم أهل القرآن وخاصته

أهل القرآن من هم أهل التوراة من هم أهل الإنجيل من هم كما جاء في ضرب المثلين لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره .

﴾ [الفتح:٢٩]، أي: ضرب المثل في التوراة لأهل التوراة، وفي الإنجيل لأهل الإنجيل، فبعض العلماء يحمل ذلك على عموم من ينتمي إلى أمة القرآن، تمييزا لهم عن أمة التوراة، وعن أمة الإنجيل، فيكون هذا النداء موجها للأمة بكاملها؛ لأنها أمة القرآن.

وهناك من يقول: لا، أهل القرآن الذين حفظوه واشتغلوا بعلومه، وكانوا من أهل القرآن تلاوة وعلما وعملا، فإذا حملناه على العموم فهو كالعموم المتقدم: (الوتر حق) فإذا حملناه على الخصوص كان لخصوص الفقهاء والعلماء، وإذا حملناه على العموم فهو يضاف إلى الأحاديث التي يستدل بها على وجوبه: (أوتروا) وإذا حملناه على الخصوص خرج عن كونه للوجوب؛ لأن الواجب يعم حملة القرآن وغير حملة القرآن، والجمهور على أن المراد بأهل القرآن حملة القرآن.

ولماذا يخصهم قالوا: لأنهم هم الأولى بذلك، وهم الأحرى بأن يلتزموا بسنن العبادات مع فرائضها، وهم الأولى بأن يكونوا القدوة لغيرهم؛ إذا: على العلماء واجبات أكثر من العوام، وعلى أهل القرآن مسئوليات أكثر من غيرهم، ولما كانت وقعة اليمامة ورجع بعض الناس، وثبت فلان وقال: (ما هكذا كنا مع رسول الله، يا أهل القرآن هلموا)، وكذلك صلى الله عليه وسلم لما كان في غزوة حنين، ورجع الناس عندما فاجئوهم بالنبل، قال للعباس : (ناد: يا أهل بيعة الرضوان!) لماذا خصهم لأنهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة على الموت، وعلى ألا يفروا، وهذا وقتهم، فلما نادى كذلك رجعوا وتجمعوا عنده صلى الله عليه وسلم، وأعادوا الكرة ونصرهم الله.

---

(١) شرح بلوغ المرام ٩/٥٨

إذا: اختصاص أهل بيعة الرضوان بالنداء يوم حنين في تلك الشدة لأنهم أخص الناس وأولاهم بذلك؛ ولأنهم بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت في سبيل الله، أو على ألا يفروا، والآن قد فروا فليرجعوا.

وأقرب ما يحمل عليه الحديث أن أهل القرآن هم حملته، وقد يقال لهم: القراء، وكلما كان الإنسان طالب علم أو أقرأ لكتاب الله كان أدعى وأولى بأحكامه، وبالله التوفيق.

قوله: (فإن الله وتر يحب الوتر).

هذا التذييل: (فإن الله وتر يحب الوتر) هذا الحديث يجرنا إلى الحديث عن أسماء الله الحسنى بكاملها، فإن الله وتر، ولما كان وترا يحب الوتر، لا نقول: للمجانسة، ولكن لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا أخرجنا ذات المولى سبحانه، وجئنا إلى المخلوقات، وجدنا أن الأجناس تتجانس وتتآلف في وحدة الجنسية، فأيما جنس لقي جنسه تآلف معه؛ لأن وحدة الجنس تجمعهم، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر)، وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله وتر) هذه جملة مكونة من مبتدأ وخبر، وليست على سبيل الحصر، ولكنها مشعرة بأنه لا وتر إلا الله، وبأن جميع الكائنات زوجية مزدوجة، والله خلق جميع المخلوقات، ولنبدأ من أرقاها وهو الإنسان، ثم عالم الجن، ثم الحيوان، ثم النبات، ثم الحشرات، فنجدها تعيش مزدوجة، ما بين ذكور وإناث، وكذلك المخلوقات الأخرى، حتى الجمادات نجدها مزدوجة وليست وترا، وكما أشرنا إلى ما يقول علماء الذرة بأن الذرة لها نواة، وهو الجزء الذي لا يتجزأ عند المناطقة الجوهر الفرد، والآن قد فجروا هذا الفكر، ووجدوا بأن النواة التي يتكون منها كل جرم سواء كان معدنيا أو كان حجريا أو كان غير ذلك، فإن تلك النواة وهي نهاية الجزء في هذا الجرم تتكون من جزءين، وفيها قطب سالب وموجب.

إذا: كل الكائنات زوجية، ولها أجزاء يكمل بعضها بعضا، ولولا الجنس المزدوج في بني آدم لما وجد الإنسان، ولو بقي أبونا آدم على ما هو عليه ما جاء أحد إلى الدنيا، ولو ذهب أبونا آدم وجاءت حواء وحدها ما كان أحد على وجه الدنيا، اللهم إلا القدرة الإلهية تظهر في آحاد البشر، كما جاء في مريم عليها السلام، فالله عز وجل جعلها آية، ونفخ فيها من روحه، فجاءت بعيسى بلا أب، هذه آحاد بيان القدرة، حتى لا تكون عادة أو تنسب إلى الطبيعة، فإن الله خلق آدم من تراب، وأيضا ليس من تراب وحده، بل ماء وتراب، وليس من التراب فحسب ولا من الماء فحسب، بل من عنصري الماء والتراب، ثم خلق حواء من ضلعه ولحمه ودمه، ثم تناسل الناس من هذين الأبوين، وهكذا النباتات والطيور والحيوانات والحشرات إلى غير ذلك، والله وحده سبحانه هو الوتر.

إذا: فإن الله وتر يحب الوتر، فإذا كان الله يحب الوتر: (أوتروا يا أهل القرآن) إذا: الوتر واجب أم سنة سنة الله سبحانه وتعالى يحب كل العبادات (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**) إذا: كل العبادات محببة إلى الله، والوتر بخصوصه؛ لأنه ليس فرضا لازما، ويأتيه الإنسان تطوعا، فمحبة الله إياه حملت العبد بحبه لله أن يأتي بالوتر.". [١]

---

(١) شرح بلوغ المرام ٤/٨١

١٩٠-"زكاة الفطر تجبر الصوم الناقص

حديث ابن عباس هذا رضي الله تعالى عنه قال: (فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين).

إذا: صدقة الفطر لها مهمة مزدوجة، مهمة للمعطي ومهمة للآخذ، فمهمتها مع من يعطيها سلامة صومه، وجبر ما عساه قد طرأ عليه من نقص، وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الصوم جنة ما لم يخرقه.

قالوا: بماذا يا رسول الله قال: بسباب أو فسوق أو شتام أو نحو ذلك) .

إذا: الصوم قد يكون درعا سابغا سليما وافرا، وقد يكون مخرقا يحتاج إلى ترقيع وتلحيم، فتأتي زكاة الفطر وتلحم هذه الثقوب أو تصلح هذا الفساد الذي طرأ على الصوم من لغو أو رفث.

فالزكاة من حيث هي عبادة تجبر النقص، وتكفر المعصية؛ لأن ما خرق جنة الصوم إلا بعصيان، والعصيان يحتاج إلى تكفير، فكانت زكاة الفطر تكفر أخطاء الصائم، قال تعالى: ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ [هود:١١٤].

وهكذا كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بربط نافلة الصلاة مع فريضتها، وكذلك نافلة الصوم مع فريضتها، ويأتي هذا العامل الجديد وهو زكاة الفطر مع الصوم وهي من غير نوع الصيام، فنافلة الصلاة كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه حينما يحاسب العبد على الفريضة في الصلاة ويوجد فيها نقص أو خلل، يقول المولى سبحانه للملائكة: (انظروا هل لعبدي من نوافل فيقولون: بلى يا رب.

فيقول: اجبروا فريضته من نوافله).

إذا: هذه النافلة جبرت نقص الفريضة من نوعها، وجاء خبر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فيه: (وكذلك الصيام)، يعني أنه ينظر في فريضة الصيام، فإذا كان فيها نقص سأل المولى سبحانه الملائكة -وهو أعلم بذلك-: هل له من نافلة في الصوم فيقولون: بلى.

فيقول: اجبروا فريضته من نوافله.

وسيأتي في نافلة الصدقة المقارنة بينها وبين الفريضة، وفي الحديث: (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**) وسيأتي التنبيه عليه في باب صدقة التطوع.". [١]

١٩١-"والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه، وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة محبته كما في الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري: "وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عندي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه". فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات، وترك المحرمات، ولهذا جعل النبي) من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار. وسئل ذو النون: متى أحب ربي. قال: إذا كان ما يكرهه عندك أمر من الصبر. ثم بعد ذلك الاجتهاد في نوافل الطاعات، وترك دقائق المكروهات والمشتبهات.ومن

---

(١) شرح بلوغ المرام ١٢/١٣٥

أعظم ما تحصل به محبة الله تعالى من النوافل: تلاوة القرآن، وخصوصا مع التدبر، قال ابن مسعود: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فمن أحب القرآن فهو يحب الله ورسوله. ولهذا قال النبي) لمن قال: إني أحب سورة)قل هو الله أحد(لأنها صفة الرحمن. فقال: "أخبروه أن الله يحبه". وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لما قدم النبي) المدينة خطب، فقال في خطبته: "إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على ما سواه من الأحاديث، إنه أحسن الحديث وأبلغه، أحبوا من أحب الله، وأحبوا الله من كل قلوبكم".وكان بعضهم يكثر تلاوة القرآن ثم فتر عن ذلك فرأى في المنام قائلا يقول له:إن كنت تزعم حبي *** فلم جفوت كتابيأما تدبرت ما في *** ه من لطيف عتابيفاستيقظ وعاد إلى تلاوته.". (١)

١٩٢-"شرح سنن أبي داود [١٥٦]حفت الصلوات بجملة من الرواتب التي يزيد بها الأجر ويكمل بها نقص الصلاة، ومن جملة هذه الرواتب ركعتا الفجر، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليهما في بيته ويضطجع بعدهما، وأقر من فاتتاه على صلاتهما بعد الفجر، ومن الرواتب صلاة أربع ركعات قبل الظهر، ويجوز للمرء أن يصلي بعدها أربعا، ومن فعل حرمه الله على النار.ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجرشرح حديث (إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب الاضطجاع بعدها. حدثنا مسدد و أبو كامل و عبيد الله بن عمر بن ميسرة قالوا: حدثنا عبد الواحد حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه). فقال له مروان بن الحكم : أما يجزئ أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه قال عبيد الله في حديثه قال: لا، قال: فبلغ ذلك ابن عمر رضي الله عنهما فقال: أكثر أبو هريرة على نفسه. قال: فقيل لابن عمر : هل تنكر شيئا مما يقول قال: لا، ولكنه اجترأ وجبنا، قال: فبلغ ذلك أبا هريرة قال: فما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا]. يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله: [باب الاضطجاع بعدها] أي: بعد ركعتي الفجر. والاضطجاع بعد ركعتي الفجر على الشق الأيمن جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يفعله، وأنه يضطجع على شقه الأيمن بعد أن يصلي ركعتين، وقد قيل في حكمة ذلك: إن المقصود به الفصل بين النفل والفرض، وقيل: إن المقصود به كونه يتهجد في الليل، فيكون في اضطجاعه شيء من الراحة بعد أن يصلي ركعتين قبل أن يصلي الفجر. وقد جاء في ذلك حديث عن أبي هريرة بدأ به المصنف، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه)، وهذا يدل على ما دل عليه فعله صلى الله عليه وسلم، لكن بعض أهل العلم قال: إن هذا يكون في حق من يصلي في البيت، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، وكان ابن عمر إذا رأى أحدا يفعل ذلك في المسجد يحصبه، أي: يرميه بالحصباء، وذلك أن الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم إنما هو في البيت، قالوا: ومن الحكمة من كونه كان يتهجد في الليل صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. وجاء عنه أنه كان يترك ذلك في بعض الأحيان، كما جاء في بعض الأحاديث عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها، فبعض أهل العلم قال: إنه مشروع ومستحب، لاسيما إذا كان الفعل ممن يصلي بالليل، ويقوم بالليل، فإنه يفعل كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويكون ذلك

(١) شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص/٥٨

في البيت إذا كان صلى الركعتين في البيت كما كان صلى الله عليه وسلم يصليهما، وكان يضطجع هذا الاضطجاع في كثير من الأحيان، وفي بعض الأحيان كان لا يضطجع صلوات الله وسلامه وبركاته عليه. فأورد أبو داود رحمه الله جملة من الأحاديث، أولها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: [(إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه)، فقال له مروان بن الحكم : [أما يجزئ أحدنا ممشاه إلى المسجد حتى يضطجع على يمينه]. وكأن هذا السؤال فيه الإشارة إلى الفصل، وأن المقصود بالركعتين الفصل بين النافلة والفريضة، وأنه إذا صلى الركعتين في البيت ومشى فإن هذا فصل، قال: ألا يجزيه ذلك فقال: أبو هريرة : لا يجزيه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك، يعني: يصلي ركعتين في بيته ويضطجع ثم يمشي. فالذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاضطجاع، وحديث أبي هريرة بعض أهل العلم تكلم فيه من جهة عبد الواحد بن زياد ، ومن جهة أن أبا صالح لم يسمعه من أبي هريرة ، لكن عبد الواحد بن زياد يحتمل تفرده ولا يضعف الحديث به، ولكن الحديث يحمل على من صلى في البيت النافلة، فإنه يضطجع، وأما من يأتي إلى المسجد ويصلي في المسجد ثم يضطجع فليس هناك شيء يدل على فعله، وهديه صلى الله عليه وسلم الذي كان يفعله هو أنه كان يفعل ذلك في البيت. قوله: [فبلغ ذلك ابن عمر فقال: أكثر أبو هريرة على نفسه]. يعني بذلك هذا الحديث الذي حدث به أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: [أكثر أبو هريرة على نفسه] يعني: أكثر من رواية الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما قال هذا قيل له: [أتنكر شيئا مما قال قال: لا، ولكنه اجترأ وجبنا]. يعني: اجترأ وكان يروي الأحاديث الكثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبنا فكثر حديثه وقل حديثنا بالنسبة لحديثه، ولما بلغ ذلك أبا هريرة رضي الله عنه قال: ما ذنبي إذا كنت قد حفظت وهم قد نسوا. و أبو هريرة رضي الله عنه -كما هو معلوم- هو أكثر الصحابة حديثا على الإطلاق، مع أنه لم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم إلا فترة وجيزة، وكان إسلامه عام خيبر، في السنة السابعة، ولكن هذه الكثرة التي قد حصلت لها أسباب: أولا: كونه كان ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم بعد إسلامه، وكان غيره من الصحابة يذهبون إلى أعمالهم، ويذهبون إلى تجارتهم وإلى بساتينهم، فيحضرون ويغيبون عن مجلسه صلى الله عليه وسلم. وأما أبو هريرة رضي الله عنه فقد كان ملازما لمجلسه، بل يصحبه في ذهابه وإيابه، وأكله وشربه، وكان فقيرا، وكان يتبعه من أجل الاستفادة منه، ومن أجل أن يحصل القوت، وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم جعلته يتحمل الشيء الكثير، ولو كانت المدة وجيزة بالنسبة لغيره ممن كان أسلم قديما ولم ينقل عنه الحديث مثلما نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه. ثانيا: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا له، فكان ذلك من أسباب حفظه وكونه يحفظ، مع أنه ما كان يكتب، ولكن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم له كانت من أسباب حفظه الحديث، وهذا الذي كان يحصله لملازمته النبي صلى الله عليه وسلم، وكان حافظا رضي الله عنه وأرضاه. الأمر الثالث: أنه كان في المدينة، بخلاف غيره من الصحابة، فإن كثيرا منهم تفرقوا في الآفاق والبلاد، ومن المعلوم أن المدينة يرد إليها الناس، ويصدرون عنها، ويأتون إليها من كل جهة، ومن المعلوم أن من كان في المدينة من الصحابة كان من يأتي من خارجها يحرص على اللقاء به، وأخذ ما عنده، وإذا كان صحابيا وعنده أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث بها أبا هريرة ، فيأخذون منه، ويعطونه، فكان ذلك من أسباب كثرة حديثه رضي الله عنه وأرضاه.تراجم رجال إسناد حديث (إذا صلى أحدكم الركعتين قبل الصبح فليضطجع على يمينه)قوله: [حدثنا مسدد]. هو مسدد بن مسرهد البصري ، ثقة،

أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [و أبو كامل]. أبو كامل هو: الفضيل بن حسين الجحدري ، وهو ثقة أخرج له البخاري تعليقا و مسلم و أبو داود و النسائي . [و عبيد الله بن عمر بن ميسرة]. عبيد الله بن عمر بن ميسرة ثقة، أخرج له البخاري و مسلم و أبو داود و النسائي . [قالوا: حدثنا عبد الواحد]. هو عبد الواحد بن زياد ، وهو ثقة، وفي حديثه عن الأعمش وحده مقال، أخرج له أصحاب الكتب الستة. وهذا الحديث هو من روايته عن الأعمش . [حدثنا الأعمش]. الأعمش هو: سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي صالح]. هو أبو صالح ذكوان السمان مشهور بكنيته واسمه ذكوان ، ولقبه السمان ، كان يجلب الزيت والسمن فقيل له: السمان ، ويقال له: الزيات ، وهو ثقة، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة. [عن أبي هريرة]. هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر الصحابة حديثا على الإطلاق عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عن أبي هريرة ، وعن الصحابة أجمعين.شرح حديث (كان رسول الله إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني..)قال المصنف رحمه الله: [حدثنا يحيى بن حكيم حدثنا بشر بن عمر حدثنا مالك بن أنس عن سالم أبي النضر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظة حدثني، وإن كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين، ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح، فيصلي ركعتين خفيفتين، ثم يخرج إلى الصلاة)]. أورد أبو داود حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قضى صلاته من الليل فإن كانت مستيقظة حدثها، أي: تحدث معها وتكلم معها، وإن كانت نائمة أيقظها، أي: لتصلي الوتر، وتصلي صلاتها في آخر الليل، والتي آخرها الوتر، ثم صلى ركعتين واضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه فيصلي ركعتين، ثم يخرج، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه كان يصلي ركعتين، أي: الفجر، ثم يضطجع بعدها، وإذا جاءه المؤذن خرج؛ لأنه كان يصلي ويضطجع قبل أن يأتيه المؤذن، وإذا جاء المؤذن خرج؛ لأنه قد حصل منه الاثنان: الركعتان، والاضطجاع بعدهما. وقد جاء في بعض الأحاديث أنه كان يضطجع بعد الركعتين اللتين في آخر صلاته من الليل، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه كان يصلي بعد الوتر ركعتين وهو جالس، وقد جاء في الأذان الأول أنه يستيقظ النائم ويرجع القائم، فالقائم الذي كان يتهجد يستريح استعجالا لصلاة الفجر، والذي كان نائما يقوم حتى يصلي وتره، ويتسحر إن كان يريد أن يصوم، حتى إذا جاء الأذان الثاني يكون قد فرغ من وتره وسحوره، وقد جاء في الأحاديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يضطجع بعد ركعتي الفجر، وجاء في بعضها -كما سيأتي- أنه كان إذا صلى ركعتين إن وجدها قائمة حدثها وإلا اضطجع.تراجم رجال إسناد حديث (كان رسول الله إذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فإن كنت مستيقظه حدثني..)قوله: [حدثنا يحيى بن حكيم]. يحيى بن حكيم ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [حدثنا بشر بن عمر]. بشر بن عمر ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا مالك بن أنس]. هو مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة الإمام المشهور، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن سالم أبي النضر]. سالم أبي النضر ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي سلمة بن عبد الرحمن]. هو أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف المدني، ثقة فقيه، أحد فقهاء المدينة السبعة في عصر التابعين على أحد الأقوال الثلاثة في السابع منهم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة

]. هي أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، الصديقة بنت الصديق ، وهي من أوعية السنة وحفظتها، وهي أحد سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.شرح حديث (كان النبي إذا صلى ركعتي الفجر فإن كنت نائمة اضطجع وإن كنت مستيقظة حدثني)قال المصنف رحمه الله: [حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن زياد بن سعد عمن حدثه – ابن أبي عتاب أو غيره – عن أبي سلمة قال: قالت عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى ركعتي الفجر فإن كنت نائمة اضطجع، وإن كنت مستيقظة حدثني)]. أورد أبو داود رحمه الله حديث عائشة رضي الله عنها، وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى ركعتي الفجر فإن كانت مستيقظة حدثها وإلا اضطجع. وهذا يفيد أنه كان يترك الاضطجاع في بعض الأحيان؛ لأنه إن كانت مستيقظة حدثها وإلا اضطجع، وهذا فيه الاضطجاع بعد ركعتي الفجر منه صلى الله عليه وسلم، ويفيد هذا الحديث بأنه كان في بعض الأحيان وليس دائما.تراجم رجال إسناد حديث (كان النبي إذا صلى ركعتي الفجر فإن كنت نائمة اضطجع وإن كنت مستيقظة حدثني)قوله: [حدثنا مسدد حدثنا سفيان]. وسفيان هو: ابن عيينة ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن زياد بن سعد]. زياد بن سعد ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عمن حدثه – ابن أبي عتاب – أو غيره]. يعني: لا يدرى من الذي حدثه، هل هو ابن أبي عتاب أو غير ابن أبي عتاب ومعناه أنه غير جازم بالشخص الذي حدثه به، لا يدرى هل هو هذا أو هذا، ومن المعلوم أن الأمر إذا دار بين شخصين أحدهما معروف والثاني غير معروف، وأنه يحتمل هذا وهذا فإنه لا يعتمد عليه، ولا يعول عليه، لكن الحديث جاء في صحيح البخاري بهذا اللفظ، فهو ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ابن أبي عتاب هو زيد ، وهو ثقة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن أبي سلمة قال: قالت عائشة]. أبو سلمة و عائشة قد مر ذكرهما.شرح حديث (خرجت مع النبي لصلاة الصبح فكان لا يمر برجل إلا ناداه بالصلاة..)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عباس العنبري و زياد بن يحيى قالا: حدثنا سهل بن حماد عن أبي مكين حدثنا أبو الفضل –رجل من الأنصار– عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: (خرجت مع النبي صلى الله عليه وعلى وسلم لصلاة الصبح، فكان لا يمر برجل إلا ناداه بالصلاة أو حركه برجله). قال زياد بن يحيى : قال: حدثنا أبو الفضيل]. أورد أبو داود حديث أبي بكرة رضي الله عنه: (أنه خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الصبح فكان لا يمر برجل إلا ناداه) يعني: ليصلي –أو حركه برجله–يعني: ليوقظه، والحديث فيه هذا الرجل المجهول الذي هو أبو الفضل رجل من الأنصار، فهو غير صحيح، وغير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن كون الإنسان ينبه النائم، ويوقظه للصلاة إذا رآه نائما هذا أمر مطلوب، ولكن هذا الحديث بهذا الإسناد غير ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.تراجم رجال إسناد حديث (خرجت مع النبي لصلاة الصبح فكان لا يمر برجل إلا ناداه بالصلاة..)قوله: [حدثنا عباس العنبري]. عباس هو: ابن عبد العظيم العنبري ، ثقة، أخرج له البخاري تعليقا و مسلم وأصحاب السنن. [و زياد بن يحيى]. زياد بن يحيى ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قالا: حدثنا سهل بن حماد]. سهل بن حماد ، صدوق، أخرج حديثه مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي مكين]. أبو مكين هو: نوح بن ربيعة ، صدوق أخرج حديثه أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن أبي الفضل رجل من الأنصار]. أبو الفضل مجهول، أخرج حديثه أبو داود وحده. [عن مسلم بن أبي بكرة]. مسلم بن أبي بكرة ، صدوق، أخرج له مسلم و أبو داود و الترمذي و النسائي . [عن أبيه]. أبوه

هو: أبو بكرة نفيع بن الحارث رضي الله تعالى عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. قوله: [قال زياد بن يحيى : قال: حدثنا أبو الفضيل]. زياد هو شيخ أبي داود الثاني، قال: [حدثنا أبو الفضيل]، يعني الرجل من الأنصار، فبدل أن يقول: أبو الفضل ، قال: أبو الفضيل ، وهو مجهول، سواء أكان أبا الفضل أم أبا الفضيل .إذا أدرك الإمام ولم يصل ركعتي الفجرشرح حديث (جاء رجل والنبي يصلي الصبح فصلى الركعتين ثم دخل مع النبي في الصلاة..)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب: إذا أدرك الإمام ولم يصل ركعتي الفجر. حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن عاصم عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: (جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح، فصلى الركعتين، ثم دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، فلما انصرف قال: يا فلان! أيتهما صلاتك: التي صليت وحدك أو التي صليت معنا!)]. أورد أبو داود [باب: إذا أدرك الإمام ولم يصل ركعتي الفجر]، يعني: ماذا يصنع والجواب: أنه يدخل مع الإمام ولا يصلي ركعتي الفجر، بل يصليهما بعد ذلك، كما جاءت في ذلك السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسيأتي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي بعد الفجر فسأله فقال: إنه لم يصل الركعتين. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقره على صنيعه، فدل ذلك على جواز الإتيان بركعتي الفجر بعد الصلاة، فيقضيهما بعد الصلاة ولو كان ذلك وقت نهي؛ لأنه ورد استثناؤهما بهذا الدليل، وعلى هذا فالإنسان إذا دخل والإمام يصلي فإنه يدخل معه في الصلاة، ولا يجوز له أن يصلي والإمام يصلي، فلا يتشاغل بالنفل عن الفرض، بل يدخل في الفرض ويشتغل به، وقد جاءت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الذي أورده أبو داود حديث عبد الله بن سرجس رضي الله عنه أنه جاء رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح، فصلى ركعتين، ثم دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وصلى معه صلاة الفجر، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [(يا فلان! أيتهما صلاتك!) أي: الركعتان اللتان صليتهما وحدك أو التي صليت معنا، وهذا إنكار عليه؛ لأن الإنسان عندما يكون الإمام في الصلاة ليس له أن يتشاغل عن الفرض بالنفل. وقد نقل الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه في فتح الباري عن بعض الأكابر أنه قال: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور. يعني: من اشتغل بالنوافل عن الفرائض فهو مغرور، والذي تشغله الفرائض عن النوافل هو معذور؛ لأنه مشغول بالشيء الأهم والواجب، والشيء المتعين، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..) الحديث. فالتشاغل بالنفل عن الفرض بأن يكون الإمام يصلي ثم يأتي من لم يصل النافلة فيتشاغل بها عن الفريضة مما أنكره الرسول صلى الله عليه وسلم على من فعله. وثبت عنه في الحديث الذي سيأتي أنه قال: (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة). وبقي مسألة، وهي: إذا كان الإنسان قد بدأ بالنافلة قبل الإقامة، وأقيمت الصلاة وهو يصلي النافلة، فماذا يصنع هل يقطعها ويدخل مع الإمام استنادا إلى ما جاء في أحاديث الباب، أو أنه يتمها خفيفة! والجواب: إذا كان الإنسان في آخرها فيتمها خفيفة ويدخل مع الإمام، ويدرك الصلاة، ويمكن أنه في حال الإقامة ينتهي ويدخل مع الإمام في الصلاة، وإن كان في أولها فعليه أن يقطعها، ولا يتشاغل بالفرض عن النفل.تراجم رجال إسناد حديث (جاء رجل والنبي يصلي الصبح فصلى الركعتين ثم دخل مع النبي في الصلاة..)قوله: [حدثنا سليمان بن حرب]. سليمان بن حرب ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [

حدثنا حماد بن زيد]. هو حماد بن زيد بن درهم البصري ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عاصم]. هو عاصم بن سليمان الأحول ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الله بن سرجس]. هو عبد الله بن سرجس رضي الله عنه، وحديثه أخرجه مسلم وأصحاب السنن. وهذا رباعي من الرباعيات، فهو من أعلى ما يكون من الأسانيد عند أبي داود ؛ لأن أعلى الأسانيد عند أبي داود الرباعيات.شرح حديث (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة)[حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة ، ح: وحدثنا أحمد بن حنبل حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ورقاء ، ح: وحدثنا الحسن بن علي حدثنا أبو عاصم عن ابن جريج ، ح: وحدثنا الحسن بن علي حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن زيد عن أيوب ، ح: وحدثنا محمد بن المتوكل حدثنا عبد الرزاق أخبرنا زكريا بن إسحاق ، كلهم عن عمرو بن دينار عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة)]. أورد أبو داود حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة). يعني: ليس للإنسان أن يشتغل بنفل بعد أن تقام الصلاة إلا بالصلاة المكتوبة، ومن كان داخلا في الصلاة قبل الإقامة إذا كان في آخرها فإنه يتمها ويسلم ويلحق بالإمام، وإن كان في أولها فعليه أن يقطعها ويدخل مع الإمام في الصلاة من أولها، ولا يفوت على نفسه شيئا بسبب تشاغله بالنفل.من فاتته ركعتا الفجر متى يقضيهماشرح حديث (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي بعد صلاة الصبح)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب: من فاتته متى يقضيها حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن سعد بن سعيد حدثني محمد بن إبراهيم عن قيس بن عمرو رضي الله عنه قال: (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي بعد صلاة الصبح ركعتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلاة الصبح ركعتان! فقال الرجل: إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلهما فصليتهما الآن، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم)]. أورد أبو داود حديث قيس بن عمرو رضي الله عنه أن رجلا رآه النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بعد الفجر، فقال له: [(صلاة الصبح ركعتان)] وفي بعض الأحاديث: (أصلاة الفجر أربعا) ومعناه أنه صلى الفجر أربعا، فقال: [إني لم أكن صليت الركعتين اللتين قبلهما فصليتهما] يعني الركعتين اللتين قبل الفجر ما صلاهما قبل الصلاة، قال: فأنا أقضيهما، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي أنه أقره على ذلك. فدل هذا على أن ركعتي الفجر إذا لم يتمكن الإنسان من الإتيان بهما قبل الصلاة فإنه يدخل مع الإمام، ولا يتشاغل بهما والإمام يصلي، بل يدخل مع الإمام، وإذا فرغ أتى بالركعتين؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما علم قصد هذا الرجل سكت ولم ينكر عليه، وهذا إقرار منه صلى الله عليه وسلم، وهو لا يقر على باطل، والسنة هي قوله وفعله وتقريره؛ لأن السنة إنما تؤخذ عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل والتقرير، وهذا من التقرير؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم سكت وهو لا يسكت على باطل صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، وعلى هذا فيكون قضاء الركعتين بعد الفجر سائغ، وإن كان جاء النهي عن الصلاة بعد الفجر حتى طلوع الشمس، إلا أن هذا استثني بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.تراجم رجال إسناد حديث (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي بعد صلاة الصبح)قوله: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة]. هو عثمان بن أبي شيبة الكوفي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي . [حدثنا عبد الله بن نمير]. ابن نمير هو: عبد الله بن نمير ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سعد بن سعيد]. هو سعد بن سعيد الأنصاري وهو

صدوق سيئ الحفظ، أخرج له البخاري تعليقا و مسلم وأصحاب السنن. [حدثني محمد بن إبراهيم]. هو محمد بن إبراهيم التيمي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن قيس بن عمرو]. قيس بن عمرو رضي الله عنه هو جد سعد بن سعيد ، وأخرج حديثه أبو داود و الترمذي و ابن ماجة .شرح حديث (صلاة الصبح ركعتان) من طريق أخرى وتراجم رجال إسنادهقال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا حامد بن يحيى البلخي قال سفيان بن عيينة : كان عطاء بن أبي رباح يحدث بهذا الحديث عن سعد بن سعيد. قال أبو داود : وروى عبد ربه و يحيى ابنا سعيد هذا الحديث مرسلا أن جدهم زيدا صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم بهذه القصة]. كلمة (زيد) هذه التي جاءت في الحديث غير صحيحة؛ لأن جدهم هو قيس ، وهو الذي مر في الإسناد السابق، وفي بعض النسخ (جدهم) بدون ذكر (زيد)، فتكون على الصواب، فجدهم هو قيس ؛ لأن جدهم قيسا هو راو في الإسناد، وهؤلاء الثلاثة إخوة، أعني: سعد بن سعيد و يحيى بن سعيد و عبد ربه بن سعيد . و يحيى بن سعيد الأنصاري المدني مشهور، وهو كثير الراوية، ويروي عنه الإمام مالك كثيرا، و عبد ربه أيضا ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. فكلمة (زيد) هذه وهم أو خطأ، وبعض النسخ ليس فيها ذكر زيد، وإنما جدهم، وجدهم هو قيس بن عمرو. والحديث صحيح ثابت، وذاك وإن كان فيه كلام -أعني سعد بن سعيد - إلا أن الروايات الأخرى تؤيد ذلك. وقوله: [حدثنا حامد بن يحيى البلخي]. حامد بن يحيى البلخي ثقة أخرج له أبو داود . [قال: قال سفيان بن عيينة]. سفيان بن عيينة مر ذكره. [كان عطاء بن أبي رباح يحدث بهذا الحديث عن سعد بن سعيد]. عطاء بن أبي رباح ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وسعد بن سعيد هو الذي مر في الإسناد السابق. قوله: [قال أبو داود : وروى عبد ربه و يحيى ابنا سعيد هذا الحديث مرسلا]. يعني: هذا الحديث مرسل وليس عن قيس بن عمرو ، فهو مضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع حذف الواسطة، لكن مجموع هذه الروايات يشد بعضها بعضا، ويكون الحديث ثابتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. و عبد ربه بن سعيد ثقة، أخرج له أصحاب الكتب، و يحيى بن سعيد ثقة أخرج له أصحاب الكتب الستة. فهذا الإسناد مرسل، والإسناد الأول مرسل مثله، لأن محمد بن إبراهيم لم يسمع من قيس . والحديث صححه الشيخ ناصر ، وأظن أن بعض المعاصرين ألف رسالة خاصة في هذا الحديث.الأربع قبل الظهر وبعدهاشرح حديث (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرم على النار)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب الأربع قبل الظهر وبعدها. حدثنا مؤمل بن الفضل حدثنا محمد بن شعيب عن النعمان عن مكحول عن عنبسة بن أبي سفيان قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرم على النار). قال أبو داود : رواه العلاء بن الحارث و سليمان بن موسى عن مكحول بإسناده مثله]. أورد أبو داود هذه الترجمة: [باب الأربع قبل الظهر وبعدها] يعني الأربع الركعات قبل الظهر وبعدها، وسبق أن مر معنا أن قبل الظهر أربعا وبعدها ثنتين في حديث أم حبيبة المتقدم الذي جاء مجملا، وحديث عائشة الذي جاء مفصلا. وهذه الترجمة فيها الأربع الركعات قبل الظهر وبعدها، وقد جاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شك في أن الأربع أكمل من الثنتين، والإنسان إذا أتى بأربع بعد الظهر فهو أفضل، وإذا حافظ على الثنتين اللتين بعد الظهر مع الأربع التي قبل الظهر، والتي جاءت في حديث أم حبيبة وحديث عائشة وحديث عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم فإنه يكون أتى بتلك الرواتب التي من حافظ عليها بني له بيت في الجنة، كما جاء في حديث أم

حبيبة المتقدم، وهنا فيه أن من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرم على النار، فهذا يدل على فضل هذه الركعات قبل الظهر وبعدها.تراجم رجال إسناد حديث (من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرم على النار)قوله: [حدثنا مؤمل بن الفضل]. مؤمل بن الفضل صدوق، أخرج له أبو داود و النسائي . [حدثنا محمد بن شعيب]. محمد بن شعيب صدوق أخرج له أصحاب السنن. [عن النعمان]. هو النعمان بن المنذر ، وهو صدوق، أخرج له أبو داود و النسائي . [عن مكحول]. مكحول هو: الشامي ، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري في جزء القراءة و مسلم وأصحاب السنن. [عن عنبسة بن أبي سفيان]. عنبسة بن أبي سفيان قيل: له رؤية. وقيل: هو تابعي، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن أم حبيبة]. هي أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها بنت أبي سفيان رضي الله تعالى عنها وعن أبي سفيان وعن الصحابة أجمعين، وحديثها أخرجه أصحاب الكتب الستة. قوله: [قال أبو داود : رواه العلاء بن الحارث و سليمان بن موسى عن مكحول بإسناده مثله]. العلاء بن الحارث ، صدوق، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. و سليمان بن موسى صدوق، أخرج له مسلم في المقدمة وأصحاب السنن. ومكحول مر ذكره.شرح حديث (أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء)قال المصنف رحمه الله: [حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت عبيدة يحدث عن إبراهيم عن ابن منجاب عن قرثع عن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء). قال أبو داود : بلغني عن يحيى بن سعيد القطان قال: لو حدثت عن عبيدة بشيء لحدثت عنه بهذا الحديث. قال أبو داود : عبيدة ضعيف. قال أبو داود : ابن منجاب هو سهم]. أورد أبو داود رحمه الله حديث أبي أيوب رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [(أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء)]. وهذا يدل على صلاة أربع قبل الظهر، وفيه أنه ليس فيهن تسليم، ومعناه أنها متصلة ليس هناك تسليم فيها في الوسط، بل في آخرها، لكن الأحاديث جاءت في أن الصلاة ركعتين ركعتين، والحديث فيه هذا الرجل المتكلم فيه، و الألباني حسن هذا الحديث، ولا أدري ما هو وجه التحسين؛ لأن الرجل الذي في الإسناد ضعيف، وقد اختلط، وهو عبيدة بن معتب . فإذا كان هناك شواهد، أو شيء يعتمد عليه غير هذا الطريق فيكون لذلك وجه، ولو صح الحديث فإن الأولى أن يؤتى بالرواتب والنوافل ركعتين ركعتين، ويجوز أن يؤتى بها مسرودة إذا صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد صحح الشيخ ناصر رحمه الله الحديث بلفظ: (أربع ركعات بعد الزوال قبل الظهر ليس بينهن تسليم يعدلن بصلاة السحر). وهو في السلسلة الصحيحة المجلد الثالث. وإذا صح الحديث فيجوز أن تسرد وعدم السرد أولى. كما أن صلاة الليل مثنى مثنى ويجوز الجمع لأربع على حدة، وأربع على حدة، وثلاث على حدة، كما جاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيجوز الوصل والفصل، ولكن الفصل أولى من الوصل. وإذا قلنا بالوصل فهل يتشهد تشهدا أوسط الجواب: الذي يبدو أنه لا يتشهد، حتى لا تصير كأنها ظهر؛ لأن الإنسان إذا فعل هذا فكأنه صلى الظهر.تراجم رجال إسناد حديث (أربع قبل الظهر ليس فيهن تسليم تفتح لهن أبواب السماء)قوله: [حدثنا ابن المثنى]. هو محمد بن المثنى الزمن أبو موسى ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهو شيخ لأصحاب الكتب الستة. [حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة]. محمد بن جعفر غندر مر ذكره، و شعبة مر ذكره. [قال: سمعت عبيدة]. عبيدة بن معتب ضعيف اختلط، وحديثه أخرج له البخاري تعليقا و أبو داود و الترمذي و ابن ماجة . [عن إبراهيم

]. إبراهيم هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن منجاب]. ابن منجاب هو: سهم بن منجاب ، وهو ثقة، أخرج له مسلم و أبو داود و الترمذي في الشمائل و النسائي و ابن ماجة . [عن قرثع]. قرثع صدوق أخرج له أبو داود و الترمذي في الشمائل و النسائي و ابن ماجة . [عن أبي أيوب]. أبو أيوب الأنصاري هو خالد بن زيد رضي الله تعالى عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. قوله: [قال أبو داود : بلغني عن يحيى بن سعيد القطان قال: لو حدثت عن عبيدة بشيء لحدثت عنه بهذا الحديث]. قال أبو داود : [بلغني] لأن يحيى بن سعيد من طبقة شيوخ شيوخه؛ لأنه يروي عنه بواسطة، فهو لم يذكر الذي حدثه بذلك، ولكنه ذكره بلاغا وحذف الواسطة، حيث قال: [بلغني عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال: لو حدثت عن عبيدة بشيء لحدثت عنه بهذا الحديث]، ومعناه أنه لا يحدث بشيء عن عبيدة ، ولو حدث لحدث بهذا الحديث. قوله: [قال أبو داود : عبيدة ضعيف]. أي أن أبا داود ضعف الرجل، والرجل ذكره في التقريب أنه ضعيف، وقال: إنه أيضا اختلط. قوله: [قال أبو داود : ابن منجاب هو سهم]. يعني: ذكر اسمه؛ لأنه جاء في الإسناد بدون ذكر اسمه، بل بنسبته، فقال: هو سهم .الأسئلةحكم تقسيم الكذب إلى أبيض وأسودالسؤال: هل هناك كذبة بيضاء وكذبة سوداء الجواب: الكذب لا يجوز إلا في الأمور التي أبيح فيها، وبعض أهل العلم قال: إن ذلك أيضا من قبيل المعاريض، ومن الأشياء التي يكون فيها التورية.حكم تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئةالسؤال: هل هناك بدعة حسنة وبدعة سيئة الجواب: الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (كل بدعة ضلالة)، فكيف تقسم البدعة إلى حسنة وسيئة، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: (كل بدعة ضلالة) ولفظ (كل) من صيغ العموم.حكم التنفل في أوقات الكراهةالسؤال: جئنا زائرين إلى المسجد النبوي فصلينا بعد العصر أو بعد الفجر، فما الحكم الجواب: لا يجوز للإنسان أن يتنفل بعد الفجر وبعد العصر؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس، ولا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس).حكم من انتقض وضوءه في التشهد الأخير وهو إمامالسؤال: إمام انتقض وضوؤه في حالة التشهد الأخير وخلفه أكثر من عشرة صفوف، فماذا يصنع الجواب: يقطع الصلاة ثم يتوضأ ويستأنف.حكم العقيقة عن السقطالسؤال: الولد إذا بلغ أربعة أشهر في بطن أمه ثم مات سقطا، فهل يعق عنه ويسمى الجواب: ما دام أنه ولد ميتا فكيف يسمى! وأما مسألة العقيقة فإنه إذا صلي عليه فلو عق عنه لا شك في أن ذلك خير.حكم النفي في قوله (فلا صلاة إلا المكتوبة)السؤال: قوله صلى الله عليه وسلم: (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة)، هل النفي هنا للصحة أو للكمال الجواب: النفي هنا خبر بمعنى النهي؛ ومعناه: لا تصلوا وقد أقيمت الصلاة. فهو خبر بمعنى النهي، ولا يجوز للإنسان أن يتشاغل بالنفل عن الفرض."". (١)

١٩٣-"شرح سنن أبي داود [١٥٥]لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الناس محافظة على السنن الرواتب، وحث على فعلها بقوله وفعله صلى الله عليه وسلم كما جاءت الأحاديث بذلك، ولم يكن على شيء من النوافل أشد تعهدا منه على ركعتي الفجر، وقد سن لنا أن نقرأ فيها بالكافرون وقل هو الله أحد إعلانا لتوحيد الله تعالى والإخلاص له.أبواب التطوع وركعات السنةشرح أحاديث صلاة الرواتبقال المصنف رحمه الله تعالى: [باب تفريع أبواب التطوع وركعات

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد ص/٢

السنة. حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابن علية حدثنا داود بن أبي هند حدثني النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن عنبسة بن أبي سفيان عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى في يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا بني له بهن بيت في الجنة)]. حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا هشيم أخبرنا خالد، ح وحدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد -المعنى- عن عبد الله بن شقيق قال: (سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من التطوع، فقالت: كان يصلي قبل الظهر أربعا في بيتي، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بهم العشاء، ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر، وكان يصلي ليلا طويلا قائما، وليلا طويلا جالسا، فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين، ثم يخرج فيصلي بالناس صلاة الفجر صلى الله عليه وعلى آله وسلم). حدثنا القعنبي عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين، وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين في بيته، وبعد صلاة العشاء ركعتين، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين)]. يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب تفريع أبواب التطوع وركعات السنة]. التطوع: هو النفل، وهو غير الفرائض، وقوله: [وركعات السنة] لعله يريد بذلك الركعات التي تكون تابعة للصلوات، والسنة لعله يريد بها السنة في اصطلاح الفقهاء، وهي التطوع أو الركعات المستحبة التي هي رواتب تابعة للصلوات. والسنة تأتي على أربعة معان: الأول: كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة، فكله سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: منهجه وطريقته، فما في القرآن وما في السنة كله سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهدي الرسول الذي جاء به صلى الله عليه وسلم؛ لأن القرآن من الله والسنة من الله، إلا أن السنة وحي غير متلو. ومر معنا حديث ابن عباس : (فرض الله على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم الصلاة في السفر ركعتين، وفي الحضر أربعا، وفي الخوف ركعة). فقوله: (فرض الله على لسان نبيكم) يعني أن الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو من الله، فالسنة من الله، والقرآن من الله، والكل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (فمن رغب عن سنتي فليس مني)، فالمقصود بسنة صلى الله عليه وسلم طريقته التي هي اتباع الكتاب والسنة، وهدي الكتاب والسنة، وهذا هو أعم المعاني التي يأتي بها لفظ السنة. المعنى الثاني: فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقال له: سنة، ومن ذلك ما يذكره العلماء في شروح الحديث، وفي كتب الفقه، فعندما يأتون إلى مسألة من المسائل فإنهم يقولون: هذه المسألة دل عليها الكتاب والسنة والإجماع والقياس أو المعنى، ثم يقولون: أما الكتاب فقول الله تعالى كذا، وأما السنة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم كذا، وأما الإجماع فقد حكاه أهل الإجماع، وأما المعنى فكذا وكذا. فإذا ذكرت السنة مع القرآن أو مع الكتاب فالمراد بها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والسنة بهذا المعنى تكون مرادفة للحديث، فالحديث والسنة هما بمعنى واحد، وهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. المعنى الثالث: مقابل البدعة، فإذا قالوا: هذا سنة وهذا بدعة فمعناه أن هذا جاء وفقا للسنة، ذاك جاء بدعة خلافا للسنة. ومن ذلك الكتب التي يؤلفها العلماء في عقيدة أهل السنة والجماعة باسم السنة، مثل: كتاب السنة لابن أبي عاصم ، والسنة لمحمد بن نصر المروزي ، والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، والسنة للالكائي ، والمراد منها ما يعتقد طبقا للسنة وخلافا للبدعة. والإمام أبو داود رحمه

الله قد وضع في كتابه السنن اسم: (كتاب السنة)، وأورد فيه ما يقرب من مائة وخمسين حديثا كلها في العقيدة، يعني: ما يعتقد وفقا للسنة وخلافا للبدعة. المعنى الرابع: هو السنة باصطلاح الفقهاء، وهو المأمور به لا على سبيل الإيجاب، وإنما على سبيل الاستحباب، أي: ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، ويطلبه الشارع طلبا غير جازم، بخلاف الواجب، فإنه يثاب فاعله ويعاقب تاركه ويطلبه الشارع طلبا جازما. وعلى هذا فالسنة يراد بها المندوب والمستحب، فيقال: المسنون. وإذا جاء في كتب الفقهاء (يسن) أو (المسنون) أو (سنة) أو (مندوب) أو (مستحب) فذلك كله بمعنى واحد. وقوله هنا: [(وركعات السنة)] لعله يريد بذلك الركعات التي هي مستحبة، والتي هي من قبيل السنن التي ليست بواجبة، ولكن على الإنسان أن يحرص عليها. وقد سبق أن مر الحديث الذي فيه: (إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة) وفيه أنها إذا نقصت يقول الله تعالى: هل لعبدي من تطوع، فيكمل به صلاة الفرائض. والتطوعات والسنن على الإنسان أن يحرص عليها؛ لأنها كالسياج للفرائض، والذي يتهاون بالسنن يتهاون بالفرائض، فمن سهل عليه التهاون بالسنن يسهل عليه التهاون بالفرائض، ومن حافظ على السنن فمن باب أولى أن يحافظ على الفرائض، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه..) الحديث. ثم أورد أبو داود رحمه الله ثلاثة أحاديث: الأول عن أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، وفيه: أن من حافظ على ثنتي عشر ركعة في كل يوم -أي: في اليوم والليلة- بني له بيت في الجنة. والثاني حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه بيان تفصيل تلك الركعات، وأنها أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر. فالتفصيل لهذه السنن الرواتب الثنتي عشرة موجود في حديث عائشة : أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر. والثالث حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه المحافظة على عشر ركعات: ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر. وحديث أم حبيبة وحديث عائشة متفقان من ناحية العدد، وأن الراتبة تكون أربعا قبل الظهر، بخلاف حديث ابن عمر، فإن فيه اثنتين قبل الظهر، ولا شك في أن الإتيان بالأكمل والأفضل الذي هو أربع هو الأولى، ومن أتى بالاثنتين فحسن ولا بأس بذلك. ومن الأمور التي أذكرها عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه -وكنت ذكرت هذا في المحاضرة التي ألقيتها عقب وفاته بخمسة أيام- أنني دخلت معه إلى المسجد النبوي، وبعد أن أذن للظهر وصففت بجواره صلى هو أربعا، وأنا صليت ركعتين وجلست، وبعدما سلم التفت إلي وقال: أنت صليت ركعتين قلت: نعم صليت ركعتين، قال: الأربع أحسن وأفضل؛ لأنها جاءت في حديث عائشة و أم حبيبة، وفي الزيادة خير. يعني: فهي أولى وأفضل. وهذا من نبله وفضله ونصحه رحمة الله عليه، فإنه ينبه على أمور فيها الكمال، وإن كان الإتيان بذلك موافقا للسنة، إلا أن الذي جاءت به السنة هو أكمل وأفضل، وهو الأولى، فنبهني على ذلك رحمة الله عليه. والحاصل أن الأفضل الإتيان بالأكمل، والذي جاء في حديث أم حبيبة وحديث عائشة لا شك هي أنه أكمل وأفضل، ومن أتى بركعتين فقد وافق السنة، ومعلوم أن الأصغر يدخل في الأكبر، إذا أتي بالأكبر فقد أتي بالأصغر، ولكن من أتى بالأصغر فقد ترك بالأكبر، بل من أتى بالأكبر هو الذي يحصل على الفضل والزيادة في الخير؛ لأن (أربع الركعات لا شك في أن الإتيان بها أفضل من الإتيان بركعتين. وعلى هذا فإن هذه الأحاديث الثلاثة دلت على هذه الرواتب، وحديث أم حبيبة وعائشة متفقان على ذكر العدد، وهو الثنتي

عشرة ركعة، وحديث أم حبيبة غير مفصل، وحديث عائشة مفصل، وفيه -أيضا- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب كلها في بيته. وفي حديث ابن عمر قال: [(وبعد المغرب ركعتين في بيته)]. وهذا يفيد أن ذلك في بيته، ولكن عائشة رضي الله عنها بينت أن تلك الرواتب كانت في البيت، فيكون هذا الذي جاء في حديث ابن عمر مثلما جاء في حديث عائشة ، إلا أن ابن عمر نص على ذلك فيما يتعلق بالمغرب. و عائشة -كما هو معلوم- هي أدرى وأعلم؛ لأنها تخبر أنه كان يصلي في بيته أربعا، ثم يخرج، ثم يرجع ويصلي ركعتين، وكل راتبة من الرواتب كان يأتي بها صلوات الله وسلامه وبركاته عليه في بيته كما جاء ذلك مبينا عنها. وقد قال عليه الصلاة والسلام: (صلاة الرجل في بيته أفضل إلا المكتوبة)، فدل على فضل ذلك بقوله وفعله، حيث كان يصلي في بيته النوافل الرواتب، وأخبر في هذا الحديث بأفضليتها.كيفية صلاة الليلقولها: [(وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر] أكثر ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ركعة في صلاة الليل مع الوتر، وأقل ما جاء عنه سبع ركعات، وقيل: أكثر ما جاء ثلاث عشرة ركعة. وقيل: إن الثلاث عشرة هي إحدى عشرة، ولكن الثنتين إما أن يراد بهما الركعتان اللتان يصليهما وهو جالس من بعد الوتر، وقيل: إنهما ركعتان خفيفتان يبدأ بهما صلاة الليل، وقيل إنهما سنة العشاء، وقيل غير ذلك، وجاء عنه سبع، وهنا ذكرت تسعا فيهن الوتر، وهذا في بعض أحواله، ولكن أقول: ما كان يزيد على إحدى عشرة كما جاء عن عائشة ، ولكنه قد ينقص عنها إلى تسع وإلى سبع، ولم يأت عنه أقل من سبع. وقولها: [(كان يصلي ليلا طويلا قائما، وليلا طويلا جالسا فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد)]. معناه: أنه كان يصلي قائما ويصلي جالسا، وإذا صلى عن قيام ركع عن قيام وسجد عن قيام، وإذا صلى عن جلوس ركع عن جلوس بالإيماء، وسجد بالإيماء عن جلوس. وقد جاء -أيضا-: أنه كان يقرأ من صلاة الليل شيئا كثيرا وهو جالس، فإذا بقي قدر ثلاثين آية قام وقرأها وهو قائم ثم ركع، فيكون أول قيامه للركعة عن جلوس وهو الكثير، ثم بعد ذلك يقوم ويقرأ ثلاثين آية أو أربعين آية من الآيات التي كان أراد أن يقرأها ثم يركع ويسجد صلى الله عليه وسلم. فهو كان إذا صلى قائما ركع عن قيام، وإذا صلى جالسا ركع عن جلوس، ولكنه قد يصلي جالسا ثم يقوم كما جاءت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قولها: [(كان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الظهر ركعتين، وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين في بيته، وبعد صلاة العشاء ركعتين، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين)] لم يذكر فيه الركعتين قبل صلاة الفجر، ومن المعلوم أنهما آكد الرواتب، وآكد السنن.تراجم رجال إسناد حديث (من صلى في يوم ثنتي عشرة ركعة...)قوله: [حدثنا محمد بن عيسى] . محمد بن عيسى هو: ابن الطباع ، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري تعليقا و أبو داود و الترمذي في الشمائل و النسائي و ابن ماجة . [حدثنا ابن علية]. ابن علية هو: إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي البصري المشهور بابن علية نسبة إلى أمه، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا داود بن أبي هند]. داود بن أبي هند ثقة، أخرج له البخاري تعليقا و مسلم وأصحاب السنن. [حدثني النعمان بن سالم]. النعمان بن سالم ، ثقة أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن عمرو بن أوس]. عمرو بن أوس ، ثقة، وهو تابعي كبير أخرج له أصحاب الكتب الستة ومنهم البخاري و مسلم . [عن عنبسة بن أبي سفيان]. عنبسة بن أبي سفيان ، يقال: له رؤية، وقال أبو نعيم : اتفق الأئمة على أنه تابعي، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن أم حبيبة]. أم حبيبة، هي أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وأرضاها،

وحديثها أخرجه أصحاب الكتب الستة.تراجم رجال إسناد حديث (كان يصلي قبل الظهر أربعا في بيتي...)قوله: [حدثنا أحمد بن حنبل]. هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ، الإمام المشهور، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [حدثنا هشيم]. هو هشيم بن بشير الواسطي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا خالد]. خالد هو: ابن مهران الحذاء، وهو لقبه، أخرج حديثه أصحاب الكتب الستة. [ح: وحدثنا مسدد]. (ح) للتحول من إسناد إلى إسناد، ومسدد هو: مسدد بن مسرهد البصري ، ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا يزيد بن زريع]. يزيد بن زريع ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا خالد]. هو خالد الحذاء. [المعنى] يعني أن الطريقين متفقان في المعنى. [عن عبد الله بن شقيق]. هو عبد الله بن شقيق العقيلي ، وهو ثقة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [عن عائشة]. هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، الصديقة بنت الصديق، وهي من أوعية السنة وحفظتها، وقد حفظت الشيء الكثير من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا سيما ما يتعلق بالأمور البيتية، مثل إخبارها في هذا الحديث بأنه كان يصلي النوافل كلها في بيتها.تراجم رجال إسناد حديث ابن عمر في بيان عدد الرواتبقوله: [حدثنا القعنبي]. القعنبي هو: عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجة . [عن مالك]. هو مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة، الإمام المشهور أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن نافع]. هو نافع مولى ابن عمر ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الله بن عمر]. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما، الصحابي الجليل، أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الإسناد من الرباعيات، وهي أعلى ما يكون عند أبي داود ، ففيه القعنبي عن مالك وعن نافع عن ابن عمر ، فبين أبي داود وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أشخاص.شرح حديث (كان لا يدع أربعا قبل الظهر...)قال المصنف رحمه الله: [حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعا قبل الظهر، وركعتين قبل صلاة الغداة)]. أورد أبو داود رحمه الله حديث عائشة ، وهو يتعلق بست من الاثني عشرة ركعة التي جاءت في حديثها. فقولها: [(أن النبي كان لا يدع أربعا قبل الظهر، وركعتين قبل صلاة الغداة)] يعني: في بيتها؛ لأنها تحكي عن الشيء الذي كان يجري في بيتها، وقد جاء ذلك مبينا في الحديث الذي قبل هذا. فهذا فيه دليل على ست ركعات من الاثنتي عشرة ركعة التي جاءت في حديثها السابق.تراجم رجال إسناد حديث (كان لا يدع أربعا قبل الظهر..)قوله: [حدثنا مسدد حدثنا يحيى]. يحيى هو: ابن سعيد القطان البصري ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن شعبة]. هو شعبة بن الحجاج الواسطي ثم البصري، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر]. إبراهيم بن محمد بن المنتشر ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبيه]. هو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. عائشة قد مر ذكرها.أهمية ركعتي الفجرشرح حديث (لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين قبل الصبح...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب ركعتي الفجر. حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن ابن جريج قال: حدثني عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن على

شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين قبل الصبح)]. أورد أبو داود رحمه الله: [باب ركعتي الفجر]. فبعد أن أتى بالترجمة الأولى التي هي تحت الباب العام، وأتى بالرواتب التي تكون تابعة للصلوات، وأتى بالأحاديث التي تجمع عددا منها كلها أو بعضها، وهي حديث أم حبيبة ، وحديث عائشة ، وحديث ابن عمر ، أو تجمع بعضها الذي هو نصفها كما في حديث عائشة، بعد ذلك بدأ بتفريع الأبواب الخاصة بهذه الرواتب، وبدأ بركعتي الفجر؛ لأنهما آكد الرواتب وأهمها، وكان عليه الصلاة والسلام لا يتركهما في حضر ولا في سفر. وأورد حديث عائشة رضي الله عنها [(أن النبي لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين قبل الصبح)]. أي: ما كان يتعاهد ويحافظ على شيء منها مثلما كان يحافظ على ركعتي الفجر. وقد جاء في حديث -أيضا- مثل هذا المعنى، وهو أنه لم يكن على شيء أشد محافظة منه على الوتر وعلى ركعتي الفجر، فكان لا يترك ذلك في حضر ولا في سفر، أعني الوتر وركعتي الفجر.تراجم رجال إسناد حديث (لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على الركعتين قبل الصبح...)قوله: [حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن ابن جريج]. مسدد و يحيى مر ذكرهما، يحيى بن سعيد القطان و ابن جريج هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: حدثني عطاء]. هو عطاء بن أبي رباح المكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبيد بن عمير]. عبيد بن عمير ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. يقول الحافظ : ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قاله مسلم ، وعده غيره في كبار التابعين. وهو ثقة متفق على توثيقه، وإذا كان ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقال له: صحابي، وإنما الصحابي هو الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم ورآه النبي صلى الله عليه وسلم، هذا هو الصحابي، وأما مجرد الولادة في حياته، فإن المخضرمين قد ولدوا في حياته فإنه قد حصل الذين هم مولدون أدركوا الجاهلية والإسلام، لكن الذي ولد في حياته معناه أنه كان صغيرا. [عن عائشة]. عائشة مر ذكرها.ما جاء في تخفيف ركعتي الفجرشرح حديث (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخفف الركعتين قبل صلاة الفجر...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب: في تخفيفهما. حدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني حدثنا زهير بن معاوية حدثنا يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخفف الركعتين قبل صلاة الفجر حتى إنني لأقول: هل قرأ فيهما بأم القرآن)]. أورد أبو داود هذه الترجمة: [باب في تخفيفهما]؛ وقد أورد عدة تراجم تتعلق بركعتي الفجر: أولها: إثباتهما، وثانيها بيان أهميتهما، ثم تخفيفهما. والمراد من تخفيفهما أنه لا يطولهما، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يخففهما، ودليل ذلك حديث عائشة ، وما جاء من الأحاديث التي فيها القراءة وأنه يقرأ: (قل يا أيها الكافرون) و(قل هو الله أحد) أو آيتين: آية في الركعة الأولى، وآية في الركعة الثانية، وكل هذا يدل على التخفيف، وكونه يقرأ فيهما بـ (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) أو بآية من سورة البقرة، وآية من سورة آل عمران، أو آيتين من سورة آل عمران كل ركعة يقرأ فيها آية، يدل على تخفيفهما. وحديث عائشة الذي أورده أبو داود هنا يدل على التخفيف الشديد، بل تساءلت عائشة فقالت: [هل قرأ فيهما بأم القرآن] لشدة التخفيف، ولا يعني ذلك أنه لم يقرأ، بل كان يقرؤها (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد)، ولكن هذا إشارة إلى التخفيف، وإلى مقارنتهما بركعاته الأخرى، فليستا بشيء من ناحية مقدارهما، فهما خفيفتان جدا. ويشبه هذا الحديث الذي سبق أن مر قريبا في قضية الشك في وقت الصلاة، إذ المقصود من ذلك أنه يصليها في أول الوقت، حتى إن بعض

الناس قد يتردد في الوقت، هل دخل الوقت أو ما دخل ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو إمام الناس، وهو الذي يحافظ على الوقت، وهو الذي يعرف دخول الوقت، ولكن بعض المأمومين لشدة المبادرة إلى الصلاة في أول وقتها يتردد قائلا: هل دخل الوقت أو لم يدخل والعبرة بالإمام، فهو المسئول عن الوقت، وهو الذي يحافظ على الوقت وغيره تابع له. فالحاصل أن ذاك معناه المبادرة وعدم التأخر في شيء بعد دخول الوقت، وهنا التخفيف الشديد.تراجم رجال إسناد حديث (كان النبي صلى الله عليه وسلم يخفف الركعتين قبل صلاة الفجر..)قوله: [حدثنا أحمد بن أبي شعيب الحراني]. أحمد بن أبي شعيب الحراني هو: أحمد بن عبد الله بن أبي شعيب الحراني ، ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا زهير بن معاوية]. زهير بن معاوية ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا يحيى بن سعيد]. هو يحيى بن سعيد الأنصاري المدني ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن محمد بن عبد الرحمن]. هو محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصاري المدني وهو: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، ويقال: ابن محمد بدل عبد الله، ومنهم من ينسبه إلى جده لأمه فيقول: محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة . وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عمرة]. هي عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية ، وهي ثقة، أخرج لها أصحاب الكتب الستة، وهي مكثرة من الرواية عن عائشة رضي الله تعالى عنها. [عن عائشة]. عائشة قد مر ذكرها.شرح حديث قراءته صلى الله عليه وسلم بالكافرون وقل هو الله أحد في ركعتي الفجرقال المصنف رحمه الله: [حدثنا يحيى بن معين حدثنا مروان بن معاوية حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر: (قل يا أيها الكافرون) و(قل هو الله أحد))]. أورد أبو داود حديث أبي هريرة [(أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في ركعتي الفجر -يعني: بعد الفاتحة- بـ (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد)]، وهذا دليل على تخفيفهما. وهو داخل تحت الترجمة؛ لأنه قرأ فيهما هاتين السورتين القصيرتين.تراجم رجال إسناد حديث قراءته صلى الله عليه وسلم بالكافرون وقل هو الله أحد في ركعتي الفجرقوله: [حدثنا يحيى بن معين]. يحيى بن معين ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا مروان بن معاوية]. هو مروان بن معاوية الفزاري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا يزيد بن كيسان]. يزيد بن كيسان صدوق يخطئ، أخرج له البخاري في الأدب المفرد ومسلم وأصحاب السنن. [عن أبي حازم]. هو أبو حازم سلمان الأشجعي، وفي هذه الطبقة شخصان يرويان عن أبي هريرة : أبو حازم سلمان الأشجعي و أبو حازم سلمة بن دينار، وهنا المراد سلمان الأشجعي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي هريرة]. هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر أصحابه حديثا على الإطلاق رضي الله عنه وأرضاه. وسوؤة الكافرون يقال لها كذلك: سورة الإخلاص؛ لأنها كلها مشتملة على إخلاص العبادة لله وعلى التوحيد؛ إذ يقول الله تعالى فيها: قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد [الكافرون:١-٥] وكررت هذه الآية مرتين، ولهذا قيل للسورتين: سورتا الإخلاص، ويقال لـ (قل هو الله أحد): سورة الإخلاص. وجاء في أحاديث أخرى أنه كان يقرأ بهما.شرح حديث (.. لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما..)قال المصنف رحمه الله: [حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الله بن العلاء حدثني أبو زيادة عبيد الله بن زيادة الكندي عن بلال رضي الله عنه أنه حدثه: (أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤذنه

بصلاة الغداة، فشغلت عائشة رضي الله عنها بلالا بأمر سألته عنه حتى فضحه الصبح فأصبح جدا، قال: فقام بلال فآذنه بالصلاة وتابع أذانه، فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلما خرج صلى بالناس وأخبره أن عائشة شغلته بأمر سألته عنه حتى أصبح جدا، وأنه أبطأ عليه بالخروج فقال: إني كنت ركعت ركعتي الفجر، فقال: يا رسول الله! إنك أصبحت جدا قال: لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما وأجملتهما)]. هذا الحديث يتعلق بركعتي الفجر، وفيه ذكر التخفيف؛ لأنه صلاهما خفيفتين بعدما أعلنه، وبعدما مضى جزء من الوقت بسبب أن عائشة رضي الله عنها كانت تسأل بلالا عن شيء فحصل التأخر في إيذانه صلى الله عليه وسلم. قوله: [(عن بلال : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤذنه بصلاة الغداة، فشغلت عائشة رضي الله عنها بلالا بأمر)]. كان بلال رضي الله عنه إذا جاء وقت الإقامة جاء وآذن الرسول صلى الله عليه وسلم، فيخرج الرسول صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لما جاء قبل أن يؤذنه سألته عائشة عن شيء فانشغل به معها حتى مضى جزء من الوقت، وحتى فضحه الصبح، ومعناه أنه ظهر وبدا وخرج عن الوقت المعتاد الذي كان يصلي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم. قوله: [(قال: فقام بلال فآذنه بالصلاة وتابع أذانه)]. يعني: بعدما فرغ من أمر عائشة وآذنه بالصلاة ذهب وتابع أذانه، ولعل المقصود به أنه أقام الصلاة. قوله: [(فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلما خرج صلى بالناس وأخبره أن عائشة شغلته بأمر سألته عنه حتى أصبح جدا)]. يعني: لما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تأخر، وكان يصلي ركعتين بعد أن يؤذنه فأخبره يعتذر عن التأخر الذي حصل عن العادة بأن عائشة شغلته. قوله: [(وأنه أبطأ عليه بالخروج)]. يعني: بعد أن شغلته عائشة وقد أخبره ومضى شيء من الوقت أبطأ بالخروج، فقال له: إنك تأخرت وإنك صليت هاتين الركعتين بعد أن آذنتك وقد مضى شيء من الوقت، فالرسول صلى الله عليه وسلم قال له: [(لو تأخرت أكثر من ذلك لصليتهما وأحسنتهما وأجملتهما)]. فدل هذا على تأكد هاتين الركعتين، وعلى أهميتهما، وعلى أن الإنسان يبدأ بهما ولو مضى شيء من الوقت، بل عند القضاء، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لما طلعت عليه الشمس هو وأصحابه حين ناموا في مسيرهم في غزوة من الغزوات قاموا يصلون الركعتين قبل أن يصلوا الفجر. لكن لو حصل التأخر حتى لم يبق إلا مقدار ركعة عن طلوع الشمس فإنه يأتي بالفرض ولا يشتغل بالنافلة فيخرج الوقت، ولكنه يقضي النافلة بعد ذلك.تراجم رجال إسناد حديث (.. لو أصبحت أكثر مما أصبحت لركعتهما وأحسنتهما..)قوله: [حدثنا أحمد بن حنبل]. أحمد بن حنبل مر ذكره. [حدثنا أبو المغيرة]. أبو المغيرة هو: عبد القدوس بن الحجاج وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا عبد الله بن العلاء]. عبد الله بن العلاء ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [حدثني أبو زيادة عبيد الله بن زيادة الكندي]. أبو زيادة عبيد الله بن زيادة الكندي ثقة، أخرج له أبو داود وحده. [عن بلال]. هو بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بلال بن رباح رضي الله عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. والحديث صحيح؛ لأن في ترجمة أبي زيادة أن روايته عن بلال مرسلة، لكنه هنا في الحديث صرح بالتحديث، وهذا يفيد بأنه سمع منه.شرح حديث (لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل)قال المصنف رحمه الله: [حدثنا مسدد حدثنا خالد حدثنا عبد الرحمن -يعني ابن إسحاق المدني - عن ابن زيد عن ابن سيلان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل)]. أورد أبو داود حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [(لا تدعوهما)]، أي: ركعتي الفجر [(ولو طردتكم

الخيل)]. قيل في معنى قوله: [طردتكم الخيل] لو أن العدو لحقكم فصلوها على أي حال كنتم، فلا تتركوا هذه النافلة سواء أكنتم راكبين أم غير راكبين. وقيل: معناه: لو أنهم ارتحلوا، وحصل ذهاب الناس عنهم فإنهم لا يتساهلون في أمر هاتين الركعتين، لكن الإسناد غير صحيح، من جهة أن فيه ابن سيلان .تراجم رجال إسناد حديث (لا تدعوهما وإن طردتكم الخيل)قوله: [حدثنا مسدد حدثنا خالد]. خالد هو: ابن عبد الله الواسطي ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا عبد الرحمن -يعني ابن إسحاق المدني-]. عبد الرحمن بن إسحاق صدوق، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و مسلم وأصحاب السنن. [عن ابن زيد]. هو محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ ، ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن ابن سيلان]. ابن سيلان قيل: هو عبد الله ، وقيل: عبد ربه ، وقيل: جابر ، وهو مقبول، وقيل: إنه مجهول، أخرج له أبو داود وحده. [عن أبي هريرة]. مر ذكره.شرح حديث قراءة رسول الله في ركعتي الفجر بآيتي البقرة وآل عمرانقال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا عثمان بن حكيم أخبرني سعيد بن يسار عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أن كثيرا مما كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ركعتي الفجر بـ آمنا بالله وما أنزل إلينا [البقرة:١٣٦]هذه الآية، قال: هذه في الركعة الأولى، وفي الركعة الآخرة بـ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون [آل عمران:٥٢])]. أورد أبو داود حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يقرأ في ركعتي الفجر بهاتين الآيتين، الآية الأولى هي من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا [البقرة:١٣٦] الآية، والآية الثانية في سورة آل عمران: قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم [آل عمران:٦٤] الآية، تلك في الركعة الأولى، وهذه في الركعة الثانية، وهذا دليل واضح على تخفيفهما.تراجم رجال إسناد حديث قراءة رسول الله في ركعتي الفجر بآيتي البقرة وآل عمرانقوله: [حدثنا أحمد بن يونس]. أحمد بن يونس هو أحمد بن عبد الله بن يونس الكوفي، وهو الذي قال عنه الإمام أحمد : إنه شيخ الإسلام. وهو لقب عظيم، وتزكية كبيرة من الإمام أحمد لهذا الرجل الكبير العظيم رحمة الله على الجميع، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [حدثنا زهير حدثنا عثمان بن حكيم]. زهير بن معاوية مر ذكره، وعثمان بن حكيم ثقة، أخرج له البخاري تعليقا و مسلم وأصحاب السنن. [أخبرني سعيد بن يسار]. سعيد بن يسار ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الله بن عباس]. هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.شرح حديث قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بآيتي سورة آل عمران في ركعتي الفجرقال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان حدثنا عبد العزيز بن محمد عن عثمان بن عمر -يعني ابن موسى - عن أبي الغيث عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في ركعتي الفجر: قل آمنا بالله وما أنزل علينا [آل عمران:٨٤] في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين [آل عمران:٥٣]، أو إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم [البقرة:١١٩])، شك الدراوردي]. أورد أبو داود حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في ركعتي الفجر بـ قل آمنا بالله وما أنزل علينا [آل عمران:٨٤] في سورة آل عمران، في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية يقرأ -أيضا- الآية من سورة آل عمران: ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين [آل عمران:٥٣] في الركعة الثانية، أو إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا

ولا تسأل عن أصحاب الجحيم [البقرة:١١٩]، وهذه الآية في سورة البقرة، والشك في آية سورة آل عمران وآية سورة البقرة إنما هو من الدراوردي ، وهو عبد العزيز بن محمد أحد رجال الإسناد. وقد ذكر الشيخ الألباني رحمه الله أن البيهقي رواه بذكر الآية الأولى فقط بدون ذكر الآية الثانية التي في سورة البقرة، أي أنه قرأ في الركعتين الآيتين من سورة آل عمران، بدون الشك، وهما: ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين [آل عمران:٥٣] وقل آمنا بالله وما أنزل علينا [آل عمران:٨٤].تراجم رجال إسناد حديث قراءة النبي صلى الله عليه وسلم بآيتي سورة آل عمران في ركعتي الفجرقوله: [حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان]. هو محمد بن الصباح بن سفيان ، وهو صدوق، أخرج له أبو داود وابن ماجة . [حدثنا عبد العزيز بن محمد]. هو عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عثمان بن عمر -يعني ابن موسى-]. هو عثمان بن عمر بن موسى ، وهو مقبول أخرج له البخاري تعليقا و أبو داود و ابن ماجة . [عن أبي الغيث]. هو: سالم أبو الغيث ، ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي هريرة]. مر ذكره. وظاهر المسألة فيها خلاف سابق، وقد ورد في تحفة الأشراف والنكت الظراف كلام العلماء حول هذا الراوي. فقد قال المزي في التحفة: وقد اختلف فيه على يحيى بن سعيد ، ومنهم من رواه عنه عن محمد بن عبد الرحمن عن عمرة ، ومنهم من رواه عنه عن محمد بن عبد الرحمن عن عمته عمرة كما قال شعبة وهم الأكثرون، وكلا القولين صواب، ومنهم من رواه عنه عن محمد بن عبد الرحمن عن أمه عمرة ، وهو وهم، وذكره أبو مسعود في ترجمة أبي الرجال عن أمه عمرة ، ووهم في ذلك أيضا، وتبعه الحميدي في الجمع بين الصحيحين على وهمه. انتهى من الجزء الثاني عشر من تحفة الأشراف. قال الحافظ في النكت الظراف: أخرجه الطحاوي من طريق معاوية بن صالح عن يحيى بن سعيد عن محمد بن عبد الرحمن عن أمه عمرة ، فهذا سلف أبي مسعود الذي تبعه عليه الحميدي .الأسئلةحكم المسافر ينوي الإقامة في المدينة خمسة أيامالسؤال: جئت إلى المدينة من الجنوب، وأريد أن أقيم بالمدينة خمسة أيام، فهل أقصر الصلاة الجواب: ما دمت عازما على أن تقيم خمسة أيام فليس لك أن تقصر، بل عليك أن تتم.حكم الدعاء بغير العربية في الصلوات المكتوبةالسؤال: هل يجوز الدعاء في الصلوات المكتوبة بغير العربية الجواب: الإنسان عليه أن يتعلم الأمور المطلوبة التي هي واجبات باللغة العربية، ويعرف معناها، وعليه -أيضا- أن يتعلم الأدعية الشرعية التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا لم يتمكن من ذلك فله أن يدعو بلغته.حكم الصور التي لا تظهر فيها ملامح الوجهالسؤال: ما حكم الصور التي فيها أشخاص دون أن يكون الوجه ظاهرا، مثل صور الحرم المكي أو المدني التي فيها جماهير المصلين دون أن تظهر فيها ملامح الوجوه الجواب: التصوير كله لا يسوغ ولا يجوز، لكن إذا كانت صورا صغيرة، ولا يظهر فيها إلا الأشكال والألوان للبعد فهذا أخف، ولكن ترك ذلك مطلقا هو الذي ينبغي.حكم وفاء المتخرجين بالعهد المأخوذ عليهم ليقوموا بالتدريس بعد تخرجهمالسؤال: كنا ندرس في المعهد الثانوي في غير هذا البلد، وبعد تخرجنا من المعهد التحقنا بالجامعة الإسلامية، ولكن قبل ذهابنا إلى الجامعة أخذ المعهد منا تعهدا وهو إلزامنا بالتدريس لمدة سنتين، فهل علينا أن نفي بهذا التعهد بعد تخرجنا من الجامعة علما بأن مدير المعهد له أخطاء وزلات في المنهج الجواب: إذا أمكن أن تحققوا ذلك فافعلوا، لاسيما إذا كان هو الذي سعى لكم في الوصول إلى الجامعة، وابذلوا ما تستطيعون لتصحيح أخطائه، وجعل المعهد يسير على الاستقامة.حكم سب الله ولعن الدين عند الغضبالسؤال: يوجد في بلادنا كثير من الناس إذا غضب يسب الله، ويلعن الدين، فما حكم من يسب الدين في حالة

الغضب الجواب: نسأل الله العافية، فسب الدين كفر وردة عن الإسلام والعياذ بالله! وهذا الإنسان لا يجد شيئا يسبه عندما يغضب إلا الله عز وجل فهذا هو الخذلان.حكم من عنده مال لشخص لم يعد يراهالسؤال: وجدت بائعا يبيع في الطريق نظارات، فأخذت منه نظارتين وقلت له: أذهب إلى الفندق وآتيك بالثمن، فلما رجعت إليه لم أجده، فكيف أصنع بهاتين النظارتين الجواب: اسع واحرص على أن تبحث عنه، فإن وجدته وإلا فتصدق بقيمتهما عنه.نقد كتاب (توحيد المسلمين في الصيام والإفطار) للغمارياالسؤال: هناك كتاب جديد يباع في السوق وموضوعه: (توحيد المسلمين في الصيام والإفطار) لمؤلفه: أحمد بن صديق الغماري يطعن فيه في معاوية رضي الله عنه وبعض الصحابة، فنرجو التنبيه عليه؛ لأن هذا الرجل معروف بأنه يدس السم في العسل، والكتاب منتشر الجواب: نعم أعرف هذا عنه، وأنا قد رأيت الكتاب، ورأيت الكلام الذي في الكتاب على معاوية، فهو كلام سيئ في غاية السوء والعياذ بالله، حيث يقول: إن حديث ابن عباس الذي فيه قصة كريب أنه لم يعمل بعمل أهل الشام؛ لأنه عمل معاوية ومن معه، فهذا هو الذي جعلهم لا يأخذون به، وإلا فإن الأخذ متعين على حسب ما قرره في كتابه، ولكنه جعل العلة والسبب -والعياذ الله- في ذلك أن ابن عباس لا يعتبر رؤية معاوية ورؤية أهل الشام، فهو من أجل ذلك قال: نحن نكمل بناء على أنه ما اعتبر رؤية معاوية، وهذا كلام سيئ سخيف، والرجل عنده أخطاء كبيرة أعظم من هذا.حكم صلاة الخوف في الحضرالسؤال: هل صلاة الخوف تقصر حتى في الحضر الجواب: ذكر الحافظ ابن حجر في فتح الباري فائدة حول هذا الموضوع، وقال: إن صلاة الخوف تؤدى في الحضر كما تؤدى في السفر، وقد ذكرتها في الفوائد المنتقاة من فتح الباري وكتب أخرى، ذكرت هذه الفائدة عن الحافظ ابن حجر ، وهي أن صلاة الخوف تؤدى في الحضر كما تؤدى في السفر قصرا. قال: والدليل على ذلك أن الآية أطلقت، حيث يقول تعالى: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة [النساء:١٠٢] وهو يشمل الحضر والسفر، فالآية عمومها يدل على أن الحكم يشمل الحضر والسفر.السنن المستحبة في شهر شعبانالسؤال: هل هناك من سنن تؤدى في شهر شعبان الجواب: المعروف في شهر شعبان أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر فيه من الصيام، وجاءت بذلك السنة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في شهر شعبان وفي شهر محرم، فهذان الشهران أكثر ما يصام فيهما، وأكثر ما كان يصوم الرسول صلى الله عليه وسلم في شعبان، هذا هو الذي جاءت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما ليلة النصف من شعبان فتخصيصها بالصيام وتخصيص الليل بالقيام لم يثبت في ذلك سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما ثبت الصيام لكونه يكثر منه، أما أن يقصد يوما معينا كيوم النصف من شعبان ويخصه بالصيام فهذا من الأمور المبتدعة والمحدثة.حكم استئجار سائق يشرب الدخانالسؤال: عندي سائق يشرب الدخان، فهل أبقيه عندي أم أتركه وهل الراتب الذي أسلمه له يعتبر مساعدة له على فعل هذا المنكر الجواب: كونك تستأجره وتعطيه نقودا وهو يفعل المنكر أو يشرب الدخان لا تعتبر به مسئولا، ولكن كونك تصطحب إنسانا سليما من الشرور هو الذي ينبغي لك، بحيث لا يكون صاحبك ومرافقك. والحمد لله، فالذين لا يشربون الدخان كثيرون، وللإنسان أن يختار منهم شخصا.حكم الاستنجاء من خروج الريحالسؤال: من خرج منه ريح هل يستنجي ويتوضأ أم يعيد الوضوء بدون استنجاء الجواب: الريح ليس فيها استنجاء.كيفية صلاة راتبة

الظهرالسؤال: في الحديث: (كان يصلي قبل الظهر أربعا في بيته)، فهل يجوز أن تصلى الأربع بسلام واحد الجواب: الذي يبدو أن الصلاة ثنتين ثنتين."". (١)

١٩٤-"شرح سنن أبي داود [٠٠١]لقد أنزل الله القرآن على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، وأمر بالأخذ به واتباعه، وأوحى إليه بالسنة، وأمر الناس في القرآن باتباعها، وأخبرهم أنها وحي من عنده، ولذا فمن منهج أهل السنة والجماعة الأخذ بالسنة في العبادات والمعاملات والعقائد وإن كانت آحادا.القرآن والسنة وحي من الله يجب الأخذ بهبسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين. أما بعد:الأدلة من القرآن على أن السنة وحي من عند اللهفإن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الوحي الثاني بعد القرآن، وهي وحي من الله عز وجل كالكتاب، إلا أن الكتاب تعبد الله تعالى بتلاوته وجعله معجزا. وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب العمل بها والأخذ بما فيها كالقرآن، وهي ليست من عند الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما هي من عند الله، قال عز وجل: وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى [النجم:٣-٤]. فكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه العصمة والنجاة، والأخذ به لازم كالأخذ بالقرآن، ولا يجوز أن يفرق بين السنة والقرآن بأن يؤخذ بالقرآن ولا يؤخذ بالسنة، ومن زعم أنه يأخذ بالقرآن ولا يأخذ بالسنة فإنه كافر بالكتاب والسنة؛ لأن الله عز وجل يقول: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر:٧] ، ويقول عز وجل: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم [الأحزاب:٣٦] ، ويقول سبحانه: فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم [النور:٦٣]. فمن زعم أنه يأخذ من الكتاب ولا يأخذ من السنة فقد كفر بمقتضى قول الله عز وجل: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر:٧] ، وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه لعن النامصة والمتنمصة، وقال: ما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موجود في كتاب الله، فجاءت إليه امرأة وقالت: يا أبا عبد الرحمن انظر ماذا تقول، فإنك قلت: كذا وكذا، وإنني قرأت المصحف من أوله إلى آخره فما وجدت فيه الذي تقول. قال: إن كنت قرأته فقد وجدته، قال الله عز وجل: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر:٧]. فالسنة كلها داخلة في قوله عز وجل: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا [الحشر:٧]، وطاعته عليه الصلاة والسلام لازمة كطاعة الله، ولهذا يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى).الأدلة من السنة على أنها وحي يجب الأخذ بهوجاء في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أحاديث تدل على أن السنة وحي من الله، ومن ذلك حديث أنس الطويل في ذكر فرائض الصدقة التي فرضها الله عز وجل، ثم ذكر أسنان الإبل والغنم، ثم قال: (الفرائض التي فرضها الله عز وجل)، فأضاف فرضها إلى الله تعالى، وهي إنما

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد ص/٢

جاءت في السنة وليست في القرآن، أعني ذكر مقادير الزكاة وأسنان الزكاة من الإبل والبقر والغنم. وكذلك جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (يغفر للشهيد كل شيء، ثم قال: إلا الدين، سارني به جبريل آنفا) يعني: أن جبريل ساره باستثناء الدين، وهذا يدل على أن السنة وحي من الله. وكذلك الحديث الذي ذكر فيه قصة الرجل الذي يشتكي بطن أخيه، وقال له عليه الصلاة والسلام: (اسقه عسلا)، ثم جاء ثانية وثالثة يشتكي، ثم أمره بعد ذلك وقال: (صدق الله وكذب بطن أخيك)، يعني: أن هذا من الله عز وجل وليس منه صلى الله عليه وسلم.كفر من لم يأخذ بالسنة وبيان بطلان طريقتهمن لم يأخذ بالسنة فهو كافر بالكتاب والسنة، ومن أوضح ما يبين ذلك: أن الصلوات الخمس فرضها الله تعالى بركعات معينة، وما جاء عددها في القرآن، فالظهر أربع ركعات، والعصر أربع ركعات، والمغرب ثلاث ركعات، والفجر ركعتان. فالذي يقول: إنه لا يأخذ إلا بالقرآن ولا يأخذ بالسنة كم سيصلي الظهر وكم سيصلي العصر لقد جاء كل ذلك مبينا في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. إذا: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحي من الله، والأخذ بها لازم كالقرآن، ولا يفرق بين السنة والقرآن من حيث العمل والأخذ بمقتضى ما دلت عليه، بل يجب أن يتلقى الإنسان أحاديث رسول الله عليه الصلاة والسلام ويعمل بها كما يعمل بما جاء في القرآن الكريم؛ لأن الكل وحي من الله سبحانه وتعالى.حجية خبر الواحدإن السنة حجة في جميع الأمور وليست حجة في شيء دون شيء، المتواتر منها والآحاد سواء، كل ذلك حجة في العقائد والأحكام والأخلاق والآداب وغير ذلك، وقد جاءت النصوص الكثيرة الدالة على ذلك، منها: كون النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الرجل ليعلم الناس أمور دينهم، ويجب على الذين يبعثه إليهم أن يأخذوا بما يأتيهم به من بيان العقائد والعبادات والمعاملات وما إلى ذلك. وقد أرسل النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن وقال: (إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أجابوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). فالنبي صلى الله عليه وسلم أرسل معاذا إلى اليمن، وأمره بتبليغ الناس أمور دينهم، وقامت الحجة عليهم بذلك في العبادات والمعاملات والعقائد، وأول شيء دعا إليه التوحيد والعقيدة، وما جاء عن الصحابة أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إنه فرد يحتاج إلى من يعززه، ولابد أن يكون العدد كبيرا، وما جاء عن الذين بعث إليهم أنهم سألوا واستفسروا وقالوا: هل يكفي أن نأخذ بما يأتي عن رجل واحد. وقد جاءت النصوص الكثيرة في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم دالة على الاكتفاء بخبر الواحد، وأنه تقوم به الحجة، ولا يلزم أن يكون الحديث الذي يحتج به متواترا في العقيدة ودون ذلك في غيرها، بل إن العقائد والعبادات والمعاملات طريقها واحد، وإذا ثبت النص عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فإنه حجة في العقيدة والعبادة والمعاملات ولو كان من قبيل الآحاد.المعاني التي تطلق عليها السنةإطلاق السنة بمعنى الطريقة والمنهجسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلق إطلاقات: فتطلق إطلاقا عاما يشمل كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة، وحينها يراد بها طريقة الرسول ومنهجه. ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (فمن رغب عن سنتي فليس مني) يعني: من رغب عن الطريقة التي كنت عليها، وهي الأخذ بما في الكتاب وما جاءت به السنة. ولهذا جاء في السنة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم (كان خلقه القرآن)، لأنه كان يتأدب بآدابه، ويتخلق بأخلاقه، ويعمل بما فيه،

ولهذا لما نزل قول الله عز وجل: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا [النصر:٣] قالت عائشة رضي الله عنها: (ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة إلا قال في ركوعه: سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن)، معناه: يطبق القرآن، وينفذ ما جاء به كتاب الله عز وجل. فهذا إطلاق عام يشمل الكتاب والسنة، فكل ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو سنته.إطلاق السنة بمعنى الحديثالمعنى الثاني: تطلق السنة إطلاقا آخر على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك ما يذكره العلماء من محدثين ومفسرين وفقهاء عندما يذكرون مسألة من المسائل فيقول أحدهم فيها: وهذه المسألة دل عليها الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فقول الله عز وجل كذا وكذا، وأما السنة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم كذا، وأما الإجماع فقد حكى فلان الإجماع على هذا الحكم. فعطف السنة على الكتاب يقتضي أن يكون المراد بها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، فصار معنى السنة هنا أخص من المعنى الأول. فالسنة مطابقة للحديث، وهي التي يعرفها علماء المصطلح بقولهم: هي ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو خلقي. فما يضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول يقوله، أو فعل يفعله، أو عمل يعمل بين يديه ويقره عليه الصلاة والسلام، أو بيان خلقته وصفته صلى الله عليه وسلم، أو أخلاقه الكريمة وسماته الحميدة عليه أفضل الصلاة والسلام؛ كل هذا يقال له سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.إطلاق السنة على ما يقابل البدعةالمعني الثالث: تطلق السنة إطلاقا ثالثا يراد به ما يقابل البدعة، فيقال: سني وبدعي، وسنة وبدعة، ومن ذلك ما يصنعه كثير من المحدثين الذين يؤلفون في العقائد كتبا باسم السنة، مثل السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، والسنة لابن أبي عاصم ، والسنة للطبراني ، والسنة للالكائي ، والسنة لمحمد بن نصر المروزي ؛ كل هذه الكتب باسم السنة ويراد بها ما يتعلق بالعقيدة مبنيا على سنة ومخالفا لبدعة، ومنه الكتاب الذي أورده أبو داود في سننه ضمن كتبه الكثيرة حيث جعل ضمن كتاب السنن كتاب السنة، وأورد فيه ما يقرب من مائة وستين حديثا كلها تتعلق بالعقائد. إذا: السنة يراد بها ما يقابل البدعة، ولذا يقولون: سني وبدعي، أي: سني يعمل بالسنة، وبدعي يأخذ بما يخالف السنة، كما جاء ذلك في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا قال: أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة) . فذكر في هذا الحديث الحق والباطل والسنة والبدعة، ورغب في اتباع السنة بقوله: (عليكم)، وحذر من البدع ومن محدثات الأمور بقوله: (وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة). وقال عليه الصلاة والسلام: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد). إذا: يأتي لفظ السنة بمعنى ما يعتقد على وفق السنة وليس على وفق البدعة.إطلاق السنة بمعنى المستحب والمندوبالمعنى الرابع: يأتي عند الفقهاء ذكر السنة بمعنى المستحب والمندوب. يقال في كتب الفقه: يسن كذا، أو يستحب كذا، أو يندب كذا. فتأتي السنة مرادفة للمندوب وللمستحب، ففي اصطلاح الفقهاء أن السنة تأتي للمأمور به لا على سبيل الإيجاب وإنما على سبيل الاستحباب، وهو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، ويطلبه الشارع طلبا غير جازم، فمن ترك الفعل المسنون لا يعاقب إلا إذا كان الترك رغبة عن السنة وزهدا فيها، فهذا يؤاخذ على ذلك، أما إذا تركه لأنه ليس

بواجب وليس رغبة عن السنة، لكنه يقتصر على الواجب ولا يفعل المستحب، فإنه لا يؤاخذ على ذلك. لكن المستحبات والسنن هي كالسياج للفرائض، ومن تهاون بالسنن جره ذلك إلى التهاون بالفرائض، والنوافل تكمل بها الفرائض إذا حصل نقص، كما جاء في الحديث: (أول ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيامة الصلاة) وجاء في آخر الحديث نفسه: أنه إذا حصل منه نقص فإنه ينظر إلى ما فعله من النوافل، فيكمل بالنفل ما حصل من النقص في الفرض. فالنوافل مكملة للفرائض وهي كالسياج والحصن الذي يحول دون التساهل بالفرائض؛ لأن من يتساهل بالسنن قد يجره ذلك إلى أن يتساهل في الفرائض، ومن حرص على النوافل فهو على الفرائض أحرص، ومن اشتغل بالنوافل وقصر في الفرائض فهو مخطئ وآثم. وقد قال بعض العلماء: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن اشتغل بالنفل عن الفرض فهو مغرور، كالإنسان يكون في وظيفة وله دوام معين عليه أنه يشغله، فإذا كان يقضي جزءا من النهار وهو يصلي ويتنفل ويترك العمل مشغولا بالنوافل، فهذا ترك للواجب واشتغال بغير الواجب. والله عز وجل يقول كما في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه). هذه أربعة معان تطلق على السنة: إطلاق عام يشمل الكتاب والسنة، وإطلاق يراد به خصوص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإطلاق يراد به ما يعتقد طبقا للسنة خلافا للبدعة، وإطلاق يراد به المأمور به على سبيل الندب لا على سبيل الوجوب.فضل العناية بالسنة والاشتغال بهاجاءت أحاديث كثيرة تدل على فضل العناية بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام والاشتغال بها وتلقيها وتعلمها وتعليمها، ومن أوضح ما جاء فيها الحديث المتواتر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)، وجاء في بعض رواياته: (رحم الله من سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه). فهذا الحديث المتواتر مشتمل على دعاء من النبي عليه الصلاة السلام لمن اشتغل بسنته عليه الصلاة والسلام وبلغها وعمل بها أن يجعله ذا نضرة وبهجة، بحيث يكون وجهه مشرقا مضيئا في الدنيا والآخرة، فتكون عليه البهجة في الدنيا، ويكون ذا نضرة وبهجة في الآخرة. وقد جاء في القرآن الكريم: وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة [القيامة:٢٢-٢٣] فالأولى بالضاد أخت الصاد، وهي من النضرة التي معناها الإضاءة والإشراق، والثانية بالظاء أخت الطاء من النظر بالعين، وهي الرؤية. وهي من أدلة أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية الله في الدار الآخرة. والدعاء المذكور في الحديث سببه أن هذا المرء يقوم بهذه المهمة العظيمة، فيتلقى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحفظه ويبلغه إلى غيره؛ لأنه إذا حفظه وبلغه إلى غيره قد يستنبط غيره منه ما يخفى على ذلك الذي تحمل، ولهذا قال: (ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) لأنه بذلك حفظ السنن، ومكن غيره من استنباط أحكامها.فضل الجمع بين الرواية والدراية في الحديثمعنى الرواية والدرايةإن الاشتغال بسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام يتطلب العناية بأمرين: العناية بالرواية والعناية بالدراية. فالعناية بالرواية بحيث تعرف الأحاديث بأسانيدها ومتونها، وتثبت بأسانيدها ومتونها مثل: حدثنا فلان قال: حدثنا فلان قال: حدثنا فلان أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: كذا وكذا. هذا هو علم الرواية. وبيان ما يتعلق بالأسانيد والمتون، وشرح المتون، واستنباط فقهها، واستنباط أحكامها هو علم الدراية. فلابد من الرواية ولابد من الدراية، فلا يكون هم الإنسان الرواية فقط ويغفل عن الدراية والفقه، ولا يكون همه الاشتغال بمسائل الفقه، وجمعها والكلام فيها دون عناية بالحديث الذي هو علم الرواية. ولهذا جاءت بعض كتب أهل العلم مشتملة على الرواية والدراية، كما قالوا في صحيح

البخاري : إنه كتاب رواية ودراية؛ لأنه مشتمل على الأحاديث بأسانيدها ومتونها، ومشتمل على آثار عن الصحابة والتابعين في بيان معاني تلك السنن، وبيان شيء من فقهها، وتراجمه رحمة الله عليه كلها فقه، ويقولون: فقه البخاري في تراجمه، فمن أراد أن يعرف فقه البخاري فإنه يعرف ذلك من تراجمه؛ لأنه يأتي بالترجمة ثم يورد الحديث بعدها مستدلا على الفقه الذي في الترجمة واستنبطه من الحديث. وكذلك الكتب الأخرى التي صنفت على هذا المنوال والتي تأتي بالترجمة، ثم بالحديث مطابقا للترجمة، فإن هذا الذي في الترجمة فقه، والحديث الذي يورد تحتها رواية، والعناية بهذا وهذا أمر مطلوب.حث طالب العلم على علم الحديث والفقهإن على طالب العلم أن يكون حريصا على معرفة الأحاديث وما يتعلق بأسانيدها ومتونها، وعلى فقهها والاستنباط منها، وكذلك يعتني بكتب الفقه وما كتبه الفقهاء وجمعوه من المسائل والفروع، وينظر في أدلة تلك المسائل والأقوال، ويأخذ بما يكون راجحا بالدليل، مع احترام العلماء وتوقيرهم وتعظيمهم، واعتقاد أنهم لا يعدمون الأجر أو الأجرين لأنهم مجتهدون، فمن أصاب حصل له أجرين: أجر الإصابة وأجر الاجتهاد، ومن أخطأ حصل له أجر الاجتهاد، وخطؤه مغفور له. فالواجب العناية بالحديث وبالفقه معا، والرجوع إلى كتب الحديث والفقه، والاستفادة من فقه الفقهاء والرجوع إلى كلامهم وأقوالهم وأدلتهم، ولكن مع الاحترام والتوقير والتأدب، ومع ذكرهم بالجميل اللائق بهم دون أن ينال منهم، أو أن يحط من شأنهم، بل يستفاد منهم، ويترحم عليهم، ويدعى لهم، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة كما يقول الطحاوي رحمه الله: وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من اللاحقين أهل الخبر والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.أهمية الحديث للفقه وأهمية الفقه للحديثذكر أبو سليمان الخطابي في مقدمة كتابه معالم السنن: أن الناس انقسموا قسمين وصاروا حزبين: أهل خبر وأثر، وأهل فقه ونظر، وقال: إن كلا منهم يكمل الآخر، ولا يستغني أحدهما عن صاحبه. ثم ضرب لذلك مثلا فقال: إن الذي يعتني بالحديث ولا يشتغل بالفقه ولا باستنباط المسائل من الحديث مقصر. ويقابله الذي يشتغل بحصر مسائل الفقه والاشتغال بكلام فقيه من الفقهاء دون أن يرجع إلى كتب الحديث، ودون أن يرجع إلى الأدلة، فهذا أيضا مقصر. ثم قال: إن الحديث والفقه كأساس البنيان والبنيان، فمن عمل أساسا وأحكمه وأتقنه ولم يبن عليه لم يستفد منه. قال: فهذا مثل من يعتني من الحديث بأسانيده ومتونه ولا يشتغل بفقهه وما يستنبط منه؛ لأن الناس متعبدون بالعمل بالحديث، والعمل بالحديث يأتي عن طريق الفقه والاستنباط. ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) والمقصود من الحديث ومن السنن هو فقهها واستنباط ما فيها من أحكام حتى يعمل بها، ولهذا يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)، يعني: يبصره ويعرفه بأمور دينه حتى يكون عارفا بالحق عاملا به داعيا إليه على بصيرة وهدى. فمن يقوي الأساس ثم لا يبني عليه فروعه لا تحصل ثمرته، ومن اشتغل بمسائل الفقه دون أن يرجع إلى الحديث، ودون أن يبحث عن الصحيح والضعيف؛ فإنه يبني على غير أساس، فهو بنيان ضعيف معرض للانهيار؛ لأنه يستدل بحديث موضوع، فكل من الحديث والفقه لابد له من الآخر. ولكن إذا جمع بين الأمرين فقد جمع بين الحسنيين، وعمل على تحصيل الأساس وتقويته ثم بنى عليه الفروع، فجمع بين الرواية والدراية، فهذا هو المطلوب. ومن المعلوم أن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد، وليس كل مجتهد مصيبا، ولو كان كل مجتهد مصيبا لحصل التناقض؛ لأن المختلفين في حكم يقول أحدهما: إنه حلال، ويقول الآخر: إنه حرام، وكيف يكون

الشيء الواحد حلالا حراما في وقت واحد على وجه واحد، فمثلا: بعض المسائل يختلفون فيها فيقول بعضهم: هذا يبطل الصلاة، ويقول غيره: هذا لا يبطل الصلاة، وهكذا: هذا ينقض الوضوء، ويقول الآخر: هذا لا ينقض الوضوء، فالمصيب واحد، والنبي صلى الله عليه وسلم أرشد إلى هذا في قوله: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد). فالنبي صلى الله عليه وسلم قسم المجتهدين إلى قسمين: مصيب ومخطئ، والمصيب له أجران: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، والمخطئ له أجر الاجتهاد، والخطأ مغفور. والفقهاء من الصحابة ومن بعدهم كل يؤخذ من قوله ويرد إلا الرسول صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام فإنه لا كلام لأحد بعد ذلك. ولهذا جاء عن الأئمة الأربعة: أبي حنيفة و مالك و الشافعي و أحمد رحمة الله عليهم أن كل واحد منهم حث على اتباع الدليل والأخذ بالسنن، وأنه إذا وجد له قول قد جاء حديث صحيح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام بخلافه، فإنه يؤخذ بالحديث ويترك قوله. وقد قال الشافعي رحمة الله عليه: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائنا من كان. هذه كلمة تتعلق بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام وما ينبغي أن يكون عليه الإنسان وهو يطلب العلم من الجمع بين الفقه والحديث.الأسئلةحكم التقيد بالدليل دون التقليد لمذهبالسؤال: الذي يتمسك بالكتاب والسنة ولا يتقيد بمذهب معين هل يعد خارجيا الجواب: معلوم أن الله تعالى بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وتلقاه عنه أصحابه رضي الله عنهم، ولم يوجد مذهب في القرن الأول الذي هو خير القرون، وإنما كان الناس يرجعون إلى أهل العلم ويقومون باستفتائهم والأخذ بما يفتون به وبما يدل عليه الدليل، ولاشك أن هذا هو الذي يجب أن يكون عليه الناس دائما وأبدا. ومن المعلوم أنه وجد في القرن الثاني عدد كبير من الفقهاء من التابعين وأتباع التابعين اشتهروا بالفقه، وفيهم من حصل له تلاميذ اعتنوا بفقهه واعتنوا بأقواله وجمعها وترتيبها وتنظيمها، وكان هناك فقهاء في درجة هؤلاء ولكن لم يتهيأ لهم من التلاميذ الذين يعنون بفقه شيوخهم مثل عناية تلاميذ الأئمة الأربعة أبي حنيفة و مالك و الشافعي و أحمد في علمهم وفقههم وتنظيمه وترتيبه، والكل من أهل الفقه. وكما قلت: الذي كان عليه الناس في القرن الأول لاشك أنه خير، ولا يمكن أن يقال: إن الناس كانوا على غير خير، ثم جاءهم الخير بعد ذلك، بل ما كان عليه الناس في زمن القرن الأول ينبغي أن يكونوا عليه بعد القرن الأول، ولكن بعدما وجدت المذاهب الأربعة وهي من مذاهب علماء أهل السنة اتبعها الناس، وخدمت تلك المذاهب. والذي ينبغي لطالب العلم أن يرجع إليها، والرجوع إليها شيء طيب، ولكن الذي يعاب ويذم هو التعصب لشخص من الناس سوى الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول هو الذي يتبع في كل شيء، وهو الذي يلتزم بكل ما جاء به، وهو معصوم لا ينطق عن الهوى عليه الصلاة والسلام، أما غيره فإنه يخطئ ويصيب. وكما قلت: الأئمة الأربعة أرشدوا إلى أنه إذا وجد حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالف قولا جاء عن واحد منهم فإنه يترك قوله ويصار إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وذكرت أثر الشافعي الذي قال فيه: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائن من كان. وعلى هذا فكيف يقال: إن الذي يأخذ بالكتاب والسنة ويحرص على معرفة الحق بدليله ولا يكون ملتزما بقول واحد من الأئمة الأربعة أو غيرهم يكون خارجيا كيف كان القرن الأول وهو خير القرون ولد أبو حنيفة سنة ثمانين، وهو أول الأئمة الأربعة ومات سنة خمسين ومائة، ومالك و الشافعي و أحمد كلهم بعده في الزمن، ومعلوم أن

القرن الأول هو خير القرون، وقد كان الناس فيه على هذه الطريقة، وهي الرجوع إلى أهل العلم، والأخذ مما يفتون به مما جاء في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وهذا هو الواجب، ولا يجوز التعصب لأحد من الأئمة، ولكن الاستفادة من كتب الفقهاء الأربعة وغيرهم مطلوبة، ولا يستغني طالب العلم عن كتب الفقه، ولكن عندما يرجع الإنسان إلى كتب الفقه يرجع إليها باحثا عن الحق بدليله، ولا يكون متعصبا لشخص بعينه بأن يقول: لو كان هناك شيء لعلمه فلان. وكيف يقال هذا هل يقال في حق واحد من الناس إنه ما من شاردة ولا واردة إلا وهي عنده، وكل ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو عنده هذا لا يقال في حق أحد، بل كل واحد منهم يقول قولا ثم يأتيه الحديث فيترك قوله ويصير إليه. والإمام الشافعي رحمة الله عليه كانت هناك مسائل عديدة وصل إليه الحديث فيها من طريق لا يصح، وأخذ بخلاف الحديث لأنه لم يصح عنده، ثم قال: وإن صح الحديث قلت به، وقد جاء بعض أصحاب الشافعي كالبيهقي و النووي وذكروا بعض هذه المسائل على وفق الدليل الذي جاء على خلاف مذهب الشافعي وقالوا: وهذا هو مذهب الشافعي ؛ أي أن هذا مذهبه حكما، بناء على قوله: (إن صح الحديث قلت به)، قالوا: وقد صح الحديث فهو مذهب الشافعي ؛ لأنه علق القول به على صحته. والإنسان عندما يرجع إلى كتب الفقه يستفيد منها، ويكون قصده أن يصل إلى الحق بدليله، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في آخر كتاب الروح مثلا ضربه للرجوع إلى الفقهاء والاستفادة من علمهم وفقههم وعدم التعصب لهم، وأن الإنسان إنما يرجع إليهم ليستعين بهم في الوصول إلى الحق وإلى الدليل، قال: فهم كالنجوم في السماء يهتدى بها: وعلامات وبالنجم هم يهتدون [النحل:١٦] والناس إذا كانوا في الظلماء يستطيعون أن يعرفوا اتجاه القبلة وغير القبلة بالنظر إلى النجوم في السماء. يقول ابن القيم رحمة الله عليه: إن الرجوع إلى كلام العلماء مع احترامهم وتوقيرهم أمر مطلوب، ولكن يستعين بهم في الوصول إلى الحق، وإذا وصل إلى الحق وعرف الدليل الثابت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ليس له أن يعول على شيء سواه، وقال: إن هذا مثل الإنسان الذي في الفلاة في الليل يستدل على جهة القبلة بالنجم، لكن إذا وصل الإنسان إلى الكعبة وصار تحتها فإنه لا يرفع نظره إلى السماء يبحث عن النجوم ليهتدي بها إلى القبلة. قال: وكذلك العلماء يرجع إليهم حيث يخفى الحق، ويستعان بهم في الوصول إليه، فإذا عرف الدليل لم يعول على كلام أحد. وهذا مقتضى كلام الشافعي : (أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد كائن من كان). أما الإنسان الذي ليس عنده أحد يفقهه، واحتاج إلى أن يتعلم مذهبا من المذاهب الأربعة؛ لأنه ما أمكنه سواه، فله أن يتعلم ذلك الفقه، وأن يعبد الله عز وجل وفقا لذلك المذهب الذي تعلمه، ولكنه إذا وجد من يبصره بالدليل ومن يعلمه بالثابت من غير الثابت فإنه يرجع إلى الدليل، وليس لأحد كلام مع كلام رسول الله صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.الضابط في خروج الإنسان من السنةالسؤال: ما هو الضابط في خروج الإنسان من السنة؛ أهو الاعتقاد أم العمل أم هما معا الجواب: يوجد خروج كلي وخروج جزئي، والخروج الكلي كالبدع التي يكفر أصحابها، وهناك بدع غير مكفرة ولكن أصحابها أهل بدع وإن كانوا داخلين في عداد المسلمين، كالفرق الثنتين والسبعين التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وستفترق هذه الأمة على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قيل: من هي يا رسول الله قال: الجماعة، وهم من كان مثل ما أنا عليه وأصحابي). فاثنتان وسبعون فرقة من

المسلمين هم أهل بدع وضلال ولكنهم ما وصلوا إلى حد الكفر، فهؤلاء يعتبرون مسلمين، ولكنهم أهل بدع، والذي على السنة هو من كان مثل ما عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه."". (١)

١٩٥-"شرح سنن أبي داود [٢٨٥]صيام النوافل من الأمور التي حض عليها الشرع الحنيف ورتب عليها الأجر الجزيل، ومن الأيام التي تصام تتنفلا ستة أيام من شوال، ويستحب فيها التعجيل لورود الأمر النبوي بإتباع رمضان بها، ومما يستحب صيامه من الأيام يوما الخميس والإثنين.ما جاء في صوم شوالشرح حديث (صم رمضان والذي يليه وكل أربعاء وخميس ...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في صوم شوال. حدثنا محمد بن عثمان العجلي حدثنا عبيد الله -يعني ابن موسى - عن هارون بن سلمان عن عبيد الله بن مسلم القرشي عن أبيه رضي الله عنه قال: (سألت أو سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صيام الدهر، فقال: إن لأهلك عليك حقا، صم رمضان والذي يليه، وكل أربعاء وخميس، فإذا أنت قد صمت الدهر)]. يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب في صوم شوال]. شهر شوال جاء فيه صيام الست من شوال، وهذا ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتي، وأما صيام شوال، وصيام الأربعاء والخميس الذي جاء فيه الحديث فهذا لا يصح وغير ثابت، وإنما الثابت هو صيام ست من شوال، وما جاء فيه من ذكر صيام الدهر، (أن لأهلك عليك حقا) هذا ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. أورد أبو داود رحمه الله في هذه الترجمة حديث عبيد الله بن مسلم القرشي عن أبيه رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام الدهر فقال: إن لأهلك عليك حقا)]. فهذا ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصيام الدهر يضعف ولا يمكن من إيصال الحقوق إلى أهلها سواء أهله أو أقاربه. قوله: [(صم رمضان والذي يليه)]. الذي هو شوال. قوله: [(وكل أربعاء وخميس)]. الأربعاء ما ثبت فيه شيء، والخميس ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام الإثنين والخميس في أحاديث كثيرة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصيام شوال بأكمله ما ثبت فيه شيء، وهذا الحديث لا يحتج به، فهو حديث ضعيف؛ لأن فيه من هو مقبول لا يحتج به إلا عند المتابعة، وليس هناك ما يشهد لذلك في صيام شوال وصيام الأربعاء، وإنما الذي ثبت هو صيام ست من شوال كما سيأتي. قوله: [(فإذا أنت قد صمت الدهر)]. يعني: إذا فعلت كذا وكذا تكون بذلك صمت الدهر، ولكن الثابت أن الإنسان إذا صام ثلاثة أيام من كل شهر فهو كمن صام الدهر كما جاء ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما كون الإنسان يصوم شوالا ويصوم الأربعاء والخميس، ويكون بذلك صام الدهر، فهذا الحديث لم يثبت.تراجم رجال إسناد حديث (صم رمضان والذي يليه وكل أربعاء وخميس ...)قوله: [حدثنا محمد بن عثمان العجلي]. محمد بن عثمان العجلي ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و ابن ماجة . [حدثنا عبيد الله -يعني ابن موسى -]. عبيد الله بن موسى ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن هارون بن سلمان]. هارون بن سلمان لا بأس به، ولا بأس به بمعنى صدوق، أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي . [عن عبيد الله بن مسلم القرشي]. عبيد الله بن مسلم القرشي مقبول، أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي . [عن أبيه]. وهو صحابي أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي . والحافظ يرجح أنه مسلم بن عبيد الله ؛ ولهذا ذكره في التقريب في مسلم بن عبيد

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد ص/٢

الله . [قال أبو داود : وافقه زيد العكلي وخالفه أبو نعيم قال: مسلم بن عبيد الله]. قوله: [وافقه زيد العكلي]. هو زيد بن حباب العكلي ، وهو صدوق، أخرج له البخاري في جزء القراءة و مسلم وأصحاب السنن. [وخالفه أبو نعيم]. أبو نعيم هو الفضل بن دكين الكوفي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: مسلم بن عبيد الله]. و مسلم بن عبيد الله هو الذي رجحه الحافظ وهو الذي ذكر ترجمته في التقريب بهذا الاسم الذي هو مسلم بن عبيد الله ، وأما عبيد الله بن مسلم فهو مقلوب.ما جاء في صوم ستة أيام من شوالشرح حديث (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال ...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في صوم ستة أيام من شوال. حدثنا النفيلي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم و سعد بن سعيد عن عمر بن ثابت الأنصاري عن أبي أيوب رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر)]. أورد أبو داود باب صيام ست من شوال، وستة أيام من شوال صيامها ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء في بعض الروايات عند النسائي تفصيل ذلك بأنه إذا صام رمضان فيكون يقابل عشرة أشهر، وإذا صام ستا من شوال يقابل شهرين، فيكون صام ثلاثمائة وستين يوما؛ لأن اليوم عن عشرة أيام، والحسنة بعشر أمثالها، وهذا يوضح ما جاء في الحديث: (شهرا عيد لا ينقصان) وقد سبق أن المقصود بذلك أنه إن كان ناقصا فهو كامل في الأجر والثواب؛ ولهذا جاء التفصيل بأن رمضان يعادل عشرة أشهر، وستا من شوال تعادل صوم شهرين، وقد يكون الشهر تسعة وعشرين يوما، فيكون ناقصا، ولكنه قال: (لا ينقصان) يعني: في الأجر، وإن حصل النقص في العدد بأن يكون تسعة وعشرين يوما فإن الأجر فيه كامل، ويكون كأنه صام ثلاثين يوما، وهذا الذي جاء في هذا الحديث يبين هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (شهرا عيد لا ينقصان). ثم إن صيام ست من شوال أورد أبو داود فيه حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر). يعني: يشبه صيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، واليوم عن عشرة أيام، كما أن قوله: (من صام رمضان وأتبعه بست من شوال) يدل على أن الإنسان لا يأتي بصيام الست إلا بعدما يؤدي القضاء الذي عليه؛ لأنه لا يقال للإنسان إنه صام رمضان إلا إذا أدى ما عليه سواء الفرض أو قضاء الفرض، يعني: لو أن أحدا كان عليه شيء من رمضان فيبدأ بالفرض قبل النفل ويشتغل به؛ ولهذا قوله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان وأتبعه) لأن من لم يصم ما عليه من رمضان لا يقال: صام رمضان بل رمضان باق في ذمته، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال) دال على أن المقصود بذلك من أدى ما عليه من الفرض في وقته وليس عليه قضاء، وإن كان عليه شيء من رمضان فعليه أن يبدأ بقضاء رمضان ثم يصوم ستا من شوال، ولا يتشاغل بالفرض عن النفل، وقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قال بعض الأكابر: من اشتغل بالفرض عن النفل فهو معذور، ومن اشتغل بالنفل عن الفرض فهو مغرور. قوله: (ثم أتبعه بست من شوال) يدل على أن المبادرة إلى صيامها بعد العيد هو الأولى؛ لأن هذا هو الذي يقتضيه الإتباع في قوله: (ثم أتبعه بست من شوال)، ولكن إن لم يفعل فإن الشهر كله وقت وزمن لها، ولكن لا يؤخرها عن شوال؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بست من شوال) فهو في حدود شوال، يعني: من صام أثناء الشهر يكون حصل منه المطلوب، ولكن الأولى أن يبادر إلى الصيام بعد العيد إذا أمكنه ذلك؛ لأن هذا هو الذي يتحقق به الإتباع، ولكنه إذا لم يفعل وأتى بها سواء كانت مجتمعة أو متفرقة فإن ذلك يحصل به المقصود، ثم إن كون

الإنسان يصوم ستا من شوال هذه بمثابة السنة الراتبة بعد الفريضة، وقد جاء في الحديث أن التطوع يكمل به الفرض إذا لم يكن أتمه وإذا كان في نقص، كما سبق أن مر بنا الحديث في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو بمنزلة الراتبة في صلاة الفريضة، ثم أيضا كون الإنسان يأتي بصيام هذه الست يدل على رغبته في الطاعة ومحبته للصوم؛ لأنه أتى بالطاعة التي هي الصيام في رمضان، ثم بعد ذلك أتى بالتطوع، ويدلك كذلك على أنه لا يودع الصيام بانتهاء شهر الصيام، وإنما يصوم تطوعا لله عز وجل، والله تعالى قد قال في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).تراجم رجال إسناد حديث (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال ...)قوله: [حدثنا النفيلي]. النفيلي هو عبد الله بن محمد بن نفيل النفيلي، وهو ثقة، أخرج حديثه البخاري و أصحاب السنن. [حدثنا عبد العزيز بن محمد]. هو عبد العزيز بن محمد الدراوردي وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن صفوان بن سليم]. صفوان بن سليم ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [و سعد بن سعيد]. سعد بن سعيد صدوق سيئ الحفظ، أخرج له البخاري تعليقا و مسلم وأصحاب السنن، وهذا هو أخو يحيى بن سعيد الأنصاري المدني، وهو أخو عبد ربه بن سعيد الأنصاري المدني، فهم ثلاثة إخوة، ولكن المعروف والمتميز فيهم والمتقدم هو يحيى بن سعيد الأنصاري المدني الذي هو من صغار التابعين، وهو شيخ مالك، وكثيرا ما يروي عنه الإمام مالك ، وهو راوي أول حديث في صحيح البخاري الذي هو: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى) الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورواه عن عمر بن الخطاب علقمة بن وقاص الليثي وهو من كبار التابعين، ورواه عن علقمة بن وقاص الليثي محمد بن إبراهيم التيمي وهو من أوساط التابعين، ورواه عنه يحيى بن سعيد الأنصاري المدني وهو من صغار التابعين. [عن عمر بن ثابت الأنصاري]. عمر بن ثابت الأنصاري ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي أيوب]. هو أبو أيوب الأنصاري، وهو خالد بن زيد رضي الله تعالى عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مشهور بكنيته وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.كيف كان يصوم النبي صلى الله عليه وسلمشرح حديث (كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب كيف كان يصوم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان)]. أورد أبو داود رحمه الله باب كيف كان يصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني: في النفل، والمقصود من إيراد هذه الترجمة بيان فعل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه كان في بعض الأشهر يكثر من الصيام حتى يقال: لا يفطر، ومعناه: أنه يكمل الشهر، وفي بعضها: (يفطر حتى يقال: لا يصوم) فهذا هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل هذا وهذا، وأما قوله فقد جاء في أحاديث كثيرة صوم كذا وصوم كذا وصوم كذا، ولكن فعله الذي تحكيه عائشة رضي الله عنها أنه كان يصوم حتى يقولوا: لا يفطر، ومعناه: أنه يريد أن يكمل الشهر، وكان يفطر حتى يقولوا: لا يصوم، معناه: أنه يكمل الشهر غير صائم، ثم يصوم، ومعنى ذلك: أنه لا يخلي شهرا من صيام، ولكنه أحيانا يكون كثيرا، وأحيانا يكون قليلا، ثم بينت مثالا للكثير وأنه لم يستكمل شهرا إلا رمضان، وهذا

بيان منها أن النبي صلى الله عليه وسلم ما أكمل شهرا متطوعا، ولكنها أخبرت بأنه أكثر ما كان يصوم في شعبان، وهذا يبين لنا ما تقدم من أنه يصوم شعبان كله، وأن المقصود به الغالبية والأكثر، كما جاء في هذا الحديث: (وأنه كان أكثر ما يصوم في شعبان) ولم يكن يستكمل شهرا إلا رمضان، ومعنى هذا: أن ما جاء عنها في بعض الروايات عن شعبان أنه يصومه ويصله برمضان أن هذا محمول على الغالب، وليس معنى ذلك أنه قد استكمله كما في هذا الحديث الذي جاء عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها.تراجم رجال إسناد حديث (كان رسول الله يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم)قوله: [حدثنا عبد الله بن مسلمة]. هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب القعنبي، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجة . [عن مالك]. هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة المحدث الفقيه، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله]. أبو النضر مولى عمر هو سالم بن أبي أمية، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي سلمة بن عبد الرحمن]. هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، الصديقة بنت الصديق ، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ورضي الله تعالى عنهم وعن الصحابة أجمعين.شرح حديث (... كان يصومه إلا قليلا بل كان يصومه كله)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه زاد: (كان يصومه إلا قليلا، بل كان يصومه كله)]. أورد المصنف حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (أنه كان يصومه إلا قليلا، بل كان يصومه كله) وهذا إشارة إلى كثرة ما كان يصوم فيه، ولكن ما جاء أنه لم يكن يستكمل شهرا إلا رمضان دال على أنه لا يستكمل صيام أي شهر من الشهور.تراجم رجال إسناد حديث (...كان يصومه إلا قليلا بل كان يصومه كله)[حدثنا موسى بن إسماعيل]. هو موسى بن إسماعيل التبوذكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا حماد]. هو ابن سلمة بن دينار ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقا و مسلم وأصحاب السنن. [عن محمد بن عمرو]. محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثي ، صدوق له أوهام، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي سلمة عن أبي هريرة]. أبو سلمة مر ذكره، وأبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر أصحابه حديثا على الإطلاق رضي الله عنه وأرضاه.ما جاء في صوم الإثنين والخميسشرح حديث (إن أعمال العباد تعرض يوم الإثنين ويوم الخميس)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في صوم الإثنين والخميس . حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبان حدثنا يحيى عن عمر بن أبي الحكم بن ثوبان عن مولى قدامة بن مظعون عن مولى أسامة بن زيد (أنه انطلق مع أسامة إلى وادي القرى في طلب مال له، فكان يصوم يوم الإثنين ويوم الخميس فقال له مولاه: لم تصوم يوم الإثنين ويوم الخميس وأنت شيخ كبير فقال: إن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصوم يوم الإثنين ويوم الخميس، وسئل عن ذلك فقال: إن أعمال العباد تعرض يوم الإثنين ويوم الخميس)]. أورد أبو داود صيام الإثنين والخميس، وهذان اليومان قد جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باستحباب صيامهما، وجاء في ذلك أحاديث منها حديث أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما هذا الذي أورده المصنف أنه كان مولاه قد سافر معه إلى وادي القرى، وهو واد تابع للمدينة في الشمال منها، وهو الذي سار فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى تبوك، وهو الذي فيه

الحديقة التي خرصها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة وقال: إذا رجعنا فأخبرينا بالنتيجة، فلما رجعوا وإذا الواقع مطابق لما خرصه رسول الله صلى الله عليه وسلم، والحديث صحيح وقد سبق أن مر. وأسامة سافر معه مولاه، وكلمة (مولى) تأتي من الأعلى ومن الأسفل، فيقال للسيد أو المعتق: مولى، ويقال للعبد أو المعتق: مولى، ولهذا يقولون: من أنواع علوم الحديث معرفة الموالي من أعلى ومن أسفل؛ لأنه قد يكون مولى لأنه سيد، وقد يكون مولى لأنه عتيق.. قد يكون منعما وهو السيد، وقد يكون منعما عليه وهو المعتق، فيقال: مولى من أعلى ومولى من أسفل، فيقال: مولى فلان، يعني: أنه مولى من أسفل، وفلان مولى فلان، يعني: مولاه من أعلى، والولاء يكون أيضا بغير العتق، فيكون بالحلف، ويكون بالدخول في الإسلام، مثل البخاري رحمة الله عليه كان الجعفي مولاهم؛ لأن أحد أجداده أسلم على يد واحد من الجعفيين، فكان جده ينسب ويقال له: الجعفي مولى، و البخاري كذلك يقال له: الجعفي مولى، وكان الولاء ولاء إسلام على يديه، وكان ولاء عتق، وهو من أعلى ومن أسفل. سافر معه مولاه إلى وادي القرى وكان في طلب مال له أي مال لأسامة بن زيد رضي الله عنه، وكان يصوم الإثنين والخميس، فقال له مولاه: لماذا تصوم وأنت شيخ كبير يصوم تطوعا في السفر وهو شيخ كبير، فقال: (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم الإثنين ويوم الخميس، ويقول: إن هذه الأعمال تعرض فيهما على الله عز وجل)، وجاء في بعض الأحاديث: (وأحب أن يعرض عملي وأنا صائم) والحاصل أن الإثنين والخميس من الأيام المستحب صيامها كما جاءت بذلك السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.تراجم رجال إسناد حديث (إن أعمال العباد تعرض يوم الإثنين ويوم الخميس)قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبان]. موسى بن إسماعيل مر ذكره، و أبان بن يزيد العطار ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجة . [حدثنا يحيى]. يحيى هو ابن أبي كثير اليمامي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عمر بن أبي الحكم بن ثوبان]. عمر بن أبي الحكم بن ثوبان صدوق، أخرج له البخاري تعليقا و مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن مولى قدامة بن مظعون]. مولى قدامة بن مظعون يقال له: أبو عبد الله ، أخرج له أبو داود و النسائي في المبهمات. وعلق أبو الأشبال : كذا في جميع الأصول التي عندي وفي التهذيبين هو: أبو عبيد الله راجع عون المعبود . وفي عون المعبود قال: إنه مجهول، وكذلك الذي يروي عنه. [عن مولى أسامة بن زيد]. مولى أسامة بن زيد هذا ما وجدت له ترجمة، وفي عون المعبود قال: إنه مجهول، لكن الجهالة لا تؤثر؛ لأن فضل صيام الإثنين والخميس جاء في أحاديث عديدة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيكون له شواهد. [عن أسامة]. هو أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبه وابن حبه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [قال أبو داود : كذا قال هشام الدستوائي عن يحيى عن عمر بن أبي الحكم]. هشام بن أبي عبد الله الدستوائي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. ويحيى و عمر بن أبي الحكم مر ذكرهما."". (١)

١٩٦-"شرح سنن أبي داود [٠٥٩]لقد فرض الله عز وجل الصلوات الخمس في السماء خمسين صلاة، ثم خففت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة مع بقاء أجر الخمسين. والصلاة هي أعظم ركن بعد الشهادتين، وهي عمود الدين، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي آخر وصية للنبي صلى الله عليه وسلم، وهي حق لازم محتم على العبد لله

---

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد ص/٢

تعالى، فعلى العبد أن يقدرها قدرها، ويؤديها في وقتها؛ لينال بذلك رضى الله تعالى عنه.كتاب الصلاةقال المصنف رحمه الله تعالى: [كتاب الصلاة]. هذا هو الكتاب الثاني من الكتب التي اشتمل عليها كتاب السنن لأبي داود ، وأول كتاب هو كتاب الطهارة، وكما قد عرفنا فيما مضى أن الأبواب المتعلقة بالطهارة -سواء كانت إزالة نجاسة أم رفع الحدث الأصغر أم رفع الحدث الأكبر أم الاغتسال من الحيض- كلها أوردها تحت هذا الكتاب الذي هو كتاب الطهارة، وبعض أهل العلم يقسم هذا الكتاب إلى عدة كتب، فيذكر كتاب الوضوء على حدة، وكتاب غسل الجنابة على حدة، وكتاب الحيض على حدة، كما فعل الإمام البخاري رحمه الله تعالى. وجرت عادة العلماء من محدثين وفقهاء أنهم في كتب الأحكام يبدءون بالطهارة؛ ولأنه شرط للصلاة، ولأنها لا تصح الصلاة إلا إذا وجدت الطهارة من رفع الحدث الأصغر بالماء الذي هو الوضوء، أو الأكبر بالاغتسال، أو التيمم عندما لا يوجد الماء، أو يوجد ولكن يكون هناك ضرر باستعماله، ثم إنه بعد ذلك أتى بكتاب الصلاة، وهو الكتاب الثاني كما قد عرفنا.معنى الصلاة لغة واصطلاحاالصلاة في اللغة: الدعاء، والدعاء لا شك في أنه من جملة ما اشتملت عليه الصلاة، فالتعريف اللغوي تعريف للصلاة بذكر شيء مما هو موجود تحتها، وقد تكون المعاني اللغوية أوسع وأعم وتكون المعاني الشرعية جزءا من جزئيات المعاني اللغوية، وقد يكون المعنى الشرعي مشتملا على المعنى اللغوي وزيادة على ذلك؛ لأن الصلاة هنا في اللغة الدعاء، والصلاة الشرعية -كما هو معلوم- هي أفعال وأقوال تشتمل على الدعاء وعلى غير الدعاء، لكن الدعاء موجود فيها بكثرة، فعند دخول الإنسان في الصلاة يقول: (الله أكبر)، وهو دعاء وعبادة، ثم يأتي بالاستفتاح، وهو دعاء وعبادة، أو دعاء مسألة، مثل قوله: (سبحانك -اللهم- وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك) فهذا دعاء عبادة، وقوله: (اللهم! باعد بيني وبين خطاياي ...) هذا دعاء مسألة، ثم بعد ذلك الركوع فيه دعاء، والرفع من الركوع فيه دعاء، والسجود فيه دعاء، وبين السجدتين هناك دعاء، وفي التشهدين دعاء عبادة ودعاء مسألة، فالدعاء في الصلاة يوجد بكثرة، بل إن أقوال الصلاة هي إما دعاء عبادة وإما دعاء مسألة. أما الصلاة في الاصطلاح فهي أقوال وأفعال مخصوصة مبتدأة بالتكبير ومختتمة بالتسليم. هذا هو تعريف الصلاة الشرعي. فهي مبدوءة بـ (الله أكبر) ومختومة بـ (السلام عليكم ورحمة الله)، كما قال عليه الصلاة والسلام: (تحريمها التكبير وتحليلها التسليم). أما المعنى الثاني -وهو كون المعاني اللغوية واسعة، بحيث يكون المعنى الشرعي جزءا من جزئيات المعنى اللغوي- فمثل الصيام، فالصيام في اللغة: الإمساك، فأي إمساك يقال له: صيام. وفي الشرع: إمساك مخصوص وهو الامتناع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وفي اللغة يقال لأي إمساك: صيام، فالإمساك عن الكلام صيام، والإمساك عن الأكل صيام، والدواب إذا أمسكت يقال عنها: إنها صيام، كما قال الشاعر: خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما فالصيام في اللغة لفظ عام يشمل كل إمساك، وفي الشرع إمساك مخصوص. والحج لغة: القصد مطلقا، فأي قصد يقال له: حج. وفي الشرع: قصد مخصوص، وهو قصد البيت للإتيان بأعمال مخصوصة. والعمرة لغة: الزيارة. فأي زيارة يقال لها: عمرة، وفي الشرع: زيارة البيت لأفعال مخصوصة، وعلى هذا فإن المعاني اللغوية أحيانا تكون أشمل وأوسع، ويكون المعنى الشرعي جزءا من جزئيات المعنى اللغوي، وأحيانا يكون المعنى الشرعي أشمل أوسع ويكون أطلق عليه المعنى الشرعي لأن المعنى اللغوي موجود فيه، فالدعاء موجود في الصلاة بكثرة في ركوعها وسجودها وجلوسها وقيامها.مكانة الصلاة وعظمتها في الإسلامإن الصلاة هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين،

والإسلام بني على خمسة أركان، كما بين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل وفي حديث ابن عمر وغيرهما، ففي حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان). وفي حديث جبريل أنه قال: (أخبرني عن الإسلام. قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا)، فالصلاة هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، والشهادتان هما الأساس وهما الركن الركين الذي كل عمل أو كل ركن سواه لا ينفع إلا إذا كان مستندا إليه مبنيا عليه؛ لأنه إذا لم توجد الشهادتان فأي عمل من الأعمال لا قيمة له، أو وجدت شهادة أن لا إله إلا الله ولم توجد شهادة أن محمدا رسول الله معها من حين بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة؛ فإن أي عمل لا ينفع صاحبه ما دام أنه لم يستند على هذا الأساس الذي هو الشهادة لله بالوحدانية ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة، والصلاة شأنها عظيم في الإسلام، وقد جاءت آيات وأحاديث تدل على عظم شأنها وأن شأنها أركان الإسلام بعد الشهادتين. فمما ورد في بيان عظم شأنها: أن الله تعالى فرضها على نبيه صلى الله عليه وسلم وهو في السماء، ولم يفرضها عليه وهو في الأرض وإنما فرضت عليه وهو في السماء -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه- ليلة المعراج، وفرضت عليه أولا خمسين صلاة، وقد استسلم وانقاد وسلم الأمر لله ونزل لينفذ الذي أمر به، ولكنه لما مر بموسى بن عمران وهو في السماء السادسة عرض عليه وأشار عليه بأن يرجع إلى الله عز وجل ويسأله التخفيف، وقال: إنه قد كلف بنو إسرائيل بأشياء ومع ذلك ما قاموا بها، فأشار عليه أن يرجع ويسأل التخفيف، فحصل ذلك، وتكررت المراجعة حتى صارت خمسا، وقال الله عز وجل: (هن خمس في العمل وخمسون في الأجر)، وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، فيصلي الإنسان خمس صلوات في اليوم والليلة وتكون عن خمسين صلاة. إذا: فرضت عليه وهو في السماء صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، ونسخ العدد من خمسين إلى خمس قبل التمكن من الامتثال، وهذا يبين مدى استسلام الرسول صلى الله عليه وسلم وانقياده لأمر ربه، وأنه لما فرض عليه خمسين صلاة استعد للتنفيذ، ولكن الله خفف قبل أن يحصل التكليف على الناس، فخففت من خمسين إلى خمس والرسول صلى الله عليه وسلم في السماء قبل أن ينزل إلى الأرض، ففي هذا دليل على النسخ قبل التمكن من الامتثال. ومثل هذا قصة الذبيح إسماعيل، حيث نسخ الأمر بالذبح قبل التمكن من الامتثال وقد حصل الاستسلام والانقياد من الذابح والمذبوح، وكل منهما استسلم لله عز وجل، ففائدة ذلك هو حصول وظهور استسلام الرسولين المكلفين بذلك، وهما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام حيث استسلم وانقاد للقيام بخمسين صلاة فرضت عليه، وكذلك إبراهيم الخليل حيث أمر بذبح ابنه فأقدم على ذلك ونسخ الحكم قبل التنفيذ. إذا: فائدة ذلك -كما عرفنا- هو الاستسلام والإذعان والاستعداد للتنفيذ، وظهور الطاعة والقيام بتنفيذ ما طلب تنفيذه، فمما يدل على عظم شأن الصلاة أنها فرضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم في السماء. ومما يدل على عظم شأنها أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر بأنها عمود الإسلام، وذلك في حديث معاذ بن جبل الطويل الذي فيه عدة أمور، حيث قال له: (ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)، وقوله: إنها عمود الإسلام يدل على عظم شأنها؛ إذ أن البنيان لا يتم ولا يقوم إلا على عمد، وكذلك الخيمة لا تقوم إلا على عمود أو على أعمدة، وإذا نزع العمود أو سقط العمود سقط البناء الذي عليها،

كل هذا يدلنا على عظم شأن الصلاة في الإسلام. ومما يدل على عظم شأنها أن النبي عليه الصلاة والسلام أخبر أنها آخر ما يفقد من الدين في هذه الحياة، حيث يقول: (أول ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة) والشيء إذا فقد أوله بقي منه شيء، لكن إذا فقد آخره لا يبقى منه شيء. ومما يدل على عظم شأن الصلاة: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، حيث يقول: (أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة)، فإن حصل النجاح في تلك المحاسبة فما سواها تابع لها، وإن حصلت خسارة فإنه يكون فيما سوى ذلك أخسر. ومما يدل على عظم شأن الصلاة أن النبي صلى الله عليه وسلم وصى بها في آخر حياته، يقول علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وأرضاه: (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرض موته: (الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم) يعني أنه يحث ويحرض على القيام بالصلاة وعلى الإحسان إلى من هم في ملك اليمين. ثم يقول علي رضي الله عنه: (وهؤلاء الكلمات هن آخر شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم)، أي: أن عليا رضي الله عنه بعد أن سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا الكلام لم يسمعه بعد ذلك. ومما يدل على عظم شأن الصلاة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر) فهذا يدل على عظم شأن الصلاة وأن تركها كفر. ومما يدل على عظم شأنها أن الله تعالى أخبر أن الذين يدخلون سقر عندما يدخلون فيها ويسألون: ما الذي أوصلكم إلى سقر يجيبون في أول ما يجيبون بأنهم لم يكونوا يصلون، قال عز وجل: ((كل نفس بما كسبت رهينة * إلا أصحاب اليمين * في جنات يتساءلون * عن المجرمين * ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين [المدثر:٣٨-٤٣]، فهذا من الأسباب التي توصل إلى سقر والعياذ بالله. والحاصل أن أمر الصلاة عظيم وشأنها كبير، وقد جاءت النصوص الكثيرة الدالة على عظم شأنها، ثم هي تكون في اليوم والليلة خمس مرات، وهي صلة وثيقة بين العبد وبين ربه، وهي علامة الإيمان وعلامة الاستسلام والانقياد لأمر الإسلام، والإنسان إذا صاحب إنسانا يستطيع أن يعرف أنه من أولياء الله أو أنه من أعداء الله خلال أربع وعشرين ساعة، فإن رآه يصلي فهي علامة خير، وإن رآه لا يصلي فهي علامة شر، بخلاف بقية الأركان، فإنه لا يعرف حال الإنسان فيها كما يعرف في الصلاة؛ لأن الزكاة لا تجب في السنة إلا مرة واحدة، ولا تجب إلا على الأغنياء، والصيام لا يجب في السنة إلا شهرا واحدا، والحج لا يجب في العمر إلا مرة واحدة، لكن الصلاة في اليوم والليلة خمس مرات، فهي صلة وثيقة بين العبد وبين ربه، فهذا كله يبين لنا عظم شأن الصلاة وأهميتها، وأنها رأس مال المسلم، وأن عليه أن يحافظ عليها وأن يعنى بها وأن لا يتهاون فيها؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وقد عرفنا جملة من الأدلة الدالة على عظيم شأنها وعظم منزلتها في الإسلام.فرض الصلاةشرح حديثي طلحة بن عبيد الله في فرض الصلاةقال المصنف رحمه الله تعالى: [كتاب الصلاة. باب: فرض الصلاة. حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقول: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة. قال: هل علي غيرهن قال: لا، إلا أن تطوع. قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام شهر رمضان، قال: هل علي غيره قال: لا إلا أن تطوع. قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة، قال: فهل علي غيرها قال: لا إلا أن تطوع. فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم: أفلح إن صدق). حدثنا سليمان بن داود حدثنا إسماعيل بن جعفر المدني عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر بإسناده بهذا الحديث، قال: (أفلح -وأبيه- إن صدق، دخل الجنة -وأبيه- إن صدق)]. قوله: [باب فرض الصلاة] المقصود بفرض الصلاة بيان أنها مفروضة، وليس المقصود بفرض الصلاة ابتداء فرضها؛ لأن ابتداء فرضها حصل ليلة المعراج، ولكن المقصود بالترجمة التي عقدها المصنف وأورد الحديث تحتها بيان أنها مفروضة وأن الله عز وجل فرضها، وأنها حق لازم متحتم لله تعالى، بل هي -كما عرفنا- أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين. قوله: [(جاء رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة. قال: هل علي غيرهن قال: لا، إلا أن تطوع)] بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة، وبين له أن الذي يبدأ به بعد الدخول في الإسلام هو الصلاة، ولهذا جاء في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن أن يبدأ بدعوتهم إلى الصلاة بعد الدخول في الإسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)، فبدأ بالصلاة. إذا: أول شيء يدعى إليه بعد التوحيد هو الصلاة التي هي عمود الإسلام، وهذا -أيضا- مما يبين لنا عظم شأن الصلاة وأنها أول شيء يدعى إليه بعد الدخول في الإسلام. فهي خمس صلوات فرضها الله عز وجل في اليوم والليلة، فقال لهذا الرجل: [(خمس صلوات في اليوم والليلة. قال: هل علي غيرهن فقال: لا، إلا أن تطوع)] وهذا فيه دليل على أن الفرض الذي فرضه الله هو هذه الصلوات الخمس، وأن الوتر ليس بواجب محتم، ولكنه من آكد النوافل، ومن المعلوم أن الإنسان إذا تهاون بالنوافل فإنه يتهاون بالفرائض، والنوافل هي كالسياج وكالوقاية للفرائض، فينبغي أن لا يحصل تساهل فيها وتهاون، بل يؤدي الإنسان الفرائض ويأتي بالنوافل، والنوافل تكمل بها صلاة الفرض إذا حصل فيها نقص، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى الإنسان أن يحافظ على الفرائض ويحرص على النوافل، وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، ومن المعلوم أن الاقتصار على الفرائض هو الاقتصاد، ولكن السبق بالخيرات يكون بالإتيان بالواجبات وبالمفروضات وبالمنافسة في الخير وبالإتيان بالنوافل التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، ولهذا جاء في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به..) إلى آخر الحديث، فالإنسان عليه أن يحرص على الفرائض ويحرص على النوافل، ولا يتهاون بالنوافل؛ لأن التهاون بالنوافل قد يؤدي إلى التهاون بالفرائض، وقد جاء في الحديث: (أن الإنسان إذا كان في صلاته نقص فإنه وكان له نوافل فإنه يكمل بها ذلك النقص الذي حصل في صلاته. إذا: فالصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس صلوات، والحديث يدل على أن الوتر ليس بفرض، ولكنه متحتم، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على الوتر وعلى ركعتي الفجر في الحضر والسفر، فما كان يترك الوتر ولا ركعتي الفجر حتى في أسفاره صلى الله عليه وسلم، ويقول الإمام أحمد : إن الذي لا يصلي الوتر رجل سوء. وفي الحديث -أيضا- دليل على أن الجمعة فرض وأنها لازمة؛ لأنها من صلوات اليوم والليلة؛ [(خمس صلوات كتبهن الله

في اليوم والليلة)] والجمعة هي فرض ذلك اليوم الذي هو يوم الجمعة. قوله رسول الله صلى الله عليه وسم: [(وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام رمضان، قال: هل علي غيره قال: لا، إلا أن تطوع، وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة، قال: هل علي غيرها قال: لا، إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص. معناه أنه يقتصر على الواجبات. وقوله: [(أفلح إن صدق)] يدل على أن القيام بالواجبات هو الذي يسلم به الإنسان من الوقوع في الإثم؛ لأن الواجب يثاب فاعله ويعاقب تاركه، وأما المندوب فيثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، فقوله: [(أفلح إن صدق)] يعني: أتى بما يؤدي به إلى الفلاح، وبما يسلم به من عذاب الله عز وجل، ولكنه إذا زاد على ذلك بأن أتى بالنوافل يكون خيرا له وبركة، ويكون نورا مضافا إلى نور، وخيرا إلى خير، وقوله: [(أفلح إن صدق)] معناه: إن صدق فيما يقول وفيما حلف عليه أنه يأتي بما فرض الله عليه لا يزيد ولا ينقص فإنه يكون مفلحا وآخذا بسبب الفلاح، وهو القيام بما أوجبه الله جل وعلا عليه.أقوال العلماء في معنى: (أفلح وأبيه) وحكمهاجاء هنا في الحديث: [(أفلح وأبيه إن صدق، دخل الجنة وأبيه إن صدق)]، وهذا فيه لفظ قسم، وقد جاء في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن الحلف بغير الله عز وجل، حيث قال: (من حلف بغير الله فقد أشرك)، وقال عليه الصلاة والسلام: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون)، وقوله: (ولا تحلفوا إلا بالله) يعني: قصر الحلف على الله تعالى وأسمائه وصفاته، وليس المقصود أن يكون بلفظ الجلالة فقط، وإنما المقصود أن يكون الحلف بالله وبالرحمن وبالرحيم وبالسميع وبالبصير، فهذا حلف بالله؛ لأن من حلف بأسمائه فهو مثل الحالف بالله؛ لأن الله تعالى من أسمائه الرحمن، و(الرحيم) و(السلام) و(القدوس) وهكذا، فأي اسم ثبت لله عز وجل فإن الإنسان يجوز له أن يحلف به، فيحلف بالله وأسمائه وصفاته، ولا يحلف بغير ذلك، ولهذا قال: (ولا تحلفوا إلا بالله) يعني: لا تحلفوا بغير الله؛ لأن كل ما سوى الله مخلوق، والحلف إنما هو بالخالق دون المخلوق. وقد جاء أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) يعني: لا يحلف، وإن كان حالفا فحلفه يجب أن يكون بالله عز وجل. وهنا يقول: [(أفلح وأبيه إن صدق)]، وقد أجاب العلماء عما ورد في هذا الحديث بأن قالوا: إن هذا كان قبل النهي. ومنهم من قال: إن هذا من الألفاظ التي هي جارية على الألسنة ولا يراد بها القسم، وإنما هي من لغو اليمين، مثل قول القائل: لا والله، وبلى والله. فهذه اليمين لا تنعقد إلا إذا أرادها الإنسان وعزم عليها، كأن يقول: والله لأفعلن كذا وكذا. أما إذا كان اليمين شيئا ما قصده الإنسان وما أراده، وإنما جرى على لسانه مثل: (لا والله) ف)بلى بالله) فإن هذا من لغو اليمين الذي ليس فيه كفارة ولا تنعقد معه اليمين، فكذلك كلمة (وأبيه) يقال: إنها من الشيء الذي يجري على الألسنة ولا يراد به اليمين ولا يراد به القسم، مثل ما جرى في كلمات أخرى، كقوله: (عقرى حلقى) وقولهم: (تربت يمينك) و(تربت يداك)، فهو شيء يجري على الألسنة ولا يراد، ومن العلماء من قال: إن هذه الرواية شاذة مخالفة للروايات التي لم يذكر فيها (وأبيه)، فهي زيادة شاذة. والحاصل أن الحلف بغير الله لا يجوز، وأن ما ورد في الحديث لا يقال: إنه دليل على جواز الحلف بغير الله؛ لأنه قد جاء ما يدل على المنع من ذلك؛ حيث قال: (لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون)، وقال ذلك لما سمع عمر يقول: (وأبي)، فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكلام، فقال عمر رضي الله عنه: (والله لا أحلف بذلك ذاكرا ولا آثرا) يعني: لا يحلف ذاكرا بأن يكون منه ولا آثرا ذلك عن غيره.

وهذا فيه استسلام الصحابة وانقيادهم لما يأتي عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الأحكام. ثم إن الحلف بغير الله أمره خطير، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال: (لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا) وذلك لأن الحلف بالله توحيد والكذب معصية، والحلف بغير الله شرك، ومن المعلوم أن المعصية دون الشرك، والذنب الذي يوصف بأنه شرك أو كفر يكون أعظم من غيره وأشد.تراجم رجال إسناد حديثي طلحة في فرض الصلاةقوله: [حدثنا عبد الله بن مسلمة]. هو عبد الله بن مسلمة القعنبي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا ابن ماجه . [عن مالك]. هو مالك بن أنس إمام دار الهجرة، الإمام المشهور، أحد أصحاب المذاهب الأربعة المشهورة من مذاهب أهل السنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن عمه أبي سهيل بن مالك]. وعمه أبو سهيل هو نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبيه]. أبوه هو مالك بن أبي عامر ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أنه سمع طلحة بن عبيد الله]. طلحة بن عبيد الله رضي الله تعالى عنه هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [حدثنا سليمان بن داود]. هو أبو الربيع الزهراني ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و مسلم و أبو داود و النسائي . [عن إسماعيل بن جعفر المدني]. إسماعيل بن جعفر المدني ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر بإسناده بهذا الحديث]. قد مر ذكره."". (١)

١٩٧-"شرح سنن أبي داود [١١٢]من رحمة الله بعباده أن جعل النوافل من العبادات متممة للفرائض، فإذا حصل نقص في الفريضة أكمل ذلك النقص من النافلة، وهذا يدل دلالة واضحة على أهمية المحافظة على النوافل، فهي السياج الواقي للفريضة. وقد وردت أحاديث كثيرة مبينة لأذكار الركوع والسجود بصيغ متعددة، مثل: سبحان ربي العظيم في الركوع، وسبحان ربي الأعلى في السجود، ويمكن أن يجمع إليها ما ورد من الصيغ الأخرى.ما جاء في إتمام الفرائض من النوافلشرح حديث: (... أتموا لعبدي فريضته من تطوعه...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه). حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن عن أنس بن حكيم الضبي أنه قال: خاف من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقي أبا هريرة رضي الله عنه قال: فنسبني فانتسبت له، فقال: يا فتى ألا أحدثك حديثا قال: قلت: بلى رحمك الله، قال يونس : وأحسبه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز جل لملائكته -وهو أعلم-: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم)]. أورد الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه)]. المقصود من هذه الترجمة: أن الفرائض إذا حصل فيها شيء من النقص وكان هناك نوافل، فإن ذلك النقص يكمل من النوافل، وفي ذلك ترغيب في النوافل وحث عليها؛ لأنها مكملة ومتممة للفرائض، بحيث أن الذي يتساهل فيها يتساهل في الفرائض، والذي يحافظ عليها يحافظ على الفرائض. وعلى هذا فالنوافل شأنها عظيم والاهتمام بها عظيم، وفائدتها كبيرة؛

---

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد ص/٢

لأنها تكون وقاية للفرائض، ولأنها تتم بها الفرائض إذا كان هناك نقص فيها عند المحاسبة. هذه هي الترجمة التي أوردها الإمام أبو داود رحمه الله، وأتى بها على وفق ما جاء في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، من أن النوافل تكمل الفرائض إذا حصل فيها نقص. وقد جاء عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ثم قال: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه). فالنوافل شأنها عظيم؛ إذ بها تضاعف الأجور، وهي كالسياج الذي يحافظ به على الفرائض. أورد أبو داود رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة) وهذا يدلنا على عظم شأن الصلاة، وأن شأنها كبير، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي أول ما يحاسب عليه يوم القيامة، وآخر ما يفقد في هذه الحياة. والإنسان إذا كان مفلحا في صلاته، وقائما بما يجب عليه فيها، فإنه يرجى أن يكون فيما وراء ذلك على التمام وعلى وجه حسن، وإذا كان بخلاف ذلك في الصلاة فما سواها يكون من باب أولى. قوله: [(قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته -وهو أعلم-: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة)]. يعني: أنه حصل في فرضه على التمام والكمال. [(وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم)]. يعني: باقي الأعمال من بعد الصلاة، كذلك الصلاة إذا كان الإنسان عنده خلل أو تقصير، فإن النوافل من الصدقات تتم بها، وكذلك الصيام والحج وهكذا.تراجم رجال إسناد حديث: (... أتموا لعبدي فريضته من تطوعه)قوله: [حدثنا يعقوب بن إبراهيم]. هو يعقوب بن إبراهيم الدورقي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، بل هو شيخ لأصحاب الكتب الستة. [حدثنا إسماعيل]. هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم بن علية ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا يونس]. هو يونس بن عبيد وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الحسن]. هو الحسن بن أبي الحسن البصري ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أنس بن حكيم الضبي]. أنس بن حكيم الضبي مستور، أخرج له أبو داود و ابن ماجة .معنى قوله: (فنسبني فانتسبت له)[قال: خاف من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقي أبا هريرة]. يعني: هذا الرجل الذي هو أنس بن حكيم خاف من زياد أو ابن زياد أمير من الأمراء، فأتى المدينة ولقي أبا هريرة رضي الله عنه، قال: فنسبني فانتسبت له، يعني: قيل: إن معناه أنه طلب منه أن يعرف بنفسه فانتسب له، وقيل: إن كل واحد منهما عرف بنفسه فيكون أبو هريرة عرف بنفسه وهذا عرف بنفسه، ولعل الأقرب: أن أبا هريرة هو الذي طلب منه أن يعرف بنفسه؛ لأن أبا هريرة معروف ولا يحتاج إلى أن ينتسب له وأن يعرف بنفسه؛ ولأنه جاء إلى أبي هريرة وهو يعرف أنه أبو هريرة . والذي يبدو أن أبا هريرة هو الذي طلب منه أن يعرف بنفسه، كما هو شأن الشخص الغريب الذي يأتي ويسأل ممن هو حتى يعرف. و زياد هو أمير من الأمراء، ما أدري هل هو زياد ابن أبيه أم لا أما ابن زياد فهو عبيد الله بن زياد وكل منهما كان أميرا. والتعارف أمر مطلوب يدل عليه هذا الحديث، وحديث الباقر مع جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن جابرا سألهم عن أسمائهم واحدا واحدا حتى وصل إلى الباقر فعرفه بنفسه، فوضع يده على صدره فجعل يحدثه بحديث الحج الطويل. قوله: [قال يونس : وأحسبه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم]. وهذا يونس بن عبيد يحسب أنه رفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسواء رفعه أو لم يرفعه فمثل هذا له حكم الرفع؛ لأن مثله لا يقال بالرأي؛ لأنه إخبار عن أمر مغيب.شرح حديث: (... أتموا لعبدي فريضته من تطوعه...)

من طريق أخرى وتراجم رجال إسنادهقال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن حميد عن الحسن عن رجل من بني سليط عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه]. أورد أبو داود حديث أبي هريرة من طريق أخرى وفيه: أنه قال بدل أنس بن حكيم : عن رجل من بني سليط، وقيل: إن هذا الرجل هو أنس بن حكيم ، لكن جاء غير مسمى هنا. قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل]. هو موسى بن إسماعيل التبوذكي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا حماد]. هو حماد بن سلمة ثقة، أخرج له البخاري تعليقا، و مسلم وأصحاب السنن. [عن حميد]. هو حميد بن أبي حميد الطويل وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الحسن عن رجل من بني سليط عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه]. أي: بنحو الحديث الذي تقدم. والحديث كما هو معلوم فيه هذا الرجل في الإسناد الأول مسمى وهو أنس بن حكيم ، وفي الثاني مبهم وقيل: إنه نفسه أنس بن حكيم ، لكن الحديث الذي سيأتي حديث تميم الداري شاهد له.شرح حديث: (...ثم الزكاة مثل ذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن داود بن أبي هند عن زرارة بن أوفى عن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال: (ثم الزكاة مثل ذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك)]. أورد أبو داود رحمه الله حديث تميم الداري وقال: إنه بنحو حديث أبي هريرة المتقدم، وهو شاهد له، ودال على ما دل عليه، وفي هذا الإخبار عن الأمر المستقبل، وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم يجب تصديقها، وأن ما أخبر به عليه الصلاة والسلام من الأمور المغيبة سواء كانت ماضية أو مستقبلة أو موجودة لا نشاهدها ولا نعاينها الواجب تصديقها؛ لأن هذا هو مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا إخبار عن أمر مستقبل وهو أن الصلاة أول ما يحاسب عليه، وهو كما أسلفت يدل على عظم شأن الصلاة، وأن أمرها خطير، وأن الواجب على الإنسان أن يحافظ ويحرص عليها. وقد جاء في الحديث الصحيح: (إن أول ما يقضى يوم القيامة بين الناس في الدماء) وقد يقال: إن بينهما شيئا من التعارض، ولكن لا تعارض؛ لأن الصلاة فيما يتعلق بحقوق الله هي أول شيء يحاسب عليه، وأول شيء فيما يكون بين الناس يقضى ويحاسب فيما بينهم في الدماء، فيكون الأول يحمل على حقوق الله، والثاني يحمل على حقوق الناس وما يكون بينهم، فلا تعارض بين ما جاء في هذا الحديث وبين الحديث الآخر الذي فيه: (إن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء).تراجم رجال إسناد حديث: (...ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك)قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن داود بن أبي هند]. داود بن أبي هند ثقة، أخرج له البخاري تعليقا، و مسلم وأصحاب السنن. [عن زرارة بن أوفى]. زرارة بن أوفى ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن تميم الداري]. تميم الداري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه وأرضاه، وحديثه أخرجه البخاري تعليقا، و مسلم وأصحاب السنن.ما جاء في وضع اليدين على الركبتينشرح حديث: (صليت إلى جنب أبي فجعلت يدي بين ركبتي ...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب تفريع أبواب الركوع والسجود: باب وضع اليدين على الركبتين: حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن أبي يعفور ، قال أبو داود : واسمه وقدان ، عن مصعب بن سعد أنه قال: (صليت إلى جنب أبي رضي الله عنه فجعلت يدي بين ركبتي، فنهاني عن ذلك فعدت، فقال: لا تصنع هذا فإنا كنا نفعله فنهينا عن ذلك، وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب)]. أورد أبو داود رحمه الله: [باب تفريع أبواب الركوع والسجود]، وبدأ بوضع اليدين على الركبتين في الركوع، وأن

السنة هي وضع اليدين على الركبتين وليس جعلهما بين الفخذين، وقد كان ذلك مشروعا قبل ذلك ثم نسخ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، وأمر بوضع الأيدي على الركب، ويسمى وضع اليدين بين الفخذين: التطبيق، بحيث يطبق اليد على اليد ويجعلهما بين فخذيه، هذا كان في أول الأمر، ثم نسخ بوضع الأيدي على الركب، كما جاء ذلك مبينا في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الذي أورده المصنف رحمه الله تعالى، حيث قال ابنه مصعب : (صليت إلى جنب أبي فوضعت يدي بين ركبتي) أي: طبق بينهما، فنهاني، ثم عدت إليه مرة أخرى، ولعل كونه عاد إليه إما نسيانا أو لكونه كان معروفا عند بعض الناس، فبين له أبوه رضي الله عنه بأنهم نهوا عن ذلك وأمروا بأن يضعوا أيديهم على ركبهم. قوله: [(لا تصنع هذا فإنا كنا نفعله فنهينا عن ذلك وأمرنا أن نضع أيدينا على الركب)]. يعني: كنا نفعل هذا الذي فعلته وهو التطبيق، فنهينا عنه وأمرنا بأن نضع الأيدي على الركب. وقول الصحابي: (نهينا وأمرنا) له حكم الرفع؛ لأن الآمر والناهي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما نبينا محمد عليه الصلاة والسلام إذا قال: (أمرت بكذا أو نهيت عن كذا)، فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يأمره وينهاه عليه الصلاة والسلام.تراجم رجال إسناد حديث (صليت إلى جنب أبي فجعلت يدي بين ركبتي ...)قوله: [حدثنا حفص بن عمر]. حفص بن عمر ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و النسائي . [حدثنا شعبة]. هو شعبة بن الحجاج الواسطي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي يعفور]. أبو يعفور اسمه وقدان وقيل: واقد وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال أبو داود : واسمه وقدان]. هذا كلام أبي داود في بيان أن اسمه وقدان ؛ وذلك لأن هناك أبا يعفور الأصغر وأبو يعفور الأكبر، وهذا هو أبو يعفور الأكبر . [عن مصعب بن سعد]. هو مصعب بن سعد بن أبي وقاص وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: صليت إلى جنب أبي]. أبوه هو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة صاحب المناقب والفضائل رضي الله عنه وأرضاه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.شرح حديث (إذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذيه وليطبق بين كفيه...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة و الأسود عن عبد الله رضي الله عنه قال: (إذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذيه وليطبق بين كفيه، فكأني أنظر إلى اختلاف أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم)]. أورد أبو داود حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في التطبيق، وأنه قال: (إذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذيه وليطبق بين كفيه) يعني: يجعل الذراعين على الفخذين، ويجعل الكفين بين الفخذين مطبقتين. قوله: [(كأني أنظر إلى اختلاف أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم)] يعني: بهذا التطبيق الذي قد حصل. ومن المعلوم أن هذا منسوخ كما جاء ذلك مصرحا به في حديث سعد بن أبي وقاص المتقدم، حيث قال: (كنا نفعل ذلك فنهينا عنه، وأمرنا بأن نضع الأيدي على الركب) ولا شك أن وضع الأيدي على الركب أسلم وأمكن؛ لأن وضعها على الركب فيه اعتماد عليها، بخلاف ما إذا كانت بين الفخذين فإن الأمر يختلف؛ لأن هذا فيه اعتماد اليدين على الركبتين وفيه مجافاة، وأما التطبيق فقد كان موجودا أولا ثم نهي عنه كما في حديث سعد ، ولهذا ذكر الناسخ أولا، ثم ذكر بعده المنسوخ، وهو حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه. أما عن طريقة أبي داود من حيث الاستقراء فلا أدري هل هو يقدم الناسخ باستمرار ويؤخر المنسوخ لكن المعروف عن الإمام مسلم رحمه الله أنه يقدم المنسوخ ثم يأتي بالناسخ كما ذكر ذلك النووي عند أحاديث نقض الوضوء من مما مست النار، فإنه ذكر الأحاديث التي فيها

النقض، ثم عقبها بالأحاديث التي فيها أنه لا ينقض، وقال النووي : إن طريقة الإمام مسلم أنه يقدم المنسوخ على الناسخ، وهنا في هذا الموضع قدم أبو داود الناسخ على المنسوخ، فلا أدري هل هذه الطريقة له، أو أنه يأتي عنه أشياء تخالف هذه الطريقة وهذا يمكن أن يعرف في المستقبل، ولا شك أن الحكم هو للناسخ، ولهذا ترجم به فقال: وضع اليدين على الركبتين، هذا هو الحكم الثابت المستقر، وإنما الكلام في التقديم والتأخير، هل طريقة أبي داود أنه يقدم الناسخ على المنسوخ كما هو الحال هنا، أو أنه يتفق في هذا الموضع هكذا ويمكن أن يأتي في مواضع أخرى يختلف عن هذا الموضوع الله أعلم. قوله: [(فكأني أنظر إلى اختلاف أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم)]. يعني: أن بينهن شيئا من التقدم والتأخر؛ لأنه ليس تشبيكا وإنما هو تطبيق.تراجم رجال إسناد حديث (إذا ركع أحدكم فليفرش ذراعيه على فخذيه وليطبق بين كفيه...)قوله: [حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير]. محمد بن عبد الله بن نمير ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا أبو معاوية]. هو محمد بن خازم الضرير الكوفي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا الأعمش]. هو سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن إبراهيم]. هو إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي الكوفي وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن علقمة]. هو علقمة بن قيس النخعي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [و الأسود]. هو الأسود بن يزيد بن قيس النخعي ثقة مخضرم، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عبد الله]. هو عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من فقهاء الصحابة، وقد قيل: إنه أحد العبادلة الأربعة من الصحابة، ولكن الصحيح خلاف ذلك؛ لأن المقصود بالعبادلة الأربعة هم صغار الصحابة الذين كانوا في عصر واحد، وقد أدركهم من لم يدرك ابن مسعود ، وأما ابن مسعود فإنه متقدم الوفاة، إذ أن وفاته سنة اثنتين وثلاثين، وأما العبادلة الأربعة فإنهم تأخروا وعاشوا بعد ذلك ثلاثين سنة أو أكثر من ثلاثين سنة، فأدركهم من لم يدرك ابن مسعود وأخذ عنهم من لم يأخذ عن ابن مسعود ، وكان يقال لهم: العبادلة، فالمشهور أن العبادلة الأربعة هم الصغار من الصحابة وهم: عبد الله بن عمر و عبد الله بن عمرو و عبد الله بن الزبير و عبد الله بن عباس رضي الله عنهم وعن الصحابة أجمعين. وحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أخرجه أصحاب الكتب الستة.ما جاء في ما يقول الرجل في ركوعه وسجودهشرح حديث: (لما نزلت: (فسبح باسم ربك العظيم) قال رسول الله: اجعلوها في ركوعكم)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده: حدثنا الربيع بن نافع أبو توبة و موسى بن إسماعيل المعنى قالا: حدثنا ابن المبارك عن موسى -قال أبو سلمة : موسى بن أيوب - عن عمه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (لما نزلت: فسبح باسم ربك العظيم [الواقعة:٧٤] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت: سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى:١] قال: اجعلوها في سجودكم)]. أورد أبو داود رحمه الله هذه الترجمة: [باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده] يعني: ما يقوله من الذكر؛ لأن هذه الترجمة تتعلق بالذكر، وبعدها ستأتي ترجمة تتعلق بالدعاء في الركوع والسجود. ومن المعلوم أن هناك أذكارا وأدعية، فالأذكار هي التي فيها ثناء على الله وتمجيد لله وتسبيح لله وتعظيم لله، والدعاء هو طلب العبد كأن يقول: اللهم أعطني كذا، اللهم حقق لي كذا، فهنا أتى بترجمتين: باب ما يقول في الركوع والسجود، وترجمة: باب في الدعاء في الركوع والسجود، ولا تنافي بين الترجمتين؛ لأن هذه الترجمة كلها أذكار، والترجمة التي بعدها كلها أدعية، هذا هو الفرق بين الترجمتين، هذه ثناء على الله وتعظيم لله وتمجيد لله، وتلك -التي ستأتي- مطالب

من العبد يسألها من ربه ويرجو من ربه أن يحققها له، وأن يتقبل منه. أورد أبو داود حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله تعالى عنه قال: (لما نزل قول الله عز وجل: فسبح باسم ربك العظيم [الواقعة:٧٤] قال عليه الصلاة والسلام: اجعلوها في ركوعكم) يعني: قولوا: سبحان ربي العظيم في الركوع. قوله: [(ولما نزل قول الله عز وجل: سبح اسم ربك الأعلى [الأعلى:١] قال: اجعلوها في سجودكم)] يعني: قولوا: سبحان ربي الأعلى في السجود. وقد جاء في السجود ذكر الأعلى؛ لأن هذا المقام الذي يكون فيه العبد في غاية الذل والخضوع لله سبحانه وتعالى، فناسب أن يأتي وصف الله بالأعلى الذي هو العلو المطلق ذاتا وقدرا وقهرا، ففي هذه الهيئة التي هو عليها وقد ذل لله وخضع وجعل أشرف شيء فيه على الأرض خضوعا لله وذلا لله سبحانه وتعالى يقول العبد فيها: سبحان ربي الأعلى. وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في أنه يقال في الركوع: سبحان ربي العظيم، ويقال في السجود: سبحان ربي الأعلى.تراجم رجال إسناد حديث: (لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال رسول الله: اجعلوها في ركوعكم...)قوله: [حدثنا الربيع بن نافع أبو توبة]. الربيع بن نافع أبو توبة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي . [و موسى بن إسماعيل]. موسى بن إسماعيل ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [المعنى]. يعني: أن هذا الذي جاء عن الشيخين ليس متفقا في اللفظ والمعنى، وإنما الاتفاق في المعنى، مع وجود شيء من الاختلاف في الألفاظ. [حدثنا ابن المبارك]. هو عبد الله بن المبارك المروزي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وقد قال عنه بعض أهل العلم: جمعت فيه خصال الخير، وقال بعض أهل العلم: هو أجل من أن يقال فيه: ثقة. [عن موسى قال أبو سلمة : موسى بن أيوب]. يعني: الربيع بن نافع قال: عن موسى فقط ولم ينسبه، وأما موسى بن إسماعيل فإنه نسبه، و أبو سلمة هو موسى بن إسماعيل شيخ أبي داود الثاني ذكره أولا باسمه ثم ذكره بكنيته أبو سلمة التبوذكي . ومعرفة الكنى للمحدثين مهمة عند العلماء؛ لأن الذي لا يعرفها قد يظن أن أبا سلمة شخص آخر غير الذي مر، مع أن أبا سلمة هو موسى بن إسماعيل إلا أنه ذكر أولا باسمه وذكر هنا بكنيته. وفائدة معرفة هذا النوع من أنواع علوم الحديث ألا يظن أن الشخص الواحد شخصان؛ ولهذا فإن معرفة الكنى مهمة لا سيما من اشتهر بكنيته، فأحيانا الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب يذكر شيوخ أو تلاميذ الرجل يقول: روى عنه أبو موسى و أبو موسى هو محمد بن المثنى ، فالذي لا يعرف أن محمد بن المثنى كنيته أبو موسى يمكن أن يبحث ويقول: محمد بن المثنى ما وجدته. موسى بن أيوب الغافقي مقبول، أخرج له أبو داود و النسائي في مسند علي و ابن ماجة . [عن عمه]. وهو إياس بن عامر الغافقي صدوق، أخرج له أبو داود و النسائي في مسند علي و ابن ماجة، يعني مثلما قيل في ابن أخيه. [عن عقبة بن عامر]. هو عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. و أبو توبة هذا هو الربيع بن نافع الحلبي وهو الذي جاء عنه أنه قال: إن معاوية ستر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اجترأ عليه اجترأ على غيره. يعني: من تكلم فيه سهل عليه أن يتكلم في غيره.شرح حديث: (كان رسول الله إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثا...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أحمد بن يونس حدثنا الليث -يعني ابن سعد – عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب عن رجل من قومه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه بمعناه، زاد قال: (فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم وبحمده (ثلاثا)، وإذا سجد قال: سبحان ربي الأعلى وبحمده (ثلاثا))]. قال أبو داود : وهذه الزيادة نخاف ألا تكون محفوظة]. يعني: قوله: [(وبحمده)] قال: أخاف

ألا تكون محفوظة، يعني: أنها شاذة؛ لأنها جاءت من هذا الطريق الذي فيه شيء من الكلام، و الألباني في كتابه (صفة الصلاة) ذكر أنها ثابتة، ولعل هذا من طرق أخرى أو من أوجه أخرى غير هذا الوجه الذي قال عنه أبو داود : نخاف ألا تكون محفوظة. قوله: [(ثلاثا)] يعني: أنها تكرر، وهذا الذي يقول عنه العلماء: أدنى الكمال ثلاث، وأعلاه في حق الإمام عشر، وهو الذي جاء عن عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أنه صلى بالناس به، وأنهم حزروا له في سجوده سبحان ربي الأعلى عشر مرات، وقال عنه أحد الصحابة: ما رأيت أشبه من هذا الفتى بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني: عمر بن عبد العزيز . فالعلماء يقولون: الواجب واحدة، وأدنى الكمال ثلاث، وأعلاه في حق الإمام عشر.تراجم رجال إسناد حديث: (كان رسول الله إذا ركع قال: سبحان ربي العظيم وبحمده ثلاثا...)قوله: [حدثنا أحمد بن يونس]. هو أحمد بن عبد الله بن يونس الكوفي وهو ثقة، وهو الذي قال عنه الإمام أحمد : شيخ الإسلام، لقبه بشيخ الإسلام وهو لقب عظيم يدل على مكانته وعلو منزلته، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا الليث يعني ابن سعد]. هو الليث بن سعد المصري وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أيوب بن موسى أو موسى بن أيوب]. يعني: شك، ولكن سبق أن مر أنه موسى بن أيوب وليس أيوب بن موسى . [عن رجل من قومه]. هو عمه إياس بن عامر الذي ذكر في الإسناد الذي قبل هذا. [عن عقبة بن عامر]. هو عقبة بن عامر الجهني وقد مر ذكره. [قال أبو داود : انفرد أهل مصر بإسناد هذين الحديثين: حديث الربيع وحديث أحمد بن يونس]. يعني: الإسناد الأول هو الربيع بن نافع و موسى بن إسماعيل البصري ، و عبد الله بن المبارك ، مروزي، لكن من موسى بعد ذلك يكونون مصريين، في هذا الإسناد من موسى بن أيوب إلى عقبة بن عامر مصريون، و عقبة بن عامر مصري أيضا؛ لأنه نزل مصر وينسب إليها. أما الإسناد الثاني فكلهم مصريون، بخلاف الأول. ففي الإسناد الثاني إلى أن وصل إلى أبي داود مصريون، وأما الإسناد الأول فقبل أن يصل إلى أبي داود ليسوا مصريين.شرح حديث حذيفة: (... فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة قال: قلت لسليمان : أدعو في الصلاة إذا مررت بآية تخوف فحدثني عن سعد بن عبيدة عن مستورد عن صلة بن زفر عن حذيفة رضي الله عنه: (أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده: سبحان ربي الأعلى، وما مر بآية رحمة إلا وقف عندها فسأل، ولا بآية عذاب إلا وقف عندها فتعوذ)]. أورد أبو داود حديث حذيفة رضي الله عنه وهو أنه صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، ويقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، وأنه ما مر بآية فيها خوف إلا تعوذ، وما مر بآية فيها رحمة إلا وقف عندها فسأل. وهذا الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو في صلاة الليل، وبعض أهل العلم يقول: إنه يفعل ذلك في الفريضة وفي النافلة، لكن كونه لم يحفظ في الفريضة وإنما جاء في النافلة الأولى أن يؤتى به في النافلة دون الفريضة.تراجم رجال إسناد حديث حذيفة: (... فكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم، وفي سجوده سبحان ربي الأعلى...)قوله: [حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة قال: قلت لسليمان]. هو الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي مر ذكره. [فحدثني عن سعد بن عبيدة]. سعد بن عبيدة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن مستورد]. هو مستورد بن الأحنف وهو ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن صلة بن زفر]. هو صلة بن زفر العبسي وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن حذيفة

]. هو حذيفة بن اليمان رضي الله تعالى عنهما صحابي ابن صحابي، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.شرح حديث: (أن النبي كان يقول في ركوعه وسجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام حدثنا قتادة عن مطرف عن عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح)]. أورد أبو داود حديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح) فهذا كله ذكر لله عز وجل، وتنزيه وتقديس له، وثناء عليه وتمجيد له. قوله: [(رب الملائكة والروح)] الروح هو جبريل كما قال الله عز وجل: نزل به الروح الأمين [الشعراء:١٩٣] وإنما عطفه على الملائكة من باب عطف الخاص على العام، ومنه قوله عز وجل: تنزل الملائكة والروح [القدر:٤] فيكون جبريل ذكر مرتين للاهتمام به وللتنويه بشأنه، مرة ذكر مع غيره؛ لأنه واحد من الملائكة، ومرة ذكر بالتنصيص، وذكر في سورة القدر: تنزل الملائكة والروح [القدر:٤] وهو أيضا من باب عطف الخاص على العام؛ اهتماما بالخاص وتنويها بقدره.تراجم رجال إسناد حديث: (أن النبي كان يقول في ركوعه وسجوده: سبوح قدوس رب الملائكة والروح)قوله: [حدثنا مسلم بن إبراهيم]. هو مسلم بن إبراهيم الفراهيدي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا هشام]. هو هشام بن أبي عبد الله الدستوائي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا قتادة]. هو قتادة بن دعامة السدوسي البصري ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن مطرف]. هو مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عائشة]. هي عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق ، وهي واحدة من سبعة أشخاص عرفوا بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.شرح حديث (... يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس عن عاصم بن حميد عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: (قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ، قال: ثم ركع بقدر قيامه، يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك، ثم قام فقرأ بآل عمران، ثم قرأ سورة سورة)]. من المعلوم أن الركوع يعظم فيه الرب، كما جاء في ذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسجود يكثر فيه من الدعاء كما جاء ذلك في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن لا مانع في الركوع من الدعاء قليلا، ولا مانع في السجود من التعظيم لله سبحانه وتعالى أقل من الدعاء، بحيث يكون الغالب على السجود الدعاء وفيه ذكر لله عز وجل مثل: سبحان ربي الأعلى، وكذلك: سبوح قدوس الذي مر في الحديث الماضي، وكذلك هذا الحديث الذي يقول في ركوعه وسجوده: (سبحان ذي الجبروت...) إلى آخره، أي: أن كلا من السجود والركوع يأتي فيهما الذكر والدعاء، ولكن الغالب على الركوع التعظيم لله عز وجل والذكر لله سبحانه وتعالى، والغالب على السجود الدعاء، وقد جاء الجمع بين الدعاء والذكر في كل من الركوع والسجود في حديث عائشة الذي سيأتي، وفيه أن النبي عليه الصلاة والسلام بعدما أنزلت عليه: إذا جاء نصر الله والفتح [النصر:١] كان يقول في ركوعه وسجوده: (سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن) يعني: (سبحانك اللهم وبحمدك) ثناء وتعظيم لله عز وجل. وقوله: [(اللهم اغفر لي)] دعاء، فجمع بين الذكر والدعاء في الركوع والسجود. سبق أن مرت

بعض الأحاديث في هذه الترجمة وهي أحاديث تتعلق بذكر الله عز وجل والثناء عليه، وهذا الحديث الذي أورده أبو داود هنا وهو حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أنه قام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة من الليالي وصلى معه صلاة الليل، فاستفتح فقرأ بسورة البقرة، فكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل ولا بآية عذاب إلا تعوذ، ثم ركع وأطال الركوع مثل قيامه، وكان يقول فيه: (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة)، وهذا كله تعظيم لله سبحانه وتعالى. قوله: [(والملكوت)] يعني: مالك الملك ومتصرف في الكون كيف يشاء. قوله: [(والجبروت)] يعني: كونه الجبار، قهر كل شيء وغلبه. قوله: [(والعظمة)] يعني: كونه ذا عظمة، ولهذا جاء في الركوع: سبحان ربي العظيم. قوله: [(والكبرياء)] يعني: أن من صفاته سبحانه الكبرياء، وليس لأحد أن يتصف بهذه الصفة، فهذه من صفات الله سبحانه وتعالى التي اتصف بها. قوله: [(ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك)]. يعني: مثل هذا الثناء الذي هو: (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة). قوله: [(ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة)]. يعني: في كل ركعة يأتي بسورة.حكم التنويع بين أذكار الركوع والسجودولا يفهم من ذلك: أنه اقتصر على هذا الذكر دون قوله: سبحانه ربي العظيم أو سبحان ربي الأعلى، بل هذا مما جاء فيه، وأما سبحان ربي العظيم وسبحان ربي الأعلى فهذه يؤتى بها في كل ركعة، ولكن يمكن أن يجمع بينهما، يعني: (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) وبين: (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة)، ويأتي بالثناء على الله عز وجل وبالأدعية الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتنوعة في السجود، ولا يقال: يأتي بهذه تارة وبهذه تارة ولا يجمع بينها لا؛ لأن هذا موطن يطال فيه السجود ويؤتى فيه بالأدعية المختلفة، بخلاف الاستفتاح فإنه لا يطال فيه، ولا يجمع فيه بين الأدعية المختلفة التي وردت، بل يأتي بهذا أو بهذا أو بهذا، أما أن يجمع بين الأدعية المتنوعة، ويجلس مدة طويلة قبل أن يقرأ الفاتحة ليأتي بها، فلا؛ لأن هذا ليس موطنا للجمع بين تلك الأدعية المتنوعة، وكذلك مثل: ألفاظ التشهد والأذان لا يجمع بين الأنواع منها، وإنما يؤتى بهذا أحيانا وبهذا أحيانا، أما بالنسبة للسجود فلا يقال: إنه يقتصر على أحدها ويأتي بهذا مرة وبهذا مرة، وأنه لا يجمع بينها، وكذلك في الركوع لا يقال: إنه لا يجمع بين هذا وهذا، يمكن أن يقول: (سبحان ربي العظيم) ويقول: (سبوح قدوس رب الملائكة والروح) ويقول: (سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي) ويقول: (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة) كل ذلك يمكن أن يجمع؛ لأنه يجوز أن يطيل الركوع والسجود ويأتي بالأدعية المختلفة. أما سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم، فقد قال بعض أهل العلم بوجوبها وأنه لا بد منها، فلا يستعاض عنها بشيء، لكن يؤتى بها ويؤتى معها بأشياء أخرى.تراجم رجال إسناد حديث (...يقول في ركوعه: سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة...)قوله: [حدثنا أحمد بن صالح]. هو أحمد بن صالح المصري ثقة، أخرج حديثه البخاري و أبو داود و الترمذي في الشمائل. [حدثنا ابن وهب]. هو عبد الله بن وهب المصري ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا معاوية بن صالح]. معاوية بن صالح صدوق له أوهام، أخرج له البخاري في جزء القراءة، و مسلم وأصحاب السنن. [عن عمرو بن قيس]. عمرو بن قيس ثقة، أخرج له أصحاب السنن الأربعة. [عن عاصم بن حميد]. عاصم بن حميد صدوق، أخرج له أبو داود و الترمذي في الشمائل و النسائي و ابن ماجة . [عن عوف بن مالك الأشجعي]. عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.شرح حديث (...وكان يقول في ركوعه: سبحان ربي

العظيم...)قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أبو الوليد الطيالسي و علي بن الجعد قالا: حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة مولى الأنصار عن رجل من بني عبس عن حذيفة رضي الله عنه: (أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل فكان يقول: الله أكبر ثلاثا، ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة، ثم استفتح فقرأ البقرة، ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه، وكان يقول في ركوعه: سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم، ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه، يقول: لربي الحمد، ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه، فكان يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى، ثم رفع رأسه من السجود، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده، وكان يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي، فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام) شك شعبة]. أورد أبو داود حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وقد سبق أن مر، وهذه طريق أخرى عن حذيفة وفيها أنه قام وصلى معه في الليل، وقد سبق في الرواية السابقة أنه كان يتعوذ عند آية العذاب، ويسأل عند آية الرحمة، وهو مثل ما جاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي المتقدم في صلاة الليل، وكان قد أطال القراءة حيث قرأ البقرة والنساء وآل عمران، فيدل هذا الحديث على أن حذيفة صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مبين لما أجمل في الحديث المتقدم حيث لم ينص فيه على قيام الليل، وأنه عندما استفتح الصلاة كبر وقال: (الله أكبر). قوله: [(ذو الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة، ثم استفتح فقرأ سورة البقرة ثم ركع فكان في ركوعه نحوا من قيامة، وكان يقول في ركوعه: سبحان رب العظيم.. سبحان ربي العظيم)]. يعني: أنه أطال الركوع، وكان يقول في ركوعه: (سبحان ربي العظيم، سبحان ربي العظيم)، لكن لا يعني أنه لا يقول غير ذلك. قوله: [(ثم رفع رأسه من الركوع فكان قيامه نحوا من ركوعه، يقول لربي الحمد)]. وهذا فيه إطالة القيام بعد الركوع، ومن المعلوم أن هذه صلاة خاصة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: (إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء) أي: أن هذا شيء يرجع إليه وليس متعلقا بغيره أو ملاحظا فيه غيره. قوله: [(ثم سجد فكان سجوده نحوا من قيامه، فكان يقول في سجوده: سبحان ربي الأعلى)]. يعني: كان يطيل السجود، ويقول فيه: سبحان ربي الأعلى، لكنه كما هو معلوم لا يقتصر عليه، ولكن هذا مما جاء ذكره وبيانه في هذا الحديث أنه يقول: سبحان ربي الأعلى، ولهذا نجد أن كثيرا من الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول في الركوع: سبحان ربي العظيم، ويقول في السجود: سبحان ربي الأعلى، ويقول في الركوع غير ذلك، ويقول في السجود غير ذلك. قوله: [(وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده، وكان يقول: رب اغفر لي، رب اغفر لي)]. وليس معنى ذلك: أنه يقتصر عليها ولا يزيد عليها، وإنما يأتي بما ورد، ومنه كونه يستغفر الله عز وجل ويكرر ذلك. والسنة الاقتصار على ما ورد، لاسيما فيما بين السجدتين، وأما بالنسبة للسجود فله أن يدعو بما شاء، ولهذا قال في الحديث: (فأكثروا من الدعاء) فإذا سأل الله عز وجل في سجوده بما يريده من خيري الدنيا والآخرة فله ذلك، ولكن كونه يحرص على أن يكون دعاؤه بالأدعية التي جاءت عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا هو الأولى. قوله: [(فصلى أربع ركعات فقرأ فيهن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة أو الأنعام) شك شعبة]. يعني: أن الركعة الأخيرة حصل فيه شك من شعبة أحد رواة الحديث، هل هي المائدة أو الأنعام.تراجم رجال إسناد حديث (...وكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم...)قوله: [حدثنا أبو الوليد الطيالسي]. هو هشام بن عبد الملك الطيالسي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، و أبو داود يروي عنه بواسطة وبغير واسطة، وأحيانا يكنيه مع نسبته

الطيالسي كما هنا، وأحيانا يسميه فيقول: حدثنا هشام بن عبد الملك . [و علي بن الجعد]. علي بن الجعد ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود . [حدثنا شعبة]. هو شعبة بن الحجاج الواسطي ثم البصري ثقة، وصف بأنه أمير المؤمنين في الحديث، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن عمرو بن مرة]. عمرو بن مرة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي حمزة مولى الأنصار]. هو طلحة بن يزيد ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [عن رجل من بني عبس]. هنا مبهم، وقد سبق أن مر في الحديث السابق وفيه: صلة بن زفر العبسي ، فالظاهر أن هذا الذي أبهم هنا وقيل: إنه من عبس هو صلة بن زفر العبسي . وصلة بن زفر يروي عن حذيفة وهو عبسي، وهنا قال: عن رجل من بني عبس وهو صلة بن زفر ، و صلة بن زفر ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن حذيفة]. هو حذيفة بن اليمان صحابي ابن صحابي رضي الله تعالى عنهما، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. ومحل الشاهد من إيراد الحديث في باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده كونه يقول: سبحان ربي العظيم في الركوع، وسبحان ربي الأعلى في السجود، هذا هو المطابق للترجمة، وقد جاءت الأحاديث الكثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في أنه يقال في الركوع: سبحان ربي العظيم، ويقال في السجود: سبحان ربي الأعلى.الأسئلةالفرق بين أن يرقي المرء نفسه وبين أن يرقيه غيرهالسؤال: ما الفرق بين كون الرجل يرقي نفسه وبين أن يسترقي من غيره الجواب: بينهما فرق، كون المرء يرقي نفسه هو أن يقرأ وينفث على نفسه، أما كونه يسترقي فهو يطلب من غيره أن يرقيه، وذلك بأن ينفث عليه ويقرأ."". [1]

١٩٨-"""""""" صفحة رقم ٢١١ """""""أنفسكم . وقد يكون جهاد النفس منعها الشهوات المباحة توفيرا لها فى الآخرة ؛ لئلا تدخل فى معنى قوله : (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) [الأحقاف : ٢٠] الآية ، وعلى هذا جرى سلف الأمة ، وقال سالم الخواص : أوحى الله إلى داود : لا تقرب الشهوات ، فإنى خلقتها لضعفاء خلقى ، فإن أنت قربتها ، أهون ما أصنع بك أسلبك حلاوة مناجاتى ، يا داود ، قل لبنى إسرائيل ، لا تقربوا الشهوات ، فالقلب المحجوب بالشهوات حجبت صوته عنى . قد تقدم معنى قوله : (هل تدرى ما حق الله على عباده) فى باب من أجاب بلبيك وسعديك فى كتاب الاستئذان ، وسنأتى بزيادة فى بيانه فى باب قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) [هود : ٧] فى كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى .٣٣ - باب التواضع/ ٧٤ - فيه : أنس ، كانت ناقة النبى ، لا تسبق ، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا : سبقت العضباء ، فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه) . / ٧٥ - وفيه : أبو هريرة ، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله تعالى قال : من عادى لى وليا ، فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله". [2]

---

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد ص/٢

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال ٢١١/١٠

١٩٩-"١ – أنها مما تنال به محبة الله ، كما في حديث أبي هريرة وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** . رواه البخاري . ٢ — أنها مما يسد بها خلل ونقص الصلاة المفروضة . كما في قوله عليه الصلاة والسلام : إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة . قال : يقول ربنا جل وعز لملائكته – وهو أعلم – : انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة ، وإن كان انتقص منها شيئا قال : انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه ، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم . رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه . ٥ = الأفضل في صلاة النوافل عموما أن تكون في البيوت ؛ لما في ذلك من الفوائد الكثيرة ، ومنها :أ — أنه أقرب إلى الإخلاص ، ولذا فإن الأفضل للمصلي أن يصلي السنن حيث لا يراه الناس لقوله عليه الصلاة والسلام : أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة . رواه البخاري ومسلم .ورواه أبو داود بلفظ : صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة .وقال صلى الله عليه وسلم : فضل صلاة الرجل في بيته على صلاته حيث يراه الناس ، كفضل المكتوبة على النافلة . رواه الطبراني في الكبير ، وهو في صحيح الترغيب .ويستثنى من ذلك صلاة التراويح والتهجد لورود النص في الصلاة مع الإمام حتى ينصرف .ب — أن لا تشبه البيوت بالمقابر التي لا يصلى فيها ، لقوله عليه الصلاة والسلام : اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم ولا تتخذوها قبورا . رواه البخاري ومسلم .جـ – أن يكون الإنسان قدوة لأهل بيته ، فيقتدي به الصبيان ويرونه يصلي فيصلون معه .ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : إذا قضى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته ، فإن الله جاعل في بيته من صلاته خيرا . رواه مسلم .٦ = الصلاة بعد الجمعة سنة وليست من السنن الرواتب". (١)

٢٠٠-"ويؤخذ من كل ذلك إثبات الذات لله جل وعلا وقد حكى ابن تيمية الإجماع على تفسير قول الله جل وعلا ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾آل عمران٢٨ ،أي ذاته ، حكاه بن تيميه إجماعا وهذا في نفس الوقت لا ينافي إثبات صفة النفس لله جل ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ﴾المائدة١١٦،ويؤخذ من ذلك مشروعية التقرب بالنوافل وقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري وغيره من طريق خالد بن مخلد القطواني قال حدثنا سليمان بن بلال عن شريك عن عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه (قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته) .قوله جل وعلا (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل) أي من صدقة أو صلاة أو صيام أو ذكر أو نفع **للآخرين حتى أحبه فإن** التقرب إلى الله جل وعلا بالطاعات سبب لمحبة الله للعبد .ويؤخذ من هذا أن الأعمال سبب لدخول الجنة قال تعالى ﴿ جزاء بما كانوا يعملون ﴾السجدة١٧،فالباء سببيه جزاء بما كانوا يعملون . الباء في هذا الموضع باء السببية ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة أحد منكم بعمله) قالوا ولا أنت يا رسول الله قال (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله

(١) شرح عمدة الاحكام من أوله إلى كتاب الجمعة من جامع ابن تيمية ١/ ٢١١

برحمته)، وهذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فالمنفي هنا هو باء العوض .٣٨ - باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الباقي من شعبان لحال رمضان". (١)

٢٠١-"٢٠٥٦ - حدثني (محمد بن عثمان) حدثنا (خالد بن مخلد) حدثنا (سليمان بن بلال) حدثني (شريك بن عبد الله بن أبي نمر) عن (عطاء) عن (أبي هريرة) قال قال رسول الله إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته لأعيذنهقيل لا مطابقة بين هذا الحديث والترجمة حتى قال الداودي ليس هذا الحديث من التواضع في شيء وقال صاحب (التلويح) لا أدري ما مطابقته لها لأنه لا ذكر فيه للتواضع ولا لما يقرب منه وقيل المناسب إدخاله في الباب الذي قبله وهو مجاهدة المرء نفسه في طاعة الله وأجابوا عن ذلك فقال الكرماني التقرب بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع والتذلل للرب تعالىقلت قد سبقه بهذا صاحب (التلويح) فإنه قال التقرب إلى الله بالنوافل حتى يستحقوا المحبة من الله تعالى لا يكون إلا بغاية التواضع والتذلل للرب عز وجل ثم قال وفيه بعد لأن النوافل إنما يزكي ثوابها عند الله لمن حافظ على فرائضه وقيل الترجمة مستفادة مما قال كنت سمعه ومن التردد وقال بعضهم تستفاد الترجمة من لازم قوله من عادى لي وليا لأنه يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستلزم لموالاتهم وموالاة جميع الأولياء لا تتأتى إلا بغاية التواضع إذ فيهم الأشعث الأغبر الذي لا يؤبه له انتهى". (٢)

٢٠٢-"""""""" صفحة رقم ٤٠ """"""عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)) - وذكر الحديث .خرجه البخاري في " الرقاق " من " كتابه " هذا .وقال عمر بن الخطاب : أفضل الأعمال أداء ما فرض الله .وكذا قال عمر بن عبد العزيز في خطبته .فدل حديث ابن مسعود هذا على أن أفضل الأعمال وأقربها إلى الله وأحبها إليه الصلاة على مواقيتها المؤقتة لها .وقد روي في هذا الحديث زيادة ، وهي : ((الصلاة في أول وقتها)) ، وقد خرجها ابن خزيمة وابن حبان في " صحيحهما " والحاكم والدارقطني من طرق متعددة .ورويت من حديث عثمان بن عمر ، عن مالك بن مغول ، [و] من حديث علي بن حفص المدائني ، عن شعبة ، ورويت عن شعبة من وجه آخر ، وفيه نظر ، ورويت من وجوه أخر .واستدل بذلك على أن الصلاة في أول الوقت أفضل ، كما استدل لحديث أم فروة ، عن النبي (، أنه سئل : أي العمل أفضل قال : ((الصلاة لأول وقتها)) .خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي .وفي إسناده اضطراب - : قاله الترمذي والعقيلي .وقد روي نحوه من حديث ابن عمر ، إلا أن إسناده وهم ، وإنما هو حديث". (٣)

٢٠٣-"وضع في الأرض" والصيت بكسر الصاد المهملة وسكون التحتانية بعدها مثناة أصله الصوت كالريح من الروح، والمراد به الذكر الجميل، وربما قيل لضده لكن بقيد. قوله: "أبو عاصم" هو النبيل، وهو من كبار شيوخ البخاري وربما

---

(١) شرح كتاب الصيام من سنن الترمذي - العلوان ص/٣٩٦

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٨٨/٣٣

(٣) فتح الباري . لابن رجب موافقا للمطبوع ٤٠/٣

روى عنه بواسطة مثل هذا، فقد علقه في بدء الخلق لأبي عاصم وقد نبهت عليه ثم. قوله: "عن نافع" هو مولى ابن عمر، قال البزار بعد أن أخرجه عن عمرو بن علي الفلاس شيخ البخاري فيه: لم يروه عن نافع إلا موسى بن عقبة، ولا عن موسى إلا ابن جريج. قلت: وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثوبان عند أحمد والطبراني في "الأوسط" وأبو أمامة عند أحمد، ورواه عن أبي هريرة أبو صالح عند المصنف في التوحيد وأخرجه مسلم والبزار. قوله: "إذا أحب الله العبد" وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها، ففي حديث ثوبان "إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول: يا جبريل إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي غلبت عليه" الحديث أخرجه أحمد والطبراني في "الأوسط" ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقاق ففيه: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" الحديث. قوله: "إن الله يحب فلانا فأحبه" بفتح الموحدة المشددة ويجوز الضم، ووقع في حديث ثوبان "فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، وتقوله حملة العرش". قوله: " فينادي جبريل في أهل السماء الخ " في حديث ثوبان أهل السماوات السبع. قوله: "ثم يوضع له القبول في أهل الأرض" زاد الطبراني في حديث ثوبان "ثم يهبط إلى الأرض، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ وثبتت هذه الزيادة في آخر هذا الحديث عند الترمذي وابن حاتم من طريق سهيل عن أبيه، وقد أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ، وزاد مسلم فيه: "وإذا أبغض عبدا دعا جبريل" فساقه على منوال الحب وقال في آخره: "ثم يوضع له البغضاء في الأرض" ونحوه في حديث أبي أمامة عند أحمد، وفي حديث ثوبان عند الطبراني "وإن العبد يعمل بسخط الله فيقول الله يا جبريل إن فلانا يستسخطني" فذكر الحديث على منوال الحب أيضا وفيه: "فيقول جبريل: سخطة الله على فلان" وفي آخره مثل ما في الحب "حتى يقوله أهل السماوات السبع، ثم يهبط إلى الأرض" وقوله: "يوضع له القبول" هو من قوله تعالى: ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ أي رضيها، قال المطرزي: القبول مصدر لم أسمع غيره بالفتح؛ وقد جاء مفسرا في رواية القعنبي "فيوضع له المحبة" والقبول الرضا بالشيء وميل النفس إليه. وقال ابن القطاع: قبل الله منك قبولا والشيء والهدية أخذت. والخبر صدق، وفي التهذيب: عليه قبول إذا كانت العين تقبله، والقبول من الريح الصبا لأنها تستقبل الدبور، والقبول أن يقبل العفو والعافية وغير ذلك، وهو اسم للمصدر أميت الفعل منه. وقال أبو عمرو بن العلاء: القبول بفتح القاف لم أسمع غيره، يقال فلان عليه قبول إذا قبلته النفس، وتقبلت الشيء قبولا. ونحوه لابن الأعرابي وزاد: قبلته قبولا بالفتح والضم، وكذا قبلت هديته عن اللحياني. قال ابن بطال: في هذه الزيادة رد على ما يقوله القدرية إن الشر من فعل العبد وليس من خلق الله انتهى. والمراد بالقبول في حديث الباب قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله، ويؤيده ما تقدم في الجنائز "أنتم شهداء الله في الأرض" والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له، وبمحبة الملائكة استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعا لله محبا له، ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن، وقد تطلق محبة الله تعالى للشيء على إرادة إيجاده وعلى إرادة تكميله، والمحبة التي في هذا الباب من القبيل الثاني، وحقيقة المحبة". (١)

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز ٤٦٢/١٠

٢٠٤-"٥٥٨٠ – قوله : (أبو عاصم)هو النبيل ، وهو من كبار شيوخ البخاري وربما روى عنه بواسطة مثل هذا ، فقد علقه في بدء الخلق لأبي عاصم وقد نبهت عليه ثم .قوله : (عن نافع)هو مولى ابن عمر ، قال البزار بعد أن أخرجه عن عمرو بن علي الفلاس شيخ البخاري فيه : لم يروه عن نافع إلا موسى بن عقبة ، ولا عن موسى إلا ابن جريج . قلت : وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثوبان عند أحمد والطبراني في " الأوسط " وأبو أمامة عند أحمد ، ورواه عن أبي هريرة أبو صالح عند المصنف في التوحيد وأخرجه مسلم والبزار .قوله : (إذا أحب الله العبد)وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها ، ففي حديث ثوبان " إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول : يا جبريل إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي غلبت عليه " الحديث أخرجه أحمد والطبراني في " الأوسط " ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقاق ففيه : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " الحديث .قوله : (إن الله يحب فلانا فأحبه)بفتح الموحدة المشددة ويجوز الضم ، ووقع في حديث ثوبان " فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ، وتقوله حملة العرش " .قوله : (فينادي جبريل في أهل السماء إلخ)في حديث ثوبان أهل السماوات السبع .قوله : (ثم يوضع له القبول في أهل الأرض)زاد الطبراني في حديث ثوبان " ثم يهبط إلى الأرض ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) وثبتت هذه الزيادة في آخر هذا الحديث عند الترمذي وابن حاتم من طريق سهيل عن أبيه ، وقد أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ ، وزاد مسلم فيه " وإذا أبغض عبدا دعا جبريل " فساقه على منوال الحب وقال في آخره " ثم يوضع له البغضاء في الأرض " ونحوه في حديث أبي أمامة عند أحمد ، وفي حديث ثوبان عند الطبراني " وإن العبد يعمل بسخط الله فيقول الله يا جبريل إن فلانا يستسخطني " فذكر الحديث على منوال الحب أيضا وفيه " فيقول جبريل : سخطة الله على فلان " وفي آخره مثل ما في الحب " حتى يقوله أهل السماوات السبع ، ثم يهبط إلى الأرض " وقوله : " يوضع له القبول " هو من قوله تعالى : (فتقبلها ربها بقبول حسن) أي رضيها ، قال المطرزي : القبول مصدر لم أسمع غيره بالفتح ؛ وقد جاء مفسرا في رواية القعنبي " فيوضع له المحبة " والقبول الرضا بالشيء وميل النفس إليه ، وقال ابن القطاع : قبل الله منك قبولا والشيء والهدية أخذت . والخبر صدق ، وفي التهذيب : عليه قبول إذا كانت العين تقبله ، والقبول من الريح الصبا لأنها تستقبل الدبور ، والقبول أن يقبل العفو والعافية وغير ذلك ، وهو اسم للمصدر أميت الفعل منه . وقال أبو عمرو بن العلاء : القبول بفتح القاف لم أسمع غيره ، يقال فلان عليه قبول إذا قبلته النفس ، وتقبلت الشيء قبولا . ونحوه لابن الأعرابي وزاد : قبلته قبولا بالفتح والضم ، وكذا قبلت هديته عن اللحياني . قال ابن بطال : في هذه الزيادة رد على ما يقوله القدرية إن الشر من فعل العبد وليس من خلق الله انتهى . والمراد بالقبول في حديث الباب قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه ، ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله ، ويؤيده ما تقدم في الجنائز " أنتم شهداء الله في الأرض " والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له ، وبمحبة الملائكة استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعا لله محبا له ، ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن ، وقد تطلق محبة الله تعالى للشيء على إرادة إيجاده وعلى إرادة تكميله ، والمحبة التي في هذا الباب من القبيل الثاني ، وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به

وجدانا لا يمكن التعبير عنه ، والحب على ثلاثة أقسام : إلهي وروحاني وطبيعي ، وحديث الباب يشتمل على هذه الأقسام الثلاثة ، فحب الله العبد حب إلهي ، وحب جبريل والملائكة له حب روحاني ، وحب العباد له حب طبيعي .". (١)

٢٠٥-"٦٠٢١ – قوله (محمد بن عثمان بن كرامة)بفتح الكاف والراء الخفيفة هو من صغار شيوخ البخاري ، وقد شاركه في كثير من شيوخه منهم خالد بن مخلد شيخه في هذا الحديث ، فقد أخرج عنه البخاري كثيرا بغير واسطة منها في " باب الاستعاذة من الجبن " في كتاب الدعوات وهو أقربها إلى هذا .قوله (عن عطاء)هو ابن يسار ، ووقع كذلك في بعض النسخ ، وقيل هو ابن أبي رباح والأول أصح نبه على ذلك الخطيب ، وساق الذهبي في ترجمة خالد من الميزان بعد أن ذكر قول أحمد فيه له مناكير ، وقول أبي حاتم لا يحتج به ، وأخرج ابن عدي عشرة أحاديث من حديثه استنكرها : هذا الحديث من طريق محمد بن مخلد عن محمد بن عثمان بن كرامة شيخ البخاري فيه وقال : هذا حديث غريب جدا لولا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد ، فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الإسناد ولا خرجه من عدا البخاري ولا أظنه في مسند أحمد . قلت : ليس هو في مسند أحمد جزما ، وإطلاق أنه لم يرو هذا المتن إلا بهذا الإسناد مردود ، ومع ذلك فشريك شيخ شيخ خالد فيه مقال أيضا ، وهو راوي حديث المعراج الذي زاد فيه ونقص وقدم وأخر وتفرد فيه بأشياء لم يتابع عليها كما يأتي القول فيه مستوعبا في مكانه ، ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلا ، منها عن عائشة أخرجه أحمد في " الزهد " وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في " الحلية " والبيهقي في " الزهد " من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها ، وذكر ابن حبان وابن عدي أنه تفرد به ، وقد قال البخاري إنه منكر الحديث ، لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب بن مجاهد عن عروة وقال : لم يروه عن عروة إلا يعقوب وعبد الواحد . ومنها عن أبي أمامة أخرجه الطبراني والبيهقي في " الزهد " بسند ضعيف . ومنها عن علي عند الإسماعيلي في مسند علي ، وعن ابن عباس أخرجه الطبراني وسندهما ضعيف ، وعن أنس أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني وفي سنده ضعف أيضا ، وعن حذيفة أخرجه الطبراني مختصرا وسنده حسن غريب ، وعن معاذ بن جبل أخرجه ابن ماجه وأبو نعيم في " الحلية " مختصرا وسنده ضعيف أيضا ، وعن وهب بن منبه مقطوعا أخرجه أحمد في " الزهد " وأبو نعيم في " الحلية " وفيه تعقب على ابن حبان حيث قال بعد إخراج حديث أبي هريرة : لا يعرف لهذا الحديث إلا طريقان يعني غير حديث الباب وهما هشام الكناني عن أنس وعبد الواحد بن ميمون عن عروة عن عائشة وكلاهما لا يصح ، وسأذكر ما في رواياتهم من فائدة زائدة .قوله (إن الله تعالى)قال الكرماني : هذا من الأحاديث القدسية ، وقد تقدم القول فيها قبل ستة أبواب . قلت : وقد وقع في بعض طرقه أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل وذلك في حديث أنس .قوله (من عادى لي وليا)المراد بولي الله العالم بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته . وقد استشكل وجود أحد يعاديه لأن المعاداة إنما تقع من الجانبين ومن شأن الولي الحلم والصفح عمن يجهل عليه ، وأجيب بأن المعاداة لم تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية مثلا بل قد تقع عن بغض ينشأ عن التعصب كالرافضي في بغضه لأبي بكر ، والمبتدع في بغضه للسني ، فتقع المعاداة من الجانبين ، أما من جانب الولي فلله تعالى وفي الله ، وأما من جانب الآخر فلما تقدم . وكذا الفاسق المتجاهر

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١٩١/١٧

ببغضه الولي في الله وببغضه الآخر لإنكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته . وقد تطلق المعاداة ويراد بها الوقوع من أحد الجانبين بالفعل ومن الآخر بالقوة ، قال الكرماني : قوله " لي " هو في الأصل صفة لقوله " وليا " لكنه لما تقدم صار حالا . وقال ابن هبيرة في " الإفصاح " قوله " عادى لي وليا " أي اتخذه عدوا ، ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته وهو إن تضمن التحذير من إيذاء قلوب أولياء الله ليس على الإطلاق بل يستثنى منه ما إذا كانت الحال تقتضي نزاعا بين وليين في مخاصمة أو محاكمة ترجع إلى استخراج حق أو كشف غامض ، فإنه جرى بين أبي بكر وعمر مشاجرة ، وبين العباس وعلي ، إلى غير ذلك من الوقائع انتهى ملخصا موضحا . وتعقبه الفاكهاني بأن معاداة الولي لكونه وليا لا يفهم إلا إن كان على طريق الحسد الذي هو تمني زوال ولايته وهو بعيد جدا في حق الولي فتأمله قلت : والذي قدمته أولى أن يعتمد ، قال ابن هبيرة : ويستفاد من هذا الحديث تقديم الإعذار على الإنذار وهو واضح .قوله (فقد آذنته)بالمد وفتح المعجمة بعدها نون أي أعلمته ، والإيذان الإعلام ، ومنه أخذ الأذان .قوله (بالحرب)في رواية الكشميهني " بحرب " ووقع في حديث عائشة " من عادى لي وليا " وفي رواية لأحمد " من آذى لي وليا " وفي أخرى له " من آذى " وفي حديث ميمونة مثله " فقد استحل محاربتي " وفي رواية وهب بن منبه موقوفا " قال الله من أهان وليي المؤمن فقد استقبلني بالمحاربة " وفي حديث معاذ " فقد بارز الله بالمحاربة " وفي حديث أبي أمامة وأنس " فقد بارزني " وقد استشكل وقوع المحاربة وهي مفاعلة من الجانبين مع أن المخلوق في أسر الخالق ، والجواب أنه من المخاطبة بما يفهم ، فإن الحرب تنشأ عن العداوة والعداوة تنشأ عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب ، فكأن المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه . فأطلق الحرب وأراد لازمه أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب . قال الفاكهاني : في هذا تهديد شديد ، لأن من حاربه الله أهلكه ، وهو من المجاز البليغ ، لأن من كره من أحب الله خالف الله ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه ، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب الموالاة ، فمن والى أولياء الله أكرمه الله . وقال الطوفي : لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة والتقوى تولاه الله بالحفظ والنصرة ، وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق وصديق العدو عدو ، فعدو ولي الله عدو الله فمن عاداه كان كمن حاربه ومن حاربه فكأنما حارب الله .قوله (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه)يجوز في " أحب " الرفع والنصب ، ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية ، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته ، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله افترضت عليه ، إلا إن أخذ من جهة المعنى الأعم ، ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله . قال الطوفي : الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل ، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبا ، وأيضا فالفرض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء ، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل ، والذي يؤدي الفرائض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته .قوله (وما زال)في رواية الكشميهني " وما يزال " بصيغة المضارعة .قوله (يتقرب إلي)التقرب طلب القرب ، قال أبو القاسم القشيري : قرب العبد من ربه يقع أولا بإيمانه ، ثم بإحسانه . وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه ، وفي الآخرة من رضوانه ، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه . ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من

الخلق . قال : وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص ، وبالتأنيس خاص بالأولياء . ووقع في حديث أبي أمامة " يتحبب إلى " بدل " يتقرب " وكذا في حديث ميمونة .قوله (بالنوافل حتى أحببته)في رواية الكشميهني " أحبه " ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل ، وقد استشكل بما تقدم أولا أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ، ويؤيده أن في رواية أبي أمامة " ابن آدم . إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك " وقال الفاكهاني : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى . وقال ابن هبيرة : يؤخذ من قوله " ما تقرب إلخ " أن النافلة لا تقدم على الفريضة ، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة ، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى . وأيضا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ما عليه من دين . وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم " انظروا هل لعبدي من تطوع فتكمل به فريضته " الحديث بمعناه فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها كما قال بعض الأكابر : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .قوله (فكنت سمعه الذي يسمع)زاد الكشميهني " به " .قوله (وبصره الذي يبصر به)في حديث عائشة في رواية عبد الواحد " عينه التي يبصر بها " وفي رواية يعقوب بن مجاهد " عينيه التي يبصر بهما " بالتثنية وكذا قال في الأذن واليد والرجل ، وزاد عبد الواحد في روايته " وفؤاده الذي يعقل به ، ولسانه الذي يتكلم به " ونحوه في حديث أبي أمامة وفي حديث ميمونة " وقلبه الذي يعقل به " وفي حديث أنس " ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا " وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ والجواب من أوجه : أحدها أنه ورد على سبيل التمثيل ، والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح : ثانيها أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به . ثالثها المعنى أحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ . رابعها كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه خامسها قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه ابن هبيرة : هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف ، والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه ، وحافظ بصره كذلك إلخ . سادسها قال الفاكهاني : يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله ، وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه ، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي ، والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك ، وبمعناه قال ابن هبيرة أيضا . وقال الطوفي : اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته ، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية " فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " قال : والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد ، واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية ، قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر ، قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا . وقال الخطابي : هذه أمثال

والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء ، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ، ومن البطش فيما لا يحل له بيده ، ومن السعي إلى الباطل برجله . وإلى هذا نحا الداودي ، ومثله الكلاباذي ، وعبر بقوله أحفظه فلا يتصرف إلا في محابي ، لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه . سابعها قال الخطابي أيضا : وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب ، وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة . وقال بعضهم : وهو منتزع مما تقدم لا يتحرك له جارحة إلا في الله ولله ، فهي كلها تعمل بالحق للحق . وأسند البيهقي في " الزهد " عن أبي عثمان الجيزي أحد أئمة الطريق قال : معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الأسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي . وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو ، وأنه الغاية التي لا شيء وراءها ، وهو أن يكون قائما بإقامة الله له محبا بمحبته له ناظرا بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف ، ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى ، قام ومحبته **له حتى أحبه ونظره** إلى عبده حتى أقبل ناظرا إليه بقلبه . وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق ، تعالى الله عن ذلك ، وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج ، وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القائلين بالوحدة المطلقة لقوله في بقية الحديث " ولئن سألني ، ولئن استعاذني " فإنه كالصريح في الرد عليهم .قوله (وإن سألني)زاد في رواية عبد الواحد " عبدي " .قوله (أعطيته)أي ما سأل .قوله (ولئن استعاذني)ضبطناه بوجهين الأشهر بالنون بعد الذال المعجمة والثاني بالموحدة والمعنى أعذته مما يخاف ، وفي حديث أبي أمامة " وإذا استنصر بي نصرته " وفي حديث أنس " نصحني فنصحت له " ويستفاد منه أن المراد بالنوافل جميع ما يندب من الأقوال والأفعال . وقد وقع في حديث أبي أمامة المذكور " وأحب عبادة عبدي إلى النصيحة " وقد استشكل بأن جماعة من العباد والصلحاء دعوا وبالغوا ولم يجابوا ، والجواب أن الإجابة تتنوع : فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور ، وتارة يقع ولكن يتأخر لحكمة فيه ، وتارة قد تقع الإجابة ولكن بغير عين المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة أو أصلح منها . وفي الحديث عظم قدر الصلاة فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها ، وذلك لأنها محل المناجاة والقربة ، ولا واسطة فيها بين العبد وربه ، ولا شيء أقر لعين العبد منها ولهذا جاء في حديث أنس المرفوع " وجعلت قرة عيني في الصلاة " أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح ، ومن كانت قرة عينه في شيء فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه لأن فيه نعيمه وبه تطيب حياته ، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب ، فإن السالك غرض الآفات والفتور . وفي حديث حذيفة من الزيادة " ويكون من أوليائي وأصفيائي ، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة " وقد تمسك بهذا الحديث بعض الجهلة من أهل التجلي والرياضة فقالوا : القلب إذا كان محفوظا مع الله كانت خواطره معصومة من الخطأ . وتعقب ذلك أهل التحقيق من أهل الطريق فقالوا : لا يلتفت إلى شيء من ذلك إلا إذا وافق الكتاب والسنة ، والعصمة إنما هي للأنبياء ومن عداهم فقد يخطئ ، فقد كان عمر رضي الله عنه رأس الملهمين

ومع ذلك فكان ربما رأى الرأي فيخبره بعض الصحابة بخلافه فيرجع إليه ويترك رأيه . فمن ظن أنه يكتفي بما يقع في خاطره عما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام فقد ارتكب أعظم الخطإ ، وأما من بالغ منهم فقال : حدثني قلبي عن ربي فإنه أشد خطأ فإنه لا يأمن أن يكون قلبه إنما حدثه عن الشيطان ، والله المستعان . قال الطوفي : هذا الحديث أصل في السلوك إلى الله والوصول إلى معرفته ومحبته وطريقه ، إذ المفترضات الباطنة وهي الإيمان والظاهرة وهي الإسلام والمركب منهما وهو الإحسان فيهما كما تضمنه حديث جبريل ، والإحسان يتضمن مقامات السالكين من الزهد والإخلاص والمراقبة وغيرها ، وفي الحديث أيضا أن من أتى بما وجب عليه وتقرب بالنوافل لم يرد دعاؤه لوجود هذا الوعد الصادق المؤكد بالقسم ، وقد تقدم الجواب عما يتخلف من ذلك ، وفيه أن العبد ولو بلغ أعلى الدرجات حتى يكون محبوبا لله لا ينقطع عن الطلب من الله لما فيه من الخضوع له وإظهار العبودية ، وقد تقدم تقرير هذا واضحا في أوائل كتاب الدعوات .قوله (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن)وفي حديث عائشة " ترددي عن موته " ووقع في " الحلية " في ترجمة وهب بن منبه " إني لأجد في كتب الأنبياء أن الله تعالى يقول : ما ترددت عن شيء قط ترددي عن قبض روح المؤمن إلخ " قال الخطابي : التردد في حق الله غير جائز ، والبداء عليه في الأمور غير سائغ . ولكن له تأويلان : أحدهما أن العبد قد يشرف على الهلاك في أيام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها ، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمرا ثم يبدو له فيه فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله ، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه واستأثر بالبقاء لنفسه . والثاني أن يكون معناه ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إياهم في نفس المؤمن ، كما روى في قصة موسى وما كان من لطمة عين ملك الموت وتردده إليه مرة بعد أخرى ، قال : وحقيقة المعنى على الوجهين عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه . وقال الكلاباذي ما حاصله : أنه عبر عن صفة الفعل بصفة الذات ، أي عن الترديد بالتردد ، وجعل متعلق الترديد اختلاف أحوال العبد من ضعف ونصب إلى أن تنتقل محبته في الحياة إلى محبته للموت فيقبض على ذلك . قال : وقد يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه والمحبة للقائه ما يشتاق معه إلى الموت فضلا عن إزالة الكراهة عنه ، فأخبر أنه يكره الموت ويسوءه ، ويكره الله مساءته فيزيل عنه كراهية الموت لما يورده عليه من الأحوال فيأتيه الموت وهو له مؤثر وإليه مشتاق . قال : وقد ورد تفعل بمعنى فعل مثل تفكر وفكر وتدبر ودبر وتهدد وهدد والله أعلم . وعن بعضهم : يحتمل أن يكون تركيب الولي يحتمل أن يعيش خمسين سنة وعمره الذي كتب له سبعون فإذا بلغها فمرض دعا الله بالعافية فيحييه عشرين أخرى مثلا ، فعبر عن قدر التركيب وعما انتهى إليه بحسب الأجل المكتوب بالتردد ، وعبر ابن الجوزي عن الثاني بأن التردد للملائكة الذين يقبضون الروح وأضاف الحق ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره ، قال : وهذا التردد ينشأ عن إظهار الكراهة . فإن قيل إذا أمر الملك بالقبض كيف يقع منه التردد فالجواب أنه يتردد فيما يحد له فيه الوقت . كأن يقال لا تقبض روحه إلا إذا رضي . ثم ذكر جوابا ثالثا وهو احتمال أن يكون معنى التردد اللطف به كأن الملك يؤخر القبض ، فإنه إذا نظر إلى قدر المؤمن وعظم المنفعة به لأهل الدنيا احترمه فلم يبسط يده إليه ، فإذا ذكر أمر ربه لم يجد بدا من امتثاله . وجوابا رابعا وهو أن يكون هذا خطابا لنا بما نعقل والرب منزه عن حقيقته ، بل هو من جنس قوله " ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " فكما أن أحدنا يريد أن يضرب ولده تأديبا فتمنعه المحبة وتبعثه الشفقة فيتردد بينهما ولو كان غير الوالد كالمعلم لم يتردد بل كان يبادر إلى ضربه لتأديبه فأريد

تفهيمنا تحقيق المحبة للولي بذكر التردد . وجوز الكرماني احتمالا آخر وهو أن المراد أنه يقبض روح المؤمن بالتأني والتدريج ، بخلاف سائر الأمور فإنها تحصل بمجرد قول كن سريعا دفعة .قوله (يكره الموت وأنا أكره مساءته)في حديث عائشة " إنه يكره الموت وأنا أكره مساءته " زاد ابن مخلد عن ابن كرامة في آخره " ولا بد له منه " ووقعت هذه الزيادة أيضا في حديث وهب ، وأسند البيهقي في " الزهد " عن الجنيد سيد الطائفة قال : الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته وكربه ، وليس المعنى أني أكره له الموت لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته انتهى . وعبر بعضهم عن هذا بأن الموت حتم مقضي ، وهو مفارقة الروح للجسد ، ولا تحصل غالبا إلا بألم عظيم جدا كما جاء عن عمرو بن العاص أنه سئل وهو يموت فقال : "كأني أتنفس من خرم إبرة ، وكأن غصن شوك يجر به من قامتي إلى هامتي " وعن كعب أن عمر سأله عن الموت فوصفه بنحو هذا ، فلما كان الموت بهذا الوصف ، والله يكره أذى المؤمن ، أطلق على ذلك الكراهة . ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر ، وتنكس الخلق والرد إلى أسفل سافلين . وجوز الكرماني أن يكون المراد أكره مكرهه الموت فلا أسرع بقبض روحه فأكون كالمتردد . قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء : في هذا الحديث عظم قدر الولي ، لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه ، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق توكله . قال : ويؤخذ منه أن لا يحكم لإنسان آذى وليا ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده بأنه سلم من انتقام الله ، فقد تكون مصيبته في غير ذلك مما هو أشد عليه كالمصيبة في الدين مثلا . قال : ويدخل في قوله " افترضت عليه " الفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات ، وتركا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات ، والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه وغير ذلك . وهي تنقسم أيضا إلى أفعال وتروك . قال : وفيه دلالة على جواز اطلاع الولي على المغيبات بإطلاع الله تعالى له ، ولا يمنع من ذلك ظاهر قوله تعالى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ﴾ فإنه لا يمنع دخول بعض أتباعه معه بالتبعية لصدق قولنا ما دخل على الملك اليوم إلا الوزير ، ومن المعلوم أنه دخل معه بعض خدمه . قلت الوصف المستثنى للرسول هنا إن كان فيما يتعلق بخصوص كونه رسولا فلا مشاركة لأحد من أتباعه فيه إلا منه ، وإلا فيحتمل ما قال ، والعلم عند الله تعالى .(تنبيه) :أشكل وجه دخول هذا الحديث في باب التواضع حتى قال الداودي : ليس هذا الحديث من التواضع في شيء ، وقال بعضهم : المناسب إدخاله في الباب الذي قبله وهو مجاهدة المرء نفسه في طاعة الله تعالى ، وبذلك ترجم البيهقي في " الزهد " فقال : فصل في الاجتهاد في الطاعة وملازمة العبودية . والجواب عن البخاري من أوجه : أحدها أن التقرب إلى الله بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع لله والتوكل عليه ، ذكره الكرماني ، ثانيها ذكره أيضا فقال : قيل الترجمة مستفادة مما قال "كنت سمعه " ومن التردد . قلت : ويخرج منه جواب ثالث ، ويظهر لي رابع ، وهو أنها تستفاد من لازم قوله " من عادى لي وليا " لأنه يقتضي الزجر عن معاداة الأولياء المستلزم لموالاتهم ، وموالاة جميع الأولياء لا تتأتى إلا بغاية التواضع ، إذ منهم الأشعث الأغبر الذي لا يؤبه له وقد ورد في الحث على التواضع عدة أحاديث صحيحة لكن ليس شيء منها على شرطه فاستغنى عنها بحديثي الباب ، منها حديث عياض بن حمار رفعه " إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد " أخرجه مسلم وأبو داود وغيرهما ، ومنها حديث أبي هريرة رفعه " وما تواضع أحد لله تعالى إلا رفعه " أخرجه مسلم أيضا

والترمذي ، ومنها حديث أبي سعيد رفعه " من تواضع لله رفعه الله حتى يجعله في أعلى عليين " الحديث أخرجه ابن ماجه وصححه ابن حبان". [١]

٢٠٦-"٥- بابفضل الصلاة لوقتها٥٢٧- حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك: ثنا شعبة، قال: الوليد بن العيزار أخبرني، قال: سمعت أبا عمرو الشيباني يقول: ثنا صاحب هذه الدار- وأشار إلى دار عبد الله-،قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - : أي العمل أحب إلى الله قال: ((الصلاة على وقتها)). قال: ثم أي قال: ((ثم بر الوالدين)). قال: ثم أي قال: ((الجهاد في سبيل الله)). قال: حدثني بهن، ولو استزدته لزداني.وخرجه بهذا الإسناد بعينه في "كتاب البر والصلة".وخرجه أول " الجهاد" من طريق مالك بن مغول، عن الوليد، به، ولفظه: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - : أي العمل أفضل قال: قال: ((الصلاة على ميقاتها)) - وذكر باقيه بمعناه.وفي رواية لمسلم من حديث أبي يعفور، عن الوليد- بهذا الإسناد-، قلت: يا نبي الله، أي الأعمال أقرب إلى الجنة قال: ((الصلاة على مواقيتها)) - وذكر باقية.وهذه الألفاظ متقاربة المعنى أو متحدة؛ لأن ما كان من الأعمال أحب إلى الله فهو أفضل الأعمال، وهو أقرب إلى الجنة من غيره؛ فإن ما كان أحب إلى الله فعامله أقرب إلى الله من غيره، كما في حديث أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه، قال: ((ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) - وذكر الحديث.خرجه البخاري في " الرقاق" من "كتابه" هذا.وقال عمر بن الخطاب: أفضل الأعمال أداء ما فرض الله .وكذا قال عمر بن عبد العزيز في خطبته.فدل حديث ابن مسعود هذا على أن أفضل الأعمال وأقربها إلى الله وأحبها إليه الصلاة على مواقيتها المؤقتة لها.وقد روي في هذا الحديث زيادة، وهي : ((الصلاة في أول وقتها))، وقد خرجها ابن خزيمة وابن حبان في " صحيحهما" والحاكم والدارقطني من طرق متعددة.ورويت من حديث عثمان بن عمر، عن مالك بن مغول، [و] من حديث علي بن حفص المدائني، عن شعبة، ورويت عن شعبة من وجه آخر، وفيه نظر، ورويت من وجوه أخر.واستدل بذلك على أن الصلاة في أول الوقت أفضل، كما استدل لحديث ام فروة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، أنه سئل : أي العمل أفضل قال: ((الصلاة لأول وقتها)).خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي.وفي إسناده اضطراب-: قاله الترمذي والعقيلي.وقد روي نحوه من حديث ابن عمر، إلا أن إسناده وهم، وإنما هو حديث أم فروة-: قاله الدارقطني في " العلل".وروي نحوه من حديث الشفاء بنت عبد الله.وفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : ((الصلاة على وقتها- أو على مواقيتها)) : دليل - أيضا- على فضل أول الوقت للصلاة؛ لأن " على " للظرفية، كقولهم: ((كان كذا على عهد فلان)) ، والأفعال الواقعة في الأزمان المتسعة عنها لا تستقر فيها، بل تقع في جزء منها، لكنها إذا وقعت في أول ذلك الوقت فقد صار الوقت كله ظرفا لها حكما.". [٢]

٢٠٧-"٥ . أن من هم بسيئة وتركها من أجل الله يكتب له بتركها حسنة كاملة.٦ . الترغيب في فعل الحسنات والترهيب من فعل السيئات.* * *الحديث الثامن والثلاثونعن أبي هريرة قال: قال رسول الله *: ((إن الله تعالى قال: من

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٣٤٢/١٨

(٢) فتح الباري لابن رجب ١٧/٤

عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)) رواه البخاري.١ . قوله: ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب))، هذا الحديث من الأحاديث القدسية التي يرويها الرسول * عن ربه، وقد أفرد الشوكاني شرحه في كتاب سماه ((قطر الولي بشرح حديث الولي))، وأولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) ﴾ ، ومعنى ((آذنته بالحرب)) أعلمته أنني محارب له، وهو يدل على خطورة معاداة أولياء الله، وأنه من الكبائر.٢ . قوله: ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه)) في هذه الجملة وما بعدها بيان أن ولاية الله إنما تحصل بالتقرب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدل على أن التقرب بأداء الفرائض أحب إلى الله من النوافل؛ لأن في ذلك فعل ما أوجب الله وترك ما حرم الله، والآتي بالواجبات التارك للمحرمات هو المقتصد، ومن أتى بها وأتى بالنوافل معها فهو السابق بالخيرات.". (١)

٢٠٨-"٣ . قوله: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**)) إلخ، النوافل هي الإتيان بالأعمال الصالحة زيادة على الفرائض، وفعلها مع الاستمرار عليها يجلب محبة الله عز وجل، وإذا حصلت له المحبة ظفر بتسديد الله في تصرفاته، فلا يسمع إلا ما هو حق، ولا يرى إلا ما هو حق، ولا ينال إلا ما هو حق، ولا يمشي إلا إلى ما هو حق، وأكرمه الله بإجابة دعوته إذا دعاه، وإعاذته مما استعاذه منه.٤ . مما يستفاد من الحديث:١ . بيان فضل أولياء الله، وشدة خطر معاداتهم.٢ . أن ولاية الله عز وجل تحصل بأداء الفرائض وفعل النوافل.٣ . أن أحب ما يتقرب إلى الله عز وجل به أداء الفرائض.٤ . إثبات صفة المحبة لله عز وجل.٥ . تفاوت الأعمال في محبة الله إياها.٦ . أن فعل النوافل بعد أداء الفرائض يجلب محبة الله عز وجل.٧ . أن من ظفر بمحبة الله عز وجل سدده في سمعه وبصره وبطشه ومشيه.٨ . أن محبة الله عز وجل تجلب للعبد إجابة دعائه وإعاذته مما يخاف.٩ . أن ثواب الله عز وجل للعبد يكون بإجابة مطلوبه والسلامة من مرهوبه.* * *الحديث التاسع والثلاثونعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله * قال: ((إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)) حديث حسن، رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما.١ . أمة نبينا محمد * أمتان: أمة دعوة وأمة إجابة، فأمة الدعوة هم كل إنسي وجني من حين بعثته إلى قيام الساعة، وأمة الإجابة هم الذين وفقهم الله للدخول في دينه الحنيف وصاروا من المسلمين، والمراد من الأمة في هذا الحديث أمة الإجابة، ومن أمثلة أمة الدعوة قوله *:". (٢)

٢٠٩-" ١٧٥٢ - (إن الله تعالى قال من عادى) من المعاداة ضد الموالاة (لي) متعلق بقوله (وليا) (١) وهو من تولي الله بالطاعة فتولاه الله بالحفظ والنصر فالولي هنا القريب من الله باتباع أمره وتجنب نهيه وإكثار النفل مع كونه لا يفتر [ص ٢٤١] عن ذكره ولا يرى بقلبه سواه (فقد آذنته بالحرب) أي أعلمته بأني سأحاربه ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ ومن حاربه الله أي عامله معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال وهذا في الغاية

---

(١) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين ص/١١٤

(٢) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين ص/١١٥

القصوى من التهديد والمراد عادى وليا لأجل ولايته لا مطلقا فخرج نحو محاكمته لخلاص حق أو كشف غامض فلا يرد خصومة العمرين رضي الله عنهما لعلي والعباس رضي الله عنهما ومعاداته لولايته إما بإنكارها عنادا أو حسدا أو بسبه أو شتمه ونحو ذلك من ضروب الإيذاء وإذا علم ما في معاداته من الوعيد علم ما في موالاته من الثواب (وما تقرب إلي عبدي بشيء) أي بفعل طاعة (أحب إلي مما افترضه عليه (٢) أي من آدابه عينا أو كفاية لأنها الأصل الذي ترجع إليه جميع الفروع والأمر بها جازم يتضمن أمرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها فالفرض كالأس والنفل كالبناء عليه (ولا يزال عبدي) الإضافة للتشريف (يتقرب) وفي رواية يتحبب (إلي بالنوافل) أي التطوع من جميع صنوف العبادة (**حتى أحبه**) بضم أوله وفتح ثالثه (فإذا أحببته) لتقربه إلي بما ذكر حتى قلبه بنور معرفتي (كنت) أي صرت (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) يعني يجعل الله سلطان حبه غالبا حتى لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله عونا له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه أو هو كناية عن نصرة الله وتأييده وإعانته له في كل أموره وحماية سمعه وبصره وسائر جوارحه عما لا يرضاه وحقيقة القول ارتهان كلية العبد بمراضي الرب على سبيل الاتساع فإنهم إذا أرادوا اختصاص شيء بنوع اهتمام وعناية واستغراق فيه ووله به ونزوع إليه سلكوا هذا الطريق قال :

جنوني فيك لا يخفى . . . وناري فيك لا تخبو . . . وأنت السمع والناظر . . . والمهجة والقلب

ولمشائخ الصوفية رضي الله تعالى عنهم في هذا الباب فتوحات غيبية وإشارات ذوقية تهتز منها العظام البالية لكنها لا تصلح إلا لمن سلك سبيلهم فعلم مشربهم بخلاف غيرهم فلا يؤمن عليه من الغلط فيهوي في مهواة الحلول والاتحاد والحاصل أن من تقرب إليه بالفرض ثم النفل قربه فرقاه من درجة الإيمان مقام الإحسان حتى يصير ما في قلبه من المعرفة يشاهده بعين بصيرته وامتلاء القلب بمعرفته يمحي كل ما سواه فلا ينطق إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره فإن نظر فيه أو سمع فيه أو بطش فيه وهذا هو كمال التوحيد (وإن سألني لأعطينه) مسؤوله كما وقع لكثير من السلف (وإن استعاذ بي) روي بنون وروي بموحدة تحتية والأول الأشهر (لأعيذنه) مما يخاف وهذا حال المحب مع محبوبه وفي وعده المحقق المؤكد بالقسم إيذان بأن من تقرب بما مر لا يرد دعاؤه (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن) أي ما أخرت وما توقفت توقف المتردد في أمر أنا فاعله إلا في قبض نفس عبدي المؤمن أتوقف عليه حتى يسهل عليه ويميل قلبه إليه شوقا إلى انخراطه في سلك المقربين والتبوىء في أعلا عليين أو أراد بلفظ التردد إزالة كراهة الموت عن المؤمن بما يبتلي به من نحو مرض وفقر فأخذه المؤمن عما تشبث به من حب الحياة شيئا فشيئا بالأسباب المذكورة يشبه فعل المتردد فعبر به عنه (يكره الموت) لصعوبته وشدته ومرارته وشدة ائتلاف روحه لجسده وتعلقها به ولعدم معرفته بما هو صائر إليه بعده (وأنا أكره مساءته) وأريده له لأنه يورده موارد الرحمة والغفران والتلذذ [ص ٢٤٢] بنعيم الجنان فالمراد ما رددت شيئا بعد شيء مما أريد أن أفعله بعبدي كترددي في إزالة كراهة الموت عنه بأن يورد عليه حوادث يسأم معها الحياة ويتمنى الموت كما تمنى علي كرم الله وجهه الموت لاختلاف رعيته عليه وقتالهم له مع كونه الإمام الحق وقد يحدث الله بقلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه ما يشتاق به إلى الموت فضلا عن كراهته فيأتيه وهو له مؤثر وإليه مشتاق وذلك من مكنون ألطافه فسبحان اللطيف الخبير وهذا أصل في السلوك كبير

(خ) في الرقائق (عن أبي هريرة) قال في الميزان غريب جدا ولولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد لغرابة لفظه وانفراد شريك به وليس بالحافظ ولم يرد هذا المتن إلا بهذا الإسناد ولا خرجه غير البخاري

---

(١) المراد بالولي العارف بالله المواظب على طاعته المخلص في عبادته

(٢) دخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية والفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات وتركا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه ". [١]

٢١٠-" ٣٥٨٠ - (جبلت القلوب) أي خلقت وطبعت (على حب من أحسن إليها) بقول أو فعل (وبغض من أساء إليها) بذلك لأن الآدمي مركب على طبائع شتى وأخلاق متباينة والشهوات فيه مركبة ومن رؤوس الشهوات نيل المنى وقضاء الوطر فمن بلغ نفس غيره مرامها فلنفسه أقامها فإذا أحسن إليها صفت وصارت طوعا له وإلا فهي كالكره فاستبان أن الألفة [ص ٣٤٥] إنما تتم بين النفوس كأنها تقول شأني اللذات لا الطاعات فهل يبرني **أحد حتى أحبه قال** العارف ابن عطاء الله : من أحسن إليك فقد استرقك بامتنانه ومن آذاك فقد أعتقك ومن رق إحسانه وأخذ بعضهم من هذا الخبر (١) تأكد رد هدايا الكفار والفجار لأن قبولها يميل القلب إليهم بالمحبة قهرا نعم إن دعت إلى ذلك مصلحة دينية فلا بأس [٢] لهذا الحديث قصة : أخرج العسكري قيل للأعمش إن الحسن بن عمارة ولي القضاء فقال الأعمش : يا عجبا من ظالم ولي المظالم ما للحائكين والمظالم فبلغ الحسن فقال : علي بمنديل وأثواب فوجه بها إليه فلما كان من الغد سئل الأعمش عنه فقال : بخ بخ هذا الحسن بن عمارة زان العمل وما زانه فقيل له : قلت بالأمس ما قلت واليوم تقول هذا فقال : دع عنك هذا حدثني خيثمة عن ابن عمر عن المصطفى صلى الله عليه و سلم أنه قال : جبلت إلى آخره وفي رواية ذكر للأعمش ابن عمارة فقال : بالأمس يطفف في المكيال والميزان واليوم ولي أمور المسلمين فلما كان جوف الليل بعث إليه ابن عمارة بصرة وتخت ثياب فلما أصبح أثنى عليه وقال : ما عرفته إلا من أهل العلم فقيل له في ذلك فقال : دعوني منكم ثم ذكره

(عد حل هب) وكذا أبو الشيخ [ابن حبان] وابن حبان في روضة العقلاء والخطيب في التاريخ وآخرون كلهم من طريق إسماعيل بن أبان الخياط قال : بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش وقع فيه فبعث إليه بكسوة فمدحه فقيل له : ذميته ثم مدحته فقال : إن خيثمة حدثني (عن ابن مسعود) فذكره وأورده ابن الجوزي في الواهيات وقال : لا يصح فإن إسماعيل الخياط مجروح قال أحمد : كتبت عنه ثم وجدته حدث بأحاديث موضوعة فتركناه وقال يحيى هو كذاب وقال الشيخان والدارقطني : متروك وقال ابن حبان : يضع على الثقات انتهى وفي لسان الميزان في ترجمة إسماعيل الخياط قال الأزدي : هو كوفي زائغ وهو الذي روى حديث جبلت القلوب قال الأزدي : هذا الحديث باطل انتهى . (وصحح هب وقفه) ابن مسعود وقال : إنه المحفوظ وقال ابن عدي : المعروف وقفه وتبعه الزركشي وقال السخاوي : هو باطل مرفوعا

---

(١) فيض القدير ٢/٢٤٠

(٢) تنبيه

وموقوفا وقول البيهقي كابن عدي الموقوف معروف عن الأعمش يحتاج لتأويل فإنهما أورداه كذلك بسند فيه من اتهم بالكذب والوضع إلى هنا كلامه وأقول : رأيت بخط ابن عبد الهادي في تذكرته قال مهنأ سألت أحمد ويحيى عنه فقالا : ليس له أصل وهو موضوع

---

(١) ولهذا حرم على القاضي قبول الهدية لأنه إذا قبلها لم يمكنه العدل ولو حرص وكره قبولها من الكافرين إلا أن رجى إسلامه ". [١]

٢١١-" ٤٢٢٥ - (دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب الله حتى أحبه الله سمعت امرأة من العابدات تقول : بحبك لي إلا غفرت لي ما غفرت لي فقيل : أما يكفيك أن تقولي بحبي لك قالت : أما سمعت قوله ﴿ ويحبهم ويحبونه ﴾ فقدم محبته على محبتهم له

(ابن سعد) في الطبقات (عن الحسن مرسلا) وهو البصري ". [٢]

٢١٢-" ٤٦٢٤ - (سافروا تصحوا) من الصحة والعافية . قال الشافعي : إنما هذا دلالة لاحتمال أن يسافر لطلب الصحة [٣] ذهب الصوفية إلى أن هذا السفر ليس هو المعهود بل المأمور به السفر بالفكر والعمل والاعتبار والمسافر هو الذي أسفر له سلوكه عن أمور مقصودة له وغير مقصودة والمسافر في الطريق اثنان مسافر يفكر في المعقولات والاعتبار ومسافر بالأعمال وهم أصحاب اليعملات فمن أسفر له طريقه عن شيء فهو مسافر ومن لا فهو مسافر متصرف في طريق مدينة وشوارعها غير مسافر فالمسافر من سافر بفكره في طلب الآيات والدلالات على وجود الصانع فلم يجد في سفره دليلا سوى إمكانه وأنه ليست نسبة الوجود إليه أولى من نسبة العدم فافتقر إلى مرجح فلما وصل إلى هذه المنزلة وقطع هذه المهلة وأسفرت عن وجوه مرجحة أحدث سفرا آخر فيما ينبغي للصانع الذي أوجده فأسفر له الدليل على تفرد هذا المرجح بأنه واجب الوجود لنفسه لا يجوز عليه ما جاز على الممكن من الافتقار ثم انتقل مسافرا إلى منزل آخر فأسفر له أن واجب الوجود يستحيل عدمه لثبوت قدمه إذ لو انعدم لم يكن واجب الوجود لنفسه ثم سافر إلى أن ينفي عنه كل ما يدل على حدوثه ثم يسافر في علم الوجود بوجود العالم وبقائه وصلاحه إذ لو كان معه إله آخر لم يوجد العالم بفرض الاتفاق والاختلاف كما يعطيه النظر ثم يسافر إلى منزلة يعطيه العلم بما أوجده وخلقه والإرادة لذلك ونفوذها وعدم قصورها وعموم تعلق قدرته بإيجاد هذا الممكن وحياة هذا المرجح لأنها شرط ثبوت هذه النعوت له وإثبات صفات الكمال من كلام وسمع وبصر ثم يسافر إلى منزلة تسفر له عن إمكان بعثة الرسل وأنه بعث رسلا وأقام الأدلة على صدقهم فيما ادعوه ولما كان هو ممن بعث إليه الرسول وآمن به واتبعه في مواسمه حتى أحبه الله فكشف عن قلبه وطالع عجائب الملكوت وانتقش في نفسه جميع ما في العالم وفر إلى الله مسافرا من كل ما يبعده منه ويحجبه عنه إلى أن رآه في كل شيء أراد أن يلقي عصا التسيار

---

(١) فيض القدير ٣/٣٤٤

(٢) فيض القدير ٣/٥٣٢

(٣) تنبيه

فعرفه ربه أن الأمر لا نهاية له وأنه لا يزال مسافرا إلى منزلة تسمى بالموت ثم لا يزال مسافرا حتى يقطع منازل البرزخ إلى أن يصل إلى منزلة بالبعث فيركب مركبا شريفا يحمله إلى دار سعادته فيصح صحة [ص ٨٢] الآبق

(ابن السني وأبو نعيم) كلاهما (في) كتاب (الطب) النبوي (عن أبي سعيد) الخدري ". [1]

٢١٣-" ٧٧٩٠ - (ما أحدث قوم بدعة إلا رفع الله مثلها من السنة) لأنهما متناوبان في الأديان تناوب المتقابلات في الأجسام ذكره الحرالي ولأنهم لما تركوا السنة في تهذيب أنفسهم بالإقتداء في الاهتداء بهدي نبيهم تولاهم الشيطان وسلك بهم سبل البهتان وذلك أنهم إذا أنسوا ببدعتهم واطمأنوا إليها جرهم ذلك إلى الاستهانة بالنسبة وإضاعتها وما كذب أحد بحق إلا عوقب بتصديقه بباطل وما ترك سنة إلا أحب بدعة قال الحرالي : وقد جرت سنة الله بأنه ما أمات أحد سنة إلا زاد في خذلانه بأن تحيا على يده بدعة وقال الطيبي : قوله مثلها جعل أحد الضدين مثل الآخر لشبهة التناسب بين الضدين وإخطار كل منهما بالبال مع ذكر الآخر وحدوثه عند ارتفاع الآخر وعليه قوله تعالى ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾ فكما أن إحداث السنة يقتضي رفع البدعة فكذا عكسه ولذلك قال عقبه فتمسك بسنتي إلى آخر ما يأتي كما إذا أحيا آداب الخلاء مثلا على ما ورد في السنة فهو خير من بناء رباط ومدرسة وسره أن من راعى هذا الأدب يوفقه الله ويلطف به حتى يترقى منه إلى ما هو أعلى فلا يزال في ترق وصعود إلى أن يبلغ إلى مقام القرب ومخدع الوصل كما قال " ما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " الحديث ومن تركه يؤديه إلى ترك الأفضل فالأفضل حتى يستقل إلى مقام الرين والطبع

(حم) وكذا البزار (عن غضيف) بغين وضاد معجمتين مصغرا (ابن الحارث) الثمالي أو الكندي أو السكوني أو الحمصي مختلف في صحبته قال المنذري : سنده ضعيف وبين ذلك الهيثمي فقال : فيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو منكر الحديث اه . وبه يعرف ما في رمز المصنف لحسنه وللحديث قصة وذلك أن عبد الملك بن مروان بعث إلى غضيف فقال : يا أبا سليمان إنا قد جمعنا الناس على أمرين رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد الصبح والعصر فقال : أما إنهما أمثل بدعتكم عندي ولست بمجيبكم إلى شيء منها لأن المصطفى صلى الله [ص ٤١٣] عليه وعلى آله وسلم قال : " ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة " فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة هكذا هو عند مخرجه أحمد فإسقاط المؤلف منه قوله فتمسك إلخ غير جيد ". [2]

٢١٤-"عن أبي أمامة قال قال رسول الله عليكم بقيام الليل أي الزموا القيام بالعبادة في الليل فإنه دأب الصالحين بسكون الهمزة وتبدل وتحرك أي عادتهم قال الطيبي الدأب العادة والشأن وقد يحرك وأصله من دأب في العمل إذا جد وتعب اه وهو ما يواظبون عليه ويأتون به في أكثر أحوالهم والمراد بهم الأنبياء والأولياء لما سيأتي أن آل داود كانوا يقومون بالليل وفيه تنبيه على أنكم أولى بذلك فإنكم خير الأمم وايماء إلى أن من لا يقوم الليل ليس من الصالحين الكاملين بل بمنزلة المزكي علنا لا سرا والله أعلم بأسراره وقال ابن الملك يجوز أن يراد بهم الأنبياء الماضون قبلكم أي وهي عادة قديمة وهو أي مع كونه اقتداء بسيرة الصالحين قربة لكم إلى ربكم أي محبة مولاكم مما تتقربون به إلى الله تعالى وفيه إشارة إلى الحديث

---

(١) فيض القدير ٨١/٤

(٢) فيض القدير ٤١٢/٥

القدسي لا يزال العبد يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه ومكفرة** للسيئات ومنهاة مصدران ميميان كالمحمدة بمعنى الفاعل أي ساترة للذنوب وماحية للعيوب قال تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات هود وناهية عن الإثم أي ارتكاب ما يوجبه قال تعالى إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر العنكبوت رواه". (١)

٢١٥-"والثاني مريدا وسالكا مجذوبا واختلف أيهما أفضل وفي الحقيقة كل مراد مريد وكل مريد مراد وإنما التفاوت في البداية والنهاية والعناية والرعاية فقد آذنته بالمد وبي أعلمته بالحرب أي بمحاربتي إياه لأجل وأي بمحاربته إياي يعني فكأنه محارب لي قال الأئمة ليس في المعاصي من توعد الله أربابها بأنه محاربه إلا هذا وآكل الربا قال تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله البقرة وهذا يدل على ما في هاتين الخصلتين من عظم الخطر إذ محاربة الله للعبد تدل على سوء خاتمته لأن من حاربه الله لا يفلح أبدا وما تقرب إلي عبدي أي المؤمن وآثره لأن من شأن العبد التقرب إلى سيده بأنواع خدمته وأصناف طاعته بشيء من الأعمال أحب إلي مما افترضت أي من أداء ما أوجبت عليه أي من امتثال الأوامر واجتناب الزواجر وقوله أحب يقتضي أن تكون وسائل القرب كثيرة وأحبها إلى الله أداء الفرائض فيندرج فيها النوافل ولذا قال وما يزال عبدي أي القائم بقرب الفرائض يتقرب أي يطلب زيادة القرب إلي بالنوافل أي بقرب الطاعات الزوائد على الفرائض حتى أحببته وفي **نسخة حتى أحبه أي** حبا كاملا لجمعه بين الفرائض والنوافل خلاف ما يوهم كلام الطيبي أن قوله ما يزال بيان أن حكم بعض المفضل عليه الذي هو النافلة بهذه المثابة فما الظن بالمفضل الذي هو الفرائض فكنت سمعه وفي نسخة صحيحة فإذا أحببته كنت سمعه وقال ابن حجر في الأصول المشهورة حتى أحببته فكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به بضم الياء ويده التي يبطش بكسر الطاء أي يأخذ بها ورجله التي يمشي بها قال الخطابي أي يسرت عليه أفعاله المنسوبة إلى هذه الآلات ووفقته حتى كأني نفس هذه الآلات وقيل أي يجعل الله حواسه وآلاته وسائل إلى رضائه فلا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه فكأنه يسمع به الخ وقيل أي يجعل الله سلطان حبه غالبا عليه حتى لا يرى إلا ما يحبه الله ولا يسمع إلا ما يحبه ولا يفعل إلا ما يحبه ويكون الله سبحانه في ذلك له يدا". (٢)

٢١٦-""حتى أحبه (أي بضم أوله) فإذا أحببته كنت) وهكذا وقع في البخاري من رواية الشكميهني ولأبي ذر "حتى أحببته فكنت" وكذا وقع في نسخة القاري من المشكاة (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) بضم الياء وفي رواية ، من حديث عائشة عينه التي يبصر بها وفي أخرى عينيه اللتين يبصر بهما بالتثنية وكذا قال في الأذن واليد والرجل (ويده التي يبطش) بفتح الياء وكسر الطاء أي يأخذ (بها ورجله التي يمشي بها) زاد في حديث عائشة وفوأده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به ونحوه في حديث أبي أمامة وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلى سمع العبد وبصره الخ وأجيب بأوجه أحدها أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٤٧/٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ١٤/٨

الجوارح ثانيها أن المعنى إن كليته مشغولة بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يبصر ببصره إلا ما أمرته به ولا يبطش بيده إلا في ما يحل له ولا يسعى برجله إلا في طاعتي". [١]

٢١٧-"١٧٨٢ إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب و ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه و ما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به و يده التي يبطش بها و رجله التي يمشي بها و إن سألني لأعطينه و إن استعاذني لأعيذنه و ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت و أنا أكره مساءته(صحيح)(خ)عن أبي هريرة .الشرح:(إن الله تعالى قال من عادى) من المعاداة ضد الموالاة (لي) متعلق بقوله (وليا) وهو من تولي الله بالطاعة فتولاه الله بالحفظ والنصر، فالولي هنا القريب من الله باتباع أمره وتجنب نهيه وإكثار النفل مع كونه لا يفتر عن ذكره ولا يرى بقلبه سواه (فقد آذنته بالحرب) أي أعلمته بأني سأحاربه ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ ومن حاربه الله أي عامله معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال وهذا في الغاية القصوى من التهديد والمراد عادى وليا لأجل ولايته لا مطلقا فخرج نحو محاكمته لخلاص حق أو كشف غامض، فلا يرد خصومة العمرين رضي الله عنهما لعلي والعباس رضي الله عنهما ومعاداته لولايته إما بإنكارها عنادا أو حسدا أو بسبه أو شتمه ونحو ذلك من ضروب الإيذاء، وإذا علم ما في معاداته من الوعيد علم ما في موالاته من الثواب (وما تقرب إلي عبدي بشيء) أي بفعل طاعة (أحب إلي مما افترضه عليه أي من آدابه عينا أو كفاية لأنها الأصل الذي ترجع إليه جميع الفروع والأمر بها جازم يتضمن أمرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها فالفرض كالأس والنفل كالبناء عليه (ولا يزال عبدي) الإضافة للتشريف (يتقرب) وفي رواية يتحبب (إلي بالنوافل) أي التطوع من جميع صنوف العبادة (حتى أحبه) بضم أوله وفتح ثالثه (فإذا أحببته) لتقربه إلي بما ذكر حتى قلبه بنور معرفتي (كنت) أي صرت (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده". [٢]

٢١٨-"وذكر ابن القيم أنه إذا جاز فطر الحامل والمرضع لخوفهما على ولديهما، وفطر من يخلص غريقا ففطر المقاتلين أولى بالجواز، وهذا من باب قياس الأولى، ومن باب دلالة النص وإيمائه[(٢٣٢)].الوجه الرابع: في الحديث دليل على فضل صوم التطوع ـ باعتبار المعنى الثاني ـ وعظيم أجره عند الله تعالى.والصيام من أفضل الأعمال ـ كما تقدم ـ ومن ثمار صوم النفل ـ كغيره من التطوعات ـ أنه يجبر ما عسى أن يكون في أداء الفرض من نقص أو تقصير، وفي ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الصلاة: «قال الرب تبارك وتعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة، ثم يكون سائر عمله كذلك»[(٢٣٣)].كما أن صوم النفل يهيئ المسلم للرقي في درجات القرب من الله تعالى، والظفر بمحبته، كما في الحديث القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه... الحديث» [(٢٣٤)]، وتقدم شيء من ثمار النوافل في باب «صلاة التطوع».هدي النبي (ص) في صيام التطوع٤/٦٨٣ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح ٧/٧٨١

(٢) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني ١/٢٠٦

حتى نقول لا يصوم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا رمضان، وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان. متفق عليه، واللفظ لمسلم.الكلام عليه من وجوه:الوجه الأول: في تخريجه:هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب «الصيام»، باب «صوم شعبان» (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦) (١٧٥) من طريق مالك، عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة رضي الله عنها، به.الوجه الثاني: الحديث دليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسرد الصوم في بعض الأحيان، ويسرد الإفطار في بعض الأحيان.". (١)

٢١٩-"والراجح من قولي أهل العلم أن سجود الشكر لا تشترط له الطهارة إذ لا دليل على ذلك، ولأن سبب السجود قد يأتي فجأة والإنسان غير متطهر، ويسجد الإنسان على حاله من قيام أو جلوس، فإن كان قائما خر ساجدا من قيام، وإن كان جالسا سجد على حاله، ولا يلزمه أن يقوم فيسجد، والله تعالى أعلم.باب صلاة التطوعصلاة التطوع: مركب إضافي، من إضافة الشيء إلى نوعه، لأن الصلاة قد تكون فرضا، وقد تكون تطوعا.والتطوع لغة: تكلف الطاعة والتبرع بما لا يلزم من الخير أو الزيادة التي ليست لازمة، ولا يقال تطوع إلا في باب الخير والبر.وشرعا: كل طاعة ليست بواجبة، والمراد بقولنا: (ليست واجبة) أي: بحق الإسلام، كالصلوات الخمس الواجبة، وإلا فقد تكون صلاة التطوع واجبة بأسبابها، كدخول المسجد سبب لوجوب تحية المسجد ـ على أحد القولين ـ ووجوب الوفاء بالنذر سبب لوجوب الصلاة المنذورة، وهكذا.والحكمة من مشروعية التطوع:١ ـ جبر ما قد يكون في أداء الفريضة من خلل وتقصير، فإن الفرائض يعتريها النقص، إما في شروطها أو أركانها أو واجباتها، وقد دل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، يقول ربنا جل وعز لملائكته ـ وهو أعلم ـ انظروا في صلاة عبدي، أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع، فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم»[(٦٦٥)].٢ ـ تهيئة المسلم للترقي في درجات القرب من الله تعالى حتى يصل إلى درجة محبة الله عز وجل له، وقد جاء في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تبارك وتعالى: ما تقرب إلي عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه...» الحديث[(٦٦٦)].". (٢)

٢٢٠-"يستدل بقوله عليه الصلاة والسلام (فأعني على نفسك بكثر السجود) من يقول بعدم المنع من الزيادة على ما جاء في النصوص من النوافل المحددة.الذي جاء في النصوص المقيدة أربعون ركعة في اليوم والليلة، فالفرائض سبع عشرة والوتر إحدى عشرة والرواتب ثنتا عشرة، وشيخ الإسلام وهو في صدد رده على ابن المطهر الذي زعم أن عليا يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة قال – أي شيخ الإسلام – : لو قلنا الزيادة على الأربعين غير مشروعة لما بعد.لكن حديث الباب يدل على أن الزيادة مطلوبة، نعم جاءت الأربعين محددة بالنصوص، لكن ألا يزاد أربعا قبل العصر وبين كل أذانين صلاة بلى، فهذا يدل على أن الأربعين ليست حاصرة، وفي الحديث (ولا يزال عبدي يتقرب إلي النوافل حتى أحبه)، فدل على

---

(١) منحة العلام ج٥ ص/٦٨

(٢) منحة العلام في شرح بلوغ المرام ص/٢٠٩

أن الإكثار من العبادات مطلوب، لكن بشرط ألا يعوقه عما هو أهم منه.حديث ابن عمر في بيان السنن الرواتب: كأن الحديث يدل على أن النوافل النهارية تكون في المسجد والليلية تكون في البيت، وفي الحديث (أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة)، فالنوافل كونها في البيت أفضل لأنها أبعد عن رؤية الناس ومراءاتهم، كما أن فيها نفعا لأهل البيت للاقتداء.دل حديث أم المؤمنين الآتي أن راتبة الظهر القبلية أربع ركعات، لكن كأن ابن عمر رأى النبي عليه الصلاة والسلام يصلي هاتين الركعتين، وخفي عليه الركعتان الأخريان.الرواتب ثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر، وركعتين بعدها، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل الفجر، والعصر لا راتبة لها.الركعتان قبل الصبح هما آكد الرواتب، وكان النبي عليه الصلاة والسلام لا يدعهما سفرا ولا حضرا مع الوتر.". (١)

٢٢١-" فليست هذه القضية التي ذكرها أبو القاسم كلية كما لا يخفى على من يعرف شرائع الله سبحانه ، وما ندب عباده إليه في كتبه المنزلة ، وعلى ألسن رسله المرسلة . وقد جاء في السنة أن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أحب إلى الله من المؤمن الذي لا يخالطهم . ويمكن حمل كلامه على البعد عن الخلق بإقبال قلبه على الله سبحانه ، وعدم الاعتداد بما سواه ، وأنه وإن خالطهم بمظاهره فهو مع الله بباطنه . وهذا معنى حسن ورتبة علية . اللطف والنصر وعامة المؤمنين : وأما قوله : ' وباللطف والنصرة خاص بالخواص ' فأقول : قد أخبرنا الله سبحانه في كتابه أنه لطيف بعباده . وهذا المعنى عام لكل من يصدق عليه أنه عبد الله من غير فرقة بين عوامهم وخواصهم . ولولا ما تفضل به على عباده من جرى ألطافه عليهم لم يهتدوا إلى معاش ولا معاد ولا عمل دنيا ، ولا عمل آخرة . وأما النصرة فقد وعد سبحانه في كتابه بنصرة المؤمنين : ! (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) ! وينصر حزبه والمجاهدين في سبيله . فمن كان من المؤمنين أو من المجاهدين في سبيل الله ، وإن كان في عمله تخليط وفي طاعته قصور فهو ممن وعد الله سبحانه بنصرته . محبة الله بين أداء الفرض والنفل : قوله : ' حتى أحببته ' في رواية الكشميهني (**حتى أحبه**) . قال ابن حجر في الفتح : ' ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب

". (٢)

٢٢٢-"شرح حديث (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)قال الإمام النووي عليه رحمة الله: [عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم -فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى- أنه قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن

(١) مهمات في الصلاة (شرح كتاب الصلاة من البلوغ للخضير) ص/٤

(٢) ولاية الله والطريق إليها ص/٤٠٠

استعاذني لأعيذنه).هذا الحديث رواه البخاري في صحيحه، وقد شرحه الشوكاني في رسالة اسمها: (قطر الولي في شرح حديث الولي) وطبعت مع مقدمة بعنوان: (ولاية الله والطريق إليها).". (١)

٢٢٣-"النوافل ومنزلتها عند الله تعالىقال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).معنى هذا أن الإنسان يأتي بالفرائض، ثم يأتي بالنوافل ويستمر عليها ويداوم عليها؛ لأن قوله: (لا يزال) يدل على ذلك، فكونه يداوم على النوافل ويستمر عليها هو مما يكسب محبة الله عز وجل التي إذا حصلت له سدد في تصرفاته وفي أعماله، وذلك لأنه صار من السابقين إلى الخيرات بإذن الله؛ لأن المقتصد هو الذي يأتي بالفرائض فقط، والسابق بالخيرات هو الذي يأتي بالفرائض ويأتي معها بالنوافل ويستمر عليها ويداوم عليها، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل) وهذا المقصود به النوافل.وأما الفرائض فإنه متعين على الإنسان أن يأتي بكل ما فرض الله عز وجل عليه، ولكن النوافل زائدة على الفرائض.وقيل لها: (نافلة) لأنها زائدة على الفريضة، فكون الإنسان يأتي بها يكون ذلك زيادة في كماله وزيادة في فضله عند الله عز وجل وكون الله عز وجل يحبه؛ لأنه أتى بالفرائض وأتى بالنوافل، أتى بما هو واجب وأتى بما هو كمال ومستحب ومندوب، وجمع بين الأصل والفرع، بين الفرض والنفل، بين الواجب والمستحب.وإذا ظفر الإنسان بمحبة الله عز وجل سدده الله عز وجل في تصرفاته وفي أفعاله، فلا يستعمل سمعه إلا في خير، ولا يستعمل بصره إلا في خير، ولا يستعمل يده إلا في خير، ولا يستعمل رجله إلا في المشي إلى خير، فيكون مسددا في أعماله وفي تصرفاته وفي حركاته وسكناته؛ لأن هذه الحواس وهذه النعم التي أنعم الله تعالى بها على العبد في صحته وعافيته استعملها فيما يعود عليه بالخير، وامتنع وابتعد عن استعمالها فيما يعود عليه بالضر.". (٢)

٢٢٤-"معنى التردد في حديث: (وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن)Q ما معنى التردد في الحديث القدسي: (وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن) قد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: (وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته) ما معنى: (تردد الله) فأجاب بقوله: المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه لا يعلم عاقبة الأمور، لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا، فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله به، كالشيء الواحد الذي يحب من وجه، ويكره من وجه كما قيل: الشيب كره وكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب وهذا مثل إرادة المريض للدواء الكريه، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي الصحيح: (حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات).وقال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ [البقرة:٢١٦]، ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في الحديث، فإنه قال: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له، يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو

---

(١) شرح الأربعين النووية - العباد ٦/٣٣

(٢) شرح الأربعين النووية - العباد ٩/٣٣

يحبها، ثم يجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلها، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق، فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين، بقصد اتفاق الإرادة، وبحيث يحب ما يحب محبوبه ويكره ما يكره محبوبه.والرب يكره أن يساء عبده ومحبوبه، والله تعالى قد قضى بالموت، فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كاره للمساءة التي تحصل له بالموت، فصار الموت مرادا للحق من وجه، مكروها من وجه آخر، وهذا حقيقة التردد، وهو أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه مكروها من وجه آخر.وإن كان لا بد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة الرب المساءة لعبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره إساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ولا يريده.فالفرق بينهما أن المؤمن عندما يموت ينتقل إلى نعيم، والكافر ينتقل إلى جحيم، كما جاء في صحيح مسلم وهو أول حديث عنده في كتاب الزهد يقول: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر).فهذا هو معنى كلام شيخ الإسلام الأخير هذا، لكن كون الله عز وجل يقال: من صفاته التردد، فلا أدري عن هذا.". (١)

٢٢٥-"شرح حديث (لا يزال لسانك رطبا بذكر الله)قال المصنف رحمه الله: [عن عبد الله بن بشر رضي الله تعالى عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله! إن شرائع الإسلام قد كثرت علي، فدلني على شيء أتمسك به، فقال: (لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله عز وجل) خرجه الإمام أحمد بهذا اللفظ].هذا الحديث فيه حرص الصحابة رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم على الخير وسؤالهم عن أمور الدين وعن الأمور الجامعة التي يحصلون فيها الأجور العظيمة، وهي أعمال خفيفة ويسيرة لا مشقة فيها، بل عملها يسير وفضلها كبير وجزاؤها عظيم من الله سبحانه وتعالى، فهو يسأل ويقول: (إن شرائع الإسلام كثرت علي) والمقصود من ذلك: النوافل، وإلا فإن الفرائض يتعين على كل مسلم أن يأتي بها، ولكن السائل يسأل عن الشيء الذي يمكنه أن يعتني به وأن يحرص عليه فيما يتعلق بالنوافل، فهو يطلب أن يدله صلى الله عليه وسلم على باب منها يتمسك به يكون جامعا للخير ومحصلا للأجر، كما سبق أن مر بنا في الحديث: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه).فلما أراد بابا جامعا يتمسك به من أبواب الخير فيما يتعلق بالنوافل أرشده النبي صلى الله عليه وسلم ألا يزال لسانه رطبا من ذكر الله عز وجل؛ وذلك بكثرة ذكر الله سبحانه وتعالى.ومعلوم أن ذكر الله عز وجل يطلق إطلاقا عاما ويطلق إطلاقا خاصا، فإطلاقه العام يدخل تحته الصلوات، ويدخل تحته قراءة القرآن، ويدخل تحته الأذكار، وأما الذكر الخاص فهو الأذكار الخاصة كالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، فإن هذه الأذكار هي الذكر الخاص، وإلا فإن الصلاة ذكر لله عز وجل؛ لأنها مشتملة على ذكر الله من أولها إلى آخرها، وكذلك قراءة القرآن فهو خير الذكر وخير الكلام وأفضل الكلام، ثم بعد ذلك الأذكار التي مع الأدعية؛ لأن الأدعية هي سؤال الله عز وجل ما يريده الإنسان، وأما الأذكار فهي الثناء على الله عز وجل بما يليق به من التسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، وهذه هي الأذكار التي أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون الإنسان لسانه رطبا بها، وذلك سهل عليه في أي وقت وفي أي حين، والنبي

---

(١) شرح الأربعين النووية - العباد ٢٦/٣٤

صلى الله عليه وسلم -كما ثبت في الصحيح- كان يذكر الله على كل أحيانه، والله عز وجل أمر بذكره فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا * وسبحوه بكرة وأصيلا﴾ [الأحزاب:٤١ - ٤٢].وأثنى الله عز وجل على الذاكرين والذاكرات فقال: ﴿والذاكرين الله كثيرا والذاكرات﴾ [الأحزاب:٣٥]، ذكر ذلك في جملة الخصال العشر التي ذكرها الله عز وجل في سورة الأحزاب.فهذا هو المعنى الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله: (لا يزال لسانك رطبا بذكر الله)، وهذا لا شك أنه من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم؛ لأن الإنسان يأتي بذكر الله عز وجل، وذكر الله عز وجل هو تسبيح وتحميد وتكبير وتهليل وتعظيم وثناء على الله عز وجل، ويكون لسانه رطبا بذلك؛ لأنه إذا كان مشتغلا بذكر الله عز وجل صار منشغلا عن غير ذكر الله عز وجل من الكلام الذي لا يليق والذي لا ينبغي، فتعويد الإنسان نفسه أن يكون ذاكرا لله يحصل به الحسنات العظيمة لعمل يسير وشيء سهل خفيف، ولهذا جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في آخر حديث في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)، وهما من ذكر الله عز وجل، فوصفهما بأنهما خفيفتان على اللسان، وذكر الله عز وجل كله خفيف على اللسان.فأرشد النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا العمل العظيم الذي هو إدامة ذكر الله وكثرة ذكره سبحانه وتعالى، وهذا يكون من الإنسان وهو ماش وقائم وقاعد ومضطجع وفي جميع أحواله، وذلك سهل عليه؛ لأنه لا يحتاج إلى كلفة ولا يحتاج إلى مشقة، وليس فيه إلا تحريك اللسان بخير، حتى يعود على الإنسان بخير، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.وبهذا يكون انتهينا من شرح الأحاديث الأربعين أو الاثنين وأربعين التي جمعها الإمام النووي رحمه الله المتوفى سنة (٦٧٦هـ)، ثم الثمانية التي أضافها الحافظ ابن رجب المتوفى سنة (٧٩٥هـ).وهذا الذي ختم به ابن رجب لا شك أنه ختام عظيم، وهو نظير ختم البخاري لكتابه بحديث: (كلمتان خفيفتان على اللسان)، كما أن الإمام النووي رحمه الله ختم الاثنين والأربعين بحديث أنس بن مالك الذي فيه: (يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي).فالإمام النووي رحمه الله ختم بذلك الحديث، وابن رجب رحمه الله ختم بهذا الحديث، والبخاري رحمه الله ختم بذلك، ولهذا تابعه بعض العلماء فختموا كتبهم بهذا الحديث، فإن المنذري ختم به كتابه الترغيب والترهيب.". (١)

٢٢٦-"شرح حديث: (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن)ومن الأحاديث العظيمة التي تدفع كل إنسان إلى أن يحسن خلقه، وأن يتعامل مع الناس بما يحب أن يتعاملوا به معه، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء)، فالله يبغض الإنسان الفاحش في كلامه وفعاله، والبذيء: هو صاحب الألفاظ القبيحة.قال صلى الله عليه وسلم: (وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة) أي: قد تجد إنسانا كثير الصلاة، والمقصود هنا بصاحب الصلاة: صلاة النافلة، وإلا فالمسلمون كلهم محافظون على صلاة الفريضة، وليس فيها كلام، ولا يعني هذا: أن يترك شخص الصلاة نهائيا ويقول: خلقي حسن وسأبلغ به ذلك، فنقول له: نعم تبلغ، ولكن إلى الكفر والعياذ بالله، والصلاة هي الأصل ولابد منها، والصلاة

(١) شرح الأربعين النووية - العباد ٥/٣٦

التي ذكرها في هذا الحديث هي: صلاة النافلة، والصوم المذكور هو: صوم النافلة، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه وتعالى قال: (وأنه لم يتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) فيتقرب الإنسان أولا بالفريضة، ثم بالنوافل حتى يحبه الله سبحانه تبارك وتعالى، وإذا كانت هذه النوافل معها حسن الخلق فما أعظم حظ هذا الإنسان! فقد وصل إلى درجة عظيمة جدا.وقد يكون الإنسان مصليا وصائما ولكن لا يصلي نوافل كثيرة، أو يصوم نوافل كثيرة، ولكنه حسن الخلق، فيتعامل مع الناس بحلم وبلين، فلا يغضب، ولا يحمق، وليس من الذين إذا أتيت أحدهم بكلمة أتاك بعشر! ولكنه يصدق ويحلم على الناس، فهذا من أفضل الناس، وقد يبلغ بحسن خلقه درجة الصوام القوام، كما في الرواية: (ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة).وفي رواية أخرى: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة القائم بالليل، الظامئ بالهواجر)، فهذا إنسان يقيم الليل ويظمأ بالهواجر، أي: يصوم بالنهار الحار جدا في أيام الصيف الشديدة، وصاحب الخلق الحسن قد يبلغ درجته أو أعلى منه، وفي رواية أخرى: (إن المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله، بحسن خلقه وكرم ضريبته).فالمسلم المسدد: هو الموفق الذي وفقه ربه لحسن الخلق، وطاعة الله عز وجل، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، (ليدرك درجة الصوام)، أي: الذي يصوم النوافل المواظب على ذلك، فهذا الحسن الخلق لا يصوم كثيرا من النوافل، ولكن يبلغ بحسن خلقه درجة هذا الصوام القوام بآيات الله بحسن خلقه، وكرم ضريبته، والضريبة هنا: الطبيعة، أي: أن طبيعته كريمة وسمحة وسهلة، وليس فيه عنف، وهذه هي فيه طبيعة وسجية سهلة، فهذا من أعظم الناس درجة.وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكر لنا فيه أن الناس ثلاث درجات، قال صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم ببيت) أي: أنا ضامن، والزعيم هو الضامن، ومنه قول نبي الله يوسف: ﴿وأنا به زعيم﴾ [يوسف:٧٢] أي: وأنا ضامن، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا: أنا ضامن، ومتكفل لهذا الإنسان بهذا البيت في الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا)، والجنة درجات، والمعنى: أنا ضامن أن يدخل الجنة بترك المراء وإن كان محقا، والمراء: الجدل.والجدل يفسد العلاقات بين الناس، حتى لو أنت على صواب إذا فتحت باب الجدل مع إنسان لا تصل معه في النهاية إلى شيء، وخاصة إذا كان مخاصما عنيدا، وهذا في أمور الدنيا، فإذا كان في أمر الدين فالأفضل للإنسان أن يقفل باب الجدل إلا أن يحتاج للرد على كافر، أو صاحب بدعة، ولكن لا تبقى هذه عادة الإنسان في كل وقت، فيتوهم أن هذا ابتدع بدعة فيقول: لا تتكلم معه، ولا تفعل معه أي شيء، هذا فعل كذا فلا أتكلم معه، ولا أناقشه، بسبب وبغير سبب! ولكن إن احتاج إلى ذلك فعل، ولا يرضى أن تكون كثرة الجدل طبيعة في نفسه أبدا، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أنا ضامن -أي: أنا زعيم- ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا)، وهذه هي الدرجة الأولى، وهي أقل درجات الجنة.الدرجة الثانية: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وببيت في وسط الجنة) أي: أعلى قليلا من الأول، (لمن ترك الكذب وإن كان مازحا) فضمن له بيتا في وسط الجنة إذا كان لا يكذب، حتى ولو كان يمزح مع صديق أو مع الناس فلا يكذب، ولم يبح النبي صلى الله عليه وسلم الكذب إلا في أحوال:". (١)

---

(١) شرح الترغيب والترهيب للمنذري - حطيبة ٣٥/٥

٢٢٧-"علامات محبة الله للعبدالحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.قال الإمام النووي رحمه الله: [باب: علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها، والسعي في تحصيلها.قال الله تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١].وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤].وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري].هذا باب من كتاب رياض الصالحين يذكر فيه الإمام النووي رحمه الله علامات حب الله العبد والحث على التخلق بها.وقد ذكرنا في الباب السابق الحب في الله سبحانه تبارك وتعالى، وكيف أن المؤمن يحب إخوانه المؤمنين في الله عز وجل، لا يبتغي من هذه المحبة إلا وجه الله سبحانه تبارك وتعالى.ويحرص المؤمن عليها لأنه علم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه) فهو يريد أن يكون الأحب والأقرب إلى الله سبحانه، فيحب في الله سبحانه، وعلم أن أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله، فهو يحب المؤمنين في الله، ويبغض الكفار في الله سبحانه تبارك وتعالى.هنا ذكر علامات حب الله تعالى للعبد، فالعبد الذي يحب الله يحبه الله، فما هي العلامات التي تفيد أن هذا الإنسان يحب الله سبحانه تبارك وتعالى قال الله تبارك وتعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١]، فمن العلامات اتباع النبي صلوات الله وسلامه عليه.المؤمن يحب كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، ويحرص على الاقتداء بالنبي صلوات الله وسلامه عليه في كل شيء، هذه المحبة هي التي نفعت أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فحرصوا على الاقتداء بالنبي صلوات الله وسلامه عليه، حتى إن ابن عمر كان يركب البعير فإذا بلغ موطنا رأى فيه بعير النبي صلى الله عليه وسلم قد التفت فيه إلى مكان فإذا به يأخذ بلجامه حتى يلتفت في المكان نفسه حبا للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليس مأمورا بذلك، ولكن أحب أن يفعل فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا علم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل في المكان الفلاني نزل وقضى حاجته، فكان يحب أن يصنع كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا علم أنه نزل في مكان فصلى فيه أحب أن يصلي فيه كما فعل النبي صلوات الله وسلامه عليه.اتباع النبي صلى الله عليه وسلم دليل على أن الله يحب لهذا العبد الخير، فإذا أحب له الخير فقد أحبه الله تعالى سبحانه تبارك وتعالى.وفي الحديث: (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) فعلامات أن هذا الإنسان يحبه الله ويريد به الخير أن يتفقه في دين الله عز وجل، وأنه يتبع ولا يبتدع في دين الله سبحانه، قال الله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران:٣١] فإذا تبعوا النبي صلى الله عليه وسلم ماذا سيحصل قال: ﴿يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [آل عمران:٣١]، فالنتيجة محبة الله للعبد، إذا أحب الله العبد يستحيل أن يعذبه وهو يحبه سبحانه تبارك وتعالى.كذلك قال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة:٥٤] ما هي علاماتهم

قال لنا في هذه الآية: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ [المائدة:٥٤] أربع صفات ذكرها الله عز وجل لهؤلاء الذين يحبهم الله ويحبون الله سبحانه تبارك وتعالى.فذكر أنهم أذلة على المؤمنين، يعني: متواضعين رحماء مع إخوانهم المؤمنين، لا يستعرض قوته على أخيه المؤمن، ولا يضايق المؤمنين ويفرح بقوته، وأنه يقدر عليهم حتى وإن كان قويا فإنه يظهر كأنه ضعيف، متواضع مع المؤمنين، يحب لهم الخير، ولا يظهر لهم قوته ولا يظهر لهم أنه أفضل منهم، قال الله: ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ [المائدة:٥٤].وهنا العزة على الكافرين تعني الشدة، فيظهر المسلم قوته على الكافرين في الجهاد في سبيل الله سبحانه تبارك وتعالى، وفي تأديب هؤلاء إذا كانوا ينالون من أحد من المؤمنين، أو من دين الله سبحانه تبارك وتعالى.إذا: هؤلاء أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فجهادهم ليس لمصلحة دنيوية، وإنما يبتغون به وجه الله سبحانه، يبتغون بذلك إحدى الحسنيين إما النصر، وإما الشهادة.وهم في ذلك لا يخافون لومة لائم، يأمرون بالمعروف ولا يخافون أحدا من الخلق؛ لأنهم يأمرون بأمر الله سبحانه، وينهون عن المنكر، ولا يخافون في ذلك أن يلومهم أحد، تراهم قوامين على أنفسهم، وقوامين لدين الله سبحانه تبارك وتعالى، شهداء بالحق ولو على الأنفس، أو على الوالدين، أو على الأقربين، فهم مقيمون لشرع الله سبحانه على أنفسهم، وعلى غيرهم، ولا يخافون لومة لائم، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة:٥٤] ذلك الذي هدى الله عز وجل عباده هؤلاء إليه من فضله العظيم سبحانه تبارك وتعالى.ولذلك أهل الجنة عندما يدخلون الجنة يقولون: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف:٤٣] الهدى من الله سبحانه تبارك وتعالى، ليس لأحد، فضل على أحد وإنما المنة والفضل لله سبحانه تبارك وتعالى على جميع الخلق.". (١)

٢٢٨-"أفضل القربات الفرائضروى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب).ولي الله عبد لله سبحانه تبارك وتعالى، يحب الله ويحبه الله، فينصره الله سبحانه لأنه ينصر دين الله، وهو يتولى الله ولا يتولى أحدا إلا الله، وليس لأحد ولاية على هذا الإنسان إلا الله سبحانه تبارك وتعالى.قال الله في كتابه: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس:٦٢] ما هي صفة هؤلاء الأولياء قال: ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس:٦٣] الإيمان والتقوى صفة ولي لله، يؤمن بالله عز وجل، ويتقي غضب الله، يأمر الناس بما أمر الله عز وجل به، وهو يفعله، وينهى الناس عما نهى الله عز وجل عنه، وهو ينتهي عنه.فكل من آمن بالله عز وجل واتقى الله سبحانه، ونفذ ما أمر الله به، وابتعد عما نهى الله عز وجل عنه؛ فهو ولي لله سبحانه تبارك وتعالى، وهذه ليست صفات مستحيلة، ولكنها صفات سهلة على من يسرها الله عز وجل عليه.قال الله تعالى: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب) أي: أعلمته بالحرب، فالله تعالى يحارب هذا الذي يعادي وليا من أولياء الله سبحانه! قال: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه).أفضل شيء تتقرب به إلى الله الفرائض، مثل الصلوات المكتوبات، وصوم رمضان، والزكاة التي فرضها الله سبحانه تبارك وتعالى، وتوحيد الله سبحانه في كل أمورك وعباداتك وتقربك، فلا يشوب ذلك الشرك بالله سبحانه تبارك وتعالى، والمتابعة للنبي صلوات الله وسلامه عليه.فما فرضه الله عليك في كتابه أو في

---

(١) شرح رياض الصالحين - حطيبة ٢/٢٣

سنة النبي صلى الله عليه وسلم ففعله أحب ما تتقرب به إلى الله سبحانه.فإذا التزم العبد بالفرائض وفقه الله عز وجل للنوافل، قال هنا: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).إذا جاء بالفرائض التي يحبها الله تعالى، ولم يزل يزداد من النوافل فإنه يصل إلى أن يحبه الله سبحانه تبارك وتعالى.والفرائض تكملها النوافل، وهي إما راتبة أو مطلقة، فالمؤمن يصلي لله عز وجل فيحافظ على الفرائض، فيصلي صلاة الفجر، وقبلها يصلي ركعتين وهما سنة الفجر القبلية، ويصلي الظهر ويصلي قبلها ركعتين وبعدها ركعتين، أو قبلها أربعا وبعدها أربعا، ويصلي العصر ويصلي قبلها ركعتين أو أربعا، ويصلي المغرب ويصلي بعدها ركعتين، ويصلي العشاء ويصلي بعدها ركعتين، ويصلي إحدى عشرة ركعة يوتر بها أو ثلاث عشرة ركعة يوتر بها.فيتقرب إلى الله بالرواتب ثم يتقرب إلى الله عز وجل بنفل مطلق، فيصلي من الليل ما شاء الله عز وجل له أن يصلي، ويصلي في النهار صلاة الضحى وغيرها، وكلما ازداد من النوافل كان أقرب إلى رب العزة سبحانه تبارك وتعالى، وأكرمه الله عز وجل بذلك.". (١)

٢٢٩-"إطلاق السنة بمعنى المستحب والمندوبالمعنى الرابع: يأتي عند الفقهاء ذكر السنة بمعنى المستحب والمندوب.يقال في كتب الفقه: يسن كذا، أو يستحب كذا، أو يندب كذا.فتأتي السنة مرادفة للمندوب وللمستحب، ففي اصطلاح الفقهاء أن السنة تأتي للمأمور به لا على سبيل الإيجاب وإنما على سبيل الاستحباب، وهو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، ويطلبه الشارع طلبا غير جازم، فمن ترك الفعل المسنون لا يعاقب إلا إذا كان الترك رغبة عن السنة وزهدا فيها، فهذا يؤاخذ على ذلك، أما إذا تركه لأنه ليس بواجب وليس رغبة عن السنة، لكنه يقتصر على الواجب ولا يفعل المستحب، فإنه لا يؤاخذ على ذلك.لكن المستحبات والسنن هي كالسياج للفرائض، ومن تهاون بالسنن جره ذلك إلى التهاون بالفرائض، والنوافل تكمل بها الفرائض إذا حصل نقص، كما جاء في الحديث: (أول ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيامة الصلاة) وجاء في آخر الحديث نفسه: أنه إذا حصل منه نقص فإنه ينظر إلى ما فعله من النوافل، فيكمل بالنفل ما حصل من النقص في الفرض.فالنوافل مكملة للفرائض وهي كالسياج والحصن الذي يحول دون التساهل بالفرائض؛ لأن من يتساهل بالسنن قد يجره ذلك إلى أن يتساهل في الفرائض، ومن حرص على النوافل فهو على الفرائض أحرص، ومن اشتغل بالنوافل وقصر في الفرائض فهو مخطئ وآثم.وقد قال بعض العلماء: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن اشتغل بالنفل عن الفرض فهو مغرور، كالإنسان يكون في وظيفة وله دوام معين عليه أنه يشغله، فإذا كان يقضي جزءا من النهار وهو يصلي ويتنفل ويترك العمل مشغولا بالنوافل، فهذا ترك للواجب واشتغال بغير الواجب.والله عز وجل يقول كما في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).هذه أربعة معان تطلق على السنة: إطلاق عام يشمل الكتاب والسنة، وإطلاق يراد به خصوص حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإطلاق يراد به ما يعتقد طبقا للسنة خلافا للبدعة، وإطلاق يراد به المأمور به على سبيل الندب لا على سبيل الوجوب.". (٢)

---

(١) شرح رياض الصالحين - حطيبة ٤/٢٣

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد ١١/١

٢٣٠-"شرح حديث: (أتموا لعبدي فريضته من تطوعه)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه). حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن عن أنس بن حكيم الضبي أنه قال: خاف من زياد أو ابن زياد فأتى المدينة فلقي أبا هريرة رضي الله عنه قال: فنسبني فانتسبت له، فقال: يا فتى ألا أحدثك حديثا قال: قلت: بلى رحمك الله، قال يونس: وأحسبه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا عز جل لملائكته -وهو أعلم-: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم)]. أورد الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه)]. المقصود من هذه الترجمة: أن الفرائض إذا حصل فيها شيء من النقص وكان هناك نوافل، فإن ذلك النقص يكمل من النوافل، وفي ذلك ترغيب في النوافل وحث عليها؛ لأنها مكملة ومتممة للفرائض، بحيث أن الذي يتساهل فيها يتساهل في الفرائض، والذي يحافظ عليها يحافظ على الفرائض. وعلى هذا فالنوافل شأنها عظيم والاهتمام بها عظيم، وفائدتها كبيرة؛ لأنها تكون وقاية للفرائض، ولأنها تتم بها الفرائض إذا كان هناك نقص فيها عند المحاسبة. هذه هي الترجمة التي أوردها الإمام أبو داود رحمه الله، وأتى بها على وفق ما جاء في الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، من أن النوافل تكمل الفرائض إذا حصل فيها نقص. وقد جاء عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ثم قال: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه). فالنوافل شأنها عظيم؛ إذ بها تضاعف الأجور، وهي كالسياج الذي يحافظ به على الفرائض. أورد أبو داود رحمه الله حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة) وهذا يدلنا على عظم شأن الصلاة، وأن شأنها كبير، وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي أول ما يحاسب عليه يوم القيامة، وآخر ما يفقد في هذه الحياة. والإنسان إذا كان مفلحا في صلاته، وقائما بما يجب عليه فيها، فإنه يرجى أن يكون فيما وراء ذلك على التمام وعلى وجه حسن، وإذا كان بخلاف ذلك في الصلاة فما سواها يكون من باب أولى. قوله: [(قال: يقول ربنا عز وجل لملائكته -وهو أعلم-: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها فإن كانت تامة كتبت له تامة)]. يعني: أنه حصل في فرضه على التمام والكمال. [(وإن كان انتقص منها شيئا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم)]. يعني: باقي الأعمال من بعد الصلاة، كذلك الصلاة إذا كان الإنسان عنده خلل أو تقصير، فإن النوافل من الصدقات تتم بها، وكذلك الصيام والحج وهكذا.". (١)

٢٣١-"شرح أحاديث صلاة الرواتبقال المصنف رحمه الله تعالى: [باب تفريع أبواب التطوع وركعات السنة. حدثنا محمد بن عيسى حدثنا ابن علية حدثنا داود بن أبي هند حدثني النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن عنبسة بن أبي سفيان عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من صلى في يوم ثنتي عشرة ركعة تطوعا بني له

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ٣/١١٢

بهن بيت في الجنة)].حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا هشيم أخبرنا خالد، ح وحدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد -المعنى- عن عبد الله بن شقيق قال: (سألت عائشة عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من التطوع، فقالت: كان يصلي قبل الظهر أربعا في بيتي، ثم يخرج فيصلي بالناس، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بالناس المغرب، ثم يرجع إلى بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي بهم العشاء، ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين، وكان يصلي من الليل تسع ركعات فيهن الوتر، وكان يصلي ليلا طويلا قائما، وليلا طويلا جالسا، فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد، وكان إذا طلع الفجر صلى ركعتين، ثم يخرج فيصلي بالناس صلاة الفجر صلى الله عليه وعلى آله وسلم).حدثنا القعنبي عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين، وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين في بيته، وبعد صلاة العشاء ركعتين، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين)].يقول الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله تعالى: [باب تفريع أبواب التطوع وركعات السنة].التطوع: هو النفل، وهو غير الفرائض، وقوله: [وركعات السنة] لعله يريد بذلك الركعات التي تكون تابعة للصلوات، والسنة لعله يريد بها السنة في اصطلاح الفقهاء، وهي التطوع أو الركعات المستحبة التي هي رواتب تابعة للصلوات.والسنة تأتي على أربعة معان: الأول: كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من القرآن والسنة، فكله سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: منهجه وطريقته، فما في القرآن وما في السنة كله سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وهدي الرسول الذي جاء به صلى الله عليه وسلم؛ لأن القرآن من الله والسنة من الله، إلا أن السنة وحي غير متلو.ومر معنا حديث ابن عباس: (فرض الله على لسان نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم الصلاة في السفر ركعتين، وفي الحضر أربعا، وفي الخوف ركعة).فقوله: (فرض الله على لسان نبيكم) يعني أن الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم هو من الله، فالسنة من الله، والقرآن من الله، والكل سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: (فمن رغب عن سنتي فليس مني)، فالمقصود بسنة صلى الله عليه وسلم طريقته التي هي اتباع الكتاب والسنة، وهدي الكتاب والسنة، وهذا هو أعم المعاني التي يأتي بها لفظ السنة.المعنى الثاني: فحديث الرسول صلى الله عليه وسلم يقال له: سنة، ومن ذلك ما يذكره العلماء في شروح الحديث، وفي كتب الفقه، فعندما يأتون إلى مسألة من المسائل فإنهم يقولون: هذه المسألة دل عليها الكتاب والسنة والإجماع والقياس أو المعنى، ثم يقولون: أما الكتاب فقول الله تعالى كذا، وأما السنة فقول الرسول صلى الله عليه وسلم كذا، وأما الإجماع فقد حكاه أهل الإجماع، وأما المعنى فكذا وكذا.فإذا ذكرت السنة مع القرآن أو مع الكتاب فالمراد بها حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، والسنة بهذا المعنى تكون مرادفة للحديث، فالحديث والسنة هما بمعنى واحد، وهو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم.المعنى الثالث: مقابل البدعة، فإذا قالوا: هذا سنة وهذا بدعة فمعناه أن هذا جاء وفقا للسنة، ذاك جاء بدعة خلافا للسنة.ومن ذلك الكتب التي يؤلفها العلماء في عقيدة أهل السنة والجماعة باسم السنة، مثل: كتاب السنة لـ ابن أبي عاصم، والسنة لـ محمد بن نصر المروزي، والسنة لـ عبد الله بن الإمام أحمد، والسنة للالكائي، والمراد منها ما يعتقد طبقا للسنة وخلافا للبدعة.والإمام أبو داود رحمه الله قد وضع في كتابه السنن اسم: (كتاب السنة)، وأورد فيه ما يقرب من مائة وخمسين حديثا كلها في العقيدة، يعني: ما يعتقد وفقا للسنة وخلافا للبدعة.المعنى الرابع: هو السنة باصطلاح الفقهاء، وهو المأمور به لا على سبيل الإيجاب، وإنما على سبيل الاستحباب، أي: ما يثاب

فاعله ولا يعاقب تاركه، ويطلبه الشارع طلبا غير جازم، بخلاف الواجب، فإنه يثاب فاعله ويعاقب تاركه ويطلبه الشارع طلبا جازما.وعلى هذا فالسنة يراد بها المندوب والمستحب، فيقال: المسنون.وإذا جاء في كتب الفقهاء (يسن) أو (المسنون) أو (سنة) أو (مندوب) أو (مستحب) فذلك كله بمعنى واحد.وقوله هنا: [(وركعات السنة)] لعله يريد بذلك الركعات التي هي مستحبة، والتي هي من قبيل السنن التي ليست بواجبة، ولكن على الإنسان أن يحرص عليها.وقد سبق أن مر الحديث الذي فيه: (إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة) وفيه أنها إذا نقصت يقول الله تعالى: هل لعبدي من تطوع، فيكمل به صلاة الفرائض.والتطوعات والسنن على الإنسان أن يحرص عليها؛ لأنها كالسياج للفرائض، والذي يتهاون بالسنن يتهاون بالفرائض، فمن سهل عليه التهاون بالسنن يسهل عليه التهاون بالفرائض، ومن حافظ على السنن فمن باب أولى أن يحافظ على الفرائض، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) الحديث.ثم أورد أبو داود رحمه الله ثلاثة أحاديث: الأول عن أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها وأرضاها، وفيه: أن من حافظ على ثنتي عشر ركعة في كل يوم -أي: في اليوم والليلة- بني له بيت في الجنة.والثاني حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه بيان تفصيل تلك الركعات، وأنها أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.فالتفصيل لهذه السنن الرواتب الثنتي عشرة موجود في حديث عائشة: أربع قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.والثالث حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه المحافظة على عشر ركعات: ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل الفجر.وحديث أم حبيبة وحديث عائشة متفقان من ناحية العدد، وأن الراتبة تكون أربعا قبل الظهر، بخلاف حديث ابن عمر، فإن فيه اثنتين قبل الظهر، ولا شك في أن الإتيان بالأكمل والأفضل الذي هو أربع هو الأولى، ومن أتى بالاثنتين فحسن ولا بأس بذلك.ومن الأمور التي أذكرها عن سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه -وكنت ذكرت هذا في المحاضرة التي ألقيتها عقب وفاته بخمسة أيام- أنني دخلت معه إلى المسجد النبوي، وبعد أن أذن للظهر وصففت بجواره صلى هو أربعا، وأنا صليت ركعتين وجلست، وبعدما سلم التفت إلي وقال: أنت صليت ركعتين قلت: نعم صليت ركعتين، قال: الأربع أحسن وأفضل؛ لأنها جاءت في حديث عائشة وأم حبيبة، وفي الزيادة خير.يعني: فهي أولى وأفضل.وهذا من نبله وفضله ونصحه رحمة الله عليه، فإنه ينبه على أمور فيها الكمال، وإن كان الإتيان بذلك موافقا للسنة، إلا أن الذي جاءت به السنة هو أكمل وأفضل، وهو الأولى، فنبهني على ذلك رحمة الله عليه.والحاصل أن الأفضل الإتيان بالأكمل، والذي جاء في حديث أم حبيبة وحديث عائشة لا شك هي أنه أكمل وأفضل، ومن أتى بركعتين فقد وافق السنة، ومعلوم أن الأصغر يدخل في الأكبر، إذا أتي بالأكبر فقد أتي بالأصغر، ولكن من أتى بالأصغر فقد ترك بالأكبر، بل من أتى بالأكبر هو الذي يحصل على الفضل والزيادة في الخير؛ لأن (أربع الركعات لا شك في أن الإتيان بها أفضل من الإتيان بركعتين.وعلى هذا فإن هذه الأحاديث الثلاثة دلت على هذه الرواتب، وحديث أم حبيبة وعائشة متفقان على ذكر العدد، وهو الثنتي عشرة ركعة، وحديث أم حبيبة غير مفصل، وحديث عائشة مفصل، وفيه -أيضا- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الرواتب كلها في بيته.وفي حديث ابن عمر قال: [(وبعد المغرب ركعتين في بيته)].وهذا يفيد أن ذلك في بيته، ولكن عائشة رضي الله عنها بينت أن تلك الرواتب كانت في البيت، فيكون

هذا الذي جاء في حديث ابن عمر مثلما جاء في حديث عائشة، إلا أن ابن عمر نص على ذلك فيما يتعلق بالمغرب.وعائشة -كما هو معلوم- هي أدرى وأعلم؛ لأنها تخبر أنه كان يصلي في بيته أربعا، ثم يخرج، ثم يرجع ويصلي ركعتين، وكل راتبة من الرواتب كان يأتي بها صلوات الله وسلامه وبركاته عليه في بيته كما جاء ذلك مبينا عنها.وقد قال عليه الصلاة والسلام: (صلاة الرجل في بيته أفضل إلا المكتوبة)، فدل على فضل ذلك بقوله وفعله، حيث كان يصلي في بيته النوافل الرواتب، وأخبر في هذا الحديث بأفضليتها.". (١)

٢٣٢-"شرح حديث (جاء رجل والنبي يصلي الصبح فصلى الركعتين ثم دخل مع النبي في الصلاة)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب: إذا أدرك الإمام ولم يصل ركعتي الفجر.حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن عاصم عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال: (جاء رجل والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح، فصلى الركعتين، ثم دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، فلما انصرف قال: يا فلان! أيتهما صلاتك: التي صليت وحدك أو التي صليت معنا!)].أورد أبو داود [باب: إذا أدرك الإمام ولم يصل ركعتي الفجر]، يعني: ماذا يصنعو أنه يدخل مع الإمام ولا يصلي ركعتي الفجر، بل يصليهما بعد ذلك، كما جاءت في ذلك السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.وسيأتي أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي بعد الفجر فسأله فقال: إنه لم يصل الركعتين.فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقره على صنيعه، فدل ذلك على جواز الإتيان بركعتي الفجر بعد الصلاة، فيقضيهما بعد الصلاة ولو كان ذلك وقت نهي؛ لأنه ورد استثناؤهما بهذا الدليل، وعلى هذا فالإنسان إذا دخل والإمام يصلي فإنه يدخل معه في الصلاة، ولا يجوز له أن يصلي والإمام يصلي، فلا يتشاغل بالنفل عن الفرض، بل يدخل في الفرض ويشتغل به، وقد جاءت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الذي أورده أبو داود حديث عبد الله بن سرجس رضي الله عنه أنه جاء رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصبح، فصلى ركعتين، ثم دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، وصلى معه صلاة الفجر، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [(يا فلان! أيتهما صلاتك!) أي: الركعتان اللتان صليتهما وحدك أو التي صليت معنا، وهذا إنكار عليه؛ لأن الإنسان عندما يكون الإمام في الصلاة ليس له أن يتشاغل عن الفرض بالنفل.وقد نقل الحافظ ابن حجر رحمة الله عليه في فتح الباري عن بعض الأكابر أنه قال: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور.يعني: من اشتغل بالنوافل عن الفرائض فهو مغرور، والذي تشغله الفرائض عن النوافل هو معذور؛ لأنه مشغول بالشيء الأهم والواجب، والشيء المتعين، والله تعالى يقول في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) الحديث.فالتشاغل بالنفل عن الفرض بأن يكون الإمام يصلي ثم يأتي من لم يصل النافلة فيتشاغل بها عن الفريضة مما أنكره الرسول صلى الله عليه وسلم على من فعله.وثبت عنه في الحديث الذي سيأتي أنه قال: (إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة).وبقي مسألة، وهي: إذا كان الإنسان قد بدأ بالنافلة قبل الإقامة، وأقيمت الصلاة وهو يصلي النافلة، فماذا يصنع هل يقطعها ويدخل مع الإمام استنادا إلى ما جاء في أحاديث الباب، أو أنه يتمها خفيفة!و

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ٣/١٥٥

إذا كان الإنسان في آخرها فيتمها خفيفة ويدخل مع الإمام، ويدرك الصلاة، ويمكن أنه في حال الإقامة ينتهي ويدخل مع الإمام في الصلاة، وإن كان في أولها فعليه أن يقطعها، ولا يتشاغل بالفرض عن النفل.". (١)

٢٣٣-"شرح حديث (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال)قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب في صوم ستة أيام من شوال.حدثنا النفيلي حدثنا عبد العزيز بن محمد عن صفوان بن سليم وسعد بن سعيد عن عمر بن ثابت الأنصاري عن أبي أيوب رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر)].أورد أبو داود باب صيام ست من شوال، وستة أيام من شوال صيامها ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء في بعض الروايات عند النسائي تفصيل ذلك بأنه إذا صام رمضان فيكون يقابل عشرة أشهر، وإذا صام ستا من شوال يقابل شهرين، فيكون صام ثلاثمائة وستين يوما؛ لأن اليوم عن عشرة أيام، والحسنة بعشر أمثالها، وهذا يوضح ما جاء في الحديث: (شهرا عيد لا ينقصان) وقد سبق أن المقصود بذلك أنه إن كان ناقصا فهو كامل في الأجر والثواب؛ ولهذا جاء التفصيل بأن رمضان يعادل عشرة أشهر، وستا من شوال تعادل صوم شهرين، وقد يكون الشهر تسعة وعشرين يوما، فيكون ناقصا، ولكنه قال: (لا ينقصان) يعني: في الأجر، وإن حصل النقص في العدد بأن يكون تسعة وعشرين يوما فإن الأجر فيه كامل، ويكون كأنه صام ثلاثين يوما، وهذا الذي جاء في هذا الحديث يبين هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (شهرا عيد لا ينقصان).ثم إن صيام ست من شوال أورد أبو داود فيه حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: (من صام رمضان وأتبعه بست من شوال فكأنما صام الدهر).يعني: يشبه صيام الدهر؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، واليوم عن عشرة أيام، كما أن قوله: (من صام رمضان وأتبعه بست من شوال) يدل على أن الإنسان لا يأتي بصيام الست إلا بعدما يؤدي القضاء الذي عليه؛ لأنه لا يقال للإنسان إنه صام رمضان إلا إذا أدى ما عليه سواء الفرض أو قضاء الفرض، يعني: لو أن أحدا كان عليه شيء من رمضان فيبدأ بالفرض قبل النفل ويشتغل به؛ ولهذا قوله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان وأتبعه) لأن من لم يصم ما عليه من رمضان لا يقال: صام رمضان بل رمضان باق في ذمته، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال) دال على أن المقصود بذلك من أدى ما عليه من الفرض في وقته وليس عليه قضاء، وإن كان عليه شيء من رمضان فعليه أن يبدأ بقضاء رمضان ثم يصوم ستا من شوال، ولا يتشاغل بالفرض عن النفل، وقد قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: قال بعض الأكابر: من اشتغل بالفرض عن النفل فهو معذور، ومن اشتغل بالنفل عن الفرض فهو مغرور.قوله: (ثم أتبعه بست من شوال) يدل على أن المبادرة إلى صيامها بعد العيد هو الأولى؛ لأن هذا هو الذي يقتضيه الإتباع في قوله: (ثم أتبعه بست من شوال)، ولكن إن لم يفعل فإن الشهر كله وقت وزمن لها، ولكن لا يؤخرها عن شوال؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (بست من شوال) فهو في حدود شوال، يعني: من صام أثناء الشهر يكون حصل منه المطلوب، ولكن الأولى أن يبادر إلى الصيام بعد العيد إذا أمكنه ذلك؛ لأن هذا هو الذي يتحقق به الإتباع، ولكنه إذا لم يفعل وأتى بها سواء كانت مجتمعة أو متفرقة فإن ذلك يحصل به المقصود، ثم إن كون الإنسان يصوم ستا من شوال هذه بمثابة السنة الراتبة

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ١٥٦/١٢

بعد الفريضة، وقد جاء في الحديث أن التطوع يكمل به الفرض إذا لم يكن أتمه وإذا كان في نقص، كما سبق أن مر بنا الحديث في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو بمنزلة الراتبة في صلاة الفريضة، ثم أيضا كون الإنسان يأتي بصيام هذه الست يدل على رغبته في الطاعة ومحبته للصوم؛ لأنه أتى بالطاعة التي هي الصيام في رمضان، ثم بعد ذلك أتى بالتطوع، ويدلك كذلك على أنه لا يودع الصيام بانتهاء شهر الصيام، وإنما يصوم تطوعا لله عز وجل، والله تعالى قد قال في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه).". (١)

٢٣٤-"شرح حديثي طلحة بن عبيد الله في فرض الصلاةقال المصنف رحمه الله تعالى: [كتاب الصلاة.باب: فرض الصلاة.حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عمه أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه يقول: (جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة.قال: هل علي غيرهن قال: لا، إلا أن تطوع.قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام شهر رمضان، قال: هل علي غيره قال: لا إلا أن تطوع.قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة، قال: فهل علي غيرها قال: لا إلا أن تطوع.فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص.فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفلح إن صدق).حدثنا سليمان بن داود حدثنا إسماعيل بن جعفر المدني عن أبي سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر بإسناده بهذا الحديث، قال: (أفلح -وأبيه- إن صدق، دخل الجنة -وأبيه- إن صدق)].قوله: [باب فرض الصلاة] المقصود بفرض الصلاة بيان أنها مفروضة، وليس المقصود بفرض الصلاة ابتداء فرضها؛ لأن ابتداء فرضها حصل ليلة المعراج، ولكن المقصود بالترجمة التي عقدها المصنف وأورد الحديث تحتها بيان أنها مفروضة وأن الله عز وجل فرضها، وأنها حق لازم متحتم لله تعالى، بل هي -كما عرفنا- أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.قوله: [(جاء رجل من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خمس صلوات في اليوم والليلة.قال: هل علي غيرهن قال: لا، إلا أن تطوع)] بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة، وبين له أن الذي يبدأ به بعد الدخول في الإسلام هو الصلاة، ولهذا جاء في وصية النبي صلى الله عليه وسلم لـ معاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن أن يبدأ بدعوتهم إلى الصلاة بعد الدخول في الإسلام، فقال عليه الصلاة والسلام: (إنك تأتي قوما أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أجابوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم)، فبدأ بالصلاة.إذا: أول شيء يدعى إليه بعد التوحيد هو الصلاة التي هي عمود الإسلام، وهذا -أيضا- مما يبين لنا عظم شأن الصلاة وأنها أول شيء يدعى إليه بعد الدخول في الإسلام.فهي خمس صلوات فرضها الله عز وجل في اليوم والليلة، فقال لهذا الرجل: [(خمس صلوات في اليوم والليلة.قال: هل علي غيرهن فقال: لا، إلا أن تطوع)] وهذا فيه دليل على أن

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ٦/٢٨٥

الفرض الذي فرضه الله هو هذه الصلوات الخمس، وأن الوتر ليس بواجب محتم، ولكنه من آكد النوافل، ومن المعلوم أن الإنسان إذا تهاون بالنوافل فإنه يتهاون بالفرائض، والنوافل هي كالسياج وكالوقاية للفرائض، فينبغي أن لا يحصل تساهل فيها وتهاون، بل يؤدي الإنسان الفرائض ويأتي بالنوافل، والنوافل تكمل بها صلاة الفرض إذا حصل فيها نقص، كما جاء بذلك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلى الإنسان أن يحافظ على الفرائض ويحرص على النوافل، وقد قال الله عز وجل في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)، ومن المعلوم أن الاقتصار على الفرائض هو الاقتصاد، ولكن السبق بالخيرات يكون بالإتيان بالواجبات وبالمفروضات وبالمنافسة في الخير وبالإتيان بالنوافل التي يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل، ولهذا جاء في الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) إلى آخر الحديث، فالإنسان عليه أن يحرص على الفرائض ويحرص على النوافل، ولا يتهاون بالنوافل؛ لأن التهاون بالنوافل قد يؤدي إلى التهاون بالفرائض، وقد جاء في الحديث: (أن الإنسان إذا كان في صلاته نقص فإنه وكان له نوافل فإنه يكمل بها ذلك النقص الذي حصل في صلاته.إذا: فالصلوات المفروضة في اليوم والليلة خمس صلوات، والحديث يدل على أن الوتر ليس بفرض، ولكنه متحتم، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحافظ على الوتر وعلى ركعتي الفجر في الحضر والسفر، فما كان يترك الوتر ولا ركعتي الفجر حتى في أسفاره صلى الله عليه وسلم، ويقول الإمام أحمد: إن الذي لا يصلي الوتر رجل سوء.وفي الحديث -أيضا- دليل على أن الجمعة فرض وأنها لازمة؛ لأنها من صلوات اليوم والليلة؛ [(خمس صلوات كتبهن الله في اليوم والليلة)] والجمعة هي فرض ذلك اليوم الذي هو يوم الجمعة.قوله رسول الله صلى الله عليه وسم: [(وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم صيام رمضان، قال: هل علي غيره قال: لا، إلا أن تطوع، وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة، قال: هل علي غيرها قال: لا، إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص.معناه أنه يقتصر على الواجبات.وقوله: [(أفلح إن صدق)] يدل على أن القيام بالواجبات هو الذي يسلم به الإنسان من الوقوع في الإثم؛ لأن الواجب يثاب فاعله ويعاقب تاركه، وأما المندوب فيثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، فقوله: [(أفلح إن صدق)] يعني: أتى بما يؤدي به إلى الفلاح، وبما يسلم به من عذاب الله عز وجل، ولكنه إذا زاد على ذلك بأن أتى بالنوافل يكون خيرا له وبركة، ويكون نورا مضافا إلى نور، وخيرا إلى خير، وقوله: [(أفلح إن صدق)] معناه: إن صدق فيما يقول وفيما حلف عليه أنه يأتي بما فرض الله عليه لا يزيد ولا ينقص فإنه يكون مفلحا وآخذا بسبب الفلاح، وهو القيام بما أوجبه الله جل وعلا عليه.". (١)

٢٣٥-"شرح حديث: (الصيام جنة)قال: [حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب - القعنبي - وقتيبة بن سعيد قالا: حدثنا المغيرة - الحزامي - عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الصيام جنة)] (جنة) أي: سترة ووقاية ومانع من الرفث والآثام والمعاصي، كما أنه كذلك مانع من النار.وهذا معلوم حتى عند عامة الناس، لكن أحيانا يكون الفقه نقمة عند إنسان لا دين عنده ولا أخلاق، هو طالب علم وحافظ للعلم، لكن

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد ٦/٥٩

ما عنده دين ولا أخلاق، فتجد مثل هذا يقول: السرقة لا تؤثر على صحة الصيام.يقول: الذي يسرق صومه صحيح مع إثم السرقة، كالذي يصلي في ثوب مسروق صلاته صحيحة، لكنه آثم بلبسه الثوب المسروق، والذي يصلي في أرض مغصوبة وهو يعلم أنها مغصوبة، والنبي صلى الله عليه وسلم حرم الصلاة في الأرض المغصوبة، وحرم بناء المساجد في الأرض المغصوبة؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، لكن لو صلى إنسان فيها هل صلاته صحيحة أم باطلة صحيحة، لكن مع الإثم.نقول لهذا: لو أتيت إلى واحد من عامة الناس ممن يسرق وقلت له في رمضان: لماذا لا تسرق في رمضان لقال لك: نحن في الصيام، وهذا طالب العلم أجاز السرقة في نهار رمضان.كذلك تجد العامي يترك الصلاة في غير رمضان، فإذا دخل رمضان يقول لك: أنا أصوم وأصلي، يعني: لو أنت قلت له: الجمهور على أن تارك الصلاة غير كافر، وأن عبادته الأخرى مقبولة لما قبل منك ذلك، هو عنده إما أن يصلي ويصوم أو لا يصلي ولا يصوم، لابد من الأمرين معا، هذا فقه العوام وهذا علم العوام، فأحيانا يكون عند العوام علم لم يبلغه طلاب العلم.إذا: الصيام يكون بمثابة السترة في الدنيا بينك وبين المعاصي والذنوب، وفي الآخرة بينك وبين دخول النار.فالصيام عبادة واحدة فرضها الله عز وجل فيها إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، فما بالك بجميع الفرائض وجميع الواجبات وجميع النوافل التي إذا فعلها عبد أحبه الله عز وجل، كما في الحديث القدسي: (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) كل هذا من أجل النوافل، وفي بداية الحديث: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل)، وقد جمع هذا الحديث بين فائدة الفرائض وفائدة النوافل، فأحب الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى مولاه أداء ما افترض الله عز وجل عليه، لكنه إذا زاد في النوافل وحافظ عليها وواظب عليها –وخير العمل أدومه وإن قل– فإن هذا يوصلك إلى حب الله عز وجل، والله تبارك وتعالى يجعلك من المقربين.". (١)

٢٣٦-"التقرب إلى الله أولا بالفرائض ثم بالنوافلقال المصنف رحمه الله تعالى: [(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)].(وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه) هذه قربة من العبد للرب، لأن معنى تقرب أي: طلب القربة، فهناك قربة من العبد للرب، وهناك قربة من الرب للعبد، والفرق بينهما كالتالي: أن القرب من العبد للرب يكون بالإيمان ثم بالإحسان، فتؤمن بالله، ثم تحسن العمل.وأما القرب من الرب للعبد فيكون في الدنيا بعرفانه، فيعرفك الله جل وعلا بذاته، وهذا والله من أعظم القرب، ويكون في الآخرة برضوانه، يقول الله: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة:٧٢]، فيكون في الآخرة برضوانه، ويكون فيما بينهما بلطفه وامتنانه، جمع الله لي ولكم الثلاثة كلها.يكون في الدنيا بعرفانه، فمن عرف الله قرب منه، ويكون في الآخرة برضوانه، ويكون فيما بينهما بلطفه وامتنانه، هذا معنى: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل)،

---

(١) شرح صحيح مسلم - حسن أبو الأشبال ٦/١٣

فهناك فرائض وهناك نوافل، فالفرائض ما أمر الله به على وجه الإلزام، والنوافل ما ندب الله جل وعلا إليه على غير وجه الإلزام.". [1]

٢٣٧-"ومن ظن أن أحدا من هؤلاء الذين لا يؤدون الواجبات ولا يتركون المحرمات، سواء كان عاقلا، أو مجنونا، أو مولها، أو متولها، فمن اعتقد أن أحدا من هؤلاء من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين وجنده الغالبين، السابقين، المقربين والمقتصدين الذين يرفع الله درجاتهم بالعلم والإيمان، مع كونه لا يؤدي الواجبات ولا يترك المحرمات، كان المعتقد لولاية مثل هذا كافرا مرتدا عن دين الإسلام، غير شاهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل هو مكذب لمحمد صلى الله عليه وسلم فيما شهد به؛ لأن محمدا أخبر عن الله، أن أولياء الله هم المتقون المؤمنون، قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس : ٦٢، ٦٣] ، وقال تعالي : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ [الحجرات : ١٣] ./والتقوى أن يعمل الرجل بطاعة الله، على نور من الله، يرجو رحمة الله، وأن يترك معصية الله، على نور من الله، يخاف عذاب الله، ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء فرائضه، ثم بأداء نوافله . قال تعالى : (وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه**) كما جاء في الحديث الصحيح الإلهي الذي رواه البخاري .فصل(أعظم الفرائض الصلوات الخمس)". [2]

٢٣٨-"وإذا اعترف الظالم بظلمه، وطلب من المظلوم أن يعفو عنه، ويستغفر الله له، فهذا حسن مشروع . كما ثبت فى الصحيح عن أبي الدرداء : أنه كان بين أبى بكر وعمر كلام، وإن أبا بكر طلب من عمر أن يستغفر له فأبى عمر، ثم ندم . فطلب أبا بكر فوجده قد سبقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر له ذلك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يغفر الله لك يا أبا بكر) ، ثم قال : (أيها الناس، إنى قد جئت إليكم فقلت : إنى رسول الله، فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر : صدقت، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى) .وإذا طلب من المظلوم العفو بعد اعتراف الظالم فأجاب، كان من المحسنين الذين أجرهم على الله، وإن أبى إلا طلب حقه لم يكن ظالما . لكن يكون قد ترك الأفضل الأحسن، فليس لأحد أن يخرجه عن أهل الطريق بمجرد ذلك، كما قد يفعله كثير من الناس . قال الله تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ [الشورى : ٤١، ٤٢] فإنه لو كان من ترك الإحسان الذى لا يجب عليه يحسب خارجا عن الطريق خرج عنه جمهور أهله .و [أولياء الله] على صنفين : مقربين سابقين، وأصحاب يمين مقتصدين . كما روى البخارى فى صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة .وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، فبى يسمع، وبى يبصر، وبى يبطش، وبى يمشى، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن

---

(١) شرح كتاب الرقاق من صحيح البخاري - المغامسي ٨/٥

(٢) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٢١/١

استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه) .". [١]

٢٣٩-"إن حمل على الصغائر أو على المغفرة مع التوبة لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم .فكما لا يجوز حمل الحديث على الكفر لما قد علم أن الكفر لا يغفر إلا بالتوبة(١) لا يجوز حمله على مجرد الصغائر المكفرة باجتناب الكبائر .(الرابع) : أنه قد جاء في غير حديث أن « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن كان أكملها كتبت له كاملة وإن لم يكن أكملها قال للملائكة انظروا هل تجدون لعبدى من تطوع فأكملوا بها ما ضيع من فريضة ثم الزكاة ثم تؤخذ الأعمال على حسب ذلك »(٢).ومعلوم أن ذلك النقص المكمل لا يكون لترك مستحب ؛ فإن ترك المستحب لا يحتاج إلى جبران ولأنه حينئذ لا فرق بين ذلك المستحب المتروك والمفعول ،فعلم أنه يكمل نقص الفرائض من التطوعات .وهذا لا ينافي من أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة مع أن هذا لو كان معارضا للأول لوجب تقديم الأول لأنه أثبت وأشهر (٣)ـــــــــــــــــ(١) - وفي مسند أحمد برقم(١٨٣٠٤)عن ابن شماسة أن عمرو بن العاص قال لما ألقى الله عز وجل فى قلبى الإسلام - قال - أتيت النبى -صلى الله عليه وسلم- ليبايعنى فبسط يده إلى فقلت لا أبايعك يا رسول الله حتى تغفر لى ما تقدم من ذنبى. قال فقال لى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « يا عمرو أما علمت أن الهجرة تجب ما قبلها من الذنوب يا عمرو أما علمت أن الإسلام يجب ما كان قبله من الذنوب » وهو حديث صحيح.وفي سنن ابن ماجه برقم(٤٣٩١) عن أبى عبيدة بن عبد الله عن أبيه قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وهو صحيح لغيره.(٢) - مسند أحمد برقم(١٧٤١٧) وسنن الترمذى برقم(٤١٥) وهو صحيحوفي تحفة الأحوذي - (ج ١ / ص ٤٥١)" إن أول ما يحاسب به العبد " بالرفع على نيابة الفاعل" يوم القيامة من عمله صلاته " أي المفروضة . قال العراقي في شرح الترمذي : لا تعارض بينه وبين الحديث الصحيح : إن أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء . فحديث الباب محمول على حق الله تعالى ، وحديث الصحيح محمول على حقوق الآدميين فيما بينهم . فإن قيل : فأيهما يقدم محاسبة العباد على حق الله أو محاسبتهم على حقوقهم ، فالجواب أن هذا أمر توقيفي وظواهر الأحاديث دالة على أن الذي يقع أولا المحاسبة على حقوق الله تعالى قبل حقوق العباد انتهى . وقيل الأول من ترك العبادات والثاني من فعل السيئاتوفي شرح رياض الصالحين لابن عثيمين - (ج ٤ / ص ٢٦٥)وهذا بالنسبة لحق الله عز وجل فإن صلحت فقد أفلح ونجح وإلا فعلى العكس خاب وخسر والعياذ بالله أما بالنسبة لحقوق الآدميين فأول ما يقضى بين الناس في الدماء لأنها أعظم الحقوق الدماء يعني القتل ثم يأتي بقية المحاسبة على ما يبقى ولكن الله عز وجل إذا حاسب العبد على الصلاة وصحت أفلح ونجح وإلا خاب وخسر ثم يحمد الله عز وجل أن ينظر في أعماله هل له نوافل فإنها تكمل بها الفرائض ولهذا كان من فضل الله ورحمته ونعمته وإحسانه أن شرع لنا النوافل خلف الصلوات وقبلها وفي كل وقت إلا الأوقات المنهي عنها وذلك لأن الإنسان لابد أن يكون في صلاته خلل فيكمل بهذه النوافل فالظهر له أربع ركعات قبلها بتسليمين وركعتان بعدها وصلاة العصر ليس لها راتبه لكن لها سنة مطلقة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين

---

(١) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٩٩/١

صلاة صلاة المغرب لها راتبة بعدها ركعتان وسنة مطلقة قبلها صلاة العشاء بعدها ركعتان الفجر قبلها ركعتان صلاة الليل صلاة الوتر صلاة الضحى كل هذه النوافل يزداد بها أجر المصلي ويكمل بها النقص الذي حصل في الفريضة وهذه من نعمة الله عز وجل نسأل الله أن يعيننا وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته(٣) – وفي مجموع الفتاوى – (ج ٢ / ص ٢٢٥)وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فالمتقربون إلى الله بالفرائض : هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض . هم السابقون المقربون وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر ابن الخطاب : اعلم أن لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة . والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل : يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه وأن قرب الفرائض : يوجب أن يكون الحق عين وجوده كله وهذا فاسد من وجوه كثيرة بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع . وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم فإنه كلما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذا عنه وموافقة له : كان أفضل إذ الولي لا يكون وليا لله إلا بمتابعة الرسول باطنا وظاهرا ؛ فعلى قدر المتابعة للرسول : يكون قدر الولاية لله .". (١)

٢٤٠-"بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم ،ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله (١)_____________(١) – وفي مجموع فتاوى ابن تيمية – (ج ٢ / ص ١٥١)وأما ما يذكر عن " غلاة المرجئة " أنهم قالوا : لن يدخل النار من أهل التوحيد أحد فلا نعرف قائلا مشهورا من المنسوبين إلى العلم يذكر عنه هذا القول . و " أيضا " فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد لشارب الخمر المجلود مرات بأنه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته ومعلوم أن من أحب الله ورسوله أحبه الله ورسوله بقدر ذلك . وأيضا فإن الذين قذفوا عائشة أم المؤمنين كان فيهم مسطح بن أثاثة وكان من أهل بدر وقد أنزل الله فيه لما حلف أبو بكر أن لا يصله : ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ . وإن قيل : إن مسطحا وأمثاله تابوا لكن الله لم يشرط في الأمر بالعفو عنهم والصفح والإحسان إليهم التوبة . وكذلك ﴿ حاطب بن أبي بلتعة كاتب المشركين بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم فلما أراد عمر قتله قال النبي صلى الله عليه وسلم إنه قد شهد بدرا وما يدريك أن الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ . وكذلك ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : ﴿ لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة ﴾ وهذه النصوص تقتضي : أن السيئات مغفورة بتلك الحسنات ولم يشترط مع ذلك توبة ؛ وإلا فلا اختصاص لأولئك بهذا ؛ والحديث

---

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص/١٩

يقتضي المغفرة بذلك العمل . وإذا قيل : إن هذا لأن أحدا من أولئك لم يكن له إلا صغائر لم يكن ذلك من خصائصه أيضا . وأن هذا يستلزم تجويز الكبيرة من هؤلاء المغفور لهم و " أيضا " قد دلت نصوص الكتاب والسنة : على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب . " أحدها " التوبة وهذا متفق عليه بين المسلمين قال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ وأمثال ذلك " السبب الثاني " الاستغفار كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إذا أذنب عبد ذنبا فقال : أي رب أذنبت ذنبا فاغفر لي فقال : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم أذنب ذنبا آخر فقال أي رب أذنبت ذنبا آخر . فاغفره لي فقال ربه : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء قال ذلك : في الثالثة أو الرابعة ﴾ وفي صحيح مسلم عنه أنه قال : ﴿ لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم ﴾ . وقد يقال على هذا الوجه الاستغفار هو مع التوبة كما جاء في حديث ﴿ ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم مائة مرة ﴾ وقد يقال : بل الاستغفار بدون التوبة ممكن واقع وبسط هذا له موضع آخر فإن هذا الاستغفار إذا كان مع التوبة مما يحكم به عام في كل تائب وإن لم يكن مع التوبة فيكون في حق بعض المستغفرين الذين قد يحصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الذنوب كما في حديث البطاقة بأن قول : لا إله إلا الله ثقلت بتلك السيئات ؛ لما قالها بنوع من الصدق والإخلاص الذي يمحو السيئات وكما غفر للبغي بسقي الكلب لما حصل في قلبها إذ ذاك من الإيمان وأمثال ذلك كثير . " السبب الثالث " : الحسنات الماحية كما قال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ﴾ وقال : ﴿ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ وقال : ﴿ من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ وقال ﴿ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ﴾ وقال : ﴿ فتنة الرجل في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ﴾ وقال : ﴿ من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه ﴾ وهذه الأحاديث وأمثالها في الصحاح . وقال : ﴿ الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ . وسؤالهم على هذا الوجه أن يقولوا الحسنات إنما تكفر الصغائر فقط فأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة كما قد جاء في بعض الأحاديث : " ما اجتنبت الكبائر " فيجاب عن هذا بوجوه . أحدها : أن هذا الشرط جاء في الفرائض . كالصلوات الخمس والجمعة وصيام شهر رمضان وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ فالفرائض مع ترك الكبائر مقتضية لتكفير السيئات وأما الأعمال الزائدة من التطوعات فلا بد أن يكون لها ثواب آخر فإن الله سبحانه يقول : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ . (الثاني) : أنه قد جاء التصريح في كثير من الأحاديث بأن المغفرة قد تكون مع الكبائر كما في ﴿ قوله صلى الله عليه وسلم غفر له وإن كان فر من الزحف ﴾ وفي السنن ﴿ أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب . فقال : أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا

منه من النار . ﴾ وفي الصحيحين في ﴿ حديث أبي ذر وإن زنى وإن سرق . ﴾ . (الثالث) : أن ﴿ قوله لأهل بدر ونحوهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ إن حمل على الصغائر أو على المغفرة مع التوبة لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم . فكما لا يجوز حمل الحديث على الكفر لما قد علم أن الكفر لا يغفر إلا بالتوبة لا يجوز حمله على مجرد الصغائر المكفرة باجتناب الكبائر . (الرابع) : أنه قد جاء في غير ﴿ حديث أن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيامة الصلاة فإن أكملها وإلا قيل : انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت به الفريضة ثم يصنع بسائر أعماله كذلك ﴾ . ومعلوم أن ذلك النقص المكمل لا يكون لترك مستحب ؛ فإن ترك المستحب لا يحتاج إلى جبران ولأنه حينئذ لا فرق بين ذلك المستحب المتروك والمفعول فعلم أنه يكمل نقص الفرائض من التطوعات . وهذا لا ينافي من أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة مع أن هذا لو كان معارضا للأول لوجب تقديم الأول لأنه أثبت وأشهر وهذا غريب رفعه وإنما المعروف أنه في وصية أبي بكر لعمر ؛ وقد ذكره أحمد في " رسالته في الصلاة " . وذلك لأن قبول النافلة يراد به الثواب عليها . ومعلوم أنه لا يثاب على النافلة حتى تؤدى الفريضة فإنه إذا فعل النافلة مع نقص الفريضة كانت جبرا لها وإكمالا لها . فلم يكن فيها ثواب نافلة ولهذا قال بعض السلف : النافلة لا تكون إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وغيره يحتاج إلى المغفرة . وتأول على هذا قوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ وليس إذا فعل نافلة وضيع فريضة تقوم النافلة مقام الفريضة مطلقا بل قد تكون عقوبته على ترك الفريضة أعظم من ثواب النافلة . فإن قيل : العبد إذا نام عن صلاة أو نسيها كان عليه أن يصليها إذا ذكرها بالنص والإجماع . فلو كان لها بدل من التطوعات لم يجب القضاء . قيل : هذا خطأ فإن قيل هذا يقال في جميع مسقطات العقاب . فيقال : إذا كان العبد يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل ومعلوم أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور ؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب كما عليه أن يحتمي من السموم القاتلة وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية . والله عليم حكيم رحيم – أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله . ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب قال بعضهم لشيخه : إني أذنب قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : إلى متى قال : إلى أن تحزن الشيطان . وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إن الله يحب العبد المفتن التواب ﴾ . وأيضا فإن من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا فلا يكون تطوعا والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى . في الحديث الصحيح : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر لم يحصل له مقصود النوافل ولا يظلمه الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض كمن عليه ديون لأناس يريد أن يتطوع لهم بأشياء

: فإن وفاهم وتطوع لهم كان عادلا محسنا . وإن وفاهم ولم يتطوع كان عادلا ، وإن أعطاهم ما يقوم مقام دينهم وجعل ذلك تطوعا كان غالطا في جعله ؛ بل يكون من الواجب الذي يستحقونه . ومن العجب أن " المعتزلة " يفتخرون بأنهم أهل " التوحيد " و " العدل " وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفيا يستلزم التعطيل والإشراك . وأما " العدل الذي وصف الله به نفسه " فهو أن لا يظلم مثقال ذرة وأنه : من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطا بذنب واحد من الكبائر وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى من جعل العدل هو التكذيب بقدر الله . (الخامس) : أن الله لم يجعل شيئا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما أنه لم يجعل شيئا يحبط جميع السيئات إلا التوبة . و " المعتزلة مع الخوارج " يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان قال الله تعالى : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ فعلق الحبوط بالموت على الكفر وقد ثبت أن هذا ليس بكافر والمعلق بشرط يعدم عند عدمه . وقال تعالى ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾ وقال تعالى لما ذكر الأنبياء : ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ وقال : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ مطابق لقوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ . فإن الإشراك إذا لم يغفر وأنه موجب للخلود في النار لزم من ذلك حبوط حسنات صاحبه ، ولما ذكر سائر الذنوب غير الكفر لم يعلق بها حبوط جميع الأعمال ، وقوله : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ . لأن ذلك كفر ، وقوله تعالى ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ لأن ذلك قد يتضمن الكفر فيقتضي الحبوط وصاحبه لا يدري كراهية أن يحبط أو خشية أن يحبط فنهاهم عن ذلك لأنه يفضي إلى الكفر المقتضي للحبوط . ولا ريب أن المعصية قد تكون سببا للكفر كما قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر ؛ فينهى عنها خشية أن تفضي إلى الكفر المحبط ؛ كما قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ﴾ – وهي الكفر – ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وإبليس خالف أمر الله فصار كافرا ؛ وغيره أصابه عذاب أليم . وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ قالوا : فصاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملا فلا يكون له حسنة وأعظم الحسنات الإيمان فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار وقد أجابتهم المرجئة : بأن المراد بالمتقين من يتقي الكفر فقالوا لهم : اسم المتقين في القرآن يتناول المستحقين للثواب كقوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ وأيضا فابنا آدم حين قربا قربانا لم يكن المقرب المردود قربانه حينئذ كافرا وإنما كفر بعد ذلك ؛ إذ لو كان كافرا لم يتقرب وأيضا فما زال السلف يخافون من هذه الآية ولو أريد بها من يتقي الكفر لم يخافوا وأيضا فإطلاق لفظ المتقين والمراد به من ليس بكافر لا أصل له في خطاب الشارع فلا يجوز حمله عليه . و " الجواب الصحيح " : أن المراد من اتقى الله في ذلك العمل كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ قال : أخلصه وأصوبه قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فمن عمل لغير الله –

كأهل الرياء – لم يقبل منه ذلك . كما في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل : ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري فأنا بريء منه وهو كله للذي أشركه ﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ﴿ لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول ﴾ وقال : ﴿ لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار ﴾ وقال في الحديث الصحيح : ﴿ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ أي فهو مردود غير مقبول . فمن اتقى الكفر وعمل عملا ليس عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه وإن صلى بغير وضوء لم يقبل منه لأنه ليس متقيا في ذلك العمل وإن كان متقيا للشرك . وقد قال تعالى : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ وفي حديث ﴿ عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف أن يعذب قال : لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ﴾ . وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور : وهذا أظهر الوجوه في استثناء من استثنى منهم في الإيمان وفي أعمال الإيمان كقول أحدهم : أنا مؤمن " إن شاء الله " – وصليت – إن شاء الله – لخوف أن لا يكون آتى بالواجب على الوجه المأمور به لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق ؛ لا يجوز أن يراد بالآية : إن الله لا يقبل العمل إلا ممن يتقي الذنوب كلها لأن الكافر والفاسق حين يريد أن يتوب ليس متقيا فإن كان قبول العمل مشروطا بكون الفاعل حين فعله لا ذنب له امتنع قبول التوبة . بخلاف ما إذا اشترط التقوى في العمل فإن التائب حين يتوب يأتي بالتوبة الواجبة وهو حين شروعه في التوبة منتقل من الشر إلى الخير لم يخلص من الذنب بل هو متق في حال تخلصه منه . و " أيضا " فلو أتى الإنسان بأعمال البر وهو مصر على كبيرة ثم تاب لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة وتقبل منه تلك الحسنات وهو حين أتى بها كان فاسقا . و " أيضا " فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم من قتل وغصب وقذف – وكذلك الذمي إذا أسلم – قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه ؛ فلو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش والمظالم ؛ بل يكون مع إسلامه مخلدا وقد كان الناس مسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم ذنوب معروفة وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم ويتوبون إلى الله سبحانه من التبعات . كما ثبت في الصحيح ﴿ أن المغيرة بن شعبة لما أسلم وكان قد رافق قوما في الجاهلية فغدر بهم وأخذ أموالهم وجاء فأسلم فلما جاء عروة بن مسعود عام الحديبية والمغيرة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف دفعه المغيرة بالسيف فقال : من هذا فقالوا : ابن أختك المغيرة فقال يا غدر ألست أسعى في غدرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبله وأما المال فلست منه في شيء ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ وقالوا لنوح : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ ﴿ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ ﴿ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ . ولا نعرف أحدا من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة .وفي الآداب الشرعية – (ج ١ / ص ٧٩)فصل (في عدم صحة توبة المصر ، وكيفية التوبة من الذنوب) ولا تصح التوبة من ذنب أصر على مثله .ولا يقال للتائب ظالم ولا مسرف ، ولا تصح من حق الآدمي ، ذكره في المستوعب والشرح وقدمه في الرعاية .وقطع به ابن عقيل في الإرشاد وفي الفصول وهو الذي ذكره النووي في رياض الصالحين عن العلماء ونص عليه أحمد قال عبد الله : سألت أبي

عن رجل اختان من رجل مالا ، ثم أنفقه ، وأتلفه ، ثم إنه ندم على ما فعل وتاب وليس عنده ما يؤدي فهل يكون في ندمه وتوبته ما يرجى له به إن مات على فقره خلاص مما عليه فقال أبي : لا بد لهذا الرجل من أن يؤدي الحق وإن مات فهو واجب عليه .وقال في رواية محمد بن الحكم فيمن غصب أرضا : لا يكون تائبا حتى يردها على صاحبها ، إن علم شيئا باقيا من السرقة ردها عليه أيضا ، وقال فيمن أخذ من طريق المسلمين : توبته أن يرد ما أخذ .فإن ورثه رجل ، فقال في موضع لا يكون عدلا حتى يرد ما أخذ وقال في موضع : هذا أهون ، ليس هو أخرجه ، وأعجب إلي أن يرده .وقال أحمد في رواية صالح فيمن ترك الصلاة وسأله صالح توبته أن يصلي قال : نعم ، وقيل : بلى والله تعالى يعوض المظلوم قاله ابن عقيل .وقال في الهداية ومظالم العباد تصح التوبة منها على الصحيح في المذهب وهو قول ابن عباس ، ومن مات نادما عليها كان الله عز وجل المجازي للمظلوم عنه كما ورد في الخبر ﴿ لا يدخل النار تائب من ذنبه ﴾ .وقال في الرعاية الكبرى فعلى المنع يرد ما أثم به وتاب بسببه ، أو بذله إلى مستحقه أو ينوي ذلك إذا أمكنه وتعذر رده في الحال وأخر ذلك برضاء مستحقه ، وأن يستحل من الغيبة والنميمة ونحوهما قال ابن أبي الدنيا : حدثنا يحيى بن أيوب حدثنا أسباط عن أبي رجاء الخراساني عن عباد بن كثير عن الحريري عن أبي نضرة عن جابر وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا ، فإن الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عز وجل عليه ، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ﴾ عباد ضعيف وأبو رجاء قال العقيلي : منكر الحديث ثم ذكر حديثه ﴿ موت الغريب شهادة ﴾ .وقيل إن علم به المظلوم وإلا دعا له واستغفر ولم يعلمه ، وذكر الشيخ تقي الدين أنه قول الأكثرين ، وذكر غير واحد : إن تاب من قذف إنسان أو غيبته قبل علمه به هل يشترط لتوبته إعلامه والتحليل منه على روايتين ، واختار القاضي أنه لا يلزمه لما روى أبو محمد الخلال بإسناده عن أنس مرفوعا ﴿ من اغتاب رجلا ثم استغفر له من بعد غفر له غيبته ﴾ وبإسناده عن أنس مرفوعا ﴿كفارة من اغتاب أن يستغفر له ﴾ ولأن في إعلامه إدخال غم عليه قال القاضي : فلم يجز ذلك وكذا قال الشيخ عبد القادر رضي الله عنه : إن كفارة الاغتياب ما روى أنس وذكره ، وخبر أنس المذكور ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وفيه عنبسة بن عبد الرحمن متروك وذكر مثله من حديث سهل بن سعيد وفيه سلمان بن عمرو كذاب ، ومن حديث جابر وفيه حفص بن عمر الأيلي متروك .وذكر أيضا حديث أنس في الحدائق وقال : إنه لا يذكر فيها إلا الحديث الصحيح وقال ابن عبد البر في كتاب بهجة المجالس : قال حذيفة رضي الله عنه : كفارة من اغتبته أن تستغفر له .وقال عبد الله بن المبارك لسفيان بن عيينة : التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته .فقال سفيان : بل تستغفر مما قلت فيه ، فقال ابن المبارك : لا تؤذوه مرتين .ومثل قول ابن المبارك اختاره الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشافعي في فتاويه .وقال الشيخ تقي الدين بعد أن ذكر الروايتين في المسألة المذكورة قال : فكل مظلمة في العرض من اغتياب صادق وبهت كاذب فهو في معنى القذف إذ القذف قد يكون صدقا فيكون في المغيب غيبة وقد يكون كذبا فيكون بهتا ، واختار أصحابنا أنه لا يعلمه بل يدعو له دعاء يكون إحسانا إليه في مقابلة مظلمته كما روي في الأثر .وعن هذا الباب قول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أيما مسلم شتمته أو لعنته ، أو سببته أو جلدته فاجعل ذلك له صلاة وزكاة وقربة تقربه إليك يوم القيامة ﴾ وهذا صحيح المعنى من وجه كذا قال وهذا المعنى في المسند والصحيحين وغيرهم وفيه اشتراط ذلك على ربه وفيه ﴿ إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر ﴾ .وقال أحمد حدثنا عارم حدثنا معتمر بن سليمان عن

أبيه حدثنا السميط عن أبي السوار العدوي عن خاله قال : ﴿ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأناس يتبعونه قال فاتبعته معهم قال ففجأني القوم يسعون وأتى علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربني ضربة إما بعسيب أو قضيب أو سواك أو شيء كان فوالله ما أوجعني قال : فبت ليلة قلت ما ضربني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لشيء علمه الله عز وجل في ، وحدثتني نفسي أن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أصبحت ، فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنك داع لا تكسر قرن رعيتك ، فلما صلينا الغداة أو قال أصبحنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أناسا يتبعوني وإني لا يعجبني أن يتبعوني ، اللهم فمن ضربت أو سببت فاجعلها له كفارة وأجرا أو قال مغفرة ورحمة ﴾ أو كما قال إسناد جيد .ولعل مراد الشيخ تقي الدين رحمه الله تعالى إن شاء الله تعالى ما في شرح مسلم وغيره أنه أجاب العلماء بوجهين : (أحدهما) المراد ليس بأهل لذلك عند الله عز وجل في باطن الأمر ولكنه في الظاهر مستوجب له فيظهر له النبي صلى الله عليه وسلم استحقاقه لذلك بأمارة شرعية ويكون في باطن الأمر ليس أهلا لذلك وهو صلى الله عليه وسلم مأمور بالحكم الظاهر ، والله تعالى يتولى السرائر .(والثاني) : أن ما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامهم بلا نية كقولهم : تربت يمينك وعقرى وحلقى لا يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء فخاف أن يصادف إجابة فسأل ربه سبحانه ورغب إليه في أن يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا وأجرا ، وإنما كان يقع هذا منه نادرا ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه ، وفي الحديث ﴿ أنهم قالوا ادع على دوس فقال : اللهم اهد دوسا وقال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ﴾ .وقال ابن عقيل في الفنون إن المراد عند فورة الغضب لأمر يخصه ، أو لردع يردعه بذلك الكلام عن التجرؤ إلى فعل المعصية لا لعنه في الخمر ؛ لأنه تشريع في الزجر إلا أن يكون أراد رحمة فإنه يحتمل احتمالا حسنا ؛ لأن لعنته عند من لعنه غاية في المنع من ارتكاب ما لعنه عليه وتوبته فسمى اللعنة رحمة حيث كانت آيلة إلى الرحمة قال الشيخ تقي الدين بن تيمية كلامه المتقدم قال ابن الأثير في النهاية في قوله ﴿ أن رجلا اعترض النبي صلى الله عليه وسلم ليسأله فصاح به الناس فقال دعوا الرجل أرب ما له ﴾ قيل أرب بوزن علم ، ومعناها الدعاء عليه أي : أصيبت آرابه وسقطت وهي كلمة لا يراد بها وقوع الأمر كما يقال : تربت يداك وقاتلك الله ، وإنما تذكر في معرض التعجب وفي هذا التعجب من النبي صلى الله عليه وسلم قولان : أحدهما تعجبه من حرص السائل ومزاحمته .والثاني أنه لما رآه بهذه الحال من الحرص غلبه طبع البشرية فدعا عليه وقد قال في غير هذا الحديث ﴿ اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي له رحمة ﴾ وقيل معناه احتاج فسأل من أرب الرجل يأرب إذا احتاج .ثم قال " ما له " أي : أي شيء به وما يريد (والرواية الثانية) أرب بوزن جمل أي : حاجة له ، وما زائدة للتقليل أي : له حاجة يسيرة .وقيل : معناه حاجة جاءت به ، فحذف ثم سأل فقال " ما له " .(والرواية الثالثة) أرب بوزن كتف ، والأرب الحاذق الكامل أي : هو أرب فحذف المبتدأ ثم سأل فقال " ما له " أي : ما شأنه .وهذا أحسن من إعلامه فإن في إعلامه زيادة إيذاء له فإن تضرر الإنسان بما علمه من شتمه أبلغ من تضرره بما لا يعلم .ثم قد يكون سبب العدوان على الظالم أولا إذ النفوس لا تقف غالبا عند العدل والإنصاف ، فتبصر هذا ففي إعلامه هذان الفسادان .وفيه مفسدة ثالثة ولو كانت بحق وهو زوال ما بينهما من كمال الألف والمحبة ، أو تجدد القطيعة والبغضة والله تعالى أمر بالجماعة ونهى عن الفرقة .وهذه المفسدة قد تعظم في بعض المواضع أكثر من بعض وليس في إعلامه فائدة إلا تمكينه من

استيفاء حقه كما لو علم فإن له أن يعاقب إما بالمثل إن أمكن أو بالتعزير أو باالحد وإذا كان في الإيفاء من الجنس مفسدة عدل إلى غير الجنس كما في القذف .وفي الفدية وفي الجراح إذا خيف الحيف ، وهنا قد لا يكون حيف إلا في غير الجنس أما العقوبة أو الأخذ من الحسنات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من كانت عنده مظلمة لأخيه في دم أو مال أو عرض فليأته فليستحله قبل أن يأتي يوم ليس فيه درهم ولا دينار إلا الحسنات والسيئات فإن كان له حسنات أخذ من حسنات صاحبه فأعطيها ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئاته فألقيت على صاحبه ثم يلقى في النار ﴾ .وإذا كان فيعطيه في الدنيا حسنة بدل الحسنة فإن الحسنات يذهبن السيئات فالدعاء له والاستغفار إحسان إليه وكذلك الثناء عليه بدل الذم له وهذا عام فيمن طعن على شخص أو لعنه أو تكلم بما يؤذيه أمرا أو خبرا بطريق الإفتاء أو التحضيض أو غير ذلك فإن أعمال اللسان أعظم من أعمال اليد حيا أو ميتا ، حتى لو كان ذلك بتأويل ، أو شبهة ثم بان له الخطأ فإن كفارة ذلك أن يقابل الإساءة إليه بالإحسان بالشهادة له بما فيه من الخير والشفاعة له بالدعاء فيكون الثناء والدعاء بدل الطعن واللعن ويدخل في هذا أنواع الطعن واللعن الجاري بتأويل سائغ أو غير سائغ كالتكفير والتفسيق ونحو ذلك مما يقع بين المتكلمين في أصول الدين وفروعه كما يقع بين أصناف الفقهاء والصوفية ، وأهل الحديث وغيرهم من أنواع أهل العلم والنهى من كلام بعضهم في بعض تارة بتأويل مجرد ، وتارة بتأويل مشوب بهوى ، وتارة بهوى محض ، بل تخاصم هذا الضرب بالكلام والكتب كتخاصم غيرهم بالأيدي والسلاح وغيره ، وهو شبيه بقتال أهل العدل والبغي ، والطائفتين الباغيتين ، العادلتين من وجه والباغيتين من وجه .وهذا باب نافع جدا والحاجة إليه ماسة جدا فعلى هذا لو سأل المقذوف والمسبوب لقاذفه هل فعل ذلك أم لا لم يجب عليه الاعتراف على الصحيح من الروايتين كما تقدم إذ توبته صحت في حق الله تعالى بالندم وفي حق العبد بالإحسان إليه بالاستغفار ونحوه ، وهل يجوز الاعتراف ، أو يستحب ، أو يكره ، أو يحرم الأشبه أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال فقد يكون الاعتراف أصفى للقلوب كما يجري بين الأوداء من ذوي الأخلاق الكريمة ، ولما في ذلك من صدق المتكلم ، وقد تكون فيه مفسدة العدوان على الناس أو ركوب كبيرة فلا يجوز الاعتراف قال : وإذا لم يجب عليه الإقرار فليس له أن يكذب بالجحود الصريح ؛ لأن الكذب الصريح محرم والمباح لإصلاح ذات البين هل هو التعريض أو الصريح فيه خلاف ، فمن جوز الصريح هناك فهل يجوزه هنا فيه نظر ولكن يعرض فإن المعاريض مندوحة عن الكذب وهذا هو الذي يروى عن حذيفة بن اليمان أنه بلغ عثمان رضي الله عنه شيء فأنكر ذلك بالمعاريض وقال : أرقع ديني بعضه ببعض أو كما قال .وعلى هذا فإذا استحلف على ذلك جاز له أن يحلف ويعرض ؛ لأنه مظلوم بالاستحلاف ، فإذا كان قد تاب وصحت توبته لم يبق لذلك عليه حق فلا تجب اليمين عليه ، لكن مع عدم التوبة والإحسان إلى المظلوم وهو باق على عداوته وظلمه فإذا أنكر بالتعريض كان كاذبا فإذا حلف كانت يمينه غموسا .وقال الشيخ تقي الدين أيضا : سئلت عن نظير هذه المسألة وهو رجل تعرض لامرأة غيره فزنى بها ثم تاب من ذلك وسأله زوجها عن ذلك فأنكر فطلب استحلافه ، فإن حلف على نفي الفعل كانت يمينه غموسا ، وإن لم يحلف قويت التهمة ، وإن أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم فأفتيته أنه يضم إلى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الإحسان إلى الزوج بالدعاء والاستغفار ، والصدقة عنه ونحو ذلك مما يكون بإزاء إيذائه له في أهله ، فإن الزنا بها تعلق به حق الله تعالى ، وحق زوجها من جنس حقه في عرضه ، وليس هو مما ينجبر بالمثل كالدماء والأموال ، بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من

غير جنسه ، فتكون توبة هذا كتوبة القاذف ، وتعريضه كتعريضه ، وحلفه على التعريض كحلفه .وأما لو ظلمه في دم أو مال فإنه لا بد من إيفاء الحق فإن له بدلا ، وقد نص أحمد في الفرق بين توبة القاتل وبين توبة القاذف .وهذا الباب ونحوه فيه خلاص عظيم وتفريج كربات للنفوس من آثار المعاصي والمظالم فإن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله عز وجل ، ولا يجرئهم على معاصي الله تعالى .وجميع النفوس لا بد أن تذنب فتعريف النفوس ما يخلصها من الذنوب من التوبة والحسنات الماحيات كالكفارات والعقوبات هو من أعظم فوائد الشريعة انتهى كلامه .وقال ابن عقيل : فإن كانت المظلمة فساد زوجة جاره أو غيره في الجملة وهتك فراشه قال بعضهم : احتمل أن لا يصح إحلاله من ذلك ؛ لأنه مما لا يستباح بإباحته ابتداء فلا يبرأ بإحلاله بعد وقوعه قال ابن عقيل : وعندي أنه يبرأ بالإحلال بعد وقوعه وينبغي أن يستحله فإنه حق لآدمي فيجوز أن يبرأ بالإحلال بعد وقوع المظلمة ولا يملك إباحتها ابتداء كالدم والقذف ، والدليل على أنه حق له أنه يلاعن زوجته ويفسخ نكاحها لأجل التهمة به وغلبة ذلك على ظنه وإنما يتحالف في حقوق الآدميين انتهى كلامه ." .(١)

٢٤١-". وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب »(١). وأيضا فإن من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته إذا استيقظ(٢) أو ذكرها كفارة لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ،ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب ،وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات، ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا فلا يكون تطوعا، والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى في الحديث الصحيح : ﴿ وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث(٣)___________(١) - مسند أحمد برقم(٦١٥) والدولابى ٢/٦٢ والفضائل (١١٩١) والحلية ٣/١٧٨ -١٧٩ وبنحوه الشعب (٧١٢٠ و ٧١٢١ و ٧١٢٢) مرفوعا وموقوفا والإتحاف ٨/٥٩٥وهو حسن لغيرهالمفتن : الممتحن يمتحنه الله بالذنب ثم يتوب(٢) - سنن الدارمى برقم(١٢٧٦)عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال : « من نسى صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها ، إن الله تعالى يقول (أقم الصلاة لذكرى) » صحيح .(٣) - صحيح البخارى برقم(٦٥٠٢)عن أبى هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - « إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » .وفي فتح الباري لابن حجر - (ج ١٨ / ص ٣٤٢)قوله (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه) يجوز في " أحب " الرفع والنصب ، ويدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية ، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته ، وفي دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتقييد بقوله افترضت عليه ، إلا إن أخذ من جهة المعنى الأعم ، ويستفاد منه أن أداء الفرائض

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص/٢٣

أحب الأعمال إلى الله . قال الطوفي : الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل ، فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبا ، وأيضا فالفرض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء ، وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الآمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل ، والذي يؤدي الفرائض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدي النفل لا يفعله إلا إيثارا للخدمة فيجازى بالمحبة التي هي غاية مطلوب من يتقرب بخدمته .قوله (وما زال) في رواية الكشميهني " وما يزال " بصيغة المضارعة .قوله (يتقرب إلي) التقرب طلب القرب ، قال أبو القاسم القشيري : قرب العبد من ربه يقع أولا بإيمانه ، ثم بإحسانه . وقرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه ، وفي الآخرة من رضوانه ، وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه . ولا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق . قال : وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس ، وباللطف والنصرة خاص بالخواص ، وبالتأنيس خاص بالأولياء . ووقع في حديث أبي أمامة " يتحبب إلى " بدل " يتقرب " وكذا في حديث ميمونة .قوله (بالنوافل حتى أحببته) في رواية الكشميهني " أحبه " ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل ، وقد استشكل بما تقدم أولا أن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة والجواب أن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها ، ويؤيده أن في رواية أبي أمامة " ابن آدم . إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك " وقال الفاكهاني : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى . وقال ابن هبيرة : يؤخذ من قوله " ما تقرب إلخ " أن النافلة لا تقدم على الفريضة ، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة ، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى . وأيضا فقد جرت العادة أن التقرب يكون غالبا بغير ما وجب على المتقرب كالهدية والتحفة بخلاف من يؤدي ما عليه من خراج أو يقضي ما عليه من دين . وأيضا فإن من جملة ما شرعت له النوافل جبر الفرائض كما صح في الحديث الذي أخرجه مسلم " انظروا هل لعبدي من تطوع فتكمل به فريضته " الحديث بمعناه فتبين أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها كما قال بعض الأكابر : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .". (١)

٢٤٢-"(٦٣) سورة النور ، وإبليس خالف أمر الله فصار كافرا ؛ وغيره أصابه عذاب أليم . وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله تعالى : ﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين﴾(١) (٢٧) سورة المائدة، قالوا : فصاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملا فلا يكون له حسنة ،وأعظم الحسنات الإيمان فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار.______________(١) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - (ج ١ / ص ١٦٦٩)الثانية وفي قول هابيل : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ كلام قبله محذوف؛ لأنه لما قال له قابيل : ﴿ لأقتلنك ﴾ قال له : ولم تقتلني وأنا لم أجن شيئا ، ولا ذنب لي في قبول الله قرباني ، أما إني اتقيته

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص/٢٥

وكنت علي لاحب الحق وإنما يتقبل الله من المتقين . قال ابن عطية : المراد بالتقوى هنا اتقاء الشرك بإجماع أهل السنة؛ فمن اتقاه وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة؛ وأما المتقي الشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول والختم بالرحمة؛ علم ذلك بإخبار الله تعالى لا أن ذلك يجب على الله تعالى عقلا . وقال عدي بن ثابت وغيره : قربان متقي هذه الأمة الصلاة .قلت : وهذا خاص في نوع من العبادات . وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تبارك وتعالى قال من عادى لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " .تفسير الرازي - (ج ٦ / ص ٣٣)المسألة الثانية : إنما صار القربانين مقبولا والآخر مردودا لأن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال . قال تعالى هاهنا حكاية عن المحق ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ وقال فيما أمرنا به من القربان بالبدن ﴿ لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ﴾ [الحج : ٣٧] فأخبر أن الذي يصل إلى حضرة الله ليس إلا التقوى والتقوى من صفات القلوب قال عليه الصلاة والسلام : « التقوى هاهنا » وأشار إلى القلب ، وحقيقة التقوى أمور : أحدها : أن يكون على خوف ووجل من تقصير نفسه في تلك الطاعة فيتقي بأقصى ما يقدر عليه عن جهات التقصير ، وثانيها : أن يكون في غاية الاتقاء من أن يأتي بتلك الطاعة لغرض سوى طلب مرضاة الله تعالى . وثالثها : أن يتقي أن يكون لغير الله فيه شركة ، وما أصعب رعاية هذه الشرائط! وقيل في هذه القصة : إن أحدهما جعل قربانه أحسن ما كان معه ، والآخر جعل قربانه أردأ ما كان معه . وقيل : إنه أضمر أنه لا يبالي سواء قبل أو لم يقبل ولا يزوج أخته من هابيل . وقيل : كان قابيل ليس من أهل التقوى والطاعة ، فلذلك لم يقبل الله قربانه .الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ١٢٣٥)أي : قال هابيل لقابيل ناصحا ومرشدا : إنما يتقبل الله الأعمال والصدقات من عباده المتقين الذين يخشونه في السر والعلن؛ وليس من سواهم من الظالمين الحاسدين لغيرهم على ما آتاهم الله من نعم ، فعليك أن تكون من المتقين لكي يقبل منك الله .قال صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف كان قوله : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ جوابا لقوله : ﴿ لأقتلنك ﴾ قلت : لما كان الحسد لأخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له : إنما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى ، لا من قبلي ، فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان . وفيه دليل على أن الله – تعالى – لا يقبل طاعة إلا من مؤمن متق .". [١]

٢٤٣-"لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، والتقوى أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله ، يرجو رحمة الله ، وأن يترك معصية الله على نور من الله ، يخاف عذاب الله ، ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء

---

(١) أسباب رفع العقوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص/٣٢

فرائضه ثم بأداء نوافله . قال تعالى : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ . كما جاء في الحديث الصحيح الإلهي الذي رواه البخاري .". (١)

٢٤٤-"تقرب إلي عبد بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته ﴾ الحديث .وطلب الجنة ، والاستعاذة من النار ، طريق أنبياء الله ورسله ، وجميع أوليائه السابقين المقربين ، وأصحاب اليمين ، كما في السنن ﴿ أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل بعض أصحابه كيف تقول في دعائك ، قال : أقول : اللهم إني أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار ، أما إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ فقال : حولهما ندندن ﴾ . فقد أخبر أنه هو صلى الله عليه وسلم ومعاذ ، وهو أفضل الأئمة الراتبين بالمدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم إنما يدندنون حول الجنة ، أفيكون قول أحد فوق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ ، ومن يصلي خلفهما من المهاجرين والأنصار ، ولو طلب هذا العبد ما طلب كان في الجنة . وأهل الجنة نوعان : سابقون مقربون ، وأبرار أصحاب يمين ، قال تعالى : ﴿ ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من". (٢)

٢٤٥-"الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ؛ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه ،** فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها : فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؛ وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودة ، وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وودهم . وقد قال تعالى : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ . نزلت في المشركين الذين عادوا الله ورسوله مثل أهل الأحزاب "كأبي سفيان بن حرب ، وأبي سفيان بن الحارث ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل . وصفوان بن أمية ، وغيرهم ، فإنهم". (٣)

٢٤٦-"إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ . فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا . وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أنه قال : يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه ،** فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها . فبي يسمع ، وبي يبصر وبي يبطش ، وبي يمشي ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض

---

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل ٢٠١/٢

(٢) إقامة الدليل على إبطال التحليل ٤٨٢/٢

(٣) إقامة الدليل على إبطال التحليل ٤٥٣/٣

نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت وأكره مساءته ، ولا بد له منه ﴾ . ودين الإسلام مبني على أصلين ، على أن لا نعبد إلا الله ، وأن نعبده بما شرع ، لا نعبده بالبدع . قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ . فالعمل الصالح ما أحبه الله ورسوله ، وهو المشروع المسنون ، ولهذا كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول في دعائه ، اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ، ولا تجعل لأحد فيه شيئا .". [(١)]

٢٤٧-"يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ﴾ الحديث . وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في " الزهد والعبادة " وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى : من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته ، وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه ، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ، ولو صدق لم يكن قائلها معصوما ، فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا ، كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا ، ثم إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح ، ويثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع . وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه ، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه ، وتكمل محبة الرب لعبده ، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ؛ وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك ، وكلما كان فيه". [(٢)]

٢٤٨-"الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أما بعد فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال وهي من أصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا عجلان فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصي بترك مأمور وفعل محظور والمقتصد المؤدي الواجبات والتارك المحرمات والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وإن كان كل من المقتصد والسابق قد تكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين إما بحسنات ماحية وإما بمصائب مفكرة وإما بغير ذلك وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذي ذكرهم في كتابه يونس فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم إلى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني

---

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل ٢١٥/٤

(٢) إقامة الدليل على إبطال التحليل ٣٧٥/٤

بالمحاربة وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر". [(١)]

٢٤٩-"المائدة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فإن المحبة مستلزمة للجهاد ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يوالي محبوبه ويعادي من يعاديه ويرض لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما نهى عنه فهو موافق في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فقال لهم يا إخوتي هل أغضبتكم قالوا لا يغفر الله لك يا أبا بكر وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا ما أخذت السيوف مأخذها فقال لهم أبو بكر أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي (صلى الله عليه وسلم) فقال له ما تقدم لان أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعدائهما ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الصحيح فيما يروى عن ربه لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه فبين أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وأنا أكره مساءته وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك ترددا ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك وهذا اتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين فإن ذلك". [(٢)]

٢٥٠-" الإيمان والتقوى

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة - أو فقد آذنته بالحرب - وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها] - وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي - [ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه] وهذا أصح حديث يروى في الأولياء فبين النبي صلى الله عليه و سلم أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله في المحاربة ". [(٣)]

---

(١) أمراض القلب وشفاؤها ص/٤٥

(٢) أمراض القلب وشفاؤها ص/٩٢

(٣) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٩

٢٥١-" الجزاء من جنس العمل

فعباد الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر كما قال النبي صلى الله عليه و سلم : [من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والأخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه] رواه مسلم في صحيحه وقال صلى الله عليه و سلم : [الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء] قال الترمذي : حديث صحيح

وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن يقول الله تعالى : [أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته] وقال : [ومن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله] ومثل هذا كثير

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين كما تقدم وقد ذكر النبي صلى الله عليه و سلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : يقول الله تعالى : [من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولايزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحبته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها]

فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إليه بجميع مايقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى : [ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه]** يعني الحب المطلق كقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ أي أنعم عليهم الانعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾

فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز و جل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا ". (١)

٢٥٢-" لا يكون أحد من الكفار والمنافقين وليا

فصل

---

(١) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٢٧

وإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا لقوله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾

وفي صحيح البخاري الحديث المشهور وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه : [ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه]** ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلبالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين فمعلوم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة وإن قيل : أنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم فلا يكونون من أولياء الله إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين فمن (لم) يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله ". (١)

٢٥٣-" المؤمن يفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان

وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : [لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها (فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي) ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته (ولا بد له منه)]

فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وحال أولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء وكما يفرق من يعرف الفروسية بين الشجاع والجبان وكما أنه يجب الفرق بين النبي الصادق وبين المتنبي الكذاب فيفرق بين محمد الصادق الأمين رسول رب العالمين وموسى والمسيح وغيرهم وبين مسيلمة الكذاب والأسود العنسي وطلحة الأسدي والحارث الدمشقي وباباه الرومي وغيرهم من الكذابين وكذلك يفرق بين أولياء الله المتقين وأولياء الشيطان الضالين ". (٢)

٢٥٤-"انتقمنا منهم ﴾ [الزخرف : ٥٥] قال المفسرون : أغضبونا، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ [الزمر : ٧] ، وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يقول الله تعالى : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله". (٣)

---

(١) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٣٩

(٢) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٦٦

(٣) الإيمان ٧٩/٣

٢٥٥-"إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر لم يحصل له مقصود النوافل ولا يظلمه الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض كمن عليه ديون لأناس يريد أنيتطوع لهم بأشياء : فإن وفاهم وتطوع لهم كان عادلا محسنا . وإن وفاهم ولم يتطوع كان عادلا ، وإن أعطاهم ما يقوم مقام دينهم وجعل ذلك تطوعا كان غالطا في جعله ؛ بل يكون من الواجب الذي يستحقونه . ومن العجب أن " المعتزلة " يفتخرون بأنهم أهل " التوحيد " و " العدل " وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفيا يستلزم التعطيل والإشراك . وأما " العدل الذي وصف الله به نفسه " فهو أن لا يظلم مثقال ذرة وأنه : من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطا بذنب واحد من الكبائر وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى من جعل العدل هو التكذيب بقدر الله . (الخامس) : أن الله لم يجعل شيئا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما أنه لم يجعل شيئا يحبط جميع السيئات إلا التوبة . و " المعتزلة مع الخوارج " يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان قال الله تعالى : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ فعلق الحبوط بالموت على الكفر وقد ثبت أن هذا ليس بكافر". (١)

٢٥٦-" (صحيح)

قال صلى الله عليه و سلم في الحديث القدسي : قال الله تعالى : ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** **فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن [قبض] نفس [عبدي] المؤمن يكره الموت وأكره مساءته [ولا بد له منه]

[٦٤] ." (٢)

٢٥٧-"قال شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية - قدس الله روحه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . صلى الله عليه وآله وسلم . أما بعد : فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب - التي قد تسمى " المقامات والأحوال " - وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين ؛ مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك . اقتضى ذلك بعض من أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا عجلان . فأقول : هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق - المأمورين في الأصل - باتفاق أئمة الدين والناس فيها على " ثلاث درجات " كما هم في أعمال الأبدان على " ثلاث درجات " : ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات . فالظالم لنفسه

---

(١) الإيمان الأوسط ص/٤٢

(٢) الاحتجاج بالقدر ص/٦٤

: العاصي بترك مأمور أو فعل محظور . والمقتصد : المؤدي الواجبات والتارك المحرمات . والسابق بالخيرات : المتقرب بما يقدر عليه من فعل واجب ومستحب والتارك للمحرم والمكروه . وإن كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه : إما بتوبة – والله يحب التوابين ويحب المتطهرين – وإما بحسنات ماحية وإما بمصائب مكفرة وإما بغير ذلك . وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذين ذكرهم في كتابه بقوله : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ فحد أولياء الله : هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم : إلى " عام " وهم المقتصدون و " خاص " وهم السابقون وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم " القسمين " في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان : فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن أن يثاب ويعاقب وهذا قول جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من". (١)

٢٥٨-"وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله ﴾ إلى قوله : ﴿ أجر عظيم ﴾ والنصوص في فضائل الجهاد وأهله كثيرة . وقد ثبت أنه أفضل ما تطوع به العبد . والجهاد دليل المحبة الكاملة . قال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ﴾ الآية . وقال تعالى في صفة المحبين المحبوبين : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . فإن المحبة مستلزمة للجهاد لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ؛ ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق له في ذلك . وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما ﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال : لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فقال لهم : يا إخوتي هل أغضبتكم قالوا لا ؛ يغفر الله لك يا أبا بكر ﴾ وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا : ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم ؛ لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ما عندهم من

---

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص/١

الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعداء الله ورسوله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروي عن ربه : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ؛ ويده التي يبطش بها ؛ ورجله التي يمشي بها ؛ فبي يسمع وبي يبصر : وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن : يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وأنا أكره مساءته ؛ وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك ترددا ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك . وهذا اتفاق واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه . وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين ؛ فإن ذلك محال ممتنع والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو " الاتحاد المقيد " في شيء بعينه . وأما " الاتحاد المطلق " الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك ؛ فكما أن الاتحاد". (١)

٢٥٩-" وأما ما كتب عليهم من ابتغاء رضوان الله فيحصل بفعل ما شرعه الله لهم من واجب ومستحب فإن ذلك هو الذي يرضاه ومن فعل ما يرضاه الله فقد فعل ما كتب عليه ويحصل رضوان الله أيضا بمجرد فعل الواجبات وهذا هو الذي كتب على العباد فإذا لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله كان ابتغاء رضوانه واجبا فما ليس بواجب لا يشترط في حصول ما كتب عليهم

ولهذا ضعف أحمد بن حنبل وغيره الحديث المروي أول الوقت رضوان الله وآخره عفو الله فإن من صلى في آخر الوقت كما أمر فقد فعل الواجب وبذلك يرضى الله عنه وإن كان فعل المستحبات والمسابقة إلى الطاعات أبلغ في إرضاء الله ويحصل له بذلك من رضوان الله ومحبته ما لا يحصل بمجرد الواجبات

كما قال موسى عليه السلام

وعجلت إليك رب لترضى

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي أنه قال

يقول الله تعالى من عادي لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فلئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي ". (٢)

٢٦٠-" المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه **فقوله حتى أحبه يريد** المحبة المطلقة الكاملة

---

(١) التحفة العراقية في الأعمال القلبية ص/٢٦

(٢) الجواب الصحيح ١٧٠/٣

وأما أصل المحبة فهي حاصلة بفعل الواجبات فإن الله يحب المتقين والمقسطين ومن أدى الواجبات فهو من المتقين المقسطين

وقال تعالى فيهم

وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون

وقال تعالى

قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل

وهو سبحانه خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس ". (١)

٢٦١-" فقال لوجدتني عنده ولم يقل لوجدتني إياه وهو عنده أي في قلبه والذي في قلبه المثال العلمي

وقال تعالى

عبدي جعت فلم تطعمني فيقول وكيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي ولم يقل لوجدتني قد أكلته

وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي قال يقول الله تعالى

من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها

وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولإن سألني لأعطينه ولإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ". (٢)

٢٦٢-" وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك كأشباه النصارى

والحديث حجة على الفريقين فإنه قال

من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب فأثبت ثلاثة وليا له وعدوا يعادي وليه وميز بين نفسه وبين وليه وعدو وليه فقال

---

(١) الجواب الصحيح ١٧٢/٣

(٢) الجواب الصحيح ٣٣٤/٣

من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ولكن دل ذلك على أن وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي فيكون الرب مؤذنا بالحرب لمن عاداه بأنه معاد لله

ثم قال تعالى

وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ففرق بين العبد المتقرب والرب المتقرب إليه ثم قال

ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فبين** أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض

ثم قال فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره وهو كل شيء أو في كل شيء قبل التقرب وبعده وعند الخاص وأهل الحلول صار هو وهو كالنار والحديد والماء واللبن لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل ". [١]

٢٦٣-" **حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

وإلا فلو قيل إن المسيح عليه السلام أوجب على المظلوم العفو عن الظالم بمعنى أنه يستحق الوعيد والذم والعقاب إن ". [٢]

٢٦٤-"ص -١٠١- وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يقول الله تعالى من عادي لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فلئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه" **فقوله حتى أحبه يريد** المحبة المطلقة الكاملة.وأما أصل المحبة فهي حاصلة بفعل الواجبات فإن الله يحب المتقين والمقسطين ومن أدى الواجبات فهو من المتقين المقسطين.وقال تعالى: فيهم: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ وقال تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾.وهو سبحانه خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس ويسوغون لأكابرهم الذين صاروا

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٣٥

(٢) الجواب الصحيح ٥/١١٠

عندهم عظماء في الدين أن يضعوا لهم شريعة وينسخوا بعض ما كانوا عليه قبل ذلك لا يردون ما يتنازعون فيه من دينهم إلى الله ورسله بحيث لا يمكنون أحدا من الخروج". (١)

٢٦٥-"ص -١٩٩- فقال: "لوجدتني عنده" ولم يقل لوجدتني إياه وهو عنده أي في قلبه والذي في قلبه المثال العلمي.وقال تعالى: "عبدي جعت فلم تطعمني فيقول وكيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أن عبدي فلانا جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي" ولم يقل لوجدتني قد أكلته.وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها".وفي رواية: "فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولإن سألني لأعطينه ولإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته".وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك كأشباه النصارى.والحديث حجة على الفريقين فإنه قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب" فأثبت ثلاثة وليا له وعدوا يعادي وليه وميز بين نفسه وبين وليه وعدو وليه فقال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب" ولكن دل ذلك على أن وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي فيكون الرب مؤذنا بالحرب لمن عاداه بأنه معاد لله.ثم قال تعالى: "وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه" ففرق بين العبد المتقرب والرب المتقرب إليه ثم قال: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" فبين أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض.ثم قال: "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش". (٢)

٢٦٦-"ص -٦٦- ولهذا قيل إن المسيح عليه السلام بعث لتكميل التوراة فإن النوافل تكون بعد الفرائض كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه".وإلا فلو قيل إن المسيح عليه السلام أوجب على المظلوم العفو عن الظالم بمعنى أنه يستحق الوعيد والذم والعقاب إنلم يعف عنه لزم من هذا أن يكون كل من انتصف من الظالم ظالما مستحقا للذم والعقاب وهذا ظلم ثان للمظلوم الذي انتصف فإن الظالم ظلمه أولا فلما انتصف منه ظلم ظلما ثانيا فهو ظلم العادل انتصف من ظالمه.وما أحسن كلام الله حيث يقول: ﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/١٢٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٤/٢٣٩

وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب". (١)

٢٦٧-" الكلام في غاية الحسن فإنه من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيما اذا قام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله كما قال في الحديث الصيحيح الذي في البخاري من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي **بالنوافل حتى أحبه فاذا** أحببته الحديث وذلك أن الرضا نوعان نوعا الرضا أحدهما الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ويتناول ما أباحه الله من غير تعهد الى المحظور كما قال والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال تعالى ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون وهذا الرضا واجب ولهذا ذم من تركه بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله والنوع الثاني الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب وقد قيل أنه واجب والصحيح أن الواجب هو الصبر كما قال الحسن الرضا غريزة ولكن الصبر معول المؤمن وقد روي في حديث ابن عباس أن النبي صلى ". (٢)

٢٦٨-" في بذل المال الذي هو مادة النفس فاذا كان حبه لله وعطاؤه لله ومنعه لله دل على كمال الايمان باطنا وظاهرا وأصل الشرك في الشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا انما هو اتخاذ أنداد يحبونهم كحب الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ومن كان حبه لله وبغضبه لله لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولايعطي الا الله ولا يمنع الا الله فهذه حال السابقين من أولياء الله كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال يقول الله من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكثره مساءته ولا بد له منه فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يجيب مسألته ويعذه مما استعاذ منه وقد ذم في كتابه من أحب أندادا من دونه قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم وذم من اتخذ الهه هواه وهو أن يتأله ما يهواه ويحبه وهذا قد يكون فعل القلب فقط وقد مدح تعالى وذم في كتابه في غير موضع على المحبة والارادة والبغض والسخط والفرح والغم ونحو ". (٣)

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٦٨/٦

(٢) الزهد والورع والعبادة ص/١١٥

(٣) الزهد والورع والعبادة ص/١٨٢

٢٦٩-" فيها لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء وفي الصحيح عنه أنه قال إن الله لا ينظر إلى صورتكم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وفي الصحيحين عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ص – كان قاعدا في أصحابه إذا جاءه ثلاثة نفر فأما رجل فرأى في الحلقة فرجة فجلس فيها وأما رجل فجلس خلفهم وأما رجل فانطلق فقال النبي ص – ألا أخبركم عن هؤلاء النفر أما الرجل الذي جلس في الحلقة فرجل آوى إلى الله فآواه الله وأما الرجل الذي جلس في خلف الحلقة فاستحى فاستحى الله منه وأما الرجل الذي انطلق فأعرض أعرض الله عنه وفي صحيح البخاري عنه ص – أنه قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعلة ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

وفي الصحيحين عن البراءء عن النبي ص – أنه قال الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله وفي الصحيحين عن عبادة عن النبي ص – أنه قال من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة إنا لنكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت يبشر برضوان الله وكرامته فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه

وفي الصحيحين عن أنس قالوا أنزل علينا ثم كان من المنسوخ أبلغوا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا وفي حديث عمر بن مالك الرواسي قال أتيت النبي ص – فقلت يا رسول الله أرض عني قال فاعرض عني ثلاثا ". (١)

٢٧٠-" من سبيل أهل البدعة والنفاق من أهل الفلسفة والكلام ونحوهم حتى ذكر ذلك أبو نعيم الحافظ في أول حلية الأولياء وأبو القاسم القشيري في رسالته دع من هو أجل منهما وأعلم منهما بطريق الصوفية وأقل غلطا وأبعد عن الاعتماد على المنقولات الضعيفة والمنقولات المبتدعة قال أبو نعيم في أول الحلية

أما بعد أحسن الله تعالى توفيقك فقد استعنت بالله عز و جل وأجبتك إلى ما أبغيت من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض أحاديثهم وكلامهم من أعلام المحققين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم من بعدهم ممن عرف الأدلة والحقائق وباشر الأحوال والطرائق وساكن الرياض والحدائق وفارق العوارض والعلائق وتبرأ من المنقطعين والمتعمقين ومن أهل الدعاوى من المسوفين ومن الكسالى والمثبطين المتشبهين بهم في اللباس والمقال والمخالفين لهم في العقيدة وانفعال وذلك لما بلغك من بسط ألسنتنا وألسنة أهل الفقه والأثر في كل الأقطار والأمصار في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار والمباحية والحلولية الكفار وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار بقادح في منقبة البررة الأخيار وواضع من درجة الصفوة الأطهار بل في إظهار البراءة من الكذابين والنكير على الحشوية البطالين نزاهة الصادقين ورفعة المحققين

---

(١) العقيدة الأصفهانية ص/٧٠

ولم لم ينكشف عن مخازي المبطلين ومساويهم ديانة للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور والصيت والذكر المشهور فقد كان جدي محمد بن يوسف رحمه الله تعالى أحد من يسر الله تعالى به ذكر بعض المنقطعين إليه وكيف يستجيز نقيصة أولياء الله تعالى ومؤذيهم مؤذن بمحاربة ربه ثم أسند حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي ص – أنه قال إن الله تعالى قال من آذى لي وليا وفي الرواية الأخرى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ". (١)

٢٧١-" ١٤ – ١٤ – مسألة : في إتباع الرسول صلى الله عليه و سلم بصحيح المعقول

قال الشيخ : الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه و سلم تسليما كثيرا

أما بعد إعلم أنه يجب على كل بالغ عاقل من الإنس والجن أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا أرسله إلى جميع الخلق إنسهم وجنهم وعربهم وعجمهم وفرسهم وهندهم وبربرهم ورومهم وسائر أصناف العجم أسودهم وأبيضهم

والمراد بالعجم من ليس بعربي على إختلاف ألسنتهم فمحمد صلى الله عليه و سلم أرسل إلى كل أحد من الإنس والجن كتابيهم وغير كتابيهم في كل ما يتعلق بدينه من الأمور الباطنة والظاهرة في عقائده وحقائقه وطرائقه وشرائعه فلا عقيدة إلا عقيدته ولا حقيقة إلا حقيقته ولا طريقة إلا طريقته ولا شريعة إلا شريعته ولا يصل أحد من الخلق إلى الله وإلى رضوانه وجنته وكرامته وولايته إلا بمتابعته باطنا وظاهرا في الأقوال الأعمال الباطنة والظاهرة في أقوال القلب وعقائده وأحوال القلب وحقائقه وأقوال اللسان وأعمال الجوارح وليس لله ولي إلا من اتبعه باطنا وظاهرا فصدقه فيما أخبر به من الغيوب والتزم طاعته فيما فرض على الخلق من أداء الواجبات وترك المحرمات

فمن لم يكن له مصدقا فيما أخبر ملتزما لطاعته فيما أوجب وأمر في الأمور الباطنة التي في القلوب والأعمال الظاهرة التي على الأبدان لم يكن مؤمنا فضلا عن أن يكون وليا لله ولو حصل له من خوارق العادات ماذا عسى أن يحصل فإنه لا يكون مع تركه لفعل المأمور وترك المحظور من أداء الواجبات من الصلاة وغيرها بطهارتها وواجباتها إلا من أهل الأحوال الشيطانية المبعدة لصاحبها عن الله المقربة إلى سخطه وعذابه لكن من ليس بمكلف من الأطفال والمجانين قد رفع القلم عنهم فلا يعاقبون وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه باطنا وظاهرا ما يكونون به من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين لكن يدخلون في الإسلام تبعا لآبائهم كما قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين ﴾

---

(١) العقيدة الأصفهانية ص/١٧٤

وهم مع عدم العقل لا يكونون ممن في قلوبهم حقائق الإيمان ومعارف أهل ولاية الله وأحوال خواص الله لأن هذه الأمور كلها مشروطة بالعقل فالجنون مضاد العقل والتصديق والمعرفه واليقين والهدى والثناء وإنما يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات

فالمجنون وإن كان الله لا يعاقبه ويرحمه في الآخرة فإنه لا يكون من أولياء الله المقربين والمقتصدين الذين يرفع الله درجاتهم ومن اعتقد أن أحدا من هؤلاء الذين لا يؤدون الواجبات ولا يتركون المحرمات سواء كان عاقلا أو مجنونا أو مولها أو متولها فمن اعتقد أن أحدا من هؤلاء من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين وجنده الغالبين السابقين المقربين والمقتصدين الذين يرفع الله دراجاتهم بالعلم والإيمان مع كونه لا يؤدي الواجبات ولا يترك المحرمات كان المعتقد لولاية مثل هذا كافرا مرتدا عن دين الإسلام غير شاهد لمحمد صلى الله عليه و سلم بأنه رسول الله صلى الله عليه و سلم بل هو مكذب لمحمد صلى الله عليه و سلم فيما شهد به لأن محمدا أخبر عن الله أن أنبياء الله هم المتقون المؤمنون

قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ والتقوى أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عذاب الله ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء فرائضه ثم بأداء نوافله قال تعالى : ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه كما** جاء في الحديث الصحيح الإلهي الذي رواه البخاري ". (١)

٢٧٢-" ١٥ - ١٥ - مسألة : وسئل شيخ الإسلام عما يفعله الناس في يوم عاشوراء من الكحل والاغتسال والحناء والمصافحة وطبخ الحبوب وإظهار السرور وغير ذلك إلى الشارع : فهل ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه و سلم حديث صحيح أم لا وإذا لم يرد حديث صحيح في شيء من ذلك فهل يكون فعل ذلك بدعة أم لا وما تفعله الطائفة الأخرى من المأتم والحزن والعطش وغير ذلك من الندب والنياحة وقراءة المصروع وشق الجيوب هل لذلك أصل أم لا

الجواب : الحمد لله رب العالمين لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم ولا عن أصحابه ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئا لا عن النبي صلى الله عليه و سلم ولا الصحابة ولا التابعبن لا صحيحا ولا ضعيفا لا في كتب الصحيح ولا في السنن ولا المسانيد ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة

ولكن روى بعض المتأخرين في ذلك أحاديث مثل ما رووا أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام وأمثال ذلك

ورووا فضائل في صلاة يوم عاشوراء ورووا أن في يوم عاشوراء توبه آدم واستواء السفينة على الجودي ورد يوسف على يعقوب وإنجاء إبراهيم من النار وفداء الذبيح بالكبش ونحو ذلك ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبي صلى الله عليه و سلم أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر السنة

---

(١) الفتاوى الكبرى ١/١٧٨

ورواية هذا كله عن النبي صلى الله عليه و سلم كذب ولكنه معروف من رواية سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه قال : بلغنا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته وإبراهيم بن محمد بن المنتشر من أهل الكوفة وأهل الكوفة كان فيه طائفتان

طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة وإما جهال وأصحاب هوى وطائفة ناصبة تبغض عليا وأصحابه لما جرى من القتال والفتنة ما جرى

وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [سيكون في ثقيف كذاب ومبير]

فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد الثقفي وكان يظهر موالاة أهل البيت والانتصار لهم وقتل عبيدالله بن زياد أمير العراق الذي جهز السرية التي قتلت الحسين بن علي رضي الله عنهما ثم إنه أظهر الكذب وادعى النبوة وأن جبريل عليه السلام ينزل عليه حتى قالوا لابن عمر وابن عباس قالوا لأحدهما : إن المختار بن أبي عبيد يزعم أنه ينزل عليه فقال صدق قال الله تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ وقالوا للآخر : ان المختار يزعم أنه يوحى إليه فقال صدق : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾

وأما المبير فهو الحجاج بن يوسف الثقفي وكان : منحرفا عن علي وأصحابه فكان هذا من النواصب والأول من الروافض وهذا الرافضي كان : أعظم كذبا وافتراء وإلحادا في الدين فإنه ادعى النبوة وذاك كان أعظم عقوبة لمن خرج على سلطانه وانتقاما لمن اتهمه بمعصية أميره عبد الملك بن مروان وكان في الكوفة بين هؤلاء وهؤلاء فتن وقتال فلما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما يوم عاشوراء قتلته الطائفة الظالمة الباغية وأكرم الله الحسين بالشهادة كما أكرم بها من أكرم من أهل بيته أكرم بها حمزة وجعفر وأباه عليا وغيرهم وكانت شهادته مما رفع الله بها منزلته وأعلى درجته فإنه هو وأخوه الحسن سيدا شباب أهال الجنة والمنازل العالية لا تنال إلا بالبلاء

كما قال النبي صلى الله عليه و سلم لما سئل : [أي الناس أشد بلاء فقال : الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه وإن كان في دينه رقة خفف عنه ولا يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة] رواه الترمذي وغيره

فكان الحسن والحسين قد سبق لهما من الله تعالى ما سبق من المنزلة العالية ولم يكن قد حصل لهما من البلاء ما حصل لسلفهما الطيب فإنهما ولدا في عز الإسلام وتربيا في عز وكرامة والمسلمون يعظمونهما ويكرمونهما ومات النبي صلى الله عليه و سلم ولم يستكملا سن التمييز فكانت نعمة الله عليهما أن ابتلاهما بما يلحقهما بأهل بيتهما كما ابتلي من كان أفضل منهما فإن علي بن أبي طالب أفضل منهما وقد قتل شهيدا وكان مقتل الحسين مما ثارت به الفتن بين الناس كما كان مقتل عثمان رضي الله عنه من أعظم الأسباب التي أوجبت الفتن بين الناس وبسببه تفرقت الأمة إلى اليوم

ولهذا جاء في الحديث [ثلاث من نجا منهن فقد نجا : موتي وقتل خليفة مضطهد والدجال]

فكان موت النبي صلى الله عليه و سلم من أعظم الأسباب التي افتتن بها خلق كثير من الناس وارتدوا عن الإسلام فأقام الله تعالى الصديق رضي الله عنه حتى ثبت الله به الإيمان وأعاد به الأمر إلى ما كان فأدخل أهل الردة في الباب الذي

منه خرجوا وأقر أهل الإيمان على الدين الذي ولجوا فيه وجعل الله فيه من القوة والجهاد والشدة على أعداء الله واللين لأولياء الله ما استحق به وبغيره أن يكون خليفة رسول الله صلى الله عليه و سلم

ثم استخلف عمر فقهر الكفار من المجوس وأهل الكتاب وأعز الإسلام ومصر الأمصار وفرض العطاء ووضع الديوان ونشر العدل وأقام السنة وظهر الإسلام في أيامه ظهورا بان به تصديق قوله تعالى : ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ﴾

وقوله تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾

وقول النبي صلى الله عليه و سلم : [إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله]

فكان عمر رضي الله عنه هو الذي أنفق كنوزهما فعلم أنه أنفقها في سبيل الله وأنه كان خليفة راشدا مهديا ثم جعل الأمر شورى في ستة فاتفق المهاجرون والأنصار على تقديم عثمان بن عفان من غير رغبة بذلها لهم ولا رهبة أخافهم بها وبايعوه بأجمعهم طائعين غير كارهين وجرى في آخر أيامه أسباب ظهر بالشر فيها أهل العلم والجهل والعدوان وما زالوا يسعون في الفتن حتى قتل الخليفة مظلوما شهيدا بغير سبب يبيح قتله وهوصابر محتسب لم يقاتل مسلما

فلما قتل رضي الله عنه تفرقت القلوب وعظمث الكروب وظهرت الأشرار وذل الأخيار وسعى في الفتنة من كان عاجزا عنها وعجز عن الخير والصلاح من كان يحب إقامته فبايعوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو أحق الناس بالخلافة حينئذ وأفضل من بقي لكن كانت القلوب متفرقة ونار الفتنة متوقدة فلم تتفق الكلمة ولم تنتظم الجماعة ولم يتمكن الخليفة وخيار الأمة من كل ما يريدونه من الخير ودخل في الفرقة والفتنة أقوام وكان ما كان إلى أن ظهرت الحرورية المارقة مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم فقاتلوا أمير المؤمنين عليا ومن معه فقتلهم بأمر الله ورسوله طاعة لقول النبي صلى الله عليه و سلم لما وصفهم بقوله :

[يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة] وقوله : [تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق] أخرجاه في الصحيحين

فكانت هذه الحرورية هي المارقة وكان بين المؤمنين فرقة والقتال بين المؤمنين لا يخرجهم من الإيمان كما قال تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم ﴾

فبين سبحانه وتعالى أنهم مع الاقتتال وبغى بعضهم على بعض مؤمنون إخوة وأمر بإصلاح بينهم فإن بغت إحداهما بعد ذلك قوتلت الباغية ولم يأمر بالاقتتال إبتداء

أخبر النبي صلى الله عليه و سلم أن الطائفة المارقة بقتلها أدنى الطائفتين إلى الحق فكان علي ابن أبي طالب ومن معه هم الذين قاتلوهم فدل كلام النبي صلى الله عليه و سلم على أنهم أدنى إلى الحق من معاوية ومن معه مع إيمان الطائفتين

ثم إن عبد الرحمن بن ملجم من هؤلاء المارقين قتل أمير المؤمنين عليا فصار إلى كرامة الله ورضوانه شهيدا وبايع الصحابة للحسن ابنه فظهرت فضيلته التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح حيث قال : [إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين] فنزل عن الولاية وأصلح الله به بين الطائفتين وكان هذا مما مدحه به النبي صلى الله عليه و سلم وأثنى عليه ودل ذلك على أن الإصلاح بينهما مما يحبه الله ورسوله ويحمده الله ورسوله

ثم إنه مات وصار إلى كرامة الله ورضوانه وقامت طوائف كاتبوا الحسين ووعدوه بالنصر والمعاونة إذا قام بالأمر ولم يكونوا من أهل ذلك بل لما أرسل إليهم ابن عمه أخلفوا وعده ونقضوا عهده وأعانوا عليه من وعدوه أن يدفعوه عنه ويقاتلوه معه

وكان أهل الرأي والمحبة للحسين كابن عباس وابن عمر وغيرهما أشاروا عليه بأن لا يذهب إليهم ولا يقبل منهم ورأوا أن خروجه إليهم ليس بمصلحة ولا يترتب عليه ما يسر وكان الأمر كما قالوا وكان أمر الله قدرا مقدورا

فلما خرج الحسين - رضي الله عنه - ورأى أن الأمور قد تغيرت طلب منهم أن يدعوه يرجع أو يلحق ببعض الثغور أو يلحق بابن عمه يزيد فمنعوه هذا وهذا حتى يستأسر وقاتلوه فقاتلهم فقتلوه وطائفة ممن معه مظلوما شهيدا شهادة أكرمه الله بها وألحقه بأهل بيته الطيبين الطاهرين وأهان بها من ظلمه واعتدى عليه وأوجب ذلك شرا بين الناس

فصارت طائفة جاهلة ظالمة : إما ملحدة منافقة وإما ضالة غاوية تظهر موالاته وموالاة أهل بيته تتخذ يوم عاشوراء يوم مأتم وحزن ونياحه وتظهر فيه شعار الجاهلية من لطم الخدود وشق الجيوب والتعزي بعزاء الجاهلية

والذي أمر الله به ورسوله في المصيبة - إذا كانت جديدة - إنما هو الصبر والاحتساب والاسترجاع كما قال تعالى : ﴿ وبشر الصابرين * الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية] وقال : [أنا بريء من الصالقة والحالقة والشاقة] وقال : [النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب]

وفي المسند عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها الحسين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ما من رجل يصاب بمصيبة فيذكر مصيبته وإن قدمت فيحدث لها استرجاعا إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها]

وهذا من كرامة الله للمؤمنين فإن مصيبة الحسين وغيره إذا ذكرت بعد طول العهد فينبغي للمؤمن أن يسترجع فيها كما أمر الله ورسوله ليعطي من الأجر مثل أجر المصاب يوم أصيب بها

وإذا كان الله تعالى قد أمر بالصبر والاحتساب عند حدثان العهد بالمصيبة فكيف مع طول الزمان فكان ما زينه الشيطان لأهل الضلال والغي من إتخاذ يوم عاشوراء مأتما وما يصنعون فيه من الندب والنياحة وإنشاد قصائد الحزن ورواية الأخبار التي فيها كذب كثير والصدق فيها ليس فيه إلا تجديد الحزن والتعصب وإثارة الشحناء والحرب وإلقاء الفتن بين أهل الإسلام والتوسل بذلك إلى سب السابقين الأولين وكثرة الكذب والفتن في الدنيا ولم يعرف طوائف الإسلام أكثر كذبا

وفتنا ومعاونة للكفار على أهل الإسلام من هذه الطائفة الضالة الغاوية فإنهم شر من الخوارج المارقين وأولئك قال فيهم النبي صلى الله عليه و سلم : [يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان]

وهؤلاء يعاونون اليهود والنصارى والمشركين على أهل بيت النبي صلى الله عليه و سلم وأمته المؤمنين كما أعانوا المشركين من الترك والتتار على ما فعلوه ببغداد وغيرها بأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ولد العباس وغيرهم من أهل البيت والمؤمنين من القتل والسبي وخراب الديار وشر هؤلاء وضررهم على أهل الإسلام لا يحصيه الرجل الفصيح في الكلام

فعارض هؤلاء قوم إما من النواصب المتعصبين على الحسين وأهل بيته وإما من الجهال الذين قابلوا الفاسد بالفاسد والكذب بالكذب والشر بالشر والبدعة بالبدعة فوضعوا الآثار في شعائر الفرح والسرور يوم عاشوراء كالاكتحال والأختضاب وتوسيع النفقات على العيال وطبخ الأطعمة الخارجة عن العادة ونحو ذلك مما يفعل في الأعياد والمواسم فصار هؤلاء يتخذون يوم عاشوراء موسما كمواسم الأعياد والأفراح وأولئك يتخذونه مأتما يقيمون فيه الأحزان والأتراح وكلا الطائفتين مخطئة خارجة عن السنة وإن كان أولئك أسوأ قصدا وأعظم جهلا وأظهر ظلما لكن الله أمر بالعدل والإحسان

وقد قال النبي صلى الله عليه و سلم : [إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة]

ولم يسن رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا خلفاؤه الراشدون في يوم عاشوراء شيئا من هذه الأمور لا شعائر الحزن والترح ولا شعائر السرور والفرح ولكنه صلى الله عليه و سلم لما قدم المدينة ود اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : [ما هذا فقالوا هذا يوم نجى الله فيه موسى من الغرق فنحن نصومه فقال : نحن أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه] وكانت قريش أيضا تعظمه في الجاهلية

واليوم الذي أمر الناس بصيامه كان يوما واحدا فإنه قدم المدينة في شهر ربيع الأول فلما كان في العام القابل صام يوم عاشوراء وأمر بصيامه ثم فرض شهر رمضان ذلك العام فنسخ صوم عاشوراء

وقد تنازع العلماء : هل كان صوم ذلك اليوم واجبا أو مستحبا على قولين مشهورين أصحهما أنه كان واجبا ثم إنه بعد ذلك كان يصومه من يصومه استحبابا ولم يأمر النبي صلى الله عليه و سلم العامة بصيامه بل كان يقول : [هذا يوم عاشوراء وأنا صائم فيه فمن شاء صام] وقال : [صوم عاشوراء يكفر سنة وصوم يوم عرفة يكفر سنتين]

ولما كان آخر عمره صلى الله عليه و سلم وبلغه أن اليهود يتخذونه عيدا قال : [لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع]

ليخالف اليهود ولا يشابههم في اتخاذه عيدا وكان من الصحابة والعلماء من لا يصومه ولا يستحب صومه بل يكره إفراده بالصوم كما نقل ذلك عن طائفة من الكوفيين ومن العلماء من يستحب صومه

والصحيح أنه يستحب لمن صامه أن يصوم معه التاسع لأن هذا آخر أمر النبي صلى الله عليه و سلم لقوله : [لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع مع العاشر] كما جاء ذلك مفسرا في بعض طرق الحديث فهذا الذي سنه رسول الله صلى الله عليه و سلم

وأما سائر الأمور : مثل اتخاذ طعام خارج عن العادة إما حبوب وإما غير حبوب أو تجديد لباس وتوسيع نفقة أو اشتراء حوائج العام ذلك اليوم أو فعل عبادة مختصة كصلاة مختصة به أو قصد الذبح أو إدخار لحوم الأضاحي ليطبخ بها الحبوب أو الإكتحال والإختضاب أو الإغتسال أو التصافح أو التزاور أو زيارة المساجد والمشاهد ونحو ذلك فهذا من البدع المنكرة التي لم يسنها رسول الله صلى الله عليه و سلم ولا خلفاؤه الراشدون ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين لا مالك ولا الثوري ولا الليث بن سعد ولا أبو حنيفة ولا الأوزاعي ولا الشافعي ولا أحمد ابن حنبل ولا إسحاق بن راهويه ولا أمثال هؤلاء من أئمة المسلمين وعلماء المسلمين وإن كان بعض المتأخرين من أتباع الأئمة قد كانوا يأمرون ببعض ذلك ويروون في ذلك أحاديث وأثارا ويقولون : إن بعض ذلك صحيح فهم مخطئون غالطون بلا ريب عند أهل المعرفة بحقائق الأمور وقد قال حرب الكرماني في مسائله : سئل أحمد بن حنبل عن هذا الحديث : من وسع على أهله يوم عاشوراء فلم يره شيئا

وأعلى ما عندهم أثر يروى عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه أنه قال : بلغنا أنه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته قال سفيان بن عيينة جربناه منذ ستين عاما فوجدناه صحيحا وإبراهيم بن محمد كان من أهل الكوفة ولم يذكر ممن سمع هذا ولا عمن بلغه فلعل الذي قال هذا من أهل البدع الذين يبغضون عليا وأصحابه ويريدون أن يقابلوا الرافضة بالكذب : مقابلة الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة

وأما قول ابن عيينة فإنه لا حجة فيه فإن الله سبحانه أنعم عليه برزقه وليس في إنعام الله بذلك ما يدل على أن سبب ذلك كان التوسيع يوم عاشوراء وقد وسع الله على من هم أفضل الخلق من المهاجرين والأنصار ولم يكونوا يقصدون أن يوسعوا على أهليهم يوم عاشوراء بخصوصه وهذا كما أن كثيرا من الناس ينذرون نذرا لحاجة يطلبها فيقضي الله حاجته فيظن أن النذر كان السبب وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم : [أنه نهى عن النذر وقال : إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل]

فمن ظن أن حاجته إنما قضت بالنذر فقد كذب على الله ورسوله والناس مأمورن بطاعة الله ورسوله واتباع دينه وسبيله واقتفاء هداه ودليله وعليهم أن يشكروا الله على ما عظمت به النعمة حيث بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقد قال النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث الصحيح : [إن خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة]

وقد اتفق أهل المعرفة والتحقيق أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يتبع إلا أن يكون موافقا لأمر الله ورسوله ومن رأى من رجل مكاشفة أو تأثيرا فاتبعه في خلاف الكتاب والسنة كان من جنس أتباع الدجال فإن الدجال يقول للسماء : امطري فتمطر ويقول للأرض انبتي فتنبت ويقول للخربة اخرجي كنوزك فتخرج معه كنوز الذهب والفضة ويقتل رجلا ثم يأمره أن يقوم فيقوم وهو مع هذا كافر ملعون عدو لله قال النبي صلى الله عليه و سلم : [

ما من نبي إلا قد أنذر أمته الدجال : وأنا أنذركموه إنه أعور وأن الله ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر - ك ف ر - يقرأه كل مؤمن قارىء وغير قارىء واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت]

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه قال : [إذا قعد أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع يقول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال]

وقال صلى الله عليه و سلم : [لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كذابون كلهم يزعم أنه رسول الله]

وقال صلى الله عليه و سلم : [يكون بين يدي الساعة كذابون دجالون يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم] وهؤلاء تنزل عليهم الشياطين وتوحي إليهم كما قال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ ومن أول من ظهر من هؤلاء المختار بن أبي عبيد المتقدم ذكره

ومن لم يفرق بين الأحوال الشيطانية والأحوال الرحمانية : كان بمنزلة من سوى بين محمد رسول الله وبين مسيلمة الكذاب فإن مسيلمة كان له شيطان ينزل عليه ويوحي إليه

ومن علامات هؤلاء أن الأحوال إذا تنزلت عليهم وقت سماع المكاء والتصدية أزبدوا وأرعدوا - كالمصروع - وتكلموا بكلام لا يفقه معناه فإن الشياطين تتكلم على ألسنتهم كما تتكلم على لسان المصروع

والأصل في هذا الباب : أن يعلم الرجل أن أولياء الله هم الذين نعتهم الله في كتابه حيث قال : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه]

ودين الإسلام مبني على أصلين على أن لا نعبد إلا الله وأن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع قال تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ فالعمل الصالح ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع المسنون ولهذا كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول في دعائه اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا

ولهذا كانت أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث : قول الني صلى الله عليه و سلم : [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى] وقوله : [من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد] وقوله : [الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب]

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ". (١)

٢٧٣-" ٣٢٢ - ١٠ - مسألة : فيما ذكر الأستاذ القشيري في باب الرضا عن الشيخ أبي سليمان أنه قال : الرضا أن لا يسأل الله الجنة ولا يستعيذ من النار فهل هذا الكلام صحيح

---

(١) الفتاوى الكبرى ١٩٤/١

الجواب : الحمد لله رب العالمين الكلام على هذا القول من وجهين

أحدهما : من جهة ثبوته عن الشيخ

والثاني : من جهة صحته في نفسه وفساده

أما المقام الأول فينبغي أن يعلم أن الأستاذ أبا القاسم لم يذكر هذا عن الشيخ أبي سليمان بإسناد وإنما ذكره مرسلا عنه وما يذكره أبو القاسم في رسالته عن النبي صلى الله عليه و سلم والصحابة والتابعين والمشايخ وغيرهم تارة يذكره بإسناد وتارة يذكر مرسلا

وكثيرا ما يقول : وقيل كذا

ثم الذي يذكره بالإسناد تارة يكون إسناده صحيحا وتارة يكون ضعيفا بل موضوعا وما يذكره مرسلا ومحذوف القائل أولى وهذا كما يوجد ذلك في مصنفات الفقهاء فإن فيها من الأحاديث والآثار ما هو صحيح ومنها ما هو ضعيف ومنها ما هو موضوع فالموجود في كتب الرقائق والتصوف من الآثار المنقولة فيها الصحيح وفيها الضعيف وفيها الموضوع

وهذا الأمر متفق عليه بين جميع المسلمين لا يتنازعون أن هذه الكتب فيها هذا وفيها هذا بل نفس الكتب المصنفة في التفسير فيها هذا وهذا مع أن أهل الحديث أقرب إلى معرفة المنقولات وفي كتبهم هذا وهذا فكيف غيرهم

والمصنفون قد يكونون أئمة في الفقه أو التصوف أو الحديث ويروون هذا تارة لأنهم لم يعلموا أنه كذب وهو الغالب على أهل الدين فإنهم لا يحتجون بما يعلمون أنه كذب وتارة يذكرونه وأن علموا أنه كذب إذا قصدهم رواية ما روي في ذلك الباب ورواية الأحاديث المكذوبة مع بيان كونه كذبا جائز

وأما روايتها مع الإمساك عن ذلك رواية عمل فإنه حرام عند العلماء كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [من حدث عني حديثا وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين] وقد فعل ذلك كثير من العلماء متأولين أنهم لم يكذبوا وإنما نقلوا ما رواه غيرهم وهذا يسهل إذا رووه لتعريف أنه روي لا لأجل العمل به ولا الاعتماد عليه

والمقصود هنا أن ما يوجد في الرسالة وأمثالها من كتب الفقهاء والصوفية وأهل الحديث من المنقولات عن النبي صلى الله عليه و سلم وغيره من السلف فيه الصحيح والضعيف والموضوع فالصحيح الذي قامت الدلالة على صدقه والموضوع الذي قامت الدلالة على كذبه والضعيف الذي رواه من لم يعلم صدقه : إما لسوء حفظه وإما لاتهامه ولكن يمكن أن يكون صادقا فيه فإن الفاسق قد يصدق والغالط قد يحفظ

وغالب أبواب الرسالة فيها الأقسام الثلاثة ومن ذلك باب الرضا فإنه ذكر عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا] وهذا الحديث رواه مسلم في صحيحه وإن كان الأستاذ لم يذكر أن مسلما رواه لكنه رواه بإسناد صحيح

وذكر في أول هذا الباب حديثا ضعيفا بل موضوعا وهو حديث جابر الطويل الذي رواه من حديث الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر فهو وإن كان أول حديث ذكره في الباب فإن حديث الفضل بن عيسى من أوهى الأحاديث وأسقطها ولا نزاع بين الأئمة أنه لا يعتمد عليها ولا يحتج بها فإن الضعف ظاهر عليها وإن كان هو لا يعتمد الكذب فإن كثيرا من الفقهاء لا يحتج بحديثهم لسوء الحفظ لا لاعتماد الكذب وهذا الرقاشي اتفقوا على ضعفه

كما يعرف ذلك أئمة هذا الشأن حتى قال أيوب السختياني : لو ولد أخرس لكان خيرا له وقال سفيان بن عيينة : لا شيء وقال الإمام أحمد والنسائي : هو ضعيف وقال يحيى بن معين : رجل سوء وقال أبو حاتم وأبو زرعة : منكر الحديث

وكذلك ما ذكره من الآثار فإنه قد ذكر آثارا حسنة بأسانيد حسنة مثل ما رواه عن الشيخ أبي سليمان الداراني أنه قال : إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض فإن هذا رواه عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي بإسناده والشيخ أبو عبد الرحمن كانت له عناية بجمع كلام هؤلاء المشايخ وحكاياتهم وصنف في الأسماء كتاب طبقات الصوفية و كتاب زهاد السلف وغير ذلك وصنف في الأبواب كتاب مقامات الأولياء وغير ذلك ومصنفاته تشتمل على الأقسام الثلاثة

وذكر عن الشيخ أبي عبد الرحمن أنه قال : سمعت النصر آبادي يقول : من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه فإن هذا الكلام في غاية الحسن فإنه من لزم ما يرضى الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيما إذا قام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله كما قال في الحديث الصحيح الذي في البخاري : [من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلى عبد بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته] الحديث

وذلك أن الرضا نوعان :

أحدهما : الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ويتناول ما أباحه الله من غير تعد إلى المحظور كما قال : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾ وهذا الرضا واجب ولهذا ذم من تركه بقوله : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون * ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾

والنوع الثاني : الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب وقد قيل : إنه واجب والصحيح : أن الواجب هو الصبر كما قال الحسن : الرضا غريزة ولكن الصبر معول المؤمن وقد روى في حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين فإن لم تستطع فإن في الصبرعلى ما تكره خيرا كثيرا]

وأما الرضا بالكفر والفسوق والعصيان فالذي عليه أئمة الدين أنه لا يرضى بذلك فإن الله لا يرضاه كما قال : ﴿ ولا يرضى لعباده الكفر ﴾ وقال : ﴿ والله لا يحب الفساد ﴾ وقال تعالى : ﴿ فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما ﴾ وقال : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ﴾ وقال تعالى : ﴿ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾

فإذا كان الله سبحانه لا يرضى لهم ما عملوه بل يسخطه ذلك وهو يسخط عليهم ويغضب عليهم فكيف يشرع للمؤمن أن يرضى ذلك وأن لا يسخط ويغضب لما يسخط الله ويغضبه

وإنما ضل هنا فريقان من الناس : قوم من أهل الكلام المنتسبين إلى السنة في مناظرة القدرية ظنوا أن محبة الحق ورضاه وغضبه وسخطه يرجع إلى إرادته وقد علموا أنه مريد لجميع الكائنات خلافا للقدرية وقالوا : هو أيضا محب لها مريد لها ثم أخذوا يحرفون الكلم عن مواضعه فقالوا : لا يحب الفساد بمعنى لا يريد الفساد أي لا يريده للمؤمنين ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يريد لعباده المؤمنين

وهذا غلط عظيم فإن هذا عندهم بمنزلة أن يقال : لا يحب الإيمان ولا يرضى لعباده الإيمان أي لا يريده للكافرين ولا يرضاه للكافرين

وقد اتفق أهل الإسلام على أن ما أمر الله به فإنه يكون مستحبا يحبه ثم قد يكون مع ذلك واجبا وقد يكون مستحبا ليس بواجب سواء فعل أو لم يفعل والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضع

والفرق الثاني : من غالطي المتصوفة شربوا من هذه العين فشهدوا أن الله رب الكائنات جميعا وعلموا أنه قدر على كل شئ وشاءه وظنوا أنهم لا يكونوا راضين حتى يرضوا بكل ما يقدره ويقضيه من الكفر والفسوق والعصيان حتى قال بعضهم : المحبة نار تحرق من القلب كل ما سوى مراد المحبوب قالوا : والكون كله مراد المحبوب

وضل هؤلاء ضلالا عظيما حيث لم يفرقوا بين الإرادة الدينية والكونية والإذن الكوني والديني والأمر الكوني والديني والبعث الكوني والديني والإرسال الكوني والديني كما بسطناه في غير هذا الموضع

وهؤلاء يؤول الأمر بهم إلى أن لا يفرقوا بين المأمور والمحظور وأولياء الله وأعدائه والأنبياء والمتقين ويجعلون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض ويجعلون المتقين كالفجار ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويعطلون الأمر والنهي والوعد والوعيد والشرائع وربما سموا هذه حقيقة ولعمري أنه حقيقة كونية لكن هذه الحقيقة الكونية قد عرفها عباد الأصنام كما قال : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون ﴾ الآيات

فالمشركون الذين يعبدون الأصنام كانوا مقرين بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه فمن كان هذا منتهى تحقيقه كان أقرب أن يكون كعباد الأصنام

والمؤمن إنما فارق الكفر بالإيمان بالله وبرسله وبتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا واتباع ما يرضاه الله ويحبه دون ما يقدره ويقضيه من الكفر والفسوق والعصيان ولكن يرضى بما أصابه من المصائب لا بما فعله من المعائب فهو من الذنوب يستغفر وعلى المصايب يصبر فهو كما قال تعالى : ﴿ فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك ﴾ فيجمع بين طاعة الأمر والصبر على المصائب كما قال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ وقال يوسف : ﴿ إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾

والمقصود هنا أن ما ذكره القشيري عن النصر آبادي من أحسن الكلام حيث قال : من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه وكذلك قول الشيخ أبي سليمان : إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض وذلك أن العبد إنما

يمنعه من الرضا والقناعة طلب نفسه لفضول شهواتها فإذا لم يحصل سخط فإذا سلا عن شهوات نفسه رضي بما قسم الله له من الرزق

وكذلك ما ذكره عن الفضيل بن عياض أنه قال لبشر الحافي : الرضا أفضل من الزهد في الدنيا لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته كلام حسن لكن أشك في سماع بشر الحافي من الفضيل

وكذلك ما ذكره معلقا قال : قال الشبلي بين يدي الجنيد : لا حول ولا قوة إلا بالله فقال الجنيد : قولك ذا ضيق الصدر وضيق الصدر لترك الرضا بالقضاء فإن هذا من أحسن الكلام وكان الجنيد رضي الله عنه سيد الطائفة ومن أحسنهم تعليما وتأديبا وتقويما

وذلك أن هذه الكلمة كلمة استعانة لا كلمة استرجاع وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع ويقولها جزعا لا صبرا فالجنيد أنكر على الشبلي حاله في سبب قوله لها إذ كانت حالا ينافي الرضى ولو قالها على الوجه المشروع لم ينكرعليه

وفيما ذكرناه آثار ضعيفة مثل ما ذكره معلقا قال : وقيل : قال موسى : إلهي دلني على عمل إذا عملته رضيت عني فقال : إنك لا تطيق ذلك فخر موسى ساجدا متضرعا فأوحى الله إليه : يا بن عمران رضائي في رضاك عني فهذه الحكاية الإسرائيلية فيها نظر فإنه قد يقال : لا يصلح أن يحكى مثلها عن موسى بن عمران ومعلوم أن هذه الإسرائيليات ليس لها إسناد ولا يقوم بها حجة في شيء من الدين إلا

إذا كانت منقولة لنا نقلا صحيحا مثل ما ثبت عن نبينا أنه حدثنا به عن بني إسرائيل ولكن منه ما يعلم كذبه مثل هذه فإن موسى من أعظم أولي العزم وأكابر المسلمين فكيف يقال : إنه لا يطيق أن يعمل ما يرضى الله به عنه والله تعالى راض عن

السابقين الأولين من المهاجرين والذين اتبعوهم بإحسان أفلا يرضى عن موسى بن عمران كليم الرحمن

وقال تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾

ومعلوم أن موسى بن عمران عليه السلام من أفضل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم إن الله تعالى خص موسى بمزية فوق الرضا حيث قال : ﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾

ثم إن قوله في الخطاب : (يا بن عمران) مخالف لما ذكره الله من خطابه في القرآن حيث قال : ﴿ يا موسى ﴾ وذلك الخطاب فيه نوع غض منه كما يظهر

ومثل ما ذكر أنه قيل : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : أما بعد فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت أن ترضى وإلا فاصبر فهذا الكلام كلام حسن وإن لم يعلم إسناده

وإذا تبين أن فيما ذكره مسندا ومرسلا ومعلقا ما هو صحيح وغيره فهذه الكلمة لم يذكرها عن أبي سليمان إلا مرسلة وبمثل ذلك لا تثبت عن أبي سليمان باتفاق الناس فإنه وإن قال بعض الناس : أن المرسل حجة فهذا لم يعلم أن

المرسل هو مثل الضعيف وغير الضعيف فأما إذا عرف ذلك فلا يبقى حجة باتفاق العلماء كمن علم أنه تارة يحفظ الإسناد وتارة يغلط فيه

والكتب المسندة في أخبار هؤلاء المشايخ وكلامهم مثل كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم وطبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن وصفة الصفوة لابن الجوزي وأمثال ذلك لم يذكروا فيها هذه الكلمة عن الشيخ أبي سليمان ألا ترى الذي رواه عنه مسندا حيث قال : قال لأحمد بن أبي الحواري : يا أحمد : لقد أوتيت من الرضا نصيبا لو ألقاني في النار لكنت بذلك راضيا فهذا الكلام مأثور عن أبي سليمان بالإسناد ولهذا أسنده عنه القشيري من طريق شيخه أبي عبد الرحمن بخلاف تلك الكلمة فإنها لم تسند عنه فلا أصل لها عن الشيخ أبي سليمان

ثم إن القشيري قرن هذه الكلمة الثانية عن أبي سليمان بكلمة أحسن منها فإنه قبل أن يرويها قال : وسئل أبو عثمان الحيري النيسابوري عن قول النبي صلى الله عليه و سلم أسألك الرضا بعد القضا فقال : لأن الرضا بعد القضا هو الرضا فهذا الذي قاله الشيخ أبو عثمان كلام حسن سديد

ثم أسند بعد هذا عن الشيخ أبي سليمان أنه قال : أرجو أن أكون قد عرفت طرفا من الرضا لو أنه أدخلني النار لكنت بذلك راضيا

فتبين بذلك أن ما قاله أبو سليمان ليس هو رضا وإنما هو عزم على الرضا وإنما الرضا ما يكون بعد القضا وإن كان هذا عزما فالعزم قد يدوم وقد ينفسخ وما أكثر انفساخ العزائم خصوصا عزائم الصوفية ولهذا قيل لبعضهم : بماذا عرفت ربك قال : بفسخ العزائم في بعض الهمم

وقد قال تعالى لمن هو أفضل من هؤلاء المشايخ : ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون * إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾

وفي الترمذي : أن بعض الصحابة قالوا للنبي صلى الله عليه و سلم : لو علمنا أي العمل أحب إلى الله لعملناه فأنزل الله تعالى هذه الآية وقد قال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب ﴾ الآية

فهؤلاء الذين كانوا قد عزموا على الجهاد وأحبوه فلما ابتلوا به كرهوه وفروا منه وأين ألم الجهاد من ألم النار وعذاب الله الذي لا طاقة لأحد به ومثل هذا ما يذكرونه عن سمنون المحب أنه كان يقول :

(وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاختبرني)

فأخذ الأسر من ساعته أي حصر بوله فكان يدور على المكاتب ويفرق الجوز على الصبيان ويقول : ادعوا لعمكم الكذاب

وحكى أبو نعيم الأصبهاني عن أبي بكر الواسطي أنه قال سمنون : يا رب قد رضيت بكل ما تقضيه علي فاحتبس بوله أربعة عشر يوما فكان يتلوى كما تتلوى الحية يتلوى يمينا وشمالا فلما أطلق بوله قال : رب قد تبت إليك

قال أبو نعيم : فهذا الرضا الذي ادعى سمنون ظهر غلطه فيه بأدنى بلوى مع أن سمنونا هذا كان يضرب به المثل وله في المحبة مقام مشهور حتى روي عن إبراهيم ابن فاتك أنه قال : رأيت سمنونا يتكلم على الناس في المسجد الحرام فجاء طائر صغير فلم يزل يدنو منه حتى جلس على يده ثم لم يزل يضرب بمنقاره الأرض حتى سقط منه دم ومات الطائر قال : رأيته يوما يتكلم في المحبة فاصطفقت قناديل المسجد وكسر بعضها بعضا

وقد ذكر القشيري في باب الرضا عن رويم المقري رفيق سمنون حكاية تناسب هذا حيث قال : قال رويم : إن الرضا لو جعل جهنم عن يمينه ما سأل الله أن يحولها عن يساره فهذا يشبه قول سمنون : فكيف ما شئت فامتحني وإذا لم يطق الصبر على عسر البول فيطيق أن تكون النار عن يمينه

والفضيل بن عياض كان أعلى طبقة من هؤلاء وابتلي بعسر البول فغلبه الألم حتى قال : بحبي لك ألا فرجت عني ففرج عنه

ورويم وإن كان من رفقاء الجنيد فليس هو عندهم من هذه الطبقة بل الصوفية يقولون أنه رجع إلى الدنيا وترك التصوف حتى روي عن جعفر الخلدي صاحب الجنيد أنه قال : من أراد أن يتكتم سرا فليفعل كما فعل رويم كتم حب الدنيا أربعين سنة فقيل : وكيف يتصور ذلك قال : ولي إسمعيل بن إسحق القاضي قضاء بغداد وكان بينهما مودة أكيدة فجذبه إليه وجعله وكيلا على بابه فترك لبس التصوف ولبس الخز والقصب والديبقى وأكل الطيبات وبنى الدور وإذا هو كان يكتم حب الدنيا ما لم يجدها فلما وجدها ظهر ما كان يكتم من حبها هذا مع أنه رحمه الله كان له من العبادات ما هو معروف وكان على مذهب داود

وهذه الكلمات التي تصدر عن صاحب حال لم يفكر في لوازم أقواله وعواقبها لا تجعل طريقة ولا تتخذ سبيلا ولكن قد يستدل بها على ما لصاحبها من الرضا والمحبة ونحو ذلك وما معه من التقصير في معرفة حقوق الطريق وما يقدر عليه من التقوى والصبر والرسل صلوات الله عليهم أعلم بطريق سبيل الله وأهدى وأنصح فمن خرج عن سنتهم وسبيلهم كان منقوصا مخطئا محروما وإن لم يكن عاصيا أو فاسقا أو كافرا

ويشبه هذا الأعرابي الذي دخل عليه النبي صلى الله عليه و سلم وهو مريض كالفرخ فقال : هل كنت تدعو الله بشيء قال : كنت أقول : اللهم ما كنت معذبني به في الآخرة فاجعله في الدنيا فقال : سبحان الله لا تستطيعه ولا تطيقه هلا قلت ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾

فهذا أيضا حمله خوفه من عذاب النار ومحبته لسلامة عاقبته على أن يطلب تعجيل ذلك في الدنيا وكان مخطئا في ذلك غالطا

والخطأ والغلط مع حسن القصد وسلامته وصلاح الرجل وفضله ودينه وزهده وورعه وكراماته كثير جدا فليس من شرط ولي الله أن يكون معصوما من الخطأ والغلط بل ولا من الذنوب وأفضل أولياء الله بعد الرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال لما عبر الرؤيا : [أصبت بعضا وأخطأت بعضا]

ويشبه والله أعلم أن أبا سليمان لما قال هذه الكلمة : لو ألقاني في النار لكنت بذلك راضيا أن يكون بعض الناس حكاه بما فهمه من المعنى أنه قال : الرضا أن لا تسأل الله الجنة ولا تستعيذه من النار

وتلك الكلمة التي قالها أبو سليمان مع أنها لا تدل على رضاه بذلك ولكن تدل على عزمه بالرضا بذلك فنحن نعلم أن هذا العزم لا يستمر بل ينفسخ وأن هذه الكلمة كان تركها أحسن من قولها وأنها مستدركة كما استدركت دعوى سمنون ورويم وغير ذلك فإن بين هذه الكلمة وتلك فرقا عظيما فإن تلك الكلمة مضمونها أن من سأل الجنة واستعاذ من النار لا يكون راضيا

وفرق بين من يقول : أنا إذ أفعل كذا كنت راضيا وبين من يقول : لا يكون راضيا إلا من لا يطلب خيرا ولا يهرب من شر

وبهذا وغيره يعلم أن الشيخ أبا سليمان كان أجل من أن يقول مثل هذا الكلام فإن الشيخ أبا سليمان من أجلاء المشايخ وساداتهم ومن أتبعهم للشريعة حتى أنه قال : إنه ليمر بقلبي النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين الكتاب والسنة فمن لا يقبل نكت قلبه إلا بشاهدين يقول مثل هذا الكلام

وقال الشيخ أبو سليمان أيضا : ليس لمن ألهم شيئا من الخير أن يفعله حتى يسمع فيه بأثر فإذا سمع فيه بأثر كان نورا على نور بل صاحبه أحمد بن أبي الحواري كان من أتبع المشايخ للسنة فكيف أبو سليمان

وتمام تزكية أبي سليمان من هذا الكلام تظهر بالكلام في المقام الثاني وهو قول القائل كائنا من كان : الرضا أن تسأل الله الجنة ولا تستعيذه من النار وتقدم قبل ذلك مقدمة تبين بها أصل ما وقع في مثل هذه الكلمات من الاشتباه والاضطراب

وذلك أن قوما كثيرا من الناس من المتفقهة والمتصوفة والمتكلمة وغيرهم ظنوا أن الجنة التنعم بالمخلوق من أكل وشرب ونكاح ولباس وسماع أصوات طيبة وشم روائح طيبة ولم يدخلوا في مسمى الجنة نعيما غير ذلك ثم صاروا ضربين :

ضرب أنكروا أن يكون المؤمنون يرون ربهم كما ذهب إلى ذلك الجهمية من المعتزلة وغيرهم ومنهم من أقر بالرؤية إما الرؤية التي أخبر بها النبي صلى الله عليه و سلم كما هو مذهب أهل السنة والجماعة وإما برؤية فسروها بزيادة كشف أو علم أو جعلها بحاسة سادسة ونحو ذلك من الأقوال التي ذهب إليها ضرار بن عمرو وطوائف من أهل الكلام المنتسبين إلى نصر أهل السنة في مسألة الرؤية وإن كان ما يثبتونه من جنس ما تنفيه المعتزلة والضرارية والنزاع بينهم لفظي ونزاعهم مع أهل السنة معنوي ولهذا كان بشر وأمثاله يفسرون الرؤية بنحو من تفسير هؤلاء

والمقصود هنا أن مثبتة الرؤية منهم من أنكر أن يكون المؤمن ينعم بنفس رؤيته ربه قالوا : لأنه لا مناسبة بين المحدث والقديم كما ذكر ذلك الأستاذ أبو المعالي الجويني في الرسالة النظامية وكما ذكره أبو الوفا بن عقيل في بعض كتبه ونقلوا عن ابن عقيل أنه سمع رجلا يقول : أسألك لذة النظر إلى وجهك فقال : يا هذا هب أن له وجها أله وجه يتلذذ بالنظر إليه ! وذكر أبو المعالي أن الله يخلق لهم نعيما ببعض المقدرات مقارنا للرؤية فأما النعيم بنفس الرؤية فأنكره وجعل هذا من أسرار التوحيد

وأكثر مثبتي الرؤية يثبتون تنعم المؤمنين برؤية ربهم وهو مذهب سلف الأمة وأئمتها ومشايخ الطريق كما في الحديث الذي في النسائي وغيره عن النبي صلى الله عليه و سلم : [اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني إذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب

والرضا وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضا وبرد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك الشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين]

وفي صحيح مسلم وغيره عن صهيب عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون : ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار قال : فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه] وكلما كان الشيء أحب كانت اللذة بنيله أعظم

وهذا متفق عليه بين السلف والأئمة ومشايخ الطريق كما روي عن الحسن البصري أنه قال : لو علم العابدون بأنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت نفوسهم في الدنيا شوقا إليه وكلامهم في ذلك كثير

ثم هؤلاء الذين وافقوا السلف والأئمة والمشايخ على التنعم بالنظر إلى الله تعالى تنازعوا في مسألة المحبة التي هي أصل ذلك فذهب طوائف من والفقهاء إلى أن الله لا يحب نفسه وإنما المحبة محبة طاعته وعبادته وقالوا : هو أيضا لا يحب عباده المؤمنين وإنما محبته إرادته للإحسان إليهم وولايتهم ودخل في هذا القول من انتسب إلى نصر السنة من أهل الكلام حتى وقع فيه طوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد كالقاضي أبي بكر والقاضي أبي يعلى وأبي المعالي الجويني وأمثال هؤلاء

وهذا في الحقيقة شعبة من التجهم والاعتزال فإن أول من أنكر المحبة في الإسلام : الجعد بن درهم أستاذ الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن عبد الله القسري وقال : أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما ثم نزل فذبحه

والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ومشايخ الطريق أن الله يحب ويحب ولهذا وافقهم على ذلك من تصوف من أهل الكلام كأبي القاسم القشيري وأبي حامد الغزالي وأمثالهما ونصر ذلك أبو حامد في الإحياء وغيره وكذلك أبو القاسم ذكر ذلك في الرسالة على طريق الصوفية كما في

كتاب أبي طالب المسمى بقوت القلوب وأبو حامد مع كونه تابع في ذلك الصوفية استند في ذلك لما وجده من كتب الفلاسفة من إثبات نحو ذلك حيث قالوا : يعشق ويعشق

وقد بسط الكلام على هذه المسألة العظيمة في القواعد الكبار بما ليس هذا موضعه وقد قال تعالى : ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾

وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾

وقال : ﴿ أحب إليكم من الله ورسوله ﴾

وفي الصحيحين : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار]

والمقصود هنا أن هؤلاء المتجهمة من المعتزلة ومن وافقهم الذين ينكرون حقيقة المحبة يلزمهم أن ينكروا التلذذ بالنظر إليه ولهذا ليس في الحقيقة عندهم إلا التنعم بالأكل والشرب ونحو ذلك وهذا القول باطل بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة ومشايخها فهذا أحد الحزبين الغالطين ". (١)

٢٧٤-" و الخلة هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه ولفظ العبودية يتضمن كمال الذل وكمال الحب فإنهم يقولون : قلب متيم إذا كان متعبدا للمحبوب والمتيم المتعبد وتيم الله عبده وهذا على الكمال حصل لإبراهيم ومحمد صلى الله عليه و سلم ولهذا لم يكن له من أهل الأرض خليل إذ الخلة لا تحتمل الشركة فإنه كما قيل في المعنى

(قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا)

بخلاف أصل الحب فإنه صلى الله عليه و سلم [قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة : اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما وسأله عمرو بن العاص أي الناس أحب إليك قال : عائشة قال : فمن الرجال قال : أبوها وقال لعلي رضي الله عنه : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله] وأمثال ذلك كثير

وقد أخبر تعالى أنه يحب المتقين ويحب المحسنين ويحب المقسطين ويحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وقال : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ فقد أخبر بمحبته لعباده المؤمنين ومحبة المؤمنين له حتى قال : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾

وأما الخلة فخاصة وقول بعض الناس : إن محمدا حبيب الله وإبراهيم خليل الله وظنه أن المحبة فوق الخلة قول ضعيف فإن محمدا أيضا خليل كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحيحة المستفيضة وما يروى أن العباس يحشر بين حبيب وخليل وأمثال ذلك فأحاديث موضوعة لا تصلح أن يعتمد عليها

وقد قدمنا أن من محبة الله تعالى محبة ما أحب كما في الصحيحين : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار] أخبر النبي صلى الله عليه و سلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان لأن وجد الحلاوة بالشيء يتبع المحبة له فمن أحب شيئا أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى

ومن قال إن اللذة إدراك الملائم كما يقوله من يقوله من المتفلسفة والأطباء فقد غلط في ذلك غلطا بينا فإن الإدراك يتوسط بين المحبة واللذة فإن الإنسان مثلا يشتهي الطعام فإذا أكله حصل له عقيب ذلك اللذة فاللذة تتبع النظر إلى الشيء فإذا نظر إليه التذ فاللذة تتبع النظر ليس نفس النظر وليست هي رؤية الشيء بل تحصل عقيب رؤيته وقال تعالى : ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ﴾ وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والآلام من فرح وحزن ونحو ذلك يحصل

---

(١) الفتاوى الكبرى ٢/ ٣٩٠

بالشعور بالمحبوب أو الشعور بالمكروه وليس نفس الشعور هو الفرح ولا الحزن فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور

تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها

فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم

و تفريعها أن يحب المرء لا يحبه إلا لله

و دفع ضدها أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار فإذا كانت محبة الرسول والمؤمنين من محبة الله وكان رسول الله صلى الله عليه و سلم حب المؤمنين الذين يحبهم الله لأنه أكمل الناس محبة لله وأحقهم بأن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله و الخلة ليس لغير الله فيها نصيب بل قال : [لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا] علم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة

والمقصود هو أن الخلة و المحبة لله تحقيق عبوديته وإنما يغلط من يغلط في هذه من حيث يتوهمون أن العبودية مجرد ذل وخضوع فقط لا محبة معه أو أن المحبة فيها انبساط في الأهواء أو إدلال لا تحتمله الربوبية ولهذا يذكر عن ذي النون أنهم تكلموا عنده في مسألة المحبة فقال : أمسكوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية وقال من قال من السلف : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالحب والخوف الرجاء فهو مؤمن موحد ولهذا وجد في المستأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تنافي العبودية وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله ويدعي أحدهم دعوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين أو يطلبون من الله ما لا يصلح - بكل وجه - إلا لله لا يصلح للأنبياء والمرسلين

وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بينتها الرسل وحررها الأمر والنهي الذي جاؤوا به بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته وإذا ضعف العقل وقل العلم بالدين وفي النفس محبة انبسطت النفس بحمقها في ذلك كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله ويقول : أنا محب فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عذران وجهل فهذا عين الضلال وهو شبيه بقول اليهود والنصارى : ﴿ نحن أبناء الله وأحباؤه ﴾ قال الله تعالى : ﴿ قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ﴾ فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين ولا منسوبين إليه بنسبة النبوة بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون

فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه محبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن الله يبغض منه ذلك كما يحب منه ما يفعله من الخير إذ حبه للعبد بحسب إيمانه وتقواه ومن ظن أن الذنوب لا تضره لكون الله يحبه مع إصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه وعدم تداويه منه بصحة مزاجه

ولو تدبر الأحمق ما قص الله في كتابه من قصص أنبيائه وماجرى لهم من التوبة والاستغفار وما أصيبوا به من أنواع البلاء الذي فيه تمحيص لهم وتطهير بحسب أحوالهم علم بعض ضرر الذنوب بأصحابها ولو كان أرفع الناس مقاما فإن المحب للمخلوق إذا لم يكن عارفا بمصلحته ولا مريدا لها بل يعمل بمقتضى الحب – وإن كان جهلا وظلما – كان ذلك سببا لبغض المحبوب له ونفوره عنه بل لعقوبته

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعا من أمور الجهل بالدين إما من تعدي حدود الله وإما من تضييع حقوق الله وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها كقول بعضهم : أي مريد لي ترك في النار أحدا فأنا منه بريء فقال الآخر : أي مريد لي ترك أحدا من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء فالأول جعل مريده يخرج كل من في النار والثاني جعل مريده يمنع أهل الكبائر من دخول النار ويقول بعضهم : إذا كان يوم القيامة نصبت خيمتي على جهنم حتى لا يدخلها أحد وأمثال ذلك من الأقوال التي تؤثر عن بعض المشايخ المشهورين وهي إما كذب عليهم وإما غلط منهم ومثل هذا قد يصدر في حال سكر وغلبة وفناء يسقط فيها تمييز الإنسان أو يضعف حتى لا يدري ما قال و السكر هو لذة عدم تمييز ولهذا كان بين هؤلاء من إذا استغفر من ذلك الكلام

والذين توسعوا من الشيوخ في سماع القصائد المتضمنة للحب والشوق واللوم والعذل والغرام كان هذا أصل مقصدهم ولهذا أنزل الله للمحبة محنة يمتحن بها المحب فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ فلا يكون محبا لله إلا من يتبع رسوله وطاعة الرسول ومتابعته تحقيق العبودية

وكثير ممن دعي المحبة يخرج عن شريعته وسنته ويدعي من الخيالات ما لا يتسع هذا الموضع لذكره حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر وتحليل الحرام له وغير ذلك مما فيه مخالفة شريعة الرسول وسنته وطاعته بل قد جعل محبة الله ومحبة رسوله الجهاد في سبيله و الجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به وكمال بغض ما نهى الله عنه ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه : ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ﴾

ولهذا كانت محبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبوديية من قبلهم وأكمل هذه الأمة في ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فأين هذا من قوم يدعون المحبة !

و [في] كلام بعض الشيوخ : المحبة نار تحرق في القلب ماسوى مراد المحبوب وأرادوا أن الكون كله قد أراد الله وجوده فظنوا أن كمال المحبة أن يحب العبد كل شيء حتى الكفر والفسوق والعصيان ولا يمكن أحدا أن يحب كل موجود بل يحب ما يلائمه وينفعه ما ينافيه ويضره ولكن استفادوا بهذا الضلال اتباع أهوائهم فهم يحبون ما يهوونه كالصور والرئاسة وفضول المال والبدع المضلة زاعمين أن هذا من محبة الله ومن محبة الله بغض ما يبغضه الله ورسوله وجهاد أهله بالنفس والمال

وأصل ضلالهم أن هذا القائل الذي قال : إن المحبة نار تحرق ما سوى مراد المحبوب قصد بمراد الله تعالى الإرادة الدينية الشرعية التي هو بمعنى محبته ورضاه فكأنه قال : تحرق من القلب ماسوى المحبوب لله وهذا معنى صحيح فإن من تمام الحب أن لا يحب إلا ما يحبه الله فإذا أحببت مالا يحب كانت المحبة ناقصة وأما قضاؤه وقدره فهو يبغضه ويكرهه ويسخطه وينهى عنه فإن لم أوافقه في بغضه وكراهته وسخطه لم أكن محبا له بل محبا لما يبغضه فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم

الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة الله ناظرا إلى عموم ربوبيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شر من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم وفي التوراة والإنجيل من محبة الله ما هم متفقون عليه حتى إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس

ففي الإنجيل أن المسيح قال : أعظم وصايا المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة وإن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك وهم برآء من محبة الله إذ لم يتبعوا ما أحبه بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم وهو سبحانه يحب من يحبه لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له ن وإن كان جزاء الله لعبده أعظم كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : [من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة]

وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح : [لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث]

وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى : من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا ثم إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح ويثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع

وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده ويقدر نقص هذا يكون نقص هذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع فكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين : أن يكون لله وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب كما قال : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾

فلا بد من العمل الصالح وهو الواجب والمستحب ولا بد أن يكون خالصا لوجه الله تعالى كما قال تعالى : ﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ وقال النبي صلى الله عليه و سلم : [

من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد] وقال النبي صلى الله عليه و سلم : [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه]

وهذا الأصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون الدين وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وإليه دعا الرسول وعليه جاهد وبه أمر وفيه رغب وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه

والشرك غالب على النفوس وهو كما جاء في الحديث [وهو في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل] وفي حديث آخر [قال أبو بكر : يا رسول الله كيف ننجو منه وهو أخفى من دبيب النمل فقال النبي صلى الله عليه و سلم لأبي بكر : ألا أعلمك كلمة إذا قلتها نجوت من دقه وجله قل : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم] وكان عمر يقول في دعائه : الله اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا

وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس : يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية قيل لأبي داود السجستاني : وما الشهوة الخفية قال : حب الرئاسة وعن كعب بن مالك عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال [ما ذئبان جائعان أرسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه] قال الترمذي حديث حسن صحيح

فبين صلى الله عليه و سلم أن الحرص على المال والشرف في فساد الدين لا ينقص عن فساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم وذلك بين فإن الدين السليم لا يكون فيه هذا الحرص وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب غليه من ذلك حتى يقدمه عليه وبذلك يصرف عن أهل الإخلاص لله السوء والفحشاء كما قال تعالى : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ﴾

فإن المخلصين لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غيره إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له وكذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا كما قال تعالى : ﴿ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ﴾ إذ المحب يخاف من زوال مطلوبه وحصول مرغوبه فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء قال تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ﴾

وإذا كان العبد مخلصا له اجتباه ربه فيحيي قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذي لم يخلص لله فإنه في طلب وإرادة وحب مطلق فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه كالغصن أي نسيم مر بعطفه أماله فتارة تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذه هو عبدا له لكان ذلك عيبا ونقصا وذما وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثني عليه ولو بالباطل ويعادي من يذمه ولو بالحق وتارة يستعبده الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التي تستعبد القلوب والقلوب تهواها فيتخذ إلهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله

ومن لم يكن خالصا لله عبدا له قد صار قلبه معبدا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه ويكون ذليلا له خاضعا وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين أخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء ما لا يعلمه إلا الله وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه فالقلب إن لم يكن حنيفا مقبلا على الله معرضا عما سواه وإلا كان مشركا قال تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ إلى قوله : ﴿كل حزب بما لديهم فرحون ﴾

وقد جعل الله سبحانه إبراهيم وآل إبراهيم أئمة لهؤلاء الحنفاء المخلصين أهل محبة الله وعبادته وإخلاص الدين له كما جعل فرعون وآل فرعون أئمة المشركين المتبعين أهواءهم قال تعالى في إبراهيم : ﴿ ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾ وقال في فرعون وقومه : ﴿ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون * وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ﴾

ولهذا يصير اتباع فرعون أولا إلى أن لا يميزوا بين ما يحبه الله ويرضاه وبين ما قدر الله وقضاه بل ينظرون إلى المشيئة المطلقة الشاملة ثم في آخر الأمر لا يميزون بين الخالق والمخلوق بل يجعلون وجود هذا وجود هذا ويقول محققوهم الشريعة فيها طاعة ومعصية والحقيقة فيها معصية بلا طاعة والتحقيق ليس فيه طاعة ولا معصية وهذا تحقيق مذهب فرعون وقومه الذين أنكروا الخالق وأنكروا تكليمه لعبده موسى وما أرسله به من الأمر والنهي

وأما إبراهيم وآل إبراهيم الحنفاء والأنبياء فهم يعلمون أنه لا بد من الفرق بين الخالق والمخلوق ولا بد من الفرق بين الطاعة والمعصية وأن العبد كلما ازداد تحقيقا ازدادت محبته لله وعبوديته له وطاعته له واعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره وطاعة غيره وهؤلاء المشركون الضالون يسوون بين الله وبين خلقه والخليل يقول : ﴿ أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون * فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ ويتمسكون بالمتشابه من كلام المشائخ كما فعلت النصارى ". (١)

٢٧٥-" ما يذكر في الإسرائيليات : إن الله قال لداود : أما الذنب فقد غفرناه وأما الود فلا يعود فهذا لو عرفت صحته لم يكن شرعا لنا وليس لنا أن نبني ديننا على هذا فإن دين محمد صلى الله عليه و سلم في التوبة جاء بما لم يجئ به شرع من قبله ولهذا قال : [أنا نبي الرحمة وأنا نبي التوبة] وقد رفع به من الآصار والأغلال ما كان على من قبلنا

وقد قال تعالى في كتابه : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وأخبر أنه تعالى يفرح بتوبة عبده التائب أعظم من فرح الفاقد لما يحتاج إليه من الطعام والشراب والموكب إذا وجده بعد اليأس فإذا كان هذا فرح الرب بتوبة التائب وتلك محبته كيف يقال : إنه لا يعود لمودته : ﴿ وهو الغفور الودود * ذو العرش المجيد * فعال لما يريد ﴾ ولكن وده بحسب ما يتقرب إليه العبد بعد التوبة فإن كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة أفضل مما كان يأتي به قبل ذلك كانت مودته له بعد التوبة أعظم من مودته له قبل التوبة وإن كان أنقص كان الأمر أنقص فإن الجزاء من جنس العمل وما ربك بظلام للعبيد

(١) الفتاوى الكبرى ١٩٦/٥

وقد ثبت في الصحيح : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها : فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه] ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودة وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وودهم

وقد قال تعالى : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ نزلت في المشركين الذين عادوا الله ورسوله مثل أهل الأحزاب كأبي سفيان بن حرب وأبي سفيان بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم فإنهم بعد معاداتهم لله ورسوله جعل الله بينهم وبين الرسل والمؤمنين مودة وكانوا في ذلك متفاضلين وكان عكرمة وسهيل والحارث بن هشام أعظم مودة من أبي سفيان بن حرب ونحوه وقد ثبت في الصحيح : [أن هند امرأة أبي سفيان أم معاوية قالت : والله يا رسول الله ! ما كان على وجه الأرض أهل خباء أحب إلي أن يذلوا من أهل خبائك وقد أصبحت وما على وجه الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك فذكر النبي صلى الله عليه و سلم لها نحو ذلك]

ومعلوم أن المحبة والمودة التي بين المؤمنين إنما تكون تابعة لحبهم لله تعالى فإن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله فالحب لله من كمال التوحيد والحب مع الله شرك قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ فتلك المودة التي صارت بين الرسول والمؤمنين وبين الذين عادوهم من المشركين إنما كانت مودة لله ومحبة لله ومن أحب الله أحبه الله ومن ود الله وده الله فعلم أن الله أحبهم وودهم بعد التوبة كما أحبوه ووده فكيف يقال : إن التائب إنما تحصل له المغفرة دون المودة !

وإن قال قائل : أولئك كانوا كفارا لم يعرفوا أن ما فعلوه محرم بل كانوا جهالا بخلاف من علم أن الفعل محرم وأتاه

قيل : الجواب من وجهين :

أحدهما : إنه ليس الأمر كذلك بل كان كثير من الكفار يعلمون أن محمدا رسول الله ويعادونه حسدا وكبرا وأبو سفيان قد سمع من أخبار نبوة النبي صلى الله عليه و سلم ما لم يسمع غيره كما سمع من أمية بن أبي الصلت وما سمعه من هرقل ملك الروم وقد أخبر عن نفسه أنه لم يزل موقنا أن أمر النبي صلى الله عليه و سلم سيظهر حتى أدخل عليه الإسلام وهو كاره له وقد سمع منه عام اليرموك وغيره ما دل على حسن إسلامه ومحبته لله ورسوله بعد تلك العداوة العظيمة

وقد قال تعالى : ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا * إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ﴾ فإذا كان الله يبدل سيئاتهم حسنات فالحسنات توجب مودة الله لهم وتبديل السيئات حسنات

ليس مختصا بمن كان كافرا وقد قال تعالى : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما ﴾ قال أبو العالية : سألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم عن هذه الآية فقالوا لي : كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب

الوجه الثاني : إن ما ذكر من الفرق بين تائب وتائب في محبة الله تعالى للتائبين فرق لا أصل له بل الكتاب والسنة يدل على أن الله يحب التوابين ويفرح بتوبة التائبين سواء كانوا عالمين بأن ما أتوه ذنبا أو لم يكونوا عالمين بذلك

ومن علم أن ما أتاه ذنبا ثم تاب فلا بد أن يبدل وصفه المذموم بالمحمود فإذا كان يبغض الحق فلا بد أن يحبه وإذا كان يحب الباطل فلا بد أن يبغضه فما يأتي به التائب من معرفة الحق ومحبته والعمل به ومن بغض الباطل واجتنابه هو من الأمور التي يحبها الله تعالى ويرضاها ومحبة الله كذلك بحسب ما يأتي به العباد من محابه فكل من كان أعظم فعلا لمحبوب الحق كان الحق أعظم محبة له وانتقاله من مكروه الحق إلى محبوبه مع قوة بغض ما كان عليه من الباطل وقوة حب ما انتقل إليه من حب الحق فوجب زيادة محبة الحق له ومودته إياه بل يبدل الله سيئاته حسنات لأنه بدل صفاته المذمومة بالمحمودة فيبدل الله سيئاته حسنات فإن الجزاء من جنس العمل وحينئذ فإذا كان إتيان التائب بما يحبه الحق أعظم من إتيان غيره كانت محبة الحق له أعظم وإذا كان فعله لما يوده الله منه أعظم من فعله له قبل التوبة كانت مودة الله له بعد التوبة أعظم من مودته له قبل التوبة فكيف يقال الود لا يعود

وبهذا يظهر جواب شبهة من يقول : إن الله لا يبعث نبيا إلا من كان معصوما قبل النبوة كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم وكذلك من قال إنه لا يبعث نبيا إلا من كان مؤمنا قبل النبوة فإن هؤلاء توهموا أن الذنوب تكون نقصا وإن تاب التائب منها وهذا منشأ غلطهم فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصوح يكون ناقصا فهو غالط غلطا عظيما فإن الذم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منه شيء أصلا لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الذم والعقاب ما يناسب حاله

والأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه كانوا لا يؤخرون التوبة بل يسارعون إليها ويسابقون إليها لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب بل هم معصومون من ذلك ومن أخر ذلك زمنا قليلا كفر الله ذلك بما يبتليه به كما فعل بذي النون صلى الله عليه و سلم هذا على المشهور أن إلقاءه كان بعد النبوة وأما من قال إن إلقاءه كان قبل النبوة فلا يحتاج إلى هذا

والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب وإذا كان قد يكون أفضل فالأفضل أحق بالنبوة ممن ليس مثله في الفضيلة وقد أخبر الله عن أخوة يوسف بما أخبر من ذنوبهم وهم الأسباط الذين نبأهم الله تعالى وقد قال تعالى : ﴿ فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي ﴾ فآمن لوط لإبراهيم عليه السلام ثم أرسله الله تعالى إلى قوم لوط وقد قال تعالى في قصة شعيب : ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين * قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ وقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين * ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾

وإذا عرف أن الاعتبار بكمال النهاية وهذا الكمال إنما يحصل بالتوبة والاستغفار ولا بد لكل عبد من التوبة وهو واجبة على الأولين والآخرين كما قال تعالى : ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾

وقد أخبر الله سبحانه بتوبة آدم ونوح ومن بعدهما إلى خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه و سلم وآخر ما نزل عليه – أو من آخر ما نزل عليه – قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ وفي الصحيحين : [عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي] يتأول القرآن

وقد أنزل الله عليه قبل ذلك : ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم ﴾ وفي صحيح البخاري : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول : [يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فوالذي نفسي بيده إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة] وفي صحيح مسلم : عن الأغر المزني عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة] وفي السنن : عن ابن عمر أنه قال : كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه و سلم في المجلس الواحد يقول : [رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور] مائة مرة

وفي الصحيحين : عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول : [اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم أنه مني اللهم : اغفر لي هزلي وجدي وخطأي وعمدي وكل ذلك عندي الله اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير] وفي الصحيحين : عن أبي هريرة أنه قال : [يا رسول الله أرأيت سكوتك بين التكبير والقراءة ماذا تقول قال : أقول : اللهم : باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد والماء البارد]

وفي صحيح مسلم وغيره : أنه كان يقول : نحو هذا إذا رفع رأسه من الركوع وفي صحيح مسلم : عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح : [اللهم ! أنت الملك لا إله إلا أنت أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفس وعملت سوءا فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت] وفي صحيح مسلم : عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه كان يقول في سجوده : [اللهم ! اغفر لي ذنبي كله دقه وجله علانيته وسره أوله وآخره]

وفي السنن عن علي [أن النبي صلى الله عليه و سلم أتي بدابة ليركبها وأنه حمد الله وقال : ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ ثم كبره وحمده ثم قال : سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك ! وقال إن الرب عجب من عبده إذا قال اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت يقول علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب إلا أنا]

وقد قال تعالى : ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ وقال : ﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ وثبت في الصحيحين : في حديث الشفاعة [أن المسيح يقول : اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر]

وفي الصحيح : [أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقوم حتى ترم قدماه فيقال له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ! قال أفلا أكون عبدا شكورا]

ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين وعلماء المسلمين كثيرة

لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما فعل ذلك من صنف في هذا الباب وتأويلاتهم تبين لمن تدبرها أنها فاسدة من باب تحريف الكلم عن مواضعه كتأويلهم قوله ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ المتقدم ذنب آدم والمتأخر ذنب أمته وهذا معلوم البطلان ويدل على ذلك وجوه :

أحدها : أن آدم قد تاب الله عليه قبل أن ينزل إلى الأرض فضلا عن عام الحديبية الذي أنزل الله فيه السورة قال تعالى : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ وقال : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ ذكر أنه قال : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾

والثاني : أن يقال : فآدم عندكم من جملة موارد النزاع ولا يحتاج أن يغفر له ذنبه عند المنازع فإنه نبي أيضا ومن قال : إنه لم يصدر من الأنبياء ذنب يقول ذلك عن آدم ومحمد وغيرهما

الوجه الثالث : أن الله لا يجعل الذنب ذنبا لمن لم يفعله فإنه هو القائل : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ فمن الممتنع أن يضاف إلى محمد صلى الله عليه و سلم ذنب آدم صلى الله عليه و سلم أو أمته أو غيرهما وقد قال تعالى : ﴿ فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم ﴾ وقال تعالى : ﴿ فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك ﴾ ولو جاز هذا لجاز أن يضاف إلى محمد ذنوب الأنبياء كلهم ويقال : إن قوله : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ المراد ذنوب الأنبياء وأممهم قبلك فإنه يوم القيامة يشفع للخلائق كلهم وهو سيد ولد آدم وقال : [أنا سيد ولد آدم ولا فخر وآدم فمن دونه تحت لوائي يوم القيامة أنا خطيب الأنبياء إذا وفدوا وإمامهم إذا اجتمعوا] وحينئذ فلا يختص آدم بإضافة ذنبه إلى محمد بل تجعل ذنوب الأولين والآخرين على قول هؤلاء ذنوبا له فإن قال : إن الله لم يغفر ذنوب جميع الأمم قيل : وهو أيضا لم يغفر ذنوب جميع أمته

الوجه الرابع : أنه قد ميز بين ذنبه وذنوب المؤمنين بقوله ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ فكيف يكون ذنب المؤمنين ذنبا له

الوجه الخامس : أنه ثبت في الصحيح : أن هذه الآية لما نزلت قال الصحابة يا رسول الله ! هذا لك فما لنا فأنزل الله ﴿ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ﴾ فدل ذلك على أن الرسول والمؤمنين علموا أن قوله : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ مختص به دون أمته

الوجه السادس : أن الله لم يغفر ذنوب جميع أمته بل قد ثبت أن من أمته من يعاقب بذنوبه أما في الدنيا وأما في الآخرة وهذا ما تواتر به النقل وأخبر به الصادق المصدوق واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها وشوهد في الدنيا من ذلك ما لا يحصيه إلا الله وقد قال الله تعالى : ﴿ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ﴾ والاستغفار والتوبة قد يكونان من ترك الأفضل فمن نقل إلى حال أفضل مما كان عليه قد يتوب من الحال الأول لكن الذم والوعيد لا يكون إلا على ذنب ". (١)

٢٧٦-"أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ . وقال تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ﴾ ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ﴾ ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا ﴾ إلى قوله ﴿ إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ﴾ وقال الخليل عليه السلام ﴿ يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ الآيات إلى قوله ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ . فصل وإذا عرف أن الناس فيهم " أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء كما فرق الله ورسوله بينهما فأولياء الله هم المؤمنون المتقون كما قال تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ . وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة - أو فقد آذنته بالحرب - وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ وهذا أصح حديث يروى في الأولياء فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة . وفي حديث آخر ﴿ وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب ﴾ أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿ أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله ﴾ وفي حديث آخر رواه أبو داود قال ﴿ ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ﴾ . و " الولاية " ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد . وقد قيل

(١) الفتاوى الكبرى ٥/٢٦٦

: إن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات أي متابعته لها والأول أصح . والولي القريب فيقال : هذا يلي هذا أي يقرب منه . ومنه قوله". (١)

٢٧٧-"الله هم المقربون المذكورون في تلك السورة وهذا لأن الجزاء من جنس العمل في الخير والشر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة ؛ وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴾ رواه مسلم في صحيحه . وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﴾ قال الترمذي : حديث صحيح . وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن ﴿ يقول الله تعالى : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته ﴾ وقال ﴿ ومن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله ﴾ ومثل هذا كثير . وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين كما تقدم . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾ . فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ؛ ولا الكف عن فضول المباحات . وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ يعني الحب المطلق كقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ أي أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه فلم يشربوا صرفا ؛ بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا . ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ونبي ملك وقد خير الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا فاختار أن يكون عبدا رسولا". (٢)

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٢

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/١١

٢٧٨-"فصل وإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا لقوله تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وفي صحيح البخاري الحديث المشهور – وقد تقدم – يقول الله تبارك وتعالى فيه : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار أهل اليمين ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يكون من السابقين المقربين فمعلوم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله . وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار ومن لم تبلغه الدعوة – وإن قيل إنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم رسول – فلا يكونون من أولياء الله إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين ؛ فمن لم يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم يكن من أولياء الله . وكذلك المجانين والأطفال ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق وعن الصبي حتى يحتلم . وعن النائم حتى يستيقظ ﴾ . وهذا الحديث قد رواه أهل السنن من حديث علي وعائشة رضي الله عنهما . واتفق أهل المعرفة على تلقيه بالقبول . لكن الصبي المميز تصح عباداته ويثاب عليها عند جمهور العلماء . وأما المجنون الذي رفع عنه القلم فلا يصح شيء من عباداته باتفاق العلماء . ولا يصح منه إيمان ولا كفر ولا صلاة ولا غير ذلك من العبادات ؛ بل لا يصلح هو عند عامة العقلاء لأمور الدنيا كالتجارة والصناعة . فلا يصلح أن يكون بزازا ولا عطارا ولا حدادا ولا نجارا ولا تصح عقوده باتفاق العلماء . فلا يصح بيعه ولا شراؤه ولا نكاحه ولا طلاقه ولا إقراره ولا شهادته . ولا غير ذلك من أقواله بل أقواله كلها لغو لا يتعلق بها حكم شرعي ولا ثواب ولا عقاب . بخلاف الصبي المميز فإن له أقوالا معتبرة في مواضع بالنص والإجماع وفي مواضع فيها نزاع . وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل وامتنع أن يكون وليا فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله ؛ لا سيما أن تكون حجته على ذلك إما مكاشفة سمعها منه أو نوع من تصرف مثل أن يراه قد أشار إلى واحد فمات أو صرع ؛ فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين – من المشركين وأهل الكتاب – لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله مثل أن يعلم أنه لا يعتقد وجوب اتباع النبي صلى الله عليه وسلم باطنا وظاهرا ؛ بل يعتقد أنه يتبع الشرع الظاهر دون الحقيقة الباطنة . أو يعتقد أن لأولياء الله طريقا إلى الله غير طريق الأنبياء عليهم السلام . أو يقول : إن الأنبياء ضيقوا الطريق أو هم على قدوة العامة دون الخاصة ونحو ذلك مما يقوله بعض من يدعي الولاية فهؤلاء فيهم". (١)

٢٧٩-"طيبا ﴾ وقال : ﴿ إن الله نظيف يحب النظافة ﴾ وقال : ﴿ خمس من الفواسق يقتلن في الحل والحرم : الحية والفأرة والغراب والحدأة والكلب العقور ﴾ وفي رواية ﴿ الحية والعقرب ﴾ . وأمر صلوات الله وسلامه عليه بقتل الكلاب وقال : ﴿ من اقتنى كلبا لا يغني عنه زرعا ولا ضرعا نقص من عمله كل يوم قيراط ﴾ وقال : ﴿ لا تصحب الملائكة رفقة معهم كلب ﴾ وقال : ﴿ إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ﴾ ﴿ الذين يتبعون

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/١٨

الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ . فإذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير ؛ وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة أو يأوي إلى المقابر ؛ ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن . قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل ؛ وقال ابن مسعود : الذكر ينبت الإيمان في القلب كما ينبت الماء البقل والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل . وإن كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله ﴾ قال الترمذي حديث حسن . وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش". [1]

٢٨٠-"ص -٣٥٦- أخبرنا١ عبد الرزاق٢، عن الثوري٣، عن مسلم٤، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾، قال: محبة٥.وهذا فيه إثبات حبه لهم، بعد أعمالهم؛ بقوله:﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾، وهو نظير قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾٦؛ فهو يحبهم إذا اتبعوا الرسول. ونظير قوله في الحديث الصحيح: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها"٧.______١ القائل عبد بن حميد.٢ هو عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم الصنعاني. ولد سنة ١٢٦، وتوفي سنة ٢١١. انظر: الجرح والتعديل ٦٣٩. وميزان الاعتدال ٢٦٠٩. وتهذيب التهذيب ٣.٦٣١١ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبدالله الكوفي. الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة ٩٧، وتوفي سنة ١٦١. انظر: الجرح والتعديل ٤٢٢٢. وتاريخ بغداد ٩١٥١. وتهذيب التهذيب ٤.٤١١١ هو مسلم بن عمران، أو ابن أبي عمران البطين الكوفي.انظر: الجرح والتعديل ٨١٩١. وتهذيب التهذيب ٥.١٠١٣٤ تفسير القرآن للإمام عبدالرزاق –

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٢٩

تحقيق مصطفى مسلم – ٢١٤. وانظر: تفسير الطبري ١١٣٢. والدر المنثور ٦.٤٢٨٧ سورة آل عمران، الآية ٧.٣١ أخرجه البخاري في صحيحه ٥٢٣٨٤-٢٣٨٥، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت أنا والساعة كهاتين". وأحمد في مسنده ٦٢٥٦.". (١)

٢٨١-" وبالغفور في موضع قال أبو بكر ابن الانباري الودود معناه المحب لعباده من قولهم وددت الرجل أوده ودا وودا وودا ويقال وددت الرجل ودادا ووداده وقال الخطابي هو اسم مأخوذ من الود وفيه وجهان أحدهما أن يكون فعولا في محل مفعول كما قيل رجل هيوب بمعنى مهيب وفرس ركوب بمعنى مركوب والله سبحانه وتعالى مودود في قلوب أوليائه لما يعرفونه من إحسانه اليهم والوجه الآخر أن يكون بمعنى الود أي أنه يود عباده الصالحين بمعنى أنه يرضى عنهم ويتقبل أعمالهم ويكون معناه أن يوددهم إلى خلقه كقوله سيجعل لهم الرحمن ودا قلت قوله سيجعل لهم الرحمن ودا فسروها بأنه يحبهم ويحببهم الى عباده كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال إذا أحب الله العبد نادى يا جبريل إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وقال في البغض مثل ذلك وقال عبد ابن حميد أنبأنا عبيد الله بن موسى عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم ورواه ابن أبي حاتم أيضا وقال عبد أخبرني شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سيجعل لهم الرحمن ودا قال يحبهم ويحببهم الى المؤمنين أخبرنا عبد الرزاق عن الثوري عن مجاهد عن ابن عباس سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة وهذا فيه إثبات حبه لهم بعد أعمالهم بقوله سيجعل لهم الرحمن ودا وهو نظير قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فهو يحبهم إذا اتبعوا الرسول ونظير قوله في الحديث الصحيح ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وكذلك قوله وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ان الله يحب المتقين إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وهذه الآيات وأشباهها تقتضي أن الله يحب أصحاب هذه الأعمال فهو يحب التوابين وإنما يكونون توابين بعد الذنب ففي هذه الحال ". (٢)

٢٨٢-"(فصل) : وكذلك التفريق بين الأمة وامتحانها بما لم يأمر الله به ولا رسوله : مثل أن يقال للرجل : أنت شكيلي ، أو قرفندي ، فإن هذه أسماء باطلة ما أنزل الله بها من سلطان وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا في الآثار المعروفة عن سلف الأئمة لا شكيلي ولا قرفندي . والواجب على المسلم إذا سئل عن ذلك أن يقول : لا أنا شكيلي ولا قرفندي ؛ بل أنا مسلم متبع لكتاب الله وسنة رسوله . وقد روينا عن معاوية بن أبي سفيان : أنه سأل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال : أنت على ملة علي أو ملة عثمان فقال : لست على ملة علي ولا على ملة عثمان بل أنا على ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان كل من السلف يقولون : كل هذه الأهواء في النار : ويقول أحدهم : ما أبالي أي النعمتين أعظم على أن هداني الله للإسلام أو أن جنبني هذه الأهواء ، والله تعالى قد سمانا

---

(١) النبوات ١٥٩/١٠

(٢) النبوات ص/٧٦

في القرآن : المسلمين المؤمنين عباد الله فلا نعدل عن الأسماء التي سمانا الله بها إلى أسماء أحدثها قوم – وسموها هم وآباؤهم – ما أنزل الله بها من سلطان . بل الأسماء التي قد يسوغ التسمي بها مثل انتساب الناس إلى إمام كالحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي أو إلى شيخ كالقادري والعدوي ونحوهم أو مثل الانتساب إلى القبائل : كالقيسي واليماني وإلى الأمصار كالشامي والعراقي والمصري . فلا يجوز لأحد أن يمتحن الناس بها ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم من أي طائفة كان . وأولياء الله الذين هم أولياؤه : هم الذين آمنوا وكانوا يتقون فقد أخبر سبحانه أن أولياءه هم المؤمنون المتقون وقد بين المتقين في قوله تعالى ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ والتقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه . وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله وما صاروا به أولياء ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ يقول الله – تبارك وتعالى – : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فقد ذكر في هذا الحديث أن التقرب إلى الله تعالى على درجتين : (إحداهما) : التقرب إليه بالفرائض . (والثانية) : هي التقرب". (١)

٢٨٣–" دلالة السنة على أفعال الله تعالى

وكذلك في الأحاديث المستفيضة الصحيحة المتلقاة بالقبول كقوله صلى الله عليه و سلم فيما يروى عن ربه [ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه]** وقوله : [أتدرون ماذا قال ربكم الليلة] وقوله في حديث الشفاعة : [إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله] وقوله : [إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات كجر السلسة على الصفا] وقوله : [إن الله يحدث من أمره ما شاء وإن مما أحدث : أن لا تكلموا في الصلاة] وقوله في حديث التجلي : [فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون] وقوله : [لله أشد فرحا بتوبة عبده من رجل أضل راحلته بأرض دوية مهلكة عليها طعامه وشرابه فطلبها فلم يجدها فنام تحت شجرة ينتظر الموت فلما استيقظ إذا هو بدابته عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة عبده من هذا براحلته] وهذا الحديث مستفيض عن النبي صلى الله عليه و سلم في الصحيحين من غير وجه من حديث ابن مسعود وأبي هريرة وأنس وغيرهم

---

(١) الوصية الكبرى ص/٢٦

وقوله : [يضحك الله إلى رجلين أحدهما صاحبه كلاهما يدخل الجنة] وفي حديث آخر من يدخل الجنة [قال : فيضحك الله منه] وقوله [ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان] وفي حديث [قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ قال الله : حمدني عبدي فإذا قال : ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال : أثنى علي عبدي فإذا قال : مالك يوم الدين قال مجدني عبدي] وقوله صلى الله عليه و سلم [يقول الله تعالى : من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا] وقوله صلى الله عليه و سلم [ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا شطر الليل أو ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له]

وقوله صلى الله عليه و سلم في حديث الأنصاري الذي أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله فلما أصبح الرجل غدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال [لقد ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما] وأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (الحشر : ٩) وهذه الأحاديث كلها في الصحيحين

وفي السنن من حديث علي عن النبي صلى الله عليه و سلم حديث الركوب على الدابة قال : فقلت [يا رسول الله من أي شيء تضحك قال : ربك يضحك إلى عبده إذا قال : رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت قال : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري] وفي لفظ : [إن ربك ليعجب من عبده إذا قال : رب اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري] وفي حديث أبي رزين عنه صلى الله عليه و سلم قال : [ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب فقال له أبو رزين : أو يضحك الرب قال نعم فقال لن نعدم من رب يضحك خيرا]

وفي الصحيحين وغيرهما – في حديث التجلي الطويل المشهور الذي روي عن النبي صلى الله عليه و سلم من وجوه متعددة – فهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وفي مسلم من حديث جابر ورواه أحمد من حديث ابن مسعود وغيره قال في حديث أبي هريرة [قال : أو لست قد أعطيت العهود والمواثيق : أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول : يا رب لا تجعلني أشقى خلقك ! فيضحك الله تبارك وتعالى منه ثم يأذن له في دخول الجنة]

وفي صحيح مسلم [عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يا ابن آدم أترضى أن أعطيك الدنيا ومثلها معها فيقول : أي رب أتستهزىء بي وأنت رب العالمين وضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : ألا تسألوني : مم ضحكت فقالوا : مم ضحكت يا رسول الله فقال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزىء بي وأنت رب العالمين فيقول : إني لا أستهزىء بك ولكني على ما أشاء قادر]

وفي لصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم قال [يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة قالوا : كيف يا رسول الله قال : يقتل هذا فيلج الجنة ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد]

وفي الصحيح أيضا عنه صلى الله عليه و سلم قال [عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل]

وفي حديث معروف : [لا يتوضأ أحدكم فيحسن وضوءه ويسبغه ثم يأتي المسجد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا تبشبش الله به كما يتبشبش أهل الغائب بطلعته]

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه و سلم أيضا أنه قال : [الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون] - وفي لفظ : [مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء]

وفي الصحيح أيضا عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال [إن الله لا ينظر صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم]

وفي الصحيحين عن أبي واقد الليثي [أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان قاعدا في أصحابه إذ جاء ثلاثة نفر فأما رجل فوجد فرجة في الحلقة فجلس وأما رجل فجلس يعني خلفهم وأما رجل فانطلق فقال النبي صلى الله عليه و سلم : ألا أخبركم عن هؤلاء النفر أما الرجل الذي جلس في الحلقة فرجل أوى إلى الله فآواه الله وأما الرجل الذي جلس خلف الحلقة فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الرجل الذي انطلق فأعرض فأعرض الله عنه]

وعن سلمان الفارسي موقوفا ومرفوعا قال : [إن الله يستحي أن يبسط العبد يديه إليه يسأله فيهما خيرا فيردهما صفرا خائبتين]

وفي الصحيح عنه فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى [ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه]

وفي الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه و سلم قال [من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة : إنا لنكره الموت قال : ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت يبشر برضوان الله وكرامته وإذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه فكره لقاء الله وكره الله لقاء]

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله]

وفي الصحيحين عن أبي سعيد [عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك وسعديك فيقول : هل رضيتم فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول عز و جل : أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك قال : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا]

وفي الصحيحين عن أنس قال : أنزل علينا - ثم كان من النسوخ - : أبلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا

وفي حديث [عمرو بن مالك الرواسي قال : أتيت النبي صلى الله عليه و سلم فقلت : يا رسول الله ارض عني قال : فأعرض عني ثلاثا قال : قلت : يا رسول الله إن الرب ليرضى فيرضى فارض عني فرضي عني]

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرىء مسلم وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان]

وفي الصحيحين [عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله وهو حينئذ يشير إلى رباعيته]

وقال : [اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله]

وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال [إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال : يا رب ذكر أم أنثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول : يا رب أجله فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك فيقول : يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص]

وفي الصحيح [عن عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك]

وفي حديث آخر : [أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده] وفي الصحيحين عن أنس في حديث الشفاعة [عن النبي صلى الله عليه و سلم قال فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول لي : يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع] وذكر مثل هذا ثلاث مرات

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : [قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم - كيف تركتم عبادي قالوا : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون]

وفي الصحيحين أيضا عن أبي هريرة [عن النبي صلى الله عليه و سلم قال إن لله ملائكة سيارة فضلا عن كتاب الناس سياحين في الأرض فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم قال : فيجيئون حتى يحفون بهم إلى السماء الدنيا قال : فيقول الله عز و جل : أي شيء تركتم عبادي يصنعون قال : فيقولون : تركناهم يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك قال : فيقول : هل رأوني قال : فيقولون : لا قال : كيف لو رأوني قال : فيقولون : لو رأوك لكانوا أشد تمجيدا وأشد ذكرا قال : فيقول : فأي شيء يطلبون قالوا يطلبون الجنة قال : فيقول : وهل رأوها قال : فيقولون : لا قال : فيقول : كيف لو رأوها قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا قال : فيقول : من أي شيء يتعوذون قال : فيقولون : يتعوذون من النار قال : فيقول : وهل رأوها قال : فيقولون : لا قال : فيقول : كيف لو رأوها قال : فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها تعوذا وأشد منها هربا قال : فيقول : إني أشهدكم أني قد غفرت لهم قال فيقولون : إن فيهم فلانا الخطاء لم يردهم إنما جاء في حاجة قال : فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم]

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل : إني قد أحببت فلانا فأحبه قال : فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء : إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض] وقال في البغض مثل ذلك

وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عيه وسلم قال : [يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن اقترب إلي شبرا اقتربت له ذراعا وإن اقترب إلي ذراعا اقتربت إليه باعا وإن أتاني يمشي أتيته هرولة]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد : أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ما جلس قوم يذكرون الله إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم [أن رجلا أصاب ذنبا فقال : رب إني قد أصبت ذنبا فاغفره لي فقال ربه : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبا آخر فقال : أي رب إني قد أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال ربه : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليعمل ما يشاء]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض]

وفي الصحيحين عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال : [ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حاجب ولا ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئا قدمه وينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئا قدمه وينظر أمامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل فإن لم يجد فبكلمة طيبة]

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم في حديث الرؤية قال فيه : [فيلقى العبد فيقول : أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول : بلى يا رب قال : فيقول : أفظننت أنك ملاقي فيقول : لا فيقول : إني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول : أي فل - فذكر مثل ما قال الأول - ويلقى الثالث فيقول : آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع قال : فيقول : فههنا إذن قال : ثم يقال : ألا نبعث شاهدنا عليك فيفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه : انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ما كان ذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق] وذكر الحديث

وفي صحيح مسلم [عن أنس قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فضحك قال : هل تدرون مم أضحك قال : قلنا : الله ورسوله أعلم قال : من مخاطبة العبد ربه يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم قال : يقول : بلى قال : فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدا مني قال : فيقول : فكفى بنفسك عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال : فيختم على فيه ويقال لأركانه : انطقي بأعماله فتنطق بأعماله قال : ثم يخلي بينه وبين الكلام قال : فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل]

وفي الصحيحين عن أنس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [يقول الله لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة : لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت تفتدي به فيقول : نعم فيقول له : قد أردت منك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم : أن لا تشرك بي فأبيت إلا أن تشرك]

وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول : عملت كذا وكذا فيقول : نعم يارب فيقرره ثم يقول : قد سترت عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم قال : ثم يعطى كتاب حسناته وهو قوله : ﴿ هاؤم اقرؤوا كتابيه ﴾ وأما الكفار والمنافقون فينادون : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين]

وفي صحيح مسلم وغيره عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : [يقول الله يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدني فيقول : يا رب كيف أعدك وأنت رب العالمين فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده ويقول : يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني فيقول : أي رب وكيف أسقيك وأنت رب العالمين فيقول تبارك وتعالى : أما علمت أن عبدي فلانا استسقاك فلم تسقه أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي قال : ويقول : يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني فيقول : أي رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا استطعمك فلم تطعمه أما إنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي]

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : [إن الله يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول : هل رضيتم فيقولون : ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك قال : فيقولون : يارب وأي شيء أفضل من ذلك قال : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا] وهذا فيه ذكر المخاطبة وذكر الرضوان جميعا

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا من النار : رجل يخرج حبوا فيقول له ربه : ادخل الجنة فيقول : إن الجنة ملأى فيقول له ذلك ثلاث مرات كل ذلك يعيد : الجنة ملأى فيقول : إن لك مثل الدنيا عشر مرات]

وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : [ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل حلف على يمين على مال امرئ مسلم فاقتطعه ورجل حلف على يمين بعد العصر : أنه أعطي بسلعته أكثر مما أعطي وهو كاذب ورجل منع فضل ماء يقول الله اليوم أمنعك من فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك]

وفي صحيح مسلم [عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم قال : فقرأها رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاث مرات فقال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يارسول الله قال : المسبل إزاره والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب]

وهذا الحديثان فيهما نفي التكليم والنظر عن بعض الناس كما نفى القرآن مثل ذلك وأما نفي التكليم وحده ففي غير حديث

وهذا الباب في الأحاديث كثير جدا يتعذر استقصاؤه ولكن نبهنا ببعضه على نوعه والأحاديث جاءت في هذا الباب كما جاءت الآيات مع زيادة تفسير في الحديث كما أن أحاديث الأحكام تجيء موافقة لكتاب الله مع تفسيرها لمجمله ومع ما فيها من الزيادات التي لا تعارض القرآن فإن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه الكتاب والحكمة وأمر أزواج نبيه أن يذكرن ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة وامتن على المؤمنين بأن بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته وزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة و [قال النبي صلى الله عيه وسلم : ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه] وفي رواية : [ألا إنه مثل القرآن أو أكثر]

فالحكمة التي أنزلها الله عليه مع القرآن وعلمها لأمته تتناول ما تكلم به في الدين من غير القرآن من أنواع الخبر والأمر فخبره موافق لخبر الله وأمره موافق لأمر الله فكما أنه يأمر بما في الكتاب أو بما هو تفسير ما في الكتاب وبما لم يذكر بعينه في الكتاب فهو أيضا يخبر بما في الكتاب وبما هو تفسير ما في الكتاب وبما لم يذكر بعينه في الكتاب فجاءت أخباره في هذا الباب يذكر فيها أفعال الرب : كخلقه ورزقه وعدله وإحسانه وإثابته ومعاقبته ويذكر فيها أنواع كلامه وتكليمه لملائكته وأنبيائه وغيرهم من عباده ويذكر فيها ما يذكره من رضاه وسخطه وحبه وبغضه وفرحه وضحكه وغير ذلك من الأمور التي تدخل في هذا الباب

والناس في هذا الباب ثلاثة أقسام : ". (١)

٢٨٤-"وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخل الجنة، قالوا: كيف يا رسول الله قال: يقتل هذا فيلج الجنة، ثم يتوب الله على الآخر فيهديه إلى الإسلام، ثم يجاهد في سبيل الله فيستشهد»(٧٢) .وقال عليه الصلاة والسلام: «الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»(٧٣) .وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا في أصحابه إذ جاء ثلاثة نفر، فأما رجل فوجد فرجة في الحلقة فجلس، وأما رجل فجلس، يعني خلفهم، وأما رجل فانطلق.فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثةأما أحدهم فأوى إلى الله فآواه الله .وأما الآخر فاستحيا فاستحيا الله منه .وأما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه»(٧٤) .وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه – تبارك وتعالى -: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي(٧٥) عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه»(٧٦).وعن عبادة بن الصامت(٧٧) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالت عائشة: إنا لنكره الموت قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت يبشر برضوان الله

---

(١) درء التعارض ١/٢٩٨

وكرامته، وإذا بشر بذلك أحب لقاء الله، وأحب الله لقاءهوإن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه فكره لقاء الله، وكره الله لقاءه»(٧٨)". [١]

٢٨٥-" وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

والولي مشتق من الولاء وهو القرب كما أن العدو من العدو وهو البعد فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته وقد ذكر النبي ص - في هذا الحديث الصحيح الصنفين المقتصدين من أصحاب اليمين وهم المتقربون إلى الله بالواجبات والسابقين المقربين وهم المتقربون إليه بالنوافل بعد الواجبات

وذكر الله الصنفين في سورة فاطر والواقعة والإنسان والمطففين وأخبر أن الشراب الذي يروى به المقربون بشربهم إياه صرفا يمزج لأصحاب اليمين

والولي المطلق هو من مات على ذلك فأما إن قام به الإيمان والتقوى وكان في علم الله أنه يرتد عن ذلك فهل يكون في حال إيمانه وتقواه وليا لله أو يقال لم يكن وليا لله قط لعلم الله بعاقبته هذا فيه قولان للعلماء وكذلك عندهم الإيمان الذي يعقبه الكفر هل هو إيمان صحيح ثم يبطل بمنزلة ما يحبط من الأعمال بعد كماله أو هو إيمان باطل بمنزلة من أفطر قبل غروب الشمس في صيامه ومن أحدث قبل السلام في صلاته فيه أيضا قولان للفقهاء والمتكلمين والصوفية

والنزاع في ذلك بين أهل السنة والحديث من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم وكذلك يوجد النزاع فيه بين أصحاب مالك والشافعي وغيرهم لكن أكثر أصحاب أبي حنيفة لا يشترطون سلامة العاقبة وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يشترط سلامة العاقبة وهو قول كثير من متكلمي أهل الحديث كالأشعري ومن متكلمي الشيعة ويبنون على هذا النزاع أن ولي الله هل يصير عدوا لله وبالعكس ومن أحبه الله ورضي عنه هل أبغضه وسخط عليه في وقت ما وبالعكس ومن أبغضه الله وسخط عليه هل أحبه الله ورضي عنه في وقت ما على القولين

والتحقيق هو الجمع بين القولين فإن علم الله القديم الأزلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير فمن علم الله منه أنه يوافي حين موته بالإيمان والتقوى فقد تعلق به محبة الله وولايته ورضاه عنه أزلا وأبدا وكذلك من علم الله منه ". [٢]

٢٨٦-"لكن من ليس بمكلف من الأطفال والمجانين قد رفع القلم عنهم فلا يعاقبون وليس لهم من الإيمان بالله وتقواه باطنا وظاهرا ما يكونون به من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين لكن يدخلون في الإسلام تبعا لآبائهم كما قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب

---

(١) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية ص/١٦٩

(٢) دقائق التفسير ٢/٢٢٠

رهين ﴾ . وهم مع عدم العقل لا يكونون ممن في قلوبهم حقائق الإيمان ومعارف أهل ولاية الله وأحوال خواص الله ؛ لأن هذه الأمور كلها مشروطة بالعقل ؛ فالجنون مضاد العقل والتصديق والمعرفة واليقين والهدى والثناء وإنما يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات . فالمجنون وإن كان الله لا يعاقبه ويرحمه في الآخرة فإنه لا يكون من أولياء الله المقربين والمقتصدين الذين يرفع الله درجاتهم . ومن ظن أن أحدا من هؤلاء الذين لا يؤدون الواجبات ولا يتركون المحرمات سواء كان عاقلا أو مجنونا أو مولها أو متولها فمن اعتقد أن أحدا من هؤلاء من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين وجنده الغالبين السابقين المقربين والمقتصدين الذين يرفع الله درجاتهم بالعلم والإيمان مع كونه لا يؤدي الواجبات ولا يترك المحرمات كان المعتقد لولاية مثل هذا كافرا مرتدا عن دين الإسلام غير شاهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو مكذب لمحمد صلى الله عليه وسلم فيما شهد به ؛ لأن محمدا أخبر عن الله أن أولياء الله هم المتقون المؤمنون قال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ . و " التقوى " أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عذاب الله ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء فرائضه ثم بأداء نوافله . قال تعالى : " ﴿ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ "كما جاء في الحديث الصحيح الإلهي . الذي رواه البخاري .". [(١)]

٢٨٧-"وقول القائل : فارق ظلم الطبع وكن متحدا بالله وإلا فكل دعواك محال إن أراد الاتحاد المطلق :) فالمفارق هو المفارق وهو الطبع وظلم الطبع وهو المخاطب بقوله : " وكن متحدا بالله " وهو المخاطب بقوله : "كل دعواك محال " وهو القائل هذا القول وفي ذلك من التناقض ما لا يخفى . وإن أراد الاتحاد المقيد) : فهو ممتنع ؛ لأن الخالق والمخلوق إذا اتحدا فإن كانا بعد الاتحاد اثنين - كما كانا قبل الاتحاد - فذلك تعدد وليس باتحاد . وإن كانا استحالا إلى شيء ثالث - كما يتحد الماء واللبن والنار والحديد ونحو ذلك مما يثبته النصارى بقولهم في الاتحاد - لزم من ذلك أن يكون الخالق قد استحال وتبدلت حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره ؛ فإنه لا بد أن يستحيل . وهذا ممتنع على الله تعالى ينزه عنه ؛ لأن الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك ولأن صفات الرب اللازمة له صفات كمال فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه ولأن اتحاد المخلوق بالخالق : يقتضي أن العبد متصف بالصفات القديمة اللازمة لذات الرب وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق فإن العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل . والرب تعالى يلازمه القدم والغنى والعزة وهو - سبحانه - قديم غني عزيز بنفسه يستحيل عليه نقيض ذلك فاتحاد أحدهما بالآخر : يقتضي أن يكون الرب متصفا بنقيض صفاته : من الحدوث والفقر والذل والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك ممتنع وبسط هذا يطول . ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال : التوحيد إفراد الحدوث عن القدم فبين أنه لا بد من تمييز المحدث عن القديم . ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد : ﴿ إن

(١) رسالة اتباع الرسول بصريح المعقول ص/٢

كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدا ﴾ ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ . وإن كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي) : وهو أن يحب العبد ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ويرضى بما يرضي الله ويغضب لما يغضب الله ويأمر بما يأمر الله به وينهى عما ينهى الله عنه ويوالي من يواليه الله ويعادي من يعاديه الله ويحب لله ويبغض لله ويعطي لله ويمنع لله ؛ بحيث يكون موافقا لربه تعالى . فهذا المعنى حق وهو حقيقة الإيمان وكماله كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي....". (١)

٢٨٨-"المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة : - (منها) أنه قال : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ﴾ فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ثم قال : ﴿ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه ﴾** فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فإذا أحبه كان العبد يسمع به . ويبصر به ويبطش به ويمشي به . وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده : هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالإطلاق والتعميم فأين هذا من هذا . وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح : ﴿ إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه . ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا ﴾ فيجعلون هذا حجة لقولهم إنه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة . وهذا الحديث حجة عليهم في هذا أيضا فإنه لا فرق عندهم بين الدنيا والآخرة وهو عندهم - في الآخرة - المنكرون الذين قالوا نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا . وهؤلاء الملاحدة يقولون إن العارف يعرفه في كل صورة فإن الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم . وهذا جهل منهم فإن الذين أنكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الأنبياء والمؤمنون وكان إنكارهم مما حمدهم - سبحانه وتعالى - عليه فإنه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبدوه فلهذا قال في الحديث : ﴿ وهو يسألهم ويثبتهم وقد نادى المنادي : ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون ﴾ . ثم يقال لهؤلاء الملاحدة : إذا كان عندكم هو الظاهر في كل صورة فهو المنكر وهو المنكر كما قال بعض هؤلاء لآخر : من قال لك أن في الكون سوى الله فقد كذب وقال له الآخر : فمن هو الذي كذب . وذكر ابن عربي أنه دخل على مريد له في الخلوة وقد جاءه الغائط فقال : ما أبصر غيره أبول عليه فقال له شيخه فالذي يخرج من بطنك من أين هو قال : فرجت عني . ومر شيخان منهم التلمساني

---

(١) رسالة الحجج العقلية والنقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية ص/٢٧

هذا والشيرازي على كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمساني : هذا أيضا من ذاته فقال التلمساني هل ثم شيء خارج عنها وكان التلمساني قد أضل شيخا زاهدا عابدا ببيت المقدس يقال له أبو يعقوب المغربي المبتلى حتى كان يقول : الوجود واحد وهو الله ولا أرى الواحد ولا أرى الله . ويقول : نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لا ثنوية فيه ويجعل هذا الكلام له تسبيحا يتلوه كما يتلو التسبيح .". [1]

٢٨٩-"فصل وجاء في " أولياء الله " الذين هم المتقون نوع من هذا : فروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه ؛** فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فأول ما في الحديث قوله : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ﴾ فجعل معاداة عبده الولي معاداة له ؛ فعين عدوه عين عدو عبده وعين معاداة وليه عين معاداته ليسا هما شيئين متميزين ولكن ليس الله هو عين عبده ولا جهة عداوة عبده عين جهة عداوة نفسه وإنما اتفقا في النوع . ثم قال : ﴿ فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ﴾ وفي رواية في غير الصحيح : ﴿ في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ فقوله : " بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " بين معنى قوله : ﴿كنت سمعه وبصره ويده ورجله ﴾ لا أنه يكون نفس الحدقة والشحمة والعصب والقدم وإنما يبقى هو المقصود بهذه الأعضاء والقوى وهو بمنزلتها في ذلك فإن العبد بحسب أعضائه وقواه يكون إدراكه وحركته ؛ فإذا كان إدراكه وحركته بالحق ؛ ليس بمعنى خلق الإدراك والحركة فإن هذا قدر مشترك فيمن يحبه وفيمن لا يحبه وإنما للمحبوب الحق من الحق من هذه الإعانة بقدر ما له من المعية والربوبية والإلهية ؛ فإن كل واحدة من هذه الأمور عامة وخاصة . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يقول الله تعالى : عبدي مرضت فلم تعدني فيقول : رب كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده . عبدي جعت فلم تطعمني . فيقول : رب كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا جاع فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي ﴾ ففي هذا الحديث ذكر المعنيين الحقين ونفى المعنيين الباطلين وفسرهما . فقوله : " جعت ومرضت " لفظ اتحاد يثبت الحق . وقوله : ﴿ لوجدتني عنده ووجدت ذلك عندي ﴾ نفي للاتحاد العيني بنفي الباطل وإثبات لتمييز الرب عن العبد . وقوله : ﴿ لوجدتني عنده ﴾ لفظ ظرف ؛ وبكل يثبت المعنى الحق من الحلول الحق ؛ الذي هو بالإيمان لا بالذات . ويفسر قوله : ﴿ مرضت فلم تعدني ﴾ فلو كان الرب عين المريض والجائع لكان إذا عاده وإذا أطعمه يكون قد وجده إياه وقد وجده قد أكله . وفي قوله في المريض : ﴿ وجدتني عنده ﴾ وفي الجائع : ﴿ لوجدت ذلك عندي ﴾ فرقان حسن ؛ فإن المريض الذي تستحب عيادته ويجد الله عنده : هو المؤمن بربه الموافق لإلهه الذي هو وليه ؛ وأما الطاعم فقد يكون فيه عموم لكل جائع يستحب إطعامه فإن الله يقول : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ فمن تصدق بصدقة واجبة أو مستحبة : فقد أقرض الله

---

(١) رسالة الحجج العقلية والنقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية ص/٢٨

سبحانه بما أعطاه لعبده . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – فإن الله يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبل العظيم ﴾ وقال : ﴿ إن الصدقة لتقع بيد الحق قبل أن تقع بيد السائل ﴾ . لكن الأشبه : أن هذا العبد المذكور في الجوع هو المذكور في المرض وهو العبد الولي الذي فيه نوع اتحاد وإن كان الله يثيب على طعام الفاسق والذمي . ونظير القرض : النصر في مثل قوله تعالى ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ وقوله : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ﴾ ونحو ذلك لكن النصر فيه معنى ؛ لكن لا يقال في مثله جعت . فقد ذكر الله في القرآن القرض والنصر وجعله له هذا في الرزق وهذا في النصر وجاء في الحديث العيادة وهذه الثلاثة هي المذكورة في قوله تعالى ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾ وقوله : ﴿ مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ﴾ وإنما في الحديث أمر البأساء والضراء فقط ؛ لأن ذلك ينفرد به الواحد المخاطب بقوله : ﴿ عبدي مرضت وجعت ﴾ فلذلك عاتبه . وأما النصر : فيحتاج في العادة إلى عدد ؛ فلا يعتب فيه على أحد معين غالبا أو المقصود بالحديث التنبيه وفي القرآن النصر والرزق وليس فيه العيادة ؛ لأن النصر والقرض فيه عموم لا يختص بشخص دون شخص . وأما العيادة : فإنما تكون لمن يجد الحق عنده . فصل فهذان المعنيان صحيحان ثابتان بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان . أما الأول – وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة – : فهذا فرض على كل أحد ولا بد لكل مؤمن منه ؛ فإن أدى واجبه فهو مقتصد وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه ؛ وإن تركه كله فهو كافر بربه . وأما الثاني – وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه ويرضاه ويسخطه – فهذا على الإطلاق إنما هو للسابقين المقربين : الذين تقربوا إلى الله بالنوافل – التي يحبها ولم يفرضها – بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها . ولهذا كان هؤلاء لما أتوا بمحبوب الحق من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة المنتظمة للمعارف والأحوال والأحمال : أحبهم الله تعالى . فقال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فعلوا محبوبه فأحبهم فإن الجزاء من جنس العمل مناسب له مناسبة المعلول لعلته . ولا يتوهم أن المراد بذلك : أن يأتي العبد بعين كل حركة يحبها الله ؛ فإن هذا ممتنع . وإنما المقصود أن يأتي بما يقدر عليه من الأعمال الباطنة والظاهرة ؛ والباطنة يمكنه أن يأتي منها بأكثر مما يأتي به من الظاهرة كما قال بعض السلف : " قوة المؤمن في قلبه وضعفه في جسمه وقوة المنافق في جسمه وضعفه في قلبه " ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ﴿ المرء مع من أحب ﴾ ﴿ وقال : إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر ﴾ وقال : ﴿ فهما في الأجر سواء ﴾ في حديث القادر على الإنفاق والعاجز عنه الذي قال : ﴿ لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما عمل ﴾ فإنهما لما استويا في عمل القلب وكان أحدهما معذور الجسم استويا في الجزاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل مثل ما كان يعمل وهو صحيح مقيم ﴾ .". (١)

٢٩٠-"الله ولا يبقى في قلبه تأله لغير الله وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله . والثاني : أن يفنى عن شهود ما سوى الله وهذا الذي يسميه كثير من الصوفية حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك . وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه فإنه إذا شهد أن الله رب

---

(١) رسالة الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم /

كل شيء ومليكه وخالقه وأنه المعبود لا إله إلا هو الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب وأمر بطاعته وطاعة رسله ونهى عن معصيته ومعصية رسله فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقا وأمرا : كان أتم معرفة وشهودا وإيمانا وتحقيقا من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر وشهود التفرقة في الجمع والكثرة في الوحدة وهو الشهود الصحيح المطابق . لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا كان معذورا للعجز لا محمودا على النقص والجهل . والثالث : الفناء عن وجود السوى ؛ وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون : وجود الخالق هو وجود المخلوق وما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر . فهؤلاء قولهم أعظم كفرا من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام . وأيضا فإن ولاية الله : هي موافقته بالمحبة لما يحب والبغض لما يبغض والرضا بما يرضى والسخط بما يسخط والأمر بما يأمر به والنهي عما ينهى عنه والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ؛ في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ فهذا أصح حديث روي في الأولياء . فالملاحدة والاتحادية يحتجون به على قولهم لقوله : " كنت سمعه وبصره ويده ورجله " والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة : - منها قوله : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ﴾ فأثبت معاديا محاربا ووليا غير المعادي وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا . ومنها قوله : ﴿ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ﴾ فأثبت عبدا متقربا إلى ربه وربا افترض عليه فرائض . ومنها قوله : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فأثبت متقربا ومتقربا إليه ومحبا ومحبوبا غيره . وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد . ومنها قوله : ﴿ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ﴾ إلى آخره . فإنه جعل لعبده بعد محبته هذه الأمور وهو عندهم قبل المحبة وبعدها واحد وهو عندهم هذه الأعضاء : بطنه وفرجه وشعره وكل شيء لا تعدد عندهم ولا كثرة في الوجود ؛ ولكن يثبتون مراتب ومجالي ومظاهر ؛ فإن جعلوها". (١)

٢٩١-"ويكرهه ويسخطه وينهى عنه فإن لم أوافقه في بغضه وكراهته وسخطه لم أكن محبا له بل محبا لما يبغضه . فاتباع الشريعة والقيام بالجهاد من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعي محبة الله ناظرا إلى عموم ربوبيته أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله بل قد تكون دعوى هؤلاء شرا من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شرا من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم وفي التوراة والإنجيل من محبة الله ما هم متفقون عليه حتى إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس . ففي الإنجيل أن المسيح قال : " أعظم وصايا المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك " والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك وهم

---

(١) رسالة الرد الأقوم على ما في كتاب فصوص الحكم ٤/١

برآء من محبة الله إذ لم يتبعوا ما أحبه بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم . وهو سبحانه يحب من يحبه ؛ لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له ؛ بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له ؛ وإن كان جزاء الله لعبده أعظم . كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : ﴿ من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾ . وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ﴾ الحديث . وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في " الزهد والعبادة " وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى : من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا ثم إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح ويثبتون للخاصة من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه . إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع . وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا ؛ وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة وكل". (١)

٢٩٢-"أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ ﴾ وقال بعض الصحابة : أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾ وفي رواية ﴿ فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ فقد أخبر أنه يسمع بالحق ويبصر به . وكانوا يقولون إن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده ﴾ وقال الله تعالى ﴿ نور على نور ﴾ نور الإيمان مع نور القرآن . وقال تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الإيمان وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا في وجوب النظر وتحصيله للعلم فقيل لهم : أهل التصفية والرياضة والعبادة والتأله تحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون النظر كما قال الشيخ الملقب بالكبيري - للرازي ورفيقه وقد قالا له يا شيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال : نعم فقالا : كيف تعلم ونحن نتناظر في زمان طويل كلما ذكر شيئا أفسدته وكلما ذكرت شيئا أفسده فقال : - هو واردات ترد على النفوس تعجز النفوس عن ردها فجعلا يعجبان من

---

(١) رسالة العبودية ص/٢٨

ذلك ويكرران الكلام وطلب أحدهما أن تحصل له هذه الواردات فعلمه الشيخ وأدبه حتى حصلت له وكان من المعتزلة النفاة . فتبين له أن الحق مع أهل الإثبات وأن الله سبحانه فوق سمواته وعلم ذلك بالضرورة رأيت هذه الحكاية بخط القاضي نجم الدين أحمد بن محمد بن خلف المقدسي وذكر أن الشيخ الكبيري حكاها له وكان قد حدثني بها عنه غير واحد حتى رأيتها بخطه وكلام المشايخ في مثل هذا كثير وهذا الوصف الذي ذكره الشيخ جواب لهم بحسب ما يعرفون فإنهم قد قسموا العلم إلى ضروري ونظري والنظري مستند إلى الضروري والضروري هو العلم الذي يلزم نفس المخلوق لزوما لا يمكنه معه الانفكاك عنه هذا حد القاضي أبي بكر بن الطيب وغيره . فخاصته أنه يلزم النفس لزوما لا يمكن مع ذلك دفعه فقال لهم : علم اليقين عندنا هو من هذا الجنس وهو علم يلزم النفس لزوما لا يمكنه مع ذلك الانفكاك عنه وقال : واردات ؛ لأنه يحصل مع العلم طمأنينة وسكينة توجب العمل به فالواردات تحصل بهذا وهذا وهذا قد أقر به كثير من حذاق النظار متقدميهم كالكيا الهراسي والغزالي وغيرهما - ومتأخريهم - كالرازي والآمدي - وقالوا نحن لا ننكر أن يحصل لناس علم ضروري بما يحصل لنا بالنظر هذا لا ندفعه لكن إن لم يكن علما ضروريا فلا بد له من دليل والدليل يكون مستلزما للمدلول عليه بحيث". (١)

٢٩٣-"الشيخ أبو مدين رحمه الله : أشرف العلوم علم التوحيد وأنفع العلم أحكام العبيد . فليس الأفضل الأشرف هو الذي ينفع في وقت بل الأنفع في كل وقت ما يحتاج إليه العبد في ذلك الوقت وهو فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه ولهذا يقال : المفضول في مكانه وزمانه أفضل من الفاضل إذ دل الشرع على أن الصلاة أفضل من القراءة والقراءة أفضل من الذكر والذكر أفضل من الدعاء فهذا أمر مطلق . وقد تحرم الصلاة في أوقات فتكون القراءة أفضل منها في ذلك الوقت . والتسبيح في الركوع والسجود هو المأمور به والقراءة منهي عنها . ونظائر هذا كثيرة . فهكذا يعلم الأمر في فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وغيرها فقراءة الفاتحة في أول الصلاة أفضل من قراءتها بل هو الواجب والاحتراء بها وحدها لا يمكن بل تبطل معه الصلاة . ولهذا وجب التقرب بالفرائض قبل النوافل والتقرب بالنوافل إنما يكون تقربا إذا فعلت الفرائض لا كما ظنه بعض الاتحادية كصاحب " الفتوحات المكية " ونحوه من أن قرب الفرائض يكون بعد قرب النوافل والنوافل تجعل الحق غطاءه وتلك تجعل الحق عينه . فهذا بناء على أصله الفاسد من الاتحاد كما بين . وبين أن الحديث يناقض مذهبه من وجوه كما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . وقد بين في هذا الحديث أن المتقرب ليس هو المتقرب إليه ؛ بل هو غيره . وأنه ما تقرب إليه عبده بمثل أداء المفروض وأنه لا يزال بعد ذلك يتقرب بالنوافل حتى يصير محبوبا لله فيسمع به ويبصر به ويبطش به ويمشي به . ثم قال ﴿ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ﴾ ففرق بين السائل والمسئول

(١) رسالة الفرقان بين الحق والباطل ص/٣١

والمستعيذ والمستعاذ به وجعل العبد سائلا لربه مستعيذا به . وهذا حديث شريف جامع لمقاصد عظيمة ليس هذا موضعها بل المقصود هنا الكلام على ﴿ قل هو الله أحد ﴾ . وقد بينا أن أحسن الوجوه أن معاني القرآن ثلاثة أنواع : توحيد وقصص وأحكام . وهذه السورة صفة الرحمن فيها التوحيد وحده وذلك لأن القرآن كلام الله . والكلام نوعان : إما إنشاء وإما إخبار والإخبار إما خبر عن الخالق وإما خبر عن المخلوق . فالإنشاء هو الأحكام كالأمر والنهي . والخبر عن المخلوق هو القصص . والخبر عن الخالق هو ذكر أسمائه وصفاته . وليس في القرآن سورة هي وصف الرحمن محضا إلا هذه السورة . وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله تعالى عنها ﴿ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم". (١)

٢٩٤-"عليه وسلم أن يفضل أحد منا نفسه على يونس بن متى - ﴾ مع قوله ﴿ ولا تكن كصاحب الحوت ﴾ وقوله ﴿ وهو مليم ﴾ - تنبيها على أن غيره أولى أن لا يفضل أحد نفسه عليه ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ لا يقولن أحدكم إني خير من يونس ابن متى ﴾ وفي صحيح البخاري أيضا عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما ينبغي لعبد أن يكون خيرا من يونس بن متى ﴾ وفي لفظ : ﴿ أن يقول : أنا خير من يونس بن متى ﴾ وفي البخاري أيضا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ﴾ وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال - يعني رسول الله - ﴿ لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى ﴾ وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم - وفي لفظ : ﴿ فيما يرويه عن ربه لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ﴾ وهذا فيه نهي عام . وأما ما يرويه بعض الناس أنه قال : ﴿ لا تفضلوني على يونس بن متى ﴾ ويفسره باستواء حال صاحب المعراج وحال صاحب الحوت : فنقل باطل وتفسير باطل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ﴾ وأبو بكر أفضل الصديقين . ولفظ خاتم الأولياء : لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله وموجب هذا اللفظ أنه آخر مؤمن تقي فإن الله يقول : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ الآية " فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا " . وهم على درجتين : السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر وسورة الواقعة والإنسان والمطففين . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فالمتقربون إلى الله بالفرائض : هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض . هم السابقون المقربون وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر ابن الخطاب : اعلم أن لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدي

(١) رسالة جواب أهل العلم والإيمان أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ص/٦٢

الفريضة . والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل : يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه وأن قرب الفرائض : يوجب أن يكون الحق عين وجوده كله وهذا فاسد من وجوه كثيرة بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع . وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم". (١)

٢٩٥-"منهي عنه . فأما إذا كان السبب محظورا لم يكن السكران معذورا لا فرق في ذاك بين السكر الجسماني والروحاني ؛ فسكر الأجسام بالطعام والشراب وسكر النفوس بالصور وسكر الأرواح بالأصوات . وفي مثل هذا الحال : غلط من غلط بدعوى الاتحاد والحلول العيني في مثل دعوى النصارى في المسيح ودعوى الغالية في علي وأهل البيت ودعوى قوم من الجهال الغالية في مثل الحلاج أو الحاكم بمصر أو غيرهما وربما اشتبه عليهم الاتحاد النوعي الحكمي بالاتحاد العيني الذاتي . فالأول كما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : ﴿ يقول الله : عبدي مرضت فلم تعدني فيقول كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول أما علمت أنه مرض عبدي فلان ؛ فلو عدته لوجدتني عنده . عبدي جعت فلم تطعمني فيقول ربي : كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا جاع ؛ فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي ﴾ . ففسر ما تكلم به في هذا الحديث أنه جوع عبده ومحبوبه لقوله : ﴿ لوجدت ذلك عندي ﴾ ولم يقل لوجدتني قد أكلته ولقوله : ﴿ لوجدتني عنده ﴾ ولم يقل لوجدتني إياه وذلك لأن المحب يتفق هو ومحبوبه بحيث يرضى أحدهما بما يرضاه الآخر ويأمر بما يأمر به ويبغض ما يبغضه ويكره ما يكرهه وينهى عما ينهى عنه . وهؤلاء هم الذين يرضى الحق لرضاهم ويغضب لغضبهم والكامل المطلق في هؤلاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم . ولهذا قال تعالى فيه : ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ وقال : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ وقال ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ . " وقد جاء في الإنجيل الذي بأيدي النصارى كلمات مجملة إن صح أن المسيح قالها فهذا معناها كقوله أنا وأبي واحد . من رآني فقد رأى أبي " ونحو ذلك وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا المتشابه كما ذكر الله عنهم في القرآن لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناظروه في المسيح . وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ فأخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه إذا تقرب إليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه . وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وأن قرب الفرائض أن يكون هو إياه فإن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل ؛ فهذه المعاني وما يشبهها هي أصول مذهب أهل الطريقة الإسلامية أتباع الأنبياء والمرسلين . وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى حال". (٢)

---

(١) رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين القائلين بوحدة الوجود ص/٤٢

(٢) رسالة شيخ الإسلام إلى نصر الدين بن المنجى ص/٥

٢٩٦-"في كل موضع معين ليس هو مدلوله في الموضع الآخر وإن كان لفظ أنا في الموضعين واحدا . ولم يقل أحد من العقلاء : إن هذا اللفظ مشترك ولا مجاز مع أنه لا يدل إلا بقرينة تبين المراد . فصل إذا تبين هذا فيقال له : هذه الأسماء التي ذكرتها مثل لفظ الظهر ؛ والمتن والساق ؛ والكبد لا يجوز أن تستعمل في اللغة إلا مقرونة بما يبين المضاف إليه وبذلك يتبين المراد . فقولك : ظهر الطريق ومتنها : ليس هو كقولك : ظهر الإنسان ومتنه بل ولا كقولك : ظهر الفرس ومتنه ولا كقولك : ظهر الجبل . وكذلك كبد السماء ليس مثل كبد القوس ولا هذان مثل لفظ كبد الإنسان . وكذلك لفظ السيف في ﴿ قول النبي صلى الله عليه وسلم إن خالدا سيف سله الله على المشركين ﴾ ليس مثل لفظ السيف في قوله : ﴿ من جاءكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يفرق جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان ﴾ فكل من لفظ السيف هاهنا وهاهنا مقرون بما يبين معناه . نعم قد يقال : التشابه بين معنى الرسول والرسول أتم من التشابه بين معنى الكبد والكبد والسيف والسيف . فيقال : هذا القدر الفارق دل عليه اللفظ المختص ؛ كما في قوله : ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ وفي قوله : ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ وقوله : ﴿ لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ وقول النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة ﴾ ومعلوم أن بيت العنكبوت ليس مماثلا في الحقيقة لبيته ولا لبيت النبي صلى الله عليه وسلم ولا لبيت في الجنة ؛ مع أن لفظ البيت حقيقة في الجميع بلا نزاع إذ كان المخصص هو الإضافة في بيت العنكبوت وبيت النبي دل على سكنى صاحب البيت فيه وبيت الله لا يدل على أن الله ساكن فيه لكن إضافة كل شيء بحسبه بل بيته هو الذي جعله لذكره وعبادته ودعائه فهو كمعرفته بالقلوب وذكره باللسان وكل موجود فله وجود عيني ؛ وعلمي ؛ ولفظي ؛ ورسمي . واسم الله يراد به كل من هذه الأربعة في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وكلام الله . فإذا قال : ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ فهو الله نفسه وإذا قال : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ؛ وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ؛ ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر ؛ وبي يبطش ؛ وبي يمشي ﴾ وقوله : ﴿ عبدي مرضت فلم تعدني فيقول : ربي كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده ﴾ فالذي في قلوب المؤمنين هو الإيمان بالله ومعرفته ومحبته وقد يعبر عنه بالمثل الأعلى ؛ والمثال العلمي ويقال : أنت في قلبي كما قيل : مثالك في عيني ؛ وذكرك في فمي ومثواك في قلبي ؛ فأين تغيب ويقال : ساكن في القلب يعمره لست أنساه فأذكره وما ينقل ﴿ عن داود عليه السلام أنه قال : أنت تحل قلوب الصالحين ﴾ فمعلوم أن هذا كله لم يرد به أن نفس المذكور المعلوم المحبوب ؛ المعبر عنه بالمثال العلمي . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى". (١)

٢٩٧-"هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت

(١) رسالة في الحقيقة والمجاز ص/١٤

عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين والمقربين السابقين . فالصنف الأول : الذين تقربوا إلى الله بالفرائض . والصنف الثاني الذي تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى . وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ وكما قال الله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ ﴿ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ ﴿ عينا يشرب بها المقربون ﴾ قال ابن عباس : يشرب بها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا . وقال تعالى : ﴿ ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا ﴾ . ﴿ عينا فيها تسمى سلسبيلا ﴾ وقال تعالى : ﴿ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴾ ﴿ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ﴾ ﴿ والسابقون السابقون ﴾ ﴿ أولئك المقربون ﴾ وقال تعالى : ﴿ فأما إن كان من المقربين ﴾ ﴿ فروح وريحان وجنة نعيم ﴾ ﴿ وأما إن كان من أصحاب اليمين ﴾ ﴿ فسلام لك من أصحاب اليمين ﴾ وهذا الجواب فيه جمل تحتاج إلى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع . والله أعلم .". (١)

٢٩٨-"ومنها رحمة أرحم الراحمين (١).فإذا عدمت هذه الأسباب كلها(٢)______________(١) - ففي صحيح البخاري برقم(٢٢) عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال « يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . فيخرجون منها قد اسودوا فيلقون فى نهر الحيا - أو الحياة ، شك مالك - فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل ، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية » .وفي سنن الترمذى برقم(٢٧٩٨) عن أنس عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال « يقول الله أخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام » وهو صحيح لغيره.وفي مسند أحمد برقم(١٣١٠٩)عن أنس بن مالك قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- « أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله من كان فى قلبه من الخير ما يزن شعيرة أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله من كان فى قلبه من الخير ما يزن ذرة أخرجوا من النار من قال لا إله إلا الله من كان فى قلبه من الخير ما يزن برة » وهو صحيح . = البرة : واحدة القمح(٢) - ذكر شيخ الإسلام رحمه في موضع آخر أن ما تمحى به الذنوب عشرة أسباب مجموع الفتاوى - (ج ٧ / ص ٤٨٧)فمابعدها ومجموع فتاوى ابن تيمية - (ج ٢ / ص ١٥١و١٥٢)قد دلت نصوص الكتاب والسنة : على أن عقوبة الذنوب تزول عن العبد بنحو عشرة أسباب ." أحدها " التوبة وهذا متفق عليه بين المسلمين قال تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم ﴾ . وقال تعالى : ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾ وأمثال ذلك" السبب الثاني " الاستغفار كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إذا أذنب عبد ذنبا فقال : أي

---

(١) رسالة في الصوفية والفقراء ص/٨

رب أذنبت ذنبا فاغفر لي فقال : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم أذنب ذنبا آخر فقال أي رب أذنبت ذنبا آخر . فاغفره لي فقال ربه : علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء قال ذلك : في الثالثة أو الرابعة ﴾ وفي صحيح مسلم عنه أنه قال : ﴿ لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم ﴾ . وقد يقال على هذا الوجه الاستغفار هو مع التوبة كما جاء في حديث ﴿ ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم مائة مرة ﴾ وقد يقال : بل الاستغفار بدون التوبة ممكن واقع وبسط هذا له موضع آخر فإن هذا الاستغفار إذا كان مع التوبة مما يحكم به عام في كل تائب وإن لم يكن مع التوبة فيكون في حق بعض المستغفرين الذين قد يحصل لهم عند الاستغفار من الخشية والإنابة ما يمحو الذنوب كما في حديث البطاقة بأن قول : لا إله إلا الله ثقلت بتلك السيئات ؛ لما قالها بنوع من الصدق والإخلاص الذي يمحو السيئات وكما غفر للبغي بسقي الكلب لما حصل في قلبها إذ ذاك من الإيمان وأمثال ذلك كثير ." السبب الثالث " : الحسنات الماحية كما قال تعالى : ﴿ وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ﴾ وقال : ﴿ من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ وقال : ﴿ من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ﴾ وقال ﴿ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ﴾ وقال : ﴿ فتنة الرجل في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ﴾ وقال : ﴿ من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه ﴾ وهذه الأحاديث وأمثالها في الصحاح . وقال : ﴿ الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ . وسؤالهم على هذا الوجه أن يقولوا الحسنات إنما تكفر الصغائر فقط فأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة كما قد جاء في بعض الأحاديث : " ما اجتنبت الكبائر " فيجاب عن هذا بوجوه . أحدها : أن هذا الشرط جاء في الفرائض . كالصلوات الخمس والجمعة وصيام شهر رمضان وذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ فالفرائض مع ترك الكبائر مقتضية لتكفير السيئات وأما الأعمال الزائدة من التطوعات فلا بد أن يكون لها ثواب آخر فإن الله سبحانه يقول : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ . (الثاني) : أنه قد جاء التصريح في كثير من الأحاديث بأن المغفرة قد تكون مع الكبائر كما في ﴿ قوله صلى الله عليه وسلم غفر له وإن كان فر من الزحف ﴾ وفي السنن ﴿ أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب . فقال : أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار . ﴾ وفي الصحيحين في ﴿ حديث أبي ذر وإن زنى وإن سرق . ﴾ .(الثالث) : أن ﴿ قوله لأهل بدر ونحوهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ إن حمل على الصغائر أو على المغفرة مع التوبة لم يكن فرق بينهم وبين غيرهم . فكما لا يجوز حمل الحديث على الكفر لما قد علم أن الكفر لا يغفر إلا بالتوبة لا يجوز حمله على مجرد الصغائر المكفرة باجتناب الكبائر .(الرابع) : أنه قد جاء في غير ﴿ حديث أن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله يوم القيامة الصلاة فإن أكملها وإلا قيل : انظروا هل له من تطوع فإن كان له تطوع أكملت به الفريضة ثم يصنع بسائر أعماله كذلك ﴾ . ومعلوم أن ذلك النقص المكمل لا يكون لترك مستحب ؛ فإن ترك المستحب لا يحتاج إلى جبران ولأنه حينئذ لا فرق بين ذلك المستحب المتروك والمفعول فعلم أنه يكمل نقص الفرائض من التطوعات

. وهذا لا ينافي من أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة مع أن هذا لو كان معارضا للأول لوجب تقديم الأول لأنه أثبت وأشهر وهذا غريب رفعه وإنما المعروف أنه في وصية أبي بكر لعمر ؛ وقد ذكره أحمد في " رسالته في الصلاة " . وذلك لأن قبول النافلة يراد به الثواب عليها . ومعلوم أنه لا يثاب على النافلة حتى تؤدى الفريضة فإنه إذا فعل النافلة مع نقص الفريضة كانت جبرا لها وإكمالا لها . فلم يكن فيها ثواب نافلة ولهذا قال بعض السلف : النافلة لا تكون إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وغيره يحتاج إلى المغفرة . وتأول على هذا قوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ وليس إذا فعل نافلة وضيع فريضة تقوم النافلة مقام الفريضة مطلقا بل قد تكون عقوبته على ترك الفريضة أعظم من ثواب النافلة . فإن قيل : العبد إذا نام عن صلاة أو نسيها كان عليه أن يصليها إذا ذكرها بالنص والإجماع . فلو كان لها بدل من التطوعات لم يجب القضاء . قيل : هذا خطأ فإن قيل هذا يقال في جميع مسقطات العقاب . فيقال : إذا كان العبد يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل ومعلوم أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور ؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب كما عليه أن يحتمي من السموم القاتلة وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية . والله عليم حكيم رحيم – أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله . ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب قال بعضهم لشيخه : إني أذنب قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : إلى متى قال : إلى أن تحزن الشيطان . وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إن الله يحب العبد المفتن التواب ﴾ . وأيضا فإن من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا فلا يكون تطوعا والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى . في الحديث الصحيح : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر لم يحصل له مقصود النوافل ولا يظلمه الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض كمن عليه ديون لأناس يريد أن يتطوع لهم بأشياء : فإن وفاهم وتطوع لهم كان عادلا محسنا . وإن وفاهم ولم يتطوع كان عادلا ، وإن أعطاهم ما يقوم مقام دينهم وجعل ذلك تطوعا كان غالطا في جعله ؛ بل يكون من الواجب الذي يستحقونه . ومن العجب أن " المعتزلة " يفتخرون بأنهم أهل " التوحيد " و " العدل " وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفيا يستلزم التعطيل والإشراك . وأما " العدل الذي وصف الله به نفسه " فهو أن لا يظلم مثقال ذرة وأنه : من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطا بذنب واحد من الكبائر وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه فكان وصف الرب سبحانه بالعدل الذي وصف به نفسه أولى من جعل العدل هو التكذيب بقدر الله .(الخامس) : أن الله لم يجعل شيئا يحبط جميع الحسنات إلا الكفر كما أنه لم يجعل شيئا يحبط جميع السيئات إلا التوبة . و "

المعتزلة مع الخوارج " يجعلون الكبائر محبطة لجميع الحسنات حتى الإيمان قال الله تعالى : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ فعلق الحبوط بالموت على الكفر وقد ثبت أن هذا ليس بكافر والمعلق بشرط يعدم عند عدمه . وقال تعالى ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ﴾ وقال تعالى لما ذكر الأنبياء : ﴿ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ وقال : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ مطابق لقوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ . فإن الإشراك إذا لم يغفر وأنه موجب للخلود في النار لزم من ذلك حبوط حسنات صاحبه ، ولما ذكر سائر الذنوب غير الكفر لم يعلق بها حبوط جميع الأعمال ، وقوله : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾ . لأن ذلك كفر ، وقوله تعالى ﴿ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾ لأن ذلك قد يتضمن الكفر فيقتضي الحبوط وصاحبه لا يدري كراهية أن يحبط أو خشية أن يحبط فنهاهم عن ذلك لأنه يفضي إلى الكفر المقتضي للحبوط . ولا ريب أن المعصية قد تكون سببا للكفر كما قال بعض السلف المعاصي بريد الكفر ؛ فينهى عنها خشية أن تفضي إلى الكفر المحبط ؛ كما قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ﴾ – وهي الكفر – ﴿ أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وإبليس خالف أمر الله فصار كافرا ؛ وغيره أصابه عذاب أليم . وقد احتجت الخوارج والمعتزلة بقوله تعالى : ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ قالوا : فصاحب الكبيرة ليس من المتقين فلا يتقبل الله منه عملا فلا يكون له حسنة وأعظم الحسنات الإيمان فلا يكون معه إيمان فيستحق الخلود في النار وقد أجابتهم المرجئة : بأن المراد بالمتقين من يتقي الكفر فقالوا لهم : اسم المتقين في القرآن يتناول المستحقين للثواب كقوله تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات ونهر ﴾ ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ وأيضا فابنا آدم حين قربا قربانا لم يكن المقرب المردود قربانه حينئذ كافرا وإنما كفر بعد ذلك ؛ إذ لو كان كافرا لم يتقرب وأيضا فما زال السلف يخافون من هذه الآية ولو أريد بها من يتقي الكفر لم يخافوا وأيضا فإطلاق لفظ المتقين والمراد به من ليس بكافر لا أصل له في خطاب الشارع فلا يجوز حمله عليه . و " الجواب الصحيح " : أن المراد من اتقى الله في ذلك العمل كما قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى ﴿ ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ قال : أخلصه وأصوبه قيل : يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال : إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة فمن عمل لغير الله – كأهل الرياء – لم يقبل منه ذلك . كما في الحديث الصحيح يقول الله عز وجل : ﴿ أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري فأنا بريء منه وهو كله للذي أشركه ﴾ . وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ﴿ لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول ﴾ وقال : ﴿ لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار ﴾ وقال في الحديث الصحيح : ﴿ من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ﴾ أي فهو مردود غير مقبول . فمن اتقى الكفر وعمل عملا ليس عليه أمر النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبل منه وإن صلى بغير وضوء لم يقبل منه لأنه ليس متقيا في ذلك العمل وإن كان متقيا للشرك . وقد قال تعالى : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ وفي حديث ﴿ عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : يا رسول الله أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر ويخاف أن يعذب

قال : لا يا ابنة الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه ﴾ . وخوف من خاف من السلف أن لا يتقبل منه لخوفه أن لا يكون أتى بالعمل على وجهه المأمور : وهذا أظهر الوجوه في استثناء من استثنى منهم في الإيمان وفي أعمال الإيمان كقول أحدهم : أنا مؤمن " إن شاء الله " – وصليت – إن شاء الله – لخوف أن لا يكون آتى بالواجب على الوجه المأمور به لا على جهة الشك فيما بقلبه من التصديق ؛ لا يجوز أن يراد بالآية : إن الله لا يقبل العمل إلا ممن يتقي الذنوب كلها لأن الكافر والفاسق حين يريد أن يتوب ليس متقيا فإن كان قبول العمل مشروطا بكون الفاعل حين فعله لا ذنب له امتنع قبول التوبة . بخلاف ما إذا اشترط التقوى في العمل فإن التائب حين يتوب يأتي بالتوبة الواجبة وهو حين شروعه في التوبة منتقل من الشر إلى الخير لم يخلص من الذنب بل هو متق في حال تخلصه منه . و " أيضا " فلو أتى الإنسان بأعمال البر وهو مصر على كبيرة ثم تاب لوجب أن تسقط سيئاته بالتوبة وتقبل منه تلك الحسنات وهو حين أتى بها كان فاسقا . و " أيضا " فالكافر إذا أسلم وعليه للناس مظالم من قتل وغصب وقذف – وكذلك الذمي إذا أسلم – قبل إسلامه مع بقاء مظالم العباد عليه ؛ فلو كان العمل لا يقبل إلا ممن لا كبيرة عليه لم يصح إسلام الذمي حتى يتوب من الفواحش والمظالم ؛ بل يكون مع إسلامه مخلدا وقد كان الناس مسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم ذنوب معروفة وعليهم تبعات فيقبل إسلامهم ويتوبون إلى الله سبحانه من التبعات . كما ثبت في الصحيح ﴿ أن المغيرة بن شعبة لما أسلم وكان قد رافق قوما في الجاهلية فغدر بهم وأخذ أموالهم وجاء فأسلم فلما جاء عروة بن مسعود عام الحديبية والمغيرة قائم على رأس النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف دفعه المغيرة بالسيف فقال : من هذا فقالوا : ابن أختك المغيرة فقال يا غدر ألست أسعى في غدرتك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبله وأما المال فلست منه في شيء ﴾ وقد قال تعالى : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ وقالوا لنوح : ﴿ أنؤمن لك واتبعك الأرذلون ﴾ ﴿ قال وما علمي بما كانوا يعملون ﴾ ﴿ إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون ﴾ . ولا نعرف أحدا من المسلمين جاءه ذمي يسلم فقال له لا يصح إسلامك حتى لا يكون عليك ذنب وكذلك سائر أعمال البر من الصلاة والزكاة .(السبب الرابع الدافع للعقاب) : دعاء المؤمنين للمؤمن مثل صلاتهم على جنازته فعن عائشة وأنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون إلا شفعوا فيه ﴾ . وعن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ﴿ ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه ﴾ رواهما مسلم . وهذا دعاء له بعد الموت . فلا يجوز أن تحمل المغفرة على المؤمن التقي الذي اجتنب الكبائر وكفرت عنه الصغائر وحده فإن ذلك مغفور له عند المتنازعين . فعلم أن هذا الدعاء من أسباب المغفرة للميت(السبب الخامس) : ما يعمل للميت من أعمال البر كالصدقة ونحوها فإن هذا ينتفع به بنصوص السنة الصحيحة الصريحة واتفاق الأئمة وكذلك العتق والحج . بل قد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال : ﴿ من مات وعليه صيام صام عنه وليه ﴾ وثبت مثل ذلك في الصحيح من صوم النذر من وجوه أخرى ولا يجوز أن يعارض هذا بقوله : ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ لوجهين .(أحدهما) أنه قد ثبت بالنصوص المتواترة وإجماع سلف الأمة أن المؤمن ينتفع بما ليس من سعيه كدعاء الملائكة واستغفارهم له كما في قوله تعالى ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به

ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ الآية . ودعاء النبيين والمؤمنين واستغفارهم كما في قوله تعالى ﴿ وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ كدعاء المصلين للميت ولمن زاروا قبره – من المؤمنين – .(الثاني) : أن الآية ليست في ظاهرها إلا أنه ليس له إلا سعيه وهذا حق فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه ؛ لكن هذا لا يمنع أن ينفعه الله ويرحمه به ؛ كما أنه دائما يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم . وهو سبحانه بحكمته ورحمته يرحم العباد بأسباب يفعلها العباد ليثيب أولئك على تلك الأسباب فيرحم الجميع كما في الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ما من رجل يدعو لأخيه بدعوة إلا وكل الله به ملكا كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به : آمين ولك بمثل ﴾ وكما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيح أنه قال : ﴿ من صلى على جنازة فله قيراط ؛ ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان ؛ أصغرهما مثل أحد ﴾ فهو قد يرحم المصلي على الميت بدعائه له ويرحم الميت أيضا بدعاء هذا الحي له .(السبب السادس) : شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وغيره في أهل الذنوب يوم القيامة كما قد تواترت عنه أحاديث الشفاعة مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ﴿ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي ﴾ . وقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة ؛ وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكثر ؛ أترونها للمتقين لا . ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين ﴾ . (السبب السابع) : المصائب التي يكفر الله بها الخطايا في الدنيا كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ما يصيب المؤمن من وصب ؛ ولا نصب ؛ ولا هم ؛ ولا حزن ؛ ولا غم ؛ ولا أذى – حتى الشوكة يشاكها – إلا كفر الله بها من خطاياه ﴾(السبب الثامن) : ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة فإن هذا مما يكفر به الخطايا .(السبب التاسع) : أهوال يوم القيامة وكربها وشدائدها .(السبب العاشر) : رحمة الله وعفوه ومغفرته بلا سبب من العباد . فإذا ثبت أن الذم والعقاب قد يدفع عن أهل الذنوب بهذه الأسباب العشرة كان دعواهم أن عقوبات أهل الكبائر لا تندفع إلا بالتوبة مخالف لذلك ." (١)

٢٩٩–"ص –٤٦– وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه".وفي الصحيحين عن البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله" وفي الصحيحين عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالت عائشة: إنا لنكره الموت قال ليس ذاك ولكن المؤمن إذا حضره الموت يبشر برضوان الله وكرامته فإذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه وأن الكافر إذا حضره الموت بشر بعذاب الله وسخطه فكره لقاء الله وكره الله

---

(١) رفع الملام / علي بن نايف الشحود ص/٣٦٤

لقاءه".وفي الصحيحين عن أنس قالوا: أنزل علينا ثم كان من المنسوخ: "أبلغوا قومنا إنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا" وفي حديث عمر بن مالك الرواسي قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أرض عني قال: فأعرض عني ثلاثا فقلت: يا رسول الله "إن الرب ليرضى فارض عني فرضي عني" وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على قوم فعلوا برسول الله" وهو حينئذ يشير إلى رباعيته وقال: "اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله".وفي صحيح مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في سجوده: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك" وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لما قضى الله الخلق كتب في كتاب". (١)

٣٠٠-"وتبرأ من المنقطعين والمتعمقين ومن أهل الدعاوى من المسوفين ومن الكسالى والمثبطين المتشبهين بهم في اللباس والمقال والمخالفين لهم في العقيدة وانفعال وذلك لما بلغك من بسط ألسنتنا وألسنة أهل الفقه والأثر في كل الأقطار والأمصار في المنتسبين إليهم من الفسقة الفجار والمباحية والحلولية الكفار وليس ما حل بالكذبة من الوقيعة والإنكار بقادح في منقبة البررة الأخيار وواضع من درجة الصفوة الأطهارص -١٣٧- بل في إظهار البراءة من الكذابين والنكير على الحشوية البطالين نزاهة الصادقين ورفعة المحققين.ولم لم ينكشف عن مخازي المبطلين ومساويهم ديانة للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور والصيت والذكر المشهور فقد كان جدي محمد بن يوسف رحمه الله تعالى أحد من يسر الله تعالى به ذكر بعض المنقطعين إليه وكيف يستجيز نقيصة أولياء الله تعالى ومؤذيهم مؤذن بمحاربة ربه ثم أسند حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله تعالى قال من آذى لي وليا وفي الرواية الأخرى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه".قلت: قد ذم أهل العلم والإيمان من أئمة العلم والدين من جميع الطوائف من خرج عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأعمال باطنا أو ظاهرا ومدحهم هو لمن وافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان موافقا من وجه ومخالفا من وجه كالعاصي الذي يعلم أنه عاص فهو ممدوح من جهة". (٢)

٣٠١-"ولهذا في حديث الولي قال جل وعلا (ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به) معناه كنت معه في سمعه الذي يسمع به يعني أوفقه وأسدده في سمعه (وبصره الذي يبصر به) يعني كنت معه في بصره الذي يبصر به يعني أوفقه في بصره (ويده التي يبطش بها) يعني كنت معه إذا بطش فلا يبطش إلا بما يحب الله جل وعلا ويرضى ، ولهذا المعية والمحبة والمودة من الله جل وعلا لعباده المؤمنين تتفاضل بتفاضل صفاتهم فهذا

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ٢/٦٥

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ٢/١٩٣

ظاهر من قوله إن الله مع الذين اتقوا والتقوى صفة تفاضل والذين هم محسنون ومحسن اسم فاعل الإحسان والإحسان يتفاضل كذلك كل أحد أتى بنصيب من ذلك له من المعية الخاصة نصيب .إذا تبين ذلك فأهل البدع في هذه المسألة قالوا إن معية الله التي دلت عليها هذه النصوص هي معية ذات بحلوله جل وعلا في كل مكان .فعندهم أن الله جل وعلا في كل مكان وليس فوق العرش رب وليس الله بعال على خلقه بذاته بل هو جل وعلا حال في كل مكان .حال في وليس حال بكل مكان .حال في كل مكان حتى ما ندخل في الحلول بالأشياء ، لا ، هو حال فيها يعني في أي مكان يوجد ، في أي مكان تذهب يوجد الله .هذا اعتقاد أهل البدع من الأشاعرة وغيرهم فيقولون إن الله ليس على العرش وهو في كل مكانسبب ذلك أنه قال هنا وهو معكم أينما كنتم قالوا هذا دليل على أنه مختلط بالخلق ووجه الاستدلال على حسب زعمهم قالوا إنه ذكر (مع) و (مع) هذه معناها معية الذات ، وهذا القول منهم لأجله أبطلوا الاستواء ولأجله أبطلوا علو الذات .ونقول هذا باطل وذلك :لأن الله جل جلاله بين أنه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون مع الصابرين وهذا يقتضي بمفهوم المخالفة – وهذا مفهوم صفة والصفة لها مفهوم مخالفة – أن من لم يكن كذلك فليس هو جل وعلا معه .". (١)

٣٠٢-"وهذه هي الفراسة الإيمانية التي تحصل بالإيمان وبالتقوى، وقد حصلت لبعض الصحابة كعمر – رضي الله عنه – فكانت فراسته قلما تخطئ، ينظر بنور الله – عز وجل – ولعله يستدل لذلك بالحديث الذي في البخاري: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال في آخر الحديث: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها فهو ينظر بنور الله فيوفق.يستدل العلماء للفراسة بقول الله – عز وجل – ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) ﴾ (١) فسرها مجاهد وغيره أنها: للمتفرسين، ونقل أو نسب ذلك ابن القيم إلى ابن عباس، ويستدل العلماء أيضا بالحديث الحسن: اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله هذا الحديث رواه الترمذي والطبراني وابن جرير وأبو نعيم في الحلية، وحسنه جمع من أهل العلم كالهيثمي والعجلوني والكناني في تنزيه الشريعة والشوكاني الشاهد أن هذه الفراسة ليست من ادعاء علم الغيب، إنما هي نور يقذفه الله – عز وجل – في قلوب بعض عباده، فربما انكشف لهم شيء مما غاب عن غيرهم.__________(١) – سورة الحجر آية : ٧٥.". (٢)

٣٠٣-"ص -١٣٨- وهذه الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه، بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاء على تقربه باختياره . فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قربا إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع . فكذلك قرب الرب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به، وهو المثل الأعلى، وهذا ـ أيضا ـ لا نزاع فيه، وذلك أن العبد يصير محبا لما أحب الرب، مبغضا لما أبغض، مواليا لمن يوالي، معاديا لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه .وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه، وموالاة الرب لعبده . فإن الولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة والموافقة، والعداوة تتضمن البغض والمخالفة . وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية /صالح آل الشيخ ٣٤٣/١

(٢) شرح الفتوى الحموية/التويجري ص/٤٦٩

الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه " .فأخبر . سبحانه وتعالى . أنه يقرب العبد بالفرائض، ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله فيصير العبد محبوبا لله، كما قال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران : ٣١] ، وقال تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة : ٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة : ١٩٥] ، وقال تعالى : ﴿ فأتموا". (١)

٣٠٤-"والفناء في هذا هو " الفناء " المأمور به الذي جاءت به الرسل وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ؛ وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه فيكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر : كن مع الحق بلا خلق ومع الخلق بلا نفس . وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله يوجب أن يكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله . ودين الله ما أمر به فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله : ﴿ يحببكم الله ﴾ . وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه .". (٢)

٣٠٥-"ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره : ﴿ حبب إلي من دنياكم النساء والطيب - ثم قال - وجعلت قرة عيني في الصلاة ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ أرحنا بالصلاة يا بلال ﴾ وهذا مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه وتعالى وحبهم له بحسب فعلهم لما يحبه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي

---

(١) شرح حديث النزول ٢/٢٣٩

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية ١/١٦٧

المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فقد بين أن العبد إذا تقرب إلى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله .". (١)

٣٠٦-"وكما أنه لا جناح عليهم فلا يجوز الاقتداء بهم ولا حمل كلامهم وفعالهم على الصحة بل هم في الخاصة مثل الغافل والمجنون في التكاليف الظاهرة ؛ وقال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وترك أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب . ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ وفي رواية ﴿ وبي ينطق وبي يعقل ﴾ فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه . وعامة ما تجده في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا مع أنه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع . وفي الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين .". (٢)

٣٠٧-" بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه

وقد تأول الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده علي أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعال

وطائفة أخري من الصفاتية قالوا هي إرادة الإحسان وربما قال كلا من القولين بعض المنتسبين إلي السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم

وسلف الأمة وأئمة السنة علي إقرار المحبة علي ما هي عليه

وكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها إرادة العبادة له وإرادة التقرب إليه لا يثبتون أن العبد يحب الله

وسلف الأمة وأئمة السنة ومشايخ المعرفة وعامة أهل الإيمان متفقون علي خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين بل هم متفقون علي أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربه

كما قال تعالي والذين آمنوا أشد حبا لله وقال ". (٣)

٣٠٨-" أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال ولا يكون ثابتا وقد يعتقد في كثير من الأعمال أنه معمول لله ولا يكون لله

---

(١) فلسفة السعادة عند ابن تيمية ٨٣/٢

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية ٣٨٥/٣

(٣) قاعدة في المحبة ص/٥١

فمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة وهي الواجبات والمستحبات إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده

وكما في الحديث الصحيح عن الله تعالي من عادي لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه

وكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته كما في الحديث الصحيح في الذي كان يصلي بأصحابه فيقرأ قل هو الله أحد إما أن يقرأها وحدها أو يقرأ بها مع سورة أخري فأخبروا بذلك النبي صلي الله عليه وسلم فقال سلوه لم يفعل ذلك فقال لأني أحبها فقال أن حبك إياها أدخلك الجنة ". (١)

٣٠٩-" ذلك المقدر في ذهنه أن يكون موجودا في الخارج وهو لم يحكم علي نفيه حتى صار موجودا في نفسه وجودا تقديريا

الحب يتبع الإحساس والإحساس يكون بموجود لا بمعدوم

فإذا كان الحب يتبع الإحساس والإحساس لا يكون إلا بموجود ما فإن ما يحب لا يكون إلا بموجود وأيضا فإن الإحساس لا يكون أولا إلا لموجود فكذلك الحب في نفسه لا يكون إلا لموجود أو محبوب وإن كان يحب وجود المعدوم فهو لاشيء وما ليس بشيء لا يكون محبوبا وإن كان يحب وجود المعدوم ويريده فلا بد أن يكون قبل ذلك قد ذاقه والتذ به **موجودا حتى أحبه بعد** ذلك أو ذاق والتذ بنظيره أو بما يشبهه كما ذلك في العلم وهذا مذكور في غير هذا الموضع

ولايرد علي هذا ما يوجد من بكاء الصبي حين يولد قبل أن يذوق طعم اللبن فإذا ذاق اللبن التذ به وسكن فإن الصبي قبل ذوقه اللبن لم يكن يحبه ويشتهيه ولكن يجد ألم الجوع فيبكي من ذلك الألم فلما ذاق اللبن ووجد لذته وأنه أذهب ألم الجوع أحبه من حينئذ صار يشتهيه ويحبه وهكذا كل ". (٢)

٣١٠-"ذلك إلا إذا أمر الله به ورسوله ؛ لأن ما أمر الله به ورسوله وإن كان فيه مضرة فمنفعته غالبة على مضرته والعاقبة للتقوى . (السادس أن للدين علما وعملا إذا صح فلا بد أن يوجب خرق العادة إذا احتاج إلى ذلك صاحبه . قال الله تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ﴾ ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا ﴾ ﴿ وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ﴾ ﴿ ولهديناهم صراطا مستقيما ﴾ وقال تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ ﴾ رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد

---

(١) قاعدة في المحبة ص/٧١

(٢) قاعدة في المحبة ص/٢١٣

. وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه وفيه أن محبوبه به يعلم سمعا وبصرا وبه يعمل بطشا وسعيا وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار . وهذا باب واسع . وأما الخوارق فقد تكون مع الدين وقد تكون مع عدمه أو فساده أو نقصه . (السابع أن الدين هو إقامة حق العبودية وهو فعل ما عليك وما أمرت به وأما الخوارق فهي من حق الربوبية إذا لم يؤمر العبد بها وإن كانت بسعي من العبد فإن الله هو الذي يخلقها بما ينصبه من الأسباب والعبد ينبغي له أن يهتم بما عليه وما أمر به وأما اهتمامه بما يفعله الله إذا لم يؤمر بالاهتمام به فهو إما فضول فتكون لما فيها من المنافع كالمنافع السلطانية المالية التي يستعان بها على الدين كتكثير الطعام والشراب وطاعة الناس إذا رأوها . ولما فيها من دفع المضار عن الدين بمنزلة الجهاد الذي فيه دفع العدو وغلبته . ثم هل الدين محتاج إليها في الأصل ولأن الإيمان بالنبوة لا يتم إلا بالخارق أو ليس بمحتاج في الخاصة بل في حق العامة هذا نتكلم عليه . وأنفع الخوارق الخارق الديني وهو حال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة ﴾ أخرجاه في الصحيحين . وكانت آيته هي دعوته وحجته بخلاف غيره من الأنبياء . ولهذا نجد كثيرا من المنحرفين منا إلى العيسوية". (١)

٣١١-"إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به والأفضل له من الأعمال ما كان أنفع له وهذا يتنوع تنوعا عظيما فأكثر الخلق يكون المستحب لهم ما ليس هو الأفضل مطلقا ؛ إذ أكثرهم لا يقدرون على الأفضل ولا يصبرون عليه إذا قدروا عليه وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون إذا طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق إذا طلب ذلك فإنه قد يفسد عقله ودينه أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى أو لا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل ﴿ إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ﴾ ﴿ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما سأله الإمارة : يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم ﴾ . وروي عنه أنه ﴿ قال للعباس عمه : نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها ﴾ ولهذا إذا قلنا : هذا العمل أفضل فهذا قول مطلق . ثم المفضول يكون أفضل في مكانه ويكون أفضل لمن لا يصلح له الأفضل مثال ذلك أن قراءة القرآن أفضل من الذكر بالنص والإجماع والاعتبار . أما النص فقوله صلى الله عليه وسلم ﴿ أفضل الكلام بعد القرآن أربع – وهن من القرآن – سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ﴾ وقوله صلى الله عليه

---

(١) قاعدة في المعجزات والكرامات ص/٩

وسلم ﴿ فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه ﴾ وقوله عن الله : ﴿ من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ﴾ وقوله : ﴿ ما تقرب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه ﴾ ﴿ وقول الأعرابي له إني لا أستطيع أن آخذ شيئا من القرآن فعلمني ما يجزيني في صلاتي فقال : قل : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . ﴾ وأما الإجماع على ذلك فقد حكاه طائفة ولا عبرة بخلاف جهال المتعبدة . وأما الاعتبار فإن الصلاة تجب فيها القراءة ؛ فإن عجز عنها انتقل إلى الذكر ولا يجزيه الذكر مع القدرة على القراءة والمبدل منه أفضل من البدل الذي لا يجوز إلا عند العجز عن المبدل . وأيضا فالقراءة تشترط لها الطهارة الكبرى كما تشترط للصلاة الطهارتان والذكر لا يشترط له الكبرى ولا الصغرى فعلم أن أعلى أنواع ذكر الله هو الصلاة ثم القراءة ثم الذكر المطلق ثم الذكر في الركوع والسجود أفضل بالنص والإجماع من قراءة القرآن وكذلك كثير من العباد قد ينتفع بالذكر في الابتداء ما لا ينتفع بالقراءة ؛ إذ الذكر يعطيه إيمانا والقرآن يعطيه العلم ؛ وقد لا يفهمه ؛ ويكون إلى الإيمان أحوج منه لكونه قي الابتداء والقرآن مع الفهم لأهل الإيمان أفضل بالاتفاق . فهذا وأمثاله يشبه تنوع شرائع الأنبياء ؛ فإنهم متفقون على أن الله أمر كلا منهم بالدين الجامع وأن نعبده بتلك الشرعة والمنهاج كما أن الأمة الإسلامية متفقة على أن الله أمر كل مسلم من شريعة القرآن بما هو مأمور به إما إيجابا وإما استحبابا وإن تنوعت الأفعال في حق أصناف الأمة فلم يختلف اعتقادهم ولا معبودهم ولا أخطأ أحد منهم ؛ بل كلهم متفقون على ذلك يصدق بعضهم بعضا .". (١)

٣١٢-"بين ذلك المستحب المتروك والمفعول فعلم أنه يكمل نقص الفرائض من التطوعات . وهذا لا ينافي من أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة مع أن هذا لو كان معارضا للأول لوجب تقديم الأول لأنه أثبت وأشهر وهذا غريب رفعه وإنما المعروف أنه في وصية أبي بكر لعمر ؛ وقد ذكره أحمد في " رسالته في الصلاة " . وذلك لأن قبول النافلة يراد به الثواب عليها . ومعلوم أنه لا يثاب على النافلة حتى تؤدى الفريضة فإنه إذا فعل النافلة مع نقص الفريضة كانت جبرا لها وإكمالا لها . فلم يكن فيها ثواب نافلة ولهذا قال بعض السلف : النافلة لا تكون إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وغيره يحتاج إلى المغفرة . وتأول على هذا قوله : ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك ﴾ وليس إذا فعل نافلة وضيع فريضة تقوم النافلة مقام الفريضة مطلقا بل قد تكون عقوبته على ترك الفريضة أعظم من ثواب النافلة . فإن قيل : العبد إذا نام عن صلاة أو نسيها كان عليه أن يصليها إذا ذكرها بالنص والإجماع . فلو كان لها بدل من التطوعات لم يجب القضاء . قيل : هذا خطأ فإن قيل هذا يقال في جميع مسقطات العقاب . فيقال : إذا كان العبد يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل ومعلوم أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور ؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب كما عليه أن يحتمي من السموم القاتلة وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية . والله عليم حكيم رحيم - أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله . ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب قال بعضهم

---

(١) قاعدة في توحد الملة وتعدد الشرائع ص/٧

لشيخه : إني أذنب قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : إلى متى قال : إلى أن تحزن الشيطان . وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إن الله يحب العبد المفتن التواب ﴾ . وأيضا فإن من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا فلا يكون تطوعا والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى . في الحديث الصحيح : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث فإذا لم يكن العبد قد أدى الفرائض كما أمر لم يحصل له مقصود النوافل ولا يظلمه الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة بل يقيمها مقام نظيرها من الفرائض كمن عليه ديون لأناس يريد أن". (١)

٣١٣-"مذهب المعتزلة والكرامية وهو اختيار أبي إسحاق الإسفراييني وكلام القاضي يدل عليه قال : وهو اختيار شيخنا أبي المعالي ؛ فإنه قال : الإيمان ثابت في الحال قطعا لا شك فيه ولكن الإيمان الذي هو علم الفوز وآية النجاة إيمان الموافاة . فاعتنى السلف به وقرنوه بالاستثناء ولم يقصدوا الشك في الإيمان الناجز . قال : ومن صار إلى هذا يقول : الإيمان صفة يشتق منها اسم المؤمن وهو المعرفة والتصديق ؛ كما أن العالم مشتق من العلم فإذا عرفت ذلك من نفسي قطعت به كما قطعت بأني عالم وعارف ومصدق فإن ورد في المستقبل ما يزيله خرج إذ ذاك عن استحقاق هذا الوصف . ولا يقال : تبينا أنه لم يكن إيمانا مأمورا به بل كان إيمانا مجزيا فتغير وبطل . وليس كذلك قوله : أنا من أهل الجنة فإن ذلك مغيب عنه وهو مرجو . قال : ومن صار إلى القول الأول يتمسك بأشياء . منها أن يقال : الإيمان عبادة العمر وهو كطاعة واحدة فيتوقف صحة أولها على سلامة آخرها . كما نقول في الصلاة والصيام والحج . قالوا : ولا شك أنه لا يسمى في الحال وليا ولا سعيدا ولا مرضيا عند الله . وكذلك الكافر لا يسمى في الحال عدوا لله ولا شقيا إلا على معنى أنه تجري عليه أحكام الأعداء في الحال لإظهاره من نفسه علامتهم . قلت : هذا الذي قالوه أنه لا شك فيه هو قول ابن كلاب والأشعري وأصحابه ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم . وأما أكثر الناس فيقولون : بل هو إذا كان كافرا فهو عدو لله ثم إذا آمن واتقى صار وليا لله . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم ﴾ إلى قوله : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ وكذلك كان فإن هؤلاء أهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح آمن أكثرهم وصاروا من أولياء الله ورسوله وابن كلاب وأتباعه بنوا ذلك على أن الولاية صفة قديمة لذات الله وهي الإرادة والمحبة والرضا ونحو ذلك . فمعناها إرادة إثابته بعد الموت ؛ وهذا المعنى تابع لعلم الله فمن علم أنه يموت مؤمنا لم يزل وليا لله ؛ لأنه لم يزل الله مريدا لإدخاله الجنة وكذلك العداوة . وأما الجمهور فيقولون : الولاية والعداوة وإن تضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو سبحانه يرضى عن الإنسان ويحبه بعد أن يؤمن ويعمل صالحا ؛ وإنما يسخط عليه ويغضب بعد أن يكفر كما قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ فأخبر أن الأعمال أسخطته ؛ وكذلك قال : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ قال المفسرون : أغضبونا

---

(١) كتاب الإيمان الأوسط ص/١٧

وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ؛ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي". [(١)]

"-٣١٤

وأما فى الاستحباب فهو أبلغ فان كل تنوع يقع فى الوجوب فانه يقع مثله فى المستحب ويزداد المستحب بان كل شخص انما يستحب له من الأعمال التى يتقرب بها إلى الله تعالى التى يقول الله فيها (وما يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه**) ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به والأفضل له من الأعمال ما كان أنفع له وهذا يتنوع تنوعا عظيما فاكثر الخلق يكون المستحب لهم ما ليس هو الأفضل مطلقا اذ اكثرهم لا يقدرون على الأفضل ولا يصبرون عليه اذا قدروا عليه وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون اذا طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق اذا طلب ذلك فانه قد يفسد عقله ودينه أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى أولا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل (ان من عبادى من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك (وقال النبى لأبى ذر لما سأله الامارة (يا أبا ذر إنى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم (وروى عنه أنه قال للعباس عمه (نفس تنجيها خير من امارة لا تحصيها (ولهذا اذا قلنا هذا العمل أفضل فهذا قول مطلق

". [(٢)]

٣١٥-"على التقوى جالت في الملكوت ورجعت إلى أصحابها بطرف الفوائد من غير أن يؤدى اليها عالم علما

وقد قال النبى (الصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء (ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ولا سيما الأحاديث النبوية فانه يعرف ذلك معرفة تامة لأنه قاصد العمل بها فتتساعد فى حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله حتى أن المحب يعرف من فحوى كلام محبوبه مراده منه تلويحا لا تصريحا ** والعين تعرف من عيني محدثها ** إن كان من حزبها أو من أعاديها ** انارة العقل مكشوف بطوع هوى ** وعقل عاصي الهوى يزداد تنويرا **

(١) كتاب الإيمان الكبير ص/٢٣٣

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ١١٩/١٩

وفي الحديث الصحيح (لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فاذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها (ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة وإذا كان

" . (١)

٣١٦-"المقربون فهم الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض كما قال النبى فى الحديث الصحيح الذى رواه عن الله تعالى (ما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما إفترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لأعطينه ولئن إستعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه (

ولا خلاف بين المسلمين أن جنس النساك الزهاد الساكنين فى الأمصار أفضل من جنس ساكنى البوادى والجبال كفضيلة القروى على البدوى والمهاجر على الأعرابى قال الله تعالى ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ وفى الحديث (أن من الكبائر أن يرتد الرجل أعرابيا بعد الهجرة (هذا لمن هو ساكن فى البادية بين الجماعة فكيف بالمقيم وحده دائما فى جبل أو بادية فإن هذا يفوته من مصالح الدين نظير ما يفوته من مصالح الدنيا أو قريب منه فإن يد الله على الجماعة والشيطان مع الواحد وهو من الإثنين أبعد

" . (٢)

٣١٧-"وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فالمتقربون إلى الله بالفرائض : هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض . هم السابقون المقربون وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر ابن الخطاب : اعلم أن لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة . والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل : يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه وأن قرب الفرائض : يوجب أن يكون الحق عين وجوده كله وهذا فاسد من وجوه كثيرة بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع . وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل

---

(١) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٤٣/٢٠

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٥٦/٢٧

الأولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم فإنه كلما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذا عنه وموافقة له : كان أفضل إذ الولي لا يكون وليا لله إلا بمتابعة الرسول باطنا وظاهرا ؛ فعلى قدر المتابعة للرسول : يكون قدر الولاية لله .". (١)

٣١٨-"ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال : التوحيد إفراد الحدوث عن القدم فبين أنه لا بد من تمييز المحدث عن القديم . ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد : ﴿ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾ ﴿ لقد أحصاهم وعدهم عدا ﴾ ﴿ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ . وإن كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي) : وهو أن يحب العبد ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ويرضى بما يرضي الله ويغضب لما يغضب الله ويأمر بما يأمر الله به وينهى عما ينهى الله عنه ويوالي من يواليه الله ويعادي من يعاديه الله ويحب لله ويبغض لله ويعطي لله ويمنع لله ؛ بحيث يكون موافقا لربه تعالى . فهذا المعنى حق وهو حقيقة الإيمان وكماله كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن". (٢)

٣١٩-"شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة :منها : أنه قال : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ﴾ فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ثم قال : ﴿ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فإذا أحبه كان العبد يسمع به . ويبصر به ويبطش به ويمشي به . وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده : هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالإطلاق والتعميم فأين هذا من هذا .وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح : ﴿ إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه . ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا ﴾ فيجعلون هذا حجة لقولهم إنه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة .". (٣)

٣٢٠-"عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢/٢٢٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢/٣٤٠

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢/٣٤١

سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ؛ فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ فهذا أصح حديث روي في الأولياء . فالملاحدة والاتحادية يحتجون به على قولهم لقوله : "كنت سمعه وبصره ويده ورجله " والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة : - منها قوله : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ﴾ فأثبت معاديا محاربا ووليا غير المعادي وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا . ومنها قوله : ﴿ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ﴾ فأثبت عبدا متقربا إلى ربه وربا افترض عليه فرائض . ومنها قوله : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فأثبت متقربا ومتقربا إليه ومحبا ومحبوبا غيره . وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد . ومنها قوله : ﴿ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر". [1]

٣٢١-"فصل :وجاء في " أولياء الله " الذين هم المتقون نوع من هذا : فروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فأول ما في الحديث قوله : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ﴾ فجعل معاداة عبده الولي معاداة له ؛ فعين عدوه عين عدو عبده وعين معاداة وليه عين معاداته ليسا هما شيئين متميزين ولكن ليس الله هو عين عبده ولا جهة عداوة عبده عين جهة عداوة نفسه وإنما اتفقا في النوع . ثم قال : ﴿ فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله ﴾ وفي رواية في غير الصحيح : ﴿ فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ فقوله :". [2]

٣٢٢-"فصل :فهذان المعنيان صحيحان ثابتان بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان . أما الأول - وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة - : فهذا فرض على كل أحد ولا بد لكل مؤمن منه ؛ فإن أدى واجبه فهو مقتصد وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه ؛ وإن تركه كله فهو كافر بربه . وأما الثاني - وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه ويرضاه ويسخطه - فهذا على الإطلاق إنما هو للسابقين المقربين : الذين تقربوا إلى الله بالنوافل - التي يحبها ولم يفرضها - بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها . ولهذا كان هؤلاء لما أتوا بمحبوب الحق من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة المنتظمة للمعارف والأحوال والأعمال : أحبهم الله تعالى . فقال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ فعلوا محبوبه فأحبهم فإن الجزاء من جنس العمل مناسب له مناسبة المعلول لعلته . ولا يتوهم أن المراد بذلك : أن يأتي العبد بعين كل حركة يحبها الله ؛ فإن هذا ممتنع . وإنما المقصود أن يأتي بما يقدر عليه من الأعمال الباطنة والظاهرة ؛". [3]

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢/٣٧١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢/٣٩٠

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢/٣٩٤

٣٢٣-"وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا المتشابه كما ذكر الله عنهم في القرآن لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناظروه في المسيح . وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ فأخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه إذا تقرب إليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه . وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وأن قرب الفرائض أن يكون هو إياه فإن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل ؛ فهذه المعاني وما يشبهها هي أصول مذهب أهل الطريقة الإسلامية أتباع الأنبياء والمرسلين . وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى حال هؤلاء ولم يكن القصد به والله واحدا بعينه وإنما الشيخ هو مجمع المؤمنين فعلينا أن نعينه في الدين والدنيا بما هو اللائق به وأما هؤلاء الاتحادية فقد أرسل إلى الداعي من طلب كشف حقيقة أمرهم .". (١)

٣٢٤-"بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فقد ذكر في هذا الحديث أن التقرب إلى الله تعالى على درجتين : (إحداهما) : التقرب إليه بالفرائض . (والثانية) : هي التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض . فالأولى درجة " المقتصدين " الأبرار أصحاب اليمين . والثانية درجة " السابقين " المؤمنين كما قال الله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ ﴿ ختامه مسك ﴾ ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنهما يمزج لأصحاب اليمين مزجا ويشربه المقربون صرفا . وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله .". (٢)

٣٢٥-"والمخالفة . وقد ثبت في " صحيح البخاري " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن : يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فأخبر سبحانه وتعالى أنه يقرب العبد بالفرائض ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله فيصير العبد محبوبا لله كما قال تعالى : ﴿

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤٦٣/٢

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤١٧/٣

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وقال تعالى : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ وقال تعالى : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ وقال تعالى : ﴿ فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴾ وقال : ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ﴾ وقال تعالى : ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ﴾ .". (١)

٣٢٦-"الجزء السادسالجزء الثاني من كتاب الأسماء والصفاتوقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - قدس الله روحه - :فصل :تقرب العبد إلى الله في مثل قوله : ﴿ واسجد واقترب ﴾ وقوله : ﴿ اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ وقوله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ وقوله : ﴿ فأما إن كان من المقربين ﴾ . وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه : ﴿ من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ﴾ الحديث . وقوله : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث . وكذلك " القربان " كقوله : ﴿ إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ﴾ . وقوله : ﴿ حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ . ونحو ذلك - لا ريب أنه بعلوم وأعمال يفعلها العبد وفي ذلك حركة منه وانتقال من حال إلى حال .". (٢)

٣٢٧-"فعل يفعله الرب كما قال ذلك الأوزاعي وحماد بن زيد والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهم . وأيضا فقد قال صلى الله عليه وسلم " ﴿ لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته ﴾ " وفي الحديث الصحيح الآخر " ﴿ ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به ﴾ " أذن يأذن أذنا : أي استمع يستمع استماعا ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ . فأخبر أنه يستمع إلى هذا وهذا . وفي الصحيح " ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ؛ وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾ " فأخبر أنه لا يزال يتقرب بالنوافل بعد الفرائض . وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى قال : " ﴿ قال الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ خير منهم ﴾ " وحرف " إن " حرف الشرط ؛ والجزاء يكون بعد الشرط فهذا يبين أنه يذكر العبد إن ذكره في نفسه وإن ذكره في ملإ ذكره في ملإ خير منهم والمنازع يقول ما زال يذكره أزلا وأبدا ثم يقول : ذكره وذكر غيره وسائر ما يتكلم الله به هو شيء واحد لا يتبعض ولا يتعدد فحقيقة قوله إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ولا يذكر أحدا .". (٣)

٣٢٨-"يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ؛ فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فبين سبحانه

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٥/٥١١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٦/٥

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٦/٢٣٥

أن العبد إذا تقرب إليه بمحابه من النوافل بعد الفرائض أحبه الرب كما وصف وهذا ما احتملته هذه الأوراق من الجواب . والحمد لله رب العالمين .". [١]

٣٢٩-"وأصحابه ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم . وأما أكثر الناس فيقولون : بل هو إذا كان كافرا فهو عدو لله ثم إذا آمن واتقى صار وليا لله . قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم ﴾ إلى قوله : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ وكذلك كان فإن هؤلاء أهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح آمن أكثرهم وصاروا من أولياء الله ورسوله وابن كلاب وأتباعه بنوا ذلك على أن الولاية صفة قديمة لذات الله وهي الإرادة والمحبة والرضا ونحو ذلك . فمعناها إرادة إثابته بعد الموت ؛ وهذا المعنى تابع لعلم الله فمن علم أنه يموت مؤمنا لم يزل وليا لله ؛ لأنه لم يزل الله مريدا لإدخاله الجنة وكذلك العداوة . وأما الجمهور فيقولون : الولاية والعداوة وإن تضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو سبحانه يرضى عن الإنسان ويحبه بعد أن يؤمن ويعمل صالحا ؛ وإنما يسخط عليه ويغضب بعد أن يكفر كما قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ فأخبر أن الأعمال أسخطته ؛ وكذلك قال : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ قال المفسرون : أغضبونا وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ؛ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي". [٢]

٣٣٠-"يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل ومعلوم أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور ؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب كما عليه أن يحتمي من السموم القاتلة وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية . والله عليم حكيم رحيم – أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله . ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب قال بعضهم لشيخه : إني أذنب قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : ثم أعود ، قال : تب قال : إلى متى قال : إلى أن تحزن الشيطان . وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ إن الله يحب العبد المفتن التواب ﴾ . وأيضا فإن من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا فلا يكون تطوعا والتطوعات

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٤٨٤/٦

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٤٤٢/٧

شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى . في الحديث الصحيح : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ الحديث". [١]

٣٣١-"جعل طاعة الله وسيلة إليه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿ إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة ﴾ " . فأخبر أن النظر إليه أحب إليهم من كل ما يتنعمون به ومحبة النظر إليه تبع لمحبته فإنما أحبوا النظر إليه لمحبتهم إياه وما من مؤمن إلا ويجد في قلبه محبة الله وطمأنينة بذكره وتنعما بمعرفته ولذة وسرورا بذكره ومناجاته . وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب إيمان الخلق . فكل من كان إيمانه أكمل كان تنعمه بهذا أكمل . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره : ﴿ حبب إلي من دنياكم النساء والطيب - ثم قال - وجعلت قرة عيني في الصلاة ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم يقول ﴿ أرحنا بالصلاة يا بلال ﴾ وهذا مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود هنا أن عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه وتعالى وحبهم له بحسب فعلهم لما يحبه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿ يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر". [٢]

٣٣٢-"والفناء في هذا هو " الفناء " المأمور به الذي جاءت به الرسل وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه ؛ وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه فيكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر : كن مع الحق بلا خلق ومع الخلق بلا نفس . وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله يوجب أن يكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله . ودين الله ما أمر به فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله : ﴿ يحببكم الله ﴾ . وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ .". [٣]

٣٣٣-"و " خاص " وهم السابقون وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم " القسمين " في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤٩٢/٧

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١٤٣/٨

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٣٣٨/٨

صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان : فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن أن يثاب ويعاقب وهذا قول جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان .". (١)

٣٣٤-"فإن المحبة مستلزمة للجهاد لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه ؛ ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق له في ذلك . وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما ﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال : لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فقال لهم : يا إخوتي هل أغضبتكم قالوا لا ؛ يغفر الله لك يا أبا بكر ﴾ وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا : ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم ؛ لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعداء الله ورسوله . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروي عن ربه : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ؛ ويده التي يبطش بها ؛ ورجله التي يمشي بها ؛ فبي يسمع وبي يبصر : وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن : يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده". (٢)

٣٣٥-"يتبعوا ما أحبه بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم . وهو سبحانه يحب من يحبه ؛ لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له ؛ بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له ؛ وإن كان جزاء الله لعبده أعظم . كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : ﴿ من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ﴾ . وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٧/١٠

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٥٨/١٠

يبصر به ﴾ الحديث . وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في " الزهد والعبادة " وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى : من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين". [١]

٣٣٦-"كان الأمر أنقص ؛ فإن الجزاء من جنس العمل ؛ وما ربك بظلام للعبيد . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ؛ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها : فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ؛ ولئن سألني لأعطينه ؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ؛ وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودة ، وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وودهم . وقد قال تعالى : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ . نزلت في المشركين الذين عادوا الله ورسوله مثل " أهل الأحزاب " كأبي سفيان بن حرب وأبي سفيان بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم . فإنهم بعد معاداتهم لله ورسوله". [٢]

٣٣٧-"الظاهرة ؛ وقال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وترك أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب . ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ وفي رواية ﴿ وبي ينطق وبي يعقل ﴾ فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه . وعامة ما تجده في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا مع أنه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع . وفي الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين . ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال ؛ لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود . وهو وصف نقص لا وصف كمال وإنما يمدح من جهة". [٣]

٣٣٨-"إليه ، ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ ﴾ . وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٢١٢/١٠

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٣٠٥/١٠

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٣٤١/١٠

واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم وشرعوا دينا لم يأذن به الله فقال تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ ومنه أشياء هي محرمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك . والكلام في " الحلال والحرام " له مواضع أخر . والمقصود هنا " العبادات " فنقول . العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى منها ما كان محبوبا لله ورسوله مرضيا لله ورسوله إما واجب وإما مستحب كما في الصحيح ﴿ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها". (١)

٣٣٩-"و " التقوى " أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عذاب الله ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء فرائضه ثم بأداء نوافله . قال تعالى : " ﴿ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ "كما جاء في الحديث الصحيح الإلهي . الذي رواه البخاري .فصل :ومن أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض عنده الصلوات الخمس في مواقيتها وهي أول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج لم يجعل فيها بينه وبين محمد واسطة وهي عمود الإسلام الذي لا يقوم إلا به وهي أهم أمر الدين كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة . وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة ﴾ وقال : ﴿ العهد الذي بيننا وبينهم". (٢)

٣٤٠-"وأما ما هو مأمور ببغضه ودفعه فمثل : ما إذا أظهر الكفر والفسوق والعصيان فهو مأمور ببغض ذلك ودفعه وإنكاره بحسب الإمكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " ﴿ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ﴾ " . وأما ما لا يؤمر العبد فيه بواحد منهما : فمثل ما يظهر له من فعل الإنسان للمباحات التي لم يتبين له أنه يستعان بها على طاعة ولا معصية . فهذه لا يؤمر بحبها ولا ببغضها وكذلك مباحات نفسه المحضة التي لم يقصد الاستعانة بها على طاعة ولا معصية . مع أن هذا نقص منه فإن الذي ينبغي أنه لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة ويقصد الاستعانة بها على الطاعة فهذا سبيل المقربين السابقين الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض ولم يزل أحدهم يتقرب إليه **بذلك حتى أحبه فكان** سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وأما من فعل المباحات مع الغفلة أو فعل فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة مع أداء الفرائض واجتناب المحارم باطنا وظاهرا فهذا من المقتصدين أصحاب اليمين .". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٣٨٩/١٠

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤٣٣/١٠

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤٦٠/١٠

٣٤١-"صادقة . وقد ثبت في الصحيح قول الله تعالى : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ و (أيضا فالله - سبحانه وتعالى - فطر عباده على الحنيفية : وهو حب المعروف وبغض المنكر فإذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مفطورة على الحق فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان منورة بنور القرآن وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله وذلك أن الله علم القرآن والإيمان . قال الله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾ الآية . ثم قال : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ وقال جندب بن عبد الله ، وعبد الله بن عمر : تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا . وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ﴿ إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن ، وعلموا من السنة ﴾ " وفي الترمذي وغيره حديث النواس عن النبي صلى الله عليه وسلم". (١)

٣٤٢-"أوامره واجتناب نواهيه لا سيما إذا قام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله كما قال في الحديث الصحيح الذي في البخاري : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته ﴾ الحديث . وذلك أن الرضا نوعان : أحدهما الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه . ويتناول ما أباحه الله من غير تعد إلى المحظور كما قال : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾ وهذا الرضا واجب ؛ ولهذا ذم من تركه بقوله : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون ﴾ ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ . (والنوع الثاني الرضا بالمصائب : كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب وقد قيل : إنه واجب والصحيح أن الواجب هو الصبر . كما قال الحسن : الرضا غريزة ولكن الصبر معول المؤمن . وقد روي في حديث ابن عباس". (٢)

٣٤٣-"في صحيحه عن أبي هريرة عن ﴿ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن : يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يجيب مسألته .

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤٧٤/١٠

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٦٨٢/١٠

ويعيذه مما استعاذ منه . وقد ذم في كتابه من أحب أندادا من دونه قال تعالى : ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ وذم من اتخذ إلهه هواه وهو أن يتأله ما يهواه ويحبه وهذا قد يكون فعل القلب فقط . وقد مدح تعالى وذم في كتابه في غير موضع على المحبة والإرادة والبغض والسخط والفرح والغم ونحو ذلك من أفعال القلوب كقوله : ﴿ والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ وقوله : ﴿كلا بل تحبون العاجلة ﴾ ﴿ وتذرون الآخرة ﴾". (١)

٣٤٤-"وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين والمقربين السابقين . فالصنف الأول : الذين تقربوا إلى الله بالفرائض . والصنف الثاني الذي تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى . وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ وكما قال الله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم ﴾ ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ ﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ ﴿ ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ ﴿ عينا يشرب بها المقربون ﴾ قال ابن عباس : يشرب". (٢)

٣٤٥-"فصل :و " أولياء الله " هم ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ كما ذكر الله تعالى في كتابه . وهم " قسمان " : المقتصدون أصحاب اليمين والمقربون السابقون . فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ - إلى قوله - ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ وقال تعالى : ﴿ لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ وقال : ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ وقال : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ .". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١٠/٧٥٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١١/٢٣

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١١/٦١

٣٤٦-"عقل الإنسان لا يتخذه هو ولا غيره عقيدة . ولا حكم له ؛ بل القلم مرفوع عن النائم والمجنون والمغمى عليه والسكران الذي سكر بغير سبب محرم ؛ مثل من يسقى الخمر وهو لا يعرفها أو أوجرها حتى سكر أو أطعم البنج وهو لا يعرفه ؛ فكذلك . وقد يشاهد كثير من المؤمنين من جلال الله وعظمته وجماله أمورا عظيمة تصادف قلوبا رقيقة فتحدث غشيا وإغماء . ومنها ما يوجب الموت . ومنها ما يخل العقل . وإن كان الكاملون منهم لا يعتريهم هذا كما لا يعتري الناقصين عنهم ؛ لكن يعتريهم عند قوة الوارد على قلوبهم وضعف المحل المورود عليه فمن اغتر بما يقولونه أو يفعلونه في تلك الحال كان ضالا مضلا . وإنما " الأحوال الصحيحة " مثل ما دل عليه ما رواه البخاري في صحيحه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن". [١]

٣٤٧-"عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ وهذا أصح حديث يروى في الأولياء فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة . وفي حديث آخر ﴿ وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب ﴾ أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿ أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله ﴾ وفي حديث آخر رواه أبو داود قال ﴿ ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان ﴾ . و " الولاية " ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل". [٢]

٣٤٨-"صلى الله عليه وسلم ﴿ الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ﴾ قال الترمذي : حديث صحيح . وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن ﴿ يقول الله تعالى : أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته ﴾ وقال ﴿ ومن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله ﴾ ومثل هذا كثير . وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين كما تقدم . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٧٥/١١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ١٦٠/١١

الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾ . فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ؛ ولا الكف عن فضول المباحات . وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا". (١)

٣٤٩-"الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ يعني الحب المطلق كقوله تعالى : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ أي أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه فلم يشربوا صرفا ؛ بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا . ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ونبي ملك وقد خير الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا فاختار أن يكون عبدا رسولا فالنبي الملك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام قال الله تعالى في قصة سليمان الذي ﴿ قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب ﴾ ﴿ فسخرنا له الريح تجري". (٢)

٣٥٠-"وقال تعالى : ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ﴿ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ﴾ ﴿ يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾ ﴿ خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ﴾ وقال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ .فصل :وإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا لقوله تعالى ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وفي صحيح البخاري الحديث المشهور - وقد تقدم - يقول الله تبارك وتعالى فيه : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار". (٣)

٣٥١-"وإن كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١٧٩/١١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١٨٠/١١

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١٩٠/١١

تمشون به ويغفر لكم ﴾ وقال تعالى : ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن ؛ فإنه ينظر بنور الله ﴾ قال الترمذي حديث حسن . وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء وكما يفرق من يعرف". (١)

٣٥٢-"وكانوا يتقون ﴾ ﴿ لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ ﴾ رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد . وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه وفيه أن محبوبه به يعلم سمعا وبصرا وبه يعمل بطشا وسعيا وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار . وهذا باب واسع . وأما الخوارق فقد تكون مع الدين وقد تكون مع عدمه أو فساده أو نقصه .". (٢)

٣٥٣-"وسئل :أيما أولى معالجة ما يكره الله من قلبك مثل . الحسد والحقد والغل والكبر والرياء والسمعة ورؤية الأعمال وقسوة القلب . وغير ذلك . مما يختص بالقلب من درنه وخبثه أو الاشتغال بالأعمال الظاهرة : من الصلاة والصيام وأنواع القربات : من النوافل والمنذورات مع وجود تلك الأمور في قلبه أفتونا مأجورين .فأجاب - رحمه الله - :الحمد لله ، من ذلك ما هو عليه واجب : وأن للأوجب فضلا وزيادة . كما قال تعالى فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ﴾ . ثم قال ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب فإن القلب ملك والأعضاء جنوده . فإذا خبث الملك

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢١٧/١١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٣٣٢/١١

خبثت جنوده ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ﴾ وكذلك أعمال القلب لا بد أن تؤثر في عمل الجسد وإذا كان المقدم هو الأوجب ، سواء سمي". [1]

٣٥٤-"الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به . وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . فهذا المؤمن الذي تقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض أحبه الله لأنه فعل ما أحبه الله والجزاء من جنس العمل . قال الله تعالى : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وفي الحقيقة فالعبد الذي يرضى الله لرضاه ويغضب لغضبه هو يرضى لرضا الله ويغضب لغضب الله وليكن هذان مثالان : فمن أحب ما أحب الله وأبغض ما أبغض الله ورضي ما رضي الله لما يرضي الله ويغضب لما يغضب ؛ لكن هذا لا يكون للبشر على سبيل الدوام بل لا بد لأكمل الخلق أن يغضب أحيانا غضب البشر ويرضى رضا البشر . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ﴿ : اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته وليس لذلك بأهل فاجعل ذلك له صلاة وزكاة وقربة تقربه إليك يوم القيامة ﴾". [2]

٣٥٥-"أليم ﴾ فإنه لو كان من ترك الإحسان الذي لا يجب عليه يحسب خارجا عن الطريق خرج عنه جمهور أهله . و " أولياء الله " على صنفين : مقربين سابقين وأصحاب يمين مقتصدين . كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة . وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ " . ثم أكثر هؤلاء الذين يذمون تارك العفو إنما يذمونه لأهوائهم لكون الظالم صديق أحدهم أو وريثه أو قرينه ونحو ذلك . والله سبحانه أوجب على عباده العدل في الصلح كما أوجبه في الحكم . فقال تعالى : ﴿ فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ . وقيد الإصلاح الذي يثيب عليه بالإخلاص فقال". [3]

٣٥٦-"يتخذون ذلك قربة ودينا تتحرك به قلوبهم ويحصل لهم عنده من الوجل والصياح ما تنزل معه الشياطين كما يدخل الشيطان في بدن المصروع ؛ ولهذا يزيد أحدهم كأزباد المصروع ويصيح كصياحه . وذلك صياح الشياطين على ألسنتهم ؛ ولهذا لا يدري أحد ما جرى منه حتى يفيق ويتكلم الشيطان على لسان أحدهم بكلام لا يعرفه الإنسان ويدخل أحدهم النار وقد لبسه الشيطان ويحصل ذلك لقوم من النصارى بالمغرب وغيرهم . تلبسهم الشياطين فيحصل لهم مثل

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٣٨١/١١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٥١٦/١١

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٥٤٩/١١

ذلك . فهؤلاء المبتدعون المخالفون للكتاب والسنة أحوالهم ليست من كرامات الصالحين ؛ فإن كرامات الصالحين إنما تكون لأولياء الله المتقين ؛ الذين قال الله فيهم : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض التي فرضها عليهم ثم بالنوافل التي ندبهم إليها . كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ﴿ يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ؛ فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن". (١)

٣٥٧-"قال : ﴿ اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله : ﴿ إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ ﴾ وقال بعض الصحابة : أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾ وفي رواية ﴿ فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ﴾ فقد أخبر أنه يسمع بالحق ويبصر به . وكانوا يقولون إن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده ﴾ وقال الله تعالى ﴿ نور على نور ﴾ نور الإيمان مع نور القرآن . وقال تعالى : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الإيمان وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا في وجوب النظر وتحصيله للعلم فقيل لهم : أهل التصفية والرياضة والعبادة والتأله تحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون النظر كما قال الشيخ الملقب بالكبيري - للرازي ورفيقه وقد قالا له يا شيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال : نعم فقالا : كيف تعلم ونحن نتناظر". (٢)

٣٥٨-"واستفهم استفهام إنكار وجحود لطرق الإدراك التام وهو السمع والبصر . والعمل التام وهو اليد والرجل كما أنه سبحانه لما أخبر فيما روى عنه رسوله عن أحبابه المتقربين إليه بالنوافل فقال : ﴿ ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾ .فصل :وأهل السنة والجماعة المتبعون لإبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله ومحبته ورحمته وسائر ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى . وينزهونه عن مشابهة الأجساد التي لا حياة فيها . فإن الله قال : ﴿ وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ﴾ وقال : ﴿ وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ﴾ . وقال : ﴿

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٦٦٥/١١

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٦٩/١٣

عجلا جسدا له خوار ﴾ فوصف الجسد بعدم الحياة فإن الموتان لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني شيئا . وأما أهل البدع والضلالة من الجهمية ونحوهم فإنهم سلكوا". (١)

٣٥٩-"الدعاء فهذا أمر مطلق . وقد تحرم الصلاة في أوقات فتكون القراءة أفضل منها في ذلك الوقت . والتسبيح في الركوع والسجود هو المأمور به والقراءة منهي عنها . ونظائر هذا كثيرة . فهكذا يعلم الأمر في فضل ﴿ قل هو الله أحد ﴾ وغيرها فقراءة الفاتحة في أول الصلاة أفضل من قراءتها بل هو الواجب والاحتزاء بها وحدها لا يمكن بل تبطل معه الصلاة . ولهذا وجب التقرب بالفرائض قبل النوافل والتقرب بالنوافل إنما يكون تقربا إذا فعلت الفرائض لا كما ظنه بعض الاتحادية كصاحب " الفتوحات المكية " ونحوه من أن قرب الفرائض يكون بعد قرب النوافل والنوافل تجعل الحق غطاءه وتلك تجعل الحق عينه . فهذا بناء على أصله الفاسد من الاتحاد كما بين . وبين أن الحديث يناقض مذهبه من وجوه كما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه . ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي . ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه". (٢)

٣٦٠-"عن الظنون الباطلة ؛ والاعتقادات الفاسدة ولكن المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ثم هذا باطل ؛ فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه كما قيل : الشيب كره وكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب وفي الصحيح ﴿ حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره ﴾ وقال تعالى : ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ الآية . ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث فإنه قال : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ . فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو". (٣)

٣٦١-"وأما في الاستحباب فهو أبلغ ؛ فإن كل تنوع يقع في الوجوب فإنه يقع مثله في المستحب ويزداد المستحب بأن كل شخص إنما يستحب له من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى التي يقول الله فيها : ﴿ وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** ﴾ ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به والأفضل له من الأعمال ما كان أنفع له وهذا يتنوع تنوعا عظيما فأكثر الخلق يكون المستحب لهم ما ليس هو الأفضل مطلقا ؛ إذ أكثرهم لا يقدرون على الأفضل ولا يصبرون عليه إذا

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٢٠٩/١٦

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١٣٣/١٧

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١٣٠/١٨

قدروا عليه وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون إذا طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق إذا طلب ذلك فإنه قد يفسد عقله ودينه أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى أو لا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل ﴿ إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك ﴾ ﴿ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما سأله الإمارة : يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم ﴾ . وروي عنه أنه ﴿ قال للعباس عمه : نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها ﴾ ولهذا إذا قلنا : هذا العمل أفضل فهذا قول مطلق .". (١)

٣٦٢-"على التقوى جالت في الملكوت ؛ ورجعت إلى أصحابها بطرف الفوائد ؛ من غير أن يؤدي إليها عالم علما . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ : الصلاة نور ؛ والصدقة برهان ؛ والصبر ضياء ﴾ ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ولا سيما الأحاديث النبوية ؛ فإنه يعرف ذلك معرفة تامة ؛ لأنه قاصد العمل بها ؛ فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله حتى أن المحب يعرف من فحوى كلام محبوبه مراده منه تلويحا لا تصريحا .والعين تعرف من عيني محدثها * * * إن كان من حزبها أو من أعاديهاإنارة العقل مكسوف بطوع هوى * * * وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراوفي الحديث الصحيح : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ﴾ " ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة وإذا كان". (٢)

٣٦٣-"فإذا قال : ﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا ﴾ فهو الله نفسه وإذا قال : ﴿ لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ؛ وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ؛ ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر ؛ وبي يبطش ؛ وبي يمشي ﴾ وقوله : ﴿ عبدي مرضت فلم تعدني فيقول : ربي كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول : أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده ﴾ فالذي في قلوب المؤمنين هو الإيمان بالله ومعرفته ومحبته وقد يعبر عنه بالمثل الأعلى ؛ والمثال العلمي ويقال : أنت في قلبي كما قيل :مثالك في عيني ؛ وذكرك في فمي * * * ومثواك في قلبي ؛ فأين تغيب ويقال : ساكن في القلب يعمره * * * لست أنساه فأذكرهوما ينقل ﴿ عن داود عليه السلام أنه قال : أنت تحل قلوب الصالحين ﴾ فمعلوم أن هذا كله لم يرد به أن نفس المذكور المعلوم المحبوب ؛ المعبر عنه بالمثال العلمي . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم". (٣)

٣٦٤-"ومن علامات هؤلاء أن الأحوال إذا تنزلت عليهم وقت سماع المكاء والتصدية أزبدوا وأرعدوا - كالمصروع - وتكلموا بكلام لا يفقه معناه فإن الشياطين تتكلم على ألسنتهم كما تتكلم على لسان المصروع . والأصل في هذا الباب

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ١١٩/١٩

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤٣/٢٠

(٣) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء - تحقيق أنور الباز) ٤٣٣/٢٠

: أن يعلم الرجل أن أولياء الله هم الذين نعتهم الله في كتابه حيث قال : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا . وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ﴿ يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولم يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه و لإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته . ولا بد له منه ﴾ . ودين الإسلام مبني على أصلين على ألا نعبد إلا الله وأن". (١)

٣٦٥-"المقربون فهم الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه عن الله تعالى : ﴿ ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ﴾ . ولا خلاف بين المسلمين أن جنس النساك الزهاد الساكنين في الأمصار أفضل من جنس ساكني البوادي والجبال كفضيلة القروي على البدوي والمهاجر على الأعرابي قال الله تعالى : ﴿ الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ وفي الحديث : ﴿ إن من الكبائر أن يرتد الرجل أعرابيا بعد الهجرة ﴾ هذا لمن هو ساكن في البادية بين الجماعة فكيف بالمقيم وحده دائما في جبل أو بادية فإن هذا يفوته من مصالح الدين نظير ما يفوته من مصالح الدنيا أو قريب منه ؛ فإن يد الله على الجماعة والشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .". (٢)

٣٦٦-"ص -٤٣- على التقوى جالت في الملكوت؛ ورجعت إلى أصحابها بطرف الفوائد؛ من غير أن يؤدي إليها عالم علما . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الصلاة نور؛ والصدقة برهان؛ والصبر ضياء " ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ولا سيما الأحاديث النبوية؛ فإنه يعرف ذلك معرفة تامة؛ لأنه قاصد العمل بها؛ فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله حتى أن المحب يعرف من فحوى كلام محبوبه مراده منه تلويحا لا تصريحا .والعين تعرف من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديهاإنارة العقل مكسوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراوفي الحديث الصحيح : " لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة وإذا كان". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٣١٦/٢٥

(٢) مجموع الفتاوى (ط: دار الوفاء – تحقيق أنور الباز) ٥٦/٢٧

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) /٣

٣٦٧-"ص -٥٦- المقربون فهم الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه عن الله تعالى : " ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعلة ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولابد له منه " .ولا خلاف بين المسلمين أن جنس النساك الزهاد الساكنين في الأمصار أفضل من جنس ساكني البوادي والجبال، كفضيلة القروي على البدوي، والمهاجر على الأعرابي، قال الله تعالى : ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ﴾ [التوبة : ٩٧] ، وفي الحديث : " إن من الكبائر أن يرتد الرجل أعرابيا بعد الهجرة " . هذا لمن هو ساكن في البادية بين الجماعة، فكيف بالمقيم وحده دائما في جبل أو بادية ! فإن هذا يفوته من مصالح الدين نظير ما يفوته من مصالح الدنيا أو قريب منه؛ فإن يد الله على الجماعة، والشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .". (١)

٣٦٨-"ص -٢٢٥- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه " .فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون، وإنما تكون النوافل بعد الفرائض . وقد قال أبو بكر الصديق في وصته لعمر بن الخطاب : اعلم أن لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة .والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه، وأن قرب الفرائض يوجب أن يكون الحق عين وجوده كله، وهذا فاسد من وجوه كثيرة، بل كفر صريح، كما بيناه في غير هذا الموضع .وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا، فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء، ولا أكملهم، بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم، الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم، فإنه كلما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول، وأخذا عنه وموافقة له كان أفضل، إذ الولي لا يكون وليا لله إلا بمتابعة الرسول باطنا وظاهرا، فعلى قدر المتابعة للرسول يكون قدر الولاية لله .". (٢)

٣٦٩-"ص -٣٤٠- ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال : التوحيد إفراد الحدوث عن القدم، فبين أنه لابد من تمييز المحدث عن القديم .ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، بل الرب رب، والعبد عبد : ﴿ إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ [مريم : ٩٣ : ٩٥]وإن كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) /١٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٩٣/٢٤

وهو أن يحب العبد ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويرضى بما يرضى الله،ويغضب لما يغضب الله،ويأمر بما يأمر الله به،،وينهى عما ينهى الله عنه،ويوالي من يواليه الله،ويعادي من يعاديه الله، ويحب لله ويبغض لله، ويعطي لله ويمنع لله، بحيث يكون موافقا لربه تعالى فهذا المعنى حق وهو حقيقة الإيمان وكماله،كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء". [1]

٣٧٠-"ص -٣٤١- أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه " .وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة :منها : أنه قال : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة " فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه، وهؤلاء ثلاثة، ثم قال : " وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** " فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل، وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه كان العبد يسمع به، ويبصر به، ويبطش به، ويمشي به .وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل، وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه، لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث، فالحديث مخصوص بحال مقيد، وهم يقولون بالإطلاق والتعميم، فأين هذا من هذا وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح : " إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول : أنا ربكم، فيقولون : نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه . ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول : أنا ربكم فيقولون : أنت ربنا " فيجعلون هذا حجة لقولهم : إنه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة .". [2]

٣٧١-"ص -٣٧١- عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يسعى، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه " ، فهذا أصح حديث روى في الأولياء .فالملاحدة والاتحادية يحتجون به على قولهم، لقوله "كنت سمعه وبصره ويده ورجله " والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة :منها قوله : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة " فأثبت معاديا محاربا ووليا غير المعادي، وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا .ومنها قوله : " وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه " فأثبت عبدا متقربا إلى ربه، وربا افترض عليه فرائض .ومنها قوله

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٥٨/٢٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٥٩/٢٥

: " ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " فأثبت متقربا ومتقربا إليه، ومحبا ومحبوبا غيره . وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد .ومنها قوله : " فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر". (١)

٣٧٢-"ص -٣٩٠- فصل :وجاء في أولياء الله الذين هم المتقون نوع من هذا : فروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه " .فأول ما في الحديث قوله : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة " فجعل معاداة عبده الولي معاداة له، فعين عدوه عين عدو عبده، وعين معاداة وليه عين معاداته، ليسا هما شيئين متميزين، ولكن ليس الله هو عين عبده، ولا جهة عداوة عبده عين جهة عداوة نفسه، وإنما اتفقا في النوع .ثم قال : " فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله " وفي رواية في غير الصحيح : " فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي " فقوله :". (٢)

٣٧٣-"ص -٣٩٤- فصل :فهذان المعنيان صحيحان ثابتان، بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان .أما الأول وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة : فهذا فرض على كل أحد ولابد لكل مؤمن منه، فإن أدى واجبه فهو مقتصد، وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه، وإن تركه كله فهو كافر بربه .وأما الثاني وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه، ويرضاه ويسخطه : فهذا على الإطلاق إنما هو للسابقين المقربين، الذين تقربوا إلى الله بالنوافل، التي يحبها ولم يفرضها، بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها .ولهذا كان هؤلاء لما أتوا بمحبوب الحق من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة المنتظمة للمعارف والأحوال والأعمال، أحبهم الله تعالى . فقال : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " . فعلوا محبوبه فأحبهم، فإن الجزاء من جنس العمل، مناسب له مناسبة المعلول لعلته .ولا يتوهم أن المراد بذلك : أن يأتي العبد بعين كل حركة يحبها الله، فإن هذا ممتنع . وإنما المقصود أن يأتي بما يقدر عليه من الأعمال الباطنة والظاهرة". (٣)

٣٧٤-"ص -٤٦٣- وبها ضلت النصارى، حيث اتبعوا المتشابه، كما ذكر الله عنهم في القرآن، لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم وناظروه في المسيح .وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي " ، فأخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه إذا تقرب إليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه .وقد غلط من زعم

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١١/٢٦
(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣٠/٢٦
(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣٤/٢٦

أن هذا قرب النوافل، وأن قرب الفرائض أن يكون هو إياه، فإن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل، فهذه المعاني وما يشبهها هي أصول مذهب أهل الطريقة الإسلامية، أتباع الأنبياء والمرسلين .وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية، وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى حال هؤلاء، ولم يكن القصد به والله واحدا بعينه، وإنما الشيخ هو مجمع المؤمنين، فعلنا أن نعينه في الدين والدنيا، بما هو اللائق به، وأما هؤلاء الاتحادية فقد أرسل إلي الداعي من طلب كشف حقيقة أمرهم .". (١)

٣٧٥-"ص -٤١٧- بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " .فقد ذكر في هذا الحديث أن التقرب إلى الله تعالى على درجتين : إحداهما : التقرب إليه بالفرائض . والثانية : هي التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض .فالأولى درجة المقتصدين الأبرار أصحاب اليمين . والثانية درجة السابقين المؤمنين، كما قال الله تعالى : ﴿إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ [المطففين : ٢٢٢٦] .قال ابن عباس رضي الله عنهما : يمزج لأصحاب اليمين مزجا، ويشربه المقربون صرفا .وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه، فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله، فهو من أولياء الله .". (٢)

٣٧٦-"ص -٥١١- والمخالفة . وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه " .". (٣)

٣٧٧-"ص -٥- "العقيدة"شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرانيوقال شيخ الإسلام : أحمد بن تيمية قدس الله روحهفصل :[تقرب العبد إلى الله] - في مثل قوله : ﴿ واسجد واقترب ﴾ وقوله : ﴿ اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ﴾ وقوله : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ﴾ الاسراء : ٥٧] وقوله : ﴿ فأما إن كان من المقربين ﴾ [الواقعة : ٨٨] . وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه : " من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٣/٢٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٥٧/٤٥

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٩٨/٨٠

" الحديث . وقوله : " ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " الحديث . وكذلك [القربان] كقوله : ﴿ إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ﴾ [المائدة : ٢٧] . وقوله : ﴿ حتى يأتينا بقربان تأكله النار ﴾ [آل عمران : ١٨٣] . ونحو ذلك - لا ريب أنه بعلوم وأعمال يفعلها العبد وفي ذلك حركة منه وانتقال من حال إلى حال .". (١)

٣٧٨-"ص -٢٣٥- فعل يفعله الرب، كما قال ذلك الأوزاعي، وحماد بن زيد، والفضيل بن عياض،وأحمد بن حنبل، وغيرهم .وأيضا، فقد قال صلى الله عليه وسلم : " لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن، من صاحب القينة إلى قينته " ، وفي الحديث الصحيح الآخر : " ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن، يجهر به " [أذن يأذن أذنا : أي : استمع يستمع استماعا] ، ﴿ وأذنت لربها وحقت ﴾ [الانشقاق : ٢] . فأخبر أنه يستمع إلى هذا، وهذا .وفي الصحيح : " لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها " ، فأخبر أنه لا يزال يتقرب بالنوافل بعد الفرائض .وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى قال : " قال الله : أنا عند ظني عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم " وحرف [إن] حرف الشرط، والجزاء يكون بعد الشرط، فهذا يبين أنه يذكر العبد إن ذكره في نفسه، وإن ذكره في ملأ ذكره في ملأ خير منهم . والمنازع يقول : ما زال يذكره أزلا وأبدا، ثم يقول : ذكره، وذكر غيره، وسائر ما يتكلم الله به هو شيء واحد، لا يتبعض ولا يتعدد، فحقيقة قوله : إن الله لم يتكلم ولا يتكلم، ولا يذكر أحدا .". (٢)

٣٧٩-"ص -٤٨٤- يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها؛ فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي،ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه " [العرصة : البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء . انظر : المصباح المنير، مادة : عرص] .فبين سبحانه أن العبد إذا تقرب إليه بمحابه من النوافل بعد الفرائض أحبه الرب كما وصف، وهذا ما احتملته هذه الأوراق من الجواب . والحمد لله رب العالمين .". (٣)

٣٨٠-"ص -٤٤٢- وأصحابه، ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم . وأما أكثر الناس فيقولون : بل هو إذا كان كافرا فهو عدو لله، ثم إذا آمن واتقى صار وليا لله، قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم ﴾ إلى قوله : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ١ : ٧] وكذلك كان، فإن هؤلاء أهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢/٨٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٠/٩٣

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٦/١٠٢

الفتح، آمن أكثرهم، وصاروا من أولياء الله ورسوله، وابن كلاب وأتباعه بنوا ذلك على أن الولاية صفة قديمة لذات الله، وهي الإرادة والمحبة والرضا ونحو ذلك . فمعناها : إرادة إثابته بعد الموت، وهذا المعنى تابع لعلم الله، فمن علم أنه يموت مؤمنا، لم يزل وليا لله، لأنه لم يزل الله مريدا لإدخاله الجنة، وكذلك العداوة .وأما الجمهور فيقولون : الولاية والعداوة وإن تضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه، فهو سبحانه يرضى عن الإنسان ويحبه، بعد أن يؤمن ويعمل صالحا، وإنما يسخط عليه ويغضب، بعد أن يكفر، كما قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ [محمد : ٢٨] ، فأخبر أن الأعمال أسخطته، وكذلك قال : ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ [الزخرف : ٥٥] قال المفسرون : أغضبونا، وكذلك قال الله تعالى : ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾ [الزمر : ٧] ، وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : يقول الله تعالى : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي". [١]

٣٨١-"ص -٤٩٢- يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل، ومعلوم أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب، وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب، كما عليه أن يحتمى من السموم القاتلة، وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية . والله عليم حكيم رحيم، أمرهم بما يصلحهم، ونهاهم عما يفسدهم، ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته، بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم؛ ولهذا قيل : إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله، ولا يجرئهم على معاصى الله؛ ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب، قال بعضهم لشيخه : إني أذنب . قال : تب، قال : ثم أعود، قال : تب، قال : ثم أعود، قال : تب، قال : إلى متى ! قال : إلى أن تحزن الشيطان . وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله يحب العبد المفتن التواب " .وأيضا، فإن من نام عن صلاة، أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها، تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب، ويستوجب بذلك المدح والثواب، وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك، ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات، ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا، فلا يكون تطوعا والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله، كما قال تعالى في الحديث الصحيح : " ما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** " ، الحديث .". [٢]

٣٨٢-"ص -١٤٣- جعل طاعة الله وسيلة إليه، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة نادي مناد : يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون : ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه، وهو الزيادة) .فأخبر أن النظر إليه أحب إليهم من كل ما يتنعمون به، ومحبة النظر إليه تبع لمحبته، فإنما أحبوا النظر إليه لمحبتهم إياه، وما من مؤمن إلا ويجد في قلبه محبة الله، وطمأنينة بذكره وتنعما بمعرفته، ولذة وسرورا بذكره ومناجاته،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٤٩١/١١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣٨/١١٣

وذلك يقوي ويضعف، ويزيد وينقص بحسب إيمان الخلق، فكل من كان إيمانه أكمل كان تنعمه بهذا أكمل؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره : (حبب إلى من دنياكم النساء والطيب ثم قال وجعلت قرة عيني في الصلاة) ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول : (أرحنا بالصلاة يا بلال) . وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .والمقصود هنا أن عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم سبحانه وتعالى وحبهم له بحسب فعلهم لما يحبه، كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالي : من عادي لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر". (١)

٣٨٣-"ص -٣٣٨- والفناء في هذا هو الفناء المأمور به، الذي جاءت به الرسل، وهو أن يفني بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه، فيكون مع الحق بلا خلق، كما قال الشيخ عبد القادر : كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس .وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله، يوجب أن تكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله، ودين الله ما أمر به، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته، فقال : ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله : ﴿يحببكم الله ﴾ وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله، ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله، وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه " .". (٢)

٣٨٤-"ص -٧- وخاص وهم : السابقون، وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين .وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : "يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه " .وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان، فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره، إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب، والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٧٢/١٢٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣٧/١٣٣

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان .". (١)

٣٨٥-"ص -٥٨- فإن المحبة مستلزمة للجهاد؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك . وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال : "لعلك أغضبتهم لإن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك " . فقال لهم : يا إخوتي، هل أغضبتكم قالوا : لا، يغفر الله لك يا أبا بكر وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا : ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم؛ لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله؛ لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله، والمعاداة لأعداء الله ورسوله .ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروي عن ربه : "لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولابد له منه " فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده". (٢)

٣٨٦-"ص -٢١٢- يتبعوا ما أحبه، بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، والله يبغض الكافرين ويمقتهم، ويلعنهم، وهو سبحانه يحب من يحبه، لا يمكن أن يكون العبد محبا لله، والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له، وإن كان جزاء الله لعبده أعظم، كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال : "من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة " .وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين، والمحسنين والصابرين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب، كما في الحديث الصحيح : "لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به " الحديث .وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى، من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته، وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله، بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصوما، فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا، كما جعل النصارى قسيسيهم ، ورهبانهم شارعين". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٥/١٥٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٦٣/١٥٥

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٧١/١٥٨

٣٨٧-"ص -٣٠٥- كان الأمر أنقص، فإن الجزاء من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد .وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه " . ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودة، وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وودهم .وقد قال تعالى : ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ٧] ، نزلت في المشركين الذين عادوا الله ورسوله مثل [أهل الأحزاب] كأبي سفيان بن حرب، وأبي سفيان بن الحارث، والحارث بن هشام، وسهيل ابن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وغيرهم . فإنهم بعد معاداتهم لله ورسوله". (١)

٣٨٨-"ص -٣٤١- الظاهرة، وقال فيهم بعض العلماء : هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وترك أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب .ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك، وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق، كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله : "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه . فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش وبي يمشي " وفي رواية : " وبي ينطق، وبي يعقل " . فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه .وعامة ما تجده في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا، مع أنه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع .وفي الجملة، فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية، وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين؛ ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال؛ لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود . وهو وصف نقص لا وصف كمال، وإنما يمدح من جهة". (٢)

٣٨٩-"ص -٣٨٩- إليه " ، ثم قرأ : ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ .وقد ذكر الله تعالي في سورة الأنعام، والأعراف، وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى كالبحيرة، والسائبة ؛ واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم، وشرعوا دينا لم يأذن به الله، فقال تعالى : ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ [الشورى : ٢١] ، ومنه أشياء هي محرمة جعلوها عبادات، كالشرك والفواحش، مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك .والكلام في الحلال والحرام له مواضع أخر .والمقصود هنا العبادات فنقول :العبادات التي يتقرب بها

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٧١/١٥٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٦/١٦٠

إلى الله تعالى منها ما كان محبوبا لله ورسوله مرضيا لله ورسوله، إما واجب وإما مستحب، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : "ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها،". (١)

٣٩٠-"ص -٤٣٣- والتقوى أن يعمل الرجل بطاعة الله، على نور من الله، يرجو رحمة الله، وأن يترك معصية الله، على نور من الله، يخاف عذاب الله، ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء فرائضه، ثم بأداء نوافله . قال تعالى : "وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** "كما جاء في الحديث الصحيح الإلهي الذي رواه البخاري .فصلومن أحب الأعمال إلى الله، وأعظم الفرائض عنده : الصلوات الخمس في مواقيتها، وهي أول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة، وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج لم يجعل فيها بينه وبين محمد واسطة، وهي عمود الإسلام الذي لا يقوم إلا به، وهي أهم أمر الدين، كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله : إن أهم أمركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة .وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة " وقال : "العهد الذي بيننا وبينهم". (٢)

٣٩١-"ص -٤٦٠- وأما ما هو مأمور ببغضه ودفعه، فمثل ما إذا أظهر الكفر والفسوق والعصيان، فهو مأمور ببغض ذلك ودفعه، وإنكاره بحسب الإمكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان " .وأما ما لا يؤمر العبد فيه بواحد منهما، فمثل ما يظهر له من فعل الإنسان للمباحات التي لم يتبين له أنه يستعان بها على طاعة ولا معصية . فهذه لا يؤمر بحبها، ولا ببغضها، وكذلك مباحات نفسه المحضة التي لم يقصد الاستعانة بها على طاعة ولا معصية .مع أن هذا نقص منه، فإن الذي ينبغي أنه لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة، ويقصد الاستعانة بها على الطاعة، فهذا سبيل المقربين السابقين الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، ولم يزل أحدهم يتقرب إليه بذلك حتى أحبه، فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وأما من فعل المباحات مع الغفلة، أو فعل فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة مع أداء الفرائض واجتناب المحارم باطنا وظاهرا، فهذا من المقتصدين أصحاب اليمين .". (٣)

٣٩٢-"ص -٤٧٤- صادقة . وقد ثبت في الصحيح قول الله تعالى : "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣/١٦٢

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٥/١٦٤

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٧/١٦٥

يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي " .وأيضا فالله سبحانه وتعالى فطر عباده على الحنيفية : وهو حب المعروف، وبغض المنكر، فإذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مفطورة على الحق، فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان، منورة بنور القرآن، وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة، ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين، كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله، وذلك أن الله علم القرآن والإيمان . قال الله تعالى : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾ الآية ثم قال : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ [الشورى : ٥١، ٥٢] ، وقال جندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر : تعلمنا الإيمان، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيمانا .وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة " ، وفي الترمذي وغيره حديث النواس عن النبي صلى الله عليه وسلم". (١)

٣٩٣-"ص -٦٨٢- أوامره واجتناب نواهيه لا سيما إذا قام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه، كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله، كما قال في الحديث الصحيح الذي في البخاري : "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته " الحديث . وذلك أن الرضا نوعان :أحدهما : الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه . ويتناول ما أباحه الله من غيرتعد إلى المحظور، كما قال : ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة : ٦٢] ، وقال تعالى : ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون ﴾ [التوبة : ٥٩] وهذا الرضا واجب؛ ولهذا ذم من تركه بقوله : ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون . ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ﴾ [التوبة : ٥٨، ٥٩] .والنوع الثاني : الرضا بالمصائب، كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء . وليس بواجب، وقد قيل : إنه واجب، والصحيح أن الواجب هو الصبر . كما قال الحسن : الرضا غريزة، ولكن الصبر معول المؤمن . وقد روى في حديث ابن عباس". (٢)

٣٩٤-"ص -٧٥٥- في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يقول الله : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه " . فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل، بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض، أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه، وصار أحدهم يدرك بالله، ويتحرك بالله، بحيث إن الله يجيب مسألته، ويعيذه مما استعاذ منه .وقد ذم في كتابه من أحب أندادا من دونه، قال تعالى : ﴿وأشربوا

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢١/١٦٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٦/١٧٣

في قلوبهم العجل بكفرهم ﴾ [البقرة : ٩٣] ، وذم من اتخذ إلهه هواه وهو أن يتأله ما يهواه ويحبه، وهذا قد يكون فعل القلب فقط، وقد مدح تعالى وذم في كتابه في غير موضع على المحبة والإرادة والبغض والسخط والفرح والغم، ونحو ذلك من أفعال القلوب كقوله : ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [البقرة : ١٦٥] ، وقوله : ﴿كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة ﴾ [القيامة : ٢٠، ٢١] ،". (١)

٣٩٥-"ص -٢٣- وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه " . وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين، أصحاب اليمين والمقربين السابقين .فالصنف الأول : الذين تقربوا إلى الله بالفرائض . والصنف الثاني : الذي تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم، كما قال تعالى .وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال : ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ [فاطر : ٣٢] وكما قال الله تعالى : ﴿إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾ [المطففين : ٢٢-٢٨] قال ابن عباس : يشرب". (٢)

٣٩٦-"ص -٦١- فصلوأولياء الله هم ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس : ٦٣] كما ذكر الله تعالى في كتابه . وهم " قسمان " : المقتصدون أصحاب اليمين . والمقربون السابقون .فولي الله ضد عدو الله، قال الله تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس : ٦٢، ٦٣] ، وقال تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين ﴾ إلى قوله : ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ [المائدة : ٥٥، ٥٦] ، وقال تعالى : ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ [الممتحنة : ١] ، وقال : ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ﴾ [فصلت : ١٩] وقال : ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾ [الكهف : ٥٠] .وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣٧/١٧٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٠/١٧٦

بها . فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " .". (١)

٣٩٧-"ص -٧٥- عقل الإنسان لا يتخذه هو ولا غيره عقيدة، ولا حكم له، بل القلم مرفوع عن النائم والمجنون والمغمى عليه والسكران الذي سكر بغير سبب محرم؛ مثل من يسقى الخمر وهو لا يعرفها أو أوجرها حتى سكر أو أطعم البنج وهو لا يعرفه، فكذلك .وقد يشاهد كثير من المؤمنين من جلال الله وعظمته وجماله أمورا عظيمة، تصادف قلوبا رقيقة، فتحدث غشيا وإغماء . ومنها ما يوجب الموت . ومنها ما يخل العقل . وإن كان الكاملون منهم لا يعتريهم هذا كما لا يعتري الناقصين عنهم؛ لكن يعتريهم عند قوة الوارد على قلوبهم، وضعف المحل المورود عليه، فمن اغتر بما يقولونه أو يفعلونه في تلك الحال كان ضالا مضلا .وإنما [الأحوال الصحيحة] مثل ما دل عليه ما رواه البخاري في صحيحه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها . فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وماترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن". (٢)

٣٩٨-"ص -١٦٠- عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، فبى يسمع، وبى يبصر، وبى يبطش، وبى يمشى . ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذ بى لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " وهذا أصح حديث يروى في الأولياء، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة .وفي حديث آخر : " وإنى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث الحرب " أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره، وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى، وأعطوا لمن يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع، كما في الترمذى وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أوثق عرى الإيمان : الحب في الله والبغض في الله " وفي حديث آخر رواه أبو داود قال : " ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان " .و [الولاية] ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل". (٣)

٣٩٩-"ص -١٧٩- صلى الله عليه وسلم : " الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " قال الترمذى : حديث صحيح .وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن : " يقول الله تعالى : أنا الرحمن خلقت الرحم، وشققت لها اسما من اسمى، فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته " ، وقال : " ومن وصلها وصله الله، ومن قطعها

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٧/١٧٨

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٥/١٧٩

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٨/١٨٥

قطعه الله " ومثل هذا كثير .وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين كما تقدم . وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال : " يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها " .فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات .وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا". [1]

٤٠٠-"ص -١٨٠- الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما، كما قال تعالى : " ولا يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** " يعني الحب المطلق، كقوله تعالى : ﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٦، ٧] أي أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى : ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾ [النساء : ٦٩] . فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات، يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما علموا له صرفا، والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم، فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفا، بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا .ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول، ونبي ملك، وقد خير الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبدا رسولا، وبين أن يكون نبيا ملكا، فاختار أن يكون عبدا رسولا، فالنبي الملك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام، قال الله تعالى في قصة سليمان الذي ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ [ص : ٣٥ ٣٩]". [2]

٤٠١-"ص -١٩٠- وقال تعالى : ﴿أجعلتم سقأية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم ﴾ [التوبة : ١٩ ٢٢] ، وقال تعالى : ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [الزمر : ٩] ، وقال تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ [المجادلة : ١١] .فصلوإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا لقوله تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٩/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣٠/١٨٥

يتقون ﴾ [يونس : ٦٢، ٦٣] وفي صحيح البخارى الحديث المشهور وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه : " ولا يزال عبدى يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه** " ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار". [١]

٤٠٢-"ص -٢١٧-وإن كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية، فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره، كما قال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ [الحديد : ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا ﴾ [الشورى :٥٢] فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذى عن أبي سعيد الخدرى عن النبي صلى الله علية وسلم قال " اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله " ، قال الترمذى حديث حسن .وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخارى وغيره قال فيه : " لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددى في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه " .فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف، وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء، وكما يفرق من يعرف". [٢]

٤٠٣-"ص -٣٣٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " ثم قرأ قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥] رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد .وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه " فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه، وفيه أن محبوبه به يعلم سمعا وبصرا، وبه يعمل بطشا وسعيا، وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع، ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار، وهذا باب واسع .وأما الخوارق فقد تكون، مع الدين، وقد تكون مع عدمه أو فساده أو نقصه .". [٣]

٤٠٤-"ص -٣٣٢- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " ثم قرأ قوله تعالى : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥] رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد .وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٨٥/٤٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٨٥/٦٩

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٨٥/١٩٢

افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه " فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه، وفيه أن محبوبه به يعلم سمعا وبصرا، وبه يعمل بطشا وسعيا، وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع، ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار، وهذا باب واسع .وأما الخوارق فقد تكون، مع الدين، وقد تكون مع عدمه أو فساده أو نقصه .". (١)

٤٠٥-"ص -٣٨١- وسئل :أيما أولى : معالجة ما يكره الله من قلبك مثل : الحسد والحقد والغل والكبر والرياء والسمعة ورؤية الأعمال وقسوة القلب، وغير ذلك، مما يختص بالقلب من درنه، وخبثه أو الاشتغال بالأعمال الظاهرة : من الصلاة والصيام وأنواع القربات : من النوافل والمنذورات مع وجود تلك الأمور في قلبه أفتونا مأجورين .فأجاب رحمه الله :الحمد لله . من ذلك ما هو عليه واجب : وأن للأوجب فضل وزيادة . كما قال تعالى فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم : " ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه " . ثم قال : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب، فإن القلب ملك، والأعضاء جنوده . فإذا خبث الملك خبثت جنوده، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله " وكذلك أعمال القلب لابد أن تؤثر في عمل الجسد . وإذا كان المقدم هو الأوجب، سواء سمي". (٢)

٤٠٦-"ص -٥١٦- الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " .فهذا المؤمن الذي تقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض أحبه الله لأنه فعل ما أحبه الله، والجزاء من جنس العمل . قال الله تعالى : ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ [المائدة : ١١٩] ، وفي الحقيقة فالعبد الذي يرضى الله لرضاه، ويغضب لغضبه، هو يرضى لرضا الله، ويغضب لغضب الله وليكن هذان مثالان : فمن أحب ما أحب الله، وأبغض ما أبغض الله، ورضى ما رضى الله لما يرضى الله، ويغضب لما يغضب، لكن هذا لا يكون للبشر على سبيل الدوام، بل لابد لأكمل الخلق أن يغضب أحيانا غضب البشر، ويرضى رضا البشر .ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : " اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر، فأيما مسلم سببته أو لعنته وليس لذلك بأهل فاجعل ذلك له صلاة وزكاة وقربة تقربه إليك يوم القيامة " ،". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٢/١٨٦

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٠/١٨٨

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٥/١٩٥

٤٠٧-"ص -٥٤٩- فإنه لو كان من ترك الإحسان الذى لا يجب عليه يحسب خارجا عن الطريق خرج عنه جمهور أهله .و [أولياء الله] على صنفين : مقربين سابقين، وأصحاب يمين مقتصدين . كما روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة .وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، فبى يسمع، وبى يبصر، وبى يبطش، وبى يمشى، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " .ثم أكثر هؤلاء الذين يذمون تارك العفو إنما يذمونه لأهوائهم لكون الظالم صديق أحدهم أو وريثه، أو قرينه ونحو ذلك .والله سبحانه أوجب على عباده العدل فى الصلح، كما أو جبه فى الحكم . فقال تعالى : ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [الحجرات : ٩] . وقيد الإصلاح الذى يثيب عليه بالإخلاص، فقال". (١)

٤٠٨-"ص -٦٦٥- يتخذون ذلك قربة ودينا تتحرك به قلوبهم، ويحصل لهم عنده من الوجل والصياح ما تنزل معه الشياطين، كما يدخل الشيطان في بدن المصروع، ولهذا يزبد أحدهم كإزباد المصروع، ويصيح كصياحه وذلك صياح الشياطين على ألسنتهم، ولهذا لا يدري أحد ما جرى منه حتى يفيق،ويتكلم الشيطان على لسان أحدهم بكلام لا يعرفه الإنسان، ويدخل أحدهم النار، وقد لبسه الشيطان ويحصل ذلك لقوم من النصارى بالمغرب، وغيرهم . تلبسهم الشياطين، فيحصل لهم مثل ذلك .فهؤلاء المبتدعون المخالفون للكتاب والسنة أحوالهم ليست من كرامات الصالحين، فإن كرامات الصالحين إنما تكون لأولياء الله المتقين، الذين قال الله فيهم : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾ [يونس : ٦٢، ٦٣] ، وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض التي فرضها عليهم، ثم بالنوافل التي ندبهم إليها، كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن،". (٢)

٤٠٩-"ص -٦٩- قال : " اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله " ، ثم قرأ قوله : ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ [الحجر : ٧٥] ، وقال بعض الصحابة : أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها " وفي رواية : " فبي يسمع، وبي يبصر،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٩/١٩٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٤/٢٠١

وبي يبطش، وبي يمشي " ، فقد أخبر أنه يسمع بالحق ويبصر به .وكانوا يقولون : إن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه . وقال صلى الله عليه وسلم : " من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده " ، وقال الله تعالى : ﴿نور على نور ﴾ [النور : ٣٥] ، نور الإيمان مع نور القرآن، وقال تعالى : ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ [هود : ١٧] ، وهو المؤمن على بينة من ربه، ويتبعه شاهد من الله، وهو القرآن، شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الإيمان، وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما تكلموا في وجوب النظر وتحصيله للعلم، فقيل لهم : أهل التصفية والرياضة والعبادة والتأله تحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون النظر، كما قال الشيخ الملقب بالكبيري للرازي ورفيقه، وقد قالا له : يا شيخ، بلغنا أنك تعلم علم اليقين . فقال : نعم ! فقالا : كيف تعلم ونحن نتناظر". (١)

٤١٠-"ص -١٣٣- الدعاء، فهذا أمر مطلق .وقد تحرم الصلاة في أوقات، فتكون القراءة أفضل منها في ذلك الوقت . والتسبيح في الركوع والسجود هو المأمور به، والقراءة منهي عنها، ونظائر هذا كثيرة . فهكذا يعلم الأمر في فضل ﴿قل هو الله أحد ﴾ وغيرها، فقراءة الفاتحة في أول الصلاة أفضل من قراءتها، بل هو الواجب، والاجتزاء بها وحدها لايمكن، بل تبطل معه الصلاة؛ ولهذا وجب التقرب بالفرائض، قبل النوافل، والتقرب بالنوافل إنما يكون تقربا إذا فعلت الفرائض لا كما ظنه بعض الاتحادية كصاحب [الفتوحات المكية] ونحوه، من أن قرب الفرائض تكون بعد قرب النوافل ! والنوافل تجعل الحق غطاءه، وتلك تجعل الحق عينه، فهذا بناء على أصله الفاسد من الاتحاد، كما بين .وبين أن الحديث يناقض مذهبه من وجوه، كما رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم : " يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه،". (٢)

٤١١-"ص -١١٩- وأما في الاستحباب فهو أبلغ؛ فإن كل تنوع يقع في الوجوب فإنه يقع مثله في المستحب، ويزداد المستحب بأن كل شخص إنما يستحب له من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى التي يقول الله فيها : " وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**" ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به، والأفضل له من الأعمال ما كان أنفع له، وهذا يتنوع تنوعا عظيما، فأكثر الخلق يكون المستحب له ما ليس هو الأفضل مطلقا؛ إذ أكثرهم لا يقدرون على الأفضل، ولا يصبرون عليه إذا قدروا عليه، وقد لا ينتفعون به، بل قد يتضررون إذا طلبوه، مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق إذا طلب ذلك، فإنه قد يفسد عقله ودينه، أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغني، أو لا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها .ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل : " إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغني ولو أفقرته لأفسده

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٧١/٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٣٣/٢٣٨

ذلك " ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما سأله الإمارة : " يا أبا ذر، إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم " . وروي عنه أنه قال للعباس عمه : " نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها " ؛ ولهذا إذا قلنا : هذا العمل أفضل، فهذا قول مطلق .". (١)

٤١٢-"ص -٢٠٩- واستفهم استفهام إنكار وجحود لطرق الإدراك التام وهو السمع والبصر . والعمل التام وهو اليد والرجل، كما أنه سبحانه لما أخبر فيما روى عنه رسوله عن أحبابه المتقربين إليه بالنوافل فقال : " ولا يزال عبدى يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها " .فصلوأهل السنة والجماعة المتبعون لإبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله، ومحبته، ورحمته، وسائر ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى .وينزهونه عن مشابهة الأجساد التي لا حياة فيها، فإن الله قال : ﴿وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب ﴾ [ص : ٣٤] ، وقال : ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام ﴾ [الأنبياء : ٨] . وقال : ﴿عجلا جسدا له خوار ﴾ [طه : ٨٨] ، فوصف الجسد بعدم الحياة، فإن الموتان لا يسمع، ولا يبصر، ولا ينطق، ولا يغني شيئا .وأما أهل البدع والضلالة من الجهمية ونحوهم فإنهم سلكوا". (٢)

٤١٣-"ص -١٣٠- عن الظنون الباطلة؛ والاعتقادات الفاسدة، ولكن المتردد منا، وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور، لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا . فإن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، ثم هذا باطل؛ فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة، ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه، كما قيل :الشيب كره وكره أن أفارقه فأعجب لشيء على البغضاء محبوبهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي الصحيح : " حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره " وقال تعالى : ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ الآية [البقرة : ٢١٦]ومن هذا الباب، يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث، فإنه قال : " لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق، محبا له، يتقرب إليه أولا بالفرائض، وهو". (٣)

٤١٤-"وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : (يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٨/٢٤٧

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٣٠/٢٥٠

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٠/٢٥٤

وأكره مساءته ولابد له منه) .وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان، فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره، إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب، والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان .وأما القائلون بالتخليد، كالخوارج والمعتزلة القائلين : إنه لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة، وأنه لا شفاعة للرسول ولا لغيره في أهل الكبائر، لا قبل دخول النار ولا بعده، فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب وعقاب، وحسنات وسيئات، بل من أثيب لا يعاقب، ومن عوقب لم يثب . ودلائل هذا الأصل من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة كثير ليس هذا موضعه، وقد بسطناه في مواضعه .". (١)

٤١٥-"وإذا اعترف الظالم بظلمه، وطلب من المظلوم أن يعفو عنه، ويستغفر الله له، فهذا حسن مشروع . كما ثبت فى الصحيح عن أبى الدرداء : أنه كان بين أبى بكر وعمر كلام، وإن أبا بكر طلب من عمر أن يستغفر له فأبى عمر، ثم ندم . فطلب أبا بكر فوجده قد سبقه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر له ذلك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (يغفر الله لك يا أبا بكر) ، ثم قال : (أيها الناس، إنى قد جئت إليكم فقلت : إنى رسول الله، فقلتم : كذبت، وقال أبو بكر : صدقت، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى) .وإذا طلب من المظلوم العفو بعد اعتراف الظالم فأجاب، كان من المحسنين الذين أجرهم على الله، وإن أبى إلا طلب حقه لم يكن ظالما . لكن يكون قد ترك الأفضل الأحسن، فليس لأحد أن يخرجه عن أهل الطريق بمجرد ذلك، كما قد يفعله كثير من الناس . قال الله تعالى : ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ﴾ [الشورى : ٤١، ٤٢] فإنه لو كان من ترك الإحسان الذى لا يجب عليه يحسب خارجا عن الطريق خرج عنه جمهور أهله .و [أولياء الله] على صنفين : مقربين سابقين، وأصحاب يمين مقتصدين . كما روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى : من عادى لى وليا فقد بارزني بالمحاربة .وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، فبى يسمع، وبى يبصر، وبى يبطش، وبى يمشى، ولئن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه) .". (٢)

٤١٦-"وأولياء الله ـ الذين هم أولياؤه ـ هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، فقد أخبر ـ سبحانه ـ أن أولياءه هم المؤمنون المتقون، وقد بين المتقين في قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملآئكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك

(١) مفهوم الشكر عند ابن تيمية رحمه الله ٣١٢/١

(٢) مفهوم الشكر عند ابن تيمية رحمه الله ٤٣٢/١

هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، والتقوى هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهي الله عنه .وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن حال أولياء الله، وما صاروا به أولياء، ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه) .فقد ذكر في هذا الحديث أن التقرب إلى الله تعالى على درجتين : إحداهما : التقرب إليه بالفرائض . والثانية : هي التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض .". (١)

٤١٧-"وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله، يوجب أن تكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله، ودين الله ما أمر به، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته، فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله : ﴿ يحببكم الله ﴾ وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله، ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله، وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه) ./فهذا محبوب الحق، ومن اتبع الرسول فهو محبوب الحق وهو المتقرب إلى الله بما دعا إليه الرسول من فرض ونفل، ومعلوم أن من كان هكذا فهو يحب طاعة الله ورسوله، ويبغض معصية الله ورسوله، فإن الفرائض والنوافل كلها من العبادات التي يحبها الله ورسوله، ليس فيها كفر ولا فسوق، والرب تعالى أحبه لما قام بمحبوب الحق، فإن الجزاء من جنس العمل، فلما لم يزل متقربا إلى الحق بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الحق فإنه استفرغ وسعه في محبوب الحق، فصار الحق يحبه المحبة التامة التي لا يصل إليها من هو دونه في التقرب إلى الحق بمحبوباته، حتى صار يعلم بالحق ويعمل بالحق، فصار به يسمع وبه يبصر وبه يبطش وبه يمشي .". (٢)

٤١٨-"وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال : (يقول الله : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت

---

(١) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله ١٥٧/١

(٢) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله ٤٥٠/١

وأكره مساءته ولابد له منه) .وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان، فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره، إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب، والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون : إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان .وأما القائلون بالتخليد، كالخوارج والمعتزلة القائلين : إنه لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة، وأنه لا شفاعة للرسول ولا لغيره في أهل الكبائر، لا قبل دخول النار ولا بعده، فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب وعقاب، وحسنات وسيئات، بل من أثيب لا يعاقب، ومن عوقب لم يثب . ودلائل هذا الأصل من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة كثير ليس هذا موضعه، وقد بسطناه في مواضعه .". (١)

٤١٩-"/فإن المحبة مستلزمة للجهاد؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك . وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال : (لعلك أغضبتهم لإن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) . فقال لهم : يا إخوتي، هل أغضبتكم قالوا : لا، يغفر الله لك يا أبا بكر وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا : ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم؛ لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله؛ لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله، والمعاداة لأعداء الله ورسوله .ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروي عن ربه : (لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولابد له منه) فبين ـ سبحانه ـ أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو ـ سبحانه ـ يحب ما يحب عبده / ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال : (وأنا أكره مساءته) ، وهو ـ سبحانه ـ قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت . فسمى ذلك ترددا، ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك .". (٢)

٤٢٠-"/وأما ما هو مأمور ببغضه ودفعه، فمثل ما إذا أظهر الكفر والفسوق والعصيان، فهو مأمور ببغض ذلك ودفعه، وإنكاره بحسب الإمكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) .وأما ما لا يؤمر العبد فيه بواحد منهما، فمثل ما يظهر له من فعل الإنسان للمباحات التي لم يتبين له أنه يستعان بها على طاعة ولا معصية . فهذه لا يؤمر بحبها، ولا ببغضها، وكذلك مباحات نفسه المحضة التي لم يقصد الاستعانة بها على طاعة ولا معصية .مع أن هذا نقص منه، فإن

(١) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله ٤٨٠/١

(٢) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله ٣٣/٢

الذي ينبغي أنه لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة، ويقصد الاستعانة بها على الطاعة، فهذا سبيل المقربين السابقين الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض، ولم يزل أحدهم يتقرب إليه بذلك حتى أحبه، فكان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وأما من فعل المباحات مع الغفلة، أو فعل فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة مع أداء الفرائض واجتناب المحارم باطنا وظاهرا، فهذا من المقتصدين أصحاب اليمين ./وبالجملة الأفعال التي يمكن دخولها تحت الأمر والنهي لا تكون مستوية من كل وجه، بل إن فعلت على الوجه المحبوب كان وجودها خيرا للعبد، وإلا كان تركها خيرا له وإن لم يعاقب عليها، ففضول المباح التي لا تعين على الطاعة عدمها خير من وجودها، إذا كان مع عدمها يشتغل بطاعة الله، فإنها تكون شاغلة له عن ذلك، وأما إذا قدر أنها تشغله عما دونها فهي خير له مما دونها، وإن شغلته عن معصية الله كانت رحمة في حقه، وإن كان اشتغاله بطاعة الله خيرا له من هذا وهذا .". (١)

٤٢١-"وكذلك ما ذكره من الآثار؛ فإنه قد ذكر آثارا حسنة بأسانيد حسنة مثل ما رواه عن الشيخ أبي سليمان الداراني أنه قال : إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض، فإن هذا رواه عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي بإسناده، والشيخ أبو عبد الرحمن كانت له عناية بجمع كلام هؤلاء المشائخ وحكاياتهم، وصنف في الأسماء كتاب [طبقات الصوفية] وكتاب [زهاد السلف] وغير ذلك، وصنف في الأبواب كتاب [مقامات الأولياء] وغير ذلك ومصنفاته تشتمل على الأقسام الثلاثة .وذكر عن الشيخ أبي عبد الرحمن أنه قال : سمعت النصر آبادي يقول : من أراد أن يبلغ محل الرضا فيلزم ماجعل الله رضاه فيه، فإن هذا الكلام في غاية الحسن، فإنه من لزم مايرضى الله من امتثال / أوامره واجتناب نواهيه لا سيما إذا قام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه، كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله، كما قال في الحديث الصحيح الذي في البخاري : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته) الحديث . وذلك أن الرضا نوعان :". (٢)

٤٢٢-"الحمد لله . من ذلك ما هو عليه واجب : وأن للأوجب فضل وزيادة . كما قال تعالى فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم : (ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه) . ثم قال : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**) والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب، فإن القلب ملك، والأعضاء جنوده . فإذا خبث الملك خبثت جنوده، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله) وكذلك أعمال القلب لابد أن تؤثر في عمل الجسد . وإذا كان المقدم هو الأوجب، سواء سمى /باطنا أو ظاهرا، فقد يكون ما يسمى باطنا أوجب مثل ترك الحسد والكبر فإنه أوجب عليه من نوافل الصيام، وقد يكون ما سمى ظاهرا أفضل : مثل قيام الليل، فإنه أفضل من مجرد ترك بعض الخواطر التي تخطر في القلب من جنس الغبطة ونحوها، وكل واحد من عمل الباطن والظاهر يعين الآخر، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتورث الخشوع،

---

(١) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله ١١٥/٢

(٢) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله ٢٠١/٢

ونحو ذلك من الآثار العظيمة : هي أفضل الأعمال والصدقة . والله أعلم ./ وسئل :هل قال النبي صلى الله عليه وسلم : (زدني فيك تحيرا) ، وقال بعض العارفين : أول المعرفة الحيرة، وآخرها الحيرة . قيل : من أين تقع الحيرة قيل : من معنيين :". (١)

٤٢٣-"وإن كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي . وهو أن يحب العبد ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه الله، ويرضى بما يرضى الله،ويغضب لما يغضب الله،ويأمر بما يأمر الله به،،وينهى عما ينهى الله عنه،ويوالي من يواليه الله،ويعادي من يعاديه الله، ويحب لله ويبغض لله، ويعطي لله ويمنع لله، بحيث يكون موافقا لربه تعالى . فهذا المعنى حق وهو حقيقة الإيمان وكماله،كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء / أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه) .وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة :منها : أنه قال : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه، وهؤلاء ثلاثة، ثم قال : (وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل، وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه، فإذا أحبه كان العبد يسمع به، ويبصر به، ويبطش به، ويمشي به .وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل، وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه، لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث، فالحديث مخصوص بحال مقيد، وهم يقولون بالإطلاق والتعميم، فأين هذا من هذا ". (٢)

٤٢٤-"وهذا فيه فضيلة من جهة إقبال القلب على الله، وفيه نقص من جهة عدم شهوده للأمر على ما هو عليه، فإنه إذا شهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه المعبود لا إله إلا هو، الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأمر بطاعته وطاعة رسله، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقا وأمرا .كان أتم معرفة وشهودا، وإيمانا وتحقيقا، من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر، وشهود التفرقة في الجمع، والكثرة في الوحدة، وهو الشهود الصحيح المطابق . لكن إذا كان قد ورد على الإنسان ما يعجز معه عن شهود هذا وهذا،كان معذورا للعجز، لا محمودا على النقص والجهل .والثالث : الفناء عن وجود السوى، وهو قول الملاحدة أهل الوحدة كصاحب الفصوص وأتباعه الذين يقولون : وجود الخالق هو وجود المخلوق، وما ثم غير ولا سوى في نفس الأمر .فهؤلاء قولهم أعظم كفرا من قول اليهود والنصارى وعباد الأصنام .وأيضا، فإن ولاية الله هي موافقته بالمحبة لما يحب، والبغض لما يبغض والرضا بما يرضي، والسخط بما يسخط، والأمر بما يأمر به، والنهي عما ينهى عنه، والموالاة لأولبائه، والمعاداة لأعدائه، كما في صحيح البخاري

---

(١) مفهوم الصبر عند ابن تيمية رحمه الله ٢/٢٩٣

(٢) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ١/٥٥

/ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يسعى، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه) ، فهذا أصح حديث روى في الأولياء .". (١)

٤٢٥-"فالملاحدة والاتحادية يحتجون به على قولهم، لقوله (كنت سمعه وبصره ويده ورجله) والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة :منها قوله : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) فأثبت معاديا محاربا ووليا غير المعادي، وأثبت لنفسه . سبحانه . هذا وهذا .ومنها قوله : (وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه) فأثبت عبدا متقربا إلى ربه، وربا افترض عليه فرائض .ومنها قوله : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**) فأثبت متقربا ومتقربا إليه، ومحبا ومحبوبا غيره . وهذا كله ينقض قولهم : الوجود واحد .ومنها قوله : (فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به) إلى آخره، فإنه جعل لعبده بعد محبته هذه الأمور، وهو عندهم قبل المحبة وبعدها واحد، وهو عندهم هذه الأعضاء : بطنه، وفرجه، وشعره، وكل شيء، لا تعدد عندهم، ولا كثرة في الوجود، ولكن يثبتون مراتب ومجالي ومظاهر، فإن جعلوها موجودة نقضوا قولهم .وإن جعلوها ثابتة في العدم .كما يقوله ابن عربي . أو جعلوها المعينات، والمطلق هو الحق، كانوا قد بنوا ذلك على قول من يقول : المعدوم شيء، وقول من جعل الكليات ثابتة في الخارج زائدة على المعينات .والأول : قول طائفة من المعتزلة، وهو قول ابن عربي .والثاني : قول طائفة من الفلاسفة، وهو قول القونوي صاحب ابن عربي، وكلا القولين باطلان عند العقلاء، ولهذا كان التلمساني أحذق منهما فلم يثبت شيئا وراء الوجود .كما قيل :وما البحر إلا الموج، لا شيء غيره ** وإن فرقته كثرة المتعددلكن هؤلاء الضلال من الفلاسفة والمعتزلة ما قالوا : وجود المخلوق هو وجود الخالق، وهؤلاء الملاحدة قالوا : هذا هو هذا، ولهذا صاروا يقولون بالحلول من وجه، لكون الوجود في كل الذوات، أو بالعكس، وبالاتحاد من وجه لاتحادهما، وحقيقة قولهم هي وحدة الوجود ./في الحديث وجوه أخرى تدل على فساد قولهم .". (٢)

٤٢٦-"ففسر ما تكلم به في هذا الحديث أنه جوع عبده ومحبوبه لقوله : (لوجدت ذلك عندي) ولم يقل : لوجدتني قد أكلته، ولقوله : (لوجدتني عنده) ، ولم يقل : لوجدتني إياه؛ وذلك لأن المحب يتفق هو ومحبوبه بحيث يرضي أحدهما بما يرضاه الآخر، ويأمر بما يأمر به، ويبغض ما يبغضه، ويكره ما يكرهه، وينهى عما ينهي عنه .وهؤلاء هم الذين يرضي الحق لرضاهم، ويغضب لغضبهم، والكامل المطلق في هؤلاء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم .ولهذا قال تعالى فيه : إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ [الفتح : ١٠] ، وقال : ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ [التوبة : ٦٢] ، وقال ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [النساء : ٨٠]وقد جاء في الإنجيل الذي بأيدي النصارى كلمات مجملة . إن صح أن المسيح قالها . فهذا معناها، كقوله : (أنا وأبي واحد . من رإني فقد رأى أبي) ونحو ذلك / وبها ضلت النصارى،

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ٦٦/١

(٢) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ٦٧/١

حيث اتبعوا المتشابه، كما ذكر الله عنهم في القرآن، لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله عليه وسلم وناظروه في المسيح .وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولايزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي) ، فأخبر في هذا الحديث أن الحق . سبحانه . إذا تقرب إليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه .". (١)

٤٢٧-"/والفناء في هذا هو الفناء المأمور به، الذي جاءت به الرسل، وهو أن يفني بعبادة الله عن عبادة ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه، وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه، فيكون مع الحق بلا خلق، كما قال الشيخ عبد القادر : كن مع الحق بلا خلق، ومع الخلق بلا نفس .وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله، يوجب أن تكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله، ودين الله ما أمر به، فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته، فقال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ [آل عمران : ٣١] وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله : ﴿ يحببكم الله ﴾ وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله، ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله، وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه) .". (٢)

٤٢٨-"/فإن المحبة مستلزمة للجهاد؛ لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك . وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال : (لعلك أغضبتهم لإن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) . فقال لهم : يا إخوتي، هل أغضبتكم قالوا : لا، يغفر الله لك يا أبا بكر وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا : ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر : أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم؛ لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله؛ لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله، والمعاداة لأعداء الله ورسوله .ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروي عن ربه : (لا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ٨٨/١

(٢) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ٢٠٢/١

شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولابد له منه) فبين . سبحانه . أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو . سبحانه . يحب ما يحب عبده / ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال : (وأنا أكره مساءته) ، وهو . سبحانه . قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت . فسمى ذلك ترددا، ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك .". (١)

٤٢٩-"ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك، وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق، كما قال الله . تعالى . فيما روى عنه رسوله : (ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه . فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش وبي يمشي " وفي رواية : " وبي ينطق، وبي يعقل) . فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه .وعامة ما تجده في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا، مع أنه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع .وفي الجملة، فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية، وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين؛ ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال؛ لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود . وهو وصف نقص لا وصف كمال، وإنما يمدح من جهة / عدم إرادة ما سواه؛ لأن ذكر المخلوق قد يدعو إلى إرادته والفتنة به .ولهذا غالب عباد [العيسوية] في عدم العلم بالسوي، وإرادته والفتنة به، ويوصفون بسلامة القلوب . وغالب علماء [الموسوية] في العلم بالسوي وإرادته والفتنة به، ويوصفون بالعلم، لكن الأولون موصوفون بالجهل والعدل . والآخرون موصوفون بالظلم . . . وكلاهما صحيح .فأما العلم بالحق والخلق، وإرادة الله وحده لا شريك له فهذا نعت المحمدية الكاملون في العلم والإرادة، وسلامة القلب المحمودة، هي سلامة . . . إذ الجهل لا يكون بنفسه صفة مدح . إلا أنه قد يمدح لسلامته به عن الشرور، فإن أكثر النفوس إذا عرفت الشر الذي تهواه اتبعته أو فزعت منه أو فتنها .". (٢)

٤٣٠-"/وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقول الله تعالى : من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه) . وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين، أصحاب اليمين والمقربين السابقين .فالصنف الأول : الذين تقربوا إلى الله بالفرائض . والصنف الثاني : الذي تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم، كما قال تعالى .وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ٢٤٢/١

(٢) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ٢٩٦/١

﴾ [فاطر : ٣٢] وكما قال الله تعالى : ﴿ إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ﴾ [المطففين : ٢٢-٢٨] قال ابن عباس : يشرب /بها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا .". [١]

٤٣١-"وكذلك يتفاضلون في عداوة الله بحسب تفاضلهم في الكفر والنفاق، وأولياء الله على طبقتين:سابقون مقربون، وأصحاب يمين مقتصدون، ذكرهم الله في عدة مواضع من كتابه العزيز في أول الواقعة وآخرها وفي سورة الإنسان والمطففين وفي سورة فاطر.فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إلى الله بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات، وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه».فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا، المقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوا لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون فلم يشربوا صرفا بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا فالمقربون السابقون أفضل من الأبرار أصحاب اليمين.وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين والناس يتفاضلون في الإيمان والتقوى فهم متفاضلون في ولاية الله، بحسب ذلك كما أنهم لما كانوا متفاضلين في الكفر والفسوق والمعاصي والنفاق كانوا متفاضلين في عداوة الله بحسب ذلك.أصل الإيمان والتقوىأصل الإيمان والتقوى الإيمان برسل الله، وجماع ذلك الإيمان بخاتم الرسل محمد - صلى الله عليه وسلم - فالإيمان به يتضمن الإيمان بجميع كتب الله ورسله، وأصل الكفر والنفاق هو الكفر بالرسل وبما جاءوا به فإن هذا هو الكفر الذي يستحق صاحبه العذاب في الآخرة فإن الله تعالى أخبر في كتابه أنه لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة قال تعالى: ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ [الإسراء: ١٥] .". [٢]

٤٣٢-" وفي الصحيح الصحيح عنه صلى الله عليه و سلم يقول الله تعالى ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه**

وفي القرآن والحديث من هذا ما يطول ذكره وقد بسطنا هذا في كتاب درء تعارض العقل والنقل وغيره

وقد أخبر الله تعالى في القرآن بندائه لعباده في أكثر من عشرة مواضع والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة وسائر الناس والله أخبر أنه نادى موسى حين جاء الشجرة فقال فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين سورة النمل ٨ فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك سورة طه ١١ ١٢ فلما أتاها نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة سورة القصص ٣٠ وإذ نادى ربك موسى أن أئت القوم الظالمين سورة الشعراء ١٠ وناديناه من جانب الطور الأيمن سورة مريم ٥٢ هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى سورة

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ١/٣٥٠

(٢) من فتاوى شيخ الاسلام ص/١٥

النازعات ١٥ ١٦ وما كنت بجانب الطور إذ نادينا سورة القصص ٤٦ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون سورة القصص ٦٢ ٧٤ ". (١)

٤٣٣-" وأما سوء الظن فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه أبدا في الهمز واللمز والطعن والعيب والبغض ببغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه فالأول يخالطهم ويحترز منهم والثاني يتجنبهم ويلحقه أذاهم الأول داخل فيهم بالنصيحة والإحسان مع الاحتراز والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض

فصل والفرق بين الفراسة والظن أن الظن يخطيء ويصيب وهو يكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته ولهذا أمر تعالى باجتناب كثير منه وأخبر أن بعضه إثم

وأما الفراسة فأثنى على أهلها ومدحهم في قوله تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسمين قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره أي للمتفرسين وقال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم وقال تعالى ولو نشاء لأريناهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه من الأدناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه وفي الترمذي وغيره من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله وهذه الفراسة نشأت له من قربه من الله فإن القلب إذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه وكان تلقيه من مشكاة قريبة من الله بحسب قربه منه وأضاء له النور بقدر قربه فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد والمحجوب كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة عن النبي فيما يروى عن ربه عز و جل أنه قال ما تقرب إلى عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي فأخبر سبحانه أن تقرب عبده منه يفيده محبته له فإذا أحبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله فسمع به وأبصر به وبطش به ومشى به فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه فلا تكاد تخطيء له فراسة فإن العبد إذا أبصر بالله أبصر الأمر على ما هو عليه فإذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الأباطيل والخيالات والوساوس التي تمنعه من حصول صورا الحقائق فيه وإذا غلب على القلب النور فاض على الأركان وبادر من القلب إلى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور وقد كان رسول الله يرى أصحابه في الصلاة وهم خلفه كما يراهم أمامه ورأى بيت المقدس عيانا وهو ". (٢)

٤٣٤-" ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شي أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره

---

(١) منهاج السنة النبوية ٤٢٣/٥

(٢) الروح ص/٢٣٨

مساءته ولا بد له منه وفي لفظ في غير البخاري فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا فتأمل كمال الموافقة في الكراهة كيف اقتضى كراهة الرب تعالى لمساءة عبده بالموت لما كره العبد مساخط ربه وكمال الموافقة في الإرادة كيف اقتضى موافقته في قضاء حوائجه وإجابة طلباته وإعاذته مما استعاذ به كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ما أرى ربك إلا يسارع في هواك وقال له عمه أبو طالب يا ابن أخي ما أرى ربك إلا يطيعك فقال له وأنت يا عم لو أطعته أطاعك وفي تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز و جل واتخذ الله إبراهيم خليلا قال حبيبا قريبا إذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة و السلام يا موسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد وتأمل هذه الباء في قوله فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي كيف تجدهامبنية لمعنى قوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به إلى آخره فإن سمع سمع بالله وإن أبصر أبصر به وإن بطش بطش به وإن مشى مشى به وهذا تحقيق قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم ". (١)

٤٣٥-"ص -٣٢٦- سابقون لهم، فإنهم ساقة الخاصة وهؤلاء مقدمة العامة، فهذا كله بناء على أن الفناء هو الغاية التي لا غاية للعبد وراءها ولا كمال له يطلبه فوقها. وقد تبين ما فى ذلك، وما هو الصواب بحمد الله، فقوله [رحمه الله]: "كل ما هو من العبد فهو علة تليق بعجز العبد وفاقته" يقال له: إذا كان إنما [منه] العبودية التى يحبها الله كسبا ومباشرة فهو قائم بها شاهد لمقيمه فيها مطالع [لمنه]، وفضله، فأى علة هنا سوى وقوفه مع شهودها منه، وغيبته عن شهود إقامة الله وتحريكه إياه، وتوفيقه له فالعلة هى بهذا الشهود وهذه الغيبة المنفاية لكمال الافتقار والفاقة إلى الله، وأما شهود فقره وفاقته ومجموع حالاته وحركاته وسكناته إلى وليه [وبارئه] مستعينا به أن يقيمه فى عبودية خالصة له، فلا علة هناك.قوله: "وإنما عين الحقيقة أن يكون قائما بإقامته له" إلى آخر كلامه، يقال: إن أردت أنه يشهد إقامة الله له حتى قام ومحبته **له حتى أحبه ونظره** إلى عبده حتى أقبل عبده عليه ناظرا إليه بقلبه فهذا حق، فإن ما من الله سبق ما من العبد، فهو الذى أحب عبده أولا فأحبه العبد، وأقام العبد فى طاعته فقام بإقامته، ونظر إليه فأقبل العبد عليه، وتاب عليه أولا فتاب إليه [عبده].وإن أردت أنه لا يشهد فعله البتة بل يفنى عنه جملة ويشهد أن الله وحده هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما [حرما] فى شهوده، وإن لم تفن وتعدم فى الخارج- وهذا هو مراد القوم- فدعوى [أن هذا هو الكمال الذى لا كمال فوقه ولا غاية وراءه دعوى] مجردة لا يستدل عليها مدعيها بأكثر من الذوق والوجد، وقد تقدم أن هذا ليس بغاية، وإنما غايته أن يكون من عوارض الطريق، وأن شهود الأشياء فى مراتبها ومنازلها التى أنزلها سبحانه إياها أكمل وأتم.ويكفى فى بعض هذا الاحتجاج عليه بصفات الكفار، فإن الله ذمهم بأنهم صم بكم عمى، فهذه صفات نقص وذم لا". (٢)

٤٣٦-" أفضل وقد احتجت كل فرقة بحجج وأدلة على قولها

---

(١) روضة المحبين ص/٤١٠

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين ٢٣/٢٨٠

والتحقيق أن يقال أفضلهما أتقاهما لله تعالى فان فرض استوائهما فى التقوى استويا فى الفضل فان الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافيه والبلاء وانما فضل بالتقوى كما قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم وقد قال لا فضل لعربى على عجمى ولا فضل لعجمى على عربى الا بالتقوى الناس من آدم وآدم من تراب والتقوى مبنيه على أصلين الصبر والشكر وكل من الغنى والفقير لا بد له منهما فمن كان صبره وشكره أتم كان أفضل فان قيل فاذا كان صبر الفقير أتم وشكر الغنى أتم فأيهما أفضل

قيل أتقاهما لله فى وظيفته ومقتضى حاله ولا يصح التفضيل بغير هذا البته فان الغنى قد يكون أتقى لله فى شكره من الفقير فى صبره وقد يكون الفقير أتقى لله فى صبره من الغنى فى شكره فلا يصح أن يقال هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل ولا يصح أن يقال هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر ولا بالعكس لأنهما مطيتان للايمان لا بد منهما بل الواجب أن يقال أقومهما بالواجب والمندوب هو الافضل فان التفضيل تابع لهذين الأمرين كما قال تعالى فى الاثر الالهى ما تقرب الى عبدى بمثل مداومة ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى **بالنوافل حتى أحبه فأى** الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضل

فان قيل فقد ثبت عن النبى أنه قال يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة عام قيل هذا لا يدل على فضلهم على الاغنياء فى الدرجة وعلو المنزلة وان سبقوهم بالدخول فقد يتأخر الغنى والسلطان العادل فى الدخول لحسابه فاذا دخل كانت درجته أعلى ومنزلته أرفع كسبق الفقير القفل فى المضائق وغيرها ويتأخر صاحب الاحمال بعده

فان قيل فقد قال النبى للفقراء لما شكوا اليه زيادة عمل الاغنياء عليهم بالعتق والصدقه ألا أدلكم على شئ اذا فعلتموه أدركتم به من سبقكم فدلهم على التسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة فلما سمع الاغنياء ذلك عملوا به فذكروا ذلك للنبى فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ". (١)

٤٣٧-"ص -١٥٣- هذا البته فان الغنى قد يكون أتقى لله فى شكره من الفقير فى صبره وقد يكون الفقير أتقى لله فى صبره من الغنى فى شكره فلا يصح أن يقال هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل ولا يصح أن يقال هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر ولا بالعكس لأنهما مطيتان للايمان لا بد منهما بل الواجب أن يقال أقومهما بالواجب والمندوب هو الافضل فان التفضيل تابع لهذين الأمرين كما قال تعالى فى الاثر الالهى: "ما تقرب الى عبدى بمثل مداومة ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه" فأى الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضلفان قيل: فقد ثبت عن النبى أنه قال" يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة عام" قيل هذا لا يدل على فضلهم على الاغنياء فى الدرجة وعلو المنزلة وان سبقوهم بالدخول فقد يتأخر الغنى والسلطان العادل فى الدخول لحسابه فاذا دخل كانت درجته أعلى ومنزلته أرفع كسبق الفقير القفل فى المضائق وغيرها ويتأخر صاحب الاحمال بعده فان قيل فقد قال النبى للفقراء لما شكوا اليه زيادة عمل الاغنياء عليهم بالعتق والصدقه: "ألا أدلكم على شئ اذا فعلتموه أدركتم به من

---

(١) عدة الصابرين ص/١٢٦

سبقكم" فدلهم على التسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة فلما سمع الاغنياء ذلك عملوا به فذكروا ذلك للنبى فقال: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" وهذا يدل على ترجيح حال الغنى الشاكر قيل هذا حجة للقول الذى نصرناه وهو أن أفضلهما أكثرهما نوافل فإن استويا استويا وها هنا قد ساوى الأغنياء الفقراء فى أعمالهم المفروضه والنافلة وزادوا عليهم بنوافل العتق والصدقه وفضلوهم بذلك فساووهم فى صبرهم على الجهاد والأذى فى الله والصبر على المقدور وزادوا عليهم بالشكر بنوافل المال فلو كان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الأغنياء لفضلوهم بهافإن قيل: إن النبى عرضت عليه مفاتيح كنوز الدنيا فردها". (١)

٤٣٨-"وفي التوراة أيضا : ((يقول الله لموسى : إني آت إليك في غلظ الغمام، لكي يسمع القوم مخاطبتي لك)) . وفي الكتب الإلهية، وكلام الأنبياء من هذا كثير .وفيما حكى خاتم الأنبياء عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)) .وإن قلتم : جعلناه إلها، لقول زكريا في نبوته لصهيون : ((لأني آتيك وأحل فيك، واترائي، وتؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعبا واحدا، ويحل هو فيهم، ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك، ويأخذ الله في ذلك اليوم الملك من يهوذا، ويملك عليهم إلى الأبد)) . . .قيل لكم : إن أوجبتم له الإلهية بهذا، فلتجب لإبراهيم، وغيره من الأنبياء؛ فإن عند أهل الكتاب وأنتم معهم ((أن الله تجلى لإبراهيم، واستعلن له، وترائى له)) .وأما قوله : ((وأحل فيك)) لم يرد سبحانه بهذا حلول ذاته، التي لا تسعها السموات والأرض في بيت المقدس، وكيف تحل ذاته في مكان يكون فيه مقهورا مغلوبا، مع شرار الخلق ! ! كيف، وقد قال : ((ويعرفون أني أنا الله القوي الساكن فيك)) . (ص ١٥٣) افترى، عرفوا قوته بالقبض عليه، وشد يديه بالحبال، وربطه على خشبة الصليب، ودق المسامير في يديه ورجليه، ووضع تاج الشوك على رأسه، وهو يستغيث ولا يغاث، وما كان المسيح يدخل بيت المقدس إلا وهو مغلوب مقهور، مستخف في غالب أحواله .ولو صح مجيء هذه الألفاظ صحة لا تدفع، وصحت ترجمتها كما ذكروه، لكان معناها : أن معرفة الله، والإيمان به، وذكره، ودينه، وشرعه، حل في تلك البقعة، وبيت المقدس لما ظهر فيه دين المسيح بعد دفعه، حصل فيه من الإيمان بالله ومعرفته، ما لم يكن قبل ذلك .(".(٢)

٤٣٩-" فأي المملوكين أحب إلى هذا الملك وأحظى عنده وأخص به وأقرب إليه أهذا الذى آثر حظه ومراده وما فيه لذته على مراد الملك وأمره ورضاه أم ذلك الذي ذهب في تنفيذ أوامره وفرغ لها قواه وجوارحه وتفرق فيها في كل وجه فما أولاه أن يجمعه أستاذه عليه بعد قضاء أوامره وفراغه منها ويجعله من خاصته وأهل قربه ! وما أولى صاحبه بأن يبعده عن قربه ويحجبه عن مشاهدته ويفرقه عن جمعيته عليه ويبدله بالتفرقة التي هرب منها في تفرقة أمره تفرقة في هواه ومراده بطبعه وبنفسه فليتأمل اللبيب هذا حق التأمل وليفتح عين بصيرته ويسير بقلبه فينظر في مقامات العبيد وأحوالهم وهممهم

---

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ٦/٢٣

(٢) مختصر هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى ص/٨

ومن هو أولى بالعبودية ومن هو البعيد منها ولا ريب أن من أظهر الاستغناء عن الله وطاعاته وتوثب عليه وأورثته الطاعات جبروتا وحجبا عن رؤيته عيوب نفسه وعمله وكثرت حسناته فى عينه فهو أبغض الخلق إلى الله تعالى وأبعدهم عن العبودية وأقربهم إلى الهلاك لا من استكثر من الباقيات الصالحات ومن مثل ما وصى به النبي من سأله مرافقته في الجنة فقال : أعني على نفسك بكثرة السجود ومن قوله تعالى : كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون ١٧١٨ قال الحسن مدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا يستغفرون وقال النبي : تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد وقال لمن سأله أن يوصيه بشيء يتشبث به : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله \ ح \ والدين كله استكثار من الطاعات وأحب خلق الله إليه : أعظمهم استكثارا منها وفي الحديث الصحيح الإلهي : ما تقرب إلي عبدى بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه ". (١)

٤٤٠-" منه ولا ريب أن العبد يقرب من ربه والرب يقرب من عبده فأما قرب العبد : فكقوله تعالى : واسجد واقترب العلق : ١٩ وقوله فى الأثر الإلهي من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا وكقوله : وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وفي الحديث الصحيح : أقرب ما يكون الرب من عبده : فى جوف الليل الأخير وفي الحديث أيضا أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وفي الحديث الصحيح لما ارتفعت أصواتهم بالتكبير مع النبيفي السفر فقال : يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إن الذي تدعونه سميع قريب أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته فعبر الشيخ رحمه الله عن طلب القرب منه ورفض الوسائط الحائلة بينه وبين القرب المطلوب الذي لا تقر عيون عابديه وأوليائه إلا به : بالاستحذاء وحقيقته : موافاة العبد إلى حضرته وقدامه وبين يديه عكس حال من نبذه وراءه ظهريا وأعرض عنه ونأى بجانبه بمنزلة من ولى المطاع ظهره ومال بشقه عنه وهذا الأمر لا يدرك معناه إلا بوجوده وذوقه وأحسن ما يعبر عنه : بالعبارة النبوية المحمدية وأقرب عبارات القوم : أنه التقريب برفع الوسائط التى بارتفاعها يحصل للعبد حقيقة التعظيم فلذلك قال الاستحذاء له تعظيما ومن أراد فهم هذا كما ينبغي فعليه بفهم اسمه تعالى الباطن وفهم ". (٢)

٤٤١-" إيش تقول هذه البكرة فقلت : لا فقال تقول : الله الله ومثل ذلك كثير كما سمع أبو سليمان الدمشقي من المنادي : يا سعتر بري : اسع تر بري

وهذا السماع الروحاني تبع لحقيقة القلب ومادته منه فالاتحاد به يظن به السامع : أنه أدرك ذلك المعنى لا محالة من الصوت الخارجي وسبب ذلك اتحاد السمع بالقلب

وأكمل السماع : سماع من يسمع بالله ما هو مسموع من الله وهو كلامه وهو سماع المحبين المحبوبين كما في الحديث الذي في صحيح البخاري عن رسول الله فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت

---

(١) مدارج السالكين ٢٦٢/١

(٢) مدارج السالكين ٤٦٧/١

عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي

والقلب يتأثر بالسماع بحسب ما فيه من المحبة فإذا امتلأ من محبة الله وسمع كلام محبوبه أي بمصاحبته وحضوره في قلبه فله من سماعه هذا شأن ولغيره شأن آخر والله أعلم

فصل والثاني على ثلاثة أقسام : أحدها : من اتصف قلبه بصفات نفسه بحيث

صار قلبه نفسا محضة ". (١)

٤٤٢-" الحق في الغضب والرضى وأسألك القصد في الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضى بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك وأسألك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين

فقد اشتمل هذا الحديث الشريف على ثبوت لذة النظر إلى وجه الله وعلى ثبوت الشوق إلى لقائه وعند الجهمية لا وجه له سبحانه ولا ينظر إليه فضلا أن يحصل به لذة كما سمع بعضهم داعيا يدعو بهذا الدعاء فقال ويحك هب أن له وجها أفتلتذ بالنظر إليه

وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي من أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وفي الصحيحين عنه أيضا عن النبي إذا أحب الله العبد دعا جبريل فقال إني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض / ح / وذكر في البغض عكس ذلك

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في حديث أمير السرية الذي كان يقرأ قل هو الله أحد لأصحابه في كل صلاة وقال لأنها صفة الرحمن فأنا ". (٢)

٤٤٣-" بالوحي وتكليمه لعبده جبريل به وإرساله إلى من يشاء بما يشاء وصعود الأمور إليه وعرضها عليه

فيشاهد قلبه ربا قاهرا فوق عباده آمرا ناهيا باعثا لرسله منزلا لكتبه معبودا مطاعا لا شريك له ولا مثيل ولا عدل له ليس لأحد معه من الأمر شيء بل الأمر كله له فيشهد ربه سبحانه قائما بالملك والتدبير فلا حركة ولا سكون ولا نفع

---

(١) مدارج السالكين ٢/٤١٣

(٢) مدارج السالكين ٣/٢٤

ولا ضر ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط إلا بقدرته وتدبيره فيشهد قيام الكون كله به وقيامه سبحانه بنفسه فهو القائم بنفسه المقيم لكل ما سواه

فإذا رسخ قلبه في ذلك شهد الصفة المصححة لجميع صفات الكمال وهي الحياة التي كمالها يستلزم كمال السمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام وسائر صفات الكمال وصفة القيومية الصحيحة المصححة لجميع الأفعال فالحي القيوم من له كل صفة كمال وهو الفعال لما يريد

فإذا رسخ قلبه في ذلك فتح له مشهد القرب والمعية فيشهده سبحانه معه غير غائب عنه قريبا غير بعيد مع كونه فوق سماواته على عرشه بائنا من خلقه قائما بالصنع والتدبير والخلق والأمر فيحصل له مع التعظيم والإجلال الأنس بهذه الصفة فيأنس به بعد أن كان مستوحشا ويقوى به بعد أن كان ضعيفا ويفرح به بعد أن كان حزينا ويجد بعد أن كان فاقدا فحينئذ يجد طعم قوله ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه

فأطيب الحياة على الإطلاق حياة هذا العبد فإنه محب محبوب متقرب إلى ربه وربه قريب منه قد صار له حبيبه لفرط استيلائه على قلبه ولهجه بذكره وعكوف همته على مرضاته بمنزلة سمعه وبصره ويده ورجله وهذه ". (١)

٤٤٤-"٧- أما أن آدم عليه السلام مال إلى نصيحة إبليس حين دله على شجرة الخلد؛ فليس ببعيد أن يكون عالما - بفطرته أو بوحي من الله تعالى - أنه ليس بخالد؛ فطمع فيه لما رأى من النعيم الذي لا ترغب النفس في مفارقته، فلما وجد ذلك في نفسه غره إبليس بما أطمعه فيه من الخلود؛ فميله إليه منبعث من ذات نفسه لا من علمه أنه في غير دار الخلود كما زعمتم.

٨- وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينال أهلها فهذا - إن ثبت النقل بنو آدم - فإنما النوم ينفى عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا.

٩- وأما استدلالكم بأن الله سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله، وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه؛ فجوابه أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة.

و الله تعالى أعلم وفي تدبيره أحكم..

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده الذي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه.

---

(١) مدارج السالكين ٢٦٩/٣

رواه البخاري.". (١)

"بسم الله الرحمن الرحيمالحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أما بعد فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال وهي من أصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا عجلان فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصي بترك مأمور وفعل محظور والمقتصد المؤدي الواجبات والتارك المحرمات والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وإن كان كل من المقتصد والسابق قد تكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين إما بحسنات ماحية وإما بمصائب مفكرة وإما بغير ذلك وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذي ذكرهم في كتابه يونس فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم إلى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين وقد ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعل ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته." (٢)

"المائدة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فإن المحبة مستلزمة للجهاد ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يوالي محبوبه ويعادي من يعاديه ويرض لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما نهى عنه فهو موافق في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما قال النبي (صلى الله عليه وسلم) لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فقال لهم يا إخوتي هل أغضبتكم قالوا لا يغفر الله لك يا أبا بكر وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا ما أخذت السيوف مأخذها فقال لهم أبو بكر أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي (صلى الله عليه

---

(١) مع ابن القيم في كتابه ((حادي الأرواح إلى بلاد الأرواح)) ص/١٥

(٢) أمراض القلوب وشفاؤها ابن تيمية ص/٣٦

وسلم) فقال له ما تقدم لان أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعدائهما ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في الحديث الصحيح فيما يروى عن ربه لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه فبين أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وأنا أكره مساءته وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك ترددا ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك وهذا اتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين فإن ذلك ممتنع والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شيء بعينه وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك فكما أن الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون بالحلول المقيد في بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية الذين يقولون إن ذات الله في كل مكان وقد يقع لبعض المصطلمين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه." (١)

"وعاداهم كما قال النبي (: " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ... " الحديث.وأعظم من تجب محبته في الله تعالى أنبياؤه ورسله، وأعظمهم نبيه محمد (الذي افترض الله على الخلق كلهم متابعته، وجعل متابعته علامة لصحة محبته كما قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) آل عمران: ٣١، وتوعد من قدم محبة شيء من المخلوقين على محبته ومحبة رسوله ومحبة الجهاد في سبيله في قوله تعالى: (قل إن كان آبآؤكم وأبنآؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونهآ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) التوبة: ٢٤.ووصف المحبين له باللين للمؤمنين: من الرأفة بهم والرحمة والمحبة لهم، والشدة على الكافرين: من البغض لهم والجهاد في سبيله، فقال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم) المائدة: ٥٤.والثاني: محبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال وبها يبلغ إلى حبه، وفي هذا إشارة إلى أن درجة المحبة لله تعالى إنما تنال بطاعته وبفعل ما يحبه، فإذا امتثل العبد لأوامر مولاه وفعل ما يحبه أحبه الله تعالى ورقاه إلى درجة محبته كما في الحديث الإلهي الذي خرجه البخاري: " وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عندي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه "**. فأفضل ما تستجلب به محبة الله عز وجل فعل الواجبات، وترك المحرمات، ولهذا جعل النبي (من علامات وجدان حلاوة الإيمان أن يكره أن يرجع إلى." (٢)

---

(١) أمراض القلوب وشفاؤها ابن تيمية ص/٦٤

(٢) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ابن رجب الحنبلي ص/١٢٩

"١٣٢- "ما تقرب إلي العبد بمثل أداء فرائضي، وإنه ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت رجله التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، إن سألني أعطيته، وإن دعاني أجبته" ١. رواه ابن السني عن ميمونة.ش- التقرب: طلب القربة، وأخذ المثوبة. والفرائض: جمع فريضة، بمعنى مفروضة، وأصل الفرض: القطع، وفي الشرع: ما أوجبه الله تعالى، وألزمه عباده، وهو أعم من أن يكون فرض عين، أو كفاية، والنوافل: جمع نافلة: الزيادة، والتنقل: التطوع. والحب: تقدم الكلام عليه غير مرة. والبطش: الأخذ بعنف. والقلب: تقدم الكلام عليه.والمعنى: أن الله عز وجل أخبر أن العبد لم يتقرب إلى الله، ويتطلب القربة من رحمته، والمثوبة من عنايته به بوسيلة عمل إليه جل ذكره من الذي فرضه عليه، وألزمه به، وقدره، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن ذلك كله من فرائض_____________١ رواه أبو يعلى رقم "٧٠٨٧". وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد"١٠/ ٢٧٠"وقال: رواه أبو يعلى، وفيه يوسف بن خالد السمتي، وهو كذاب. نقول: ويشهد له حديث أبي هريرة عند البخاري رقم" ٦٥٠٢".." (١)

"١٣٥- "ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فأكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، وقلبه الذي يعقل به، فإذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته، وإن استنصرني نصرته، وأحب ما تعبدني عبدي به النصح لي"٢. رواه الطبراني في الكبيرعن أبي أمامة.ش- تقدم شرح الحديث غير مرة بألفاظ متقاربة من هذا مع زيادة، ونقص فيها، فلا حاجة للإعادة، وهنا زيادة فيه لفظ: "النصح لي" فلا بأس من الكلام عليه بما يناسبه، فنقول:النصح في اللغة: الخلوص. يقال: نصحته، ونصحت له، والنصح: تحري فعل،_____________١ رواه الترمذي رقم "٢٥٩٧"في صفة جهنم. والبيهقي في الشعب رقم "٧٤٠"من حديث أنس رضي الله عنه. وإسناده ضعيف.٢ رواه الطبراني في الكبير "٧٨٣٣ و٧٨٨٠"وفي الأولى عبيد لله بن زحر. ضعيف. وفي الثانية عثمان بن أبي العاتكة. ضعيف، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد"٢/ ٢٤٨"وقال: رواه الطبراني، وفي الفريقين علي بن زيد ضعيف. من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. نقول إسناده ضعيف. ولبعض فقرائه شواهد.." (٢)

"١٣٧- "من آذى لي وليا؛ فقد استحل محاربتي، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء الفرائض، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ورجله التي يمشي بها، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به، إن سألني أعطيته، وإن." (٣)

"١٤٠- "من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت، وأنا أكره مساءته" ١. رواه البخاري عن أبي هريرة.الحديث تكرر ذكره غير مرة إما لزيادة بعض

---

(١) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية المناوي ص/١٦٠

(٢) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية المناوي ص/١٧٠

(٣) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية المناوي ص/١٧٨

ألفاظ، أو اختلاف في اللفظ، أو في السند، وهنا فيه: "إن استعاذ بي لأعيذنه" بدل قوله: "وإن دعاني أجبته" يقال: عذت به، أعوذ، عوذا، وعياذا، ومعاذا: أي لجأت إليه. والمعاذ: المصدر، والمكان، والزمان، والعوذ: الالتجاء إلى الغير، والتعلق به. والله أعلم.______________١ رواه البخاري رقم "٦٥٠٣"، وأبو نعيم في الحلية"١/ ٤"والبيهقي في الزهد"٦٩٠ "والسنن "٣/ ٣٤٦ و١٠/ ٢١٩"،والبغوي في شرح السنة"١٢٤٨"من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو صحيح بطرقه وشواهده.." (١)

"الحديث الثامن والثلاثون:عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى قال: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه. ولئن استعاذني لأعيذنه" رواه البخاري.المفردات:عاد لي: من المعاداة ضد الموالاة. وليا: هو المواظب على طاعة الله مخلصا لله العبادة، آذنته بالحرب: أعلمه بأني محارب له، عبدي: الإضافة للتشريف. افترضته: أوجبته، يتقرب إلي: يطلب القرب مني، بالنوافل: التطوعات، لأعطينه: ما سأل. لأعيذنه: مما يخاف.الفوائد:(١) إن من عادى أولياء الله فإن الله قد آذنه بالحرب.(٣) إن أحب الأعمال إلى الله أداء الفرائض والمحافظة عليها.(٣) إن النوافل تقبل إذا أديت الفرائض وأن الإكثار من النوافل سبب لمحبة الله.(٤) إن أولياء الله هم الذين يتقربون إلى الله بالأعمال الصالحة.(٥) إن من أتى بما يجب عليه وتقرب إلى الله بالنوافل فإن الله يوفقه لكل خير، حيث تكون أعماله وحركاته وسكناته جارية على ما يقتضيه الشرع.." (٢)

"من ماء؛ فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين)*هذا الحديث قد تقدم في مسند أنس.*والسجل: الدلو الكبير.-٢١٧٩ -(٩١/ب) الحديث السادس عشر:] عن أبي هريرة، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إن الله تعالي قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته)].." (٣)

"*في هذا الحديث من الفقه: أن الله سبحانه قدم الإعذار إلى كل من عادى وليا له، فإنه بنفس المعاداة للولي بإيذان الله له بأنه محاربه؛ فإنه أخذه على غرة، فإن ذلك بعد الإعذار بتقديم الإنذار.*وولي الله عز وجل هو الذي يتبع شرع الله.* ومعنى قوله: ﴿من عادى له وليا﴾ أي: اتخذه عدوا، ولا أرى المعنى إلا أنه عاداه من أجل ولايته الله، فإنه يشير إلى الحذر من إيذاء قلوب أولياء الله عز وجل على الإطلاق، إلا أنه إذا كانت الأحوال تقتضي نزاعا بين وليين لله في محاكمة أو

---

(١) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية ومعه النفحات السلفية بشرح الأحاديث القدسية المناوي ص/١٩٢

(٢) الأحاديث الأربعين النووية مع ما زاد عليها ابن رجب وعليها الشرح الموجز المفيد عبد الله بن صالح المحسن ص/٧٤

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح ابن هُبَيْرَة ٣٠٢/٧

خصومة راجعة إلى استخراج حق أو كشف غامض، فإن هذا لا يتناول هذا القول، لكنه قد جرى بين أبي بكر وعمر خصومة، وبين العباس وعلي، وبين كثير من الصحابة رضي الله عنهم ما جرى، وكلهم كانوا أولياء الله عز وجل، إلا أن هذا يتناول من عادى وليا لله مع كونه يشير إلى التحذير من إيذاء ولي الله.*وقوله: ﴿وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه﴾، فإنه يشير إلى ألا تقدم نافلة على فريضة، وإنما تسمى النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة، وإلا فلا يتناولها اسم (٩٢/أ) نافلة، يدل على ما ذكرنا.*وقوله: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته﴾، لأن التقرب بالنوافل يكون تلو أداء الفرائض، بدليل أنها ذكرت بعد ذكر الفرائض، يعني إذا أدام العبد التقرب بالنوافل أفضي ذلك إلى أن يحبه الله.*ثم قال سبحانه: فإذا أحببته كنت سمعه، وهذا لا أراه إلا أنه علامة، وأنه لمن يكون الله قد أحبه أن يكون هو سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيمالحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أما بعدفهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي تسمى المقامات والأحوال وهي من أصول الايمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك اقتضى ذلك بعض من أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا عجلان فأقول هذه الأعمال جميعها واجبة على جميع الخلق المأمورين في الأصل باتفاق أئمة الدين والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصي بترك مأمور وفعل محظور والمقتصد المؤدي الواجبات والتارك المحرمات والسابق بالخيرات المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وإن كان كل من المقتصد والسابق قد تكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة والله يحب التوابين ويحب المتطهرين إما بحسنات ماحية وإما بمصائب مفكرة وإما بغير ذلك وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله الذي ذكرهم في كتابه يونس فأولياء الله هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم إلى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعل ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته." (٢)

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ابن هُبَيْرَة ٣٠٣/٧

(٢) التحفة العراقية ابن تيمية ص/٣٧

"المائدة يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فإن المحبة مستلزمة للجهاد ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يوالي محبوبه ويعادي من يعاديه ويرض لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما نهى عنه فهو موافق في ذلك وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك فقال لهم يا إخوتي هل أغضبتكم قالوا لا يغفر الله لك يا أبا بكر وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا ما أخذت السيوف مأخذها فقال لهم أبو بكر أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم لان أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعدائهما ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروى عن ربه لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه فبين أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه وهو يكره الموت فهو يكرهه كما قال وأنا أكره مساءته وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت فسمى ذلك ترددا ثم بين أنه لا بد من وقوع ذلك وهذا اتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه وقد يقال له اتحاد نوعي وصفي وليس ذلك اتحاد الذاتين فإن ذلك ممتنع والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة والنساك كالحلاجية ونحوهم وهو الاتحاد المقيد في شيء بعينه وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق فهذا تعطيل للصانع وجحود له وهو جامع لكل شرك فكما أن الاتحاد نوعان فكذلك الحلول نوعان قوم يقولون بالحلول المقيد في بعض الأشخاص وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية الذين يقولون إن ذات الله في كل مكان وقد يقع لبعض المصطلمين من أهل الفناء في المحبة أنه يغيب بمحبوبه." (١)

"في تأويله (يحب الغيور وإن عمر غيور) فالله يحبه لاتصافه بالغيرة (رستة) بضم الراء وسكون المهملة ثم مثناة فوقية مفتوحة اسمه عبد الرحمن الأصفهاني (في الإيمان عن عبد الرحمن بن رافع مرسلا) قال الذهبي: منكر الحديث (١).١٧٤٦ - "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، وإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن: يكره الموت، وأنا أكره مساءته (خ) عن أبي هريرة (صح) ".(إن الله تعالى قال من عادى لي وليا) الولي هو المؤمن المتقي كما فسره الله بذلك في قوله: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾

---

(١) التحفة العراقية ابن تيمية ص/٦٤

[يونس: ٦٢، ٦٣] فهذا تفسيره تعالى للولي لا يقبل غيره ويرشد إليه قوله آخر الحديث: "نفس المؤمن"، وأما اصطلاح الصوفية وغلوهم وجعلهم للولي من اتصف بصفات جمعوها وبلوغهم به إلى فوق رتبة النبوة فمن الهوس والأباطيل (فقد آذنته بالحرب) أعلمته أني محارب له وحرب الله لا تنحصر في نوع معين (وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه) بأدائه للفرائض وفيه أن فعل الواجبات أحب إليه تعالى مما سواها (ومما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل) من الطاعات (حتى أحبه) كأن المراد ويزداد حبا عندي وإلا فإنه تعالى يحب المؤمن الآتي بالواجبات لا غير، (فإذا أحببته كنت سمعه الدي يسمع به وبصره الدي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي____________(١) أخرجه رسته كما في الكنز (٣٢٧٤٦) عن عبيد الرحمن بن رافع مرسلا وقول "الذهبي في المغني" في الضعفاء (٣٥٦٢). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٦١٨).." [١]

"٣٨ - باب التواضع٦٥٠١ - حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا زهير، حدثنا حميد، عن أنس - رضي الله عنه - كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - ناقة.قال: وحدثني محمد، أخبرنا الفزاري وأبو خالد الأحمر، عن حميد الطويل، عن أنس قال: كانت ناقة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسمى العضباء، وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه».٦٥٠٢ - حدثني محمد بن عثمان، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش، بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». [فتح: ١١/ ٣٤٠].ذكر فيه حديث أنس - رضي الله عنه -كان للنبي - صلى الله عليه وسلم - ناقة.وفي لفظ: كانت ناقة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسمى العضباء، وكانت لا تسبق، فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا: سبقت العضباء. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه".وحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله -عز وجل- قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب." [٢]

"إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش، بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت أكره مساءته".الشرح:اللفظ الثاني: حديث أنس أخرجه البخاري، عن محمد وهو ابن سلام البيكندي، أنا الفزاري، وهو مروان بن معاوية، وأبو خالد الأحمر، وهو سليمان بن حيان الكوفي أزدي،

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣١٣/٣

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٥٨٣/٢٩

نزل في بني جعفر بن كلاب.فصل:ومعنى: ("آذنته بالحرب"): أعلمته، رباعي، وهو ممدود؛ لأنه رباعي، والتقرب المراد به: قرب المنزلة، وقبول العمل.وقوله: ("كنت سمعه .. ") إلى آخره، هو من المجاز، يعني: أنه يحفظه كما يحفظ العبد جوارحه لئلا يقع في مهلكة، قاله الداودي، وقال الخطابي: هذه أمثال، والمعنى: ترقيه في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، ويسمع الخير له فيها، فيحفظ جوارحه عليه، ويعصمه من مواقعة ما يكره الله من إصغاء إلى لهو، ونظر إلى ما نهي عنه، وبطش إلى ما لا يحل، وسعي إلى باطل. قال: وقد يكون معناه: سرعة إجابة الدعاء، والإلحاح في الطلب، وذلك أن مساعي الإنسان إنما تكون لهذه الجوارح (١).______________(١) "أعلام الحديث" ٣/ ٢٢٥٩.." (١)

"عن عبد الله بن جعفر(إن الله تعالى عند لسان كل قائل) يعني يعلم ما يقوله الإنسان ويتفوه به كمن يكون عند الشيء مهيمنا لديه محافظا عليه (فليتق الله عبد) عند إرادة النطق (ولينظر) يتأمل ويتدبر (ما يقول) أي ما يريد النطق به هل هو له أم عليه (حل عن ابن عمر) بن الخطاب (الحكيم) الترمذي (عن ابن عباسأن الله غيور) فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفه وهي محال عليه فالمراد لازمها وهو المنع والزجر عن المعصية (يحب) من عباده (الغيور) في محل الريبة (وأن عمر) بن الخطاب (غيور) فهو لذلك يحبه لأن من لمح لمحا من وصف كان من الموصوف به بألطف لطف (رستة) بضم الراء وسكون المهملة وفتح المثناة الفوقية عبد الرحمن الأصبهاني (في) كتاب (الإيمان) له (عن عبد الرحمن بن رافع) التنوخي قاضي إفريقية (مرسلا) قال الذهبي منكر الحديث(أن الله تعالى قال من عادى) من المعاداة ضد الموالاة (لي) متعلق بقوله (وليا) وهو من تولى الله بالطاعة فتولاه الله بالحفظ والنصر (فقد آذنته بالحرب) أي أعلمته بأنه سأحاربه فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ومن حاربه الله أي عامله معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر فهو هالك (وما تقرب إلي عبدي بشيء) من الطاعات (أحب إلي مما افترضته عليه) أي من أدائه عينا أو كفاية لأنه الأصل الذي يرجع إليه جميع الفروع (ولا يزال عبدي يتقرب) يتحبب (إلي بالنوافل) أي التطوع من جميع صنوف العبادة (حتى أحبه) بضم أوله وفتح ثالثه (فإذا أحببته) لتقربه إلي بما ذكر (كنت) صرت (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) يعني يجعل الله سلطان حبه غالبا عليه حتى لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله عونا له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه أو هو كناية عن نصر الله وتأييده وإعانته في كل أموره وحماية سمعه وبصره وجميع جوارحه عما لا يرضاه (وإن سألني لأعطينه) مسؤله (وإن استعاذني) بنون أو باء (لأعيذنه) مما يخاف وهذا حال المحب مع محبوبه (وما ترددت)عن) وفي رواية في (شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن) أي ما أخرت وما توقفت توقف المتردد في أمر أنا فاعله إلا في قبض نفس المؤمن أتوقف فيه حتى يسهل عليه ويميل قلبه إليه شوقا إلى انخراطه في زمرة المقربين (يكره الموت) لشدة صعوبته (وأنا أكره مساءته) وأريده له لأنه يورده موارد الرحمة والغفران والتلذذ بنعيم الجنان وفيه أن الفرض أفضل من النفل وقد عده الفقهاء من القواعد لكن استثنوا منها إبراء المعسر فإنه أفضل من أنظاره وأنظاره واجب وإبراؤه سنة وابتداء السلام فإنه سنة والرد واجب والأذان سنة وهو أفضل من الإمامة التي هي فرض كفاية وغير ذلك (خ عن أبي هريرة) قال الذهبي غريب جدا ولولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه من المنكرات(أن الله تعالى قال لقد خلقت خلقا) من الآدميين

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٥٨٤/٢٩

(ألسنتهم أحلى من العسل) فبها يملقون ويداهنون (وقلوبهم أمر من الصبر) فبها يمكرون وينافقون (فبي حلفت) أي بعظمتي وجلالي لا بغير ذلك (لأتيحنهم) بمثناة فوقية فمثناة تحتية فحاء مهملة فنون أي لأقدرن لهم (فتنة) ابتلاء وامتحانا (تدع الحليم) باللام (منهم حيران) أي تترك العاقل منهم متحير إلا يمكنه دفعها ولا كف شرها (فبي يغترون أم علي يجترؤن) الهمزة للاستفهام أي فبحلمي ومهالي يغترون والاغترار هنا عدم الخوف من الله وإهمال التوبة." [١]

"في السفر // وإسناده حسن //(دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب الله حتى أحبه الله يحبهم ويحبونه (ابن سعد عن الحسن مرسلا) هو البصري(دعوني من السودان) يعني من الزنج كما بينه في رواية أخرى (فإنما الأسود لبطنه وفرجه) أي لا يهتم إلا بهما فإن جاع سرق وأن شبع فسق وحينئذ فاقتناء الزنجي خلاف الأولى عبدا كان أو أمة (طب عن ابن عباس) // بإسناد ضعيف //(دعوه) أي اتركوا يا أصحابي من طلب مني دينه فأغلظ فلا تبطشوا به (فإن لصاحب الحق مقالا) أي صولة الطلب وقوة الحجة (خ ت عن أبي هريرة) وكذا رواه مسلم(دعوه) أي المريض (يئن) أي يستريح بالأنين أي يقول آه ولا تعنفوه عليه (فإن الأنين من أسماء الله تعالى) أي لفظ آه من أسماء الله تعالى لكن هذا تتداوله الصوفية ويذكرون له أسرار ولم يرد به توقيف من حيث الظاهر (يستريح إليه العليل) فيه رد لقول طاوس أن الأنين مكروه ولكونه شكوى (الرافعي) في تاريخ قزوين (عن عائشة) قالت دخل المصطفى وعندنا عليل يئن فقلنا اسكت فذكره(دفن البنات من المكرمات) أي من الأمور التي يكرم الله بها آباءهن ونعم الصهر القبر قال بعضهم هذا خرج مخرج التعزية للنفس (خط عن ابن عمر) // بإسناد ضعيف //(دفن بالطينة) وفي رواية بالتربة (التي خلق منها) قاله لما رأى حبشيا يقبر بالمدينة فما من مولود يولد إلا وفي سرته من تربة الأرض التي خلق منها ويموت فيها (طب عن ابن عمر) // بإسناد ضعيف //(دليل الخير كفاعله) أي له ثواب كما أن لفاعل الخير ثوابا ولا يلزم تساويهما (ابن النجار) في تاريخه (عن علي) // وإسناد ضعيف //(دم عفراء أزكى عند الله) في رواية أحب إلى الله (من دم سوداوين) أي ضحوا بالعفراء وهي شاة يضرب لونها إلى بياض غير ناصع فإن دمها أفضل من دم شاتين سوداوين (طب عن كثيرة) بفتح الكاف وكسر المثلثة (بنت أبي سفيان) الخزاعية لها صحبة كذا ذكره أبو نعيم وابن منده وقال ابن ماكولا بموحدة // وإسناده ضعيف //(دم) شاة (عفراء أحب إلي من دم سوداوين) يعني في الأضاحي (حم ك عن أبي هريرة) قال في المهذب فيه أبو نفال واه(دم عمار) ابن ياسر (حرام على النار أن تأكله أو تمسه) لأن كمال الإيمان يطفئ حر النيران ونبه بالدم على بقية أجزاء بدنه (ابن عساكر عن علي) ورواه عنه أيضا البزار ورجاله ثقات(دوروا مع كتاب الله حيثما دار) فأحلوا حلاله وحرموا حرامه فإنه لكتابه المبين والصراط المستقيم (ك عن حذيفة) بن اليمان(دونك) بكسر الكاف أي خذي حقك يا عائشة (فانتصري) من زينب التي دخلت من غير إذن وهي غضبي ثم قالت أحسبك إذا قلبت لك بنية أبي بكر ذريعيها ثم أقبلت على عائشة فقال لها النبي ذلك (هـ عن عائشة) // بإسناد لين //(دية المعاهد) بفتح الهاء أي الذمى الذي له عهد (نصف دية الحر) أي المسلم وبه أخذ مالك وقال أبو حنيفة كدية مسلم وقال الشافعي كثلثها (دعن ابن عمرو) في إسناده مجهول(دية عقل الكافر نصف عقل المؤمن) أراد بالكافر من له ذمة أو أمان وبه قال مالك مطلقا وأحمد أن كان القتل

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢٥٥/١

خطأ والأفدية مسلم (ت عن ابن عمرو) بن العاص // بإسناد حسن //(دية المكاتب بقدر ما عتق منه دية الحر وبقدر ما رق منه دية العبد) قال الخطابي اجمعوا على أن المكاتب قن ما بقي عليه درهم جانيا ومجنيا عليه ولم يقل بهذا الحديث إلا النخعي وتعقب بأنه حكى عن أحمد (طب عن ابن." (١)

"كما قال موسى - عليه السلام -.﴿وعجلت إليك رب لترضى﴾ [طه: ٨٤] .وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «يقول الله - تعالى -: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي فلئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض روح عبدي." (٢)

"المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته» ، ولا بد له منه **فقوله حتى أحبه يريد** المحبة المطلقة الكاملة.وأما أصل المحبة: فهي حاصلة بفعل الواجبات، فإن الله يحب المتقين والمقسطين، ومن أدى الواجبات فهو من المتقين المقسطين.وقال - تعالى - فيهم:﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ [التوبة: ٣٠] (٣٠) ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ [التوبة: ٣١] .وقال - تعالى -:﴿قل يأهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل﴾ [المائدة: ٧٧] .وهو - سبحانه - خاطب النصارى بهذا لأن النصارى يعتمدون في دينهم على ما يقوله كبراؤهم الذين وضعوا لهم القوانين والنواميس." (٣)

"فقال: لوجدتني عنده ولم يقل: لوجدتني إياه، وهو عنده أي في قلبه، والذي في قلبه المثال العلمي.«وقال تعالى: عبدي جعت فلم تطعمني، فيقول: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول: أما علمت أن عبدي فلانا جاع، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي» ، ولم يقل لوجدتني قد أكلته.وكذلك قوله في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: من «عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» .وفي رواية: فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته.." (٤)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٩/٢

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١٧١/٣

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ١٧٢/٣

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٣٣٤/٣

"وهذا الحديث قد يحتج به القائلون بالحلول العام، أو الاتحاد العام أو وحدة الوجود، وقد يحتج به من يقول بالخاص من ذلك، كأشباه النصارى.والحديث حجة على الفريقين، فإنه قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، فأثبت ثلاثة: وليا له، وعدوا يعادي وليه، وميز بين نفسه وبين وليه، وعدو وليه، فقال: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب» ، ولكن دل ذلك على أن وليه الذي والاه فصار يحب ما يحب ويبغض ما يبغض، ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي، فيكون الرب مؤذنا بالحرب لمن عاداه، بأنه معاد لله.ثم قال تعالى:«وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه» ، ففرق بين العبد المتقرب، والرب المتقرب إليه، ثم قال: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فبين أنه يحبه بعد تقربه بالنوافل والفرائض.ثم قال: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وعند أهل الحلول والاتحاد العام أو الوحدة: هو صدره وبطنه وظهره ورأسه وشعره، وهو كل شيء، أو في كل شيء قبل التقرب وبعده، وعند الخاص وأهل الحلول صار هو، وهو كالنار والحديد والماء واللبن، لا يختص بذلك آلة الإدراك والفعل.." (١)

"أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها، وهي الحياة الطيبة في قوله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [سورة النحل: ٩٧] .ليس المراد منها الحياة المشتركة بين المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، ومن طيب المأكل والملبس والمشرب والمنكح، بل ربما زاد أعداء الله على أوليائه في ذلك أضعافا مضاعفة، وقد ضمن الله سبحانه لكل من عمل صالحا أن يحييه حياة طيبة، فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده، وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها وصارت هما واحدا في مرضاة الله ولم يتشعب قلبه، بل أقبل على الله، واجتمعت إرادته وأفكاره التي كانت متقسمة بكل واد منها شعبة على الله، فصار ذكره بمحبوبه الأعلى وحبه والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه هو المستولي عليه، وعليه تدور همومه وإرادته وقصوده بكل خطرات قلبه، فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله، وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر، وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يسكن، وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث، كما في صحيح البخاري عنه - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى، أنه قال: " «ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله، كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت، وأكره مساءته ولا بد له منه ".»فتضمن هذا الحديث الشريف الإلهي - الذي حرام على غليظ الطبع كسيف القلب فهم معناه والمراد به - حصر أسباب محبته في أمرين: أداء فرائضه، والتقرب إليه بالنوافل.وأخبر سبحانه أن أداء فرائضه أحب ما يتقرب به إليه المتقربون، ثم بعدها النوافل، وأن المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله، فإذا صار محبوبا لله أوجبت محبته لله له محبة أخرى منه فوق المحبة الأولى، فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه، وملكت عليه روحه، ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه ألبتة، فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الأعلى، ومالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبة الصادق في محبته، التي قد

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ابن تيمية ٣/٣٣٥

اجتمعت قوى محبة حبه كلها له.ولا ريب أن هذا المحب إن سمع سمع بمحبوبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به، فهو في قلبه ومعه وأنيسه وصاحبه، فالباء هاهنا للمصاحبة، وهي مصاحبة لا نظير لها، ولا تدرك بمجرد الإخبار عنها والعلم بها، فالمسألة حالية لا علمية محضة.." (١)

"فهو صادق الوعد الذي لا يخلف وعده. وأي حياة أطيب من حياة من اجتمعت همومه كلها، وصارت هما واحدا في مرضاة الله، ولم شعث قلبه بالإقبال على الله (١)، واجتمعت إراداته وأفكاره التي كانت منقسمة -بكل واد منها شعبة- على الله. فصار ذكر محبوبه الأعلى، وحبه،والشوق إلى لقائه، والأنس بقربه = هو المستولي عليه (٢). وعليه تدور همومه وإراداته وقصوده (٣)، بل خطرات قلبه. فإن سكت سكت بالله، وإن نطق نطق بالله. وإن سمع فبه يسمع، وإن أبصر فبه يبصر. وبه يبطش، وبه يمشي، وبه يتحرك، وبه يسكن. وبه يحيا، وبه يموت، وبه يبعث؛كما في صحيح البخاري عنه - صلى الله عليه وسلم - فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:"ما تقرب (٤) إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به [٩٣/ أ]، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها (٥). فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي.______________(١) س: "لم يشغب قلبه ... ". ل، خا: "لم يتشغب قلبه ... ". وفي ف: "لم يشغب قلبه بالإقبال على سوى الله تعالى"، وهذا صحيح في المعنى، ولكن رجحنا ما جاء في ز. ويؤيده قول المؤلف في المدارج (٣/ ٩٦): "ولا يلم شعث القلوب شيء غير الاقبال على الله"، وفيه (٣/ ١٦٤): "ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله". وانظر ما ياتي في كتابنا هذا (٤٩٦). وفي ط المدني وعبد الظاهر وغيرهما: "ولم يتشعب قلبه، بل أفبل على الله"، والظاهر أنه تصلاف من الناشرين.(٢) "عليه" ساقط من س.(٣) "وقصوده" ساقط من ف.(٤) ف: "وما تقرب".(٥) ل: "عليها".." (٢)

"ولا غيره.وأما قوله ولا لسؤاله منك فهذا كلام لم ينقله ثقة عن إبراهيم وهو مخالف لما حكاه الله عن إبراهيم من سؤاله ودعائه بل قوله حسبي الله ونعم الوكيل هو دعاء في حقيقة الأمر وقد تقدم التنبيه على نظير هذا لما ذكر في الحزب سؤال الله أن يغنيه عن سؤاله وذكرنا أن سؤال الله تارة واجبا وتارة مستحبا والواجبات لا بد منها والمستحبات لا يطلب من الله الغنى عنها فإن ذلك طلب من الله لنقص الدرجة وخفض المرتبة مثل أن يقول اللهم لا تجعلني أفعل نافلة ولا أتقرب إليك بتطوع ونحو ذلك والله يحب من عبده التقرب إليه بالنوافل بعد الفرائض كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه الحديث**.وفي الأحزاب أمور أخرى ... ومتى خرج الإنسان عن الأحزاب النبوية والأذكار والدعوات الشرعية كان كالسالك بنيات الطريق ... فقد الضلال من حيث لا يدري وقد يتداركه الله." (٣)

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء ابن القيم ص/١٨٤

(٢) الداء والدواء ط المجمع ابن القيم ص/٤٣٠

(٣) الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق ابن تيمية ص/٩٩

"فهكذا الأولياء منهم من يكون على الطريقة الأولى فتكون المباحات في حق غيره عبادات له يتقرب بها إلى الله لا يفعلها إلا بأمره ومنهم من يفعل المباحات متنعما بها غير آثم بها ولا معاقب عليها فهذا تقسيم صحيح معروف بالقلوب معلوم بالكتاب والسنة.وأما قول القائل عليك بمعرفة طريق العامة وهو طريق الترقي من منزل إلى منزل وأن طريق الخاصة منه إليه فهذا يشير إلى الحلول والاتحاد كما سنبينه إن شاء الله وما ثم طريق لخاصة ولا عامة إلا وفيها ترق من منزل إلى منزل كما قال أعلم الخلق بالله وبطريق الله فيما يروي عن الله ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه والتقرب** هو الترقي فما في أولياء الله إلا مترق متقرب إليه إما بالفرائض وإما بالنوافل بعد الفرائض ومن لم يتقرب إليه لا بفريضة ولا نافلة فليس من أولياء الله بل من أعدائه فضلا عن أن يكون من خواص الأولياء!وأما قوله فأول منزل يطؤه المحب للترقي منه إلى العلي فهو النفس فالكلام هنا في نوعين:أحدهما أن يقال كثير من المصنفين والمتكلمين في منازل السائرين إلى الله ومنهاج القاصدين إليه وطريق السالكين إليه يذكر كل منهم عدد المنازل وترتيبها بحسب سيره هو أو ما علمه هو من." (١)

"ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه".فالناظر إلى القدر لا يفرق بين مأمور ومحذور سواء كان فرضا أو نفلا وهو مع هذا لا بد لنفسه أن تميل إلى شيء وتنفر عن شيء فان خلو الحي عن الإرادة مطلقا محال فان لم يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه أحب ما تحبه نفسه وابغض ما تبغضه نفسه فيخرج عن الفرق الإلهي النبوي الذي هو حقيقة قول لا اله إلا الله وحقيقة دين الإسلام إلى الفرق النفساني الشيطاني.ثم هؤلاء صاروا فرقا أما ابن سينا وأمثاله من الملاحدة فإنهم يأمرون بهذا مع سائر إلحادهم من نفي الصفات وقدم الأفلاك وإنكار معاد الأبدان وجعل النبوة تنال بالكسب كالذكاء والزهد وإنما يفيض عليها فيض من العقل الفعال فيخرج من دين المسلمين واليهود والنصارى.بل الفناء المحمود عند العارفين هو تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله فلا يشهد لمخلوق شيئا من الإلهية فيشهد أنه لا خالق غيره ويشهد أنه لا يستحق العبادة غيره ويتحقق بحقيقة قوله: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ وقوله: ﴿فاعبده وتوكل." (٢)

"والاعتقادات الفاسدة. والمتردد منا- وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور- لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فإن الواحد منا قد يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد. فيزيد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة لا لجهله به كالشيء الواحد الذي يجب من وجه ويكره من وجه كما قيل:الشيب كره وأكره أن أفارقه ... فاعجب لشيء على البغضاء محبوبهذا مثل إرادة المريض للدواء الكريه بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب. وفي الصحيح: "حفت الجنة

---

(١) الرد على الشاذلي في حزبيه وما صنفه في آداب الطريق ابن تيمية ص/١١٩

(٢) الرد على المنطقيين ابن تيمية ص/٥٢٠

بالمكاره وحفت النار بالشهوات" وقال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ (البقرة:٢١٦) ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في الحديث فإنه قال: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه". فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو يحبها ثم اجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلها، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد إتفاق الإرادة وبحيث يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكره محبوبه والرب يكره أن يسيء عبده ومحبوبه، فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه. والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه. فالرب مريد لموته، لما سبق به قضاءه. وهومع ذلك كاره لمساءة عبده، وهي المساءة التي تحصل له بالموت. فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه. وهذا حقيقة التردد. وهو أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه وإن كان لا بد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده وليس بإرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ويريده. انتهى كلامه رحمه الله تعالى." (١)

"الكلام في غاية الحسن فإنه من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيما اذا قام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله كما قال في الحديث الصيحيح الذي في البخاري من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي **بالنوافل حتى أحبه فاذا** أحببته الحديث وذلك أن الرضا نوعان نوعا الرضا أحدهما الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه ويتناول ما أباحه الله من غير تعهد الى المحظور كما قال والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال تعالى ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون وهذا الرضا واجب ولهذا ذم من تركه بقوله ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله والنوع الثاني الرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب وقد قيل أنه واجب والصحيح أن الواجب هو الصبر كما قال الحسن الرضا غريزة ولكن الصبر معول المؤمن وقد روي في حديث ابن عباس أن النبي صلى." (٢)

"في بذل المال الذي هو مادة النفس فاذا كان حبه لله وعطاؤه لله ومنعه لله دل على كمال الايمان باطنا وظاهرا وأصل الشرك في الشركين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا انما هو اتخاذ أنداد يحبونهم كحب الله كما قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ومن كان حبه لله وبغضبه لله لا يحب الا الله ولا يبغض الا الله ولايعطي الا الله ولا يمنع الا الله فهذه حال السابقين من أولياء الله كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله

---

(١) الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله (مطبوع ضمن الفتوى الحموية الكبرى) ابن تيمية ص/١٦

(٢) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/١١٥

التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يجيب مسألته ويعذه مما استعاذ منه وقد ذم في كتابه من أحب أندادا من دونه قال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم وذم من اتخذ الهه هواه وهو أن يتأله ما يهواه ويحبه وهذا قد يكون فعل القلب فقط وقد مدح تعالى وذم في كتابه في غير موضع على المحبة والارادة والبغض والسخط والفرح والغم ونحو." (١)

"من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح: " لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به " الحديث، وكثير من المخطئين الذين ابتدعوا أشياء في الزهد والعبادة وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم دينا ثم إنهم ينتقصون العبودية ويدعون أن الخاصة يتعدونها كما يدعي النصارى في المسيح والقساوسة ويثبتون لخاصتهم من المشاركة في الله من جنس ما تثبته النصارى في المسيح وأمه والقسيسين والرهبان إلى أنواع أخر يطول شرحها في هذا الموضع.وإنما الدين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة." (٢)

"الذين لا يؤدون الواجبات ولا يتركون المحرمات، سواء كان عاقلا أو مجنونا أو مولها أو متولها، فمن اعتقد أن أحدا من هؤلاء من أولياء الله المتقين، وحزبه المفلحين، وعباده الصالحين، وجنده الغالبين السابقين المقربين والمقتصدين، الذين يرفع الله درجاتهم بالعلم والإيمان، مع كونه لا يؤدي الواجبات، ولا يترك المحرمات، كان المعتقد لولاية مثل هذا كافرا مرتدا عن دين الإسلام؛ غير شاهد لمحمد – صلى الله عليه وسلم –، بأنه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بل هو مكذب لمحمد – صلى الله عليه وسلم – فيما شهد به؛ لأن محمدا أخبر عن الله أن أولياء الله هم المتقون المؤمنون.قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس: ٦٢] ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٣] ، وقال تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] ، والتقوى أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله، يرجو رحمة الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله، يخاف عذاب الله، ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء فرائضه ثم بأداء نوافله. قال تعالى: «ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» . كما جاء في الحديث الصحيح الإلهي الذي رواه البخاري.[فصل أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض عنده]فصل: ومن أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض عنده الصلوات الخمس في مواقيتها، وهي أول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة، وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج، لم يجعل

---

(١) الزهد والورع والعبادة ابن تيمية ص/١٨٢

(٢) العبودية ابن تيمية ص/١١٩

فيها بينه وبين محمد واسطة، وهي عمود الإسلام، الذي لا يقوم إلا به، وهي أهم أمر الدين، كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله: «إن أهم أمركم عندي الصلاة ومن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة» . وقد ثبت في الصحيح، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة» ، وقال: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد." (١)

"والأصل في هذا الباب: أن يعلم الرجل أن أولياء الله هم الذين نعتهم الله في كتابه. حيث قال: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [يونس: ٦٢] ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ [يونس: ٦٣] .فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا. وفي الحديث الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – «أنه قال: يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع، وبي يبصر وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه» .ودين الإسلام مبني على أصلين، على أن لا نعبد إلا الله، وأن نعبده بما شرع، لا نعبده بالبدع. قال تعالى: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا﴾ [الكهف: ١١٠] . فالعمل الصالح ما أحبه الله ورسوله، وهو المشروع المسنون، ولهذا كان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول في دعائه، اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا، ولا تجعل لأحد فيه شيئا.ولهذا كانت أصول الإسلام تدور على ثلاثة أحاديث: قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» . وقوله: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» . وقوله: «الحلال بين والحرام بين، وبين ذلك أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب» .." (٢)

"وذكر عن الشيخ أبي عبد الرحمن أنه قال: سمعت النصر آبادي يقول: " من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله رضاه فيه "، فإن هذا الكلام في غاية الحسن، فإنه من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره، واجتناب نواهيه لا سيما إذا قام بواجبها ومستحبها، فإن الله يرضى عنه، كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله، كما قال في الحديث الصحيح الذي في البخاري «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبد بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته» الحديث.وذلك أن الرضا نوعان: أحدهما: الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، ويتناول ما أباحه الله من غير تعد إلى المحظور كما قال: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ [التوبة: ٦٢] .وقال تعالى: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ [التوبة: ٥٩] . وهذا

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١/١٨٠

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ١/٢٠٦

الرضا واجب، ولهذا ذم من تركه بقوله: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ [التوبة: ٥٨] ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ [التوبة: ٥٩] .والنوع الثاني: الرضا بالمصائب، كالفقر والمرض والذل، فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنه واجب، والصحيح: أن الواجب هو الصبر، كما قال الحسن: " الرضا غريزة، ولكن الصبر معول المؤمن "، وقد روي في حديث ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن استطعت أن تعمل بالرضا مع اليقين، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا» .وأما الرضا بالكفر والفسوق والعصيان، فالذي عليه أئمة الدين أنه لا يرضى بذلك، فإن الله لا يرضاه كما قال: ﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾ [الزمر: ٧] . وقال: ﴿والله لا يحب الفساد﴾ [البقرة: ٢٠٥]." (١)

"وبين من يدعي محبة الله ناظرا إلى عموم ربوبيته، أو متبعا لبعض البدع المخالفة لشريعته، فإن دعوى هذه المحبة لله من جنس دعوى اليهود والنصارى المحبة لله، بل قد تكون دعوى هؤلاء شرا من دعوى اليهود والنصارى لما فيهم من النفاق الذين هم به في الدرك الأسفل من النار، كما قد تكون دعوى اليهود والنصارى شر من دعواهم إذا لم يصلوا إلى مثل كفرهم، وفي التوراة والإنجيل من محبة الله ما هم متفقون عليه، حتى إن ذلك عندهم أعظم وصايا الناموس.ففي الإنجيل أن المسيح قال: " أعظم وصايا المسيح أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك "، والنصارى يدعون قيامهم بهذه المحبة، وأن ما هم فيه من الزهد والعبادة هو من ذلك، وهم براء من محبة الله إذ لم يتبعوا ما أحبه، بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم، والله يبغض الكافرين ويمقتهم، ويلعنهم.وهو سبحانه يحب من يحبه، لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له؛ وإن كان جزاء الله لعبده أعظم.كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال: «من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة» .وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين، والمحسنين والصابرين، ويحب التوابين، ويحب المتطهرين، بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب، كما في الحديث الصحيح: «لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به» الحديث.وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في " الزهد والعبادة " وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى: من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته، وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك، ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه، والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها، ولو صدق لم يكن قائلها معصوما، فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا، كما جعل النصارى قسيسيهم." (٢)

"ما يذكر في الإسرائيليات: " أن الله قال لداود: أما الذنب فقد غفرناه؛ وأما الود فلا يعود " فهذا لو عرفت صحته لم يكن شرعا لنا وليس لنا أن نبني ديننا على هذا؛ فإن دين محمد – صلى الله عليه وسلم – في التوبة جاء بما لم يجئ به شرع من قبله؛ ولهذا قال: «أنا نبي الرحمة؛ وأنا نبي التوبة» وقد رفع به من الآصار والأغلال ما كان على من قبلنا.وقد قال

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢/٣٩٣

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٥/٢٠١

تعالى في كتابه: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] وأخبر أنه تعالى يفرح بتوبة عبده التائب أعظم من فرح الفاقد لما يحتاج إليه من الطعام والشراب والموكب إذا وجده بعد اليأس. فإذا كان هذا فرح الرب بتوبة التائب وتلك محبته؛ كيف يقال: إنه لا يعود لمودته: ﴿وهو الغفور الودود﴾ [البروج: ١٤] ﴿ذو العرش المجيد﴾ [البروج: ١٥] ﴿فعال لما يريد﴾ [البروج: ١٦] . ولكن وده وحبه بحسب ما يتقرب إليه العبد بعد التوبة؛ فإن كان ما يأتي به من محبوبات الحق بعد التوبة أفضل مما كان يأتي به قبل ذلك كانت مودته له بعد التوبة أعظم من مودته له قبل التوبة؛ وإن كان أنقص كان الأمر أنقص؛ فإن الجزاء من جنس العمل؛ وما ربك بظلام للعبيد.وقد ثبت في الصحيح: عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب؛ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها: فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» .ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودة، وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وودهم.وقد قال تعالى:." (١)

"صفات أولياء اللهفصل في صفات أولياء اللهوإذا عرف أن الناس فيهم أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فيجب أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء، كما فرق الله ورسوله بينهما، فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ .الإيمان والتقوىوفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة – أو فقد آذنته بالحرب – وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» .- وفي رواية فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي – «ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا." (٢)

"من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته» ، وقال: «ومن وصلها وصله الله، ومن قطعها قطعه الله» ، ومثل هذا كثير.وأولياء الله تعالى على نوعين: مقربون، وأصحاب يمين، كما تقدم، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال: يقول الله تعالى: «من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها» .." (٣)

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ابن تيمية ٢٦٦/٥

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ابن تيمية ص/٧

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ابن تيمية ص/٣٣

"فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض، يفعلون ما أوجب الله عليهم، ويتركون ما حرم الله عليهم، ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات، ولا الكف عن فضول المباحات.وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات، والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع مايقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما، كما قال تعالى: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» ، يعني الحب المطلق كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ أي أنعم عليهم الانعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ .فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله، فشربوا صرفا، كما عملوا له صرفا.والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم، فلا يعاقبون عليه، ولا يثابون." (١)

"لا يكون أحد من الكفار والمنافقين وليافصلوإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا، لقوله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ .وفي صحيح البخاري الحديث المشهور، وقد تقدم يقول الله تبارك وتعالى فيه: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلبالفرائض، فيكون من الأبرار أهل اليمين، ثم بعد ذلك لا يزال يتقرب بالنوافل، حتى يكون من السابقين المقربين، فمعلوم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله، وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته وإن قدر أنه لا إثم عليه مثل أطفال الكفار، ومن لم تبلغه الدعوة، وإن قيل: أنهم لا يعذبون حتى يرسل إليهم، فلا يكونون من أولياء الله، إلا إذا كانوا من المؤمنين المتقين، فمن (لم) يتقرب إلى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات، لم يكن من أولياء الله.المجنون والمكاشفاتوكذلك المجانين والأطفال، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يرفع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن." (٢)

"حقيقة وأنها (١) من كرامات الأولياء الصالحين، وأنها دالة على ولاية صاحبها من الأدلة والبراهين، وقد بسط الكلام على هذه المسألة في غير هذا الموضع، لكن نذكر هنا ما يليق بهذا الجواب، فنقول: يجب أن يعرف أصلان عظيمان:أحدهما: أنه لا طريق إلى الله يوصل إلى ولايته وكرامته ومحبته ورضوانه إلا بمتابعته رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ الآية، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: « [إن الله قال] : من عادى لي وليا فقد آذنته بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه» . فالطرق التي بعث الله بها رسوله هي التقرب إلى الله بالفرائض، وبعد الفرائض بالنوافل، لا يتقرب إليه إلا بفعل

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ابن تيمية ص/٣٤

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ابن تيمية ص/٤٧

واجب أو مستحب و [يستوي] في ذلك الأمور الباطنة في القلوب والظاهرة للعيان، فحقائق الإيمان الباطنة في القلوب موافقة لشرائع الإسلام الظاهرة على الأبدان. وما ليس بواجب ولا مستحب عند أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا عند أئمة المسلمين المعروفين ولا مشايخ الدين المتقدمين –كالفضيل بن عياض وإبراهيم بن أدهم وأبي سليمان الداراني ومعروف الكرخي وغيرهم – فليس في هؤلاء من حضر هذا السماع المحدث ولا أمر به، بل هذا ظهر في الإسلام في__________(١) كذا في المطبوع.." (١)

"وجه ويكره من وجه، كما قيل:الشيب كره وكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوبوهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه، بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب، وفي ((الصحيح)) : ((حفت النار بالشهوات، وحفت الجنة بالمكاره)) (١) ، وقال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم ... ﴾ (٢) الآية.ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث؛ فإنه قال: ((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) ؛ فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له، يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو يحبها، ثم اجتهد في النوافل التي يحبها ويحب فاعلها، فأتى بكل ما يقدر عليه من محبوب الحق؛ فأحبه الحق لفعل محبوبه من الجانبين بقصد اتفاق الإرادة بحيث يحب ما يحبه محبوبه ويكره ما يكرهه محبوبه، والرب يكره أن يسوء عبده ومحبوبه؛ فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه.والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت؛ فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه، فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه، وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده وهي المساءة التي تحصل له بالموت؛ فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وهو أن يكون الشيء الواحد__________(١) رواه البخاري في (الرقاق، باب حجبت النار بالشهوات، رقم ٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: ((حجبت النار ...)) ، ومسلم في (الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم ٢٨٢٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات)) .(٢) البقرة: ٢١٦.." (٢)

"كلام عجيب في أن القلب المعمور بالتقوى إذا رجح بمجرد رأيه فهو ترجيح شرعي!(القلب المعمور بالتقوى إذا رجح بمجرد رأيه؛ فهو ترجيح شرعي، فمتى ما وقع عنده وحصل في قلبه ما بطن معه أن هذا الأمر أو هذا الكلام أرضى لله ورسوله؛ كان هذا ترجيحا بدليل شرعي، والذين أنكروا كون الإلهام ليس طريقا إلى الحقائق مطلقا أخطأوا، فإذا اجتهد العبد في طاعة الله وتقواه كان ترجيحه لما رجح أقوى من أدلة كثيرة ضعيفة؛ فإلهام مثل هذا دليل في حقه، وهو أقوى من كثير من الأقيسة الضعيفة والموهومة والظواهر والاستصحابات الكثيرة التي يحتج بها كثير من الخائضين في المذاهب والخلاف وأصول الفقه ...وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((الصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء)) (١) ، ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ولا سيما الأحاديث النبوية فإنه يعرف ذلك معرفة تامة؛ لأنه قاصد العمل بها؛ فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله، حتى إن المحب يعرف من

---

(١) المسائل والأجوبة ابن تيمية ١/١٥٩

(٢) المنتخب من كتب شيخ الإسلام علوي السقاف ص/٣٧

فحوى كلام محبوبه مراده منه تلويحا لا تصريحا.والعين تعرف من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديهاإنارة العقل مكشوف بطوع هوى وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراوفي الحديث الصحيح: ((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته؛ كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده_____________(١) جزء من حديث رواه مسلم في (الطهارة، باب فضل الوضوء، ٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.." [(١)]

"أخبرنا١ عبد الرزاق٢، عن الثوري٣، عن مسلم٤، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ ، قال: محبة٥.وهذا فيه إثبات حبه لهم، بعد أعمالهم؛ بقوله: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ ، وهو نظير قوله: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ٦؛ فهو يحبهم إذا اتبعوا الرسول. ونظير قوله في الحديث الصحيح: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها"٧.______________١ القائل عبد بن حميد.٢ هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم الصنعاني. ولد سنة ١٢٦، وتوفي سنة ٢١١. انظر: الجرح والتعديل ٦٣٩. وميزان الاعتدال ٢٦٠٩. وتهذيب التهذيب ٣.٦٣١١ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي. الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث. ولد سنة ٩٧، وتوفي سنة ١٦١. انظر: الجرح والتعديل ٤٢٢٢. وتاريخ بغداد ٩١٥١. وتهذيب التهذيب ٤.٤١١١ هو مسلم بن عمران، أو ابن أبي عمران البطين الكوفي.انظر: الجرح والتعديل ٨١٩١. وتهذيب التهذيب ٥.١٠١٣٤ تفسير القرآن للإمام عبد الرزاق – تحقيق مصطفى مسلم – ٢١٤. وانظر: تفسير الطبري ١١٣٢. والدر المنثور ٦.٤٢٨٧ سورة آل عمران، الآية ٧.٣١ أخرجه البخاري في صحيحه ٥٢٣٨٤-٢٣٨٥، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "بعثت أنا والساعة كهاتين". وأحمد في مسنده ٦٢٥٦.." [(٢)]

"الحديث السادس والثلاثون: صفة الأولياء.عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن: يكره الموت، وأكره مساءته. ولا بد له منه" رواه البخاري١.هذا حديث جليل، أشرف حديث في أوصاف الأولياء، وفضلهم ومقاماتهم.فأخبر أن معاداة أوليائه معاداة له ومحاربة له. ومن كان متصديا لعداوة الرب ومحاربة مالك الملك فهو مخذول. ومن تكفل الله بالذب عنه فهو منصور. وذلك لكمال موافقة أولياء الله لله في محابه؛ فأحبهم وقام بكفايتهم، وكفاهم ما أهمهم.ثم ذكر صفة الأولياء الصفة الكاملة، وأن أولياء الله هم الذين تقربوا إلى الله بأداء الفرائض أولا: من صلاة وصيام وزكاة وحج وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وجهاد، وقيام بحقوقه وحقوق عباده الواجبة.ثم انتقلوا من هذه الدرجة إلى التقرب إليه بالنوافل، فإن كل جنس من العبادات الواجبة مشروع من جنسه نوافل فيها فضائل عظيمة تكمل الفرائض،

---

(١) المنتخب من كتب شيخ الإسلام علوي السقاف ص/٢٤١

(٢) النبوات لابن تيمية ابن تيمية ٣٥٦/١

وتكمل ثوابها.فأولياء الله قاموا بالفرائض والنوافل، فتولاهم وأحبهم وسهل لهم كل طريق يوصلهم إلى رضاه. ووفقهم وسددهم في جميع حركاتهم، فإن سمعوا سمعوا بالله. وإن أبصروا فلله. وإن بطشوا أو مشوا ففي طاعة الله.______________(١) أخرجه: البخاري في "صحيحه" رقم: ٦٥٠٢ بتمامه دون الحرف الأخير منه وهو: "ولا بد له منه" وانظر: فتح الباري ٣٥٤/١١، فقد وردت من رواية ابن مخلد عن كرامة، وفي حديث وهب بن منبه.." (١)

"[حديث إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب]الحديث السادس والثلاثون عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه» رواه البخاري.هذا حديث جليل، أشرف حديث في أوصاف الأولياء، وفضلهم ومقاماتهم.فأخبر أن معاداة أوليائه معاداة له ومحاربة له. ومن كان متصديا لعداوة الرب ومحاربة مالك الملك فهو مخذول، ومن تكفل الله بالذب عنه فهو منصور، وذلك لكمال موافقة أولياء الله في محابه، فأحبهم وقام بكفايتهم، وكفاهم ما أهمهم.ثم ذكر صفة الأولياء الصفة الكاملة، وأن أولياء الله هم الذين تقربوا إلى الله بأداء الفرائض والنوافل أولا: من صلاة وصيام وزكاة وحج، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وجهاد، وقيام بحقوقه وحقوق عباده الواجبة.ثم انتقلوا من هذه الدرجة إلى التقرب إليه بالنوافل، فإن كل جنس من العبادات الواجبة مشروع من جنسه نوافل فيها فضائل عظيمة تكمل الفرائض، وتكمل ثوابها.." (٢)

"قال يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولايزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه." (٣)

"مستحضرين له ذاكرين له وإن لم يشعر هو بذلك ويقال فلان ما عنده إلا الله ورسوله ثم من المعلوم أن العلم والذكر والمحبة والتعظيم قد يكون من الطرفين فمن كان زيد عنده معلوما مذكورا محبوبا معظما فإنه قد يكون عند زيد كذلك وهذا ثابت في حق الله تعالى كما جاء في الأثر إذا أحب أحدكم أن يعلم كيف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه فإن الله ينزل العبد من نفسه حيث أنزله العبد من قلبه وقد قال تعالى فيما روى عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من ذكرني في

---

(١) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الرشد عبد الرحمن السعدي ص/٩٧

(٢) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ط الوزارة عبد الرحمن السعدي ص/٨٧

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٥٢/٦

نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم ومن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة وقال لايزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه لأن** النوافل." [١]

"إلى تأويل فإنه قال من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولايزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبى يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة فقوله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة تصريح منه بالفرق والجمع حيث جعل معاداة وليه معاداة له ولم يجعل نفسه ذات وليه ثم قال وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه فقد بين وأظهر أن المتقرب إليه عبده والمتقرب ليس المتقرب إليه." [٢]

"وقال لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه وهذا** كله إظهار وبيان لأن الله تعالى ليس هو عين العبد وأعضائه وقواه ثم قال فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه فقد بين واظهر بعد قوله كنت سمعه وبصره وقوله فبي يسمع وبي يبصر أنه لئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ومن المعلوم أن هذا صريه في أن السائل المستعيذ ليس هو المستعاذ به ثم قال وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نقس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته وهذا تصريح بأنه عبده ليس الرب جزءا منه ولا صفة له وأنه يقبض ويموت ومعلوم أن الله حي لا يموت فضلا عن أن يكون بعضا أو صفة لمن يموت فإنه لو كان ظاهره أن الله نفسه هو عين العبد وسمعه ويده ورجله لكانت هذه الأعضاء تموت بموت الجملة." [٣]

"اتفق السلف على أن " النزول " فعل يفعله الرب كما قال ذلك الأوزاعي وحماد بن زيد والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهم.وأيضا فقد قال صلى الله عليه وسلم " ﴿لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته﴾ " وفي الحديث الصحيح الآخر " ﴿ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به﴾ "أذن يأذن أذنا: أي استمع يستمع استماعا ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ . فأخبر أنه يستمع إلى هذا وهذا.وفي الصحيح " ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا**." [٤]

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٦/٢٦١

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٦/٢٦٧

(٣) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ابن تيمية ٦/٢٦٨

(٤) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم ابن تيمية ٢/٢٦

"النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ".حكم المباحات وأنواعها:وأما ما لا يؤمر العبد فيه بواحد منهما: فمثل ما يظهر له من فعل الإنسان للمباحات التي لم يتبين له أنه يستعان بها على طاعة ولا معصية. فهذه لا يؤمر بحبها ولا ببغضها وكذلك مباحات نفسه المحضة التي لم يقصد الاستعانة بها على طاعة ولا معصية. مع أن هذا نقص منه فإن الذي ينبغي أنه لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة ويقصد الاستعانة بها على الطاعة فهذا سبيل المقربين السابقين الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض ولم يزل أحدهم يتقرب إليه **بذلك حتى أحبه فكان** سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها.وأما من فعل المباحات مع الغفلة أو فعل فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة مع أداء الفرائض واجتناب المحارم باطنا وظاهرا فهذا من المقتصدين أصحاب اليمين.وبالجملة الأفعال التي يمكن دخولها تحت الأمر والنهي لا تكون مستوية من كل وجه بل إن فعلت على الوجه المحبوب كان وجودها خيرا للعبد،." (١)

"وقد ثبت في الصحيح قول الله تعالى: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي﴾ .وفي مثل هذا يقال حديث وابصة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " البر ما اطمأنت إليه النفس وسكن إليه القلب، والإثم ما حاك في نفسك، وإن أفتوك وأفتوك ". وفي صحيح مسلم حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه." (٢)

"بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منهتأويل طوائف من المسلمين للمحبة تأويلات خاطئةوقد تأول الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعالوطائفة أخري من الصفاتية قالوا هي إرادة الإحسان وربما قال كلا من القولين بعض المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهموسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هي عليهوكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها إرادة العبادة له وإرادة التقرب إليه لا يثبتون أن العبد يحب اللهوسلف الأمة وأئمة السنة ومشايخ المعرفة وعامة أهل الإيمان متفقون على خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين بل هم متفقون على أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربهكما قال تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وقال." (٣)

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٧٩/٢

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٩٥/٢

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٢٣٧/٢

"أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال ولا يكون ثابتا وقد يعتقد في كثير من الأعمال أنه معمول لله ولا يكون للهفمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة وهي الواجبات والمستحبات إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبدهوكما في الحديث الصحيح عن الله تعالى من عادي لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منهوكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته كما في الحديث الصحيح في الذي كان يصلي بأصحابه فيقرأ قل هو الله أحد إما أن يقرأها وحدها أو يقرأ بها مع سورة أخري فأخبروا بذلك النبي صلي الله عليه وسلم فقال سلوه لم يفعل ذلك فقال لأني أحبها فقال أن حبك إياها أدخلك الجنة." (١)

"ذلك المقدر في ذهنه أن يكون موجودا في الخارج وهو لم يحكم على نفيه حتى صار موجودا في نفسه وجودا تقديرياالحب يتبع الإحساس والإحساس يكون بموجود لا بمعدومفإذا كان الحب يتبع الإحساس والإحساس لا يكون إلا بموجود ما فإن ما يحب لا يكون إلا بموجود وأيضا فإن الإحساس لا يكون أولا إلا لموجود فكذلك الحب في نفسه لا يكون إلا لموجود أو محبوب وإن كان يحب وجود المعدوم فهو لاشيء وما ليس بشيء لا يكون محبوبا وإن كان يحب وجود المعدوم ويريده فلا بد أن يكون قبل ذلك قد ذاقه والتذ به **موجودا حتى أحبه بعد** ذلك أو ذاق والتذ بنظيره أو بما يشبهه كما ذلك في العلم وهذا مذكور في غير هذا الموضعولا يرد على هذا ما يوجد من بكاء الصبي حين يولد قبل أن يذوق طعم اللبن فإذا ذاق اللبن التذ به وسكن فإن الصبي قبل ذوقه اللبن لم يكن يحبه ويشتهيه ولكن يجد ألم الجوع فيبكي من ذلك الألم فلما ذاق اللبن ووجد لذته وأنه أذهب ألم الجوع أحبه من حينئذ صار يشتهيه ويحبه وهكذا كل." (٢)

"اتقى الله، وحفظ حدوده، وراعى حقوقه في حال رخائه، فقد تعرف بذلك إلى الله، وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة، فعرفه ربه في الشدة، ورعى له تعرفه إليه في الرخاء، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه، ومحبته له، وإجابته لدعائه.فمعرفة العبد لربه نوعان: أحدهما: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان، وهذه عامة للمؤمنين.والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون، كما قال بعضهم: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل له: وما هو قال: معرفة الله عز وجل.وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي، وليس معرفته الإقرار به، ولكن المعرفة إذا عرفته استحييت منه.ومعرفة الله أيضا لعبده نوعان: معرفة عامة، وهي علمه سبحانه بعباده، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه، كما قال: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق: ١٦] [ق: ١٦] ، قال: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم ابن تيمية ٢/٢٥٧

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم ابن تيمية ٢/٣٩٩

أمهاتكم﴾ [النجم: ٣٢] [النجم: ٣٢] .والثاني: معرفة خاصة، وهي تقتضي محبته لعبده، وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه " «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي." (١)

"الحديث الثامن والثلاثون. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قال من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» ،. رواه البخاري.ـــــــهذا الحديث تفرد بإخراجه البخاري دون بقية أصحاب الكتب، خرجه عن محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر الحديث بطوله، وزاد في آخره: «وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» . وهو من غرائب " الصحيح " تفرد به ابن كرامة عن خالد، وليس في " مسند أحمد " مع أن خالد بن مخلد القطواني تكلم فيه أحمد وغيره، وقالوا: له مناكير، وعطاء الذي في إسناده قيل: إنه ابن أبي رباح، وقيل: إنه ابن يسار، وإنه وقع في بعض نسخ " الصحيح " منسوبا كذلك.." (٢)

"وقد روي هذا الحديث من وجوه أخر لا تخلو كلها عن مقال فرواه عبد الواحد بن ميمون أبو حمزة مولى عروة بن الزبير عن عروة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «من آذى لي وليا، فقد استحل محاربتي، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء فرائضي، وإن عبدي ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت عينه التي يبصر بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن موته، وذلك أنه يكره الموت وأنا أكره مساءته» . خرجه ابن أبي الدنيا وغيره، وخرجه الإمام أحمد بمعناه. وذكر ابن عدي أنه تفرد به عبد الواحد هذا عن عروة، وعبد الواحد هذا قال فيه البخاري: منكر الحديث، ولكن خرجه الطبراني: حدثنا هارون بن كامل، حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا إبراهيم بن سويد المدني، حدثني أبو حرزة يعقوب بن مجاهد، أخبرني عروة، عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره. وهذا إسناده جيد، ورجاله كلهم ثقات مخرج لهم في " الصحيح " سوى شيخ الطبراني، فإنه لا يحضرني الآن معرفة حاله، ولعل الرواي قال: حدثنا أبو حمزة، يعني عبد الواحد بن ميمون، فخيل للسامع أنه قال: أبو حرزة، ثم سماه." (٣)

"من عنده بناء على وهمه والله أعلم. وخرج الطبراني وغيره من رواية عثمان بن أبي عاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: يقول الله عز وجل: «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، ابن آدم، إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك، ولا يزال عبدي يتحبب إلي بالنوافل حتى أحبه، فأكون قلبه

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٤٧٣/١

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٣٣٠/٢

(٣) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٣٣١/٢

الذي يعقل به، ولسانه الذي ينطق به، وبصره الذي يبصر به، فإذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته، وإذا استنصرني نصرته، وأحب عبادة عبدي إلي النصيحة» . عثمان وعلي بن يزيد ضعيفان. قال أبو حاتم الرازي في هذا الحديث: هو منكر جدا. وقد روي من حديث علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد ضعيف، خرجه الإسماعيلي في " مسند علي ". وروي من حديث ابن عباس بسند ضعيف، وخرجه الطبراني، وفيه زيادة في لفظه، ورويناه من وجه آخر عن ابن عباس وهو ضعيف أيضا. وخرجه الطبراني وغيره من حديث الحسن بن يحيى الخشني، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي، عن هشام الكناني، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم، عن جبريل، عن ربه تعالى قال: «من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما." (١)

"ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين من يريد بابا من العبادة، فأكفه عنه لا يدخله عجب، فيفسده ذلك، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتنفل إلي حتى أحبه، ومن أحببته، كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، دعاني فأجبته، وسألني فأعطيته، ونصح لي فنصحت له، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، وإن بسطت له أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو أصححته، لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني عليم خبير» . والخشني وصدقة ضعيفان، وهشام لا يعرف، وسئل ابن معين عن هشام هذا: من هو قال: لا أحد، يعني: لا يعتبر به. وقد خرج البزار بعض الحديث من طريق صدقة عن عبد الكريم الجزري، عن أنس. وخرج الطبراني من حديث الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة، عن زر بن حبيش، سمعت حذيفة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى أوحى إلي: يا أخا المرسلين، ويا أخا المنذرين أنذر قومك لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها، فأكون سمعه الذي يسمع به، وأكون بصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري من النبيين والصديقين والشهداء في الجنة» . وهذا إسناد جيد وهو غريب جدا.." (٢)

"السلام حين كلمه: اعلم أن من أهان لي وليا أو أخافه، فقد بارزني بالمحاربة، وبادأني وعرض نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي أو يظن الذي يعازني أن يعجزني أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة، فلا أكل نصرتهم إلى غيري ".واعلم أن جميع المعاصي محاربة لله عز وجل، قال الحسن بن آدم هل لك بمحاربة الله من طاقة فإن من عصى الله فقد حاربه، لكن كلما كان الذنب أقبح، كان أشد محاربة لله، ولهذا سمى الله تعالى أكلة الربا وقطاع الطريق محاربين لله تعالى ورسوله؛ لعظم ظلمهم لعباده، وسعيهم بالفساد في بلاده، وكذلك معاداة أوليائه، فإنه تعالى يتولى نصرة أوليائه، ويحبهم ويؤيدهم، فمن عاداهم، فقد عادى الله وحاربه، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا، فمن آذاهم فقد آذاني،

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٢/٣٣٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٢/٣٣٣

ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» خرجه الترمذي وغيره. وقوله: «وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» : لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم، وتجب موالاتهم، فذكر ما يتقرب به إليه، وأصل الولاية القرب، وأصل العداوة البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياءه المقربين قسمين: أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات، لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده.." (١)

"ومن الفرائض المقربة إلى الله تعالى عدل الراعي في رعيته، سواء كانت رعيته عامة كالحاكم، أو خاصة كعدل آحاد الناس في أهله وولده، كما قال صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» . وفي " صحيح مسلم "، عن عبد الله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن – وكلتا يديه يمين – الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا» . وفي " الترمذي " عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن أحب العباد إلى الله يوم القيامة وأدناهم إليه مجلسا إمام عادل» . الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله، كما قال: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» ، فمن أحبه الله، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده، كما قال الله تعالى: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة: ٥٤] [المائدة: ٥٤] ، ففي هذه الآية إشارة." (٢)

"وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه، ومحبته له، وإجابته لدعائه.فمعرفة العبد لربه نوعان:أحدهما: المعرفة العامة، وهي معرفة الإقرار به والتصديق والإيمان، وهذه عامة للمؤمنين.والثاني: معرفة خاصة تقتضي ميل القلب إلى الله بالكلية، والانقطاع إليه، والأنس به، والطمأنينة بذكره، والحياء منه، والهيبة له، وهذه المعرفة الخاصة هي التي يدور حولها العارفون، كما قال بعضهم: مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل له: وما هو قال: معرفة الله – عز وجل –.وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي، وليس معرفته الإقرار به، ولكن المعرفة التي إذا عرفته استحييت منه (١) .ومعرفة الله أيضا لعبده نوعان:معرفة عامة وهي علمه سبحانه بعباده، واطلاعه على ما أسروه وما أعلنوه، كما قال: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ (٢) ، وقال: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ (٣) .والثاني: معرفة خاصة: وهي تقتضي محبته لعبده وتقريبه إليه، وإجابة دعائه، وإنجاءه من الشدائد، وهي المشار إليها بقوله – صلى الله عليه وسلم – فيما يحكى عن ربه: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله

---

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٣٣٥/٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط ابن رجب الحنبلي ٣٣٧/٢

التي يمشي بها، فلئن سألني، لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)) ،ـــــــــــــــ(١) ذكره ابن الجوزي في " صفة الصفوة " ١٩٦/٤ بلفظ: ما أغبط أحدا إلا من عرف مولاه، وأشتهي أن لا أموت حتى أعرفه معرفة العارفين الذين يستحبونه، لا معرفة التصديق.(٢) ق: ١٦.(٣) النجم: ٣٢.." (١)

"الحديث الثامن والثلاثونعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه)) . رواه البخاري (١) .هذا الحديث تفرد بإخراجه البخاري من دون بقية أصحاب الكتب، خرجه عن محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال، حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر، عن عطاء، عن أبي هريرة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، فذكر الحديث بطوله،ـــــــــــــــ(١) في " صحيحه " ١٣١/٨ (٦٥٠٢) .وأخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٤/١ - ٥، والبيهقي ٣٤٦/٣ و٢١٩/١٠ وفي " الزهد "، له (٦٩٠) ، والبغوي في " شرح السنة " (١٢٤٨) .." (٢)

"في بعض نسخ " الصحيح " منسوبا كذلك.وقد روي هذا الحديث من وجوه أخر لا تخلو كلها عن مقال، فرواهعبد الواحد بن ميمون أبو حمزة مولى عروة بن الزبير عن عروة، عن عائشة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: ((من آذى لي وليا، فقد استحل محاربتي، وما تقرب إليعبدي بمثل أداء فرائضي، وإن عبدي ليتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذاأحببته، كنت عينه التي يبصر بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشيبها، وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن موته، وذلك أنه يكره الموت وأنا أكره مساءته)) . خرجه ابن أبي الدنيا (١) وغيره، وخرجه الإمام أحمد (٢)بمعناه.ـــــــــــــــ(١) في " الأولياء " (٤٥) عن عائشة، به.(٢) في " مسنده " ٢٥٦/٦، وإسناد الحديث ضعيف جدا؛ لشدة ضعف عبد الواحد مولى عروة، وهو ابن ميمون أبو حمزة قال عنه الإمام البخاري: ((منكر الحديث)) .." (٣)

"وخرج الطبراني (١) وغيره من رواية عثمان بن أبي العاتكة، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، قال: ((يقول الله - عز وجل -: من أهان لي وليا، فقد بارزني بالمحاربة، ابن آدم، إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك، ولا يزال عبدي يتحبب إلي بالنوافل حتى أحبه، فأكون قلبه الذي يعقل به، ولسانه الذي ينطق به، وبصره الذي يبصر به، فإذا دعاني أجبته، وإذا سألني أعطيته، وإذا استنصرني نصرته، وأحب عبادة عبدي إلي النصيحة)) . عثمانوعلي ابن يزيد ضعيفان. قال أبو حاتم الرازي في هذا الحديث: هو منكرجدا (٢) .وقد روي من حديث علي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بإسناد ضعيف، خرجه الإسماعيلي في" مسند علي " (٣) .وروي من

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٥٦٢/٢

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ١٠٥٧/٣

(٣) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ١٠٦٣/٣

حديث ابن عباس بإسناد ضعيف، خرجه الطبراني (٤) ، وفيه زيادة في لفظه، ورويناه من وجه آخر عن ابن عباس وهو ضعيف أيضا.وخرجه الطبراني وغيره (٥)من حديث الحسن بن يحيى الخشني، عن صدقة بن عبد الله الدمشقي، عن هشام الكناني، عن أنس، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، عن جبريل، عن ربه تعالى قال:ـــــــــــــــــ(١) في " الكبير " (٧٨٨٠) .(٢) في " العلل " ٣٩٩/٢ عقيب (١٨٧٢) .(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر ٤١٥/١١.(٤) في " الكبير " (١٢٧١٩) من حديث عبد الله بن عباس، به.وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ٢٧٠/١٠ عن عبد الله بن عباس، به.(٥) أخرجه: ابن الجوزي في " العلل المتناهية " ٢٧/١ و٤٤ عن أنس بن مالك، به.وانظر: الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية (٩٣) .." [1]

"((من أهان لي وليا، فقد بارزني بالمحاربة، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ما ترددت في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت، وأكره مساءته، ولابد له منه، وإن من عبادي المؤمنين من يريد بابا من العبادة، فأكفه عنه لا يدخله عجب، فيفسده ذلك، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتنفل إلي حتى أحبه، ومن أحببته، كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا، دعاني، فأجبته، وسألني، فأعطيته، ونصح لي فنصحت له، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الفقر، وإن بسطت له، أفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته، لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته، لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي بعلمي بما في قلوبهم، إني عليم خبير)) . والخشني وصدقة ضعيفان، وهشام لا يعرف، وسئل ابن معين عن هشام هذا: من هو قال: لا أحد، يعني: أنه لا يعتبر به. وقد خرج البزار (١) بعض الحديث من طريق صدقة، عن عبد الكريم الجزري، عن أنس (٢) .وخرج الطبراني من حديث الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة، حدثني زر بنحبيش، سمعت حذيفة يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إن الله تعالى أوحى إلي: يا أخا المرسلين، ويا أخا المنذرين أنذر قومك أن لا يدخلوا بيتا من بيوتي ولأحد عندهم مظلمة، فإني ألعنه ما دام قائما بين يدي يصلي حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها، فأكون سمعه الذي يسمع به، وأكون بصره الذي يبصر به، ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة)) (٣) وهذا إسناد جيد وهو غريب جدا (٤) .ـــــــــــــــــ(١) لم أعثر على هذا الحديث عند البزار في " مسنده " ولا في "كشف الأستار ".(٢) أخرجه: الطبراني في " الأوسط " (٦١٣) ، والطبعة العلمية (٦٠٩) قال الطبراني: ((لم يرو هذا الحديث عن عبد الكريم إلا صدقة، تفرد به عمر)) . وعمر بن سعيد أبو حفص الدمشقي الذي تفرد به ضعيف، فالحديث ضعيف، وانظر: مجمع الزوائد ٢٧٠/١٠، وفتح الباري ٣٤٩/١١.(٣) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ١١٦/٦ من طريق الطبراني، وقال: ((غريب من حديث الأوزاعي، عن عبدة)) ، وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٣٤٩/١١: ((سنده حسن غريب)) .(٤) انظر: حلية الأولياء ١١٦/٦، وفتح الباري لابن حجر ٤١٥/١١.." [2]

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ١٠٦٦/٣

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ١٠٦٧/٣

"وقوله: ((وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) (١) : لما ذكر أن معاداة أوليائه محاربة له، ذكر بعد ذلك وصف أوليائه الذين تحرم معاداتهم، وتجب موالاتهم، فذكر ما يتقرب به إليه، وأصل الولاية: القرب، وأصل العداوة: البعد، فأولياء الله هم الذين يتقربون إليه بما يقربهم منه، وأعداؤه الذين أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه، فقسم أولياءه المقربين إلى قسمين:أحدهما: من تقرب إليه بأداء الفرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وترك المحرمات؛ لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده.والثاني: من تقرب إليه بعد الفرائض بالنوافل، فظهر بذلك أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسوله، فمن ادعى ولاية الله، والتقرب إليه، ومحبته بغير هذه الطريق، تبين أنه كاذب في دعواه، كما كان المشركون يتقربون إلى الله تعالى بعبادة من يعبدونه من دونه، كما حكى الله عنهم أنهم قالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى اللهزلفى﴾ (٢) ، وكما حكى عن اليهود والنصارى أنهم قالوا: ﴿نحن أبناء اللهوأحباؤه﴾ (٣) مع إصرارهم على تكذيب رسله، وارتكاب نواهيه، وترك فرائضه.فلذلك ذكر في هذا الحديث أن أولياء الله على درجتين:أحدهما: المتقربون إليه بأداء الفرائض،__________(١) سبق تخريجه.(٢) الزمر: ٣.(٣) المائدة: ١٨.." (١)

"الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربوا إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع، وذلك يوجب للعبد محبة الله، كما قال: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) (١) ، فمن أحبه الله، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده، كما قال الله تعالى: ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ (٢) ، ففي هذه الآية إشارة إلى أن منأعرض عن حبنا، وتولى عن قربنا، لم نبال، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحةمنه وأحق، فمن أعرض عن الله، فما له من الله بدل، ولله منه أبدال.ما لي شغل سواه ما لي شغل ... ما يصرف عن هواه قلبي عذلما أصنع إن جفا وخاب الأمل ... مني بدل ومنه ما لي بدلوفي بعض الآثار يقول الله – عز وجل –: ((ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتني، وجدت كل شيء، وإن فتك، فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كلشيء)) (٣) .كان ذو النون يردد هذه الأبيات بالليل كثيرا:اطلبوا لأنفسكم ... مثل ما وجدت أناقد وجدت لي سكنا ... ليس في هواه عناإن بعدت قربني ... أو قربت منه دنا (٤)من فاته الله، فلو حصلت له الجنة بحذافيرها، لكان مغبونا، فكيف إذا لم يحصل له إلا نزر يسير حقير من دار كلها لا تعدل جناح بعوضة:__________(١) سبق تخريجه.(٢) المائدة: ٥٤.(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٧٦٨ وصدره بقوله: ((وقد ورد في بعض الكتب الإلهية)) ثم ساقه مطولا.(٤) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٩/٣٤٤.." (٢)

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٣/١٠٧١

(٢) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٣/١٠٧٥

"سئل شيخ الإسلام مفتي الأنام حبر الأمة تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه، فيمن يدعي أن ثم غوثا وأقطابا وأبدالا وأولياء، وأن بهم يستسقى الغيث وتنزل الرحمة ويكشف العذاب، وإذا غضب الله على أحد من أهل الأرض وأراد أن ينزل غضبه، نظر إلى قلوب هؤلاء، فإن وجدهم راضين بذلك أنزل عذابه، وإلا رفعه، وكذلك الرحمة والنصر والرزق، وأن الغوث بمكة مقيم. ومن يدعي أن هؤلاء المولهين والبهاليل الذين لا يصلون، ولا يتوقون نجاسة ولا غيرها.فأجاب رضي الله عنه قائلا:الحمد لله رب العالمين. الذي دل عليه الكتاب والسنة، وعليه سلف الأمة وخلفها الصالحون المتبعون للسلف -: أن لله تعالى أولياء، كما له أعداء، وأولياء الله هم المنعوتون في قوله تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الأخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤)) (١) .وفي صحيح البخاري (٢) عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره____________(١) سورة يونس: ٦٢-٦٤.(٢) برقم (٦٥٠٢) .." [١]

"حيث كانوا ومن كانوا".وفي صحيح البخاري (١) عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه".فقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن أولياء الله نوعان: المقربون السابقون، والأبرار أصحاب اليمين، هم الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض.والآخرون هم المؤدون للفرائض المجتنبون للمحارم، كما قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) (٢) . فالظالم لنفسه: هو صاحب الذنوب والخطايا؛ والمقتصد: هو الذي يفعل ما فرضه الله عليه ويترك ما حرمه الله عليه؛ والسابق بالخيرات: هو الذي لا يزال يتقرب إلى الله بما يقدر عليه من النوافل بعد الفرائض. وهؤلاء هم المتبعون لخاتم المرسلين وإمام المتقين وأفضل خلق الله أجمعين محمد - صلى الله عليه وسلم - تسليما، الذي بعثه الله إلى الناس بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فهدى به من الضلالة، وأرشد به من الغواية، وفتح به____________(١) برقم (٦٥٠٢) عن أبي هريرة.(٢) سورة فاطر: ٣٢.." [٢]

"يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم (٦٤)) (١) .فأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وهم نوعان: الأبرار وأصحاب اليمين؛ والسابقون المقربون. فالأولون هم المقربون إلى الله بفعل ما فرضه وترك ما حذره؛ والآخرون هم الذين يتقربون إليه بعد الواجبات بالنوافل

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦٧/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٨٦/١

المستحبات، كما روى البخاري في صحيحه (٢) عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبد بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه".فقد بين – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث نوع أولياء الله المتقربين بالفرائض،ونوع أهل النوافل بالمحبة. ومالم يكن من الواجبات ولا من المستحبات، ولم يأمر الله به ورسوله لا أمر إيجاب ولا استحباب، ولا فضله الله ورسوله بالترغيب فيه، فليس من الأعمال الصالحة، وليس من العبادات التي يتقرب بها إلى الله، وإن كان كثير من عباد المشركين وأهل الكتاب والمبتدعين يتقربون بما يظنونه عبادات،__________(١) سورة يونس: ٦٢-٦٤.(٢) برقم (٦٥٠٢) .." [(١)]

"دين الله، وأهله هم عباد الله الذين لا سلطان للشيطان عليهم، كما قال تعالى: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلا (٦٥)) (١) .ولما قال الشيطان: (بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) إلا عبادك منهم المخلصين (٤٠)) (٢) قال الله: (هذا صراط علي مستقيم (٤١) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) ، ثم قال: (إلا من اتبعك من الغاوين) (٣) .وهذا استثناء منقطع في أصح القولين، لقوله في الآية الأخرى. (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (٦٥)) (٤) ، ولم يستثن منهم أحدا. وقال في الآية الأخرى: (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٩٨) إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون (١٠٠)) (٥) .وعباد الله هم الذين عبدوه وحده مخلصين له الدين، وعبادته إنما هي بطاعته وطاعة رسله، وذلك هو الواجب والمستحب، كما في صحيح البخاري (٦) وغيره [في] حديث الأولياء من حديث أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "يقول الله: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة" – وروي: فقد آذنته بالحرب – "وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لاعطينه،__________(١) سورة الإسراء: ٦٥.(٢) سورة الحجر: ٣٩-٤٠.(٣) سورة الحجر: ٤١-٤٢.(٤) سورة الإسراء: ٦٥.(٥) سورة النحل: ٩٨-١٠٠.(٦) برقم (٦٥٠٢) .." [(٢)]

"أو أقل أو أكثر، ويتكلمون في ذلك نظما ونثرا بكلام يناقض العقل ويخالف دين الإسلام.وحقيقة الأمر في ذلك أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون (١) ، كما قال تعالى: ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٦٢) الذين آمنوا وكانوا يتقون (٦٣) لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) (٢)/وفي صحيح البخاري (٣) عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٩٨/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٢١٥/١

عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، (وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) (٤) ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه".وأيضا فإن الله بعبادات عباده المؤمنين ودعائهم يجلب للناس_______________(١) بين المؤلف ذلك في "الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" وغيره من مؤلفاته ورسائله.(٢) سورة يونس: ٦٢- ٦٤.(٣) برقم (٦٥٠٢) .(٤) ما بين القوسين مستدرك في الهامش، ولم يظهر منه إلا قليل.." (١)

"مسألةأيهما أولى: معالجة ما يكره الله من قلبك، مثل الحسد والحقد والغل والكبر والرياء والسمعة ورؤية الأعمال وقسوة القلب وغير ذلك مما يختص بالقلب، من درنه وخبثه أو الاشتغال بالأعمال الظاهرة من الصلاة والصيام وأنواع القربات من النوافل والمندوبات مع وجود الأمور في قلبه أفتونا مأجورين.جوابشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية الحراني - رضي الله تعالى عنه- الحمد لله. من ذلك ما هو أوجب، وإن الأوجب أفضل وزيادة، كما قال تعالى فيما يروي عنه رسوله - صلى الله عليه وسلم -: "ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه"، ثم قال: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" (١) .والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب، فإن القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا خبث الملك خبث جنوده. ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إلا وإن في الجسد مضغة إذا_______________(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة.." (٢)

"فاسد، ونحن إنما ذكرنا امتناع الدور الغائي لبيان فساد هذا ونحوه، وامتناع أن يكون لله ند يحب كحب الله الذي تجب محبته لذاته، ونحن إذا قلنا: إن الدور في العلل الغائية ممتنع، كان المراد به أنه يمتنع أن يكون كل منهما مرادا مطلوبا للاخر محبوبا للاخر بإرادة صحيحة، وقصد صحيح، ومحبة صحيحة، فأما الفاسد من الإرادة فهو نظير من يعتقد جواز كون كل من الشيئين علة للاخر، وقد منعنا أن يكون علة في نفس الأمر أو فاعلا له في نفس الأمر، وإن كان من الناس من يعتقد أنه فاعل له ورب له، لكن هذا اعتقاد فاسد، فكذلك من ظن في شيء غير الله أنه مقصود لنفسه، معبود لنفسه، محبوب **لنفسه، حتى أحبه وعبده** وعشقه، فهذا أيضا جاهل في ذلك ضال فيه، كما أن الأول جاهل في ظنه أن غير الله رب. ولهذا لما تكلم الناس في العشق [هل] هو لفساد الإدراك، وهو تخيل المعشوق على خلاف ما هو به، أو لفساد في الإرادة، وهو المحبة المفرطة الزائدة على الحق= كان الصواب أن العشق يتناول النوعين، وهو فساد في الإدراك والتصور، وفساد في الإرادة والقصد، ولهذا كان سكرا وجنونا ونحو ذلك مما يتضمن فساد الإدراك والإرادة، حتى قيل (١) :قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانينولهذا سماه الله مرضا في قوله: (فيطمع الذي في قلبه مرض) (٢) ، ولهذا

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦١/٢

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٧٨/٤

إنما يوجد كثيرا في أهل الشرك الذين ليس في قلوبهم ما تسكن________________(١) البيت لمجنون ليلى في ديوانه (ص ٢٨١) والأغاني (٢/٣٦) وغيرهما.(٢) سورة الأحزاب: ٣٢.." (١)

"نفس المفعول، ولكن النفاة عندهم أن المخلوقات هي نفس فعل الله، ليس له فعل عندهم إلا نفس المخلوقات فلهذا احتيج إلى البيان.ومما يدل على هذا الأصل ما علق بشرط، كقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢ - ٣) وقوله: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ (آل عمران: ٣١) وقوله: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا﴾ (الأنفال: ٢٩) وقوله: ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ (الطلاق: ١) وقوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا * إلا أن يشاء الله﴾ (الكهف: ٢٣ - ٢٤) وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله﴾ (محمد: ٢٨) .وفي الجملة هذا في كتاب الله أكثر من أن يحصر.دلالة السنة على أفعال الله تعالوكذلك في الأحاديث المستفيضة الصحيحة المتلقاة بالقبول، كقوله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه «ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه» وقوله: «أتدرون ماذا قال ربكم." (٢)

"يبسط العبد يديه إليه يسأله فيهما خيرا فيردهما صفرا خائبتين» .وفي الصحيح عنه، فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» .وفي الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، فقالت عائشة: إنا لنكره الموت قال: ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت يبشر برضوان الله وكرامته، وإذا بشر بذلك أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حضره." (٣)

"وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منهوالولي مشتق من الولاء وهو القرب كما أن العدو من العدو وهو البعد فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين المقتصدين من أصحاب اليمين وهم المتقربون إلى الله بالواجبات والسابقين المقربين وهم المتقربون إليه بالنوافل بعد الواجباتوذكر الله الصنفين في سورة فاطر والواقعة والإنسان والمطففين وأخبر أن الشراب الذي يروى به المقربون بشربهم إياه صرفا يمزج لأصحاب اليمينوالولي المطلق هو من مات على ذلك فأما إن قام به الإيمان والتقوى

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٨٧/٦

(٢) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ١٢٤/٢

(٣) درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية ١٣٢/٢

وكان في علم الله أنه يرتد عن ذلك فهل يكون في حال إيمانه وتقواه وليا لله أو يقال لم يكن وليا لله قط لعلم الله بعاقبته هذا فيه قولان للعلماء وكذلك عندهم الإيمان الذي يعقبه الكفر هل هو إيمان صحيح ثم يبطل بمنزلة ما يحبط من الأعمال بعد كماله أو هو إيمان باطل بمنزلة من أفطر قبل غروب الشمس في صيامه ومن أحدث قبل السلام في صلاته فيه أيضا قولان للفقهاء والمتكلمين والصوفيةوالنزاع في ذلك بين أهل السنة والحديث من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم وكذلك يوجد النزاع فيه بين أصحاب مالك والشافعي وغيرهم لكن أكثر أصحاب أبي حنيفة لا يشترطون سلامة العاقبة وكثير من أصحاب مالك والشافعي وأحمد يشترط سلامة العاقبة وهو قول كثير من متكلمي أهل الحديث كالأشعري ومن متكلمي الشيعة ويبنون على هذا النزاع أن ولي الله هل يصير عدوا لله وبالعكس ومن أحبه الله ورضي عنه هل أبغضه وسخط عليه في وقت ما وبالعكس ومن أبغضه الله وسخط عليه هل أحبه الله ورضي عنه في وقت ما على القولينوالتحقيق هو الجمع بين القولين فإن علم الله القديم الأزلي وما يتبعه من محبته ورضاه وبغضه وسخطه وولايته وعداوته لا يتغير فمن علم الله منه أنه يوافي حين موته بالإيمان والتقوى فقد تعلق به محبة الله وولايته ورضاه عنه أزلا وأبدا وكذلك من علم الله منه." (١)

"أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه، فإن لم يؤمر فنبي فحسب، وهو أفضل من النبي إجماعا لتمييزه بالرسالة التي هي على الأصح خلافا لابن عبد السلام أفضل من النبوة فيه.وزعم تعلقها بالحق يرده إلى أن الرسالة فيها ذلك مع التعلق بالخلق فهو زيادة كمال فيها (وحبيبه) الأكبر كما يشهد به حديث: «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر» إذ محبة الله للعبد المستفادة من قوله تعالى: ﴿يحبهم ويحبونه﴾ على حسب معرفته به، وأعرف الناس با تعالى نبينا، فهو أحبهم له وأخصهم باسم الحبيب، وسيأتي الكلام على المحبة إن شاء الله تعالى في قوله في الحديث القدسي: «قال الله تعالى: «ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب﴾ ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» الحديث. وحبيب فعيل بمعنى مفعول من أحبه فهو محب أو من حبه يحبه بكسر الحاء فهو محبوب (وخليله) الأعظم كما يؤذن به حديث: «لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا» وهو فعيل بمعنى مفعول أيضا، من الخلة بالفتح: وهي الحاجة، أو بالضم، وهي تخلل المودة في القلب لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، وقد خالل قلبه من أسرار الهيبة ومكنون الغيوب والمعرفة والاصطفاء ما لم يدع أن يطرق قلبه نظر لغيره. هكذا قال ابن حجر. ثم اقتصاده على كون فعيل فيه بمعنى مفعول لعله لكونه أنسب بمقام الأدب وأشرف، لكونه المختار للخلة التي هي غاية الأرب، وإلا ففي «النهاية» : الخليل الصديق فعيل بمعنى فاعل، وقد يكون بمعنى مفعول من الخلة بضم أوله الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت في خلاله أي باطنه. وقيل: هي تخلل المودة في القلب بحيث لا تدع فيه خلاء إلا ملأته، أو من الخلة بالفتح: وهي الحاجة والفقر اهـ. ثم الذي رجحه جمع متأخرون كالبدر الزركشي وغيره أن الخلة أرفع لأنها نهاية المحبة وغايتها.قال ابن القيم: وظن أن المحبة أرفع من الخلة وأن إبراهيم خليل ومحمدا حبيب غلط وجهل، وما احتج به لأن المحبة أرفع من الخلة من نحو حديث البيهقي أنه تعالى قال له ليلة الإسراء: «يا محمد سل تعط فقال: يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلا، فقال: ألم أعطك خيرا من هذا» إلى قوله: «واتخذتك حبيبا» وإن الحبيب

---

(١) دقائق التفسير ابن تيمية ٢/٢٢٠

يصل بلا واسطة بخلاف الخليل، قال تعالى في نبينا: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ (النجم: ٩) وفي إبراهيم: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض﴾ (الأنعام: ٧٥) والخليل." (١)

"الأمور الواجبات، لأن الأمر بها جازم فيتضمن أمرين: الثواب على فعلها، والعقاب على تركها، بخلاف النفل، فلذا كان الفرض أكمل وأحب إلى الله وأشد تقربا.وروي أن ثواب الفرض يفضل ثواب النفل بسبعين درجة؛ وبالجملة فالفرض كالأس والنفل كالبناء على ذلك الأس، (وما يزال عبدي) إضافته لما تقدم (يتقرب) وفي رواية: «يتحبب» (إلي بالنوافل) أي: بالتطوعات من جميع أصناف العبادات ظاهرها كقراءة القرآن إذ هو من أعظم ما يتقرب به، وكالذكر وكفى في شرفه قوله تعالى: (﴿فاذكروني أذكركم﴾) (البقرة: ١٥٢) وباطنها كالزهد والورع والتوكل والرضا وغير ذلك من سائر أحوال العارفين سيما محبة أولياء الله تعالى وأحبائه فيه ومعاداة أعدائه فيه (حتى أحبه) بضم أوله والفعل منصوب. ومحبة الله تعالى للعبد كما تقدم توفيقه لما يرضيه عنه، وإثابته ومعاملته بالإحسان، فعلم أن إدامة النوافل بعد أداء الفرائض، إذ من غير أدائها لا يعتد بالنوافل كما يشير إليه تأخير هذه وتقديم تلك، تفضي إلى محبة الله تعالى للعبد وصيرورته من جملة أوليائه الذين يحبهم ويحبونه. ويؤخذ من سياق الحديث أن الولي إما أن يتقرب بالفرائض بأن لا يترك واجبا ولا يفعل محرما أو بها مع النوافل وهذا أكمل وأفضل. ولذا خص بالمحبة السابقة والصيرورة الآتية، وأنه لا سبيل إلى ولاية الله تعالى ومحبته سوى طاعته التي جاء بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وما سواها باطل (فإذا أحببته كنت) أي صرت حينئذ (سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر) بضم أوله وكسر ثالثه (به، ويده التي يبطش) بفتح أوله وكسر ثالثه أو ضمه (بها ورجله التي يمشي بها) .قال بعض المحققين: التحقيق أن هذه الصيرورة مجاز أو كناية عن نصرة الله تعالى لعبده المتقرب إليه بما ذكر، وتأييده وإعانته له وتوليه في جميع أموره، حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التي بها يدرك ويستعين، ولذا جاء في رواية أخرى «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي» أي أنا الذي أقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه: أي سواء الجزئيات والكليات، وهذا يرد على المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق أفعاله الجزئيات.وزعم الحلولية والاتحادية بقاء هذا الكلام على حقيقته وأنه تعالى عين عبده أو حال فيه ضلال وكفر إجماعا، وما وقع في عبارات بعض العارفين مما يوهم ذلك فليس مرادا لهم،." (٢)

"٢٥٢١ – (وعن حارثة) بالحاء المهملة وكسر الراء وبالمثلثة (ابن وهب) الخزاعي أخو عبد الله بن عمر بن الخطاب لأمه. قال ابن النحوي في شرح البخاري: أمهما أم كلثوم بنت جرول بن مالك بن المسيب الخزاعية. روى عنه أبو إسحاق السبيعي ومعبد بن خالد الجهني (رضي الله عنه) قال ابن الجوزي في المستخرج المليح: له ستة أحاديث أخرج له منها في «الصحيحين» أربعة أحاديث اتفقا عليها. وقال البرقي: له حديثان، وهو غلط لأنه قد أخرج له في «الصحيحين» أربعة أحاديث اهـ. (قال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: ألا) حرف استفتاح لتنبيه السامع للكلام الآتي بعده (أخبركم بأهل الجنة) قال ابن النحوي: أي بمعظمهم وكذا في القسم الأخير وليس المراد الاستيعاب، وسكت الراوي عن

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٣١/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٣١١/٢

ذكر جوانبهم للعلم بوقوعه: أي قالوا: بلى فقال: هم (كل ضعيف) فهو خبر لمبتدأ محذوف والجملة بيان، ومعنى ضعيف: أي نفسه ضعيفة لتواضعه وضعف حاله في الدنيا (متضعف) قال ابن النحوي هو بفتح العين المشددة وكذا ضبطه الدمياطي. قال ابن الجوزي: وغلط من كسرها إنما هو بالفتح، يعني أن الناس يستضعفونه ويقهرونه. وقال النووي: روى بالفتح عند الأكثرين وبالكسر اهـ: قال الطيبي: فمعناه على «الفتح» يستضعفه الناس ويحتقرونه ويفخرون عليه لضعف حاله في الدنيا ومعناه بالكسر متواضع متذلل خامل واضع من نفسه اهـ. وقيل المراد أنه يستضعف: أي يخضع سبحانه ويذل له نفسه، حكاه المصنف مقتصرا عليه. قلت: وعلى هذا جرى العلقمي وزاد في رواية «مستضعف» .وفي رواية لأحمد «الضعيف المستضعف» (لو يقسم على الله لأبره) أي لأبر قسمه: أي لو حلف يمينا طمعا في كرم الله بإبراره لأبره بحصول ذلك، وسيأتي فيه بسط. ومن ذلك ما روي عن أنس بن النضر في أخته الربيع لما كسرت سن المرأة وأمر بالقصاص، فقال أنس: وا لا تكسر سن الربيع، فرضى أهل المرأة المجنى عليها بالأرش، فقال: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبر قسمه» وأتى بالمضارع في حديث الباب إيماء إلى استمرار عناية الله بهم كل زمن ووقت وقضاء حوائجهم وتيسير مطالبهم ويكفيك قوله في الحديث القدسي «لا يزال عبدي يتقرب إلي حتى أحبه» الحديث: أي كنت متوليا لسائر أموره كافيا له في مطالبه (ألا أخبركم بأهل النار) أي بسماتهم وأفعالهم لتجتنبوها، هم (كل عتل) بضم المهملة والفوقية وتشديد اللام (جواظ." (١)

"لمعاندته ومعاداته من أحب الله تعالى، ويلزم من ثبوت محاربته تعالى لأعداء أوليائه ثبوت موالاته لمن والاهم (وما تقرب إلي عبدي) إضافته إضافة تشريف (بشيء) أي بأداء شيء (أحب إلى ما افترضته عليه) أي من أداء ما افترضته عليه عينا كان أو كفاية، وإنما كان أحب إليه من النفل لأنه أكمل من حيث إن الأمر به جازم متضمن للثواب على فعله والعقاب على تركه بخلافه، فإن الأمر به غير جازم يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه، ولأنه كما قيل جزء من سبعين جزءا من الفرض (وما يزال عبدي يتقرب إلي) بعد أداء فرائضه (بـ) ـأداء (النوافل) من صلاة وصيام وحج وصدقة (حتى أحبه، فإذا أحببته) ورضيت عليه وأردت به الخير (كنت سمعه) يجوز أن يكون على تقدير مضاف فيه وفيما عطف عليه: أي حافظ سمعه وهو القوة المرتبة في العصب المفروشة على سطح باطن الصماخ يدرك بها الأصوات بتموج الهواء وقوله (الذي يسمع به) صفة توضيحية جيء بها للتأكيد، ويجوز أن تكون مخصصة احترازا من اليد وللرجل الشلاوين: أي حافظة عن أن يسمع به ما لا يحل سماعه من غيبة ونميمة وما في معناهما (وبصره الذي يبصر به) هو قوة مرتبة من العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان وتفترقان إلى العينين يدرك بها الألوان ونحوها، ويؤخذمن تقديم السمع عليه أنه أفضل منه ولأنه شرط النبوة، وقيل إنه من باب الترقي لأن متعلق البصر الأنوار ومتعلق السمع الريح وهو يرى من بعيد: أي حفظ عما يحرم النظر إليه من الصور المحرمة (ويده التي يبطش بها) فلا يبطش إلا فيما يحل (ورجله التي يمشى بها) فلا يمشى إلا فيما يحل. وحاصل ذلك حفظ جوارحه وأعضائه حتى يقلع عن الشهوات ويستغرق في الطاعات فلا يسمع ولا يبصر إلا ما ورد به الشرع وكذا اليد والرجل. ويجوز أن يكون مجازا عن نصره وتأييده فكأنه تعالى نزل نفسه منزلة جوارحه التي يدرك بها ويستعين بها تشبيها، وزيادة «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي» هذا والاتحادية والحلولية قبحهم الله يزعمون أن هذا في حقيقته، وأنه

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٥٦/٣

تعالى عما يقولون علوا كبيرا حال فيه ومتحد به (وإن سألني أعطيته) بتاء الضمير، وحذف المفعول الثاني لدلالة قوله «سألني» عليه: أي أعطيته سؤاله (ولئن استعاذني لأعيذنه») وأكد هذه الجملة بالقسم." (١)

"ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شي أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه" وفي لفظ في غير البخاري "فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا" فتأمل كمال الموافقة في الكراهة كيف اقتضى كراهة الرب تعالى لمساءة عبده بالموت لما كره العبد مساخط ربه وكمال الموافقة في الإرادة كيف اقتضى موافقته في قضاء حوائجه وإجابة طلباته وإعاذته مما استعاذ به كما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ما أرى ربك إلا يسارع في هواك وقال له عمه أبو طالب يا ابن أخي ما أرى ربك إلا يطيعك فقال له وأنت يا عم لو أطعته أطاعك وفي تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ قال حبيبا قريبا إذا سأله أعطاه وإذا دعاه أجابه وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى كن لي كما أريد أكن لك كما تريد وتأمل هذه الباء في قوله فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي كيف تجدها مبنية لمعنى قوله كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به إلى آخره فإن سمع سمع بالله وإن أبصر أبصر به وإن بطش بطش به وإن مشى مشى به وهذا تحقيق قوله تعالى ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم." (٢)

"المؤلف -رحمه الله- علق على هذا الحديث، يقول: فانظر يا أخي وفقنا الله وإياك إلى عظيم لطف الله تعالى، وتأمل هذه الألفاظ، وقوله: ((عنده)) إشارة إلى الاعتناء بها، هذه حسنة قريبة منه، نعم، إلى الاعتناء بها، وقوله: ((كاملة)) للتأكيد وشدة الاعتناء بها.وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها ((كتبها الله عنده حسنة كاملة)) فأكدها بكاملة، ((وإن عملها كتبها سيئة واحدة)) فأكد تقليلها بواحدة، ولم يؤكدها بكاملة، فلله الحمد والمنة، لا نحصي ثناء عليه وبالله التوفيق، هذا تعليق نفيس من المؤلف -رحمه الله تعالى-، ولفتة إلى دقيقة من دقائق العلم، والله المستعان.النبي -عليه الصلاة والسلام- هم ولم يفعل، هم أن يحرق البيوت على المتخلفين عن الصلاة، لكنه لم يفعل، ومنعه من ذلك وجود النساء والذرية، هل نقول: إن الهم لا يترتب عليه حكم أو نقول: إن النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يهم إلا بما يجوز له فعله كما قرر ذلك أهل العلم وإلا إذا قلنا: إن الهم مثل حديث النفس ما يترتب عليه حكم، قلنا: إن هذا الحديث ليس فيه، يعني مفرغ عن الدلالة.عرفنا أن المقاصد كلها أربع مراتب منها: لا مؤاخذة فيه؛ لأنه إذا هم بسيئة ولم يعملها لا يؤاخذ عليها، لكن لو عزم عليها ((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)) قيل: هذا القاتل، فما بال المقتول قيل: ((إنه كان حريصا على قتل صاحبه)) عازم على قتله.سم.وقال المؤلف -عليه رحمة الله-:عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٣/٢٦١

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ابن القيم ص/٤١٠

إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)) رواه البخاري.التكملة هذه عندك وما ترددتطالب: زيادة هنا.هاهطالب: نعم.ليست في الأصل، ((ولئن استعاذني لأعيذنه)) رواه البخاري.طالب:. . . . ." (١)

"((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل)) الفرائض ما فيها مسوامة، لكن النوافل هي التي تقبل الزيادة والنقص ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) ((ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)) ((من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل)) هل يقال: إن الغسل أفضل من الوضوء وهو مندوب والوضوء واجب شرط لصحة الصلاة أو أن نقول: الغسل المشتمل على الوضوء كما هو معلوم وإلا ما يكفي غسل لا يشتمل على وضوء نقول: إذا اجتمع النفل مع الفرض صار أفضل من الفرض وحده، قال: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) نعم، الإكثار من النوافل سبب لمحبة الله -جل وعلا- للعبد، والإخلال بالفرائض سبب لبغض الله -جل وعلا- للعبد ((فإذا أحببته)) يعني تحقق هذا الوصف بكثرة نوافل هذا الشخص ((فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها)) يعني وفقه الله -جل وعلا- ويسر له استعمال هذه النعم فيما يرضيه -جل وعلا-، فلا يزاول بها ما يكرهه الله ويسخطه، إنما يستعملها فيما يحب الله -جل وعلا-.." (٢)

"العبادة لله وسيلة القرب والمحبة٣٨ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه " رواه البخاري.ـــــــقال صاحب الإفصاح: في هذا الحديث من الفقه: أن الله سبحانه وتعالى قدم الأعذار إلى كل من عادى وليا: أنه قد آذنه بأنه محاربه بنفس المعاداة، وولي الله تعالى هو الذي يتبع ما شرعه الله تعالى فليحذر الإنسان من إيذاء قلوب أولياء الله عز وجل. ومعنى المعاداة: أن يتخذه عدوا.ولا أرى المعنى إلا من عاداه لأجل ولاية الله، وأما إذا كانت لأحوال تقتضي نزاعا بين وليين لله محاكمة أو خصومة راجعة إلى استخراج حق غامض فإن ذلك لا يدخل في هذا الحديث، فإنه قد." (٣)

"جرى١ بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خصومة، وبين العباس وعلي رضي الله عنهما٢ وبين كثير من الصحابة وكلهم كانوا أولياء لله عز وجل.قوله: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه" فيه إشارة إلى أنه لا تقدم

---

(١) شرح الأربعين النووية - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٣١/١٤

(٢) شرح الأربعين النووية - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٣٣/١٤

(٣) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ابن دقيق العيد ص/١٢٧

نافلة على فريضة وإنما سميت النافلة نافلة إذا قضيت الفريضة وإلا فلا يتناولها اسم النافلة ويدل على ذلك قوله: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" لأن التقرب بالنوافل يكون بتلو أداء الفرائض ومتى أدام العبد التقرب بالنوافل أفضى ذلك به إلى أن يحبه الله عز وجل. ثم قال: "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به" إلى آخره فهذه علامة ولاية الله، لمن يكون الله قد أحبه، ومعنى ذلك أنه لا يسمع ما لم يأذن الشرع_______١ رواه البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذا خليلا" رقم ٣٦٦١ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما صاحبكم فقد غامر"، فسلم وقال: يا رسول الله، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى علي، فأقبلت إليك. فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر" – ثلاثا-. ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر فقالوا: لا. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم – مرتين -. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله بعثني إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي " – مرتين-. فما أوذي بعدها. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري: إن الشيء الذي كان بينهما رضي الله عنهما إنما هو محاورة أو مراجعة أو معاتبة.٢ رواه البخاري في فرض الخمس باب فرض الخمس رقم ٣٠٩٤ وهو حديث طويل لا مجال لذكره هنا.." (١)

"الفرض والنافلة في الصلاةوإذا جئنا إلى أركان الإسلام الأخرى: فأولها: الصلاة.وقد أوجب الله سبحانه وتعالى الصلوات الخمس، ونعلم جميعا أنها أول ما فرضت خمسين صلاة، ثم ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتردد بين ربه وبين موسى عليه السلام ويطلب التخفيف ويسقط عنه خمسا خمسا حتى استقرت خمسا في العمل وهي في الأجر خمسون.وجعل الله سبحانه مما شرع نبيه صلى الله عليه وسلم -وهو لا ينطق عن الهوى- صلوات أخرى نوافل: منها الرواتب مع الفريضة.ومنها النوافل المقيدة بزمن أو بعمل.ومنها النافلة المطلقة.فمن الرواتب: كما جاء عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما: (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ركعات في اليوم والليلة -أي: نوافل- وذكر ركعتي الفجر، وركعتين بعد الظهر، وركعتين قبله، وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء) ، وجاءت أحاديث أخرى: (أن مع الظهر أربعا قبلها وأربعا بعدها، ومع العصر أربعا قبلها) .وبين المغرب والعشاء صلاة الأوابين: ست ركعات، ركعتين ركعتين ركعتين.ثم قيام الليل بلا حد ولا عد.تلك هي الرواتب مع الصلوات الخمس.وهناك النوافل المقيدة بزمن: كركعتي الضحى، وقد ذكر صلى الله عليه وسلم ما يترتب عليها من عظيم الأجر كما سيأتي أنها تعدل ثلاثمائة وستين صدقة، وكذلك تعلم القرآن في بيوت الله تعالى، ومن فضل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيكم يحب أن يذهب إلى بطحان ويأتي بناقتين كوماوين من غير إثم ولا قطيعة رحم، قالوا: كلنا يريد ذلك يا رسول الله! قال: من غدا إلى المسجد فتعلم آيتين من كتاب الله خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع) .والمقيدة بعمل: ذكر صلى الله عليه وسلم:

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ابن دقيق العيد ص/١٢٨

(كل سلامى من ابن آدم كل يوم تطلع فيه الشمس عليه فيها صدقة) ، والسلامى: المفصل في الجسم، وقالوا: في جسم الإنسان ثلاثمائة وستين سلامى، أي: في أصابعه وفي ظهره وفي ضلوعه وفي يديه ورجليه إلى غير ذلك، تلك السلامات صيانتها، وحفظها إنما هي كما قال صلى الله عليه وسلم: (عليه صدقة) ، ثم من في جميع الصحابة يستطيع أن يتصدق كل يوم ثلاثمائة وستين صدقة، قالوا: (ومن يستطيع ذلك يا رسول الله! فقال: كل تحميدة صدقة، وكل تسبيحة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وأن تعين أخاك على دابته فتحمله عليها أو تحمل له متاعه صدقة، وأن تلقى أخاك بوجه بشوش صدقة، ويجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحى) .هناك أيضا الصلوات الأخرى التي تدخل في باب فرض الكفاية: كصلاة الجنائز.وكذلك الكسوف.والاستسقاء.وغير ذلك.جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن لهذه النوافل مهمتان: المهمة الأولى: الصيانة والضمان والأمن على الفريضة، كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أن الله سبحانه أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن الصلاة، فإن كانت مجزئة ووافية فبها ونعمت وصلح سائر عمله وألحقت بها جميع الأعمال، وإن كانت قد نقصت، وفرط وضيع، وأراد الله بالعبد خيرا يقول للملائكة: (انظروا هل لعبدي من نوافل فيقولون: بلى يا رب! فيقول: اجبروا فريضته من نافلته) ، وهكذا سائر الأعمال.تلك النوافل يتكرم المولى سبحانه ويجبر منها الفريضة، فريضة الصلاة التي هي أول ما يسأل عنها العبد، فإن قبلت قبل معها سائر عمله، وإذا ردت رد معها سائر عمله؛ لأنها العهد الذي بيننا وبينهم، والذي جاء في خصوصها وحدها: (من ترك الصلاة فقد كفر) .والمهمة الثانية في جميع النوافل: أن الله سبحانه قال في الحديث القدسي: (إن أقرب أو أحب أو أشد ما تقرب إلي به عبدي بما افترضته عليه، ولا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها ...) ، وبين العلماء أن هذا العبد يصبح عبدا ربانيا لا يسمع إلا في الله، ولا يبصر إلا في الله، ولا تتحرك يده أخذا وعطاء إلا فيما يرضي الله، ولا تسعى قدمه إلا إلى رضاء الله.وأشرنا في السابق في شرح معنى: (الصراط المستقيم) في قوله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا.﴾ [الأنعام:١٦١] إلى قوله: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام:١٦٢] .وهكذا تكون النوافل هي السلم الذي يعرج عليه العبد إلى ربه، وهو مرتقى المنازل العليا لكل مسلم.إذا: النوافل لها أهميتها هي تابعة لكل فريضة كما أشرنا.." (١)

"معنى قوله: (الصلاة نور)بعد نطق اللسان، الذي جاء عقب تطهير القلب، تأتي أعمال الجوارح، (والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء) قال: (الصلاة نور) بينما يأتي قوله: (والصبر ضياء) ، ويتفق علماء اللغة أن الضياء أقوى وأشد من مجرد النور، لكنهم يقولون: النور إضاءة بلا حرارة، والضياء نور مع شدة حرارة، (والصدقة برهان) ، قالوا: البرهان هو الشعاع الذي يكون أمام ضوء الشمس.إذا: هذه الثلاثة الألفاظ (نور- ضياء- برهان) ترتبط بخط الإضاءة، إلا أن النور فيه ضياء مع هدوء، وليس فيه حرارة، والبرهان قريب من أشعة الشمس، والضياء نور مع شدة حرارة.وما فائدة هذا التقسيم قالوا: إن دين الإسلام نور وهداية، والقرآن الكريم وصف بأنه نور، ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم عطية سالم ٦/٤٨

تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء﴾ [الشورى:٥٢] ، وقال تعالى: ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ [إبراهيم:١] ، وأما الضياء فمعه الشدة؛ ولهذا غاير في وصف الصلاة بأنها نور، والصبر بأنه ضياء، وقالوا: النور يصدق على مطلق الإضاءة، والضياء لا يكون إلا للشيء الشديد القوي كما قال سبحانه: ﴿جعل الشمس ضياء والقمر نورا﴾ [يونس:٥] فوصف القمر بأنه نور، والشمس بأنها ضياء؛ لأن نور الشمس أشد من نور القمر، ولكن قد يستطيع الإنسان مواصلة السير في نور القمر ما لا يستطيعه في ضوء الشمس، وأيضا الصبر أعم من كل التكاليف، فبالصبر تصلي، وبالصبر تصوم، وبالصبر تزكي، وبالصبر تجاهد في سبيل الله، إلى غير ذلك.ووصف الصلاة بأنها (نور) ، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه وصف الصلاة بقوله: (خمس صلوات كتبهن الله في اليوم والليلة، من حافظ عليهن كانت له نورا يوم القيامة، لم يحافظ عليها لم يكن له نور يوم القيامة) ، وجاء فيما يتعلق بالوضوء: (إن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء) ، وجاء في حق الصلاة أنها نور على الصراط، وجاء في القرآن الكريم: ﴿يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم﴾ [الحديد:١٢] ، والآية الأخرى: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ [الحديد:١٣] ، وسمعنا الشيخ الأمين رحمة الله عليه في هذا المقام يقول: هذه قضية خطيرة جدا بين المنافقين وبين المؤمنين، وفي ذلك اليوم يكشف الله حقيقة خداع المنافقين: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ [البقرة:٩] ، ويقول: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ [النساء:١٤٢] ، وكيف يخادعون المؤمنين قال الله: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون * الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ [البقرة:١٤-١٥] .فهم خدعوا المؤمنين بقولهم: نحن معكم، ويحضرون معهم الجماعات، وإذا توفي أحدهم توارثوا معه، ويتزاوجون من المسلمين، ويتوارثون معهم، ويجاهدون معهم، ويأخذون من الغنائم معهم، وحقنت دماؤهم وأموالهم، هذا ظاهر الأمر، ولكنهم يخفون الكفر، فالله سبحانه تركهم على ما هم عليه، وظنوا أنهم بذلك خدعوا الله وخدعوا المؤمنين.وفي يوم القيامة -نسأل الله السلامة والعافية- يتولى الله أمر الجميع، ويقوم الناس من قبورهم لأول وهلة غرا محجلين من أثر الوضوء، المؤمن والمنافق سواء، ثم يطرد المنافقون من الحوض، كما قال صلى الله عليه وسلم: (وأنا فرطكم على الحوض، ثم إن الملائكة تذوذ أقواما عن الحوض فأقول: أمتي أمتي! فيقولون: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك! فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي) .وفي ذلك اليوم تبيض وجوه، وتسود وجوه، ويبعث المنافقون بآثار نور الوضوء مع عامة المؤمنين، ويفرحون بذلك، لأنهم تساووا مع المؤمنين، حتى إذا جاءوا ليردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم طردوا!! والنبي عليه الصلاة والسلام فرط الأمة على الحوض كما قال صلى الله عليه وسلم: (وأنا فرطكم على الحوض، قالوا: يا رسول الله، كيف تعرف من يأتي بعدك ولم تره قال: أرأيتم لو أن لأحدكم خيلا بهما دهما غرا محجلة، أكان يعرفها قالوا: نعم) والدهم التي لونها واحد، البهم السوداء التي ليس فيها لون آخر، وغرا أي: جبينها مضيء، والحجل موضع القيد، والفرس إذا كانت دهماء بلون واحد، وجبينها أبيض، وأقدامها بيضاء، لا تخفى على صاحبها أبدا: (أرأيتم لو أن لأحدكم خيلا بهما دهما، أكان يعرفها قالوا: نعم، قال: فإن أمتي يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء) فبين صلى الله عليه وسلم أنه ينتظرهم عند الحوض، فإذا جاءوا فرزت الملائكة النفاق عن الإيمان، وعزلت المنافقين عن المؤمنين، ومضى المؤمنون إلى الحوض ليشربوا منه، وحين يرد المنافقون يقولون كما قال الله: ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا﴾ [الحديد:١٣]

، انظرونا: بمعنى انتظرونا، أي: حتى نمشي في أنواركم أو انظرونا: التفتوا إلينا، وانظروا إلينا ليجيء إلينا أنوار وجوهكم، انظرونا، أو انتظرونا: ﴿نقتبس من نوركم﴾ [الحديد:١٣] .قال: ﴿يوم تبيض وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦] تبقى على بياضها، ﴿وتسود وجوه﴾ [آل عمران:١٠٦] أي: يطفأ نورها، وهؤلاء هم المنافقون، وحين ينادون المؤمنين يجيبهم المؤمنون: ﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب * ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور﴾ [الحديد:١٣-١٤] ، فيبقى النور مع المؤمنين، ولكن المؤمنين حينما يرون هذا الموقف، يخافون من موقف آخر، ومن اختبار ثان، فيقولون: ﴿ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا﴾ [التحريم:٨] أي: أبق لنا هذا النور، وأتمه لنا حتى ندخل الجنة.نسأل الله سبحانه أن يرزقنا وإياكم النور الكامل، وأن يحفظنا وإياكم من الفتن، وأن يبلغنا وإياكم رضاه والجنة.قوله: (والصلاة نور) قالوا: هي نور في الدنيا؛ لأن المؤمن إذا طهر قلبه؛ وأدى الصلاة، كانت الصلاة له شحنة نور في قلبه، ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم: (اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه يرى بنور الله) من أين يأتيه النور من عبادته، ومن صلاته: (ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به) ، فينير الله له بصيرته.ولهذا يقول الله: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ [البقرة:٤٥] إذا همه أمر فزع إلى الصلاة، فأنار الله قلبه وبصيرته، وشرح صدره، ويسر أمره.والصلاة نور للمؤمن في الدنيا، بتوجهه إلى الخير، واطمئنان النفس والقلب، وبحفظه عن المعاصي كما قال الله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت:٤٥] إذا: الصلاة نور في الدنيا، وكما قال بعض السلف: (من صلى بالليل، حسن وجهه بالنهار) أي: يضيء وجهه، قال الله: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ [الفتح:٢٩] ، وهكذا في عرصات القيامة، فالصلاة نور للعبد يوم القيامة.إذا: (والصلاة نور) حقيقة يوم القيامة، ودلالة وهداية في الدنيا، ويدرك ذلك من ذاق طعم الصلاة، حينما يؤديها بخشوعها ويتمها بركوعها وسجودها، ويوفيها حقها من في الطهارة، واستقبال القبلة، وستر العورة، واستحضار القلب، وبذلك يشعر بحقيقة نور الصلاة وحلاوتها.." (١)

"شمول الذكر لكل العباداتإن الباب هذا باب واسع، وأوصي بالعناية بكتب الأذكار الواردة، التي هي مأمونة من الوضع أو مأمونة من الغلو، وأحسن ما وضع في ذلك كتاب الأذكار للإمام النووي؛ فقد رتبه ونظمه، وجاء بالأذكار الواردة المؤقتة في الصباح والمساء وبعد الصلاة وعند لباس الثوب والنوم واليقظة وتناول الطعام وخلع الثياب وكل حركات الإنسان وردت السنة فيه بذكر الله والدعاء.وهذا يشرح لنا معنى قوله سبحانه: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين * قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [الأنعام:١٦١-١٦٢] ، محياي ومماتي لله، صحيح كل لله، وموقن على وفق منهج الله الذي يريده ويرتضيه، ولذا جاء في الحديث: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) ، إذا كان العبد مع الله، وإذا كان العبد حقا أخلص نفسه لله، لم لا يجعله كذلك وكم من عبد كان مستجاب الدعوة! الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي عمر بن

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم عطية سالم ٧/٤٩

الخطاب فيقول: (إذا رأيت أويسا القرني فاطلب منه أن يدعو لك، ويستغفر لك) ، من أويس رجل من اليمن، فكان عمر يتتبع الوفود اليمنية: أفيكم أويس أفيكم أويس حتى قيل له: نعم هو فينا، قال: ائتوني به، فجاء وكان قد أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بصفاته، وبأن له أما كان بارا بها، فلما سأله عن أمه أخبره بها، وأن في رجله علامة كذا، فقال: استغفر الله لي، ادع لي! قال: كيف وأنت أمير المؤمنين! قال: لقد أخبرني رسول الله بكذا وكذا.فلما سمع أويس هذا لم يغتر به، ولم يأته شيء في نفسه، بل قال: أستأذنك -يا أمير المؤمنين- أن أخرج إلى العراق، أي: ما دام قد عرف أمري، فيريد أن يبعد عنه هذا الجو الذي عرف فيه، وكان شخصا من عامة الناس، فقال: إذا أردت الذهاب فمرني أعطيك خطابا لعامل العراق، قال: لا، فإني أحب أن أكون في عامة الناس! فذهب إلى العراق وأخذ عمر يسأل عن حاله في العراق، وكلما جاءه وفد من العراق يسأل عنه، فإذا به كان خادما عاملا عند رجل من عامة الناس في الحجارة والطين، فإذا بالرجل يقول لـ عمر: إني أعرفه، فقال: إذا استطعت أن يستغفر ويدعو الله لك فافعل، فذهب الرجل إلى أويس فطلب منه الدعاء، فقال: ألقيت عمر! قال: نعم لقيته، فإذا به من الغد يخرج من العراق.أيها الإخوة! إن ذكر الله يعلي منزلة العبد بما لا يعلم قدر ذلك إلا الله، ويكفي أن الإنسان في حالة ذكره لله جليس وقرين، وما ذكرنا يكفي لهذا الباب، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم جميعا لذكره كما قال الله: ﴿ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار﴾ [طه:١٣٠] .." (١)

"سبب إعادة ذكر الصوم والصلاة والصدقة في الحديثإذا: الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف ذكر لـ معاذ (تعبد الله لا تشرك به شيئا) ، وحقيقة ذلك تحقيق لا إله إلا الله، بأن تنفي جميع الآلهة، ولا تعبد إلها قط إلا الله، بخلاف المشركين الذين يقولون: أجعل الآلهة كلها إلها واحدا، لأنه كان لهم ثلاثمائة وستون صنما في الكعبة، وهو يريد أن يلغي هذا كله إلى إله واحد.فحقيقته توحيد الله هو أن تعبد الله وحده، ويتحقق هذا في قولك (لا إله إلا الله) ، فلا مألوه ولا معبود بحق إلا الله، ثم جاء بعد ذلك بالصلاة والصيام وغيرها.وهنا يقول له: (ألا أدلك على أبواب الخير) ، أليست الصلاة والصيام التي ذكرها أولا من أبواب الخير نعم هي منها، بل هي الخير كله، ولكن لماذا يعيدها هنا في أبواب الخير للحديث النبوي مثلما يقولون ذوق وحلاوة، وله نور وطلاوة، ذكر صلى الله عليه وسلم أصول الإسلام التي تدخل الجنة؛ لكن أبواب الخير هي محل المنافسة، وهي محل الزيادة، فالصلوات الخمس وصوم رمضان وزكاة الفريضة وحج البيت، الكل في ذلك سواء، أهناك شخص عليه ستة فروض وآخر عليه أربعة أهناك شخص عليه صيام شهر والآخر نصف شهر أو شهرين الناس متساوون في هذا، نصاب الزكاة على الجميع سواء، عشرون دينار في الذهب، ومائتا درهم في الفضة، وأربعون شاة في الغنم، وخمس من الإبل، كل هذه معروفة عند الجميع وهم متساوون فيها، ولكن أبواب الخير تزيد وتتسع، وتضيق وتقل، فهي قابلة للزيادة، ولكن أركان الإسلام لا تقبل زيادة ولا نقصا، فهي خمس صلوات، وكل صلاة لها عدد مخصوص.يدلنا على هذا المعنى الحديث القدسي: (وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه) ، والفرض ليس فيه زيادة ولا نقص ثم قال: (وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه) ، لماذا قال (يتقرب) ولم يقل (يقرب) سبحان الله العظيم، لو قلت (يقرب) لتحقق بخطوة واحدة، لكن يتقرب، تدل على أنها خطوات، قد تزيد وقد تنقص نافلة بعد

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم عطية سالم ٧/٥٧

نافلة.وذكر الصوم مرة أخرى ليس من باب التكرار بلا فائدة، فحديث البلغاء يتنزه عن ذلك، والمصطفى صلى الله عليه وسلم هو سيد البلغاء، إذا: إعادة الصوم هنا تحت عنوان أبواب الخير لا يتنافى ولا يتعارض، ولا يكون مكررا مع الصلاة والصيام التي ذكرت في أول الحديث، لأنها ذكرت هناك على سبيل الفرض والتحديد والإلزام، وذكرت هنا على أنها من أبواب النافلة وأبواب الخير التي تترك لجهد العامل.وقد جاء عند مسلم: (أن أعرابيا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! جاءنا رسولك يخبر أنك رسول الله، أحقا ما يقول قال: بلى، قال: فبالذي رفع السماء ونصب الجبال، وبسط الأرض وجعل فيها ما جعل، آلله أرسلك قال: بلى.قال: وأخبرنا رسولك أن الله افترض علينا خمس صلوات في اليوم والليلة، فبالذي رفع السماء، ونصب الجبال، وسط الأرض وجعل فيها ما جعل، آلله أمرك بهذا قال: نعم) الحديث، وذكر فيه الزكاة والصوم والحج.والرجل الذي جاء للرسول في المسجد فقال: أخبرني ماذا كتب الله علي من الصلاة قال: (خمس صلوات في اليوم والليلة، قال: هل علي غيرها قال: لا، إلا أن تطوع) ، ثم ذكر الصيام والزكاة والحج، ثم قال: (والذي بعثك بالحق لا أزيد على ذلك ولا أنقص، فقال: أفلح إن صدق) .وهنا الرسول يقول لـ معاذ: (ألا أدلك على أبواب الخير) ، لماذا لم يقل كن مثل ذلك الأعرابي الأعرابي جاء بنفسه وأخذ نفسه بحد السيف، قال: والذي بعثك بالحق لا أزيد ولا أنقص، فهو التزم وألزم نفسه بشيء كبير، ما هو بهين، الذي لا ينقص مما فرض الله عليه، هذا التزام بأقصى ما يكون، فالرسول أخبر بأنه إذا نفذ هذا أفلح، ولكن معاذا يسأل عن العمل الذي يقربه إلى الجنة، ومعاذ راغب في الخير، فكان هذا بيانا للأمة في شخصية معاذ.." (١)

"تضييع الصلاةباب الصلاة -يا إخواني- كبير، ولذا يقولون: من الحفاظ على الصلاة: المحافظة على النوافل الراتبة، حتى قال بعض العلماء: من تعمد ترك النوافل تسقط شهادته.وإذا كان كذلك؛ فما القول في الرجل الذي جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: (والله لا أزيد على ذلك ولا أنقص) ، ويقسم صلى الله عليه وسلم على فلاحه إن صدق، قالوا: ذلك رجل أخذ نفسه بحد السيف، وبالعزم القاطع، فهو لا له ولا عليه، وحافظ على فروضه؛ ولذا جاء في الحديث: (أفضل ما تقرب إلي عبدي بما افترضته عليه، ولا يزال يتقرب إلي بالنوافل -فنوافل العبادات هي مرتقى الصالحين في وصولهم إلى الغاية القصوى- حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها) .فهذا بالنوافل، أما الفرائض فهي الحد الأدنى؛ لأنك إذا التزمت بالفرائض فقط فوقع تقصير فسيقع في الفرائض؛ لكن إذا التزمت النوافل مع الفرائض فوقع تقصير فسيقع في النوافل، كما قال عليه الصلاة والسلام: (ألا وإن لكل ملك حمى، كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه) ؛ لكن إذا جعل بينه وبين الحمى قدر ميل، فعندما تشذ منه غنمة هل تنزل في الحمى أم في المسافة التي بينها وبين الحمى في المنطقة المحايدة -كما يقولون-، لكن إذا اقترب بغنمه على حدود الحمى فلو أن شاة شذت عنه مترا واحدا فستدخل في الحمى، أرأيت لو كان هذا الحمى نارا مؤججة هل ستدنو منه أرأيت لو كان بحيرة أو بئرا عميقا هل ستدنو منه ستبتعد مخافة أن تسقط فيه.وهكذا النوافل هي حمى وحفاظ لتلك

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم عطية سالم ٦/٦٤

الفرائض كما جاء في الحديث: (انظروا هل لعبدي من نوافل –أي: حينما ينظر في صلاته– فتقول الملائكة: نعم –يا رب– له نوافل، فيقول: اجبروا فريضته من نافلته) ، يعني: احتياطا، يقول ابن عباس: وهكذا بقية العبادات.." (١)

"شرح حديث: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ...)الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد: قال المصنف رحمه الله: [عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله تعالى قال: (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري] .." (٢)

"الحديث الثامن والثلاثونعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) (١) رواه البخاريالشرحهذا حديث قدسي كالذي سبقه، وقد تكلمنا على ذلك.قوله: "من عادى لي وليا" أي اتخذه عدوا له، وولي الله عز وجل بينه الله عز وجل في القرآن، فقال: (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون* الذين آمنوا وكانوا يتقون) (يونس: ٦٢–٦٣) .قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا أخذه من الآية: (الذين آمنوا وكانوا يتقون) (يونس: ٦٣)"فقد" هذا جواب الشرط "آذنته بالحرب" أي أعلنت عليه الحرب، وذلك لمعاداته أولياء الله."وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه" ولكن الفرائض تختلف____________(١) سبق تخريجه صفحة (٣٧٥)." (٣)

"كما سنبين إن شاء الله في الفوائد، إنما جنس الفرائض أحب إلى الله من جنس النوافل."ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" لايزال: هذا من أفعال الاستمرار، أي أنه يستمر يتقرب إلى الله تعالى بالنوافل حتى يحبه الله عز وجل، و (حتى) هذه للغاية، فيكون من أحباب الله."فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها"قوله: "كنت سمعه" من المعلوم أن الحديث ليس على ظاهره، لأن سمع المخلوق حادث ومخلوق وبائن عن الله عز وجل، فما معناه إذنقيل: معناه أن الإنسان إذا كان وليا لله عز وجل وتذكر ولاية الله حفظ سمعه، فيكون سمعه تابعا لما يرضي الله عز وجل.وكذلك يقال في بصره، وفي: يده، وفي: رجله.وقيل: المعنى أن الله يسدده في سمعه وبصره ويده ورجله، ويكون المعنى: أن يوفق هذا الإنسان فيما يسمع ويبصر ويمشي ويبطش. وهذا أقرب، أن المراد: تسديد الله تعالى العبد في هذه الجوارح.وقوله: "ولئن سألني لأعطينه" هذه الجملة تضمنت شرطا وقسما، السابق فيهما القسم،

---

(١) شرح الأربعين النووية لعطية سالم عطية سالم ١١/٦٩

(٢) شرح الأربعين النووية لعطية سالم عطية سالم ٢/٨٠

(٣) شرح الأربعين النووية للعثيمين ابن عثيمين ص/٣٧٦

ولهذا جاء الجواب للقسم دون الشرط، فقال: لأعطينه.وقد قال ابن مالك – رحمه الله–:واحذف لدى اجتماع شرط وقسم ... جواب ما أخرت فهو ملتزميعني إذا اجتمع شرط وقسم فاحذف جواب المتأخر، ويكون الجواب للمتقدم، فهنا الجواب للمتقدم الذي هو القسم لأنه أتى مقرونا باللام.." (١)

"الله في الدعاء لك وقضاء حوائجك وما أشبه ذلكفالجواب: لا، فالله تعالى ليس بينه وبين عباده واسطة، وأما الجاهلون المغرورون فيقولون: هؤلاء أولياء الله وهم واسطة بيننا وبين الله. فيتوسلون بهم إلى الله أولا ثم يدعونهم من دون الله ثانيا.. ٣ إثبات الحرابة لله عز وجل، لقوله: "آذنته بالحرب" وقد ذكر الله تعالى ذلك في الربا أيضا فقال: (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) (البقرة: الآية٢٧٩) ، وذكر ذلك أيضا في عقوبة قطاع الطريق: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) (المائدة: الآية٣٣). ٤ إثبات محبة الله وأنها تتفاضل، لقوله: "وماتقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه".. ٥ أن الأعمال الصالحة تقرب إلى الله عز وجل، والإنسان يشعر هذا بنفسه إذا قام بعبادة الله على الوجه الأكمل من الإخلاص والمتابعة وحضور القلب أحس بأنه قرب من الله عز وجل. وهذا لايدركه إلا الموفقون، وإلا فما أكثر الذين يصلون ويتصدقون ويصومون، ولكن كثيرا منهم لايشعر بقربه من الله، وشعور العبد بقربه من الله لاشك أنه سيؤثر في سيره ومنهجه.. ٦ أن أوامر الله عز وجل قسمان: فريضة، ونافلة. والنافلة: الزائد عن الفريضة، ووجه هذا التقسيم قوله: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه. ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه"..٧ تفاضل الأعمال من حيث الجنس كما تتفاضل من حيث النوع. فمن حيث الجنس: الفرائض أحب إلى الله من النوافل. ومن حيث النوع: الصلاة أحب إلى الله مما." (٢)

"دونها من الفرائض، ولهذا سأل ابن مسعود رضي الله عنه رسول الله: أي الأعمال – أو العمل – أحب إلى الله فقال: "الصلاة على وقتها" (١)فالأعمال تتفاضل في أجناسها، وتتفاضل أجناسها في أنواعها، بل وتتفاضل أنواعها في أفرادها. فكم من رجلين صليا صلاة واحدة واختلفت مرتبتهما ومنزلتهما عند الله كما بين المشرق والمغرب.. ٨ الحث على كثرة النوافل، لقوله تعالى في الحديث القدسي: "ولايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه".. ٩ أن كثرة النوافل سبب لمحبة الله عز وجل، لأن: (حتى) للغاية، فإذا أكثرت من النوافل فأبشر بمحبة الله لك.ولكن اعلم أن هذا الجزاء والمثوبة على الأعمال إنماهو على الأعمال التي جاءت علىوفق الشرع، فما كل صلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وما كل نافلة تقرب إلى الله عز وجل، أقول هذا لاتيئيسا ولكن حثا على إتقان العبادة وإكمال العبادة، حتى ينال العبد الثواب المرتب عليها في الدنيا والآخرة.ولذلك كثير من الناس يصلون الصلوات الخمس والنوافل ولايحس أن قلبه نفر من المنكر، أو نفر من الفحشاء، هو باق على طبيعته. لماذا هل هو لنقص الآلة، أو لنقص العاملالجواب: لنقص العامل..١٠ أن الله تعالى إذا أحب عبدا سدده في سمعه وبصره ويده ورجله، أي في كل حواسه بحيث لايسمع إلا ما يرضي الله عز وجل، وإذا سمع

---

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين ابن عثيمين ص/٣٧٧

(٢) شرح الأربعين النووية للعثيمين ابن عثيمين ص/٣٧٩

انتفع، وكذلك أيضا__________(١) أخرجه البخاري - كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل الصلاة لوقتها، (٥٢٧٩) . ومسلم - كتاب: الإيمان، باب: كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، (٨٥) ، (١٣٩) .." [1]

"وقوله في الحديث الصحيح حديث الأنصاري الذي أضاف رجلا وآثره على نفسه وأهله فلما أصبح الرجل غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لقد ضحك الله الليلة- أو قال- عجب من فعالكما- أو قال:- من أفعالكما الليلة» وأنزل الله تعالى:ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة «١»» «٢».وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء» «٣».وفي الصحيح عنه أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» «٤».وفي الصحيحين عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاعدا في أصحابه إذ جاءه ثلاثة نفر فأما رجل فرأى في الحلقة فرجة فجلس فيها، وأما رجل فجلس خلفهم، وأما رجل فانطلق فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم عن هؤلاء النفرأما الرجل الذي جلس في الحلقة فرجل آوى إلى الله فآواه الله، وأما الرجل الذي جلس في خلف الحلقة فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الرجل الذي انطلق فأعرض فأعرض الله عنه» «٥».وفي صحيح البخاري عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي__________(١) سورة الحشر، الآية: ٩.(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣٧٩٨ و٤٨٨٩) ومسلم في صحيحه برقم (٢٠٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.(٣) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٧٤٢) وأحمد في المسند برقم (١١١٦٩) والنسائي في سننه الكبرى برقم (٩٢٦٩) وابن حبان في صحيحه برقم (٣٢٢١) والبيهقي في سننه (٧/ ٩١) والطحاوي في شرح مشكل الآثار برقم (٤٣٢٦) والقضاعي في مسند الشهاب برقم (١١٤٢) والبغوي في شرح السنة برقم (٢٢٤٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٦٤) وأحمد في المسند برقم (٧٨٢٧، ١٠٩٦٠) وابن ماجه في سننه برقم (٤١٤٣) والبغوي في شرح السنة برقم (٤١٥٠) وابن حبان في صحيحه برقم (٣٩٤) وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٢٤) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١١١٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.(٥) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦٦ و٤٧٤) ومسلم في صحيحه برقم (٢١٧٦) من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.." [2]

"بالكذبة من الوقيعة والإنكار، بقادح في منقبة البررة الأخيار، وواضع من درجة الصفوة الأطهار، بل في إظهار البراءة من الكذابين، والنكير على الحشوية البطالين، نزاهة الصادقين، ورفعة المحققين، ولو لم نكشف عن مخازي المبطلين ومساويهم ديانة، للزمنا إبانتها وإشاعتها حمية وصيانة، إذ لأسلافنا في التصوف العلم المنشور، والصيت والذكر المشهور، فقد كان جدي رحمه الله تعالى أحد من يسر الله تعالى به ذكر بعض المنقطعين إليه، وكيف يستجيز نقيصة أولياء الله تعالى

---

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين ابن عثيمين ص/٣٨٠

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ابن تيمية ص/٨٩

ومؤذيهم مؤذن بمحاربة ربه.ثم أسند حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله تعالى قال: من آذى لي وليا» وفي الرواية الأخرى:«من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه» «١».قلت: قد ذم أهل العلم والإيمان من أئمة العلم والدين من جميع الطوائف من خرج عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم في الأقوال والأعمال باطنا أو ظاهرا ومدحهم هو لمن وافق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كان موافقا من وجه ومخالفا من وجه كالعاصي الذي يعلم أنه عاص فهو ممدوح من جهة موافقته، مذموم من جهة مخالفته.وهذا مذهب سلف الأئمة وأئمتها من الصحابة ومن سلك سبيلهم في مسائل الأسماء والأحكام، والخلاف فيها أول خلاف حدث في مسائل الأصول حيث كفرت الخوارج بالذنب وجعلوا صاحب الكبيرة كافرا مخلدا في النار، ووافقتهم المعتزلة على زوال جميع إيمانه وإسلامه وعلى خلوده في النار، لكن نازعوهم في الاسم فلم يسموه كافرا بل قالوا: هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ننزله منزلة بين المنزلتين، فهم وإن كانوا في الاسم إلى السنة أقرب فهم في الحكم في الآخرة مع الخوارج.وأصل هؤلاء أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقا للثواب__________(١) تقدم تخريجه.." (١)

"١٨٦ - وعن مالك بن أنس مرسلا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله)) رواه في ((الموطأ)) [١٨٦].١٨٧ - وعن غضيف بن الحراث الثمالي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما أحدث قوم بدعة إلى رفع مثلها من السنة؛ فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة)) رواه أحمد [١٨٧].____الحديث الثالث عن مالك: قوله: ((تركت فيكم أمرين)) سيأتي شرحه مستقصى في باب مناقب أهل البيت إن شاء الله تعالى.الحديث الرابع عن غضيف: قوله: ((مثلها)) جعل أحد الضدين مثل الآخر لشبه التناسب بين الضدين وإخطار كل منهما بالبال مع ذكر الآخر، وحدوثه عند ارتفاع الآخر، وعليه قوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾، فكما أن إحداث السنة يقتضي رفع البدعة، كذلك عكسه، ولذلك قال: ((فتمسك بسنة)) نزرة ((خير من إحداث بدعة مستحسنة))، كما إذا أحيي آداب الخلاء مثلا على ما ورد في السنة، فهو خير من بناء رباط أو مدرسة، والسر فيه هو أن من راعي هذا الأدب فإنه يوفقه ويلطف به، حتى يترقى منه إلى ما هو أعلى منه، فلا يزال في الترقي والصعود إلى أن يبلغ مقام القرب، ومخدع الوصل كما قال: ((وما يزال عبدي يتقرب إلى النوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به)) الحديث. ومن تركه يؤديه ذلك إلى ترك الأفضل، حتى ينتقل إلى مقام الرين والطبع، فالفاء في ((فتمسك)) جزاء شرط محذوف.." (٢)

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ابن تيمية ص/١٩٠

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٦٥١/٢

"١٩٠٩ – وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء ((. رواه الترمذي. [١٩٠٩]١٩١٠ – وعن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك)). رواه أحمد، والترمذي. [١٩١٠]١٩١١ – وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تبسمك في وجه أخيك صدقة، وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة، وإرشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة، وبصرك الرجل الرديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر ـــــــوكان من مقالته ما هو جامع لمكارم الأخلاق من حسن المعاشرة مع الخلق بإفشاء السلام، وإطعام الطعام، وصلة الأرحام، ومع الحق بالتقرب إليه بالتهجد، قال الله تعالى: ((ما يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا)) الحديث.الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه: قوله: ((ميتة السوء)) ((تو)): الميتة – بالكسر – الحالة التي يكون عليها الإنسان من الموت، وأراد بها ما لا يحمد عاقبته، ولا يؤمن غائلته من الحالات، كالفقر المدقع، والوصب الموجع، والألم المقلق، والأعلال التي تفضي به إلي كفران النعمة، ونسيان الذكر، والأحوال التي تشغله عما له وعليه، ونحوها. ((مظ)): هي ما تعوذ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه: ((اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، ومن الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك من أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا، وأعوذ بك أن أموت لديغا)).أقول: ويجوز أن يحمل إطفاء الغضب علي المنع من إنزال المكروه في الدنيا، كما ورد ((لا يرد القضاء إلا الصدقة))، وموت السوء علي سوء الخاتمة؛ ورخامة العاقبة من العذاب في الآخرة كما ورد ((الصدقة تطفئ الخطيئة)) وقد سبق أنه من باب إطلاق السبب علي المسبب. وقد تقرر أن نفي المكروه لإثبات ضده أبلغ من العكس، وكأنه نفي الغضب، وميتة السوء، وأراد الحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن في العقبى، وعليه قوله تعالي:﴿ فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾.الحديث الرابع والخامس، عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: ((في أرض الضلال)) أضاف." (١)

"٢٢٦٦ – وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالي قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذيـــــــمقدار شبر. وقوله: ((يمشي)) و ((هرولة)) حالان. وقوله: ((خطيئة)) و ((مغفرة)) تمييزان، و ((هرولة)) يجوز أن تكون مفعولا مطلقا؛ لأنه نوع من الإتيان نحو رجعت القهقرى، لكن الحمل علي الحال أولي؛ لأن قرينته ((يمشي)) حال لا محالة.((تو)): الحديث علي الوجه الذي ورد في المصابيح من رواية أبي ذر: ((من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا، ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا)) هكذا مخرج في كتاب ابن ماجة، وفي كتاب مسلم ((تقربت إليه ذراعا، تقربت إليه باعا)). ولما ذكر الحديث في قسم الصحاح لم يكن له أن يأتي فيه بما لا يوجد في الكتابين – كتاب البخاري وكتاب مسلم، وذلك من التجوز الذي لا يتدين به المحدثون. أقول: هذا الحديث من أفراد مسلم، ذكره الحميدي في كتابه كما في المصابيح والمشكاة. وكذا في نسخة معتمدة لمسلم، وعلي هذا شرحه الشيخ محيي الدين النواوي، ولعل الشيخ وجد

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٥٥١/٥

نسخة علي ما نقله فأخذ يطعن علي مؤلف المصابيح، ولا يسعه ذلك.الحديث السادس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله ((من عادى لي وليا)) ((نه)): الولي: هو الناصر. وقيل: المتولي للأمور. ((شف)): الولي له معنيان: أحدهما أنه فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولي الله تعالي أمره فلا يكله إلي نفسه لحظة، قال الله تعالي: ((وهو يتولي الصالحين))، وثإنيهما أنه فعيل بمعنى فاعل مبالغة، وهو الذي يتولي عبادة الله تعالي وطاعته. وكلا الوصفين شرط في ولاية الولي، فيجب قيامه بحقوق الله تعالي علي الاستقصاء والاستبقاء؛ ليدوم حفظ الله تعالي وتولي أموره إياه في السراء والضراء. و ((آذنته)) أعلمته، أي فقد أعلمت معادي وليي بمحاربتي معه وليي. وفي قوله: ((ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) إرشاد إلي أن باب [المحبة] * إلي الله تعالي للعبد هو التقرب إلي الله تعالي بالنوافل الزائدة علي الفرائض فلا يزال العبد يتقرب إلي الله تعالي بأنواع الطاعات، ويرتقي من مقام إلي آخر بأصناف الرياضات، حتى يحبه الله، فيستغرق بملاحظة جناب قدسه بحيث ما لاحظ شيئا إلا رأي الله تعالي فيه، وهو آخر درجات السالكين وأول درجات الواصلين.قول: ((فكنت سمعه)) ((حس)): سئل أبو عثمان الخيري عن معنى هذا الخبر، فقال: كنت أسرع إلي قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي، [((خط))]: هذه أمثال ضربها، والمعنى- والله أعلم- توفيقه في الأعمال التي." (١)

"ـــــقوله: ((وما ترددت عن شيء)) ((قض)): التردد تعارض الرأيين، وترادف الخاطرين، وهو وإن كان محالا في حقه تعالي إلا أنه أسند إليه باعتبار غايته ومنتهاه الذي هو التوقف والتإني في الأمر، كذلك سائر ما يسند إلي الله تعالي من صفات المخلوقين كالغضب والحياء والمكر، فالمعنى: ما أخرت وما توقفت توقف المتردد في أمر أنا فاعله إلا في قبض نفس عبدي المؤمن، أتوقف فيه حتى يسهل عليه، ويمل قلبه إليه شوقا إلي أن ينخرط في سلك المقربين، ويتبوأ في أعلي عليين.وأقول: تفسير الولي علي ما نقلناه يستلزم المحبة، وأن يكون الولي محبوبا، وإلي المحبة ألإشارة بقوله: ((حتى أحبه)) وإلي معنى تولي الأمور لمح قوله: ((فكنت سمعه الذي يسمع به)) إلي آخر الفصل. وقوله ((أحب إلي مما افترضت عليه)) يقتضي أن تكون وسائل التقرب كثيرة، وأحبها إلي الله تعالي أداء الفرائض، فتندرج فيها النوافل. وقوله: ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل)) إلي آخره بيان أن حكم بعض المفضل عليه الذي هو النافلة بهذه المثابة، فما الظن بالمفضل الذي هو الفرائض فالتقرب المذكور في هذا الحديث وما رتب عليه من قوله: ((فكنت سمعه)) إلي آخره تفسير للمبهم، وتفصيل للمجمل في الحديث السابق. قال فيه: ((من تقرب إلي شبرا)) ولم يبين المتقرب به، وفسر هنا بأداء الفرائض والنوافل، وقال هناك: ((تقربت إليه ذراعا)) ولم يبين بماذا تقرب، فبين هنا بقوله: ((فكنت سمعه)) دلالة علي التأييد، والتوفيق، وتسهيل سلوك الطريق المستقيم، وإليه يلمح ترتب قوله: ((اهدنا الصراط المستقيم)) إلي آخره علي قوله: ((إياك نعبد وإياك نستعين))، فلما بنى افتتاح الكلام علي ذكر الولاية والمحبة تكرما وتفضلا، ونبه أنه تعالي لا يحوج وليه إلي انتقام من يعاديه، بل هو بذاته ينتصر منه، ويتولي حربه، وأنه سبحانه يتلقاه في التقرب منه بما تقر به عينه، وينشرح به صدره بقوله: ((فكنت سمعه وبصر)) إلي آخره، ختمه بالتأخير عما يسوء المحبة ويكرهه تلطفا وتعطفا.وقوله: ((وما ترددت في شيء أنا فاعله)) مرتب عليه قوله: ((هو يكره الموت، وأنا أكره مساءته)) من باب التمثيل، سبه صورة توقف الله تعالي وتأخيره العبد عما يسوءه

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٧٢٦/٥

من الموت الذي في الظاهر مضرة، وتنبؤ عنه بشرية العبد، وفي ضمنه المنافع والوصول إلي غاية المطالب حتى تزول تلك الكراهة بلطائف يحدثها الله تعالي، ويظهرها عليه، فيشتاق إليه بما يتحقق عنده من البشرى برضوان الله تعالي وكرامته، بصورة أب مشفق بولده متعطف له، يريد إيصاله إلي ما يتم به كمال نفسه من العلم والأدب، ولا يتم ذلك إلا بنصب التكرار وتعب السهر، والولد يكرهه، وهو لا يريد مساءته، ولا أن يترك ما هو صلاحه فيه، فيتوخى لطائف الحيل، حتى يميل إليه قلب الولد، وينزع إليه. ثم أدخل صورة المشبه في جنس المشبه به مبالغة، ثم استعمل في المشبه اللفظ الذي كان مستعملا في المشبه اللفظ الذي كان مستعملا في المشبه به من التردد، وهذا التأويل موافق." (١)

"الحديث السادس والثلاثون: عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن: يكره الموت، وأكره مساءته، ولا بد له منه)) [رواه البخاري].." (٢)

"((فقد آذنته بالحرب)) ومن لديه قدرة على مبارزة الله –جل وعلا– بالحرب وجاء في آكل الربا ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ [(٢٧٩) سورة البقرة] ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)) لا شك أن أداء الواجبات واجتناب المحرمات أولى من الانشغال بالمستحبات، ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)) يعني على الإنسان أن يؤدي ما افترض الله عليه، فإذا حصل فيها خلل غير مقصود وتنفل الإنسان بعدها جبر النافلة هذا الخلل، أما أن يعنى بالنوافل وهو مخل مصر على الخلل في الفرائض يخل بالفرائض عن قصد يقول: نكملها بالنوافل، ((وما تقرب إلي عبدي أحب إلي مما افترضته عليه)) هنا مسألة يحتاجها كثير من الإخوان المشايخ وطلاب العلم، تجد بعضهم باذل في وجوه الخير والنفع لكن هذا البذل له أثر في عمله الأصلي الذي استؤجر عليه ووجب عليه، تجد مثلا مدرس مقصر في التدريس الواجب وعنده في آخر النهار حلقة تحفيظ، أو أستاذ في جامعة أو في غيره عنده دروس لكنه يتخلف عن المحاضرات الواجبة عليه، ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه)) عليه أن يؤدي هذا الواجب الذي يأخذ مقابله أجرة، ثم إذا تنفل بما زاد على ذلك نور على نور، وبعضهم يتسامح في مثل هذا الأمر، ويقول: ما دام العمل الثاني يحقق الهدف الذي من أجله استؤجر على العمل الأصلي هذا يجبر هذا، وعلى كل حال كل له نظرته؛ لكن ينبغي العناية بما أوجب الله عليك، احرص على أن تؤدي ما أنيط بك من عمل، وأخذت عليه أجرة كاملا، وما زاد على ذلك لك أجره –إن شاء الله تعالى–، وعلى كل حال على الإنسان أن يؤدي ما اؤتمن عليه، وما استؤجر من أجله، وعليه أيضا أن يبذل، ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) لكن هل الشخص الباذل الذي يبذل قدر زائد على ما أوجب عليه، هذا إذا حصل خلل فيما أوجب عليه يجبر

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٧٢٨/٥

(٢) شرح جوامع الأخبار – عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٠/٦

بهذه النوافل، كما أن الصلوات المفروضة تجبر بالرواتب؛ لكن الإشكال إذا قال: أنا من أهل التحري والتثبت وأؤدي العمل الواجب، ولا أستطيع أن أتنفل، ويحرم من النفع العام الذي." (١)

"يؤديه إلى غيره، يحرم الناس بسبب أنه يريد أن يتحرر، ويؤدي الواجب، ويخشى أن يكون هذا العمل المندوب له أثر على الواجب فيحرم من ما يكمل هذا الواجب، فعلى الإنسان أن يحرص على الواجب ويؤدي المستحب.((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) يتقرب بالنوافل: وأعظم النوافل طلب العلم، طلب العلم ابتغاء وجه الله -جل وعلا- ، هذا أعظم وأفضل من نوافل العبادة، فعلى الإنسان أن يحرص عليه ويتقرب بوجوه الخير الأخرى اللازمة والمتعدية من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة، ونفع لإخوانه المسلمين، وإعانة للمحتاجين، وسعي في قضاء حوائجهم، ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) وفي هذا إثبات المحبة لله -جل وعلا- على ما يليق بجلاله وعظمته ((فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به)) وإذا كان الله -جل وعلا- سمع الإنسان فإنه لن يسمع إلا ما ينفعه في أموره ودنياه، وسوف يحمي سمعه عن سماع المحرم من غيبة ونميمة وأغاني وفحش وإسفاف ((وبصره الذي يبصر به)) وقل مثل هذا فيما يرى، فإذا أحب الله -جل وعلا- العبد حماه عن مزاولة المنكرات المسموعة والمرئية، وكنت يده التي يبطش بها، فلا يمد يده إلا إلى شيء مشروع، أو على أقل الأحوال مباح ((ورجله التي يمشي بها)) فلا يمشي إلا إلى عبادة أو إلى شيء مباح يستعين به على عبادته، ((ولئن سألني لأعطينه)) ومع ذلك يكون مجاب الدعوة، ومع ذلك يكون مجاب الدعوة، ((ولئن سألني لأعطينه)) لأن من حافظ على الواجبات، وتقرب بالنوافل عصمه الله -جل وعلا- عن المحرمات، لا سيما ما يدخل في جوفه من مأكول ومشروب، وما يلبسه على بدنه مما يقتضي رد الدعوة، فمثل هذا إذا عصم من الأكل الحرام، وشرب الحرام، وغذاء الحرام، وكسوة الحرام، مثل هذا يكون مجاب الدعوة؛ لأن من موانع الدعوة هذه الأمور، مزاولة المحرمات، ذكر الرجل ((يطيل السفر، أشعث أغبر، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له)) لكن هذا الولي ((ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني ...)) سألني شيء ينفعه في دينه ودنياه لأعطينه، وإن استعاذني من شيء يضره في دينه ودنياه لأعيذنه.." (٢)

"وهذه الزيادة تكون على الوجه المتفق عليه، بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاء على تقربه باختياره. فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر زاده الرب قربا إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع. فكذلك قرب الرب من قلب العابد، وهو ما يحصل في قلب العبد من معرفة الرب والإيمان به، وهو المثل الأعلى، وهذا ـ أيضا ـ لا نزاع فيه، وذلك أن العبد يصير محبا لما أحب الرب، مبغضا لما أبغض، مواليا لمن يوالي، معاديا لمن يعادي، فيتحد مراده مع المراد المأمور به الذي يحبه الله ويرضاه.وهذا مما يدخل في موالاة العبد لربه، وموالاة الرب لعبده. فإن الولاية ضد العداوة، والولاية تتضمن المحبة والموافقة، والعداوة تتضمن البغض والمخالفة. وقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه، ولا يزال عبدي

---

(١) شرح جوامع الأخبار - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٦/١٢

(٢) شرح جوامع الأخبار - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٦/١٣

يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه ".فأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أنه يقرب العبد بالفرائض، ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله فيصير العبد محبوبا لله، كما قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [آل عمران: ٣١] ، وقال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ [المائدة: ٥٤] ، وقال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ [البقرة: ١٩٥] ، وقال تعالى: ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٤] ، وقال: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ [التوبة: ٧] ، وقال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [البقرة: ٢٢٢] ، وقال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين." (١)

"السلم وأنتم الأعلون والله معكم) (محمد: ٣٥) ، أي شيء تريدون بعد .. أنتم الأعلون، والله معكم؛ كيف تدعون إلى السلم كيف تهنون ولكن نظرا لتأخرنا في ديننا، تأخرنا وكنا على العكس من ذلك، كان الناس في عهد السلف الصالح يمشي المسلم وهو يرى أنه هو المستحق لأرض الله، لأن الله قال في كتابه: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) (الأنبياء: ١٠٥) ، فهو يرى أنه صاحب الأرض.أما الآن فبالعكس ـ مع الأسف الشديد ـ ولهذا نحن نحث أبناءنا وشبابنا على أن يفقهوا الدين حقيقة، يتمسكوا به حقيقة، وأن يحذروا أعداء الله ـ عز وجل ـ وأن يعلموا أنه لا يمكن لعدو الله وعدوهم أن يسعى في مصلحتهم إطلاقا، بل لا يسعى إلا لمصلحة نفسه، وتدمير المسلمين ومن ورائهم الإسلام. فنسأل الله تعالى أن يعزنا بدينه وأن يعز دينه بنا، وأن يجعلنا من دعاة الحق وأنصاره، وأن يهيئ للأمة الإسلامية قادة خير يقودونها لما فيه صلاحها وسعادتها في دينها ودنياها.* * *وأما الأحاديث:فالأول: عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني." (٢)

"(وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه) اللهم نسألك من فضلك. النوافل تقرب إلى الله وهي تكمل الفرائض، فإذا أكثر الإنسان من النوافل مع قيامه بالفرائض، نال محبة الله، فيحبه الله، وإذا أحبه فكما يقول الله ـ عز وجل ـ (كنت سمعه الذي سمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) يعني أنه يكون مسددا له في هذه الأعضاء الأربعة؛ في السمع، يسدده في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله. كذلك أيضا بصره، فلا ينظر إلا إلي ما يحب الله النظر إليه، ولا ينظر إلي المحرم، ولا ينظر نظرا محرما؛ ويده؛ فلا يعمل بيده إلا ما يرضي الله، لأن الله يسدده، وكذلك رجله؛ فلا يمشي إلا إلى ما يرضي الله، لأن الله يسدده، فلا يسعى إلا إلى ما فيه الخير، وهذا يعني قوله: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها) .وليس المعنى أن الله يكون نفس

---

(١) شرح حديث النزول ابن تيمية ص/١٣٨

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٥٩/٢

السمع، ونفس البصر، ونفس اليد، ونفس الرجل ـ حاشا لله ـ فهذا محال، فإن هذه أعضاء وأبعاض لشخص مخلوق لا يمكن أن تكون هي الخالق، ولأن الله تعالى أثبت في هذا الحديث في قوله: (وأن سألني أعطيته، ولئن استعاذ بي لأعيذنه) فأثبت سائلا ومسؤولا، وعائذا ومعوذا به، وهذا غير هذا. ولكن المعنى أنه يسدد الإنسان في سمعه وبصره وبطشه ومشيه.وفي قول سبحانه وتعالى في هذا الحديث القدسي: (وإن سألني أعطيته) دليل على أن هذا الولي الذي تقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم." [١]

"وكانوا يتقون) (يونس: ٦٣) .ومن فوائد هذا الحديث:فضيلة أولياء الله، وأن سبحانه وتعالى يعادي من عاداهم، بل يكون حربا عليهم عز وجل.ومن فوائد هذا الحديث:أن الأعمال الواجبة من صلاة، وصدقة، وصوم، وحج، وجهاد، وعلم، وغير ذلك؛ افضل من الأعمال المستحبة؛ لأن الله تعالى قال: (ما تقرب إلى عبدي بشيء احب إلى مما افترضت عليه) .ومن فوائده:إثبات المحبة لله ـ عز وجل ـ، وأن الله تعالى يحب الأعمال بعضها أكثر من بعض، كما أنه يحب الأشخاص بعضهم أكثر من بعض، فالله عز وجل يحب العاملين بطاعته ويحب الطاعة، وتتفاوت محبته ـ سبحانه وتعالى ـ على حسب ما تقتضيه حكمته.ومن فوائد هذا الحديث:أن الإنسان إذا تقرب إلى الله بالنوافل مع القيام بالواجبات فإنه يكون بذلك معانا في جميع أموره؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: (وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه..) الخ.وفيه: دليل أيضا على أن من أراد أن يحبه الله فأمر سهل عليه إذا سهله عليه، يقوم بالواجبات ويكثر من التطوع بالعبادات، فبذلك ينال محبة الله، وينال ولاية الله.." [٢]

"٤٧ ـ باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلهاقال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) [آل عمران: ٣١] ، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) [المائدة: ٥٤] .٣٨٦/١ ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني، أعطيته، ولئن استعاذني، لأعيذ نه)) رواه البخاري.معنى ((آذنته)) : أعلمته بأني محارب له. وقوله ((استعاذني)) روي بالباء وروي بالنون.٣٨٧/٢ ـ وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((إذا أحب الله تعالى العبد، نادى جبريل، إن الله تعالى يحب فلانا، فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض)) متفق." [٣]

---

(١) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٦٢/٢

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٦٤/٢

(٣) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٢٦٧/٣

"الولاية، وليست الولاية أن يخشوشن الإنسان في لباسه، أو أن يترهبن أمام الناس، أو أن يطيل كمه أو أن يخنع رأسه؛ بل الولاية الإيمان والتقوى (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فمن عادى هؤلاء فإنه حرب لله والعياذ بالله.ثم قال الله عز وجل في الحديث القدسي: ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضه عليه)) يعني أحب ما يحب الله الفرائض. فالظهر أحب إلى الله من راتبة الظهر، والمغرب أحب إلى الله من راتبة المغرب، والعشاء أحب إلى الله من راتبة العشاء، والفجر أحب إلى الله من راتبة الفجر، والصلاة المفروضة أحب إلى الله من قيام الليل، كل الفرائض أحب إلى الله من النوافل، والزكاة أحب إلى الله من الصدقة، وحج الفريضة أحب إلى الله من حج التطوع، كل ما كان أوجب فهو أحب إلى الله عز وجل.((وما تقرب إلى عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) وفي هذا إشارة إلى أن من أسباب محبة الله أن تكثر من النوافل ومن التطوع؛ نوافل الصلاة، نوافل الصدقة، نوافل الصوم، نوافل الحج، وغير ذلك من النوافل.فلا يزال العبد يتقرب إلى الله بالنوافل حتى يحبه الله، فإذا أحبه الله كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصره به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سأله ليعطينه، ولئن استعاذه ليعيذنه.((كنت سمعه)) يعني: أنني أسدده في سمعه، فلا يسمع إلا ما يرضي الله، ((وبصره)) أسدده في بصره فلا يبصر إلا ما يحب الله ((ويده التي يبطش بها)) فلا يعمل بيده إلا ما يرضي الله ((ورجله التي يمشي بها)) فلا." (١)

"أنفسكم. وقد يكون جهاد النفس منعها الشهوات المباحة توفيرا لها فى الآخرة؛ لئلا تدخل فى معنى قوله: (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا) [الأحقاف: ٢٠] الآية، وعلى هذا جرى سلف الأمة، وقال سالم الخواص: أوحى الله إلى داود: لا تقرب الشهوات، فإنى خلقتها لضعفاء خلقى، فإن أنت قربتها، أهون ما أصنع بك أسلبك حلاوة مناجاتى، يا داود، قل لبنى إسرائيل، لا تقربوا الشهوات، فالقلب المحجوب بالشهوات حجبت صوته عنى. قد تقدم معنى قوله: (هل تدرى ما حق الله على عباده) فى باب من أجاب بلبيك وسعديك فى كتاب الاستئذان، وسنأتى بزيادة فى بيانه فى باب قوله تعالى: (وكان عرشه على الماء) [هود: ٧] فى كتاب الاعتصام إن شاء الله تعالى.٣٣ - باب التواضع/ ٧٤ - فيه: أنس، كانت ناقة النبى، لا تسبق، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين، وقالوا: سبقت العضباء، فقال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه) . / ٧٥ - وفيه: أبو هريرة، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (إن الله تعالى قال: من عادى لى وليا، فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها، ورجله." (٢)

"بل المحبة صفة الله – تعالى – غير صفة الرحمة، ورحمة الله – تعالى – لعبده من لوازم محبته له، وقد تقدم تقرير ذلك، والرد على المحرفين من الأشاعرة وغيرهم (١) .وأسباب محبة الله – تعالى – لعبده متعددة، حسب ما دلت عليه النصوص في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، منها: التوبة، فالله – تعالى – يحب التوابين، ومنها: التطهير من

---

(١) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٢٧٠/٣

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٢١١/١٠

الأنجاس الحسية والمعنوية: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ومنها: الثبات أمام العدو صفوفا كالبنيان المرصوص: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ .وفي الحديث الصحيح: ((لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به)) الحديث.قوله: ((إن الله تبارك وتعالى)) قال ابن عباس: تبارك: تفاعل من البركة، وهو كقول القائل: تقدس ربنا)) (٢) .وقال الأزهري: ((أخبرني المنذري عن أبي العباس، أنه سئل عن تفسير ((تبارك الله)) فقال: ارتفع، والمتبارك: المرتفع، ومعنى البركة: الكثرة في كل خير، وتبارك: تعالى وتعاظم، وقال ابن الأنباري: تبارك الله: أي: يتبرك باسمه في كل أمر، وقال الليث: تبارك الله: تمجيد وتعظيم، وقال أبو بكر: تبارك: تقدس، أي: تطهر، والمقدس: المطهر)) (٣) .وقال: ((عن الليث: ((تعالى)) هو: العلي المتعالي، العالي الأعلى، ذو العلاء والعلا والمعالي، تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا، وهو الأعلى - سبحانه -__________(١) انظر (ص٥٩) من الجزء الأول من هذا الشرح.(٢) انظر ((تفسير الطبري)) (١٧٩/١٨) .(٣) ((تهذيب اللغة)) (٢٣٠/١٠) ملخصا.." [(١)]

"سابقون لهم، فإنهم ساقة الخاصة وهؤلاء مقدمة العامة، فهذا كله بناء على أن الفناء هو الغاية التى لا غاية للعبد وراءها ولا كمال له يطلبه فوقها. وقد تبين ما فى ذلك، وما هو الصواب بحمد الله، فقوله [رحمه الله] : "كل ما هو من العبد فهو علة تليق بعجز العبد وفاقته" يقال له: إذا كان إنما [منه] العبودية التى يحبها الله كسبا ومباشرة فهو قائم بها شاهد لمقيمه فيها مطالع [لمنه] ، وفضله، فأى علة هنا سوى وقوفه مع شهودها منه، وغيبته عن شهود إقامة الله وتحريكه إياه، وتوفيقه له فالعلة هى بهذا الشهود وهذه الغيبة المنفاية لكمال الافتقار والفاقة إلى الله، وأما شهود فقره وفاقته ومجموع حالاته وحركاته وسكناته إلى وليه [وبارئه] مستعينا به أن يقيمه فى عبودية خالصة له، فلا علة هناك.قوله: "وإنما عين الحقيقة أن يكون قائما بإقامته له" إلى آخر كلامه، يقال: إن أردت أنه يشهد إقامة الله له حتى قام ومحبته **له حتى أحبه ونظره** إلى عبده حتى أقبل عبده عليه ناظرا إليه بقلبه فهذا حق، فإن ما من الله سبق ما من العبد، فهو الذى أحب عبده أولا فأحبه العبد، وأقام العبد فى طاعته فقام بإقامته، ونظر إليه فأقبل العبد عليه، وتاب عليه أولا فتاب إليه [عبده] .وإن أردت أنه لا يشهد فعله البتة بل يفنى عنه جملة ويشهد أن الله وحده هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما [حرما] فى شهوده، وإن لم تفن وتعدم فى الخارج- وهذا هو مراد القوم- فدعوى [أن هذا هو الكمال الذى لا كمال فوقه ولا غاية وراءه دعوى] مجردة لا يستدل عليها مدعيها بأكثر من الذوق والوجد، وقد تقدم أن هذا ليس بغاية، وإنما غايته أن يكون من عوارض الطريق، وأن شهود الأشياء فى مراتبها ومنازلها التى أنزلها سبحانه إياها أكمل وأتم.ويكفى فى بعض هذا الاحتجاج عليه بصفات الكفار، فإن الله ذمهم بأنهم صم بكم عمى، فهذه صفات نقص وذم لا صفات كمال ومدحة، وهل الكمال إلا فى حضور السمع والبصر والعقل وكمال التمييز وتنزيل الخلق والأمر منازلهما والتفريق بين ما فرق الله بينه فالأمر كله فرقان وتمييز وتبيين، فكلما كان تمييز العبد وفوقانه أتم كان حاله أكمل وسيره أصح

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري عبد الله بن محمد الغنيمان ٣٣١/٢

وطريقه أقوم وأقرب. والحمد لله رب العالمين.فصلقال أبو العباس: وأما الشوق فهو هبوب القلب إلى غائب، وإعواز الصبر عن فقده، وارتياح السر إلى طلبه. وهو من مقامات العوام، وأما الخواص." (١)

"هذا البته فان الغنى قد يكون أتقى لله فى شكره من الفقير فى صبره وقد يكون الفقير أتقى لله فى صبره من الغنى فى شكره فلا يصح أن يقال هذا بغناه أفضل ولا هذا بفقره أفضل ولا يصح أن يقال هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر ولا بالعكس لأنهما مطيتان للايمان لا بد منهما بل الواجب أن يقال أقومهما بالواجب والمندوب هو الافضل فان التفضيل تابع لهذين الأمرين كما قال تعالى فى الاثر الالهى: "ما تقرب الى عبدى بمثل مداومة ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه" فأى الرجلين كان أقوم بالواجبات وأكثر نوافل كان أفضلفان قيل: فقد ثبت عن النبى أنه قال " يدخل فقراء أمتى الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وذلك خمسمائة عام" قيل هذا لا يدل على فضلهم على الاغنياء فى الدرجة وعلو المنزلة وان سبقوهم بالدخول فقد يتأخر الغنى والسلطان العادل فى الدخول لحسابه فاذا دخل كانت درجته أعلى ومنزلته أرفع كسبق الفقير القفل فى المضائق وغيرها ويتأخر صاحب الاحمال بعده فان قيل فقد قال النبى للفقراء لما شكوا اليه زيادة عمل الاغنياء عليهم بالعتق والصدقه: "ألا أدلكم على شئ اذا فعلتموه أدركتم به من سبقكم" فدلهم على التسبيح والتحميد والتكبير عقب كل صلاة فلما سمع الاغنياء ذلك عملوا به فذكروا ذلك للنبى فقال: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء" وهذا يدل على ترجيح حال الغنى الشاكر قيل هذا حجة للقول الذى نصرناه وهو أن أفضلهما أكثرهما نوافل فإن استويا استويا وها هنا قد ساوى الأغنياء الفقراء فى أعمالهم المفروضه والنافلة وزادوا عليهم بنوافل العتق والصدقه وفضلوهم بذلك فساووهم فى صبرهم على الجهاد والأذى فى الله والصبر على المقدور وزادوا عليهم بالشكر بنوافل المال فلو كان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الأغنياء لفضلوهم بهافإن قيل: إن النبى عرضت عليه مفاتيح كنوز الدنيا فردها." (٢)

"العبرة الخامسةروى البخاري رحمه الله تعالى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبيد يتقرب على بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته".عن العبرة في هذا الخبر النبوي الإلهي العظيم من وجوه عدة وهذا بيانها:١- حرمة معاداة العبد المؤمن التقي؛ إذ ولاية الله تعالى للعبد تتحقق للعبد بالإيمان الصحيح وتقوى الله عز وجل وهي معرفة محابه تعالى وفعلها، ومعرفة مكارهه عز وجل وتركها. والمعاداة تكون بالكره لولي الله وبغضه وبأذيته في عرضه وبدنه وماله.." (٣)

"أي: هذا باب في بيان فضل التواضع، وهو إظهار التنزل عن مرتبته. وقيل: هو تعظيم من فوقه من أرباب الفضائل، وفي (رقائق) : ابن المبارك عن معاذ بن جبل أنه قال: لن يبلغ ذروة الإيمان حتى تكون الضعة أحب إليه من الشرف، وما

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم ص/٣٢٦

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ابن القيم ص/١٥٣

(٣) عظات وعبر من أحاديث سيد البشر صلى الله عليه وسلم أبو بكر الجزائري ص/١٩

قل من الدنيا أحب إليه مما كثر.١٠٥٦ – حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا زهير حدثنا حميد عن أنس رضي الله عنه: كان ل لنبي صلى الله عليه وسلم ناقة.قال: وحدثني محمد أخبرنا الفزاري وأبو خالد الأحمر عن حميد الطويل عن أنس قال: كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء، وكانت لا تسبق فجاء أعرابي على قعود له فسبقها، فاشتد ذالك على المسلمين، وقالوا: سبقت العضباء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه) .مطابقته للترجمة من حيث إن في طرق هذا الحديث عند النسائي بلفظ: حق على الله أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا إلا وضعه، ففيه إشارة إلى ذم الترفع والحض على التواضع، والإعلام بأن أمور الدنيا ناقصة غير كاملة.وأخرج البخاري هذا الحديث من طريقين: أحدهما: عن مالك بن إسماعيل بن زياد أبي غسان النهدي الكوفي عن زهير بن معاوية عن حميد الطويل بن أبي حميد عن أنس بن مالك. والآخر: عن محمد بن سلام، قاله الكلاباذي: عن مروان بن معاوية الفزاري بفتح الفاء وتخفيف الزاي وبالراء عن أبي خالد الأحمر سليمان بن حيان بتشديد الياء، آخر الحروف الأزدي.والحديث مضى في كتاب الجهاد في: باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه أخرجه بالطريق الأول بعين إسناده ومتنه عن مالك بن إسماعيل عن زهير عن حميد عن مالك ... إلى آخره.قوله: (العضباء) ، بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة وبالمد الناقة المشقوقة الأذن، ولكن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم تكن مشقوقة الأذن لكن صار هذا لقبالها. قوله: (لا تسبق) على صيغة المجهول. قوله: (على قعود) بفتح القاف وهو البكر من الإبل حين يمكن ظهره للركوب وأدنى ذلك سنتان.٢٠٥٦ – حدثني محمد بن عثمان حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره إساءته لأعيذنه) .قيل: لا مطابقة بين هذا الحديث والترجمة حتى قال الداودي: ليس هذا الحديث من التواضع في شيء. وقال صاحب (التلويح) : لا أدري ما مطابقته لها لأنه لا ذكر فيه للتواضع ولا لما يقرب منه، وقيل: المناسب إدخاله في الباب الذي قبله، وهو: مجاهدة المرء نفسه في طاعة الله، وأجابوا عن ذلك، فقال الكرماني: التقرب بالنوافل لا يكون إلا بغاية التواضع والتذلل للرب تعالى.قلت: قد سبقه بهذا صاحب (التلويح) : فإنه قال: التقرب إلى الله بالنوافل حتى يستحقوا المحبة من الله تعالى لا يكون إلا بغاية التواضع والتذلل للرب عز وجل، ثم قال: وفيه بعد، لأن النوافل إنما يزكي ثوابها عند الله لمن حافظ على فرائضه، وقيل: الترجمة مستفادة مما قال: كنت سمعه، ومن التردد، وقال بعضهم: تستفاد الترجمة من لازم قوله: (من عادى لي." (١)

"وضع في الأرض والصيت بكسر الصاد المهملة وسكون التحتانية بعدها مثناة أصله الصوت كالريح من الروح والمراد به الذكر الجميل وربما قيل لضده لكن بقيد[٦٠٤٠] قوله أبو عاصم هو النبيل وهو من كبار شيوخ البخاري وربما روى عنه بواسطة مثل هذا فقد علقه في بدء الخلق لأبي عاصم وقد نبهت عليه ثم قوله عن نافع هو مولى بن عمر قال البزار بعد أن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٨٨/٢٣

أخرجه عن عمرو بن علي الفلاس شيخ البخاري فيه لم يروه عن نافع إلا موسى بن عقبة ولا عن موسى إلا بن جريج قلت وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثوبان عند أحمد والطبراني في الأوسط وأبو أمامة عند أحمد ورواه عن أبي هريرة أبو صالح عند المصنف في التوحيد وأخرجه مسلم والبزار قوله إذا أحب الله العبد وقع في بعض طرقه بيان سبب هذه المحبة والمراد بها ففي حديث ثوبان إن العبد ليلتمس مرضاة الله تعالى فلا يزال كذلك حتى يقول يا جبريل إن عبدي فلانا يلتمس أن يرضيني ألا وإن رحمتي غلبت عليه الحديث أخرجه أحمد والطبراني في الأوسط ويشهد له حديث أبي هريرة الآتي في الرقاق ففيه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه الحديث** قوله إن الله يحب فلانا فأحبه بفتح الموحدة المشددة ويجوز الضم ووقع في حديث ثوبان فيقول جبريل رحمة الله على فلان وتقوله حملة العرش قوله فينادي جبريل في أهل السماء إلخ في حديث ثوبان أهل السماوات السبع قوله ثم يوضع له القبول في أهل الأرض زاد الطبراني في حديث ثوبان ثم يهبط إلى الأرض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا وثبتت هذه الزيادة في آخر هذا الحديث عند الترمذي وبن أبي حاتم من طريق سهيل عن أبيه وقد أخرج مسلم إسنادها ولم يسق اللفظ وزاد مسلم فيه وإذا أبغض عبدا دعا جبريل فساقه على منوال الحب وقال في آخره ثم يوضع له البغضاء في الأرض ونحوه في حديث أبي أمامة عند أحمد وفي حديث ثوبان عند الطبراني وإن العبد يعمل بسخط الله فيقول الله يا جبريل إن فلانا يستسخطني فذكر الحديث على منوال الحب أيضا وفيه فيقول جبريل سخطة الله على فلان وفي آخره مثل ما في الحب حتى يقوله أهل السماوات السبع ثم يهبط إلى الأرض وقوله يوضع له القبول هو من قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أي رضيها قال المطرزي القبول مصدر لم أسمع غيره بالفتح وقد جاء مفسرا في رواية القعنبي فيوضع له المحبة والقبول والرضا بالشيء وميل النفس إليه وقال بن القطاع قبل الله منك قبولا والشيء والهدية أخذت والخبر صدق وفي التهذيب عليه قبول إذا كانت العين تقبله والقبول من الريح الصبا لأنها تستقبل الدبور والقبول أن يقبل العفو والعافية وغير ذلك وهو اسم للمصدر أميت الفعل منه وقال أبو عمرو بن العلاء القبول بفتح القاف لم أسمع غيره يقال فلان عليه قبول إذا قبلته النفس وتقبلت الشيء قبولا ونحوه لابن الأعرابي وزاد قبلته قبولا بالفتح والضم وكذا قبلت هديته عن اللحياني قال بن بطال في هذه الزيادة رد على ما يقوله القدرية إن الشر من فعل العبد وليس من خلق الله انتهى والمراد بالقبول في حديث الباب قبول القلوب له بالمحبة والميل إليه والرضا عنه ويؤخذ منه أن محبة قلوب الناس علامة محبة الله ويؤيده ما تقدم في الجنائز أنتم شهداء الله في الأرض والمراد بمحبة الله إرادة الخير للعبد وحصول الثواب له وبمحبة الملائكة استغفارهم له وإرادتهم خير الدارين له وميل قلوبهم إليه لكونه مطيعا لله محبا له ومحبة العباد له اعتقادهم فيه الخير وإرادتهم دفع الشر عنه ما أمكن وقد تطلق محبة الله تعالى للشيء على إرادة إيجاده وعلى إرادة تكميله والمحبة التي في هذا الباب من القبيل الثاني وحقيقة المحبة." (١)

"وفي رواية يعقوب بن مجاهد عينيه التي يبصر بهما بالتثنية وكذا قال في الأذن واليد والرجل وزاد عبد الواحد في روايته وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به ونحوه في حديث أبي أمامة وفي حديث ميمونة وقلبه الذي يعقل به وفي حديث

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٤٦٢/١٠

أنس ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره إلخ والجواب من أوجه أحدها أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ثانيها أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به ثالثها المعنى أجعل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره إلخ رابعها كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه خامسها قال الفاكهاني وسبقه إلى معناه بن هبيرة هو فيما يظهر لي أنه على حذف مضاف والتقدير كنت حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه وحافظ بصره كذلك إلخ سادسها قال الفاكهاني يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله وهو أن يكون معنى سمعه مسموعه لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول مثل فلان أملي بمعنى مأمولي والمعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ولا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ولا يأنس إلا بمناجاتي ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده إلا فيما فيه رضاي ورجله كذلك وبمعناه قال بن هبيرة أيضا وقال الطوفي اتفق العلماء ممن يعتد بقوله أن هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الآلات التي يستعين بها ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي قال والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد واحتجوا بمجيء جبريل في صورة دحية قالوا فهو روحاني خلع صورته وظهر بمظهر البشر قالوا فالله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقال الخطابي هذه أمثال والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره ومن البطش فيما لا يحل له بيده ومن السعي إلى الباطل برجله وإلى هذا نحا الداودي ومثله الكلاباذي وعبر بقوله أحفظه فلا يتصرف إلا في محابي لأنه إذا أحبه كره له أن يتصرف فيما يكرهه منه سابعها قال الخطابي أيضا وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة وقال بعضهم وهو منتزع مما تقدم لا يتحرك له جارحة إلا في الله ولله فهي كلها تعمل بالحق للحق وأسند البيهقي في الزهد عن أبي عثمان الجيزي أحد أئمة الطريق قال معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الأسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وأنه الغاية التي لا شيء وراءها وهو أن يكون قائما بإقامة الله له محبا بمحبته له ناظرا بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف ومعنى هذا الكلام أنه يشهد إقامة الله له حتى قام ومحبته **له حتى أحبه ونظره** إلى عبده حتى أقبل ناظرا إليه بقلبه وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى يصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق تعالى الله عن ذلك وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله هو الذاكر لنفسه الموحد لنفسه المحب لنفسه وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده وإن لم تعدم في الخارج وعلى الأوجه كلها فلا متمسك فيه." (١)

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٣٤٤/١١

"مواقيتها)) — وذكر باقية.وهذه الألفاظ متقاربة المعنى أو متحدة؛ لأن ما كان من الأعمال أحب إلى الله فهو أفضل الأعمال، وهو أقرب إلى الجنة من غيره؛ فإن ما كان أحب إلى الله فعامله أقرب إلى الله من غيره، كما في حديث أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فيما يرويه عن ربه، قال: ((ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) — وذكر الحديث.خرجه البخاري في " الرقاق" من "كتابه" هذا.وقال عمر بن الخطاب: أفضل الأعمال أداء ما فرض الله.وكذا قال عمر بن عبد العزيز في خطبته.فدل حديث ابن مسعود هذا على أن أفضل الأعمال وأقربها إلى الله وأحبها إليه الصلاة على مواقيتها المؤقتة لها.وقد روي في هذا الحديث زيادة، وهي: ((الصلاة في أول وقتها)) ، وقد خرجها ابن خزيمة وابن حبان في " صحيحهما" والحاكم والدارقطني من طرق متعددة.ورويت من حديث عثمان بن عمر، عن مالك بن مغول، [و] من حديث علي بن حفص المدائني، عن شعبة، ورويت عن شعبة من وجه." (١)

"الحديث الثامن والثلاثونعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه" رواه البخاري.١ قوله: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"، هذا الحديث من الأحاديث القدسية التي يرويها الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه، وقد أفرد الشوكاني شرحه في كتاب سماه"قطر الولي بشرح حديث الولي"، وأولياء الله عز وجل هم المؤمنون المتقون، كما قال تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ومعنى"آذنته بالحرب"أعلمته أنني محارب له، وهو يدل على خطورة معاداة أولياء الله، وأنه من الكبائر.٢ قوله: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه" في هذه الجملة وما بعدها بيان أن ولاية الله إنما تحصل بالتقرب إليه بأداء الفرائض، والإتيان مع ذلك بالنوافل، وهو يدل على أن التقرب بأداء الفرائض أحب إلى الله من النوافل؛ لأن في ذلك فعل ما أوجب الله وترك ما حرم الله، والآتي بالواجبات التارك للمحرمات هو المقتصد، ومن أتى بها وأتى بالنوافل معها فهو السابق بالخيرات.." (٢)

"٣ قوله: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" إلخ، النوافل هي الإتيان بالأعمال الصالحة زيادة على الفرائض، وفعلها مع الاستمرار عليها يجلب محبة الله عز وجل، وإذا حصلت له المحبة ظفر بتسديد الله في تصرفاته، فلا يسمع إلا ما هو حق، ولا يرى إلا ما هو حق، ولا ينال إلا ما هو حق، ولا يمشي إلا إلى ما هو حق، وأكرمه الله بإجابة دعوته إذا دعاه، وإعاذته مما استعاذه منه.٤ مما يستفاد من الحديث:١ بيان فضل أولياء الله، وشدة خطر معاداتهم.٢ أن ولاية الله عز وجل تحصل بأداء الفرائض وفعل النوافل.٣ أن أحب ما يتقرب إلى الله عز وجل به أداء الفرائض.٤ إثبات صفة المحبة لله عز وجل.٥ تفاوت الأعمال في محبة الله إياها.٦ أن فعل النوافل بعد أداء الفرائض يجلب محبة الله عز وجل.٧

(١) فتح الباري لابن رجب ابن رجب الحنبلي ٢٠٨/٤

(٢) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله عبد المحسن العباد ص/١٢٨

أن من ظفر بمحبة الله عز وجل سدده في سمعه وبصره وبطشه ومشيه.٨ أن محبة الله عز وجل تجلب للعبد إجابة دعائه وإعاذته مما يخاف.٩ أن ثواب الله عز وجل للعبد يكون بإجابة مطلوبه والسلامة من مرهوبه.." (١)

"٣٦ - باب الرياء والسمعة٦٤٩٩ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سفيان حدثنى سلمة بن كهيل. وحدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سلمة قال سمعت جندبا يقول قال النبى - صلى الله عليه وسلم - ولم أسمع أحدا يقول قال النبى - صلى الله عليه وسلم - غيره فدنوت منه فسمعته يقول قال النبى - صلى الله عليه وسلم - «من سمع سمع الله به، ومن يرائى يرائى الله به». طرفه ٧١٥٢ - تحفة ٣٧٣٢٥٧ - باب من جاهد نفسه في طاعة الله٦٥٠٠ - حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن معاذ بن جبل - رضى الله عنه - قال بينما أنا رديف النبى - صلى الله عليه وسلم - ليس بينى وبينه إلا آخرة الرحل فقال «يا معاذ». قلت لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال «يا معاذ». قلت لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة ثم قال «يا معاذ بن جبل». قلت «لبيك رسول الله وسعديك. قال «هل تدرى ما حق الله على عباده». قلت الله ورسوله أعلم. قال «حق الله على عباده أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا». ثم سار ساعة ثم قال «يا معاذ بن جبل». قلت لبيك رسول الله وسعديك. قال «هل تدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوه». قلت الله ورسوله أعلم. قال «حق العباد على الله أن لا يعذبهم». أطرافه ٢٨٥٦، ٥٩٦٧، ٦٢٦٧، ٧٣٧٣ - تحفة ١١٣٠٨ - ١٣١/ ٣٨٨ - باب التواضع٦٥٠١ - حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا زهير حدثنا حميد عن أنس - رضى الله عنه - كان للنبى - صلى الله عليه وسلم - ناقة. قال وحدثنى محمد أخبرنا الفزارى وأبو خالد الأحمر عن حميد الطويل عن أنس قال كانت ناقة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسمى العضباء، وكانت لا تسبق، فجاء أعرابى على قعود له فسبقها، فاشتد ذلك على المسلمين وقالوا سبقت العضباء، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن حقا على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه». تحفة ٦٦٣، ٧٦٨، ٦٥٠٢٦٨٣ - حدثنى محمد بن عثمان حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنى شريك بن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن الله قال من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضت عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت." (٢)

"١٧٥٢ - (إن الله تعالى قال من عادى) من المعاداة ضد الموالاة (لي) متعلق بقوله (وليا) (١) وهو من تولي الله بالطاعة فتولاه الله بالحفظ والنصر فالولي هنا القريب من الله باتباع أمره وتجنب نهيه وإكثار النفل مع كونه لا يفتر -[٢٤١]- عن ذكره ولا يرى بقلبه سواه (فقد آذنته بالحرب) أي أعلمته بأني سأحاربه ﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ ومن حاربه الله أي عامله معاملة المحارب من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال وهذا في الغاية القصوى من النهديد والمراد عادى وليا لأجل ولايته لا مطلقا فخرج نحو محاكمته لخلاص حق أو كشف غامض فلا يرد خصومة العمرين

(١) فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب رحمهما الله عبد المحسن العباد ص/١٢٩

(٢) فيض الباري على صحيح البخاري الكشميري ٦/٢٦٩

رضي الله عنهما لعلي والعباس رضي الله عنهما ومعاداته لولايته إما بإنكارها عنادا أو حسدا أو بسبه أو شتمه ونحو ذلك من ضروب الإيذاء وإذا علم ما في معاداته من الوعيد علم ما في موالاته من الثواب (وما تقرب إلي عبدي بشيء) أي بفعل طاعة (أحب إلي مما افترضه عليه (٢) أي من آدابه عينا أو كفاية لأنها الأصل الذي ترجع إليه جميع الفروع والأمر بها جازم يتضمن أمرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها فالفرض كالأس والنفل كالبناء عليه (ولا يزال عبدي) الإضافة للتشريف (يتقرب) وفي رواية يتحبب (إلي بالنوافل) أي التطوع من جميع صنوف العبادة (حتى أحبه) بضم أوله وفتح ثالثه (فإذا أحببته) لتقربه إلي بما ذكر حتى قلبه بنور معرفتي (كنت) أي صرت (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها ورجله التي يمشي بها) يعني يجعل الله سلطان حبه غالبا حتى لا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا ما يحبه الله عونا له على حماية هذه الجوارح عما لا يرضاه أو هو كناية عن نصرة الله وتأييده وإعانته له في كل أموره وحماية سمعه وبصره وسائر جوارحه عما لا يرضاه وحقيقة القول ارتهان كلية العبد بمراضي الرب على سبيل الاتساع فإنهم إذا أرادوا اختصاص شيء بنوع اهتمام وعناية واستغراق فيه ووله به ونزوع إليه سلكوا هذا الطريق قال:جنوني فيك لا يخفى. . . وناري فيك لا تخبو. . . وأنت السمع والناظر. . . والمهجة والقلبولمشائخ الصوفية رضي الله تعالى عنهم في هذا الباب فتوحات غيبية وإشارات ذوقية تهتز منها العظام البالية لكنها لا تصلح إلا لمن سلك سبيلهم فعلم مشربهم بخلاف غيرهم فلا يؤمن عليه من الغلط فيهوي في مهواة الحلول والاتحاد والحاصل أن من تقرب إليه بالفرض ثم النفل قربه فرقاه من درجة الإيمان مقام الإحسان حتى يصير ما في قلبه من المعرفة يشاهده بعين بصيرته وامتلاء القلب بمعرفته يمحي كل ما سواه فلا ينطق إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره فإن نظر فيه أو سمع فيه أو بطش فيه وهذا هو كمال التوحيد (وإن سألني لأعطينه) مسؤوله كما وقع لكثير من السلف (وإن استعاذ بي) روي بنون وروي بموحدة تحيتية والأول الأشهر (لأعيذنه) مما يخاف وهذا حال المحب مع محبوبه وفي وعده المحقق المؤكد بالقسم إيذان بأن من تقرب بما مر لا يرد دعاؤه (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن) أي ما أخرت وما توفقت توقف المتردد في أمر أنا فاعله إلا في قبض نفس عبدي المؤمن أتوقف عليه حتى يسهل عليه ويميل قلبه إليه شوقا إلى انخراطه في سلك المقربين والتبوىء في أعلا عليين أو أراد بلفظ التردد إزالة كراهة الموت عن المؤمن بما يبتلي به من نحو مرض وفقر فأخذه المؤمن عما تشبث به من حب الحياة شيئا فشيئا بالأسباب المذكورة يشبه فعل المتردد فعبر به عنه (يكره الموت) لصعوبته وشدته ومرارته وشدة ائتلاف روحه لجسده وتعلقها به ولعدم معرفته بما هو صائر إليه بعده (وأنا أكره مساءته) وأريده له لأنه يورده موارد الرحمة والغفران والتلذذ -[٢٤٢]- بنعيم الجنان فالمراد ما رددت شيئا بعد شيء مما أريد أن أفعله بعبدي كترددي في إزالة كراهة الموت عنه بأن يورد عليه حوادث يسأم معها الحياة ويتمنى الموت كما تمنى علي كرم الله وجهه الموت لاختلاف رعيته عليه وقتالهم له مع كونه الإمام الحق وقد يحدث الله بقلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق إليه ما يشتاق به إلى الموت فضلا عن كراهته فيأتيه وهو له مؤثر وإليه مشتاق وذلك من مكنون ألطافه فسبحان اللطيف الخبير وهذا أصل في السلوك كبير(خ) في الرقائق (عن أبي هريرة) قال في الميزان غريب جدا ولولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه من منكرات خالد بن مخلد لغرابة لفظه وانفراد شريك به وليس بالحافظ ولم يرد هذا المتن إلا بهذا الإسناد ولا خرجه غير البخاري__________(١) المراد بالولي العارف بالله المواظب على طاعته المخلص

في عبادته(٢) دخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية والفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة والزكاة وغيرها من العبادات وتركا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه." (١)

"٣٥٨٠ - (جبلت القلوب) أي خلقت وطبعت (على حب من أحسن إليها) بقول أو فعل (وبغض من أساء إليها) بذلك لأن الآدمي مركب على طبائع شتى وأخلاق متباينة والشهوات فيه مركبة ومن رؤوس الشهوات نيل المنى وقضاء الوطر فمن بلغ نفس غيره مرامها فلنفسه أقامها فإذا أحسن إليها صفت وصارت طوعا له وإلا فهي كالكره فاستبان أن الألفة -[٣٤٥]- إنما تتم بين النفوس كأنها تقول شأني اللذات لا الطاعات فهل يبربني **أحد حتى أحبه قال** العارف ابن عطاء الله: من أحسن إليك فقد استرقك بامتنانه ومن آذاك فقد أعتقك ومن رق إحسانه وأخذ بعضهم من هذا الخبر (١) تأكد رد هدايا الكفار والفجار لأن قبولها يميل القلب إليهم بالمحبة قهرا نعم إن دعت إلى ذلك مصلحة دينية فلا بأس (٢) لهذا الحديث قصة: أخرج العسكري قيل للأعمش إن الحسن بن عمارة ولي القضاء فقال الأعمش: يا عجبا من ظالم ولي المظالم ما للحائكين والمظالم فبلغ الحسن فقال: علي بمنديل وأثواب فوجه بها إليه فلما كان من الغد سئل الأعمش عنه فقال: بخ بخ هذا الحسن بن عمارة زان العمل وما زانه فقيل له: قلت بالأمس ما قلت واليوم تقول هذا فقال: دع عنك هذا حدثني خيثمة عن ابن عمر عن المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه قال: جبلت إلى آخره وفي رواية ذكر للأعمش ابن عمارة فقال: بالأمس يطفف في المكيال والميزان واليوم ولي أمور المسلمين فلما كان جوف الليل بعث إليه ابن عمارة بصرة وتخت ثياب فلما أصبح أثنى عليه وقال: ما عرفته إلا من أهل العلم فقيل له في ذلك فقال: دعوني منكم ثم ذكره(عد حل هب) وكذا أبو الشيخ [ابن حبان] وابن حبان في روضة العقلاء والخطيب في التاريخ وآخرون كلهم من طريق إسماعيل بن أبان الخياط قال: بلغ الحسن بن عمارة أن الأعمش وقع فيه فبعث إليه بكسوة فمدحه فقيل له: ذميته ثم مدحته فقال: إن خيثمة حدثني (عن ابن مسعود) فذكره وأورده ابن الجوزي في الواهيات وقال: لا يصح فإن إسماعيل الخياط مجروح قال أحمد: كتبت عنه ثم وجدته حدث بأحاديث موضوعة فتركناه وقال يحيى هو كذاب وقال الشيخان والدارقطني: متروك وقال ابن حبان: يضع على الثقات انتهى وفي لسان الميزان في ترجمة إسماعيل الخياط قال الأزدي: هو كوفي زائغ وهو الذي روى حديث جبلت القلوب قال الأزدي: هذا الحديث باطل انتهى. (وصحح هب وقفه) ابن مسعود وقال: إنه المحفوظ وقال ابن عدي: المعروف وقفه وتبعه الزركشي وقال السخاوي: هو باطل مرفوعا وموقوفا وقول البيهقي كابن عدي الموقوف معروف عن الأعمش يحتاج لتأويل فإنهما أورداه كذلك بسند فيه من اتهم بالكذب والوضع إلى هنا كلامه وأقول: رأيت بخط ابن عبد الهادي في تذكرته قال مهنأ سألت أحمد ويحيى عنه فقالا: ليس له أصل وهو موضوع____________(١) ولهذا حرم على القاضي قبول الهدية لأنه إذا قبلها لم يمكنه العدل ولو حرص وكره قبولها من الكافرين إلا أن رجى إسلامه." (٣)

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/٢٤٠

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير المناوي ٣/٣٤٤

"٤٢٢٥ - (دعوا صفوان) بن المعطل فلا تؤذوه (فإنه يحب الله ورسوله) وما أحب **الله حتى أحبه الله** سمعت امرأة من العابدات تقول: بحبك لي إلا غفرت لي ما غفرت لي فقيل: أما يكفيك أن تقولي بحبي لك قالت: أما سمعت قوله ﴿ويحبهم ويحبونه﴾ فقدم محبته على محبتهم له(ابن سعد) في الطبقات (عن الحسن مرسلا) وهو البصري." (١)

"٤٦٢٤ - (سافروا تصحوا) من الصحة والعافية. قال الشافعي: إنما هذا دلالة لاحتمال أن يسافر لطلب الصحة (٢) ذهب الصوفية إلى أن هذا السفر ليس هو المعهود بل المأمور به السفر بالفكر والعمل والاعتبار والمسافر هو الذي أسفر له سلوكه عن أمور مقصودة له وغير مقصودة والمسافر في الطريق اثنان مسافر يفكر في المعقولات والاعتبار ومسافر بالأعمال وهم أصحاب اليعملات فمن أسفر له طريقه عن شيء فهو مسافر ومن لا فهو مسافر متصرف في طريق مدينة وشوارعها غير مسافر فالمسافر من سافر بفكره في طلب الآيات والدلالات على وجود الصانع فلم يجد في سفره دليلا سوى إمكانه وأنه ليست نسبة الوجود إليه أولى من نسبة العدم فافتقر إلى مرجح فلما وصل إلى هذه المنزلة وقطع هذه المهلة وأسفرت عن وجوه مرجحة أحدث سفرا آخر فيما ينبغي للصانع الذي أوجده فأسفر له الدليل على تفرد هذا المرجح بأنه واجب الوجود لنفسه لا يجوز عليه ما جاز على الممكن من الافتقار ثم انتقل مسافرا إلى منزل آخر فأسفر له أن واجب الوجود يستحيل عدمه لثبوت قدمه إذ لو انعدم لم يكن واجب الوجود لنفسه ثم سافر إلى أن ينفي عنه كل ما يدل على حدوثه ثم يسافر في علم الوجود بوجود العالم وبقائه وصلاحه إذ لو كان معه إله آخر لم يوجد العالم بفرض الاتفاق والاختلاف كما يعطيه النظر ثم يسافر إلى منزلة يعطيه العلم بما أوجده وخلقه والإرادة لذلك ونفوذها وعدم قصورها وعموم تعلق قدرته بإيجاد هذا الممكن وحياة هذا المرجح لأنها شرط ثبوت هذه النعوت له وإثبات صفات الكمال من كلام وسمع وبصر ثم يسافر إلى منزلة تسفر له عن إمكان بعثة الرسل وأنه بعث رسلا وأقام الأدلة على صدقهم فيما ادعوه ولما كان هو ممن بعث إليه الرسول وآمن به واتبعه في **مواسمه حتى أحبه الله** فكشف عن قلبه وطالع عجائب الملكوت وانتقش في نفسه جميع ما في العالم وفر إلى الله مسافرا من كل ما يبعده منه ويحجبه عنه إلى أن رآه في كل شيء أراد أن يلقي عصا التسيار فعرفه ربه أن الأمر لا نهاية له وأنه لا يزال مسافرا إلى منزلة تسمى بالموت ثم لا يزال مسافرا حتى يقطع منازل البرزخ إلى أن يصل إلى منزلة بالبعث فيركب مركبا شريفا يحمله إلى دار سعادته فيصح صحة -[٨٢]- الآبق(ابن السني وأبو نعيم) كلاهما (في) كتاب (الطب) النبوي (عن أبي سعيد) الخدري." (٣)

"٧٧٩٠ - (ما أحدث قوم بدعة إلا رفع الله مثلها من السنة) لأنهما متناوبان في الأديان تناوب المتقابلات في الأجسام ذكره الحرالي ولأنهم لما تركوا السنة في تهذيب أنفسهم بالإقتداء في الاهتداء بهدي نبيهم تولاهم الشيطان وسلك بهم سبل البهتان وذلك أنهم إذا أنسوا ببدعتهم واطمأنوا إليها جرهم ذلك إلى الاستهانة بالنسبة وإضاعتها وما كذب أحد بحق إلا عوقب بتصديقه بباطل وما ترك سنة إلا أحب بدعة قال الحرالي: وقد جرت سنة الله بأنه ما أمات أحد سنة إلا

---

(١) فيض القدير المناوي ٥٣٢/٣

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير المناوي ٨١/٤

زاد في خذلانه بأن تحيا على يده بدعة وقال الطيبي: قوله مثلها جعل أحد الضدين مثل الآخر لشبهة التناسب بين الضدين وإخطار كل منهما بالبال مع ذكر الآخر وحدوثه عند ارتفاع الآخر وعليه قوله تعالى ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ فكما أن إحداث السنة يقتضي رفع البدعة فكذا عكسه ولذلك قال عقبه فتمسك بسنتي إلى آخر ما يأتي كما إذا أحيا آداب الخلاء مثلا على ما ورد في السنة فهو خير من بناء رباط ومدرسة وسره أن من راعى هذا الأدب يوفقه الله ويلطف به حتى يترقى منه إلى ما هو أعلى فلا يزال في ترق وصعود إلى أن يبلغ إلى مقام القرب ومخدع الوصل كما قال " ما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه** " الحديث ومن تركه يؤديه إلى ترك الأفضل فالأفضل حتى يستقل إلى مقام الرين والطبع(حم) وكذا البزار (عن غضيف) بغين وضاد معجمتين مصغرا (ابن الحارث) الثمالي أو الكندي أو السكوني أو الحمصي مختلف في صحبته قال المنذري: سنده ضعيف وبين ذلك الهيثمي فقال: فيه أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو منكر الحديث اه. وبه يعرف ما في رمز المصنف لحسنه وللحديث قصة وذلك أن عبد الملك بن مروان بعث إلى غضيف فقال: يا أبا سليمان إنا قد جمعنا الناس على أمرين رفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة والقصص بعد الصبح والعصر فقال: أما إنهما أمثل بدعتكم عندي ولست بمجيبكم إلى شيء منها لأن المصطفى صلى الله -[٤١٣]- عليه وعلى آله وسلم قال: " ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة " فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة هكذا هو عند مخرجه أحمد فإسقاط المؤلف منه قوله فتمسك إلخ غير جيد." (١)

"تأويل طوائف من المسلمين للمحبة تأويلات خاطئة...بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه".وقد تأول الجهمية ومن اتبعهم من أهل الكلام محبة الله لعبده على أنها الإحسان إليه فتكون من الأفعالوطائفة أخرى من الصفاتية قالوا هي إرادة الإحسان وربما قال كلا من القولين بعض المنتسبين إلى السنة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهوسلف الأمة وأئمة السنة على إقرار المحبة على ما هي عليهوكذلك محبة العبد لربه يفسرها كثير من هؤلاء بأنها إرادة العبادة له وإرادة التقرب إليه لا يثبتون أن العبد يحب اللهوسلف الأمة وأئمة السنة ومشايخ المعرفة وعامة أهل الإيمان متفقون على خلاف قول هؤلاء المعطلة لأصل الدين بل هم متفقون على أنه لا يكون شيء من أنواع المحبة أعظم من محبة العبد ربهكما قال تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ وقال." (٢)

"أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال ولا يكون ثابتا وقد يعتقد في كثير من الأعمال أنه معمول لله ولا يكون للهفمحبة ما يحبه الله من الأعمال الباطنة والظاهرة وهي الواجبات والمستحبات إذا أحببت لله كان ذلك من محبة الله ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبدهوكما في الحديث الصحيح عن الله تعالى: "من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة

---

(١) فيض القدير المناوي ٤١٢/٥

(٢) قاعدة في المحبة ابن تيمية ص/٥١

وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلى **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه".وكذلك محبة كلام الله وأسمائه وصفاته كما في الحديث الصحيح في الذي كان يصلي بأصحابه فيقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ إما أن يقرأها وحدها أو يقرأ بها مع سورة أخري فأخبروا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم صلي الله عليه وسلم فقال: "سلوه لم يفعل ذلك فقال لأني أحبها فقال أن حبك إياها أدخلك الجنة".." (١)

"الحب يتبع الإحساس والإحساس يكون بموجود لابمعدوم...ذلك المقدر في ذهنه أن يكون موجودا في الخارج وهو لم يحكم على نفيه حتى صار موجودا في نفسه وجودا تقديريافإذا كان الحب يتبع الإحساس والإحساس لا يكون إلا بموجود ما فإن ما يحب لا يكون إلا بموجود وأيضا فإن الإحساس لا يكون أولا إلا لموجود فكذلك الحب في نفسه لا يكون إلا لموجود أو محبوب وإن كان يحب وجود المعدوم فهو لاشيء وما ليس بشيء لا يكون محبوبا وإن كان يحب وجود المعدوم ويريده فلا بد أن يكون قبل ذلك قد ذاقه والتذ به **موجودا حتى أحبه بعد** ذلك أو ذاق والتذ بنظيره أو بما يشبهه كما ذلك في العلم وهذا مذكور في غير هذا الموضعولا يرد على هذا ما يوجد من بكاء الصبي حين يولد قبل أن يذوق طعم اللبن فإذا ذاق اللبن التذ به وسكن فإن الصبي قبل ذوقه اللبن لم يكن يحبه ويشتهيه ولكن يجد ألم الجوع فيبكي من ذلك الألم فلما ذاق اللبن ووجد لذته وأنه أذهب ألم الجوع أحبه من حينئذ صار يشتهيه ويحبه وهكذا كل." (٢)

"فليست هذه القضية التي ذكرها أبو القاسم كلية كما لا يخفى على من يعرف شرائع الله سبحانه، وما ندب عباده إليه في كتبه المنزلة، وعلى ألسن رسله المرسلة. وقد جاء في السنة أن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أحب إلى الله من المؤمن الذي لا يخالطهم.ويمكن حمل كلامه على البعد عن الخلق بإقبال قلبه على الله سبحانه، وعدم الاعتداد بما سواه، وأنه وإن خالطهم بمظاهره فهو مع الله بباطنه. وهذا معنى حسن ورتبة علية.اللطف والنصر وعامة المؤمنين:وأما قوله: " وباللطف والنصرة خاص بالخواص " فأقول: قد أخبرنا الله سبحانه في كتابه أنه لطيف بعباده. وهذا المعنى عام لكل من يصدق عليه أنه عبد الله من غير فرقة بين عوامهم وخواصهم.ولولا ما تفضل به على عباده من جرى ألطافه عليهم لم يهتدوا إلى معاش ولا معاد ولا عمل دنيا، ولا عمل آخرة.وأما النصرة فقد وعد سبحانه في كتابه بنصرة المؤمنين: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ وينصر حزبه والمجاهدين في سبيله.فمن كان من المؤمنين أو من المجاهدين في سبيل الله، وإن كان في عمله تخليط وفي طاعته قصور فهو ممن وعد الله سبحانه بنصرته.محبة الله بين أداء الفرض والنفل:قوله: " حتى أحببته " في رواية الكشميهني (حتى أحبه) . قال ابن حجر في الفتح: " ظاهره أن محبة الله تعالى للعبد تقع بملازمة العبد التقرب." (٣)

---

(١) قاعدة في المحبة ابن تيمية ص/٧١

(٢) قاعدة في المحبة ابن تيمية ص/٢١٣

(٣) قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها الشوكاني ص/٤٠٠

"أحد أئمة الطريق قال: معناه: كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الإسماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي. وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وأنه الغاية التي لا شيء وراءها. وهو أن يكون قائما بإقامة الله تعالى محبا بمحبته له ناظرا بنظره له من غير أن تبقى معه بقية تناط باسم أو تقف على رسم، أو تتعلق بأمر أو توصف بوصف. ومعنى هذا الكلام أنه [شهد] إقامة الله تعالى له حتى قام **ومحبته حتى أحبه ونظر** إلى عبده حتى أقبل ناظرا إليه بقلبه. وحمله بعض أهل الزيغ على ما يدعونه من أن العبد إذا لازم العبادة الظاهرة والباطنة حتى تصفى من الكدورات أنه يصير في معنى الحق، – تعالى عن ذلك علوا كبيرا – وأنه يفنى عن نفسه جملة حتى يشهد أن الله تعالى هو الذاكر لنفسه الموجد لنفسه، وأن هذه الأسباب والرسوم تصير عدما صرفا في شهوده [وأنه] يعدم في الخارج. وعلى الأوجه كلها فلا تمسك فيه للاتحاد." (١)

"وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فالمتقربون إلى الله بالفرائض: هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض. هم السابقون المقربون وإنما تكون النوافل بعد الفرائض. وقد قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر ابن الخطاب: اعلم أن لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل وأنه لا يقبل النافلة حتى تؤدي الفريضة. والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل: يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه وأن قرب الفرائض: يوجب أن يكون الحق عين وجوده كله وهذا فاسد من وجوه كثيرة بل كفر صريح كما بيناه في غير هذا الموضع. وإذا كان خاتم الأولياء آخر مؤمن تقي في الدنيا فليس ذلك الرجل أفضل الأولياء ولا أكملهم بل أفضلهم وأكملهم سابقوهم الذين هم أخص بأفضل الرسل من غيرهم فإنه كلما كان الولي أعظم اختصاصا بالرسول وأخذا عنه وموافقة له: كان أفضل إذ الولي لا يكون وليا لله إلا بمتابعة الرسول باطنا وظاهرا؛ فعلى قدر المتابعة للرسول: يكون قدر الولاية لله.." (٢)

"ولهذا سئل الجنيد عن التوحيد فقال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم فبين أنه لا بد من تمييز المحدث عن القديم. ولهذا اتفق أئمة المسلمين على أن الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد: ﴿إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا﴾ ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا﴾ ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ . وإن كان المتكلم بهذا البيت أراد الاتحاد الوصفي) : وهو أن يحب العبد ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله ويرضى بما يرضي الله ويغضب لما يغضب الله ويأمر بما يأمر الله به وينهى عما ينهى الله عنه ويوالي من يواليه الله ويعادي من يعاديه الله ويحب لله ويبغض لله ويعطي لله ويمنع لله؛ بحيث يكون موافقا لربه تعالى. فهذا المعنى حق وهو

---

(١) قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها الشوكاني ص/٤١٨

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢/٢٢٥

حقيقة الإيمان وكماله كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن." [1]

"شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة:منها: أنه قال: ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة﴾ فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة ثم قال: ﴿وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فإذا أحبه كان العبد يسمع به. ويبصر به ويبطش به ويمشي به. وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده: هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه لا يخصون ذلك بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالإطلاق والتعميم فأين هذا من هذا.وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح: ﴿إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه. ثم يأتيهم في الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا﴾ فيجعلون هذا حجة لقولهم إنه يرى في الدنيا في كل صورة بل هو كل صورة.." [2]

"عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها؛ في يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه؛ وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ فهذا أصح حديث روي في الأولياء. فالملاحدة والاتحادية يحتجون به على قولهم لقوله: "كنت سمعه وبصره ويده ورجله " والحديث حجة عليهم من وجوه كثيرة: - منها قوله: ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة﴾ فأثبت معاديا محاربا ووليا غير المعادي وأثبت لنفسه سبحانه هذا وهذا. ومنها قوله: ﴿وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه﴾ فأثبت عبدا متقربا إلى ربه وربا افترض عليه فرائض. ومنها قوله: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ فأثبت متقربا ومتقربا إليه ومحبا ومحبوبا غيره. وهذا كله ينقض قولهم: الوجود واحد. ومنها قوله: ﴿فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر." [3]

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢/٣٤٠

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢/٣٤١

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢/٣٧١

"فصل:وجاء في " أولياء الله " الذين هم المتقون نوع من هذا: فروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فأول ما في الحديث قوله: ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة﴾ فجعل معاداة عبده الولي معاداة له؛ فعين عدوه عين عدو عبده وعين معاداة وليه عين معاداته ليسا هما شيئين متميزين ولكن ليس الله هو عين عبده ولا جهة عداوة عبده عين جهة عداوة نفسه وإنما اتفقا في النوع. ثم قال: ﴿فإذا أحببته كنت سمعه وبصره ويده ورجله﴾ وفي رواية في غير الصحيح: ﴿فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي﴾ فقوله:." (١)

"فصل:فهذان المعنيان صحيحان ثابتان بل هما حقيقة الدين واليقين والإيمان. أما الأول - وهو كون الله في قلبه بالمعرفة والمحبة -: فهذا فرض على كل أحد ولا بد لكل مؤمن منه؛ فإن أدى واجبه فهو مقتصد وإن ترك بعض واجبه فهو ظالم لنفسه؛ وإن تركه كله فهو كافر بربه. وأما الثاني - وهو موافقة ربه فيما يحبه ويكرهه ويرضاه ويسخطه - فهذا على الإطلاق إنما هو للسابقين المقربين: الذين تقربوا إلى الله بالنوافل - التي يحبها ولم يفرضها - بعد الفرائض التي يحبها ويفرضها ويعذب تاركها. ولهذا كان هؤلاء لما أتوا بمحبوب الحق من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة المنتظمة للمعارف والأحوال والأعمال: أحبهم الله تعالى. فقال: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ فعلوا محبوبه فأحبهم فإن الجزاء من جنس العمل مناسب له مناسبة المعلول لعلته. ولا يتوهم أن المراد بذلك: أن يأتي العبد بعين كل حركة يحبها الله؛ فإن هذا ممتنع. وإنما المقصود أن يأتي بما يقدر عليه من الأعمال الباطنة والظاهرة؛." (٢)

"وبها ضلت النصارى حيث اتبعوا المتشابه كما ذكر الله عنهم في القرآن لما قدم وفد نجران على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وناظروه في المسيح. وقد جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي﴾ فأخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه إذا تقرب إليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه. وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وأن قرب الفرائض أن يكون هو إياه فإن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل؛ فهذه المعاني وما يشبهها هي أصول مذهب أهل الطريقة الإسلامية أتباع الأنبياء والمرسلين. وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢/٣٩٠

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢/٣٩٤

حال هؤلاء ولم يكن القصد به والله واحدا بعينه وإنما الشيخ هو مجمع المؤمنين فعلينا أن نعينه في الدين والدنيا بما هو اللائق به وأما هؤلاء الاتحادية فقد أرسل إلى الداعي من طلب كشف حقيقة أمرهم.." (١)

"بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فقد ذكر في هذا الحديث أن التقرب إلى الله تعالى على درجتين: (إحداهما) : التقرب إليه بالفرائض. (والثانية) : هي التقرب إلى الله بالنوافل بعد أداء الفرائض. فالأولى درجة " المقتصدين " الأبرار أصحاب اليمين. والثانية درجة " السابقين " المؤمنين كما قال الله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ ﴿على الأرائك ينظرون﴾ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ ﴿ختامه مسك﴾ ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ . قال ابن عباس رضي الله عنهما يمزج لأصحاب اليمين مزجا ويشربه المقربون صرفا. وقد ذكر الله هذا المعنى في عدة مواضع من كتابه فكل من آمن بالله ورسوله واتقى الله فهو من أولياء الله.." (٢)

"والمخالفة. وقد ثبت في " صحيح البخاري " عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن: يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فأخبر سبحانه وتعالى أنه يقرب العبد بالفرائض ولا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه الله فيصير العبد محبوبا لله كما قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ وقال تعالى: ﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ وقال تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ وقال تعالى: ﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين﴾ وقال: ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ وقال تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ وقال تعالى: ﴿إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص﴾ وقال تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ وقال تعالى: ﴿وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ .." (٣)

"الجزء السادسالجزء الثاني من كتاب الأسماء والصفاتوقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – قدس الله روحه – :فصل:تقرب العبد إلى الله في مثل قوله: ﴿واسجد واقترب﴾ وقوله: ﴿اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ وقوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ وقوله: ﴿فأما إن كان من المقربين﴾ . وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٦٣/٢

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤١٧/٣

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٥١١/٥

ربه: ﴿من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا﴾ الحديث. وقوله: ﴿ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ الحديث. وكذلك " القربان "كقوله: ﴿إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما﴾ . وقوله: ﴿حتى يأتينا بقربان تأكله النار﴾ . ونحو ذلك – لا ريب أنه بعلوم وأعمال يفعلها العبد وفي ذلك حركة منه وانتقال من حال إلى حال.." (١)

"فعل يفعله الرب كما قال ذلك الأوزاعي وحماد بن زيد والفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهم. وأيضا فقد قال صلى الله عليه وسلم " ﴿لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته﴾ " وفي الحديث الصحيح الآخر " ﴿ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به﴾ " أذن يأذن أذنا: أي استمع يستمع استماعا ﴿وأذنت لربها وحقت﴾ . فأخبر أنه يستمع إلى هذا وهذا. وفي الصحيح " ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به؛ وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها﴾ " فأخبر أنه لا يزال يتقرب بالنوافل بعد الفرائض. وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالى قال: " ﴿قال الله أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني؛ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملإ خير منهم﴾ " وحرف " إن " حرف الشرط؛ والجزاء يكون بعد الشرط فهذا يبين أنه يذكر العبد إن ذكره في نفسه وإن ذكره في ملإ ذكره في ملإ خير منهم والمنازع يقول ما زال يذكره أزلا وأبدا ثم يقول: ذكره وذكر غيره وسائر ما يتكلم الله به هو شيء واحد لا يتبعض ولا يتعدد فحقيقة قوله إن الله لم يتكلم ولا يتكلم ولا يذكر أحدا.." (٢)

"يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها؛ فبي يسمع وبي يبصر وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فبين سبحانه أن العبد إذا تقرب إليه بمحابه من النوافل بعد الفرائض أحبه الرب كما وصف وهذا ما احتملته هذه الأوراق من الجواب. والحمد لله رب العالمين.." (٣)

"وأصحابه ومن وافقهم من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم. وأما أكثر الناس فيقولون: بل هو إذا كان كافرا فهو عدو لله ثم إذا آمن واتقى صار وليا لله. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم﴾ إلى قوله: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ وكذلك كان فإن هؤلاء أهل مكة الذين كانوا يعادون الله ورسوله قبل الفتح آمن أكثرهم وصاروا من أولياء الله ورسوله وابن كلاب وأتباعه بنوا ذلك على أن الولاية صفة قديمة لذات الله وهي الإرادة والمحبة والرضا ونحو ذلك. فمعناها إرادة إثابته بعد الموت؛ وهذا المعنى تابع لعلم الله فمن علم أنه يموت مؤمنا لم يزل وليا لله؛ لأنه لم يزل الله مريدا لإدخاله الجنة وكذلك العداوة. وأما الجمهور

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٥/٦

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٣٥/٦

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٨٤/٦

فيقولون: الولاية والعداوة وإن تضمنت محبة الله ورضاه وبغضه وسخطه فهو سبحانه يرضى عن الإنسان ويحبه بعد أن يؤمن ويعمل صالحا؛ وإنما يسخط عليه ويغضب بعد أن يكفر كما قال تعالى: ﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه﴾ فأخبر أن الأعمال أسخطته؛ وكذلك قال: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ قال المفسرون: أغضبونا وكذلك قال الله تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ وفي الحديث الصحيح الذي في البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه؛ ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي." (١)

"يمكنه رفع العقوبة بالتوبة لم ينه عن الفعل ومعلوم أن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور؛ لأن الإخلال بذلك سبب للذم والعقاب وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب كما عليه أن يحتمي من السموم القاتلة وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية. والله عليم حكيم رحيم – أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك لم يؤيسهم من رحمته بل جعل لهم أسبابا يتوصلون بها إلى رفع الضرر عنهم ولهذا قيل: إن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤيس الناس من رحمة الله ولا يجرئهم على معاصي الله. ولهذا يؤمر العبد بالتوبة كلما أذنب قال بعضهم لشيخه: إني أذنب قال: تب قال: ثم أعود، قال: تب قال: ثم أعود، قال: تب قال: إلى متى قال: إلى أن تحزن الشيطان. وفي المسند عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿إن الله يحب العبد المفتن التواب﴾ . وأيضا فإن من نام عن صلاة أو نسيها فصلاته إذا استيقظ أو ذكرها كفارة لها تبرأ بها الذمة من المطالبة ويرتفع عنه الذم والعقاب ويستوجب بذلك المدح والثواب وأما ما يفعله من التطوعات فلا نعلم القدر الذي يقوم ثوابه مقام ذلك ولو علم فقد لا يمكن فعله مع سائر الواجبات ثم إذا قدر أنه أمر بما يقوم مقام ذلك صار واجبا فلا يكون تطوعا والتطوعات شرعت لمزيد التقرب إلى الله كما قال تعالى. في الحديث الصحيح: ﴿ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ الحديث." (٢)

"جعل طاعة الله وسيلة إليه وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب إليهم من النظر إليه وهو الزيادة﴾ ". فأخبر أن النظر إليه أحب إليهم من كل ما يتنعمون به ومحبة النظر إليه تبع لمحبته فإنما أحبوا النظر إليه لمحبتهم إياه وما من مؤمن إلا ويجد في قلبه محبة الله وطمأنينة بذكره وتنعما بمعرفته ولذة وسرورا بذكره ومناجاته. وذلك يقوى ويضعف ويزيد وينقص بحسب إيمان الخلق. فكل من كان إيمانه أكمل كان تنعمه بهذا أكمل. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أحمد وغيره: ﴿حبب إلي من دنياكم النساء والطيب – ثم قال – وجعلت قرة عيني في الصلاة﴾ وكان صلى الله عليه وسلم يقول ﴿أرحنا بالصلاة يا بلال﴾ وهذا مبسوط في غير هذا الموضع. والمقصود هنا أن عباده المؤمنين يحبونه وهو يحبهم

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٤٢/٧

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٩٢/٧

سبحانه وتعالى وحبهم له بحسب فعلهم لما يحبه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ﴿يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر." (١)

"والفناء في هذا هو " الفناء " المأمور به الذي جاءت به الرسل وهو أن يفنى بعبادة الله عن عبادة ما سواه؛ وبطاعته عن طاعة ما سواه وبالتوكل عليه عن التوكل على ما سواه وبرجائه وخوفه عن رجاء ما سواه وخوفه فيكون مع الحق بلا خلق كما قال الشيخ عبد القادر: كن مع الحق بلا خلق ومع الخلق بلا نفس. وتحقيق الشهادة بأن محمدا رسول الله يوجب أن يكون طاعته طاعة الله وإرضاؤه إرضاء الله. ودين الله ما أمر به فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولهذا طالب الله المدعين لمحبته بمتابعته فقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ وضمن لمن اتبعه أن الله يحبه بقوله: ﴿يحببكم الله﴾ . وصاحب هذه المتابعة لا يبقى مريدا إلا ما أحبه الله ورسوله ولا كارها إلا لما كرهه الله ورسوله وهذا هو الذي يحبه الحق كما قال: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ .." (٢)

"و " خاص " وهم السابقون وإن كان السابقون هم أعلى درجات كالأنبياء والصديقين. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم " القسمين " في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ﴿يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان: فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب حتى يمكن أن يثاب ويعاقب وهذا قول جميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون: إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.." (٣)

"فإن المحبة مستلزمة للجهاد لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه؛ ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه ويأمر بما يأمر به وينهى عما ينهى عنه فهو موافق له في ذلك. وهؤلاء هم الذين

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٨/١٤٣

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٨/٣٣٨

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٠/٧

يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم إذ هم إنما يرضون لرضاه ويغضبون لما يغضب له كما ﴿قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال: لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فقال لهم: يا إخوتي هل أغضبتكم قالوا لا؛ يغفر الله لك يا أبا بكر﴾ وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب فقالوا: ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لسيد قريش وذكر أبو بكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما تقدم؛ لأن أولئك إنما قالوا ذلك غضبا لله لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله والمعاداة لأعداء الله ورسوله. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح فيما يروي عن ربه: ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به؛ ويده التي يبطش بها؛ ورجله التي يمشي بها؛ فبي يسمع وبي يبصر: وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن: يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين وهو سبحانه يحب ما يحب عبده." (١)

"يتبعوا ما أحبه بل اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم والله يبغض الكافرين ويمقتهم ويلعنهم. وهو سبحانه يحب من يحبه؛ لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له؛ بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له؛ وإن كان جزاء الله لعبده أعظم. كما في الحديث الصحيح الإلهي عن الله تعالى أنه قال: ﴿من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة﴾ . وقد أخبر سبحانه أنه يحب المتقين والمحسنين والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين بل هو يحب من فعل ما أمر به من واجب ومستحب كما في الحديث الصحيح: ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به﴾ الحديث. وكثير من المخطئين الذين اتبعوا أشياخا في " الزهد والعبادة " وقعوا في بعض ما وقع فيه النصارى: من دعوى المحبة لله مع مخالفة شريعته وترك المجاهدة في سبيله ونحو ذلك ويتمسكون في الدين الذي يتقربون به إلى الله بنحو ما تمسك به النصارى من الكلام المتشابه والحكايات التي لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوما فيجعلون متبوعيهم شارعين لهم دينا كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين." (٢)

"كان الأمر أنقص؛ فإن الجزاء من جنس العمل؛ وما ربك بظلام للعبيد. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب؛ وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها: فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي؛ ولئن سألني لأعطينه؛ ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . ومعلوم أن أفضل الأولياء بعد الأنبياء هم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار؛ وكانت محبة الرب لهم ومودته لهم بعد توبتهم

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٠/٥٨

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٠/٢١٢

من الكفر والفسوق والعصيان أعظم محبة ومودة، وكلما تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض أحبهم وودهم. وقد قال تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ . نزلت في المشركين الذين عادوا الله ورسوله مثل " أهل الأحزاب "كأبي سفيان بن حرب وأبي سفيان بن الحارث والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم. فإنهم بعد معاداتهم لله ورسوله." (١)

"الظاهرة؛ وقال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم وترك أحوالهم وأسقط ما فرض بما سلب. ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه. فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي﴾ وفي رواية ﴿وبي ينطق وبي يعقل﴾ فإذا سمع بالحق ورأى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه. وعامة ما تجده في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا مع أنه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع. وفي الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين. ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال؛ لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود. وهو وصف نقص لا وصف كمال وإنما يمدح من جهة." (٢)

"إليه، ثم قرأ: ﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ ﴾ . وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى كالبحيرة والسائبة واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم وشرعوا دينا لم يأذن به الله فقال تعالى: ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾ ومنه أشياء هي محرمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك. والكلام في " الحلال والحرام " له مواضع أخر. والمقصود هنا " العبادات " فنقول. العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى منها ما كان محبوبا لله ورسوله مرضيا لله ورسوله إما واجب وإما مستحب كما في الصحيح ﴿عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها." (٣)

"و " التقوى " أن يعمل الرجل بطاعة الله على نور من الله يرجو رحمة الله وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عذاب الله ولا يتقرب ولي الله إلا بأداء فرائضه ثم بأداء نوافله. قال تعالى: " ﴿وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ "كما جاء في الحديث الصحيح الإلهي. الذي رواه البخاري.فصل:ومن أحب الأعمال إلى الله وأعظم الفرائض عنده الصلوات الخمس في مواقيتها وهي أول ما يحاسب عليها

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٠/٣٠٥

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٠/٣٤١

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٠/٣٨٩

العبد من عمله يوم القيامة وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج لم يجعل فيها بينه وبين محمد واسطة وهي عمود الإسلام الذي لا يقوم إلا به وهي أهم أمر الدين كما كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها كان لما سواها من عمله أشد إضاعة. وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة﴾ وقال: ﴿العهد الذي بيننا وبينهم." (١)

"وأما ما هو مأمور ببغضه ودفعه فمثل: ما إذا أظهر الكفر والفسوق والعصيان فهو مأمور ببغض ذلك ودفعه وإنكاره بحسب الإمكان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: " ﴿من رأى منكم منكرا فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان﴾ ". وأما ما لا يؤمر العبد فيه بواحد منهما: فمثل ما يظهر له من فعل الإنسان للمباحات التي لم يتبين له أنه يستعان بها على طاعة ولا معصية. فهذه لا يؤمر بحبها ولا ببغضها وكذلك مباحات نفسه المحضة التي لم يقصد الاستعانة بها على طاعة ولا معصية. مع أن هذا نقص منه فإن الذي ينبغي أنه لا يفعل من المباحات إلا ما يستعين به على الطاعة ويقصد الاستعانة بها على الطاعة فهذا سبيل المقربين السابقين الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض ولم يزل أحدهم يتقرب إليه **بذلك حتى أحبه فكان** سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، وأما من فعل المباحات مع الغفلة أو فعل فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة مع أداء الفرائض واجتناب المحارم باطنا وظاهرا فهذا من المقتصدين أصحاب اليمين.." (٢)

"صادقة. وقد ثبت في الصحيح قول الله تعالى: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي﴾ و (أيضا فالله - سبحانه وتعالى - فطر عباده على الحنيفية: وهو حب المعروف وبغض المنكر فإذا لم تستحل الفطرة فالقلوب مفطورة على الحق فإذا كانت الفطرة مقومة بحقيقة الإيمان منورة بنور القرآن وخفي عليها دلالة الأدلة السمعية الظاهرة ورأى قلبه يرجح أحد الأمرين كان هذا من أقوى الأمارات عند مثله وذلك أن الله علم القرآن والإيمان. قال الله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا﴾ الآية. ثم قال: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ وقال جندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر: تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا إيمانا. وفي الصحيحين عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ﴿إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة﴾ " وفي الترمذي وغيره حديث النواس عن النبي صلى الله عليه وسلم." (٣)

"أوامره واجتناب نواهيه لا سيما إذا قام بواجبها ومستحبها فإن الله يرضى عنه كما أن من لزم محبوبات الحق أحبه الله كما قال في الحديث الصحيح الذي في البخاري: ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٣٣/١٠

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٦٠/١٠

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٧٤/١٠

أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته﴾ الحديث. وذلك أن الرضا نوعان: أحدهما الرضا بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه. ويتناول ما أباحه الله من غير تعد إلى المحظور كما قال: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ وقال تعالى: ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ وهذا الرضا واجب؛ ولهذا ذم من تركه بقوله: ﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾ . (والنوع الثاني الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والذل فهذا الرضا مستحب في أحد قولي العلماء وليس بواجب وقد قيل: إنه واجب والصحيح أن الواجب هو الصبر. كما قال الحسن: الرضا غريزة ولكن الصبر معول المؤمن. وقد روي في حديث ابن عباس." (١)

"في صحيحه عن أبي هريرة عن ﴿النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن: يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فهؤلاء الذين أحبوا الله محبة كاملة تقربوا بما يحبه من النوافل بعد تقربهم بما يحبه من الفرائض أحبهم الله محبة كاملة حتى بلغوا ما بلغوه وصار أحدهم يدرك بالله ويتحرك بالله بحيث أن الله يجيب مسألته. ويعيذه مما استعاذ منه. وقد ذم في كتابه من أحب أندادا من دونه قال تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم﴾ وذم من اتخذ إلهه هواه وهو أن يتأله ما يهواه ويحبه وهذا قد يكون فعل القلب فقط. وقد مدح تعالى وذم في كتابه في غير موضع على المحبة والإرادة والبغض والسخط والفرح والغم ونحو ذلك من أفعال القلوب كقوله: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ وقوله: ﴿كلا بل تحبون العاجلة﴾ ﴿وتذرون الآخرة﴾." (٢)

"وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ وهذا الحديث قد بين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين والمقربين السابقين. فالصنف الأول: الذين تقربوا إلى الله بالفرائض. والصنف الثاني الذي تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى. وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غير موضع من كتابه كما قال: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات﴾ وكما قال الله تعالى:

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٦٨٢/١٠

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٧٥٥/١٠

﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ ﴿على الأرائك ينظرون﴾ ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ ﴿يسقون من رحيق مختوم﴾ ﴿ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ ﴿عينا يشرب بها المقربون﴾ قال ابن عباس: يشرب." (١)

"فصل:و " أولياء الله " هم ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ كما ذكر الله تعالى في كتابه. وهم " قسمان ": المقتصدون أصحاب اليمين والمقربون السابقون. فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وقال تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ - إلى قوله - ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ وقال تعالى: ﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ وقال: ﴿ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون﴾ وقال: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾ وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ .." (٢)

"عقل الإنسان لا يتخذه هو ولا غيره عقيدة. ولا حكم له؛ بل القلم مرفوع عن النائم والمجنون والمغمى عليه والسكران الذي سكر بغير سبب محرم؛ مثل من يسقى الخمر وهو لا يعرفها أو أوجرها حتى سكر أو أطعم البنج وهو لا يعرفه؛ فكذلك. وقد يشاهد كثير من المؤمنين من جلال الله وعظمته وجماله أمورا عظيمة تصادف قلوبا رقيقة فتحدث غشيا وإغماء. ومنها ما يوجب الموت. ومنها ما يخل العقل. وإن كان الكاملون منهم لا يعتريهم هذا كما لا يعتري الناقصين عنهم؛ لكن يعتريهم عند قوة الوارد على قلوبهم وضعف المحل المورود عليه فمن اغتر بما يقولونه أو يفعلونه في تلك الحال كان ضالا مضلا. وإنما " الأحوال الصحيحة " مثل ما دل عليه ما رواه البخاري في صحيحه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولأن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن." (٣)

"عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي. ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٣/١١

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٦١/١١

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٧٥/١١

وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ وهذا أصح حديث يروى في الأولياء فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه من عادى وليا لله فقد بارز الله بالمحاربة. وفي حديث آخر ﴿وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب﴾ أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم كما يأخذ الليث الحرب ثأره وهذا لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب وأبغضوا ما يبغض ورضوا بما يرضى وسخطوا بما يسخط وأمروا بما يأمر ونهوا عما نهى وأعطوا لمن يحب أن يعطى ومنعوا من يحب أن يمنع كما في الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ﴿أوثق عرى الإيمان: الحب في الله والبغض في الله﴾ وفي حديث آخر رواه أبو داود قال ﴿ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان﴾ . و " الولاية " ضد العداوة وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل." (١)

"صلى الله عليه وسلم ﴿الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء﴾ قال الترمذي: حديث صحيح. وفي الحديث الآخر الصحيح الذي في السنن ﴿يقول الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته﴾ وقال ﴿ومن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله﴾ ومثل هذا كثير. وأولياء الله تعالى على نوعين: مقربون وأصحاب يمين كما تقدم. وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها﴾ . فالأبرار أصحاب اليمين هم المتقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات؛ ولا الكف عن فضول المباحات. وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا." (٢)

"الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما كما قال تعالى: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ يعني الحب المطلق كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ﴿صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ أي أنعم عليهم الإنعام المطلق التام المذكور في قوله تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات يتقربون بها إلى الله عز وجل فكانت أعمالهم كلها عبادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا والمقتصدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم فلا يعاقبون عليه ولا يثابون عليه فلم يشربوا صرفا؛ بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا. ونظير هذا انقسام الأنبياء عليهم السلام إلى عبد رسول ونبي ملك وقد خير الله سبحانه محمدا صلى الله عليه وسلم بين أن يكون عبدا رسولا وبين أن يكون نبيا ملكا

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٦٠/١١

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٧٩/١١

فاختار أن يكون عبدا رسولا فالنبي الملك مثل داود وسليمان ونحوهما عليهما الصلاة والسلام قال الله تعالى في قصة سليمان الذي ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ ﴿فسخرنا له الريح تجري." (١)

"وقال تعالى: ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ ﴿خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم﴾ وقال تعالى: ﴿أم من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾ وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾ .فصل:وإذا كان العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا لقوله تعالى ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وفي صحيح البخاري الحديث المشهور – وقد تقدم – يقول الله تبارك وتعالى فيه: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ ولا يكون مؤمنا تقيا حتى يتقرب إلى الله بالفرائض فيكون من الأبرار." (٢)

"وإن كان الرجل خبيرا بحقائق الإيمان الباطنة فارقا بين الأحوال الرحمانية والأحوال الشيطانية فيكون قد قذف الله في قلبه من نوره كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم﴾ وقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ فهذا من المؤمنين الذين جاء فيهم الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله﴾ قال الترمذي حديث حسن. وقد تقدم الحديث الصحيح الذي في البخاري وغيره قال فيه: ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فإذا كان العبد من هؤلاء فرق بين حال أولياء الرحمن وأولياء الشيطان كما يفرق الصيرفي بين الدرهم الجيد والدرهم الزيف وكما يفرق من يعرف الخيل بين الفرس الجيد والفرس الرديء وكما يفرق من يعرف." (٣)

"وكانوا يتقون﴾ ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله تعالى ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ ﴾ رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد. وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٨٠/١١

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٩٠/١١

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢١٧/١١

الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه وفيه أن محبوبه به يعلم سمعا وبصرا وبه يعمل بطشا وسعيا وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار. وهذا باب واسع. وأما الخوارق فقد تكون مع الدين وقد تكون مع عدمه أو فساده أو نقصه.." (١)

"وسئل:أيما أولى معالجة ما يكره الله من قلبك مثل. الحسد والحقد والغل والكبر والرياء والسمعة ورؤية الأعمال وقسوة القلب. وغير ذلك. مما يختص بالقلب من درنه وخبثه أو الاشتغال بالأعمال الظاهرة: من الصلاة والصيام وأنواع القربات: من النوافل والمنذورات مع وجود تلك الأمور في قلبه أفتونا مأجورين.فأجاب - رحمه الله -:الحمد لله، من ذلك ما هو عليه واجب: وأن للأوجب فضلا وزيادة. كما قال تعالى فيما يرويه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه﴾ . ثم قال ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ والأعمال الظاهرة لا تكون صالحة مقبولة إلا بتوسط عمل القلب فإن القلب ملك والأعضاء جنوده. فإذا خبث الملك خبثت جنوده؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله﴾ وكذلك أعمال القلب لا بد أن تؤثر في عمل الجسد وإذا كان المقدم هو الأوجب، سواء سمي." (٢)

"الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . فهذا المؤمن الذي تقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض أحبه الله لأنه فعل ما أحبه الله والجزاء من جنس العمل. قال الله تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وفي الحقيقة فالعبد الذي يرضى الله لرضاه ويغضب لغضبه هو يرضى لرضا الله ويغضب لغضب الله وليكن هذان مثالان: فمن أحب ما أحب الله وأبغض ما أبغض الله ورضي ما رضي الله لما يرضي الله ويغضب لما يغضب؛ لكن هذا لا يكون للبشر على سبيل الدوام بل لا بد لأكمل الخلق أن يغضب أحيانا غضب البشر ويرضى رضا البشر. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ﴿: اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما مسلم سببته أو لعنته وليس لذلك بأهل فاجعل ذلك له صلاة وزكاة وقربة تقربه إليك يوم القيامة﴾." (٣)

"أليم﴾ فإنه لو كان من ترك الإحسان الذي لا يجب عليه يحسب خارجا عن الطريق خرج عنه جمهور أهله. و " أولياء الله " على صنفين: مقربين سابقين وأصحاب يمين مقتصدين. كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٣٢/١١

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣٨١/١١

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٥١٦/١١

صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة. وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ ". ثم أكثر هؤلاء الذين يذمون تارك العفو إنما يذمونه لأهوائهم لكون الظالم صديق أحدهم أو وريثه أو قرينه ونحو ذلك. والله سبحانه أوجب على عباده العدل في الصلح كما أوجبه في الحكم. فقال تعالى: ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين﴾ . وقيد الإصلاح الذي يثيب عليه بالإخلاص فقال." (١)

"يتخذون ذلك قربة ودينا تتحرك به قلوبهم ويحصل لهم عنده من الوجل والصياح ما تنزل معه الشياطين كما يدخل الشيطان في بدن المصروع؛ ولهذا يزيد أحدهم كأزباد المصروع ويصيح كصياحه. وذلك صياح الشياطين على ألسنتهم؛ ولهذا لا يدري أحد ما جرى منه حتى يفيق ويتكلم الشيطان على لسان أحدهم بكلام لا يعرفه الإنسان ويدخل أحدهم النار وقد لبسه الشيطان ويحصل ذلك لقوم من النصارى بالمغرب وغيرهم. تلبسهم الشياطين فيحصل لهم مثل ذلك. فهؤلاء المبتدعون المخالفون للكتاب والسنة أحوالهم ليست من كرامات الصالحين؛ فإن كرامات الصالحين إنما تكون لأولياء الله المتقين؛ الذين قال الله فيهم: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ وهم الذين يتقربون إلى الله بالفرائض التي فرضها عليهم ثم بالنوافل التي ندبهم إليها. كما روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿يقول الله: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها؛ فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن." (٢)

"قال: ﴿اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ قوله: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ ﴾ وقال بعض الصحابة: أظنه والله للحق يقذفه الله على قلوبهم وأسماعهم وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها﴾ وفي رواية ﴿فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي﴾ فقد أخبر أنه يسمع بالحق ويبصر به. وكانوا يقولون إن السكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم ﴿من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكا يسدده﴾ وقال الله تعالى ﴿نور على نور﴾ نور الإيمان مع نور القرآن. وقال تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وهو المؤمن على بينة من ربه ويتبعه شاهد من الله وهو القرآن شهد الله في القرآن بمثل ما عليه المؤمن من بينة الإيمان وهذا القدر مما أقر به حذاق النظار لما

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٥٤٩/١١

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٦٦٥/١١

تكلموا في وجوب النظر وتحصيله للعلم فقيل لهم: أهل التصفية والرياضة والعبادة والتأله تحصل لهم المعارف والعلوم اليقينية بدون النظر كما قال الشيخ الملقب بالكبيري – للرازي ورفيقه وقد قالا له يا شيخ بلغنا أنك تعلم علم اليقين فقال: نعم فقالا: كيف تعلم ونحن نتناظر." (١)

"واستفهم استفهام إنكار وجحود لطرق الإدراك التام وهو السمع والبصر. والعمل التام وهو اليد والرجل كما أنه سبحانه لما أخبر فيما روى عنه رسوله عن أحبابه المتقربين إليه بالنوافل فقال: ﴿ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها﴾ .فصل:وأهل السنة والجماعة المتبعون لإبراهيم وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يثبتون ما أثبتوه من تكليم الله ومحبته ورحمته وسائر ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى. وينزهونه عن مشابهة الأجساد التي لا حياة فيها. فإن الله قال: ﴿وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب﴾ وقال: ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾ . وقال: ﴿عجلا جسدا له خوار﴾ فوصف الجسد بعدم الحياة فإن الموتان لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغني شيئا. وأما أهل البدع والضلالة من الجهمية ونحوهم فإنهم سلكوا." (٢)

"الدعاء فهذا أمر مطلق. وقد تحرم الصلاة في أوقات فتكون القراءة أفضل منها في ذلك الوقت. والتسبيح في الركوع والسجود هو المأمور به والقراءة منهي عنها. ونظائر هذا كثيرة. فهكذا يعلم الأمر في فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ وغيرها فقراءة الفاتحة في أول الصلاة أفضل من قراءتها بل هو الواجب والاحتزاء بها وحدها لا يمكن بل تبطل معه الصلاة. ولهذا وجب التقرب بالفرائض قبل النوافل والتقرب بالنوافل إنما يكون تقربا إذا فعلت الفرائض لا كما ظنه بعض الاتحادية كصاحب " الفتوحات المكية " ونحوه من أن قرب الفرائض يكون بعد قرب النوافل والنوافل تجعل الحق غطاءه وتلك تجعل الحق عينه. فهذا بناء على أصله الفاسد من الاتحاد كما بين. وبين أن الحديث يناقض مذهبه من وجوه كما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴿يقول الله: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي. ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه." (٣)

"عن الظنون الباطلة؛ والاعتقادات الفاسدة ولكن المتردد منا وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا فإن الله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ثم هذا باطل؛ فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة لا لجهله منه بالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه كما

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٦٩/١٣

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٠٩/١٦

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٣٣/١٧

قيل: الشيب كره وكره أن أفارقه فاعجب لشيء على البغضاء محبوب وهذا مثل إرادة المريض لدوائه الكريه بل جميع ما يريده العبد من الأعمال الصالحة التي تكرهها النفس هو من هذا الباب وفي الصحيح ﴿حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره﴾ وقال تعالى: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ الآية. ومن هذا الباب يظهر معنى التردد المذكور في هذا الحديث فإنه قال: ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ . فإن العبد الذي هذا حاله صار محبوبا للحق محبا له يتقرب إليه أولا بالفرائض وهو." (١)

"وأما في الاستحباب فهو أبلغ؛ فإن كل تنوع يقع في الوجوب فإنه يقع مثله في المستحب ويزداد المستحب بأن كل شخص إنما يستحب له من الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى التي يقول الله فيها: ﴿وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه﴾ ما يقدر عليه ويفعله وينتفع به والأفضل له من الأعمال ما كان أنفع له وهذا يتنوع تنوعا عظيما فأكثر الخلق يكون المستحب لهم ما ليس هو الأفضل مطلقا؛ إذ أكثرهم لا يقدرون على الأفضل ولا يصبرون عليه إذا قدروا عليه وقد لا ينتفعون به بل قد يتضررون إذا طلبوه مثل من لا يمكنه فهم العلم الدقيق إذا طلب ذلك فإنه قد يفسد عقله ودينه أو من لا يمكنه الصبر على مرارة الفقر ولا يمكنه الصبر على حلاوة الغنى أو لا يقدر على دفع فتنة الولاية عن نفسه والصبر على حقوقها. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه عز وجل ﴿إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك﴾ ﴿وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر لما سأله الإمارة: يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم﴾ . وروي عنه أنه ﴿قال للعباس عمه: نفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها﴾ ولهذا إذا قلنا: هذا العمل أفضل فهذا قول مطلق.." (٢)

"على التقوى جالت في الملكوت؛ ورجعت إلى أصحابها بطرف الفوائد؛ من غير أن يؤدي إليها عالم علما. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿: الصلاة نور؛ والصدقة برهان؛ والصبر ضياء﴾ ومن معه نور وبرهان وضياء كيف لا يعرف حقائق الأشياء من فحوى كلام أصحابها ولا سيما الأحاديث النبوية؛ فإنه يعرف ذلك معرفة تامة؛ لأنه قاصد العمل بها؛ فتتساعد في حقه هذه الأشياء مع الامتثال ومحبة الله ورسوله حتى أن المحب يعرف من فحوى كلام محبوبه مراده منه تلويحا لا تصريحا.والعين تعرف من عيني محدثها ... إن كان من حزبها أو من أعاديهاإنارة العقل مكسوف بطوع هوى ... وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراوفي الحديث الصحيح: ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها﴾ " ومن كان توفيق الله له كذلك فكيف لا يكون ذا بصيرة نافذة ونفس فعالة وإذا كان." (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١٣٠/١٨

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ١١٩/١٩

(٣) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٣/٢٠

"فإذا قال: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾ فهو الله نفسه وإذا قال: ﴿لا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به؛ وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها؛ ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر؛ وبي يبطش؛ وبي يمشي﴾ وقوله: ﴿عبدي مرضت فلم تعدني فيقول: ربي كيف أعودك وأنت رب العالمين فيقول: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده﴾ فالذي في قلوب المؤمنين هو الإيمان بالله ومعرفته ومحبته وقد يعبر عنه بالمثل الأعلى؛ والمثال العلمي ويقال: أنت في قلبي كما قيل:مثالك في عيني؛ وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي؛ فأين تغيبويقال: ساكن في القلب يعمره ... لست أنساه فأذكرهوما ينقل ﴿عن داود عليه السلام أنه قال: أنت تحل قلوب الصالحين﴾ فمعلوم أن هذا كله لم يرد به أن نفس المذكور المعلوم المحبوب؛ المعبر عنه بالمثال العلمي. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم." (١)

"ومن علامات هؤلاء أن الأحوال إذا تنزلت عليهم وقت سماع المكاء والتصدية أزبدوا وأرعدوا – كالمصروع – وتكلموا بكلام لا يفقه معناه فإن الشياطين تتكلم على ألسنتهم كما تتكلم على لسان المصروع. والأصل في هذا الباب: أن يعلم الرجل أن أولياء الله هم الذين نعتهم الله في كتابه حيث قال: ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ﴿الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا. وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولم يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولإن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته. ولا بد له منه﴾ . ودين الإسلام مبني على أصلين على ألا نعبد إلا الله وأن." (٢)

"المقربون فهم الذين تقربوا إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه عن الله تعالى: ﴿ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه﴾ . ولا خلاف بين المسلمين أن جنس النساك الزهاد الساكنين في الأمصار أفضل من جنس ساكني البوادي والجبال كفضيلة القروي على البدوي والمهاجر على الأعرابي قال الله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ وفي الحديث: ﴿إن من الكبائر أن يرتد الرجل أعرابيا بعد الهجرة﴾ هذا لمن هو ساكن في البادية بين الجماعة فكيف بالمقيم وحده دائما في جبل أو بادية فإن هذا

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٤٣٣/٢٠

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٣١٦/٢٥

يفوته من مصالح الدين نظير ما يفوته من مصالح الدنيا أو قريب منه؛ فإن يد الله على الجماعة والشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد.." (١)

"فصل: وأما الحديث المروي " ما من جماعة يجتمعون إلا وفيهم ولي لله " (١) فمن الأكاذيب ليس في دواوين الإسلام وكيف والجماعة قد تكون كفارا وفساقا يموتون على ذلك.فصل: وأولياء الله تعالى هم الذين آمنوا وكانوا يتقون كما ذكر الله ذلك في كتابه وهم قسمان المقتصدون أصحاب اليمين والمقربون السابقون فولي الله ضد عدو الله قال الله تعالى: " ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون ".وقال الله تعالى " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا – إلى قوله – ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب اله هم الغالبون ".وقال: " لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ".وقال: " ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون ".وقال: " أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ".وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يسعى ".والولي: من الولي (٢) وهو القرب، كما أن العدو من العدو، وهو البعد فولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح الصنفين المقتصدون أصحاب اليمين وهم المتقربون إلى الله تعالى بالواجبات والسابقون المقربون وهم المتقربون______________(١) زاد بعضهم فيه: لا هم يدرون به ولا هو يدري بنفسه. وقال علي القاري في موضوعاته وهو كلام باطل(٢) الولي بوزن فلس القرب قاله في المصباح." (٢)

"الذي رواه البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفسي عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ". وهذا الحديث يحتج به أهل الوحدة وهو حجة عليهم من وجوه كثيرة منها أنه قال: " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة " فأثبت نفسه ووليه ومعادي وليه وهؤلاء ثلاثة، ثم قال: " وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب لي **بالنوافل حتى أحبه** " فأثبت عبدا يتقرب إليه بالفرائض ثم بالنوافل وأنه لا يزال يتقرب بالنوافل حتى يحبه فإذا أحبه كان العبد يسمع به ويبصر به ويبطش به ويمشي به، وهؤلاء هو عندهم قبل أن يتقرب بالنوافل وبعده هو عين العبد وعين غيره من المخلوقات فهو بطنه وفخذه لا يخصون ذلك

---

(١) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٥٦/٢٧

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ٤٠/١

بالأعضاء الأربعة المذكورة في الحديث فالحديث مخصوص بحال مقيد وهم يقولون بالإطلاق والتعميم فأين هذا من هذا وكذلك قد يحتجون بما في الحديث الصحيح إن الله يتجلى لهم يوم القيامة ثم يأتيهم في صورة غير الصورة." (١)

"قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي " فأخبر في هذا الحديث أن الحق سبحانه إذا تقرب إليه العبد بالنوافل المستحبة التي يحبها الله بعد الفرائض أحبه الحق على هذا الوجه. وقد غلط من زعم أن هذا قرب النوافل وإن قرب الفرائض أن يكون هو إياه فإن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة فهذا القرب يجمع الفرائض والنوافل، فهذه المعاني وما يشبهها هي أصول مذهب أهل الطريقة الإسلامية أتباع الأنبياء والمرسلين.وقد بلغني أن بعض الناس ذكر عند خدمتكم الكلام في مذهب الاتحادية وكنت قد كتبت إلى خدمتكم كتابا اقتضى الحال من غير قصد أن أشرت فيه إشارة لطيفة إلى حال هؤلاء ولم يكن القصد به والله واحدا بعينه وإنما الشيخ هو مجمع المؤمنين فعلينا أن نعينه في الدين والدنيا بما هو اللائق به، وأما هؤلاء الاتحادية فقد أرسل إلى الداعي من طلب كشف حقيقة أمرهم وقد كتبت في ذلك كتابا ربما يرسل إلى الشيخ وقد كتب سيدنا الشيخ عماد الدين في ذلك رسائل والله تعالى يعلم وكفى به عليما لولا أني أرى دفع ضرر هؤلاء عن أهل طريق الله تعالى السالكين إليه من أعظم الواجبات – وهو شبيه بدفع التتار عن المؤمنين – لم يكن للمؤمنين بالله ورسوله حاجة إلى أن تكشف أسرار الطريق وتهتك أستارها ولكن." (٢)

"عن النبي صلى الله عليه وسلم – وفي لفظ: فيما يرويه عن ربه " لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى " وهذا فيه نهي عام.وأما ما يرويه بعض الناس " لا تفضلوني على يونس بن متى " ويفسره باستواء حال صاحب المعراج وصاحب الحوت فنقل باطل وتفسير باطل. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " اثبت حراء فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد " وأبو بكر أفضل الصديقين.ولفظ خاتم الأولياء لا يوجد في كلام أحد من سلف الأمة ولا أئمتها ولا له ذكر في كتاب الله ولا سنة رسوله وموجب هذا اللفظ أنه آخر مؤمن تقي، فإن الله يقول (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الآية (١) فكل من كان مؤمنا " تقيا "كان لله وليا، وهم على درجتين: السابقون المقربون وأصحاب اليمين المقتصدون، كما قسمهم الله تعالى في سورة فاطر، وسورة الواقعة، والإنسان، والمطففين.وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " يقول الله تعالى: من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلى عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " فالمتقربون إلى الله بالفرائض هم الأبرار المقتصدون أصحاب اليمين، والمتقربون إليه بالنوافل التي يحبها بعد الفرائض هم السابقون المقربون، وإنما تكون النوافل بعد الفرائض. وقد قال أبو بكر الصديق في

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٠٣/١

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٧٠/١

وصيته لعمر بن الخطاب " اعلم أن لله عليك حقا بالليل لا يقبله بالنهار، وحقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنها لا تقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة. والاتحادية يزعمون أن قرب النوافل يوجب أن يكون عين الحق عين أعضائه، وأن______________(١) يعني الآية التي بعد هذه المفسرة للأولياء بالمؤمنين المتقين." (١)

"(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا، وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما، ولهديناهم صراطا مستقيما) وقال تعالى (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) .وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله – ثم قرأ قوله تعالى – إن في ذلك لآيات للمتوسمين " رواه الترمذي وحسنه من رواية أبي سعيد. وقال الله تعالى فيما روى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم " من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه " فهذا فيه محاربة الله لمن حارب وليه، وفيه أن محبوبه به يعلم سمعا وبصرا، وبه يعمل بطشا وسعيا، وفيه أنه يجيبه إلى ما يطلبه منه من المنافع، ويصرف عنه ما يستعيذ به من المضار. وهذا باب واسع. وأما الخوارق فقد تكون مع الدين وقد تكون مع عدمه أو فساده أو نقصه. السابع أن الدين هو إقامة حق العبودية وهو فعل ما عليك وما أمرت به، وأما الخوارق فهي من حق الربوبية إذا لم يؤمر العبد بها، وإن كانت بسعي من العبد فإن الله هو الذي يخلقها بما ينصبه من الأسباب، والعبد ينبغي له أن يهتم بما عليه وما أمر به، وأما اهتمامه بما يفعله الله إذا لم يؤمر بالاهتمام به فهو إما فضول فتكون لما فيها من المنافع كالمنافع السلطانية المالية التي يستعان بها على الدين كتكثير الطعام والشراب وطاعة الناس إذا رأوها. ولما فيها من دفع المضار عن الدين." (٢)

"منها شيطان يدعو إليه " ثم قرأ " وإن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) .وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرهما ما ذم به المشركين حيث حرموا ما لم يحرمه الله تعالى، كالبحيرة والسائبة، واستحلوا ما حرمه الله كقتل أولادهم، وشرعوا دينا لم يأذن به الله، فقال تعالى (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) ومنه أشياء هي مرحمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش، مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك. والكلام في الحلال والحرام له مواضع أخر. والمقصود هنا العبادات فنقول: العبادات التي يتقرب بها إلى الله تعالى منها ما كان محبوبا لله ورسوله مرضيا لله ورسوله، إما واجب وإما مستحب، كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى " ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليه بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ٦١/٤

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٥/٥

عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ".ومعلوم أن الصلاة منها فرض، وهي الصلوات الخمس، ومنها نافلة كقيام الليل وكذلك الصيام فيه فرض، وهو صوم شهر رمضان، ومن نافلة كصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وكذلك السفر إلى المسجد الحرام فرض، وإلى المسجدين الآخرين: مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وبيت المقدس – مستحب.وكذلك الصدقة منها ما هو فرض ومنها ما هو مستحب، وهو العفو كما قال تعالى (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) .وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " يا ابن آدم إنك إن تنفق الفضل خير لك، وإن متسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول " والفرق بين الواجب والمستحب له موضع آخر غير هذا،." (١)

"والمقصود هنا أن عباده المؤمنين يحبوه وهو يحبهم سبحانه، وحبهم له بحسب فعلهم ما يحبه كما في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليهوسلم قال " يقول الله تعالى من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه ".فقد بين أن العبد إذا تقرب إلى الله بما يحبه من النوافل بعد الفرائض أحبه الله، فحب الله لعبده بحسب فعل العبد لما يحبه الله. وما يحبه الله من عبادته وطاعته فهو تبع لحب نفسه، وحب ذلك هو سبب حب عباده المؤمنين، فكان حبه للمؤمنين تبعا لحب نفسه.فالمؤمنون وإن كانوا يحمدون ربهم ويثنون عليه فهم لا يحصون ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اللهم " إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك " وفي الصحيح أنه قال " لا أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه " وقال له الأسود بن سريع: إني حمدت ربي، فقال " إن ربك يحب الحمد " فهو يحب حمد العباد له وحمده لنفسه أعظم من حمد العباد له ويحب ثناءهم عليه وثناؤه على نفسه أعظم من ثنائهم عليه. وكذلك حبه لنفسه وتعظيمه لنفسه فهو سبحانه أعلم بنفسه من كل أحد وهو الموصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول الخلائق، فالعظمة إزاره والكبرياء رداؤه. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم." (٢)

"الله إياه وإطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل، وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول، ولهذا أتى به النبي – صلى الله عليه وسلم – تعليلا للأول فقال: (فإن تكن تراه فإنه يراك) وقد ذكر الله هذا المعنى في غير ما موضع من القرآن كما قال تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ (١) .وقال أيضا: ﴿وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * إنه هو السميع العليم﴾ (٢) فأولياء الله المتقون المحسنون استشعرت قلوبهم

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ٨٢/٥

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٦٢/٥

ونفوسهم إحاطة الله عز وجل بهم علما وقدرة ولطفا وخبرة بأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا فكان عملهم خالصا لله موافقا لشرعه.وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي **بالنوافل حتى أحبه فإذا** أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن عاذ بي لأعيذنه، وما ترددت (٣) عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن يكره__________(١) يونس: ٦١.(٢) الشعراء: ٢١٧-٢٢٠.(٣) وفي الحديث بيان معنى التردد المذكور، وحقيقته أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه مكروها من وجه وإن كان لابد من ترجيح أحد الجانبين. انظر رياض الصالحين بتحقيق الألباني ص٧٩ ط/ المكتب الإسلامي، الثالثة، وانظر تفصيله في مجموع الفتاوى ج١٨ ص١٢٩-١٣١، ج١ ص٥٨، ٥٩ والسلسلة الصحيحة حديث ١٦٤٠.." (١)

"جبروتا وحجبا عن رؤيته عيوب نفسه وعمله، وكثرت حسناته في عينه، فهو أبغض الخلق إلى الله تعالى، وأبعدهم عن العبودية، وأقربهم إلى الهلاك، لا من استكثر من الباقيات الصالحات، ومن مثل ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم من سأله مرافقته في الجنة، فقال: «أعني على نفسك بكثرة السجود» ومن قوله تعالى ﴿كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون﴾ [الذاريات: ١٧] قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد» وقال لمن سأله أن يوصيه بشيء يتشبث به: «لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله» .والدين كله استكثار من الطاعات، وأحب خلق الله إليه أعظمهم استكثارا منها.وفي الحديث الصحيح الإلهي «ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه.»فهذا جزاؤه وكرامته للمستكثرين من طاعته، لا لأهل الفناء المستغرقين في شهود الربوبية.وقال صلى الله عليه وسلم لآخر: «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها." (٢)

"وإنما يحمد قطع العلائق الظاهرة في موضعين: حيث يخاف منها ضررا في دينه أو حيث لا يكون فيها مصلحة راجحة، والكمال من ذلك قطع العلائق التي تصير كلاليب على الصراط تمنعه من العبور، وهي كلاليب الشهوات والشبهات، ولا يضره ما تعلق به بعدها.فصل.قال: واعتصام خاصة الخاصة: بالاتصال، وهو شهود الحق تفريدا، بعد الاستحذاء له تعظيما، والاشتغال به قربا.لما كان ذلك الانقطاع موصلا إلى هذا الاتصال كان ذلك للمتوسطين، وهذا عنده لأهل الوصول.ويعني بشهود الحق تفريدا أن يشهد الحق سبحانه وحده منفردا، ولا شيء معه، وذلك لفناء الشاهد

---

(١) مختصر معارج القبول هشام آل عقدة ص/٣١٠

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٧٤/١

في الشهود، والحوالة في ذلك عند القوم: على الكشف.وقد تقدم أن هذا ليس بكمال، وأن الكمال أن يفنى بمراده عن مراد نفسه، وأما فناؤه بشهوده عن شهود ما سواه فدون هذا الفناء في الرتبة كما تقدموأما قوله: بعد الاستحذاء له تعظيما، فالشيخ لكثرة لهجه بالاستعارات عبر عن معنى لطيف عظيم بلفظة الاستحذاء التي هي استفعال من المحاذاة، وهي المقابلة التي لا يبقى فيها جزء من المحاذي خارجا عما حاذاه، بل قد واجهه وقابله بكليته وجميع أجزائه. ومراده بذلك: القرب، وارتفاع الوسائط المانعة منه، ولا ريب أن العبد يقرب من ربه، والرب يقرب من عبده، فأما قرب العبد فكقوله تعالى ﴿واسجد واقترب﴾ [العلق: ١٩] وقوله في الأثر الإلهي «من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا» وكقوله: «وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا." (١)

"الأذن إلى القلب من المسموع ما يناسبه، وإن لم يدل عليه ذلك المسموع. ولا قصده المتكلم. ولا يختص ذلك بالكلام الدال على معنى. بل قد يقع في الأصوات المجردة.قال القشيري: سمعت أبا عبد الله السلمي يقول: دخلت على أبي عثمان المغربي ورجل يستقي الماء من البئر على بكرة. فقال: يا أبا عبد الرحمن، أتدري إيش تقول هذه البكرة فقلت: لا، فقال تقول: الله الله.ومثل ذلك كثير. كما سمع أبو سليمان الدمشقي من المنادي: يا سعتر بري: اسع تر بري.وهذا السماع الروحاني تبع لحقيقة القلب ومادته منه، فالاتحاد به يظن به السامع: أنه أدرك ذلك المعنى لا محالة من الصوت الخارجي. وسبب ذلك اتحاد السمع بالقلب.وأكمل السماع: سماع من يسمع بالله ما هو مسموع من الله وهو كلامه. وهو سماع المحبين المحبوبين. كما في الحديث الذي في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى - أنه قال «ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به. وبصره الذي يبصر به. ويده التي يبطش بها. ورجله التي يمشي بها. فبي يسمع. وبي يبصر. وبي يبطش. وبي يمشي» .والقلب يتأثر بالسماع بحسب ما فيه من المحبة. فإذا امتلأ من محبة الله وسمع كلام محبوبه - أي بمصاحبته وحضوره في قلبه - فله من سماعه هذا شأن. ولغيره شأن آخر. والله أعلم.." (٢)

"أحب إلي من أداء ما افترضته عليه. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه. فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها. ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» .وفي الصحيحين عنه أيضا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - «إذا أحب الله العبد دعا جبريل، فقال: إني أحب فلانا، فأحبه. فيحبه جبريل. ثم ينادي في السماء، فيقول: إن الله يحب فلانا فأحبوه. فيحبه أهل السماء. ثم يوضع له القبول في الأرض» . وذكر في البغض عكس ذلك.وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها في حديث أمير السرية الذي كان يقرأ " قل هو الله أحد " لأصحابه في كل صلاة، وقال: لأنها صفة الرحمن. فأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - «أخبروه أن الله يحبه» .وفي جامع الترمذي من حديث أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «كان من دعاء داود - صلى الله عليه وسلم -: اللهم إني أسألك حبك وحب

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٤٦٤/١

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٣٨٧/٢

من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك. اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي. ومن الماء البارد» .وفيه أيضا من حديث عبد الله بن يزيد الخطمي: «أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول في دعائه اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفعني حبه عندك. اللهم ما رزقتني مما أحب، فاجعله قوة لي فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله فراغا فيما تحب» .والقرآن والسنة مملوءان بذكر من يحبه الله سبحانه من عباده المؤمنين. وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم. كقوله تعالى ﴿والله يحب الصابرين – والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران: ١٤٦ – ١٣٤]." (١)

"مطاعا، لا شريك له، ولا مثيل، ولا عدل له، ليس لأحد معه من الأمر شيء، بل الأمر كله له، فيشهد ربه سبحانه قائما بالملك والتدبير، فلا حركة ولا سكون، ولا نفع ولا ضر، ولا عطاء ولا منع، ولا قبض ولا بسط إلا بقدرته وتدبيره، فيشهد قيام الكون كله به، وقيامه سبحانه بنفسه، فهو القائم بنفسه، المقيم لكل ما سواه.فإذا رسخ قلبه في ذلك شهد الصفة المصححة لجميع صفات الكمال، وهي الحياة التي كمالها يستلزم كمال السمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام وسائر صفات الكمال، وصفة القيومية الصحيحة المصححة لجميع الأفعال، فالحي القيوم: من له كل صفة كمال، وهو الفعال لما يريد.فإذا رسخ قلبه في ذلك: فتح له مشهد القرب والمعية فيشهده سبحانه معه، غير غائب عنه، قريبا غير بعيد، مع كونه فوق سماواته على عرشه، بائنا من خلقه، قائما بالصنع والتدبير، والخلق والأمر، فيحصل له مع التعظيم والإجلال الأنس بهذه الصفة، فيأنس به بعد أن كان مستوحشا، ويقوى به بعد أن كان ضعيفا، ويفرح به بعد أن كان حزينا، ويجد بعد أن كان فاقدا، فحينئذ يجد طعم قوله: " «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» .فأطيب الحياة على الإطلاق حياة هذا العبد، فإنه محب محبوب، متقرب إلى ربه، وربه قريب منه، قد صار له حبيبه لفرط استيلائه على قلبه ولهجه بذكره وعكوف همته على مرضاته بمنزلة سمعه وبصره ويده ورجله، وهذه آلات إدراكه وعمله وسعيه، فإن سمع سمع بحبيبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش بطش به، وإن مشى مشى به.فإن صعب عليك فهم هذا المعنى، وكون المحب الكامل المحبة يسمع ويبصر ويبطش ويمشي بمحبوبه، وذاته غائبة عنه، فاضرب عنه صفحا، وخل هذا الشأن لأهله.خل الهوى لأناس يعرفون به ... قد كابدوا الحب حتى لان أصعبهفإن السالك إلى ربه لا تزال همته عاكفة على أمرين؛ استفراغ القلب في صدق." (٢)

"وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحببته، فإذا أحببته فكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها،ـــــقال الطوفي: الأمر بالفرائض جازم ويقع بتركها المعاقبة بخلاف النفل في الأمرين، وإن اشترك مع الفرائض في تحصيل الثواب فكانت الفرائض أكمل فلهذا كانت أحب إلى الله تعالى وأشد تقريبا وأيضا الفرض كالأصل والأس والنفل كالفرع والبناء وفي الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به امتثال الأمر واحترام الأمر وتعظيمه بالانقياد إليه وإظهار عظمة الربوبية وذل العبودية فكان التقرب بذلك أعظم العمل (وما يزال) بلفظ المضارع وفي

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٥/٣

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ابن القيم ٢٥٢/٣

رواية وما زال (عبدي) أي القائم بالفرائض (يتقرب) أي يطلب زيادة القرب (إلي بالنوافل) أي التطوع من جميع أصناف العبادات يعني مع محافظته على الفرائض (حتى أحببته) أي حبا كاملا لجمعه بين الفرائض والنوافل. قال الحافظ: ظاهره إن محبة الله للعبد تقع بملازمة العبد التقرب بالنوافل، قد استشكل بما تقدم أولا إن الفرائض أحب العبادات المتقرب بها إلى الله فكيف لا تنتج المحبة، والجواب إن المراد من النوافل ما كانت حاوية للفرائض مشتملة عليها ومكملة لها. ويؤيده إن في رواية أبي أمامة "ابن آدم إنك لن تدرك ما عندي إلا بأداء ما افترضت عليك" وقال الفاكهاني: معنى الحديث إنه إذا أدى الفرائض ودام على إتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى. وقال ابن هبيرة: يؤخذ قوله من قوله ما تقرب إلى آخره إن النافلة لا تقدم على الفريضة لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفرائض فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة، ومن أدى الفرض ثم زاد عليه النفل وأدام ذلك تحققت منه إرادة التقريب وقد تبين بذلك إن المراد من التقرب بالنوافل إن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها (فإذا أحببته) لتقربه إلى بما ذكر (فكنت) كذا في أكثر النسخ الحاضرة من المشكاة "حتى أحببته فإذا أحببته فكنت" وفي المصابيح "حتى أحبه (أي بضم أوله) فإذا أحببته كنت) وهكذا وقع في البخاري من رواية الشكميهني ولأبي ذر "حتى أحببته فكنت" وكذا وقع في نسخة القاري من المشكاة (سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به) بضم الياء وفي رواية، من حديث عائشة عينه التي يبصر بها وفي أخرى عينيه اللتين يبصر بهما بالتثنية وكذا قال في الأذن واليد والرجل (ويده التي يبطش) بفتح الياء وكسر الطاء أي يأخذ (بها ورجله التي يمشي بها) زاد في حديث عائشة وفوأده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به ونحوه في حديث أبي أمامة وقد استشكل كيف يكون الباري جل وعلى سمع العبد وبصره الخ وأجيب بأوجه أحدها أنه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في إيثاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ثانيها أن المعنى إن كليته مشغولة بي فلا يصغى بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يبصر ببصره إلا ما أمرته به ولا يبطش بيده إلا في ما يحل له ولا يسعى برجله إلا في طاعتي." (١)

"الفصل الثاني١٢٢٧ - عن أبي أمامة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، وهو قربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم» . رواه الترمذي.ـــــــالفصل الثاني١٢٢٧ - (عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " عليكم بقيام الليل ") ، أي: الزموا القيام بالعبادة في الليل، (" فإنه دأب الصالحين ") : بسكون الهمزة ويبدل ويحرك، أي: عادتهم، قال الطيبي: الدأب: العادة والشأن وقد يحرك، وأصله من دأب في العمل: إذا جد وتعب. اهـ. وهو ما يواظبون عليه ويأتون به في أكثر أحوالهم، والمراد بهم الأنبياء والأولياء لما سيأتي أن آل داود كانوا يقومون بالليل، وفيه تنبيه على أنكم أولى بذلك، فإنكم خير الأمم، وإيماء إلى أن من لا يقوم الليل ليس من الصالحين الكاملين، بل بمنزلة المزكى علنا لا سرا، والله أعلم بأسراره، وقال ابن الملك: يجوز أن يراد بهم الأنبياء الماضون. (" قبلكم ") ، أي: وهي عادة قديمة (" وهو ") ، أي: مع كونه اقتداء بسيرة الصالحين (" قربة لكم إلى ربكم ") ، أي: محبة مولاكم مما تتقرب به إلى الله تعالى، وفيه إشارة إلى الحديث القدسي:

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٣٨٩/٧

" «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» . (" ومكفرة للسيئات، ومنهاة ") : مصدران ميميان كالمحمدة بمعنى الفاعل، أي: ساترة للذنوب وماحية للعيوب، قال تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] وناهية (" عن الإثم ") ، أي: ارتكاب ما يوجبه، قال تعالى: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ [العنكبوت: ٤٥] . (رواه الترمذي) : قال ميرك: ورواه الطبراني في معجمه الكبير، والشيخ محيي السنة كلاهما بإسناد حسن، ورواه الطبراني أيضا من حديث سلمان الفارسي يرفعه بزيادة: " ومطردة للداء من الجسد "، وفيه من حديث ابن عباس بسند جيد قال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاة الليل ولو ركعة» . اهـ. يعني: ولو وقعت ركعة في الليل.." [١]

"٢٢٦٦ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " «إن الله تعالى قال: " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه» " (رواه البخاري) .ـــــ٢٢٦٦ - (وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله: إن الله تعالى قال: من عادى) : أي: آذى (لي وليا) : أي: واحدا من أوليائي فعيل بمعنى مفعول، وهو: من تولى الله أمره فلا يكله إلى نفسه لحظة قال الله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ [الأعراف: ١٩٦] أو لمبالغة فاعل، وهو المتولي عبادة الله وطاعته على التوالي بلا تخلل عصيان، والأول يسمى: مرادا ومجذوبا سالكا، والثاني: مريدا وسالكا مجذوبا، واختلف أيهما أفضل، وفي الحقيقة كل مراد مريد، وكل مريد مراد، وإنما التفاوت في البداية والنهاية، والعناية والرعاية (فقد آذنته) : بالمد أي: أعلمته (بالحرب) : أي: بمحاربتي إياه لأجل وليي، أو بمحاربته أي يعني: فكأنه محارب لي، قال تعالى: ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ [البقرة: ٢٧٩] وهذا يدل على ما في هاتين الخصلتين من عظم الخطر، إذ محاربة الله للعبد تدل على سوء خاتمته، لأن من حاربه الله لا يفلح أبدا. (وما تقرب إلي عبدي) : أي: المؤمن وآثره؛ لأن من شأن العبد التقرب إلى سيده لأنواع خدمته وأصناف طاعته (بشيء) : من الأعمال (أحب إلي مما افترضت) : أي: من أداء ما أوجبت (عليه)." [٢]

"أي: من امتثال الأوامر واجتناب الزواجر، وقوله: (أحب) يقتضي أن تكون وسائل القرب كثيرة، وأحبها إلى الله أداء الفرائض، فيندرج فيها النوافل ولذا قال: (وما يزال عبدي) : أي: القائم بقرب الفرائض (يتقرب) : أي: يطلب زيادة القرب (إلي بالنوافل) أي: بقرب الطاعات الزوائد على الفرائض (حتى أحببته) : وفي نسخة: حتى أحبه، أي: حبا كاملا لجمعه بين الفرائض والنوافل، خلاف ما يوهم كلام الطيبي أن قوله: ما يزال بيان أن حكم بعض المفضل عليه الذي هو النافلة هذه المثابة، فما الظن بالمفضل الذي هو الفرائض (فكنت سمعه) : وفي نسخة صحيحة: فإذا أحببته كنت سمعه وقال ابن حجر: والذي في الأصول المشهورة: حتى أحببته فكنت سمعه، (الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به) : بضم الياء (ويده التي يبطش بها) : بكسر الطاء أي: يأخذ (بها ورجله التي يمشي بها) .قال الخطابي: أي: يسرت عليه أفعاله

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣/٩٢٧

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٤/١٥٤٤

المنسوبة إلى هذه الآلات، ووفقته فيها، حتى كأني نفس هذه الآلات، وقيل: أي: يجعل الله حواسه وآلاته وسائل إلى رضائه فلا يسمع إلا ما يحبه الله ويرضاه، فكأنه يسمع به إلخ. وقيل: أي: يجعل الله سلطان حبه غالبا عليه حتى لا يرى إلا ما يحبه الله، ولا يسمع إلا ما يحبه، ولا يفعل إلا ما يحبه، ويكون الله سبحانه في ذلك له يدا وعونا ووكيلا يحمي سمعه وبصره ويده ورجله عما لا يرضاه. وقيل: معناه كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، وبصره في النظر، ويده في اللمس، ورجله في المشي، ويمكن أن يكون المعنى إذا تقرب إليه بما افترض عليه، وزاد في التقرب بالنوافل المكملات للفرائض، ومن جملتها دوام الذكر الموصل إلى حضور الوصول، وسرور الحصول، ومقام الفناء عن نفسه، والبقاء بربه، ظهر له آثار محبته الأزلية وانكشف له أنوار قربته الأبدية، فرأى أن ما به من الكمال من السمع والبصر وقوة القوى إنما هو من آثار سمعه وبصره وقدرته وقوته، وأما هو فعدم محض فلا يرى في الدار غيره ديار.وقال ابن حجر: فلا يسمع شيئا ولا يبصر ولا يبطش ولا يمشي، إلا وشهد أني الموجد لذلك والمقدر له، فيصرف جميع ما أنعمت به عليه إلى ما خلق لأجله من طاعتي، فلا يستعمل سمعه وغيره من مشاعره إلا فيما يرضيني ويقربه مني، فلا يتوجه لشيء إلا وأنا منه بمرأى ومسمع، فأنا له عين ويد ورجل وعون ووكيل وحافظ ونصير، كما هو جلي عند أئمة العرفان دون غيرهم، إذ لا يؤمن عليهم لضيق العبادة عما يوهم لغير ذوي الإشارة من الأغاليط التي هي الحلول والاتحاد والانحلال عن رابطة الشرع الملجئة إلى مضايق الضلال.ومن هذا يتضح لك قاعدة مهمة وهي: أن ما أشكل عليك من عبارات الأولياء فإن أمكن تأويلها فبادر إليه كقول أبي يزيد: ليس في الجبة غير الله، فإن لم يمكن فإن صدرت في مقام غيبة فلا حرج على قائلها؛ لأنه غير مكلف حينئذ، وكذا إن وقع الشك في ذلك، وإن صدرت مع تحقق صحوه أقيم عليه حكمها الشرعي، إذ الولي ليس بمعصوم، والمحفوظ ربما فرط منه ما عوتب به ثم عاد إليه حاله (وإن سألني لأعطينه) : بالتأكيد، وفي التعبير (بأن) دون (إذا) إيماء إلى أنه قد يصل إلى مقام يترك فيه السؤال اتكالا على علمه بالحال، أو لأنه لا يطلب غير الملك المتعال (ولئن استعاذني) : قال العسقلاني: ضبطناه بوجهين الأشهر بالنون بعد الذال المعجمة، والثاني بالموحدة (لأعيذنه) : أي: مما يخاف من البعد (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن) : وفي نسخة: عن قبض نفس المؤمن، وقال ابن حجر: كما في رواية قيل: التردد هو التخير بين أمرين لا يدرى أيهما أصلح، وهو محال على الله سبحانه، فأولوه على ترديد الأسباب والوسائط، وجعلوا قصة موسى – عليه الصلاة والسلام – مع ملك الموت سندا لقولهم، وقيل: المراد من لفظ التردد إزالة كراهة الموت عن المؤمن. مما يبتليه الله به من المرض والفاقة وغيرها، فأخذه المؤمن عما تشبث به من حب الحياة شيئا فشيئا بالأسباب التي ذكرنا يشبه فعل المتردد من حيث الصفة، فعبر عنه بالتردد.وقال القاضي: التردد تعارض الرأيين وترادف الخاطرين، وهو وإن كان محالا في حقه تعالى إلا أنه أسند إليه باعتبار غايته ومنتهاه الذي هو التوقف والتأني في الأمر، وكذلك في سائر ما يسند إلى الله تعالى من صفات." (١)

"وفي الصحيح (١) عنه – صلى الله عليه وسلم -: «يقول الله تعالى: " ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه» (٢) .وفي القرآن والحديث من هذا ما يطول ذكره. وقد بسطنا هذا في كتاب " درء (٣) تعارض العقل والنقل "

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٤/١٥٤٥

وغيره.وقد أخبر الله تعالى في القرآن بندائه لعباده في أكثر من عشرة مواضع. والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة وسائر الناس. والله أخبر: أنه نادى موسى حين جاء الشجرة، فقال: ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين﴾ [سورة النمل: ٨] ، ﴿فلما أتاها نودي ياموسى - إني أنا ربك﴾ [سورة طه: ١١ - ١٢] ، ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة﴾ [سورة القصص: ٣٠] ، ﴿وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين﴾ [سورة الشعراء: ١٠] ، ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ [سورة مريم: ٥٢] ﴿هل أتاك حديث موسى - إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى﴾ [سورة النازعات: ١٥ - ١٦] ، ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ [سورة القصص: ٤٦] ، ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [سورة القصص: ٦٢ - ٧٤]__________(١) ب (فقط) : وفي الصحيحين.(٢) الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري ١٠٥/٨ (كتاب الرقاق باب التواضع) ، وأوله فيه: " إن الله قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل. . . الحديث "، وهو عن عائشة رضي الله عنها في: المسند (ط. الحلبي) ٢٥٦/٦(٣) ن، م: وقد بسطناه في درء. .، و: هذا مبسوط في غير هذا الموضع.." (١)

"فقال: إن لم تمض أنت أمامنا، وإلا فلا تصعدنا من ههنا، وكيف أعلم أنا وهذا الشعب أني وجدت نعمة كذا إلا بسيرك معنا.

وفي السفر الرابع: إن أصعدت هؤلاء بقدرتك فيقولون لأهل الأرض الذين سمعوا منك: الله فيما بين هؤلاء القوم يرونه عينا بعين، وغمامك يقيم عليهم، ويعود غمام يسير بين أيديهم نهارا ويعود نارا ليلا.

وفي التوراة أيضا يقول الله لموسى: إني آت إليك في غلظ الغمام لكي يسمع القوم مخاطبتي لك.

وفي الكتب الإلهية وكلام الأنبياء من هذا كثير، وفيما حكى خاتم الأنبياء عن ربه تعالى أنه قال: ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبطش، وبي يمشي.

وإن قلتم جعلناه إلها لقول زكريا في نبوته: افرحي يا بنت صهيون لأني آتيك وأحل فيك وأتراءى، وتؤمن بالله في ذلك اليوم الأمم الكثيرة، ويكونون له شعبا." (٢)

---

(١) منهاج السنة النبوية ابن تيمية ٤٢٣/٥

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ابن القيم ٥٠٨/٢